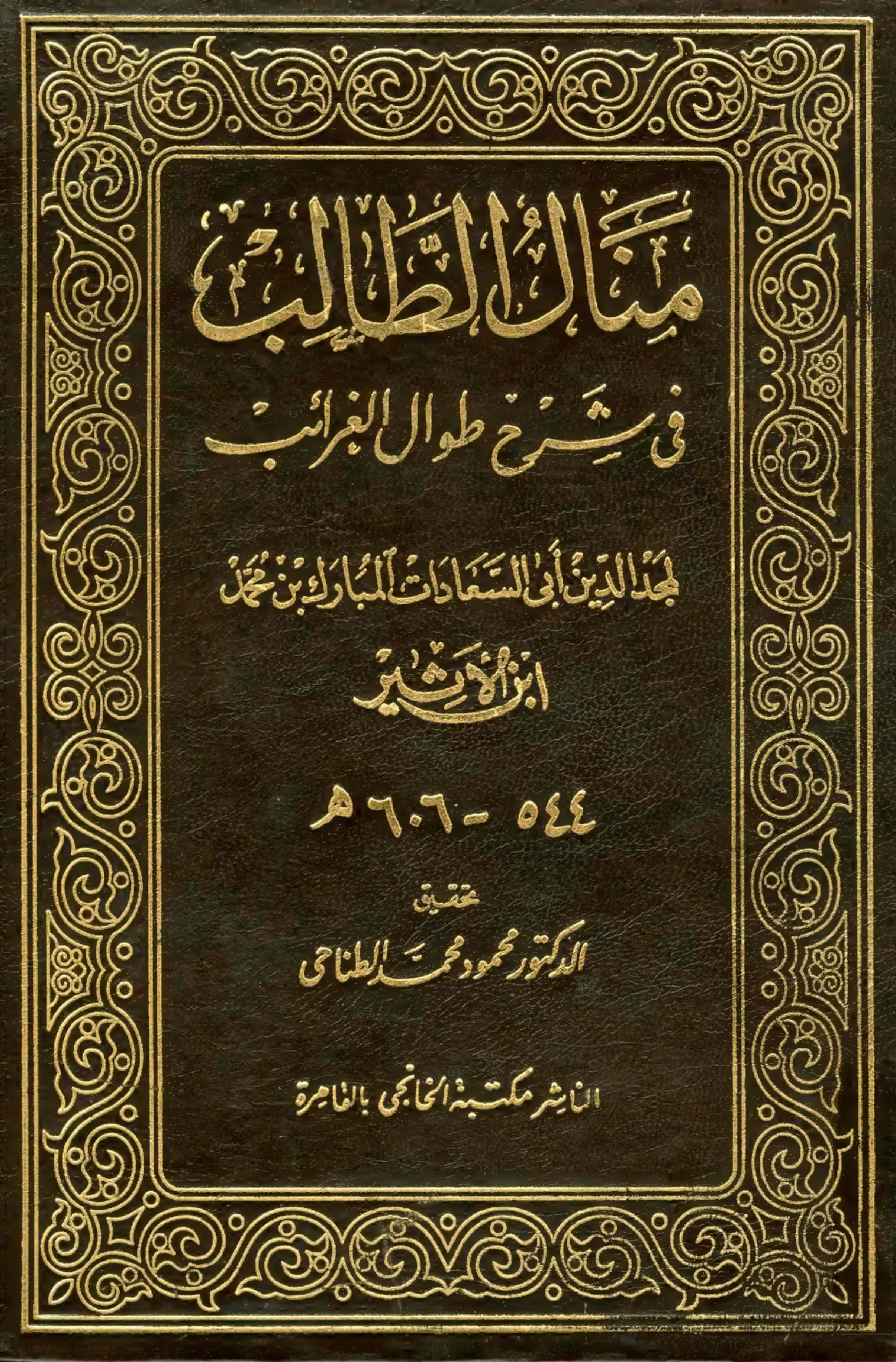

منال الطالب
فى شرح طوال الغرائب
لمجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد
ابن الأثير
٥٤٤ - ٦٠٦ هـ
تحقيق
الدكتور محمود محمد الطناحى
الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة


منال الطالب
في شرح طوال الغرائب

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمَدُ الله على نعمه حقَّ حمدِه ، وأُثنى عليه بآلائه إلى منتهى الوُسْع وجُهدِه ، حَمْدَ مَن جعل الإخلاصَ غايةَ قصده ، والتوفيق قرينَ خطئِه وَعَمدِه ، وأصلّى على محمد رسوله وعبده ، هادمِ مَشِيد الكفر وهازمِ جُنْدِه ، وخيرته المؤيَّد بنَصْرٍ من عندِه ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه من بعده ، صلاةً تُحِلّهم دارَ كرامته ورِفْدِه ، وتُنْهِل قائلَها مِن نَمِير الفلاح وعِدِّه[1] .

أما بعد ، فإنى لما بلغت الأمل والغرض ، وأدّيت النَّفْل والمُفترَض ، من تصنيف كتاب « النهاية فى غريب الحديث والأثر » ، وفرغت من تأليفه وجمعه ، وترتيبه فى أحسن وضعه ، وكان الغريب الوارد فيه ، المدرَج فى أثنائه ومَطاويه ، مفرَّقاً فى أنواع صنوفه ، مقسّماً فى أبواب حروفه ، حيث التزمنا فى وضعه التقفية على حروف المعجم ، والابتداءَ بالأوّل فالأوّل ، والأقدم فالأقدم ، فلا تكاد تجد فيه حديثاً تامًّا وإن قلَّ كلِمُه ، ولا أثراً مُتَّسقاً وإن استقلَّ مُنْتَظِمُه : أحببت أن أستأنف كتاباً مختصراً أجمعُ فيه من الأحاديث والآثار الطِّوال والأوساط ، ماأكثَرُ ألفاظِه غريبٌ لا يفهمه أكثر الناس ، وَيَعِزّ إدراك بعضه على كثير من الخواصّ ، أُوردها كاملةً متناسقةَ الألفاظ تامَّةَ الإيراد والاقتصاص[2] ، وأُتْبع كلَّ حديثٍ منها وأثَرٍ شرحَ غريبه وتفسيرَ معانيه ، وإيضاحَ المقاصد المودعةِ فيه .

---

(١) الماء العد : هو الدائم الذي لا انقطاع لمادته ، وجمعه : أعداد .

(٢) يقال : اقتصصت الحديث : رويته على وجهه .

وقد كان الأئمة والعلماء رحمةُ الله عليهم جمعوا الأحاديثَ الطِّوال ودوَّنوها ، وأظهروا أسرارها، للطالبين وأعلنوها ، فأتَوا منها بكلِّ حسن جميل ، واقتَنَوْا به كلَّ ذِكر كريم وأجرٍ جزيل ، إلا أنهم لم يقتصروا على نوع من طِوال الحديث والأثر ، لكن جمعوا مارُوِى منْها طويلاً ، سواء كان غريبه كثيراً أو قليلاً ، ونحن اخترنا من الطِّوال ماكان أكثر ألفاظه غريباً ، على أىّ حاليه كان ، بعيداً أو قريباً ، توخِّياً للحِفظ والتَّناجى ، وبلاغاً للآمِل والراجى . ولم نستقصِ فى جمع الأحاديث والاستكثار منها ، خوفَ الضجر والملل ، وهرباً مِن الوقوع فى الخطأ والزَّلل ، فاقتصرنا على الأحاديث والآثار المشهورة فى كتب الحديث والغريب ، واستقصينا شرحَ مااخترناه منها ، وبسطنا القولَ فى إيضاح ما شَذَّ من وجوه التأويل عنها ، وجمعنا بين أقاويل من تقدَّم من العلماء ، وسَبَق من الفضلاء ، فى شرحها وتفسيرها ، وتبيين معانيها وتقريرها ، وأضفنا إليه ماعسى أن يكون غُفِل عنه أو لم يُبْلَغ الغرضُ منه . مستعيذين بالله تعالى ، ومتَّكلين عليه ، ومستمدِّين من ألطافه حُسنَ التوفيق فى الدنيا ، والنجاةَ يومَ الوقوف بين يديه . إنه ولىُّ الإجابة .

وقد قسمناه إلى قسمين : أحدهما فى أحاديث رسول الله ﷺ ، ممَّا له فيه كلامٌ ، أو ذكرٌ سِيق الحديثُ له ، أو بُنى عليه[1] .

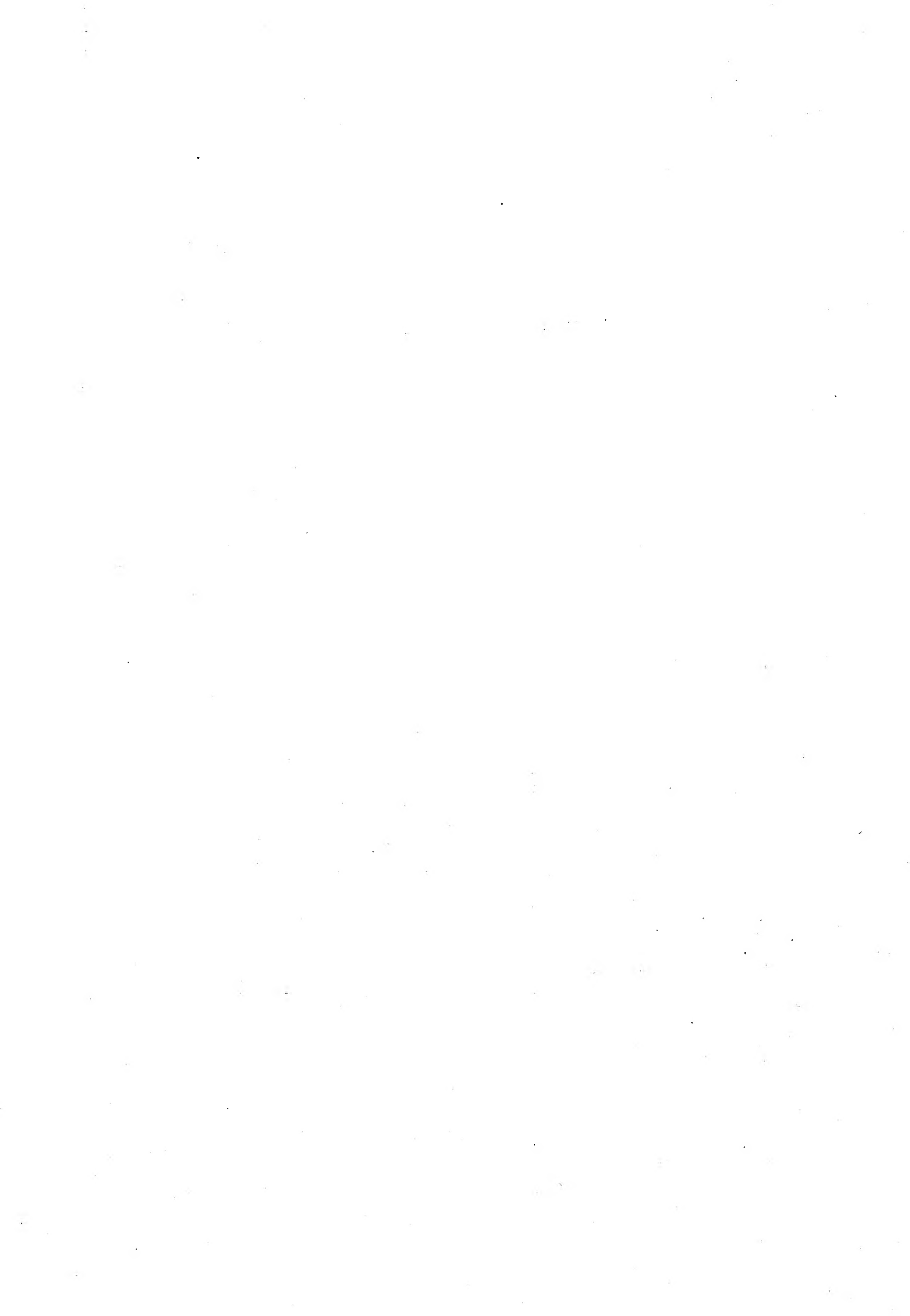
والثانى فى آثار جماعة من أصحابه وبعض التابعين لهم بإحسان ، رضى الله عنهم أجمعين .

وسمَّيته كتاب : « منال الطالب فى شرح طِوال الغرائب » .

---

(١) راجع هذا التقسيم في مقدمة المؤلف للنهاية ١ / ١٢

وبالله أعتضد وأستعين ، وأستمدّ التوفيق من ألطافه فيما آتيه وأذَرُه من قول أو فعل ، وأرغَبُ إلى كرمه أن يتغمَّدنى برحمته ، ويُجْرىَ الخيرَ على لسانى ويدى ، مُدَّةَ حياتى ، إنه ولىّ الإجابة ، وهو حسبى ونعم الوكيل .



القسم الأول

في أحاديث النبي ﷺ ، ممّا له فيه كلام ، أو ذِكْرٌ سِيقَ الحديثُ له .

حَدِيْثُ طِهفَة بن أبي زُهَير آلنَّهْدِيّ

قال عِمران بن حُصَين وحُذيفة بن اليمان ، صاحبا رسول الله ﷺ : لما قدمت [١] وفود العرب على النبيِّ ﷺ قام طِهْفَة[٢] بن أبي زُهير النَّهْدِيّ ، فقال : أتيناك يارسول الله ، من غَوْرَىْ تِهامة ، بأكوار [٣] المَيْس ، ترتمى بنا العِيس ، نَسْتَحْلِب الصَّبِير ، ونَسْتَخْلِب الخَبِير ، ونَسْتَعْضِد البَرِير ، ونَسْتَخِيل الرِّهام ، ونَسْتحيل أو نستجيل الجَهام ، في [٤] أرضٍ غائلة النِّطا[٥] ، غليظة المَوْطاَ ، قد نَشِف المُدْهُنُ ويَبِسَ الجِعْثِنُ ، وسقط الأُمْلُوجُ ومات العُسْلُوج ، وهَلَك الهَدِيُّ ومات الوَدِيُّ . بَرِئْنايا رسولَ الله من الوَثَن والعَنَن ، ومايُحدث الزَّمَن ، لنا دعوةُ السلام[٦] وشريعة الإسلام ، ماطَما البَحْرُ وقام تِعارُ ،

---

(١) سنة تسع .

(٢) ضبطت الطاء في الأصل بالفتح والكسر ، وفوقها كلمة « معاً » وسيأتى الكلام عليه .

(٣) بحاشية الأصل : على أكوار .

(٤) بحاشية الأصل : من .

(٥) بحاشية الأصل : « المنطا » ويأتي الكلام عليه .

(٦) بحاشية الأصل : المسلمين .

ولنا نَعَمٌ هَمَلٌ أَغْفالٌ ماتَبضُّ ببِلاَل(١) ، ووَقِيرٌ كثيرُ الرَّسَلِ قليلُ الرِّسْل ، أصابتْها سَنَةٌ(٢) حمراءُ مُؤْزِلَةٌ ، ليس لها عَلَلٌ ولا نَهَلٌ .

فقال رسول الله ﷺ :

اللهّم باركْ لهم فى محضها ومَخْضِها ، ومَذْقِها وفِرْقِها ، وابعَثْ راعِيهَا فى الدَّثْر بيانع الثَّمر ، وافجُرْ لهم(٣) الثَّمَدَ ، وبارك لهم فى المال والولد ، من أقام الصلاة كان مسلماً ، ومن آتى الزكاة كان محسناً ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصاً . لكم يابنى نَهْدٍ ودائعُ الشِّرك ووضائعُ المُلْك ، لا تُلْطِط فى الزكاة ، ولا تُلْحِد فى الحياة ، ولا تتثاقل عن الصلاة .

وكتب معه كتاباً إلى بنى نَهْد : من محمد رسول الله إلى بنى نَهْد ابن زيد : السلام على مَن آمن بالله ورسوله ، لكم يابنى نَهْد ، فى الوَظِيفَة الفَرِيضَةُ ، ولكم العارضُ والفَرِيشُ ، وذُو العِنان الرَّكُوبُ ، والفَلُوُّ الضَّبِيْسُ ، لايُمنَع سَرْحُكُمْ ، ولا يُعْضَدُ طَلْحُكُم ، ولايُحْبَسُ دَرُّكُم ، ولا يُوكَلُ أُكْلُكُم ، مالم تُضْمِرُوا الإماق وتأكلوا الرِّباق ، مَن أقَرَّ بما فى هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاءُ بالعهد ، والذِّمَّةُ ، ومَن أبَى فعليه الرِّبْوَةُ .

وفى رواية بعد قوله : « ووضائع المُلْك » : ما لم يكن عَهْدٌ ولا مَوْعِدٌ .

---

(١) ضبطت الباء في الأصل بالفتح والكسر ، وفوقها « معاً » ويأتي في الشرح .

(٢) بحاشية الأصل : « سنية » بالتصغير ، ويأتي الكلام عليه .

(٣) بحاشية الأصل : « له » في هذا الموضع والذي بعده .

هذا الحديث يُروى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى ، عن عِمران بن حُصَين ، وقال فيه : طُهَيَّة بن أبى زهير .

ويُروى عن حَبَّة بن جُوَين العُرَنِىّ ، عن حُذيفة بن اليمان ، وقال فيه : طهفة بن أبى زهير ، وهو أشهر الاسمين[١] ، وأكثرهما جرياً على الألسُن وفى كتب العلماء .

وقد أخرج هذا الحديثَ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة[٢] الدِّيَنَورِىّ ، وأبو سليمان حَمْد بن محمد الخَطَّابى[٣]، وأبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشرى[٤] ، وأبو موسى محمد بن أبى بكر الحافظ الأصفهانى وغيرُهم من العلماء ، وهو حديثٌ مشهور متداوَل بين رواة الحديث .

وسمعت فى آخر هذا الحديث زيادةً لم أجدها فى واحدٍ من هذه الكتب ، وهى : فقال له على ابن أبى طالب : يارسول الله ، نراك تكلِّم وفود العرب بما لانفهم أكثره ، ونحن بنو أبٍ واحد ، فقال : أدَّبنى ربِّى فأحسن تأديبى ، ورَبيتُ[٥] فى بنى سعد .

---

(١) قال عز الدين ابن الأثير في أسد الغابة : « أخرجه أبو عمر ها هنا [يعني ابن عبد البر ، صاحب الاستيعاب ، أخرجه في طهفة] وأما ابن منده وأبو نعيم فأخرجاه : طهية ، بضم الطاء ، وآخره ياء مشددة تحتها نقطتان » . وانظر التعليق التالي .

(٢) لم أجده في كتابه « غريب الحديث » الذي حققه ونشره ببغداد الأخ الصديق الدكتور عبد الله الجبوري . هذا وقد أشار ابن حجر إلى أن ابن قتيبة ذكره في « غريب الحديث » من طريق زهير بن معاوية ، عن ليث ، عن حبة العرني ، عن حذيفة بن اليمان . وأورده ابن حجر في « طهية » . انظر الإصابة ٣ / ٢٩٧ ، والاستيعاب ص ٧٧٤ ، وأسد الغابة ٣ / ٩٦ ــ ٩٨ ، والعقد الفريد ٢ / ٥٣ ــ ٥٥ .

(٣) غريب الحديث ٧١٢/١

(٤) الفائق ٢ / ٢٧٧ ــ ٢٨٢ .

(٥) ربيت ،بفتح الراء وكسر الباء مخففة ، بوزن رضيت ، كما في أساس البلاغة ، وكذلك ضبط فى الأصل عند شرح الحديث .

شَرْحه

الوفود : جمع وَفْد ، والوَفْد : جَمع وافِد ، كوَعْدٍ ووُعود ، وراكِبٍ ورَكْبٍ . والوفد : القوم يجتمعون ويَرِدُون البلاد ، وكذلك الذين يقصدون الملوك والأمراء ، لانتجاعٍ واستِرْفادٍ أو زيارة وغير ذلك . تقول : وَفَد يَفِدُ فهو وافِدٌ ، وأوفَدْتُه فوَفَدَ .

وطَهْفَة : يروى بفتح الطاء وكسرها ، والمعروف فى اللغة الفتح ، لأن الطَّهْفَة أعالى الصِّلِّيان ، وهو نَبْتٌ تَسْمَنُ عليه الإبلُ .

والطَّهْفُ : الذُّرَة ، واحدتها : طِهْفَة .

وطُهَيَّةُ : تصغير طُهْيَة . يقال : مافى السماء طُهْيَةٌ ، أى شيءٌ من سحاب .

والنَّهْدِىّ : منسوب إلى نَهْدٍ ، وهو ابن زيد بن لَيث بن سُود[١] ابن أَسْلُم بن الحاف بن قُضاعة .

والغَوْر : الأرض المنخفضة ، ضِدّ النَّجْد .

وتِهامَةُ : اسمٌ لمكَّة وما حولَها من الأغوار ، من قولهم : تَهِمَ الحَرُّ : إذا اشتدَّ مع رُكود الريح .

وتثنية الغَوْر : إشارةٌ إلى ناحيتين منها خاصَّة .

---

(١) « سود » بضم السين ، و« أسلم » بضم اللام كما ضبط في الأصل ، هنا ، ثم في حديث ابن زمل الآتي . و « الحاف » بهمزة الوصل ، ويقال : الحاف والحافي ، بإثبات الياء وحذفها ، كما يقال في العاص والعاصي . راجع جمهرة أنساب العرب ص ٤٤٠ — ٤٤٣ ، وانظر أمالي ابن الشجري ٢ / ٧٣ .

ويروى : « مِن غَوْرِيّ تِهامة » بياء النِّسبة ، أى من الأرض المُنْهبطة من تِهامة .

والأكوار : جمع الكُور ، بالضمّ ، وهو رَحْل البعير ، كالسَّرْجَ للفَرس .

والمَيْسُ : شَجَرٌ صُلْبٌ أملسُ ، تُتَّخذ منه الرِّحال[١] .

وتَرْتَمى بنا : أى تُسرع ، وهو تفتعل من الرَّمْى .

والعِيسُ : الإبل البِيض التى فى بياضها ظُلْمةٌ خفيَّة ، واحدتها عَيْساءُ .

والصَّبير : سحابٌ أبيض مُتراكبٌ ، وهو أقلّ السَّحابِ مَطَراً ، مِن صُبْرِ الشىء ، وهو غِلَظُه وكثافته .

واستحلا به : استِدرارُه ، استفعال من الحَلَب ، أى إنا لَنطمعُ فى استدرارِ السَّحاب القليل الماء ، لشدَّة الجَدْب .

وَنَسْتَخِلب : من الخَلْب ، وهو القَطْعُ والشَّقُّ ، مِن خَلَب السَّبُعُ الفريسةَ ، يَخْلُبها[٢] وَيخْلِبها ، إذا شقَّها ومزَّقها ، وبه سُمّى المِخْلَبُ ، وهو المِنْجَل ، وظُفْر كلِّ جارحٍ من الحيوان .

والخَبِير : النَّبات ، ومنه قيل للوَبَر : خَبِيرٌ .

ونَسْتَعْضِد : نستفعل من العَضْد : القَطْع ، وبه سُمّى المِعْضَد ، وهو المِنْجِل وما يُقطع به الشجر . يقال : عَضَدْتُ الشجرةَ

---

(١) زاد ابن منظور في اللسان (ميس) : فلما كثر ذلك قالت العرب : الميس : الرحل .

(٢) بضم اللام وكسرها .

واستعضدتها ، وهو أحدُ ماستوى فيه فَعَلَ واستَفْعل ، كقولهم : قَرَّ بمكانه واستقرَّ . وكذلك القول فى نستخلب ونستحلب . ويجوز أن يكون أراد : إنّا نَسأَلُ أن يُخْلَبَ لنا ويُعْضَد .

والبَرِيرُ : ثَمر الأراك إذا اسوَدَّ وبَلَغ . وقيل : هو اسمُه فى كل حالٍ . أراد : إنا نَجنيه من شجره ونأكله ، للجَدْب والقَحْط .

ونستخيل ، بالخاء المعجمة : مِن خِلْتُه أَخالُه : إذا ظننتَه ، وخال واستخال : إذا ظَنَّ ظَنًّا بالشىء لحرصه عليه وحاجته إليه ، وَتخَيَّلتِ السَّحابةُ : إذا تهيأت كأنها تُمْطِرُ ، وأَخْيَلَتْ : إذا رأيتَها فحسبْتَها ماطرَةً .

والرِّهام : جمع رِهْمَةٍ ، وهى المطر الضعيف الذى لايُرْوى الأرضَ ولا يسيلُ منه وادٍ . أراد : إنا نظُنُّ الرِّهامَ خَليقةً بالسَّحِّ .

ونَسْتحيل ، بالحاء المهملة : من الإحالة[1] ، وهى النَّظَرُ ، يقال : استَحِلْ كذا : أى انظُرْ إليه .

والجَهامُ : الغَيْمُ الذى لاماءَ فيه ، أى نَطْلب حالَ مطره ، ولا ننظر من السحاب إلاّ إلى جَهام .

ومن رواه : « نستجيل » بالجيم ، فهو مِن جالَ فى الأرض يجولُ : إذا ذهب فيها كذا وكذا .

أراد : إنّا نراه جائلاً فى الجَوِّ والأفُق ، وإن كان جَهاماً لشدّة حاجتنا إليه ، كما يقال : مَن أحبَّ شيئاً أكثر من ذِكرِهِ .

والغائلة : المُهلِكة ، من غالَه يغُولُه : إذا أهلكه .

---

(١) في النهاية : من حال يحول : إذا تحرك .

والنِّطاءُ :(١) : البُعْدُ ، والنَّطِيُّ : البعيدُ ، أى إنها فَلاةٌ يُهلِكُ بُعْدُها مَن سَلَكها .

ويروى : « غائلة المَنْطا » وهو مَفْعَلٌ منه .

والمَوْطَأُ : مَوضِعُ القدَم فى المشى ، يصف حُزُونةَ الأرض وخُشونَتَها .

والمُدْهُن : نُقْرةٌ واسعةٌ فى الجَبَل والصَّخر ، يجتمع فيها الماءُ . وهو من قولهم : دَهَنَ المَطَرُ الأرضَ : إذا بَلَّها بَلاًّ يسيراً .

والجِعْثِنُ : أصْلُ النَّبات ، وقيل : أصل الصِّلِّيان .

والأُمْلُوج : واحد الأَماليج ، وهى وَرَقٌ كأنه عِيدانٌ ، يكون لضَرْبٍ من شجر البَرِّ ، وقيل : هو نَوَى المُقْلِ (٢) .

ورُوى : « وسَقَط الأُمْلُوجُ مِن البِكارة » أى هُزِلت البِكارة ، جمع البَكْر ، وهو الفَتىُّ من الإبل ، يعنى أنها هُزلت فسقط عنها ما علاها من السِّمَن بَرَعْى الأُمْلُوج ، فسمَّى السِّمَنَ نفسَه أُمْلُوجاً ، على سبيل الاستعارة (٣) ، كقول الشاعر يصف غَيْثاً :

أقْبَلَ فى المُسْتَنِّ مِن رَبابِهِ ... أسْنِمةُ الآبالِ فى سَحابِهِ(٤)

يعنى أن أسْنِمَةَ الإبل عَظُمتْ بَرعْى ما أنْبَته ماءُ هذا السحاب ، فجعل الأسْنِمة نفسَها فى السَّحاب مبالغةً .

---

(١) هكذا جاء ممدوداً ، وسبق فى متن الحديث : « النطا » مقصوراً ، وهو الأصل فيه ، وعليه ترجم في المعاجم في المعتل .

(٢) المقل : بضم الميم وسكون القاف : هو ثمر الدَّوْم .

(٣) هذا من كلام الزمخشري في الفائق ، وعزاه إليه المصنف في النهاية .

(٤) البيتان من غير نسبة في الفائق ، والكامل ٣ / ٩١ .

والعُسْلُوج : الغُصْنُ الناعمُ الذى تتشعَّب به الورق . ومَوْتُه كنايةٌ عن يُبْسِه .

والهَدِيُّ : الهَدْىُ ، وهو الذى يُهْدَى إلى الكعبة من الإبل للنَّحْر ، وإنما أرادهاهنا الإبلَ مُطلقاً ، فسَّماها هَدِيّاً ، لأنه يكون منها ، أو أراد : هلك منها ما أُعِدَّ للهَدْى واخْتِير له ، وواحدة الهَدِىّ : هَديَّة ، بالتشديد فيهما .

والوَثَنُ : مايُعبَد من دون الله تعالى . والفرق بينه وبين الصنم أن الوثن كلُّ ماله جُثَّة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة وغيرها كصورة الإنسان . والصنم : الصورة بلا جُثَّة ، ومنهم من عكس القضية فيهما ، ومنهم من لم يفرق بينهما[١] .

والوَدِيُّ : الفَسِيلُ الصغير من النخل ، واحدتها : ودِيَّةٌ .

والعَنَنُ : الاعتراض والخلاف والباطل واللجاج . أى تبرأنا من أن نعارضَ أو نخالفَ فى شيء مّما تأمر به وتَنْهَى عنه ، فإنهم متى تبَّرأوا من الوثن وعبادته ثم اعترضوا على الحق وخالفوه ، لا يجُدى عليهم تبرؤهم شيئاً ؛ لأن الاعتراض لا يكون إلا عن شكّ ، والشاكُّ فى الدِّين لا دينَ له .

وقوله : « وما يحُدث الزَّمن » أى ما يَحدُث فيه من البِدع والمظالم ، مما لايَدلنا فيه ، وهذا على ما كانوا يذهبون إليه من أن الدهرَ

---

(١) قال السهيلي : يقال لكل صنم من حجر أو غيره : صنم ، ولايقال : وثن إلا لما كان من غير صخرة ، كالنحاس ونحوه . الروض الأنف ١ / ٦٢ .

يصيبهم بالمكاره ، ويجوز أن يريد به : إننا برئنا من أن نقولَ بقول الجاهلية إن الأحداث وَالمكارِهِ إلى الزَّمَن .

وطَما البحرُ وطَمَّ : إذا ارتفع وعلا .

وتِعارُ بكسر التاء : جبلٌ(١) معروف ، يُصرَف ولا يُصرَف .

وهاتان الكلمتان عندهم مما يُستعمل فى النفى على التأبيد ، لأن ارتفاعَ البحر ومَدَّه لا ينقطع ، وثبوت الجبل لايزول . أى إنا لازمون لهذه الأشياء ، قائمون بها أبدا ، لا نرتدُّ عنها ولا نَنْقُضها .

والنَّعَم : اسمُ جنسٍ ، يقع على الإبل والبقر والغنم ، وأكثر مايُستعمل فى الإبل ، وقيل إنه واحدُ الأنعام ، وهى الأموال الراعية . والنَّعَم لا يؤنَّث ، والأنعام تذكَّر وتؤنَّث ، وتقعان على القليل والكثير .

والهَمَل ، بفتحتين : المهملة التى لارُعاةَ فيها ولا مَن يُصلحها ويهَديها ، ومنه المثل (٢) : « اختلط المَرْعِيُّ بالهَمَل » أى الخير بالشر ، والصحيحُ بالسَّقيم . وواحد الهَمَل : هامِلٌ ، كطَلَبٍ وطالِب .

والأغفال : جمع غُفْل ، بالضم ، وهى النَّعَم التى لا سِمةَ عليها . وقيل : الغُفْل : الذى لايُرجَى خيره ولا شرُّه . وقيل أراد بها التى لا ألبانَ لها ، من قولهم : أرضٌ غُفْلٌ ، إذا لم تُمْطَر . وهو الأشبَهُ .

---

(١) في بلاد قيس من أعمال المدينة ، لاينبت شيئاً . معجم ماستعجم ص ٩٩ ، في رسم (أبلى) ، ومعجم البلدان ١ / ٣٩٣ .

(٢) جمهرة الأمثال ١ / ١١٠ ، والمستقصى ١ / ٩٥ ، ومجمع الأمثال ١ / ٢٣٨ ، والفائق ، وماذكره المصنف في شرح المثل سلخه من كلام الزمخشري في الفائق .

وبَضَّ الضَّرْعُ يَبِضُّ : إذا قَطَر منه اللَّبَنُ . وبَضَّ الحجرُ : إذا خرج منه القليلُ من الماء .

والبِلَال ، بالكسر والفتح : النَّداوَةُ ، واليسير من الماء قَدْرَ ما يَبُلُّ الشيءَ .

والبلال بالكسر : جمع بَلَلٍ ، وأراد اللبنَ ، لأنه يبُلُّ مامَسَّه ، أى إنها لِهُزالها ما تقطُر ضُروعُها بلبَنٍ يَبُلُّ (١) .

والوَقِير : الغَنم الكثيرة . قال أبو عبيدة : لا يقال للقَطِيع وَقِيٌر حتى يكون فيه الكلبُ والحمار الذى يحمل الراعى عليه متاعَه .

والرَّسَلُ ، بفتح الراء والسين : ما يُرْسَل من الماشية إلى المرعَى ، وهو فَعَلٌ بمعنى مُفْعَلٌ (٢) . وجمعه : أرْسالٌ . وقيل : هو القطيع من كل شيء . وقيل : هو مابين عَشْرٍ إلى خمسٍ وعشرين من الإبل والغنم . ومنه قولهم : جاءوا أرسالا ، أى جماعاتٍ متفرقة . وقيل : هو التفرّق والانتشار فى المرعى ، لقلّة النبات وتفرُّقه .

والرِّسْل ، بكسر الراء : اللَّبَنُ ، أى هى كثيرة العدد عند الخروج إلى المرعى ، قليلة اللبن لِهُزالها .

والسَّنَة الحمراء : الشديدة المُجْدبة ، لأن الآفاق تحمرُّ وتغبرُّ فى سنة الجدب .

---

(١) نسب الهروي هذا الشرح إلى ابن قتيبة . الغريبين ١ / ٢٠٩ ، وهذا مما يؤكد أن ابن قتيبة أورد حديث طهفة وشرحه ، وقد أسلفت القول أني لم أجده في المطبوع من كتابه غريب الحديث .

(٢) هذا شرح ابن قتيبة ، كما حكى المصنف في النهاية ، عن الخطابي ، وضعّفه الخطابي ، وقوّى التفسير الأخير ، في كلام طويل تراه هناك .

ويروى : « سُنَيَّةٌ » بالتصغير ، فإن صحَّت ، فإنه أراد تشديد أمرها وتعظيمه ، كما يقال : أصابتهم دُوَيهْيَةُ الدهر ، وأتتهم الدُّهَيْماء [١] أى فتنةٌ مظلمةٌ ، وهو الذى يسمونه تصغير التعظيم [٢] ، ومنه قول أوس ابن حَجَر [٣] :

فُوَيْق جُبَيْلٍ شامخِ الرأسِ لم يكن ليبلُغَه حتى يَكِلَّ ويُعْمِلا [٤]

صغَّر جُبَيْلاً ثم بالغ فى صفة علوِّه .

والمُؤْزِلَة ، هكذا بهمزة ساكنة وكسر الزاى الخفيفة ، وفُسِّرت أنها الجائيةُ بالأَزْل ، والأَزْل : الضيق . يقال : أَزَلَه يأزِلُه أَزْلًا ، إذا حبسه وضيَّق عليه . والرواية لاتنتظم مع هذا التصريف ، لأن المؤزلة من آزَلَتْ ، بالمدّ . فإن صحّت الرواية فيكون قد عدَّى بالهمزة ، يقال : أَزَلَ الأمرُ يأزِلُ ، إذا ضاق واشتدّ ، وآزَلَه غيرُه .

وفى كتاب الزمخشرى : « المُؤَزِّلَة » بفتح الهمزة وتشديد

---

(١) أتى هذا فى حديث حذيفة ، ذكر الفتنة فقال : « أتتكم الدهيماء ، ترمي بالنشف ، ثم التي تليها ترمي بالرضف ، والذي نفسي بيده ماأعرف لى ولكم إلا أن نخرج منها كما دخلنا فيها » . الفائق ١ / ٤٤٩ ، والنهاية (دهم) .

(٢) عبارة الهروي : « وصغر السنة تشديداً لأمرها وتنكيراً » الغريبين ١ / ٤٥ . هذا وقد ذكر الهروي وجوهاً كثيرة للتصغير في ترجمة (سنة) من الغريبين .

(٣) ديوانه ص ٨٧ ، وتخريجه في ١٦٤ .

(٤) رواية الديوان :

..........لم تكن لتبلغه حتى تكل وتعملا

والسياق هناك على الخطاب .

الزاى [١] ، فإن صحّت الرواية فيكون قد عدَّى الفعلَ بالتشديد ، للتكثير .

والعَلَلُ : الشُّرب بعدَ الشُّرب . والنَّهَلُ : الرِّيُّ ، وقد نَهِلَ يَنْهَل نَهَلاً . أى لا نجد مانَرْوَى منه ، ولا مانشرَبُه ثانياً بعد الأول من قلّة الماء ، أى إنا دخلنا فى الإسلام راغبين مع هذه الحال الشديدة .

والمَحْض ، بالحاء المهملة : اللبن الخالص غيُر المَشُوب بالماء . والمَخْض ، بالخاء المعجمة : اللبن الممخوض لإخراج زُبْدِه .

والمَذْق : المَمْذُوق المخلوط بالماء .

والفِرْق بالكسر : فسَّره بعضهم باللبن أيضاً ، وقيل هو بالفتح : نوعٌ منه ، وقيل المفتوح : مِكيالٌ يُكال به اللبن [٢] ، والمعروف فى الكسر أنه القَطِيعُ من الغنم .

والدَّثْر : المال الكثير ، وفسَّره بعضهم بالخِصب ، وهو فى الواحد والاثنين والجمع والمذكَّر والمؤنَّث بلفظٍ واحد ، لأنه مصدر . يقال : أدْثَر الرجل : إذا اقتنى ، دثراً .

واليانع : المُدْرِك ، وقد يَنَعَت الثَّمرةُ وأَيْنَعَتْ . والباء فى

---

(١) الذي في الفائق : « المؤْزِلة » بسكون الهمزة وكسر الزاي مخففاً ، بضبط القلم ، ولم يقيده الزمخشري بالعبارة .

(٢) وهذا المكيال قال في ضبطه الزمخشري : « فيه لغتان ، تحريك الراء ، وهو الفصيح ، وتسكينها » الفائق ٣ / ١٠٤ ، وحكى الهروي عن أحمد بن يحيى ، ثعلب : « قل : فرق ، بفتح الراء ، ولاتقل : فرْق » الغريبين (فرق) .

« بيانع »[١] للتسبيب ، أى بسبب يانع الثمر ، أو معه [٢] .

والثَّمَدُ : الماء القليل .

وفَجْرُه : فَتْحُه وإغزارُه . وقد فَجَره وفَجَّره .

وفى رواية : « وابعَثْ راعيَها على الدَّثْر » وهو دعاءٌ لهم بكثرة مَواشيهم .

وفى رواية أخرى : « واحبِسْ راعيَها فى الدَّثْر » وهو دعاءٌ لهم بكثرة النبات والخِصْب ؛ لأن الراعىَ إذا وجد موضعاً فيه مَرْعىً كثير وماءٌ غزير ، احتَبَس عليه ولم يبرح .

والضمير فى « له » للراعى أو لِطهفة ؛ لأن الخطاب معه ، وفى « لهم » لِطهفَة وأصحابه الوافدين

والودائع : العُهود ، جمع وَدِيع ، وهو مِن تَوادَعَ الفريقان : إذا تعاهدوا على ترك القتال ، واسم ذلك العَهْد : الوَدِيعُ [٣] .. تقول : أعطيته وَدِيعاً : إذا أعطيتَه عَهْداً .

---

(١) في الأصل : « والياء في يانع » وأصلحته كما ترى . وجاء بحاشية الأصل هذا التعليق : « قوله : « والياء في يانع للتسبيب » وهم ، وصوابه والله أعلم : « والباء » منقوطة بواحدة ، لأنها في لفظ الحديث : « وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر » وهو تفسير قوله عليه السلام : « بيانع » ، ولم يقل أحد : الياء للتسبيب قط . ولم أرَ أن أصلحه ، لأنه مقروء في هذه النسخة على مصنفه ،وخطه عليها ، وكان ينبغى أن تكون العبارة : « فى بيانع الثمر » . والله أعلم » .

(٢) هذا من كلام الزمخشري في الفائق .

(٣) هذا قول ابن قتيبة ، كما أفاد الهروي في الغريبين (ودع) ، وذلك دليل آخر على أن ابن قتيبة ذكر حديث طهفة وشرحه ، وسيأتي نظيره في كلام المصنف قريباً .

وقيل : أراد بودائع الشِّرك : ماكانوا استُودعُوه من أموال الكُفَّار الذين لم يدخلوا فى الإسلام . أى إنها حلالٌ ، لأنه مالُ كافرٍ قدَرْتُم عليه ، يدلُّ عليه مابعده من قوله فى الرواية الأخرى : « ما لم يكن عهدٌ ولا مَوعِد » . أى ما لم يأخذوا عليكم فيه عهداً ، أو التزَمْتُم لهم به وعداً ، فحينئذ يجب عليكم أداؤُه إليهم .

ووضائع المُلْك : هى ما كان عليهم من الخراج والقطائع لملوك الجاهلية . وواحد الوضائع : وَضِيعة . أى لا نأخذ منكم ماكان ملوككم وَظَّفُوه عليكم ، بل هو لكم مطلَقٌ . وقيل : أراد بالوضائع الوظائفَ التى وُظِّفَتْ على المسلمين من الصدقات والزَّكَوات ، لا نَزِيدُ عليكم فيها . هكذا فسَّره القُتَيْبىّ .

قال أبو موسى : والأوَّل أولى ، لأنه قد جعل النبوَّةَ فى هذا التأويل مُلْكاً ، والنُّبوَّة لاتسمَّى مُلْكاً ، ويدلّ عليه قولُ ابى سفيان بن حرب للعبّاس يومَ الفتح : لقد أصبح مُلْكُ ابنِ أخيك عظيمًا ، فقال له : ويلك ، ليس بُملك ولكنها النُّبوّة .

وهذا القول مبنىٌّ على أن المُلْك بضم الميم ، والذى رأيت فى كتاب القْتيبىّ : « وضائع المِلْك » بكسر الميم ، فإنه قال : هى الوضائع نُوظِّفها على المسلمين فى المِلْك ، وهو مايُلْزَمُه الناسُ فى أموالهم . فإن صحت الرواية بالكسر ، صحّ تأويلُه .

وألَطَّ يُلِطُّ ، ولَطَّ يَلُطُّ ، فهو مُلِطٌّ ولاطٌّ : إذا دَفَع عن حَقٍّ يَلْزَمه ، وستَرَهُ .

والإلحادُ : الميلُ عن الحقّ إلى الباطِل ، وقد ألحد يُلحد فهو مُلْحِد .

وقوله : « فى الحياة » أى مع دوامها وامتدادها .

والفَرِيضة : الهَرِمَةُ من النُّوق ، وهى الفارِضُ أيضاً ، وقد فرضَتْ فهى فارِضٌ وفارِضةٌ وفَرِيضة ، فهى فعيلة بمعنى فاعل .

والعارِضُ : الناقة التى أصابها كَسْرٌ أو مَرَضٌ ، وكذلك الشاةُ ، ومنه قولهم : بَنُو فلانٍ أكَّالُون للعوارض ، إذا كانوا لاينحرون إلا مريضاً أو كَسِيراً (١) .

والفَرِيشُ : الحديثة العَهْدِ بالوِلادة ، وهى كالنُّفَساء من النِّساء . وأراد ذاتَ اللبن .

ولم يرد بقوله : « لكم كذا وكذا » أنَّا لانعُدُّها عليكم ، وإنما أراد أنَّا لا نأخذ منكم المَعِيب ، لأن فيه إضراراً بأهل الصَدقة ، ولا نأخذ منكم ذاتَ الدَّرّ ، لأن فيه إضراراً بكم ، ولكنا نأخذ الوسَطَ من أموالكم .

وذو العِنان : الفَرَسُ ، وأضافه إلى العِنان ، لأنه يُلْجَم عند الرُّكوب .

والرَّكُوب : الذَّلُول المركوب ، فَعُولٌ بمعنى مفعول .

والفَلُوُّ : المُهْرُ .

والضَّبِيْسُ : الصَّعْب ، وهو في الناس : العَسِرُ . أراد : إنّ لهم ماركبوا من الخيل وأولادها ، واقْتَنَوْه منها ، ويدلُّ عليه قوله عليه السلام « قد عَفَوْنا لكم عن صدقة الخيل » .

---

(١) زاد في النهاية : خوفاً أن يموت فلا ينتفعون به ، والعرب تعير بأكله .

والسَّرْحُ : الماشيةُ ، بمعنى السارحة ، وهي التي تسرح إلى المَرْعَى ، أي تذهب .

ومَنْعُه : دَفْعُه عن المرعَى . أي لايمنعُه أحدٌ عن الرعي .

ورُوي : « لايُقْطَع سَرْحُكم » على أن السَّرْحَ جمع سَرْحةٍ ، وهي الشجرة العظيمة .

والطَّلْحُ : شجرٌ معروف من العِضاه وشجرِ الشوك ، وعَضْدُه : قَطْعُه . وقد تقدم في أول الحديث .

والدَّرُّ : اللبن . وأراد ذوات الدَّرِّ . أي لاتُحْشَر إلى المُصَدِّق فتُحبس عن المرعى .

والأُكْلُ ، بالضم : القُوتُ . أي لاتؤكل أقواتكم ووجوهُ مَطاعِمكم .

ووُري : « لايؤكل كَلُّكم [١] من الكَلِّ : العيال . أي لاتُوكل عِيالُكم إليكم فيما لاتُطيقونه . ويشهد له قولُه عليه السلام : « مَن ترك كَلاًّ فإلَيْنا » .

والإضمار : جَعْلُ الشيء في الضمير ، وهو ماتنطوي عليه السَّريرة .

والإماق : تخفيف الإمْآق ، بحذف الهمزة بعد إلقاء حركتها على الميم الساكنة قبلها ، مثل قولهم في إقرأْ آية : إقْرَ آية ، حذفت همزةُ آية ،

---

(١) أورده المصنف في النهاية ، في ترجمة (كلل) ولم يذكره في (أكل) .

بعد أن ألقيت فتحتُها على همزة [١] اقرأ الأخيرة ، فصارت بوزن اقْرَعاية .

والإمآق : من أماق الرجلُ : إذا صار ذا مَأْقةٍ ، وهي الحميَّة والأَنَفة ، كقولك : أكْأَب الرجلُ من الكآبة . المعنى : مالم تُضمروا الحَمِيَّةَ وأنَفَة الجاهليّة التي منها يُنْتَج النَّكْثُ والغَدر .

قال الزمخشري : وأوجَهُ من ذلك أن يكون الإماق مصدر أماق ، على ترك التعويض [٢] بالهاء ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ ﴾ [٣] والأصل : إماقة وإقامة ، وهو أفعل من المُوقِ : الحُمْق ، والمراد : مالم تُضمروا الكفرَ والعملَ على ترك الاستبصار في دين الله تعالى . وقد وصف الله عز وجل في غير موضع من كتابه المؤمنين بأُولى الألباب ، والكافرين بأنهم لايعقلون .

ورُوي : « مالم تُضمروا الرِّماق » مصدر رَامَقَنى ، وهو نَظَرُ الكاشح والمُعْرض ، والمرادُ : النفاق ، وقيل : هو من قولهم : عيشٌ فلانٍ رِمَاقٌ ، أى ضيِّق . يريد : مالم تضق صدُورُكم عن أداء الحقّ [٤] .

والرِّباق : جمع رِبْق ، وهو الحَبْل ، وأصله أن الغنم إذا ولدتْ أخذوا حَبْلاً وشدُّوا فيه عُرًى ، وجعلوا في عُنُق كل سَخْلَة عُرْوةً ، وكلّ

---

(١) هذا كله من كلام الزمخشري في الفائق .

(٢) فى الفائق : على ترك التعويض ، كقولهم : أريته إراء ، وكقوله تعالى .....

(٣) سورة الأنبياء ٧٣ ، والنور ٣٧ ، وآية الأنبياء بفتح الميم ، وآية النور بكسرها .

(٤) ويروى أيضاً : « مالم تضمروا الرِّفاق » ،وحكاها المصنف في النهاية (رفق) وفسره بالنفاق .

عُروة رِبْقَةٌ . وأراد به هاهنا العَهْدَ ، شبَّه مالَزِمَ أعناقَهم من عَهْد الإسلام وعَقْده بالرِّبْق في أعناق البَهْم ، وشبهَّ نَقْضَه بأكل البَهْمة رِبْقَها ، وقطعِه والذهاب حيث شاءت .

والذِّمَّةُ : الأمان . والرِّبْوة : الزيادة على مافُرِض على المُذْعِن المطيع . جعل ذلك عقوبةً لإبائه وامتناعه ، وكلُّ شيءٍ زاد فقد رَبَا .

وقوله في الرواية الآخرة : « مالم يكن عَهْدٌ ولا موعدٌ » أي مالم يكن ذلك خِلافاً لعَهْد أو موعدٍ منّى ، أو على ماتقدّم من الوجه الآخر ، ومالم يوجد منكم تثاقلٌ عن الصلاة فتتركونها ، ولم يحصل منكم تَلَطُّطٌ في الزكاة ، أي تقاعُدٌ عن أدائها ، أو سترُ مايجب فيه وإخفاؤه ، أو تَلَحُّدٌ في الحياة ، أي ميلٌ عن الحقّ مادمتم أحياء . كذا رواه أبو موسى على التَّفعُّل والتَّفاعُل ، وقال : روى القُتَيبيُّ هذه الألفاظ على لفظ النهى للواحد المخاطب ، يعني : لاتُلْطط في الزكاة ، ولاتُلحدْ في الحياة ولا تتثاقلْ عن الصلاة . قال : ولا وَجْهَ له ، لأنه يخاطب الجمعَ ويشترط عليهم . والذي في كتاب الزمخشري بالنون [١] : « لانُلْططُ ولا نُلْحدُ ولا نتثاقل » على الخبر وهو أحسنها . والله أعلم .

وقوله : « ورَبيتُ فى بني سعد » أي نشأت فيهم . وبنو سعدٍ : عشيرة سعد بن بكر بن هوازِن ، لأن حليمة بنت أبي ذُؤَيب السَّعدية كانت مرضعةَ النبيّ عليه السلام ، ومربّيَته إلى أن نشأ ، وردَّتْه إلى أهله [٢] .

---

(١) الذي فى الفائق بالتاء المثناة من فوق ، كرواية ابن قتيبة التي ضعَّفها أبو موسى .

(٢) بحاشية الأصل : بلغت القراءة على مصنفه إلى هاهنا . والحمد الله حق حمده .

حَدِيثُ خزَيمة بن ثَابت

أو ابن حكيم السُّلَمىّ ثم البَهْزِيّ وليس بالأنصاريّ

خرج مع النبيّ ﷺ في عِيرٍ لخديجة بنت خُويلد ، إلى الشام [١] ، وكانت بينه وبين خديجة قَرابةٌ ، فقال له : يامحمدُ ، إني أرى فيك خِصالاً ، وأرى عليك من الناس محبّةً ، وأشهد أنك النبيّ الذي يخرج من تِهامةَ ، وقد آمنتُ بك ، فإذا سمعتُ بخروجك أتيتُك .

فلما انصرفوا رجع خُزيمةُ إلى بلاده ، فأبطأ عن رسول الله ﷺ ، حتى كان يوم فتح مكة ، فوقف على النبيّ عليه السلام ، فلما رآه قال : مرحباً بالمهاجر الأوّل ، ماالذي بَطَّأَ بك ياخزيمة ؟ أين ما وعدتني ؟ قال : يارسول الله ، مامنعني أن أكون من أول مَن أتاك ، وأنا مؤمنٌ بك ، غير منكرٍ لبَيْعتك ، ولاناكثٍ لعَهْدِك ، وأنا مُقِرٌّ بالقرآن ، كافِرٌ بالطُّغيان ، مؤمن بالرحمن ، بريء من الأوثان ، والله لقد أتيتك وعُذرِي عَدَدَ [٢]أصابعي هذه ، فما نَهْنَهَنِى عنك أن لاأكونَ أوّلَ مَن دان بدينك وأجاب دعوتك ، إلا أنه أصابتنا بعدَك سنواتٌ شدادٌ متواليات ، تركت المُخَّ راراً ، والمطيَّ هاراً ، غاضَتْ لها الدِّرَّة ، ونَقَصتْ لها الثَّرَّة ، وعادَ لها النِّقادُ مُجْرَنْثِما ، والذِّيخُ مُحْرَنْجما ، والفَرِيشُ مُسْحَنْكِكا ، والعِضاهُ مُسْتَحْلِكا ، أيْبَسَتْ بارِضَ الوَدِيس ،واجتاحَتْ جَمِيمَ اليَبيسِ ،

---

(١) بحاشية الأصل : بلغت مقابلة لفرعه وتصحيحاً لهذا الأصل . ولله الحمد والمنة

(٢) هكذا ضبط فى الأصل بالنصب .

وأفْنَتْ أصولَ الوَشِيج ،حتى آل السُّلامَى ، وأخْلَفَ الخُزامَى ، وأيْنَعت العَنَمةُ ، وسَقَطت البَرَمَةُ ، وبَضَّت الحَلَمةُ ، وتَفَطَّرَ اللِّحاءُ ، وحَمَل الراعي العُجالَةَ ، واكتفَى مِن حَمْله بالقَيْلَة ، أتيتُك مُسْرِعاً غيرَ مبدِّلٍ لقولي .

فقال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك وتعالى يعرض على عبده نصيحةً ، فإن قَبِلها سَعِد ، وإن تركها شَقِيَ ، وإن الله عزّ وجلّ يبسُط يدَه لمسيء الليل بالنهار ليتوبَ ، فإن تاب تاب الله عليه ، ولمسيء النهار بالليل ليتوبَ ، فإن تاب تاب الله عليه ، وإنّ الحقَّ ثقيلٌ كثِقَله يومَ القيامة ، وإن الباطِلَ خفيفٌ كخفّته يومَ القيامة ، وإن الجنةَ محظورٌ عليها بالدَّآليل ،وإن النارَ محظورٌ عليها بالشهوات . انْعَمْ صباحاً ، تَرِبَتْ يداك .

وفي رواية [1]: تركت المُخَّ رزاما ، والمَطِيَّ هاماً ، وغاضَتْ لها الدِّرَّة ، وتَبِعَتْ لها الثَّرَّة ، وعاد لها النِّقادُ مُتَجَرثِما ، والعِضاهُ مُسْتَخْلِفا ، والوشيجُ مُسْتَحْنِكا ، حتى قُطَّتِ القَنِطَة . وذكر باقي الكلمات نحو ماتقدم .

* * *

وفى الحديث طولٌ ، إلا أنه لا يتضمّن غريباً ، وهو حديثٌ غريبٌ ، إسناداً ومَتْناً [2] . رواه الطَّبَراني في المعجم الكبير ، وغيرُه من العلماء بإسنادهم إلى ابن جُرَيج ، عن عطاء ، عن جابرٍ ، أن خُزَيمة ...

---

(١) وهى رواية الطبرانى ، كما ذكر المصنف فى ترجمة (رزم) من النهاية .

(٢) قال ابن حجر : « وإسناده ضعيف جداً مع انقطاعه » . وترجمه فى « خزيمة بن حكيم » ثم أفاد أن الطبرانى رواه فى الأوسط . الإصابة ٢/١١٢ ، وانظر أسد الغابة ٢/١٣٤ ، ١٣٥

ورُوي من طريقٍ آخر عن ابن جُرَيج ، عن الزُّهْرِيّ مُرسَلاً ، أن خزيمة ...

قال أبو موسى رحمه الله : وهو أولى من رواية ابن جُرَيج عن عطاء عن جابر .

وأخرجه أبو عبيد أحمد بن محمد الهرويُّ ، في كتابه ، مُفرَّقاً في أبوابه .

شرحه

السُّلَمِيّ : منسوب إلى سُلَيم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة ابن قيس عَيلان .

والبَهْزِيّ : منسوبٌ إلى بَهْز بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُلَيم ، بَطْنٌ منهم .

والعِيرُ : الإبل تحمل المِيرَة والبَزَّ وغيرهما من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ ، للتجارة وغيرها .

والمهاجِر : من ترك وطنَه وانتقل إلى غيره رغبةً فيه ، وهو في الأصل ،: اسم فاعلٍ من الهَجْر ضدِّ الوَصْل ، وهو في الإسلام اسمٌ لمن أسلم ، وخرج من وطنه إلى النبيّ ﷺ ، بالمدينة ،وأقام عنده ، وإنَّما سمّاه المهاجِرَ الأوَل ، إشارةً إلى صحبته معه أولاً وإيمانِه بِه .

والنَّكْث : نَقْضُ العهد ، وهو مِن نَكْثِ الحبلِ المفتول .

والطُّغيان : مُجاوزة الحَدِّ ، ويريد به مخالفةَ سُنن الإسلام وحُدودِه .

والأوثان : جمع وَثَنٍ ، وهو كلّ مايُعبد من دون الله ، وفيه وفي الصنم خِلافٌ قد تقدَّم في حديث طِهفة .

والرحمن : اسمٌ خاصٌّ لله تعالى ، لايُطْلَق على غيره ، وهو فَعْلانُ ، من الرحمة ، للمبالغة .

والنَّهْنَهَةُ : الكفُّ والمنع والزَّجر عن الشيء ،والأصل فيه : نَهَّهَ ، بثلاث هاآت ، فأبدلوا من الهاء الوسطى نُوناً للفرق بين فَعْلَلَ وفَعَّل .

والدِّين : الطاعة ، يقال : دانَ له يَدِينُ : إذا أطاعه ودخل تحت حُكمِه ، ودان فُلانٌ بدِين فلان : إذا أخذ به وتابَعه عليه .

والسَّنَوات : جمع صِحَّة لسَنَةٍ ، ويريد بها الجَدْبَ ، ولذلك وصفها بالشِّدَّة .

والرَّارُ : الرَّقيق الذائب ؛ لشدّة الجَدْب والهُزال ، فإن المُخَّ مع السِّمَن يكون ثَخيناً يملأ العَظْم .

والمَطِيّ : جمع مَطِيَّة ،وهي الناقة التي يُركب مَطاها ، أي ظَهْرُها ، وقيل لأنها يُمْطَى بها في السَّير ، أي يُمَدّ ، يقال : مَطَوْتُ بهم في السَّير ، أمْطو مَطْواً .

والهارُ ، بتخفيف الراء : الساقِطُ الضعيف ، مِن هارَ يَهُورُ هَوْراً ، فهو هائرٌ وهارٌ وهارٍ ، بالرفع والجرّ ، فأما هائرٌ فهو الأصل ، كقائلٍ من قال ، وأمار هارٌ بالرفع ، فعلى حذف الهمزة ، وأما هارٍ بالجرّ ، فعلى نقل الهمزة إلى بعدِ الراء ، وجَعْلِها ياءً ، ثم عُمِل بها ماعُمل بالمنقوص ، نحو قاضٍ وداعٍ ، وكما عملوا في شاكي السِّلاح ، من شائك .

ويُروى : « هارّاً » بالتشديد ، مِن هَرَّ يَهِرُّ : إذا كَلَح في وجهه وصاح عليه ، كما يَهِرُّ الكلبُ . أي هَرَّ بعضُها في وجه بعض من الجَهْد وشدَّة الزمان .

والغَيْض : النَّقْص ، وغاضت العينُ : إذا غارَتْ .

والدِّرَّة : اللَّبَن والمطر .

والثَّرَّة : كثْرةُ اللِّبن . يقال : سحابٌ ثَرٌّ : كثير الماء ، وناقةٌ ثَرَّة : واسعةُ مَخرج اللبن من الضَّرع ، ويقال فيها : الثِّرَّة ، بالكسر (١) .

والنِّقاد : جمع نَقَدٍ ، بالتحريك ، وهي رُذال الضَّأن وصِغارها .

والمُجْرَنْثِم : المُجْتمِع المُتَقبِّض ، وتَجمُّعُها من الجَدْب ، لأنها لا تجد مرعىً تنتشر فيه .

والنون زائدة . ولم يقل : مُجْرَنْثِمة ، لأن لفظ النِّقاد لفظُ الاسم الواحد ، كالجِدار والحِمار (٢) .

وفي روايةٍ : « اليَراعُ » بدل « النِّقاد » . واليَراعُ : الضِّعاف من الغنم وغيرِها ، والأصل في اليراع : القَصَبُ ، ثم سُمِّيَ به كلُّ ضعيف ، ولذلك قيل للجبان ، يَراعٌ ، كأنه خالى الجَوف مِن قلبه ، خُلُوَّ باطن القصَب .

---

(١) تكلم الهروي على الكسر والفتح ، فانظر مقالته في الغريبين ١ / ٢٧٨ .

(٢) هكذا بالحاء المهملة في الأصل ، وتحتها حاء صغيرة علامة الإهمال ، وكذلك جاء في أصل الغريبين ١ / ٣٣٩ ، وجاء في النهاية واللسان « الخمار » بالخاء المعجمة .

وعادَ في الأصل بمعنى الرُّجوع إلى الشيء المفارَق ، وهو هاهنا بمعنى « صارَ » مجازا واتِّساعاً ، ولهذا فُسِّر قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ في مِلَّتِنَا ﴾ (١) أي لَتصيرُنَّ ، لأن صالحاً عليه السلام لم يكن في مِلّتهم .

والذِّيخ ، بالذال والخاء المعجمتين : ذَكَر الضِّباع ، والأنثى : ذِيخَة .

والمُحْرَنْجِم : الكالحُ المُتقبِّض مِن شدَّة الجَدْب ، والنون زائدة . أي عَمَّ المَحْلُ حتى نالَ السِّباعَ والبهائمَ (٢) .

والفَرِيشُ : صِغَار الإبل ، وقيل : صِغَارها الفَرْشُ (٣) . والفَريش : الناقة التي ولدت حديثاً ، كالنُّفَساء من النِّساء . وقيل : الفَرِيش من النَّبات : ماانبسط على وجه الأرض ، ولم يَقُم على ساق (٤) . وقال الأزهري (٥) : هو الموضع الذي يكثُر فيه النبات .

والمُسْحَنْكِك : الشديدُ السَّوادِ ، من الاحتراق . يقال : اسْحَنْكَك الليلُ : إذا أظلمَ ، والنون زائدة .

والعِضاهُ : شجر الشوك ، واحدتها عِضَةٌ ، وهي أنواعٌ كثيرة .

---

(١) سورة الأعراف ٨٨ ، وإبراهيم ١٣ .

(٢) زاد في النهاية : حرجمت الإبل فاحرنجمت : أي رددتها فارتد بعضها على بعض واجتمعت .

(٣) هذا من كلام أبي بكر بن الأنباري ، كما ذكر الهروي في الغريبين (فرش) .

(٤) كأنه مفروش عليها ، وهو قول ابن قتيبة ، كما ذكر الهروي .

(٥) لم أجده في التهذيب في ترجمة (فرش)، وهو مما سمعه الهروي من الأزهري ، وحكاه في الغريبين .

والمُسْتَحْلك : الأسودُ ، يقال : أسودُ حالكٌ ، أي شديدُ السَّوادِ ، والسين والتاء زائدتان . ولو قيل في المسحنكك إن السين زائدة والنون أصليّة ، من قولهم : أسودُ حالكٌ ، بمعنى حانِك ،لَجازَ .

والبارضُ : أول مايبدو من النبات ، من البُهْمَى وغيرها ، وهو نَبْتٌ ينبُت في السَّهْل ، فهي ما دامت صِغاراً : بارِضٌ، فإذا طالَت تَبيَّنتْ أنواعُها. وقيل : هو مابَرَض من النَّبت ، أي طلعَ وكَسَا وَجْهَ الأرض .

والوَدِيسُ والوَدْسُ : أوّل نبات الأرضِ ، وأوْدَسَتِ الأرض وتَوَدَّسَتْ : إذا أنْبَتَت ماغَطَّى وَجْهَها ، وقيل : هو ماطالَ منه وكثُر .

واجتاحَتْ : أهْلكَتْ واستأصلَتْ .

والوَشيجُ : ماالتفَّ من الشَّجر . أي أفنَتْ أصولَ الشجر ، إذ [١] لم يَبقَ في الأرض ثَرىً ولا نَداوة . وقيل : الوشيج : نبات له أغصانٌ ووَرَقٌ لِطافٌ .

والجَمِيم : نَبْتٌ يطُولُ حتى يصيرَ مثل جُمَّة الشَّعَر ، وقيل : هو ماطال من البارِض ، والعَمِيمُ أطْوَلُ منه .

واليَبيسُ : اليابِسُ من النبات . يقال : يَبِس فهو يَبيسٌ ، مثل سَلِم فهو سَلِيمٌ .

وآل : بمعنى عادَ ورجَع ، والأوْلُ : الرُّجوع .

---

(١) هكذا في الأصل والنهاية . وفي الغريبين (وشج) : إذا .

والسُّلامَى : عِظام الأصابع ، جمع سُلَامِيَةٍ ، وهي الأُنْمُلة من أنامل الأصابع . أي عاد المُخُّ إلى العَظْم ، يقال : آخِرُ مايَبْقَى ، المُخُّ في السُّلامَى [١] .

والخُزامَى : نَبْتٌ له زَهَرٌ أزرقُ طيِّبُ الرِّيح ، وهو خِيرِيُّ [٢] البَرِّ.

وأَخْلَفَ النَّبْتُ : إذا أخرج نباتاً وزَهراً ، فصار يَخْلُفُ نباتاً قبلَه .

والعَنَمَةُ : واحدة العَنَم ، وهو شَجرٌ له أغصانٌ دِقاقٌ ، وثَمَرٌ أحمرُ ناعمٌ ، يُشَبَّه به البَنانُ .

وأيْنَعت الثَّمَرةُ ويَنَعتْ : إذا نَضِجَتْ وأدرَكَتْ .

والبَرَمَةُ : واحدة البَرَم ،وهو ثمر الأراك ، ولاطَعْمَ له ، كانوا يُضطَرُّون إلى أكله عند الجَدب ، فلما جاء الخِصْبُ سقط من شَجَرته واستَغْنَوا عنه .

وبَضَّتْ : أي سالَتْ وتحلَّبَتْ ، وكذلك ضَبَّتْ ، على القَلْب .

والحَلَمةُ : رأس الثَّدْي والضَّرع ، وهو أيضاً نَباتٌ ينبُت في السَّهْل .

---

(١) عبارة المصنف في النهاية : « إن آخر مايبقى فيه المخ من البعير إذا عجف : السلامى والعين » . وعبارة الهروي في الغريبين (سلم) : السلامى آخر مايبقى فيه المخ .

(٢) من الخير ، بكسر الخاء ، وهو الكرم والجود . ويقال للخزامى : خيري البر ، لأنه أذكى نبات البادية ريحاً. المصباح المنير .

والتَّفَطُّر : التَّشَقُّق .

واللِحاء : قِشْر الشجر . أي تشقَّق فطلعت فروعُه وأغصانُه لإخراج الثمر .

والعُجالة ، بالضم : اللَّبَن الذي يحمله الراعي من المرعَى إلى أصحاب الغنم قبل أن تَصْدُر ، وإنما يفعل ذلك إذا كثُر اللبنُ عليه ، فيحلبها في المرعى .

ويروى : « العِجالة » بالكسر ، وهي مايحمل الراعي عليه زادَه ، كالتَّيس ، والكَبْش .

وقيل : هما بالضم والكسر : مايتعجَّله الإنسانُ .

والقَيْلَة ، بالفتح : شُربُ نصف النهار ، مِن القائلة : شدَّةِ الحَرّ . أي إن الراعي يكتفي بشربه نصفَ النهار ، ولا يَعْرِض لما يحمله من كثرة اللبن .

وبَسْطُ اليدِ : كناية عن الكَرَم والجُود ، وفتْح باب البِرِّ واللُّطْف والرحمة .

ومُسِيء الليلِ والنهارِ : من باب إضافة اسم الفاعل إلى الظَّرف ، أي المُسِيء فيهما . والباء في الليل والنهار متعلِّقة بيَبْسُط .

والحظر : المَنْعُ ، والمحظور : الممنوع ، كأنه جُعِل عليه حَظِيرةٌ ، وهو مايُتَّخَذ من الشجر حولَ الغنم .

والدَّآلِيلُ : الدَّواهي والشدائد ، واحدها : دُؤْلُولٌ[1] .

---

(١) زاد فى النهاية : وهذا كقوله : حفت الجنة بالمكاره .

وقوله : « انْعَمْ صَبَاحاً » أي نَعِمْتَ في صباحك ، وأنْعَم الله صباحَك ، من النَّعْمة والرَّفاهية ،وهو من تحايا العرب ، كانوا يقولون : انْعَمْ صباحاً ، وانْعَمْ مساء وظَلاماً ، وعِمْ صباحاً، كأنه محذوف ، من نَعِمَ يَنْعِم بالكسر ، كقولهم : خُذْ ، من أخَذَ يأخُذُ .

وقوله : « تَرِبَتْ يداك » : أكثَرُ العلماء على أن هذا اللفظَ إنما يقال في الدعاء بالخير ، والتعجُّب في الغالب ، كما يقال : لله دَرُّكَ ، ولله أبوك . وقد تكررت هذه اللفظةُ في الحديث ، وفي كلام العرب ، وأكثَرُ مايُراد بها الدعاء والتعجُّب ، وإن كان أصلُها خلافَ ذلك ، لأن تَرِبَ الرجلُ : إذا افتقر ، كأنه لَصِقِ بالتُّراب ، ولذلك حمل بعضُهم هذا الحديثَ على ظاهره . أي افتقرتَ إن خالفتَ مواعظي . والصحيح أنه أراد به الدعاء ، لأنه قرنه بقوله : « انْعَمْ صباحاً » .

هذا شرح الرواية الأولى ، وأما الرواية الثانية : فإن الرِّزامَ جمع الرَّازِم ، وهو المُعْيي المشرفُ على الهلاك ، وقد رَزَمَ رُزُوماً [١] : إذا خَوِيَ من الجُوع ، فإن صحَّت الرواية فيكون معنى « تَرَكَت المُخَّ رِزاماً » : تركت ذَوي المُخِّ هَلْكَى خَاويةً ، على حذف المضاف ، وهو « ذوِي » وإقامةِ المضاف إليه ــ وهو المُخّ ــ مقامَه .

والهامُ : جمع الهائم ، وهو الذاهب على وجهه ، أو جمع الهامة التي كانوا يقولون في الجاهليّة إن عِظام الموتى تصير هامةً ، أي طَيْراً ، كالبُوم ، فتطير من قبر المَيِّت . فيكون معناه : إن المَطِيَّ من قِلَّة العَلَف ، ذهبت على وجهها في طَلَب الخِصْب ، أو أنها ماتت وخرجت منها الهامةُ .

---

(١) ورُزاما أيضاً ، بضم الراء ، ومضارعه بكسر الزاي وضمها ، على مافي اللسان .

وقوله : « تَبِعَتْ لها الثَّرَّةُ » أي إن الثَّرَّةَ تَبِعت الدَّرَّةَ في النُّقْصان . يقال : تَبِعْتُه وتَبِعْتُ له .

والمُتَجرْثِم : الذي سقط من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ ، أو هو مُتَفَعْلِلٌ من اجْرَنْثَمَ : إذا اجتمع وتَقَبَّضَ .

وقوله : « والعِضاهُ مُسْتَخْلِفاً » . قيل : إنه تصحيف ، والرواية : « مُسْتَحْلِكاً » فإن المستخلف مِن أَخْلَفَ النباتُ : إذا ظهر من أصوله ، وهو فإنما [١] يصف الجَدْبَ لا الخِصْبَ .

والمُسْتَحْنِك : قريبٌ من معنى المُسْحَنْكِك ،وهو المُسْوَدّ ، إلا أن المُسْتحنك من قولهم : أسودُ حانِكٌ ، بمعنى حالِك .

وقوله : « قُطَّتِ القَنِطَةُ » القَطُّ : القَطْعُ عَرْضاً ، والقَدُّ : القطع طُولاً . والقَنِطة : قال أبو موسى : لا أعرفها ، إلا أن يكون أراد القَطِنةَ ، بتقديم الطاء على النون ، وهى هَنَةٌ دُون القِبَةِ التى تكون مع الكَرِش . ويقال أيضاً للَحْمةٍ بين الوَرِكين : قَطِنَةٌ . والله أعلم [٢] .

---

(١) هكذا بالفاء ، وهو وارد في كلامهم .

(٢) بهامش الأصل : بلغ مقابلة وتصحيحاً ،ولله الحمد والمنة .

حَديثُ جُهَيش بن أَوْس النّخعَي

قدِم على رسول الله ﷺ في نَفَر من أصحابه ، فقال : يانبيَّ الله ، إنّا حَيٌّ من مَذْحِج ، عُبابٌ سالِفُها ، ولُبابٌ شرفُها ، كِرامٌ غيرُ أَبْرامٍ ، نُجَباءُ غيرُ دُحَّضِ الأقدام، وكائِنْ قطَعْنا إليك مِن دَوِّيَّةٍ سَرْبَخٍ ، ودَيْمُومَةٍ صَرْدَحٍ ، وتَنُوفَة صَحْصَحٍ ، يُضْحي أعلامُها قامِساً ، ويُمْسي سَرابُها طامِساً ، على حَراجيجَ كأَنَّها أخاشِبُ بالحَوْمانَة ، مائلةُ الأَرْحُل ، وقد أسلَمْنا على أن لنا مِن أرضنا ماءَها ومرعاها ، وهُدَّابَها.

فقال النبيّ ﷺ : اللهم بارِكْ على مَذْحِجَ ، وعلى أرض مَذْحِجَ حَيٌّ حُشَّدٌ رُفَّدٌ زُهْرٌ .

وكتب لهم رسول الله ﷺ ، كتاباً على شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقامِ الصلاة لِوقْتها ، وإيتاءِ الزكاة بحَقِّها ، وصومِ رمضانَ ،فمن أدركه الإسلامُ وفي يده أرضٌ بيضاءُ وقد سقَتْها الأنواءُ ، فنصف العُشْر ، وماكانت من أرضٍ ظاهرةِ الماءِ العُشْرُ . شَهِد على ذلك عثمانُ بنُ عفَّانَ ، وطلحةُ بن عُبَيد الله ، وعبدُ الله بن أُنَيْس الجُهَنيّ

* * *

أخرجه الخَطَّابيُّ[١] في غريبه ، وقال : يُروى هذا الحديث عن عيسى بن يونس ، عن الأوزاعيّ ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سَلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة [٢] .

---

(١) غريب الحديث ٦٣٩/١

(٢) قال عز الدين ابن الأثير في ترجمة جهيش وقدومه على النبى ﷺ : « وفى إسناد حديثه نظر » . أسد الغابة ٣٦٨/١ ، وقال الذهبي في التجريد ٩٣/١ : =

وأخرج غريبَه الهَرويُّ في كتابه ،مُفَرَّقاً ، والزمخشري [١] ، تاماً .

جُهَيْشٌ: تصغير [٢] جَهْش : يقال : جَهَشَتْ نفسي وأجْهَشَتْ : إذا نَهَضَتْ إليك وهَمَّتْ بالبُكاء ، وجَهِش [٣] الصَّبيُّ إلى أُمه : إذا فَزِع إليها .

والنَّخَعِيّ [٤] : منسوب إلى النَّخَع ، واسمه حَبِيبُ بن عمرو ، من عَرِيب بن زيد بن كَهْلان .

ومَذْحِج ، بفتح الميم وكسر الحاء قبل الجيم : هو لقبُ مالك بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان . سُمِّيَ به لأنه وُلِد على أَكَمَةٍ حمراءَ باليمن [٥] ، يقال لها : مذحج .

والنَّخَع : بَطْنٌ من مَذْحِج .

= « ذكر في حديث كأنه موضوع » .

وانظر حديث جهيش في طبقات ابن سعد ١ / ٣٤٦ ، والإصابة ١ / ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٤ / ٦٧ .

(١) الفائق ٢ / ٣٨٥ .

(٢) اختلف فيه ، فقيل بالتصغير كما ترى ، وقيل : بفتح أوله وكسر الهاء وسكون التحتانية ، وقيل بفتح أوله وسكون الهاء بعدها موحدة ، وقيل آخره سين مهملة مع التصغير أيضاً . وقيل :اسمه الأرقم . ثم اختلف في اسم أبيه ، فقيل : أوس ، وقيل : أويس ،وقيل : يزيد . انظر مع المراجع السابقة : الاشتقاق ص ٤٠٥ ، وجمهرة الأنساب ص ٤١٥ ، وتاج العروس (جهس) .

(٣) بفتح الهاء وكسرها ، والكسر أكثر ، وهو من باب سمع ومنع . القاموس والتاج .

(٤) لم ترد الواو في الأصل : وزدتها على جاري عادته .

(٥) وقيل في اشتقاق « مذحج » أقوال أخرى ، جمعها العلامة الزبيدي في التاج (ذحج)-وانظر الفائق .

وعُباب الماء : معظمه وكثرته وارتفاعه ، ثم استعير فقيل : جاءوا يَعُبُّ عُبابُهم ، وبِعُبِّ عُبابِهم ، ومنه قول الشاعر (١) :

فلو شَهِد الزَّيدانِ زيدُ بن مالكٍ وزيدُ مناةٍ حين عَبَّ عُبابُها

وسالِفُها : مَن سَلَفَ وتقدَّم من آبائهم ،أو ماسلَف من عِزِّهم ومَجْدهم . يريد أنهم أهل سابقةٍ وشَرَفٍ .

واللُّباب : الخالص من كل شيء .

ويجوز في عُبابٍ ولُبابٍ التنوينُ والإضافةُ إلى السالف والشرف .
والأَبْرام : جمع بَرَم بالتحريك ، وهو الذي لايدخُل في المَيْسِر والقِمار الذي كانوا يُعانُونه وهم مُوسِرُون ، لبُخْله أو فقره ،وكانوا يعُدُّونه من مكارمهم ومن فِعالِ كِرامهم .

والبَرَمُ مُسَمّى بمصدر بَرِمَ به : إذا ضَجِر وسَئِمَ ، لأنهم كانوا يَضْجَرُون منه ومن فِعله ، أو سُمِّيَ بثَمَر الأراك ، وهو شيء لا طعمَ له من حلاوةٍ ولا حُموضة .

والنُّجباء : جمع نَجيب ، وهو النفيس الكريم الجَيِّد في نوعه من الناس وغيرهم . يقال : رجلٌ نجيبٌ ، بَيِّنُ النُّجْبة والنَّجابة ، وانتجَبه : إذا اختاره .

---

(١) دختنوس بنت لقيط بن زرارة ، كما في الفائق . وهناك أبيات من وزن البيت وقافيته لدختنوس في النقائض ص ٦٦٦ ، والأغاني ١١/١٤٥ ، وأنبه إلى أنه قد جاء في الفائق : « دختنوس بنت حاجب بن زرارة » ، والصواب : « بنت لقيط » كما في النقائض والأغانى ، وأمالي ابن الشجرى ١/٩٧ ، وتاج العروس (دختنس ـــ قهوس) .

والدُّحَّض ، بالتشديد : جمع داحِضٍ ، من الدَّحْض : الزَّلَق والزَّلَلِ ، أي ليسوا ممّن لاثباتَ لهم ولا عزيمة ، وليسوا (١) ساقِطي المراتب ، زالّين عن عُلُوِّ المنازل .

وكائِنْ : بمعنى كم ،وفيها لُغاتٌ أشهرها : كأيٍّ ، بتشديد الياء والتنوين ، وكائِنْ بوزن قاضٍ ، وقرىء بهما قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ ﴾ (٢) .

وهي في أصلها مُركَّبةٌ من كاف التشبيه وأيٍّ التي للاستفهام ، والتنوين الذي فيها قد يُكْتَب نُوناً ، ولم يظهر له صورةُ حرفٍ إلا فيها(٣) .

---

(١) في الفائق : « أوليسوا » وكلام ابن الأثير كله مسلوخ من شرح الزمخشري هناك .

(٢) سورة آل عمران ١٤٦ ، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر يزيد بن القعقاع ، بألف ممدودة بعد الكاف ، وبعدها همزة مكسورة ، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة بعد الكاف ، وبعدها ياء مكسورة مشددة . انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٦ ، والنشر في القرآت العشر ٢٤٢/٢ .

وجاء في الأصل : « وكأي » بتنوين الياء مكسورة ، وأثبته بالنون متابعة لرسم المصحف الشريف .

(٣) قال ابن الشجرى : « قالوا في معني « كم » الخبرية : كأين وكائن ، مثل كاعن ، لغتان كثر استعمالهما ، إلا أن الخفيفة أكثر في الشعر ، والثقيلة أكثر في القراءة ، ولم يقرأ من السبعة بالخفيفة إلا ابن كثير وحده ، ووافقه من غير السبعة يزيد بن القعقاع المدني .

وأصل الثقيلة « أيّ » دخلت عليها كاف التشبيه ، فعملت فيها الجر ، وأزيلتا عن معنييهما ، فجعلتا كلمة واحدة مضمنة معنى « كم » التي للتكثير ، ووصل التنوين بها في الوقف ، وجعلت له صورة في الخط ، وصار كأنه حرف من الأصل ، فلذلك وقف القراء عليها بالنون ، اتباعاً لخط المصحف ، إلا أبا عمرو فإنه أسقطها لأنها في الأصل تنوين ، ووافقه من غير السبعة يعقوب بن إسحاق الحضرمي » .

ثم أخذ ابن الشجري في بيان أصل « كائن » الخفيفة ، في كلام طويل تراه في الأمالي ١٠٦/١ ، ١٠٧ .

والدَّوِّيَّة منسوبة إلى الدَّوِّ ، وهو الصحراء التي لانباتَ بها ، وقد يُبْدَل من الواو المدغمة ألفٌ ، إبدالاً غيرَ مَقِيس ، فيقال : داوِيٌّ ، كطائيٍّ وحارِيٍّ .

والسَّرْبَخُ : الواسعة .

والدَّيْمُومة : البَرِّيَّة البعيدة الأرجاء التي يُدام فيها السَّير ، فلا تكاد تنقطع ، فهي فَعْلُولةٌ من الدَّوام ، وياؤها منقلبةٌ عن واوٍ تخفيفاً ،وبعضهم يجعلها فَيْعُولَةً [١] ، مِن دَمَمْت القِدْرَ : إذا طَلَيْتَها بالطِّحال والرَّماد ، ويُفسِّرها بالأرض المُشْتَبِهةِ الأكناف التي لاعَلَمَ بها ، فمسالكها مُغَطَّاةٌ على سالكها ، كما يُغَطِّى الدِّمامُ [٢] ماطُلِيَ به من القِدْر .

والصَّرْدَحُ : الأرض المُسْتَوية . وتُروى بالسين ، وهي الأرض اللَّيِّنة التي تُنبت النَّصِيَّ .

والتَّنُوفَةُ : البَرِّيَّة الواسعة ، ووزنها فَعُولة ، وتاؤها أصليّة ،وجمعها تَنَائِفُ .

والصَّحْصَحُ : المكان المستوى الواسع .

والقامِسُ : فاعِل بمعنى مفعول ، من القَمْسِ : الغَمْسِ ، يقال : غَمَسْتُ الثوبَ في الماء ، وقَمَسْتُه .

---

(١) في الأصل والنهاية : « فيعلولة » وأثبت الصواب من الفائق واللسان (ديم) ، وجاء بهامش الأصل : « كذا وصوابه فيعولة » .

(٢) الدمام ، بكسر الدال : طلاء .

والأعلام : الجبال ومايُستدَلُّ به على الطُّرق ، واحدها : عَلَمٌ . والمراد انغماس الأعلام في السَّراب ، وهو مايراه الناظرُ في الصحراء وشدَّةِ الحرِّ كالماء . يعني أن جبالها تبدو وترتفع للناظر مرَّةً وتغيب أخرى ، وذلك أن لُمُوعَ السراب يَطْفُو بالأشخاص في رأى العين ، ويَرْسُب بها ،وإنما ذكَّر قامِساً والأعلامُ جمعٌ ، لأن أفْعالاً يكون للواحد ، قال سيبويه [١] : إن بعض العرب يقول : هو الأنعام ، واستشهد بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ [٢] ، والعرب تأتى بلفظ الجمع والمعني واحِدٌ ، كقولهم :

وطابَ ألبانُ اللّقاحِ وبَرَدْ [٣]

فقال : بَرَد ، والألبانُ جمعٌ ،وتأتي بلفظ الواحد وتُريدُ به الجمع ، كقوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾[٤] . فالإنسان واحد ، واستثنى منه ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وهم جماعة . فلذلك قال : « ويُضْحي أعلامُها قامِساً » والقياس : قامِسةً .

والطَّمْسُ : المَحْوُ ، يقال : طمَسْتُ الشيءَ أطمِسُهُ [٥] : إذا محوْتَه وأزلتَ أثَرَه ، وطَمَس هو ، يتعدَّى ولايتعدَّى ،فمع التعدية يريد أن سَرابَها يُغَطِّي الأعلامَ والرُّبَى ويسترُها ، ومع القُصُور [٦] يريد أن سرابَها يذهب مرَّةً ويعود أخرى ، أو يُمْسي لا أثَرَ له .

---

(١) الكتاب ٣ / ٢٣٠ ، وتعقبه ابن العربى فى أحكام القرآن ص ١١٣٩ ، وانظر مجاز القرآن ١ / ٣٦٢ .

(٢) سورة النحل ٦٦ .

(٣) من غير نسبة في معاني القرآن للفراء ١٢٩/١ ، ١٠٨/٢ ، وغريب الحديث للخطابى ٦٤٢/١ ، ومجالس ثعلب ص ٤٢١ ، ومجالس العلماء ص ١١٧ ، والأزمنة والأمكنة ١٩١/٢ ، ٣١٨ ، واللسان (خرت . فضخ . كتد . جبه)

(٤) أول سورة العصر .

(٥) بضم الميم وكسرها ، ومصدره طمس وطموس .

(٦) يريد عدم التعدية .

قال الخطّابي [١] : كان الأشبَهُ أن يكون « سرابُها طامِيًا » ، أي عالياً ، ولكن كذا يُرْوى .

والحَراجِيجُ : جمع حُرْجُوجٍ ، وهي الناقة الطويلة على وجه الأرض ، وقيل : هي الضامِرةُ ، من الحَرَجِ : الضيِّقِ [٢] ،والجيم مكرَّرة .

والأخاشب : جمع الأخْشَب ، وهو الجبل الخَشِن الكثيرُ [٣] الحجارة .

والحَوْمانَةُ : الأرض الغليظة المُنْقادة ، وجمعُها حَوَامِينُ .

والهُدَّابُ : الوَرَقُ الذي لايَنْبسِطُ ، كوَرَق الأَثْل والطَّرْفاء ، ويقال له : الهَدَبُ أيضاً ، بالتحريك ،وأراد به الشجَر الذي هذا ورقُه .

والحُشَّدُ بالتشديد : جمع حاشِدٍ ، يقال : حَشَدَهم يَحْشُدهم [٤] ويَحْشِدهم : إذا جَمَعهم .

والرُّفَّد : جمع رافِد ،وهو المُعِين والمساعد . أي إذا دَهِمَهم [٥] أمرٌ أو نابَهُم خَطْبٌ ، جمع بعضُهم بعضاً وتساعدُوا [٦] وصاروا يداً واحدةً في أمرهم .

والزُّهْر : البِيضُ ،جمع أزهَرَ ،ويريد به بِيضَ الأحساب والأخلاق ،ومنه قول سُحَيمٍ [٧] :

---

(١) غريب الحديث ٦٤١/١

(٢) زاد في النهاية وجهاً ثالثاً ، فقال : وقيل : الحادة القلب .

(٣) في النهاية والفائق : الغليظ .

(٤) قال الفيومي في المصباح المنير : من باب قتل ، وفي لغة من باب ضرب .

(٥) من باب تعب ، وفي لغة من باب نفع . قاله في المصباح .

(٦) هكذا في الأصل ، وتحت العين عين أخرى صغيرة ، علامة الإهمال ، وجاء في الفائق : « وتساندوا » بالنون .

(٧) ديوانه ص ٥٥ .

إن كنتُ عبداً فنفسى حُرَّةٌ كرَماً   أو أسوَدَ اللَّونِ إني أبيضُ الخُلُقِ

والأرض البيضاء : التى لازرع بها.

والأنواء : نُجوم الأمطار ، واحدها : نَوْءٌ ، وهي معروفةٌ .

وإنما ألزمَهُم على ماسَقَتْه السماءُ نصفَ العُشْر ، والواجبُ على أمثالها العُشْرُ ،رفْقاً بهم وَتألُّفاً لهم على الإسلام ، وهو خاصٌ لهم ، لأن الثابتَ المعروف فيما سَقَت السماءُ والسَّيْحُ العُشْرُ ،وما سُقِيَ بالناضِح والدَّوالِي نصفُ العُشْر (١)

(١) بهامش الأصل : بلغ مقابلة وتصحيحاً ، ولله الحمد والمنة .

حَدِيثُ قطَن بن حَارِثة العُلَيمي

لمّا قدِم وفدُ بني عُلَيم ، مِن كَلْب ،على رسول الله ﷺ ، قام قَطَنُ بن حارثة العُلَيميّ ، فقال : يا رسول الله ... وذكر كلاماً . قال القُتَيْبيّ (١) : لم يُصحِّحْه لنا المحدِّث ولا غيرُه . فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً ، نُسختهُ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمد رسول الله ، لعمائر كَلْبٍ وأحلافها ، ومَن ظَأَرَه الإسلامُ مِن غيرهم ، مع قَطَن بن حارثة العُلَيْمى ، بإقام الصلاةِ لوقتِها ،وإيتاءِ الزكاة بحقِّها ، في شدَّة عَقْدها ووفاء عهدِها ، بمَحْضَرٍ من شُهود المسلمين : سعد بن عُبادة ، وعبدِ الله بن أُنَيس ، ودِحْيةَ بنِ خليفةَ الكلبيّ . عليهم في الهَمُولَة الراعيةِ البُساطِ الظُّؤارِ ، في كل خمسين ناقةٌ ، غيرُ ذاتِ عَوارٍ ، والحَمُولَةُ المائرةُ لهم لاغيةٌ، وفي الشَويِّ الوَرِيِّ مُسِنَّةٌ حامِلٌ ،أو حائلٌ ، وفيما سقَى الجَدْوَلُ مِن العَين المَعين العُشْرُ من ثمرها ، ومِمَّا أخرجَتْ أرضُها . وفي العِذْي شَطْرُه بقيمة الأمين ، لاتُزادُ عليهم وَظيفةٌ ولا تُفَرَّق . شَهد الله على ذلك ورسولُه . وكتب ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ

* * *

أخرجه القُتَيْبيّ في غريبه (٢) ، وقال : يرويه ابنُ الكلبيِّ عن أبيه ،

---

(١) انظر التعليق التالي .

(٢) لم أجده في « غريب الحديث » لابن قتيبة ، المطبوع في بغداد . وممن نسب إلى ابن قتيبة ذكر هذا الحديث الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥ / ٢٤٣ ، وحكى الهروي عن ابن قتيبة شرحاً لجزء من هذا الحديث . راجع الغريبين ١ / ١٦٧ .

عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقّاص ،وكذا أخرجه الزمخشريّ [١]، وأخرج أيضاً أن رسول الله ﷺ كتب لحارثة بن قَطَنٍ ومَنْ بدَومَةِ الجَنْدل ، من كَلْب : إن لنا الضاحيةَ من البَعْلِ ، ولكم الضامِنةُ من النَّخْل ، لاتُجْمَع سارِحتُكم ،ولا تُعَدُّ شاردتكم ، ولَايُحظَر عليكم النَّباتُ ، ولايُؤخذ منكم عُشْرُ البَتات . وهذا الفَصل أشبَهُ بحديث أُكَيْدِرِ من حديث قَطَن ، وسنذكر حديث أُكَيْدِر عند الفراغ من هذا الحديث .

شرحه

قد اختلف أصحاب كتب معارف الصحابة ، في اسم قطن بن حارثة ، فمنهم من أثبته هكذا : قطن بن حارثة العُلَيميّ ، وجعل هذا الحديثَ له ،ولم يذكُر حارثة ، ومنهم من أثبت حارثة بن قطن ، ولم يذكُر قَطَناً ، ولم أر فيما وَقفْتُ عليه مَن جمع بينهما ، ولعلهما اثنان [٢] . والله أعلم .

والعُلَيْميّ : منسوب إلى عُلَيْم بن جَناب بن كَلْب بن وَبَرَة .

والعمائر : جمع عِمَارة ، بالفتح والكسر ، وهي الحيّ العظيم ، أولها الشِّعْب ثم القبيلة ثم العِمارة ثم البَطْن ثم الفَخِذ . وقيل غير ذلك . فمَن فتح ذهب إلى التفاف بعضِهم على بعض ، كالعَمارة ، وهي العِمامة ، ومن كَسَر فلأنّ بهم عِمارةَ الأرض .

---

(١) الفائق ٣ / ٢٦ ، وأيضاً ٢ / ٣٣١ ، وانظر طبقات ابن سعد ١ / ٣٣٤ ، ٣٣٥ والعقد الفريد ٢ / ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) ترجمه في الاسمين : ابن عبد البر ، وعز الدين ابن الأثير ، وابن حجر . راجع الاستيعاب ص ٣٠٩ ، ١٣٦١ ، وأسد الغابة ١ / ٤٢٧ ، ٤ / ٤٠٨ ، والإصابة ١ / ٣١٢ ، ٥/٢٤٣ .

ومَن ظَأْره الإسلام : أي عَطَفه ، يقال : ظَأَره يَظْأَره : إذا عَطَفَ عليه ورَفَق به ،ومنه قيل للمُرْضِعة ولَدَ غيرها: ظِئْرٌ ، فجعل الإسلامَ له ظِئْراً ، استعارةً ومجازاً ، ومنه المَثَل : « الطَّعْنُ يَظْأَرُ » (١) أى يعطِفُ على الصُّلْح.

والأحلاف : جمع حَلِيف ، وهو المُحالِف والمُعاهِد ،وقد حالفه : إذا عاهَدَه ،وسواء كانوا بنى أبٍ واحد ، أو من آباءٍ شَتَّى .

وشدَّة عَقْدِها : ماتعاقَدُوا عليه من الأَيمان والوفاء بالعهود .

ودِحْية الكلبيّ ، تُكْسَر دالُه وتُفتح ، على الحالة والمَرَّة ، من الدَّحْيِ والدَّحْوِ : البَسْطِ ، وقيل : الدِّحْية بالكسر : رئيس الجُنْد .

والهَمُولَةُ : الإبلُ التي أُهمِلت للرَّعْي ،وتُرِكت تَرْعَى حيث شاءت ، ولاتُستعمل فَعُولةٌ بمعنى مُفْعَلة (٢) ، ولهذا أكَّدها بالراعية .

والبُساط ، يروى بالضم والفتح والكسر ، فأما الضَّمّ فقال القُتَيبيُّ : هو جمع بِسْطٍ بالكسر ، وهي التي معها أولادُها ، وجُمعتْ على فُعال ، كما جُمع ظِئْرٌ على ظُؤارٍ . قال : ولم أسمع بها مجموعة هذا الجمعَ إلّا في هذا الحديث .

وأما الكسر ، فقال الأزهريّ (٣)هو جمع بِسْطٍ بالكسر ، وهي

---

(١) جمهرة الأمثال ٢/ ١٤ ، والمستقصى ١ / ٣٢٩ ، ومجمع الأمثال ١ / ٤٣٢ ، قال الميداني : يضرب في الإعطاء على المخافة ، أي طعنك إياه يعطفه على الصلح .

(٢) في النهاية واللسان (همل) : « مفعولة » ، وهو خطأ .

(٣) تهذيب اللغة ٣٤٥/١٢ ، ولم ينص الأزهرى على الكسر ، وانظر تعليقي على ذلك في حواشي الغريبين ١٦٦/١ .

الناقة التي تُرِكَتْ وولَدُها لايُمْنَع منها ، ولاتُعْطَف على غيره . وبِسْطٌ : بمعنى مبسوطة ، كالطِّحن والقِطْف ، أي بُسِطتْ على أولادها .

وأما الفتح فهو الأرض الواسعة ، فإنّ صحَّت الرواية فيكون المعنى : في الهَمُولة التي ترعى الأرضَ الواسعة . وحينئذ تكون الطاء منصوبة بالراعية ، على مافيه من الفصل بين الراعية والظُّؤار .

والظُّؤار : جمع ظِئْر ، وهي التي ظُئِرت على غير ولدِها من النُّوق ، أي عُطِفت عليه ، وأُنِّسَتْ به لتُرضِعَه .

وقوله : « في كلّ خمسين ناقةٌ » أي في كلّ خمسين ناقةً ناقةٌ . و « في » الثانية بدلٌ من « في » الأولى ، كأنه قال : في كلّ خمسين من الإبل الهَمولِة الراعيةِ ناقةٌ .

والعَوارُ ، بالفتح : العَيبُ ، وقد يُضَمّ ، أي لايُؤخَذ في الزكاة ناقةٌ معِيبةٌ ، كما لايؤخذ منهم النَّفيسُ الكريمُ عليهم (١) .

والحَمُولَةُ ، بالفتح : مايَحْتَمِلُ عليه الناسُ من الدَّوابّ ، سواء كانت عليها الأحمالُ أو لم تكن ، كالرَّكوبة . وأما الحُمُولة ، بالضم ، فهي الأحمالُ . والحُمُول (٢) ، بلا هاءٍ : الإبلُ التي عليها الهَوادجُ ، سواء كان فيها نساءٌ أو لم يكنّ .

والمائرة : التي تحمل المِيرَةَ ، وتُجْلَب عليها الأقواتُ وغيرُها ، وقَدْ مارَهُم يَمِيرُهم ،فهو مائرٌ ، فجعل الفِعلَ لها ، وهو لأصحابها توسُّعاً .

---

(١) وإنما يؤخذ منهم الوسط ، كما سبق في حديث طهفة .

(٢) ضبط في الأصل بفتح الحاء ، ونص صاحب القاموس على أنه بالضم ، وقال : الواحد حمل ، بالكسر ويفتح .

واللَّاغيةُ : المُلْغاة المُطَّرحةُ متروكةً ، لاتُعدُّ عليهم ، ولايُلْزَمُون لها صدقةً ، فهي فاعلة بمعنى مفعولة .

والشَّوِيُّ : جمع شاءٍ ، نحو كَلْبٍ وكَلِيب . وقيل : هو اسم الجمع ، كالمَعِيز ، في المَعْز .

والوَرِيُّ : السَّمِينُ ، فعيلٌ بمعنى فاعل ، يقال : وَرِيَ اللحمُ يَرِي ، فهو وارٍ ووَرِيٌّ : إذا اكتنز وسَمِن .

والمُسِنَّة : الكبيرة من البقر والشاء ، وهي التي أثنَتْ بطُلوع ثَنيّتها ، وتُثْني البقرةُ والمِعْزَى في السنة الثالثة ، والضائنة في السنة الثانية . ولايُراد بالمُسِنَّة الهَرِمةُ الكبيرةُ .

والحاملُ : التي في بطنها ولدُها .

والحائل : التي لم تَحْبَل ،يقال : حالت الناقةُ وأحالَتْ : إذا حمَلَتْ عاماً ولم تحمل عاماً ، فهي حائلٌ ومُحِيلٌ .

والجَدْوَل : النَّهْرُ الصَّغير من الماء ، كالساقية .

والماء المَعِينُ : الذي جَرَت عيونُه . يقال : حَفَرْتُ حتى عِنْتُ ، أي بلغتُ العُيونَ ،والماء مَعِينٌ ومَعْيونٌ : أى مُجْرًى مُسالٌ .

وأراد بالثَّمَر : مايَخرج من غَلَّة الزُّرُوع ، لأنها ثمرُها .

والعِذْيُ ، بكسر العين وسكون الذال : مالا يُسْقَى من الزَّرع ، ويَقْنَعُ بماء المطر .

والشَّطْر : النِّصف ، ولعل هذا قد كان في صدر الإسلام ، أو خاصّاً لهم ، كما تقدم في حديث جُهَيش .

وقوله : « بِقيمة الأمين » أي لايُخاف عليهم ، بل تُقَوَّم غَلَّتُهم قِيمةَ عَدْلٍ ، ويُؤخَذُ الواجبُ منها .

والوَظيفة : مايُقدَّر للانسان من الشيء وعلى المِلْك ، مِن خَراجٍ وغيره . وقد وظَّفْتَه توظيفاً .

وأمّا حديثُ حارثةَ بنِ قَطَن : فإن الضاحية النَّخلةُ التي في البَرِّ والصحراء ، وضاحية كلّ شيء : ناحيتُه البارزةُ التي لا حائل دونَها .

والضامِنةُ : ماتَضَمَّنَتْها أمصارُهم وقُراهُم من النَّخل ، فهي فاعلة بمعنى مفعولة . وقيل : سُميِّت ضامنةً ، لأن أربابَها ضَمِنُوا عِمارتَها ، فهي ذاتُ ضمانٍ ، كعيشةٍ راضية ، أي ذات رِضٍي ، في أحد التأويلين (١) .

والبَعْلُ من النَّخل : الشارِبُ بعُروقه من غير سَقْى سماءٍ ولاغيرها . قال الأزهري (٢): هو ما نَبت من النَّخل في أرضٍ يقرُبُ ماؤها ، فرسَخَتْ عُروقُها في الماء ، واستغنَتْ عن ماء السماء والأنهار وغيرها .

والسارحةُ : السائمةُ من المواشى ، أي لايُجْمَع بين مُتَفرِّقها ليصيرَ مالاً تجب فيه الزكاةُ .وقيل : لاتُجمع إلى المُصَدِّق من أماكنها ، لكن يأتيها فيأخذ زكاتَها حيث هي .

والشارِدةُ : التي شَرَدَتْ عن الغنم ونَفَرَتْ وخرجَتْ منها .

---

(١) والتأويل الآخر : أن تكون راضية بمعنى مرضية ، كما يقال : ماء دافق ، أي مدفوق . راجع مجاز القرآن ٢ / ٢٦٨ ،ومعاني القرآن ٣ / ١٨٢ ، وزاده بيانا ابن سيده في المخصص ١٥ / ٧٠ .

(٢) تهذيب اللغة ٢ / ٤١٣ ، وانظر غريب الحديث لأبى عبيد ١ / ٦٧ .

والفارِدَةُ : الشاة المنفردة عن الغنم . أي لاتُضَمُّ إلى الشاء فتُحْسَب معها .

والحَظْر : المَنْعُ . أي لاتُمنَع عن رعي النَّبات .

والبَتاتُ : المتاع الذى يكون في البيت للانتفاع . أي لايؤخذُ منه زكاةٌ ، فأطلق عليها اسمَ العُشْر (١) .

(١) بهامش الأصل : بلغت القراءة على مصنفه إلى هنا . والحمد لله .

حَدِيْثُ أُكَيْدِرَ بن عَبد الملك الكِنْدىّ

كتب له رسول الله ﷺ كتاباً فيه : هذا كتابٌ من محمد رسول الله ، حين أجاب إلى الإسلام ، وخَلَع الأَنْدادَ والأصنام ، مع خالد بن الوليد سيفِ الله ، في دَوْمَة الجَنْدَل وأكنافِها : أنّ لنا الضاحيةَ من الضَّحْلِ والبَوْرَ والمَعامِيَ وأغفالَ الأرضِ ، والحَلْقةَ والسِّلاحَ ، ولكم الضامِنةُ من النَّخل ، والمَعِينُ من المعمور لاتُعْدَلُ سارحَتُكم ، ولاتُعَدُّ فَارِدَتُكم ، ولايُحْظَرُ عليكم النَّبات ، ولايؤخذ منكم عُشْرُ البَتات ، تقيمون الصلاةَ لوقتها ، وتؤتون الزكاةَ لحقِّها ، عليكم بذلك عَهْدُ الله وميثاقُه .

* * *

أخرجه أبو عبيد [١] بغير إسناد ، وأخرجه الزمخشريّ [٢] في غريبه ، وهو أشبهُ بالفصل الذي ذكره لحارثة بن قَطَنٍ ، وقد تقدَّم .

شرحه

أُكيدر بن عبد الملك : رجل من كِنْدَة ، وكان نصرانياً مَلِكاً على دَوْمَة الجَنْدل ، أسره خالد بن الوليد ، وأحضره إلى رسول الله ﷺ ،

---

(١) غريب الحديث ٣ / ١٩٩ .

(٢) الفائق ٣ / ٤١٦ ، وانظر حديث أكيدر أيضاً فى مغازى الواقدى ص ١٠٣٠ ، والروض الأنف ٢ / ٣١٩ ، والعقد الفريد ٢ / ٤٧ ، ومعجم مااستعجم ص ٣٠٣ ، في رسم (تبوك) ، ومعجم البلدان ٤ / ١٠٨ ، في رسم (دومة الجندل) .

فحَقَنَ له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلَّى سبيله ، فرجع إلى بلده . ومن الناس من يقول : إنه أسلمَ ، والأول أصحُّ (١) .

والكِنْديّ : منسوب إلى كِنْدةَ ، واسمه ثَوْرُ بن عُفَير (٢) بن الحارث ، من بني عَرِيب بن زيد بن كَهْلان . قيل : سُمِّيَ به لأنه كَنَدَ أباه نِعْمتَه ، أي كَفَرَها (٣).

ودَوْمَةُ الجَنْدَل : قريةٌ وحِصنٌ بين الحجاز والشام (٤) ، وتُضمُّ دالُها وتُفتح ، فالضمّ لأهل اللغة ، والفتح لأصحاب الحديث . قال لَبيد ، يصف بنات الدهر (٥) :

وأعْصَفْنَ بالدُّومِيّ من رأس حِصْنِه ... وأنْزَلْنَ بالأسباب رَبَّ المُشقَّرِ

يعني بالدُّومِيّ أُكَيْدر صاحبَ دُومَةِ الجَنْدل . والمُشَقَّر : حِصْنٌ بالبَحْرين .

والأنداد : جمع نِدٍّ ونَدِيدٍ ، وهما مِثْلُ الشيء المُضادّ له في أموره ، ونادَّه يُنادُّه مُنادَدَةً ونِداداً ، من نَدَّ البعيرُ : إذا نَفَر واسْتَعْصَى .

والأصنام : جمع صَنَمٍ ، وهو ماكانوا يتَّخذونه إلَهاً من دون الله

---

(١) راجع أسد الغابة ١ / ١٣٥ ، والتجريد ١ / ٢٧ ، والإصابة ١ / ٦٢ ، ١٢٩ — ١٣١ ، وهذه العبارة الأخيرة حكاها ابن حجر عن المصنف .

(٢) في جمهرة الأنساب ص ٤٢٥ : عفير بن عدي بن الحارث .

(٣) ومنه قول الله جل ثناؤه : « إن الإنسان لربه لكنود » الآية السادسة من سورة العاديات . راجع الاشتقاق ص ٣٦٢ .

(٤) انظر الكلام على تحديده في معجم ماستعجم ص ٥٦٤ .

(٥) ديوان لبيد ص ٥٦ ، وتخريجه في ٣٧٢ .

تعالى ، ممّا يصوِّرونه ،وقد تقدَّم الخِلافُ فيه وفي الوَثَن ، في حديث طِهْفة .

وخَلْعُها : كنايةٌ عن تركها والتَّبرِّي منها ، كما يخلع الإنسان قميصَه ، كأنه كان قد تَرَدَّى به واشتمل عليه ، فخرج عنه وفارَقَه .

والضاحِيةُ : النَّخلةُ الخارجةُ عن العِمارة ، وهي خِلاف الضامِنة ،وقد بسَطْنا شرْحَهما في آخر حديث قَطَن بن حارثة .

والضَّحْلُ : الماء القليلُ ،وهو الضَّحْضاح ،ومنه قولهم للصخرة الضَّخمة التي لايغمُرها الماءُ لقلّته : أَتانُ الضَّحْلِ .

والبُورُ : يروى بالضم والفتح ، فمَن ضمَّ ذهب إلى جمع البَوار ،وهي الأرض الخراب التي لم تُزرَع ، ونظيره في الجمع : عَوانٌ وعُونٌ .ويجوز أن يكون جمعَ بائرٍ ، وهو الهالكِ ، كقوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً ﴾ (١) أي هَلْكَى .

يريد الأرضَ التي قد هَلك نباتُها .

ومَن فتَح ذَهَب إلى المصدر ، يقال : بارَ الشي يَبُورُ بَوْراً وبَواراً ، والوصف بالمصدر غير عزيز ، وقد يكون المصدرُ بالضمّ أيضاً (٢) ، يُقال : رجلٌ بُورٌ ، وقومٌ بُورٌ .

والمَعامِي : جمع مَعْمىً ،وهو مَفْعَلٌ من العَمَى . يريد به الأَراضيَ المجهولة التي ليس فيها أثَرُ عِمارةٍ ، كالمَجْهَلِ والمجَاهِل .

والأَغْفال : جمع غُفْلٍ ، بالضمّ ، وهي الأراضي التي أُغْفِلَتْ

---

(١) سورة الفتح ١٢ .

(٢) هذا والذي قبله كله من كلام الزمخشري في الفائق .

وأُهْمِلَتْ ، فلا أَثَرَ بها يدلُّ على عِمارتها ، ومنه الإِبلُ الأَغفالُ : التي لاسِماتَ عليها .

والحَلْقَةُ ، بسكون اللام : الدُّرُوع .

والسِّلاحُ : اسم عامٌّ ، يقع على السَّيف والرُّمْح والسِّهام ، وكلٌّ مايُقاتَلُ به .

والمَعِين : الموضع الذي عانَ ماؤه ، أي جَرَى .

والسَّارِحةُ : المواشي إذا سَرَحتْ إلى المَرْعَى وخرجَتْ إليه .

وعَدْلُها : صَرْفُها عن مَرْعىً تُريدُه : يقال : عَدَل عن الشيء وإليه : إذا مالَ عنه وإليه .

والفارِدةُ : الشاةُ المُنْفردة الزائدة على الفَرِيضة ، لاتُعَدُّ عليهم وتُحْتَسَبُ في الزكاة .

والحَظْر : المَنْع . أي لاتُمْنَعُون من الرَّعْي أو من الزِّراعة حيث شئتم .

والبَتاتُ : المتاع مما ليس للتجارة ، وقد تقدَّم فى حديث قَطَن(١) .

---

(١) بحاشية الأصل : بلغ تصحيحاً . ولله الحمد والمنة .

حَدِيث ذِى المِشْعَارِ مَالِكِ بن نمط الهَمْداني

إن وفدَ هَمْدان قدموا على النبى ﷺ ، فَلَقُوه مُقْبلاً من تَبُوك ، فقال ذو المِشعار[1] مالك بن نَمَطٍ : يارسولَ الله ، نَصِيَّةٌ من هَمْدان ، من كلِّ حاضرٍ وبادٍ ، أتَوْك على قُلُصٍ نَواجٍ ، متّصلةٌ بحبائل الإسلام ، لاتأخذُهم في الله لَوْمةُ لائمٍ ، من مِخْلافِ خارِفٍ ويامٍ ، عَهْدُهم لايُنْقَضُ عن شِيةِ ماحِلٍ ، ولا سوداء عَنْقَفيرٍ ، ماقام لَعْلَعٌ ، وماجَرَى اليَعْفُور بِصُلَّعٍ .

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من محمد رسول الله لِمِخْلافِ خارفٍ وأهلِ جِنابِ الهَضْبِ وحِقافِ الرَّمْل ، مع وافِدِها ذي المِشعارِ مالك بن نَمَط ، ومَن أسلم مِن قومِه ، على أن لهم فِراعَها ووِهاطَها وعَزازَها ، ماأقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة ، يأكلون عِلافَها ويَرعَوْن عَفاءَها ، لنا مِن دِفْئِهم وصِرامِهم ، ماسَلَّموا بالمِيثاق والأمانة . وهم

---

(١) هذا هو المشهور في ضبطه ، بالشين المعجمة والعين المهملة . قال البكري : « بكسر أوله وبالعين المهملة ، على وزن مفعال : موضع من منازل همدان باليمن ،وإليه ينسب ذو المشعار ، وهو مالك بن نمط الهمداني » معجم مااستعجم ص ١٢٣٢ .
وقال المرتضى الزبيدي بعد أن نقل عبارة القاموس : « ذو المشعار » : « هكذا ضبطه شراح الشفاء ، وقال ابن التلمساني : بشين معجمة ومهملة ، وغين معجمة ومهملة » . تاج العروس (شعر) .

وذكر الزرقاني في شرح المواهب اللدنية ٤ / ٣٤ ، قال : « ولقبه ذو المشغار ، بميم مكسورة فشين فغين معجمتين ، أو مهملتين ، ثم راء » .

وانظر الاشتقاق لابن دريد ص ٤٢١ .

مِن الصَّدقةِ الثِّلْبُ ، والنَّابُ ، والفَصِيلُ ، والفارِضُ ، والداجنُ ، والكَبْشُ الحَوَرِيُّ ، وعليهم فيه الصَّالِغُ ،والقارِحُ .

* * *

أخرجه القُتَيبِيُّ (١) من حديث أبي رَوْقٍ (٢) ، والزمخشريُّ (٣) ، وفرَّقه الهرويُّ في أبواب كتابه .

شرحه

ذو المِشْعار ، بكسر الميم : من أذواء اليمن ، ومِفْعالٌ من أبنية المبالغة كالمِطْعام والمِطْلاق ، ويجوز أن يكون مشتقًّا من الشِّعْر ، أو الشَّعَر ،أو الشِّعار .

ونَمَطٌ ، بفتح الميم : هو اسمٌ لضَرْب من البُسُط معروف ، فسُمِّي به . والنَّمَط أيضاً : الجماعة من الناس .

والهَمْدانيّ ، منسوب إلى هَمْدان ، بسكون الميم ، واسمُه أَوْسَلَةُ (٤) بن مالك ، من بني زيد بن كَهْلان بن سبأ ، وهو فَعْلان من الهُمُود : خُمودِ النارِ ، أو من أهْمَدَ بالمكان : إذا أقام به ، أو أهْمَدَ في السَّير : إذا أسرعَ .

---

(١) غريب الحديث ١ / ٥٤٨ .

(٢) أبو روق الهزاني ــ بكسر الهاء وفتح الزاي المشددة ــ واسمه عطية بن الحارث ، تهذيب التهذيب ٧ / ٢٢٤ ، وطبقات المفسرين للداووْدي ١ / ٣٨٠ ، وجمهرة الأنساب ص ٣٩٣ .

(٣) الفائق ٣ / ٤٣٣ ، وانظر مع المراجع السابقة : العقد الفريد ٢ / ٣١ ،والروض الأنف ٢ / ٣٤٨ ، والاستيعاب ص ١٣٦٠ ، وأسد الغابة ٥ / ٥٠ ، والإصابة ٦ / ٣٥ ، وعيون الأثر ٢ / ٢٤٥ .

(٤) هنا اختصار في النسب ، انظره في الاشتقاق ص ٤١٩ ، وجمهرة الأنساب ص ٣٩٢ .

والنَّصِيَّة : مَن يُنْتَصَى مِن القومِ ، أي يُختار من نَواصِيهم : رُؤوسِهم وأشرافِهم ، يقال : هؤلاء نَصِيَّةُ قومهم : أي خِيارُهم ، وهذه نَصِيَّةُ الإبل ، وانتصَيْتُ من القومِ رجلاً : أي اخترتُه ، وقيل للرؤساء والأشراف : نَواصٍ ، تشبيها بالنَّواصي ، جمع ناصيةٍ ، وهي شعَر مُقَدَّم الرأس ، كما قيل لهم : ذَوائبُ ، ورؤوس ، وهامٌ ، وجَماجِمُ ،ووُجُوهٌ ، قال (١) :

* في مَحْفِلٍ مِن نَواصِي القومِ مَشْهُودِ *

وقيل لهم : نَصِيَّةٌ ، كما قيل لمن يُختار من العسكر : سَرِيَّةٌ ، أي يُختار من سَراتِهم .

والحاضر : المقيم بالمدن والقُرى . والبادى : المقيم بالبادية ، وقد بدا يبدُو فهو بادٍ .

والقُلُص : جمع قَلُوصٍ ، وهي الناقة الشابَّة ، وقيل : لاتزال قَلُوصاً حتى تصيرَ بازِلاً ، وهي التي دخلت في السنةِ التاسعة ،وتُجمَع على قِلاصٍ أيضاً .

والنَّواجى : جمع ناجيةٍ ، وهي المسرعة ، يقال : نَجَتْ تَنْجُو نَجاءً ، إذا أسرعَتْ ، وبها سُمِّيَ الرجلُ ناجِيَةَ .

---

(١) قائلته أم قيس الضَّبِّيَّة ، كما في شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٦٠ ، واللسان (نصى) ، وصدر البيت :

ومشهد قد كفيت الغائبين به

وهو من غير نسبة في الفائق والأساس والصحاح .

والحَبائل : جمع حِبالَةٍ ، بالكسر ، وهي التي يُصادُ بها ، من أيّ شيءٍ كانت ، فاستعارها لأحكام الإسلام وحدوده التي يلتزم بها مَن دخل في الإسلام .

ويجوز أن تكون الحبائلُ جَمْعَ حِبالةٍ ، وحِبالةٌ جمع حَبْلٍ ، نحو بَغْلٍ وبِغالة .

وحَبْل الإسلام : كنايةٌ عن عَهْدِه ومِيثاقه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً وَلَاتَفَرَّقُوا ﴾ (١) .

ومُتَّصلةٌ : مرفوعةٌ صفةٌ لِنَصِيَّةَ ، ويجوز أن تُجَرَّ صفةً للقُلُصِ .

والمِخْلاف لأهل اليمن كالرُّسْتاق لغيرهم ،وجمعه مَخالِيفُ .

وخارِفٌ ويامٌ : قبيلتان من اليمن ، ويُصْرَفان ولايُصْرَفان ، على اختلاف التقديرين في التذكير والتأنيث .

والعَهْدُ : اليمين والميثاق .

والشِّيَةُ : الوِشايةُ ، وهي مصدرِ وَشَى به يَشِي شِيَةً : إذا نَمَّ عليه وسَعَى به ،والهاء في آخرها عوضٌ من الواو المحذوفة من أولها ، كالعِدَة والزِّنَة ، من الوَعْد والوَزْن . وأصلُ الوَشْي : استخراج الحديث باللُّطْف والسُّؤال .

والماحِلُ : الساعي بالنَّمائم والإفساد بين الناس ، يقال : مَحَل بفُلان : إذا سعَى به إلى السُّلطان .

وفي رواية القُتيبيّ : « عن سُنَّةٍ ماحِلٍ » بالسين المهملة والنون المُشَدَّدة (٢) وهي الطريقة .

---

(١) سورة آل عمران ١٠٣ .

(٢) قوّى الزمخشري هذه الرواية .

والمعنى أنه لايُنْقَض عهدُهم بوَشْيِ من يسعَى بهم ويتقوَّل عليهم ، أو بطريقة ساعٍ معروفٍ بالسِّعاية ، وهذا كما يقال : أنا لاأُفسد مابيني وبينك بمذاهب الأشرار ، أي بما يذهبون إليه من السَّعْي والفسادِ .

وتقدير قوله : « لايُنقضُ عن شيِةَ ماحِلِ » أي لايكون نَقْضُ عهدهم صادراً عن قولِ ساعٍ .

والعَنْقَفيرُ : الداهية ، ووصفَها بالسَّوادِ لشدَّتها ، يقال : عَقْفَرَتْه الدَّواهي :إذا صرَعَتْه وأهْلَكَتْه .

يعنى أن هذا العهدَ مَرْعِيٌّ غيرُ مَنْكُوثٍ بما يُتَقَوَّل عليهم ، ويُدْهَوْنَ به من الدَّواهي . أي لايُنقَضُ عهدُهم عن داهيةٍ عظيمة تنزل بهم وتضطرهم إلى النَّقض ،ولكنهم يقيمون على العهد ،ويُقام لهم عليه .

ولَعْلَعٌ : جبلٌ [١] ، ويذكَّر ويؤنَّث ، ولهذا جاء في رواية : ماقامَتْ لَعْلَعُ [٢]، وفي أخرى : ما أقامَتْ .

واليعَفور : الخِشْفُ [٣] وولَدُ البقرة الوحشيَّة . وقيل : هو تَيْسُ الظِّباء . والياء زائدة [٤].

---

(١) اختلف في تحديده ، فقيل : من آخر السواد إلى البر ، مابين البصرة والكوفة . وقيل غير ذلك . راجع معجم مااستعجم ص ١١٥٦ .

(٢) وعلى التأنيث لاينصرف ، كما ذكر أبو عبيد البكري . وهذه الرواية التي أشار إليها المصنف هي رواية ابن قتيبة والهروي والزمخشري . وقال الهروي في الغريبين (لعلع) : وأنثه لأنه جعله اسماً للبقعة ولما حول الجبل ، وهو إذا ذكر صرف ،وإذا أنث لم يصرف .

(٣) الخشف ، مثلث الخاء ، وهو ولد الغزال .

(٤) ذكره المصنف فى النهاية فى (عفر) و(يعفر) .

والصُّلَّع : الصحراء التي لانَبْتَ فيها ، وهي بارزةٌ مستوية ، ومنه صَلَعُ الرأسِ من الشَّعَر . يريد أننا لانزال كذلك ماثبت لَعْلَعٌ أقام ،وماجرى ولدُ البقرة في البَرِّيَّة .

وجِناب الهَضْب ، بكسر الجيم : موضعٌ [١] .

والهَضْب : جمع هَضْبةٍ ،وهي الأَكَمَةُ والرابيَةُ ،ويجوز أن يريد بالهَضْب المطر ، أي الموضع المعروف به .

والحِقاف : جمع حِقْف الرَّمْل ، وهو مااجتمع منه واعوجَّ واستطال .

والوافِدُ : واحِد الوَفْد ،وهم الذين يدخلون المُدن على الأمراء والمقدَّمين ،وقد تقدَّم في حديث طِهْفة .

وقوله : « ومَن أسلم من قومه » في موضع جَرٍّ ،عطفاً على قوله : « لمخلافِ خارِفٍ » أو على قوله : « مع وافِدِها » .

والفِراعُ ، بالعين المهملة : جمع فَرَعَةٍ ، وهي ماعَلا من الأرض وارتفع .

وقال القُتيبيّ : « الفِراعُ : أعالي الجبال ، ومأأشرف من الأرض ، واحدتها : فَرَعَةٌ ، وجبلٌ فارِعٌ : إذا كان عالياً » .

وفَرْعُ كلّ شيء : أعلاه .

والوِهاطُ : جمع وَهْطٍ ، وهي الأراضي المطمئنة .

والعَزازُ ، بفتح العين المهملة والزاءين :الأرض الصُّلبة المشتدَّة الخَشِنة .

---

(١) هكذا من غير تحديد عند ابن قتيبة والزمخشري . وانظر معجم مااستعجم ص ٣٩٥ ، ومعجم البلدان ٣ / ١٤٠ .

والعِلاف : جمع عَلَفِ الدَّوابِّ في الأصل ، كجَمَلٍ وجِمال[١] ، فاستعاره للطَّعام ، كقول الآخر [٢] :

إذا كنتَ في قومٍ ولم تكُ منهمُ   فكُلْ ماعُلِفْتَ مِن خبيثٍ وَطيِّبِ

والعَفاءُ : الأرضُ التي ليس فيها عِمارةٌ ولاحَدٌّ واضحٌ . وقال القُتَيبيّ : هو ماليس لأحدٍ فيه شيءٌ . وقيل : أراد به الكَلأ [٣] ، وسُمِّيَ بالعَفا مقصوراً الذي هو المَطَرُ ، كما سُمِّيَ المطرُ بالسماء . ولو رُوِيَ بالكسر ، على استعارة اسم الشَّعَر ، للنَّبات ،كان وجْهاً قويًّا [٤] .

والدِّفْءُ : اسمُ مايُدْفِىء ويُسَخِّنُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنافِعُ ﴾ [٥] أي مايُتَّخَذ من أصوافِها وأوبارِها ، مما يُستَدْفأُ به .

والمراد بالدِّفْء ها هنا : الإبِلُ والغَنَم ، لأنها ذواتُ الدِّفْء ، فحذف المضاف وأقام المضافَ إليه مُقامَه .

والصِّرامُ في الأصل : قطع الثمرة واجتناؤها من الشجر ، يقال : هذا زمن الصِّرام والجِداد ، والمراد به ها هنا النَّخلُ نفسُه ، أو الثَّمر بعينه مجازاً ، على حذف المضاف أيضاً .

---

(١) ويقال أيضاً : أعلاف ، كما يقال : أجمال . أفاده ابن قتيبة ، والمصنف ينقل عنه

(٢) هو خالد بن نضلة ، كما في الحيوان ٣ / ١٠٣ ، والبيان والتبيين ٣ / ٢٥٠ ، وفي حواشيه فضل تخريج . والبيت من غير نسبة في الفائق والأساس (علف) . وانظر رواية أخرى في اللسان (عدا) .

(٣) صحح الزمخشري هذا التفسير .

(٤) هذا كلام الزمخشري .

(٥) الآية الخامسة من سورة النحل .

وقوله : « ماسلَّموا بالميثاق والأمانة » أي إنهم مأمونون على صدقاتِ أموالهم ، بما أُخذ عليهم من الميثاق ؛ العهدِ ، وبالأمانة ، فلا يُبعث إليهم عاشرٌ (١) ولامُصَدِّقٌ ، ويُقْنَع منهم بما يُعْطُون ، سُكوناً إلى صدقهم وأمانتهم .

والثِّلْب : الجملُ الهَرِمُ الذي تكسَّرت أسنانُه .

والنَّابُ : الناقة المُسِنَّة ، سُمّيتْ بذلك لأن نابَها يطولُ إذا هَرِمَتْ .

والفارض : المسنَّة أيضاً ، وقد فَرَضَتْ تَفْرُضُ فُرُوضاً .

والفَصيلُ : ولَدُ الناقة إذا فُصل عن أُمِّه ، فعيلٌ بمعنى مفعول .

والدَّواجنُ : الشاةُ التي تألف البيتَ وتتربَّى فيه ، ولاتُبعث إلى المرعَى .

والحَوَرِيُّ : منسوبٌ إلى الحَوَرِ ، بفتح الحاء والواو (٢) ، وهي الجلودُ المتَّخذة من جلود الغنم ، مصبوغَةً بحُمرة .

والصَّالِغ من البقر والغنم : الذي كَمُل وانتهى سِنُّه ، وذلك فى السنة السادسة ، يقال : سَلَغت البقرةُ والشاة تَسْلَغُ بسُلُوغاً ، فهي سالِغٌ وصالِغ ، الذكر والأنثى سواء ، والسُّلُوغ في ذوات الأظلاف

---

(١) العاشر : هو من يأخذ العشر في جمع الزكاة . يقال : عشرت ماله أعشره ، بضم الشين ، وفعله من باب قتل .

والمصدق ، بضم الميم وفتح الصاد مخففة وتشديد الدال مكسورة : هو عامل الزكاة الذى يستوفيها من أصحابها . يقال : صدقهم يصدقهم فهو مصدق ، كل ذلك بتشديد الدال .

(٢) قال في النهاية : وهو أحد ماجاء على أصله ،ولم يعلّ كما أعلّ ناب .

كالبُزُول في ذوات الأخفاف ، والقُرُوحِ في ذوات الحافرِ ،وهو منتهى أسنانها .

ووَلَدُ البقرةِ في أول سنة : عِجْلٌ وتَبِيعٌ ، ثم جَذَعٌ ، ثم ثَنِيٌّ ، ثم رَباعٍ ، ثم سَدِيسٌ ، ثم سالِغٌ .

وولَدُ الشاة أَوَّلَ سنة : حَمَلٌ أو جَدْيٌ ، ثم جَذَعٌ ، ثم ثَنِيٌّ ، ثم رَباعٍ (١) ثم سَدِيسٌ ، ثم سالِغٌ .

والقارح من ذوات الحافر : مادَخَلَ في السنة الخامسة إلى أن يستكملها ويدخلَ في السادسة ، ومنهم من يجعلُ القارحَ مادَخَل في السادسة ، والأول أصَحُّ ؛ لأنه في السنة الأولى حَوْلِيٌّ ، ثم جَذَعٌ ، ثم ثَنِيٌّ ، ثم رَباعٍ ، ثم قارِح (٢) .

---

(١) بكسر العين منونة ، وهو مثل تنوين « قاضٍ وساعٍ » قال الفيومى في المصباح : أربع إرباعاً : ألقى رباعيته ، فهو رباع ، منقوص ، وتظهر الياء في النصب ، يقال : ركبت برذوناً رباعياً ، والجمع ربع ، بضمتين ، وربعان ، مثل غزلان .

(٢) بحاشية الأصل : بلغ تصحيحاً ، ولله الحمد والمنة .

حَدِيث وائل بن حُجْر الحَضرميّ

وفد على النبى ﷺ بالمدينة ، وقد كان بشَّر به أصحابه قبلَ قدومه ، فقال : يأتيكم وائلُ بن حُجْرٍ من أرضٍ بعيدة ، من حَضْرَمَوْتَ ، طائعاً راغباً فى الله عَزَّ وجَلّ ، وفي رسولِه ، بقيَّةُ أبناءِ الملوك ، فلما دخل عليه رحَّب به وأدناه من نفسه ، وبسط له رداءَه ، فأجلسه عليه ، وقال : اللهمّ بارك فى وائلٍ وولدِه وولدِ ولدِه . واستعمله على الأقيال من حَضْرَمَوْتَ ، وكتب معه ثلاثة كتب ، كتابٌ خالِصٌ له على قومه ، وكتابٌ له ولأهل بيته ، وكتابٌ له ولقومه :

ففي الكتاب الأول : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبو (١) أمية ، إنّ وائلاً يُستَسْعَى وَيَتَرَفَّل على الأَقْوال حيث كانوا مِن حَضْرَمَوْتَ .

وفي الكتاب الثاني : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبي (٢) أمية ، لأبناء مَعْشَرٍ وأبناء ضَمْعَجٍ ، أقوالِ شَبْوَةَ ، بما كان لهم فيها من ملكٍ وعُمرانٍ ، ومَزاهِرَ وعُرْمانٍ ، ومِلْحٍ ومَحْجَرٍ ، وما كان لهم من مالٍ بحَضْرَمَوْتَ ، أعلاها وأسفلِها ، من الجوار والذِّمَّة ، الله لهم جارٌ ، والمؤمنون أنصارٌ إن كانوا صادقين .

وفي الكتاب الثالث : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى وائل بن حُجْر ، والأَقْيال العَباهِلة ، والأَرْواع المشابيب ، من أهل

---

(١) هكذا بالرفع ، وسيتكلم عليه المصنف فى الشرح .

(٢) وهنا جاء بالجر ، رعاية لحق الإعراب .

حَضْرَمَوْتَ ، بإقام الصلاةِ المفروضة ، وأداء الزكاة المعلومة ، عندَ مَحلِّها ، على التِّيعَة شاةٌ ، لامُقْوَرَّةُ الألْياط ، ولاضِناكٌ ، والتِّيمَةُ لصاحبها ، وأَنْطُوا الثَّبَجَةَ ، وفي السُّيُوب الخُمْسُ ، لاخِلاطَ ولا وِراطَ ولا شِناقَ ، ولاجَلَبَ ، ولاجَذَبَ ولا شِغارَ في الإسلام ، ومن أَجْبا فقد أَرْبَى ، وكلُّ مُسْكِرٍ حرامٌ ، ومَن زَنامِمْ بِكْرٍ فاصْقَعُوه مائةً ، واستَوْفِضُوه عاماً ، ومَن زنامِمْ ثَيِّبٍ فَضرِّجُوه بالأَضامِيم ، لاتَوْصِيمَ في الدِّين ، ولا غُمَّةَ في فرائض الله ، لكل عشرةٍ من السَّرايا مايَحمِل القِرابُ من التَّمر . ووائلُ بن حُجْرٍ يَتَرَفَّلُ على الأقيال ، أميرٌ أمَّره رسول الله فاسمعوا وأطيعوا .

* * *

أخرج بعضَه أبو عبيد (١) ، عن سعيد بن عُفَير ، عن ابن لَهِيعَةَ ، عن أشياخه من حَضْرَمَوْتَ .

وأخرجه الخَطَّابي(٢) مُفَرَّقا في موضعين من كتابه ، وقال : حَدَّثني محمد بن الحسن بن إبراهيم ، قال : أخرج إلينا أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ الحسين من أولاد وائل بن حُجْرٍ كتاباً في أَدَمٍ ، ذكر أنه كتابٌ كتبه رسول الله ﷺ لجَدِّه وائلِ بن حُجْرٍ ، إملاءً على عليِّ بن أبي طالبٍ ، كرَّم الله وجهه ، وقال : قلَّدني أبي هذا الكتابَ عند موتِه ، وقال : يابُنَيَّ تَواصَيْنا بهذا الكتابِ حتى صار إليَّ .

---

(١) غريب الحديث ١ / ٢١١ .

(٢) غريب الحديث ١/١٤٨ ، ٢٨٠

وجمع الزمخشريُّ الرواياتِ في كتابه [١] ، وأخرجه أصحابُ معارف الصحابة في كتبهم مجموعاً .

شرحه

وائلٌ : اسم فاعل من وَأَل يَئِلُ وَأْلاً : إذا لجأ [٢] إلى شيءٍ ، والمَوْئِلُ : المَلْجأ .

وكان وائلٌ قَيْلاً من أقيال حَضْرَموتَ ، ومن أبناء ملوكها .

وحُجْرٌ ، بضم الحاء : اسم معروف ، تقول العربُ عند الأمرِ تُنْكِرُه : حُجْراً له ، أي دَفْعاً ، وهو استعاذةٌ من الأمر .

والحَضْرَميُّ : منسوبٌ إلى حَضْرَمَوْتَ ، وهو اسمٌ للصُّقع المعروف بين اليمن والبحر مُشَرِّقاً ، مُسَمًّى باسم حَضْرَمَوْتَ [٣] بن قيس بن معاويةَ الحِمْيريّ ، وهو اسمٌ غير منصرِفٍ ، مُركَّبٌ من اسمين ، أولهما مبنيٌّ على الفتح ، وقد يضاف الأول إلى الثاني ، فتعتقِبُ على الأول وجوهُ الإعراب ،وتُخيّر في الثاني بين الصرفِ وتركه ، لزوال التركيب ، ومنهم من يضمّ الميم ، فيخرجه على زنة عَنْكَبُوتٍ .

---

(١) الفائق ١ / ١٤ ،وانظر أيضاً : طبقات ابن سعد ١ / ٣٤٩ ــ ٣٥١ ، ومجمع الزوائد ٩ / ٣٧٣ ــ ٣٧٦ ، والعقد الفريد ٢ / ٤٨ ، والاستيعاب ص ١٥٦٢ ، وأسد الغابة ٥ / ٤٣٥ ، والإصابة ٦ / ٣١٢ .

(٢) في الاشتقاق ص ١٢٦ ، ٢٦١ : إذا نجا من الشيء .

(٣) فى اسم أبيه خلاف ، انظره فى جمهرة الأنساب ص ٤٦٠ ، ومعجم البلدان ٣ / ٢٩٢ .

وهذا النِّسَب خارجٌ عن القياس إلى المركَّب ، كما قيل في النسب إلى عبد شمسٍ ، وعبد الدارِ وعبد قيس : عَبْشَمِيٌّ ، وعَبْدَرِيٌّ ، وعَبْقَسِيٌّ ، والقياس : عَبْدِيٌّ وحَضْرِيٌّ .

وأبو أُمَّية ، هكذا يُروى بالرفع في حال الجرّ ؛ لأنه اشتهر بذلك وعُرِف به ، فجرى مَجْرى المثل الذي لايُغَيَّر ، نحو قولهم : علي بن أبو طالب ، بالرفع ، لأن أباه اشتهر بكُنيته ، فلا يكاد يُعرَف اسمُه ، واسمُه عبد مناف ، واسمُ أبي أُميَّةَ سُهَيْلٌ .

وهذا المُهاجِرُ هو صحابيٌّ من بني المغيرة المخزوميّ أخو أمِّ سلمة [١] ، بعثه رسولُ الله ﷺ إلى الحارث بن عبدِ كُلال [٢] الحِمْيريّ ملكِ اليمن ، واستعمله على صَنْعاءَ وغيرها ، ثم وَلّاه أبو بكر بعدَه اليمنَ .

والأَقيالُ : ملوك اليمن ، دون الملك الأعظم ، يكون كلُّ واحدٍ منهم مَلِكاً على قومه ومِخْلافه ، وهو جمع قَيْلٍ على ظاهر لفظه ، كما قِيل في جمع رِيحٍ : أَرْياحٌ ،والشائع فيه : أرواحٌ ، على الأصل .

وأصل قَيْلٍ [٣] : قَيِّلٌ ، فَيْعِلٌ من القول ، فحذفت عينُه [٤] ،

---

(١) زوج النبي ﷺ . وكان المهاجر أخاها لأبيها وأمها . الاستيعاب ص ١٤٥٢ ، وأسد الغابة ٥ / ٢٧٧ .

(٢) بضم الكاف ، بوزن غراب ، على مافي القاموس ، وانظر الاشتقاق ص ٥٢٦ .

(٣) راجع إصلاح المنطق ص ١٠ ، وقد بسط ابن الشجري الكلام عليه في الأمالي ٣٨٧/١ .

(٤) المصنف ، رحمه الله ، يحكي كلام الزمخشري بحروفه ، وإن لم يصرح ، والذي في الفائق وبه يلتئم الكلام : فحذفت عينه ، واشتقاقه من القول ، كأنه الذي له قول ، أي ينفذ قوله.

كأنه الّذي له قولٌ نافذٌ مسموعٌ ، وجمعه على الأصل : أقوالٌ بالواو ، كأموات في جمع مَيْتٍ .

ويُسْتَسْعَى : أي يُستعمل على الصَّدَقات ، من الساعي ، وهو عامل الصدقة الذي يأخذها من أربابها.

ويَترفَّل : يَتَسَوَّدُ ويترأَّسُ ، يقال : رفَّلْتُه فترفَّلَ . قال ذو الرُّمَّة (١) :

إذا نحن رَفَّلْنا امرءًا سادَ قومَه   وإن لم يكن من قبلِ ذلك يُذْكَرُ

استعاره من تَرْفيلِ الثَّوب ، وهو إسباغُه وإسبالُه .

ومَعْشَرٌ وضَمْعَجٌ : قبيلتان من حميرَ وأهلِ حَضْرَمَوْت ، وهما من آباءِ وائِل بن حُجْرٍ وقومه .

وضَمْعَجٌ ، بالضاد المعجمة والجيم ، وهو اسم الناقة الضَّخمةِ التامَّة .

وشَبْوَةُ ، بفتح الشين وسكون الباء الموحَّدة : اسم الناحية التي كانوا بها من حضرموت .

والعُمْران : المعمور من الأرض .

والمَزاهِر : الرِّياض ، جمع مَزْهَرٍ ؛ لأنها تجمع أصنافَ الزَّهَر والنبات .

والعُرْمان : المزارع ، وقيل : الأَكَرَةُ (٢) ، واحدها أَعْرَمُ ، وقيل : عَرِيمٌ .

---

(١) ديوانه ص ٦٥٤ ، وتخريجه في ١٩٨٥ .

(٢) الأكرة بثلاث فتحات : الحُرَّاث . قال الفيومي في المصباح : أكرت الأرض : حرثتها ، واسم الفاعل أكار ، للمبالغة ، والجمع أكرة ، كأنه جمع آكر ، وزان كفرة ، جمع كافر .

ويروى : عِرْضانٌ ، بكسر العين وضمِّها والضاد المعجمة ، جمع عَرِيضٍ ، وهو الذي أتى عليه من المَعْز سَنَةٌ ، وتَناوَلَ النَّبْتَ والشَّجرَ بعُرْضِ شِدْقه ، أي جانِبه ، وهو عند أهل الحجاز الخَصِيُّ منها خاصّةً . ويجوز أن يكون جمعَ العِرْضِ بالكسر ، وهو الوادي الكثيرُ الشَّجَرِ والنخل .

ومَحْجَرُ : قَرية معروفة بحضرموت ، وقيل : هو مَحْجَنٌ ، بالنون : موضعٌ معروف بها

ومَحاجنُ النَّخْل : حَظائرُ تُتَّخَذُ حولَها .

والجوار والذِّمَّة : الأمان والعهد . يقال : أجَرْتُ فلاناً : إذا منَعْتَ من ظُلمه ونصَرْتَه ، وأجاره اللهُ من العذاب : أي أنقذه . والاسم : الجِوار ، وهو في الأصل مصدر جاوره مُجاوَرةً وجِواراً .

والعَباهِلَةُ : الذين أُقِرُّوا على ملكهم ، لايُزالُون عنه ولايُمنَعون منه ، مِن عَبْهَلَهُ (١) : إذا أهملَهُ ، وكلُّ شيىء أهملَته فلا تمنَعُه مما يُريد ، ولاتأخذ على يديه فقد عَبْهَلْتَه ، والتاء فيها لتأكيد الجمع ، كتاء صَياقِلَةٍ ، والأصل عَباهِلُ ، كصَياقِل ، ويجوز أن يكون الأصل عَباهِيل ، فحُذفت الياء وعُوِّض منها تاءُ التأنيث ، كَزنادِقةٍ ، في زَناديق . ويجوز أن تكون عَلماً للنَّسب ، على أن الواحدَ عَبْهَليٌّ ، منسوبٌ إلى العَبْهلَة التي هي المصدر .

---

(١) يرى الزمخشري أن العين بدل من الهمزة ، وأن المعنى أبهله ، وشاهد إبدال العين من الهمزة شائع معروف ، وهو قول ذى الرمة :

أعن توسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

والأَرْواعُ : الذين يَرُوعُون الناسَ بحُسْن المنظر وجمال الهيئة والشَّارة ، واحدهم : رائعٌ ، كشاهدٍ وأشْهادٍ ، وأصله من قولك : راعني الشيءُ يرُوعُنى أي أفزعني : وهو أن يُفْرِطَ في حُسْنِه حتى يُفْزِعَ من نَظَر إليه ، كقوله تعالى (١) : ﴿ يَكَادُ سَنَابَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ أي لإفراط ضيَائه .

والمَشَابِيبُ : الزُّهْرُ المُسْتَنِيرُو الوُجوهِ ، الذين كأنما شُبَّتْ ألوانُهم : أي أُوقِدَتْ ، واحدهم : مَشْبُوبٌ ، يقال : شَبَّ النارَ يشُبُّها : إذا أوقدها ، ورجلٌ مَشْبوبٌ : إذا كان أبيضَ الوجهِ ، أسودَ الشَّعَر ، حَسَن المَنْظَر (٢) .

ومَحِلُّ الزكاة ، بكسر الحاء : الوقت الذي (٣) تجب فيه باستكمال الحولِ ، وهي مَفْعِلٌ من حُلول الدَّيْن ، وأصله : مَحْلِلٌ ، فسُكِّنت اللام الأولى ، ونُقِلت حركتُها إلى الحاء ، وأُدْغِمت في الثانية .

والتِّيعَةُ : الأربعون من الغنم ، وقيل : هي اسمٌ لأَدْنى ماتجب فيه الزكاة من الإبل والغنم وغيرها ، كأنها الجملةُ التي للسُّعاة عليها سبيلٌ ، مِن تاعَ إليه يَتِيعُ : إذا ذهب إليه ، أو هو من تاعَ اللِّبَأَ (٤)والسَّمْنَ ، يَتُوعُ ويَتِيعُ : إذا رفعه بكِسْرةٍ أو تَمْرةٍ .

---

(١) سورة النور ٤٣ .

(٢) زاد في النهاية ، قال : ويروى : « الأشباء » بكسر الشين وتشديد الباء جمع شبيب ، فعيل بمعنى مفعول .

(٣) في الأصل : « التي » وصححته من النهاية ، وذكره هناك في حديث الهدى .

(٤) اللبأ ، بكسر اللام وفتح الباء : أول اللبن في النتاج .

أي لهم أن يرفعوا منها شيئاً ويأخذوه .

وعينها ياءٌ ، أو منقلبة عن الواو ، بحسب المَأْخَذ .

والمُقْوَرَّةُ: المُسْتَرْخِيةُ الجُلودِ ، بهُزالها ، وقد اقْوَرَّ الجِلدُ يَقْوَرُّ اقْوِراراً ، من قولهم : دارٌ قَوْراءُ ، أي واسعةٌ ، لأنه يَفْضُل حينئذ عن الجِسم ويتَّسعُ .

والألْياطُ : جمع اللِّيط ، وهو القِشْرُ اللَّاصِق بالشَّجر والقَصَب ، مِن لاطَ حُبُّه بقلبي يَلِيطُ ويَلوط : إذا لَصِق به ، فاسْتُعير للجلد ؛ لالتزاقه باللحم ، وإنما جاء به مجموعاً ، لأنه أراد : لِيطَ كلِّ عضوٍ .

والضِّناك : المكتنزة اللحم ، من الضَّنْكِ : الضِّيق ، لأن الاكتنازَ تَضامٌّ وتَضايُقٌ .

أي لا يؤخَذ منهم الرَّديء ولا النَّفيس ، إنما يؤخذ الوسَطُ (١) .

والتِّيمة : الشاةُ الزائدةُ على التِّيعة ، حتى تبلُغَ الفريضةَ الأخرى . وقيل : هي الشاة المربوطةُ المعلوفة فى البيت للاحتلاب ، وأيَّتُهما كانت فهى المحبوسة ، إمَّا عن الصدقة ، وإمَّا عن الرَّعْى ، من التَّتْيِم ، وهو التَّعْبيدُ والحَبْسُ عن التصرف الذي للأحرار .

قال أبو عبيد (٢) : وربما احتاج صاحِبُها إلى لحمها فذَبَحها ، فيقال : قد اتَّام الرجلُ : إذا أكل التِّيمَةَ .

---

(١) سبق هذا الفقه في حديث طهفة ، وحديث قطن بن حارثة .

(٢) راجع غريب الحديث ١ / ٢١٣ ، ففيه اختلاف يسير .

والإِنطاء : الإِعطاءُ ، لغة يمانِيَةٌ . يقال : أَنْطَى يُنْطي ، كأعطى يُعطى .

والثَّبَجَة : الوسَط ، والأصل : الثَّبَج ، وألحقه تاءَ التأنيث ، لانتقاله من الاسميّة إلى الوصفيّة . أي أعطُوا المتوسطة بين الخِيار والرُّذال .

والسُّيُوب : الرِّكاز ، وهو المال المدفون فى الجاهلية ، أو المَعدِن ، جمع سَيْب ، وهو العطاء ، لأنه مِن فضل الله على مَن أصابه . وقيل : السُّيُوب : عُروقٌ من الذَّهب والفِضّة ، تَسِيبُ فى المَعدِن ، أى تَجرى فيه .

والخُمسُ : سهمٌ من خمسة أسهم ، وتُضمّ ميمُه وتُسكَّن .

والخِلاطُ : مصدر خالَطَه يُخالطه مُخالَطةً وخِلاطاً ، والمراد به أن يَخلِطَ الرجلُ مالَه بمال غيرِه ليمنعَ حقَّ الله منه ، أو يَبْخسَ الساعىَ فيما يجب له ، وهو معنى قوله فى الحديث الآخر [١] : « لا يُجْمَعُ بين مُتَفَرِّق ولا يُفَرَّق بين مُجْتَمِع خَشْيَةَ الصَّدقةِ » .

أما الجمعُ بين المتفرِّق ، وهو الخِلاط : فمِثل أن يكون ثلاثةُ نَفَرٍ ، لكلِّ واحدٍ منهم أربعون شاةً ، وقد وجب على كلِّ واحدٍ منهم شاةٌ ، فإذا أظَلَّهم السَّاعى جمعوها لئلاّ يكونَ عليهم فيها إلا شاةٌ واحدةٌ .

---

(١) راجع صحيح البخاري (باب لايجمع بين متفرق ولايفرق بين مجتمع . من كتاب الزكاة) ٢/ ١٤٤ ، و (باب في الزكاة وأن لايفرق بين مجتمع ولايجمع بين متفرق خشية الصدقة . من كتاب ترك الحيل) ٩ / ٢٩ .

وسنن ابن ماجه (باب مايأخذ المصدق من الإبل وباب صدقة الغنم . من كتاب الزكاة) ١ / ٥٧٦ ، ٥٧٧ .

والموطأ (باب صدقة الخلطاء . من كتاب الزكاة) ١ / ٢٦٤ .

وانظر الأم للإمام الشافعي ٢ / ١١ .

وأما تفريقُ المجتمع : فأن يكون شريكان ولكلِّ واحدٍ منهما مائةُ شاةٍ وشاةٌ ، فيكون عليهما فيها ثلاثُ شياهٍ ، فإذا أظلَّهم السَّاعى فرَّقا غنمهما ، فلم يكن على كلّ واحدٍ منهما إلاّ شاةٌ واحدة ، فَنُهُوا عن ذلك .

قال الشافعىّ : « الخطاب فى هذا للمُصَدِّق ولربِّ المال » لأن الخُلْطَةَ مؤثِّرةٌ عنده فى زيادة الزكاة ونُقْصانها .

وأما أبو حنيفة فلا يَجعل لها أثراً ، ويكون معنى الحديث عنده نَفْى الخِلاط لنَفْى الأثَر ، كأنه يقول : لا أثَرَ للخُلْطة فى تقليل الزكاة وتكثيرها .

والوِراط : أن يجعلَ غنَمه أو إبِلَه فى وَهْدةٍ من الأرض لتَخْفَى على المُصَدِّق ، مأخوذٌ من الوَرْطة ، وهى الهُوَّةُ العميقة فى الأرض ، يقال : تورَّطت الغَنَمُ : إذا وقعتْ فى الوَرْطة ، ثم استُعير للناس إذا وقعوا فى بَلِيَّةٍ يَعْسُر المَخْرَجُ منها .

وقيل : الوِراطُ أن يُغَيِّبَ إبلَه أو غنَمه فى إبل غيرِه أو غنمِه ، لئلاّ يراها المُصَدِّق .

وقيل : (١) هو أن يُقال للمُصَدِّق : عند فلان صدقةٌ ، وليست عنده فيورِّطه في ذلك .

والشِّناق : المشاركة في الشَّنَق ، وهو مابين الفريضتين من كلّ ماتجب فيه الزكاة ، كالزيادة على الخَمْس من الإبل إلى العَشر ، والزيادةِ

---

(١) هذا القول لأبي سعيد الضرير ، والذي قبله لشمر ، والقول الأول لأبي بكر بن الأنباري . ذكر كل ذلك الهروى في ترجمة (ورط) من الغريبين .

على العَشر إلى الخمسَ عَشرةَ . أي لايُؤخَذُ في الزيادة على الفريضة زكاةٌ ، إلى أن تبلغَ الفريضةَ الأخرى . وإنما سُمِّيَ شَنَقاً ، لأنه ليس بفريضةٍ تامَّةٍ ، فكأنه مشنوقٌ ، أي مكفوفٌ عن التَّمام ، من شَنَقْتُ الناقةَ بزمامها : إذا كَفَفْتَهَا .

فمعنى قوله : « لاشِناقَ » أي لايَشْنَقُ الرجلُ غَنَمه أو إبلَه إلى مال غيره ، ليُبطِلَ الصدقة ، وهو قريبٌ من الخِلاط . تقول العربُ إذا وجب على الرجل شاةٌ في خمسٍ من الإبل : قد أشْنَقَ ، أي وجب شَنَقٌ ، فلا يزال مُشْنِقاً إلى أن تبلغَ إبلُه خمساً وعشرين ، فيزول عنه اسمُ الإشناق ، وعليه ابنةُ مخاضٍ ، ويقال له : مُعْقِلٌ ، أي مُؤَدٍّ للعِقال مع ابنة المخاض ، لتُشَدَّ به ، فإذا بلغت إبلُه ستّاً وثلاثين إلى خمسٍ وأربعين ، فهو مُفْرِضٌ ، أي وجبت في إبله الفريضة ، وهي البَعيرُ المأخوذ في الزكاة من ابن اللَّبُون فصاعِداً .

والجَلَبُ : يكون في شيئين ، أحدهما في الزكاة ، وهو أن يَقْدَمَ المُصَدِّقُ على أهل الزكاة ، فينزلَ موضعاً من أرضهم ، ثم يرسلَ إلى المياه مَن يجلِبُ إليه الأموال ، ويجمعُها عنده ليأخذَ صدقتَها ، فنُهيَ عن ذلك ، وأُمِر أن تُؤخذَ صدقاتُهم على مِياهِهم . يقال : جلب الشيءَ يَجْلِبُه ويَجلُبُه ، جَلْباً وجَلَباً .

والثاني : يكون في السِّباق ، وهو أن يَتْبَع الرجلُ فرسَه فيزجُرَه ، ويَجلِبَ عليه ، حثاً له على الجري ، فنُهي عن ذلك . يقال : جَلَب على فرسه يَجْلُب جَلَباً : إذا صاح به مِن خَلْفِه ، واستحثَّه ، وأجلَبَ عليه مِثلَه .

والجَنَبُ : يكون في الزكاة كالجَلَب ، وهو أن يأمرَ المُصدِّقُ بالأموال أن تُجنَب إليه ليأخذَ صدقتَها ، يقال : جَنَبْتُ الدابَّةَ جَنَباً : إذا قُدْتَها إلى جَنْبك . وقيل : هو أن يُجْنبَ ربُّ المال بمالِه ، أي يُبعدَ عن موضعه ، حتى يحتاجَ المُصدِّقُ إلى الإبعاد في طلبه واتِّباعه .

والجَنَبُ في السِّباق : أن يَجْنُبَ فرساً إلى فرسِه الذي يُسابق عليه ، فإذا فَتَر المركوبُ تحوَّل إلى المَجْنُوب .

والشِّغار : نكاحٌ كان في الجاهلية : كان يقول الرجلُ للرجلِ : شاغِرْني ، أي زَوِّجْني بنتك أو أختك ، أو مَن تَلي أمرَها ،حتى أزوِّجَك أختي أو بنتي ، أو مَن ألي أمرَها ، ولايكون بينهما مَهْرٌ ، ويكون بُضْعُ كلِّ واحدةٍ منهما في مقابلَة بُضْعِ الأُخْرى ، وقيل له : شِغارٌ ، لارتفاع المَهْر بينهما ، مِن شَغَر الكلبُ : إذا رفع إحدى رجليه ليبولَ ، وقيل : هو مِن شغَرتُ فلاناً من البلد : إذا أخرجتَه منه ، فكأنَّ كلَّ واحدٍ منهما قد أخرج وَلِيَّتَه (١) إلى الآخَر .

وأَجْبا الرجلُ : إذا باع الزرعَ قبل أن يبدوَ صلاحُه ، وأصله الهمزُ ، من جبأ عن الشيء : إذا كفَّ عنه ، لأن المُبتاعَ مُمْتنِعٌ من الانتفاع به إلى أن يُدرِك ، وإنما خُفِّفت الهمزة ليزاوج أَرْبى (٢) .

---

(١) أي المرأة التي يلي أمرها . هذا من كلام أبي عبيد في غريب الحديث ٣ / ١٢٧ ، وانظر الغريبين ١ / ٣٧٣ ، وحواشيه .

(٢) قال المصنف في النهاية : والأصل في هذه اللفظة الهمز ، ولكنه روى هكذا غير مهموز ، فإما أن يكون تحريفاً من الراوي ، أو يكون ترك الهمز للازدواج بأربى .

وقيل : أراد [١] بالإجباء أن يُغَيِّب إبلَه عن المُصَدِّق ، من أجبأْتُه : إذا واريتَه ، والأوَّلُ الوجهُ [٢]

وأرْبَى : أي دخل في الرِّبا ،يقال : أرْبَى يُرْبِي إرباءً ،وأصل الرِّبا : الزِّيادةُ ،وقد ربا المالُ يَرْبُو رَبْواً ، والاسم الرِّبا ،مقصورٌ .والمعنى أنه إذا باعه على أن فيه كذا كذا قَفِيزاً ، وهو غير معلوم ، فإن نَقص أو زاد عماّ وقع التعاقُد عليه ، فقد حصل الرِّبا في أحد الجانبين .

وقوله : « ومَن زنا مِمْ بِكْرٍ » قلب نون « مِن » ميماً ، لوقوع باء « بِكْرٍ » بعدها ، وهو قلبٌ مُطَّرِدٌ إذا كانت النون ساكنة ، نحو عَنْبر ومِنْبر .

وأما قوله : « ومَن زنا مِم ثَيِّبٍ » فإنّ قلبَ النونِ ميماً لغةٌ يمانيَةٌ ، كما يقلبون لام التعريف ميماً ، كقوله : « ليس من امْبرِّ [٣] » يريد : من البرّ .

والبِكْر والثَّيِّب يقعان على الرجل والمرأة ، فالبكر : الذي لم يتزوج ، والثَّيِّب : الذي تزوَّج .

والصَّقْع : الضَّرْب على الرأس ، ومنه فرسٌ أصْقَعُ ، وهو المُبْيَضُّ أعلا رأسِه ، والمرادُ ها هنا الضَّرْبُ على الإطلاق .

---

(١) هذا قول ابن الأعرابي ، كما صرح الهروي في الغريبين ١ / ٣١٧ .

(٢) زاد في النهاية ، قال : وقيل أراد بالإجباء العينة « بكسر العين » وهو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ، ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثمن الذي باعها به .

(٣) تمامه : « ليس من امبر امصيام في امسفر » أي ليس من البر الصيام في السفر .

والاستيفاضُ : التَّغْريبُ والنَّفْي والطَّرد ، مِن وَفَضَ وأوْفَضَ : إذا عَدا وأسرعَ ، واستوفَضَت الإبلُ : إذا تفَّرقتْ في رَعْيها .

والتّضْريج : التَّدْميَةُ ، مِن الضَّرْج ،وهو الشَّقُّ ، وثوبٌ مُضَرَّجٌ ، أى مصبوغٌ بالحُمْرة ، وتَضرَّج : إذا تَلَطَّخ بالدَّم .

والأَضامِيمُ : الحِجارة ، واحدتها إضْمامَةٌ ، إفْعالةٌ من الضَّمِّ ، وأراد بذلك الرَّجْم الذي هو حَدُّ الزاني الثَّيِّب .

والتَّوصيمُ : الفُتُور والتَّوانى ، أى لا إهمالَ (١) لإقامة الحُدُود ، وأصله من الوَصْم : الصَّدْع .ثم قيل لمن به وَجَعٌ وتكسُّرٌ في عِظامه : مُوَصَّمٌ ، كما قيل لمن في حَسَبه غَمِيزَةٌ : مَوْصُومٌ ، ثم شُبِّه الكَسلانُ المتثاقِلُ بالوَجِع المتكسِّر ، فقيل : به تَوْصِيمٌ ، والمعنى : لامُحاباةَ في دِين الله ولا تَوانيَ .

والغُمَّةُ : مِن غَمَّه ، إذا سَتَره وغَطَّاه ، أي لاتُستَر فرائضُه ولاتُخْفَى ، إنما تُظْهَرُ ويُجْهَر بها .

والسَّرايا : جمع سَرِيَّةٍ ، وهي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعَمائة ، تُبْعَث إلى العدُوّ ، سُمِّيت بذلك لأنهم يكونون خِيارَ الجيش ، من السَّرِيِّ : النَّفِيس ،وقيل : لأنهم يُنَفِّذُون سِرّاً ، وليس بالوَجْه ، لأن لام السِّر راءٌ ، وهذه ياءٌ . وقيل : هو مِن السُّرَى : سير الليل ، لأنَّ أكثر مايُنَفَّذُون فيه .

والقِرابُ : شِبْه جِرابٍ يضع فيه المسافرُ زادَه وسِلاحَه .

---

(١) هكذا في الأصل : « لإقامة » باللام . وفي النهاية : « لاتفتروا في إقامة الحدود ولاتحابوا فيها » . والذي في الفائق ، والمصنف يحكي كلامه بشيء من التصرف : « لا هوادة ولا محاباة في دين الله »

ويروى : « القِرافُ » بالفاء ، جمع قَرْفٍ ، بالسكون ، وهو وِعاءٌ من جِلْد يُدْبَغ بالقِرْفَة ، وهي قِشْرُ الرُّمَّان ، وأكثر مايُحمل فيه الخَلْعُ ، وهو لحمٌ يُطْبَخ بالتَّوابِل ، ثم يُجعَل فيه .

أوجب عليهم أن يُزَوِّدُوا كلَّ عشرة من السَّرايا المجتازةِ بهم مايَسَعُ هذا الوعاءُ من التَّمْر (١)

(١) بحاشية الأصل : بلغ تصحيحًا ، ولله الحمد والمنة .

حَدِيثُ جَرِيْرِ بن عَبدِ الله البجليّ

قال عبد الله بن العباس : كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الغداة قعد في مُصَلَّاه حتى تطلُعَ الشمسُ ، فقال يوماً : يَطَّلِعُ عليكم من هذا الفَجِّ مِن خير ذي يَمَنٍ ، عليه مَسْحَةُ مَلَكٍ [(١)] ، فطلع جريرُ بنُ عبد الله البَجَليّ في أحدَ عشرَ راكِباً مِن قومِه ، فعقَلُوا رِكابَهم ، ثم دَنَوْا ، فقال جريرٌ : يامعشرَ قريش ، أين رسولُ الله ؟ فقال رسول الله : ياجريرُ ، أسْلِمْ تَسْلَمْ ، إنّ غِلَظَ القُلُوب والجفاءَ والحُوبَ في أهل الوَبَر والصُّوف ، ياجريرُ ، إنك لن تستحقَّ حقيقةَ الإسلام ، ولاتستكملَ شَرِيعةَ الإيمان حتى تَدَعَ عِبادةَ الأوْثان . وذكر الحديث .

ثم قال : أين تنزلون ياجريرُ ؟ قال :نَنْزِلُ في أكناف بِيشَةَ ، بين سَلَمٍ وأراك ، وسَهْل ودكْدَاك ، وحُمُوضٍ وعَناك ، ونَخْلَةٍ وضالَة ، وسِدْرَةٍ وآءَة ، ونَجْمَةٍ وأَثْلَة ، شتاؤنا ربيع ، ورَبيعُنا مَرِيع ، وماؤنا يَمِيع ، لايُقامُ ماتِحُها ، ولايَحْسَرُ صابِحُها ، ولايَعْزُب سارِحُها .

فقال النبيُّ ﷺ ، أما إن خيرَ الماء الشَّبِمُ ، وخيرَ المالِ الغَنَمُ ، وخيرَ المَرْعَى الأراكُ والسَّلَم ، إذا أخلف كان لَجينا ، وإذا أُكِل كان لَبِينا ، وإذا سقط كان دَرِينا .

فقال جرير : يارسول الله ، أخبرْني عن السماء الدُّنيا ، وعن الأرض السُّفْلَى .

---

(١) يروى بفتح الميم واللام ، وبضم الميم وسكون اللام . ويأتي الكلام عليه في الشرح .

قال : خلق الله السماءَ الدُّنيا من الموج المكْفُوف ، وحَفَّفَها بالنُّجوم ، وجَعلها رُجُوماً للشياطين ، وحِفْظاً من كل شيطانٍ رجيم ، وخلق الأرضَ السُّفْلَى من الزَّبَد الجُفاء ، والماءِ الكَبَا (١) . سبحان خالِق النُّور .

ثم ذكر إسلامَه ومُبايعتَه .

* * *

أخرج غريبَه ابن قتيبة (٢) ، عن أبيه ، بإسناده عن الزُّهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس ، وكذلك أخرجه الزمخشريّ (٣) ، وأخرجه بتمامه الطَّبرانيّ ، وهو غريب من حديث الزُّهْرِيّ .

شرحه

الاطِّلاعُ : الإشراف على الشيء ، وهو افتعال من الطُّلوع ، يقال : طلَعْتُ على القومِ : إذا أتيتَهم .

---

(١) هكذا جاء في الأصل بفتح الكاف مقصوراً ، وكتب فوقه : « قصر » .والذى في غريب الحديث لابن قتيبة : « الكباء » بضم الكاف ممدوداً ، وكذلك أورده المصنف فى النهاية ، ترجمة (كبا) ،وعنه صاحب اللسان . وذكره الزمخشري كذلك في الفائق ١ / ٢٢٠ ، في غير حديث جرير .

(٢) غريب الحديث ١ / ٥٤٢ .

(٣) الفائق ١ / ٤٣٢ ، وانظر أيضاً طبقات ابن سعد ١ / ٣٤٧ ، والاستيعاب ص ٢٣٦ ، وأسد الغابة ١ /٣٣٣ ، والإصابة ١ / ٢٤٢ ، والعقد الفريد ٢ / ٤٩ ، ومعجم ماastعجم ص ٢٩٤ ، في رسم (بيشة) ، ومجمع الزوائد ٩ / ٣٧٢.

والفَجُّ : الطريق والمَسْلَك الواسِع .

وقوله : « مِن خير ذى يَمَنٍ » أي رجلٌ من خير أذواء اليمن ، فحذف الموصوف ، كقوله تعالى [١] : ﴿ وَمَامِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ .

وأذْواءُ اليمن [٢]ملوكُهم ، كذى يَزَنٍ وذى رُعَيْن .

وقوله :« عليه مَسْحَةُ ملكٍ » أي أثَرٌ ظاهِرٌ يُستدلُّ به عليه ، كما يقال مَسْحَةُ جَمالٍ ومَسْحَةُ عِتْقٍ [٣]ومَسْحةُ كَرَمٍ ، وهي كلمةٌ تقال للرجل الخيِّرِ الشريف ، في مَعْرِض المدح ، ولاتُقال في الذَّمِّ ، كأن هذه الأشياء مَسَحَتْه بيدها فأبقَتْ فيه أثَرَها .

والمَلَكُ ، إن كان بفتحتين فهو أحدُ الملائكة [٤] ، وأكثر مايُروى بضم الميم ، يعني أن عليه أثَرَ المُلْك ، فإنّ جريراً كان من أشراف اليمن ومُقَدَّميها .

وغِلَظُ القُلُوب : كنايةٌ عن القَساوة .

---

(١) سورة الصافات ١٦٤ . وهذا الذى ذهب إليه المصنف رحمه الله ، هو رأى البصريين . قال مكي بن أبي طالب : « تقديره عند الكوفيين : ومامنا إلا من له مقام ، ثم حذف الموصول وأبقى الصلة ، وهو بعيد جداً . وقال البصريون : تقديره : ومامنا ملك إلا له مقام معلوم ، على أن الملائكة تبرأت ممن يعبدها وتعجبت من ذلك » . مشكل إعراب القرآن ٢ / ٢٤٤ ، وانظر تفسير القرطبي ١٥ / ١٣٧ .

(٢) انظر الكلام على أذواء اليمن مستقصى في أمالي ابن الشجري ١ / ١٧٠— ١٧٢ .

(٣) العتق ، بكسر العين : الكرم والجمال والنجابة والشرف والحرية .

(٤) وعلى هذا التفسير اقتصر المصنف في النهاية ، في ترجمة (ملك) .

والحُوبُ : الإِثْم ، وتُضَمّ حاؤه وتُفتح ، فالضمّ [١] لغة الحِجاز ، والفتح لغة تَميم .

وقوله : « في أهل الوَبَر والصُّوف » يعني أهلَ الإبل والغنم ، لملازمتهم أياها وسُكْنَى البَوادِي ، بخلاف أهل الحَضَر .

والأوثان : الأصنامُ ، وقد تقدَّم الفرقُ بينَهما [٢].

والأكناف : النَّواحي ، واحدها : كَنَفٌ ، بالتحريك .

وبِيشَةُ وادٍ [٣] كان لبني خفاجة ،وبعضهم يهمزها .

والسَّلَمُ : شجرةٌ من شجر الشَّوك ،واحدتها : سَلَمَةٌ .

والأراك : شجرٌ معروفٌ ، يُتَّخذ منه السِّواك ، وهو من خير عَلَف الإبل .

والدَّكْداك : الرَّمْل المُتلبِّد بالأرض ، غير الشديد الارتفاع .

والسَّهْلُ : ضدُّ الحَزْن .

والحُمُوض : جمع حَمْضٍ ، وهو من النَّبت : ماكان فيه حُموضَةٌ ومُلُوحة ، وهو للإبل كاللحمِ والفاكهةِ للإنسان .

والعَناكُ ، بالنون : قيل : هو الرَّمْل ، والعانِك : رملٌ في لونه حُمرةٌ . وذكر الأزهريُّ [٤] أنه خطأ وتصحيف ، وإنما هو عاتِكٌ ،

---

(١) وكذا قال الفيومي في المصباح . وعكس المصنف في النهاية ، فجعل الفتح لغة الحجاز ، والضم لغة تميم ، ومثله في اللسان والتاج .

(٢) في الحديث الأول .

(٣) من عمل مكة ، مما يلي اليمن ، من مكة على خمسة مراحل . معجم البلدان ٢ / ٣٣٤ .

(٤) تهذيب اللغة ١ / ٣١٦ .

بالتاء . وقال الجوهريّ [١] : العانِك : رملةٌ فيها تعقُّدٌ ، لايقدر البعيرُ على المشي فيها إلا أن يَحبُوَ .

والذي جاء في رواية القُتَيبيّ [٢] : « علاك » باللام ، وهو شجرٌ ينبُت بالحجاز ، ويقال له : العَلَكُ ، أيضاً ، وقيل : هي شجرُ سَوْءٍ .

والضَّالَةُ ، بتخفيف اللام [٣] : شجر السِّدْر البَرِّيّ .

وفي رواية : « بين نَخْلةٍ ونَحْلَة » [٤]بدل « ضالة » . يريد أنّ بلادَهم بها التَّمر والعَسلُ ،ويشهد لهذه الرواية قولُه : « وسِدْرةٍ وآءةٍ » والسِّدْر : هو الضَّالُ .

وآءَةٌ ، بوزن عاهةٍ : شجرٌ معروف ، وجمْعُه آءٌ كعاهٍ [٥]

والنَّجْمُ : النَّبتُ مما لايقوم على ساقٍ ، والنَّجْمة [٦] أخَصُّ منه .

والأَثْلُ : نوعٌ من شجر الطَّرْفاء ، والأَثْلَة واحدتُه .

---

(١) الصحاح (عنك) .

(٢) وكذلك روى الزمخشرى . ورواية النون للطبراني ، كما ذكر المصنف في النهاية .

(٣) قال في النهاية : واحدة الضال ، وألفه منقلبة عن الياء يقال : أضالت الأرض وأضيلت .

(٤) هكذا بالحاء المهملة ، ورسمت حاء صغيرة في الأصل علامة الإهمال ، وهو الصواب ، ويؤكده الشرح الآتى . وجاء في غريب ابن قتيبة والفائق والعقد الفريد : « بين نخلة ونخلة » بالخاء المعجمة في الكلمتين .

(٥) هكذا بالهاء في الأصل ، ومثله في النهاية ،ترجمة (أوى) ، وجاء بهامش الأصل : « صوابه كعاء » . قال في النهاية : « وأصل ألفها التي بين الهمزتين واو » . وانظر النبات للأصمعي ص ٢٨ .

(٦) قال في النهاية : وكأنها واحدته ، كنبتة ونبت .

والمَرِيعُ : الخَصِيبُ ،وقد مَرُعَ يمرُع مَرَاعةً .

ويَمِيعُ : أى يسيلُ ، يقال : ماعَ الماءُ وامَّاعَ : إذا سالَ وجرى من عُلْوٍ .

ويروى : « يَرِيعُ » أي يَعُودُ ، من راعَ يَرِيعُ : إذا رجَع ، أو من الرَّيع : الزِّيادةِ والنَّماء . يريد أنّ شتاءَهم بمنزلة ربيع غيرهم ، وربيعهم مُخْصِبٌ مُمْرِعٌ ، وماؤُهم جارٍ مُتدَفِّق ،لايحتاجون فيه إلى استقاءٍ ولا اجتلابٍ من بُعْدٍ .

والماتِحُ ، بالتاء المعجمة من فوق : هو مُستَقي الدَّلْو من أعلا البئر (١) . أي لانحتاج أن نجعلَ لِمائنا ماتِحاً ، من كثرة الماء وظهورِهِ على وجه الأرض .

والحُسُوُر : التَّعبُ والإعياء ، وقد حَسَرَ (٢) يَحْسُرُ فهو حاسِرٌ وحَسِيرٌ .

والصابحُ : الذي يسقى الإبلَ وغيرَها صباحاً ، يقال : صَبَحْتُ القومَ أصبَحُهم : إذا سقيتَهم الصَّبُوح . أي لايَعْيَى ساق إبلِنا ومَواشِينا ، لأنها تشرب بأنفُسِها من وجه الأرض .

وقوله : « لايعزُب سارِحُها » أي لاتَبْعُد مواشيهم في طلب المرعَى ، فهي تجد بالقُرب منهم ما يكفيها ، لكثرة النبات حولَهم .

---

(١) أما المائح ، بالهمز : فهو الذي ينزل في البئر إذا قل الماء فيملأ الدلو . أفاده ابن قتيبة .

(٢) بفتح السين وكسرها في الماضي والمضارع ، فهو في باب ضرب وفرح ، كما في القاموس .

والسَّارِحُ : الخارجُ إلى الرَّعْى .

والعازِبُ : البعيدُ .

والشَّبِمُ : البارِدُ ، وقد شَبِم الماءُ يَشْبَمُ شَبَماً . قال القُتَيْبيّ : وأنا أحسِبُه « السَّنِمُ » بالسين [1]المهملة والنون ، وهو الماء المرتفع على وجه الأرض ، وكلُّ شيء علا شيئاً فقد تَسَنَّمه ، مأخوذٌ من سَنام البعير ، قال : وهذا أشبَهُ بما ذكره عن مائهم ، لأنه قال : « وماؤنا يَمِيع » أي يَجْرِي ، وإنما يجري ماكان ظاهراً على الأرض ، فالسَّنِم أشبَهُ به من الشَّبِم .

وقوله : « إذا أخْلَفَ » أي أخرج الخِلْفَةَ ، وهي ورَقٌ يَخرُج في النَّبات بعدَ الورق الأوّل فى الصَّيف [2] .

واللَّجينُ : الخَبَطُ [3] يَجِفُّ ثم يُدَقُّ حتى يتلَجَّن ، أي يَتلَزَّج ويصير كالَخِطْمِيّ [4] ثم تُوجَرُه [5] الإبلُ .

---

(١) لم يرد هذا التقييد في غريب ابن قتيبة .

(٢) بعده في غريب ابن قتيبة : ويكون إذا أخلف فلم يحمل .

(٣) الخبط ، بفتح الخاء والباء : ورق ينفض بالمخابط ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق أو غيره ، ويوخف بالماء ، فتوجره الإبل . القاموس .

(٤) بفتح الخاء وكسرها ، كما ضبط في الأصل ، وفوقها « معاً » ، وهو كذلك في القاموس .

(٥) وقع في غريب ابن قتيبة المطبوع : « تؤجره » بالهمز ، وصوابه بالواو دون الهمز ، وهو من الوجر ، وهو أن توجر ماء أو دواء في الحلق . قال الفيومي في المصباح : الوجور ، بفتح الواو ، وزان رسول : الدواء يصب في الحلق ، وأوجرت المريض إيجارا : فعلت به ذلك ، ووجرته أجره ، من باب وعد ، لغة .

والدَّرِينُ : حُطام المَرْعَى إذا قَدُم وتفَتَّت . يريد أن ورق الأَراك والسَّلَم إذا أُخِذ وهو خِلْفَةٌ ، لُجِّنَ وأُطْعِم الإبلَ ، وإذا تُرك حتى يسقطَ من شجره ، ثم أخِذ يابساً ، كان كالدَّرِين .

واللَّبينُ بمعنى اللاَّبن . أي إنَّ أكله مُدِرٌّ ومُكَثِّرٌ له ، فهو فعيلٌ بمعنى فاعل ، كأنه يُعطيها اللبنَ ، تقول : لَبَنْتُ القومَ وسَمَنْتُهم : إذا أطعمتَهم اللبنَ والسَّمنَ .

وقوله : « من الموج المكفوف » أي المحبوس الممنوع من السقوط ، لأنّ مَن منعتَه فقد كفَفْتَه ، والماء إذا لم يُمنَع جَرى بطبعه .

وحَفَّفها بالنّجوم : أي زيَّنها بها [١] ، يقال : حَفَّه بكذا يَحُفُّه ، كما يُحَفُّ الهَوْدَجُ بالثياب ، وحَفُّوا حولَه يَحُفُّون : إذا استداروا حولَه ، وحَفَّف : فَعَّل للتكثير .

والرُّجُوم : جمع رَجْم ، وهو مصدرٌ سُمِّي به مايُرْجَم به [٢] ،ومعنى كونها رُجُوماً لهم أن الشُّهُب التي تنقَضُّ في الليل لرَمْي الشياطين منفصلةٌ من نُور [٣] الكواكب ، لأنهم يُرْجَمون بالكواكب أنفُسِها ، لأنها ثابتةٌ لا تزول ، وماذاك إلا كقَبَسٍ يُؤْخَذُ من نارٍ ، والنارُ ثابتةٌ في مكانها .

وقيل : أراد بالرُّجوم : الظُّنُون التي تُظَنّ وتُحْزَر ، ومنه قولُه

---

(١) في الأصل : به .

(٢) في النهاية : ويجوز أن يكون مصدراً لا جمعاً .

(٣) في النهاية : من نار الكواكب ونورها .

تعالى [١] : ﴿ رَجْماً بِالغَيْبِ ﴾ وما يُعانيه المنجِّمون من الحُكْم على اتصالِ النجومِ وافتراقها ، وإياهم عَنى بالشياطين ، فإنهم شَياطين الإنس .

والرَّجيم : المرجُومُ ، فعيل بمعنى مفعول ،وهو المَلْعُون المطرود ، وأصل الرَّجم : القَتْل بالرِّجام ، وهي الحجارة ، ويريد به ها هنا الشياطين الذين يَسْتَرِقُون السمعَ من السماء .

والزَّبَدُ الجُفاء : هو ماجَفَأه الوادي فرمى به ، مما يطفو على وجه الماء ، يقال : جفأ السَّيلُ : إذا رَمَى بالقَذَى والزَّبَد ، ويقال فيه : أجفأ ، لغة قليلة . أراد أنه خلق الأرض من زَبَدٍ اجتمع للماء وتَكاثَف في جَنباته .

والماءُ الكَبا [٢] : هو العالي العظيم ، من كبا الفرسُ يكبو : إذا رَبا وانتفخ ، وكَبا الغُبارُ : إذا ارتفع ،ومنه قولهم : فلانٌ كابِي الرَّماد ، أي عظيمه ، كأنه يريد ماانتفخ على الماء ، ورَبا من الزَّبَد [٣] .

---

(١) سورة الكهف ٢٢ .

(٢) هكذا بالقصر ،وقد علقت عليه في متن الحديث .

(٣) بحاشية الأصل : بلغت القراءة على مصنفه إلى هنا . والحمد لله وحده .

حَدِيْثُ قَيلَة بنت مَخْرمَة العَنْبَرِيّة
التَّميمية

قال أبو الجُنَيد عبدُ الله بنُ حَسَّان العَنْبَرِيّ : حَدَّثتْني جَدَّتاي صفيَّةُ ودُحَيْبَةُ بنْتا عُلَيْبَةَ ، وكانتا رَبيبتَيْ قَيْلَة ، وكانت جَدَّةَ أبيهما (١) : أن قَيْلَةَ حدَّثَتْهما أنها كانت تحت حَبيب بن أزهر ، أخي بني جَنابٍ ، فولدتْ له النِّساء ، ثم تُوفِّي فانتزع بَناتِها منها أَثْوَبُ بنُ أزهر ، عمُّهُنّ ، فخرجت تبتغي الصحابة إلى رسول الله ﷺ ، فبكت هُنَيَّةٌ منهنّ ، هي أصغرهُنّ ، حُدَيْباء ، كانت قد أخذَتْها الفَرْصَةُ ، وعليها سُبَيِّجٌ لها من صُوفٍ ، فرحمَتْها فحمَلتْهَا ، فبينا هما تُرْتِكان الجملَ إذ انتفَجَت أرنبٌ ، فقالت الحُدَيباء : الفَصْيَةُ ! واللهِ لايزال كعبُك عالياً . وفي رواية : أعلى من كعب أَثْوَبَ أبداً . ثم سَنَح ثَعْلبٌ ، فقالت ماقالت في الأرنب . فبينا هما تُرْتِكان إذ بَرَكَ الجملُ ، وأخذته رِعْدةٌ ، فقالت الحُدَيْباء : أدركَتْكِ واللهِ أخْذَةُ أثْوَبَ ، فقلت واضطُررتُ إليها :ويحك ماأصنع ؟ قالت : قَلِّبي ثيابك ، ظُهُورَها لبُطونها ، وتَدَحْرَجِي ظهرَكِ لبَطْنك ، وقَلِّبي أحْلاسَ جَملِك ، ثم خَلَعتْ سُبَيِّجَها ، فقلَبَتْه ، وتدحرَجَتْ ظهرَها لبَطْنها . فلما فعلتُ ماأمرتْني انتفضَ الجَملُ ، ثم قام وتَفاجَّ وبالَ . فقالت الحُدَيباء : أعِيدِى عليه أداتَكِ ، ففعلتُ ماأمرَتْني به . ثم خَرجْنا نُرْتِكُ ، فإذا أثْوَبُ يسعَى على أَثَرنا بالسَّيف صَلْتاً ، فوَأَلْنا إلى حِواءٍ ضَخْم قد أراهُ ؛ حتى أَلْقِىَ الجملُ إلى رُواقِ البيت

---

(١) أمّ أمِّه ، كما صرح الترمذي ، وسيأتي موضعه في التخريج .

الأوسط ، جملٌ ذَلُولٌ ، واقتحمْتُ داخلَه بالجارية ، وأدركني عمُّهُنّ بالسَّيف ، فأصابت ظُبَتُه طائفةً من قُرُون راسِيَهْ، وقال : ألْقي إليَّ بنتَ أخي يادَفارِ ، فألقيتُها إليه ، ثم انطلقت إلى أُخْتٍ لي ناكِحٍ فى بني شَيْبان ، أبتغى الصحابة إلى رسول الله ﷺ ، فبينما أنا عندها ليلةً ، تحسِبُ عنِّي نائمةٌ (١) إذ دخل زوجُها من السَّامِر ، فقال : وأبيكِ لقد وجدتُ لقَيْلَةَ صاحباً صاحبَ صِدْقٍ ، حُرَيث بن حَسَّان الشَّيْباني ، وافدَ بكر بن وائل ، إلى رسول الله ، غادِياً ذا صَباح .

فقالت أختي : لي الويلُ ، لاتُخْبِرْها فتَتْبَعَ أخا بكر بن وائل بينَ سَمْعِ الأرض وبَصَرِها ، ليس معها رجلٌ مِن قومها .

فنَشَدْتُ عنه فسألْتُه الصُّحبَةَ ، فقال : نعم وكرامةً ، ورِكابُه مُناخةٌ عنده ، فصحبتُ صاحبَ صِدْقٍ ، حتى قدمْنا على رسول الله ﷺ ، فصَلَّيتُ معه صلاةَ الغداة ، وقد أقيمت حين شَقَّ الفجرُ ، والنُّجومُ شابكةٌ في السماء ،والرجالُ لاتكاد تَعارَفُ من ظُلمةِ الليل ، حتى إذا طلعت الشمسُ دَنَوْتُ ، فكنت إذا رأيتُ رجلاً ذا رُواءٍ وقِشْرٍ طِمَح إليه بصري ، لأرَى رسولَ الله فوق الناس .

فجاء رجلٌ فقال : السلامُ عليك يارسولَ الله ، فقال رسول الله : وعليك السلامُ ورحمةُ الله ، وهو قاعِدٌ القُرُفصاء ، وعليه أسمالُ مُلَيَّتَيْن قد كانتا بزَعْفران ، وقد نُفِضتا (٢) ، وبيده عُسَيِّبُ نخلةٍ مَقْشُوٌّ

---

(١) تريد « أنى » بإبدال الهمزة عيناً ، وسيأتي في الشرح .

(٢) هكذا ضبط في الأصل بضم فكسر ، على البناء للمجهول ، وضبط في النهاية بفتحتين ، على البناء للفاعل .

غيرَ خُوصَتَيْن من أعلاه ، فلما رأيتُ رسولَ الله المتخشِّعَ في الجلْسة ، أُرْعِدْتُ من الفَرَق ، فقال جليسُه : يارسول الله ، أُرْعِدت المسكينة ، فقال – ولم ينظر إليَّ وأنا عند ظهره –: يامِسكينةُ عليك السَّكِينةَ ، فلما قالها رسولُ الله ﷺ أذهَب الله تعالى ماكان دخل قلبي من الرُّعْب .

وتقدَّم صاحِبى أوَّلَ رجُلٍ ، حُرَيثُ بن حَسَّان ، فبايعه على الإسلام وعلى قومِه . ثم قال : يا رسولَ الله اكتب بيننا وبين تميم بالدهناء ، لا يجاوزها إلينا منهم إلا مسافرٌ أو مجاور ، فقال رسول الله : اكتُبْ له بالدَّهْناء ياغلامُ .

فلما أُمرَ له بها شُخِص بي ، وهي وطنى وداري ، فقلت : يارسولَ الله ، لم يسأَلك السَّوِيَّةَ من الأمر إذ سأَلك ، إنما هذه الدَّهناء عنده مُقَيَّدُ الجملِ ومَرْعَى الغَنَمِ ، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك .

فقال رسولُ الله : أمسِكْ ياغلامُ ، صَدَقَت المسكينة ، المُسْلِمُ أخو المُسْلِم ، يَسَعُهما الماءُ والشَّجرُ ، ويتعاونان على الفُتَّان .

فلما رأى حُرَيثٌ أن قد حِيلَ دُون كتابِه ، ضَرَب بإحدى يديه على الأُخرى ، ثم قال : كنتُ أنا وأنتِ كما قال : حَتْفَها تحملُ ضأنٌ بأَظْلافِها .

فقالت : واللهِ ماعلمتُ إن كنتَ لدَليلاً في الظَّلْماء ، بَذُولاً لِذي الرَّحْل ، عَفيفاً عن الرَّفيقة ، حتى قدمنا على رسول الله ، ولكن لاتَلُمْني على أن أسأَلَ حظِّي إذ سألتَ حظَّك .

قال : وما حظُّكِ في الدَّهناء لا أبالَكِ ؟

قلتُ : مُقَيَّدُ جَمَلِي تسأله لجمل امرأتك ؟

قال : لا جَرَمَ ، عَنِّي أُشْهِدُ رسولَ الله أني لكِ أخٌ وصاحبٌ ماحَيِيتِ ، إذ أَثْنيتِ عليَّ هذا عندَه .

فقلتُ : إذْ بَدَأْتَها فلن أضيِّعَها .

فقال رسولُ الله ﷺ : أيُلامُ ابنُ هذه أن يفصِلَ الخُطَّةَ وَينتصرَ من وراء الحَجَزة .

فبكيتُ ، ثم قلت : قد واللهِ كنت ولدتُه يارسولَ الله ، حِزاماً ، فقاتل معك يومَ الرَّبَذَة ، ثم ذهب يَمِيرُني من خَيْبَر ، فأصابتْه حُمَّاها فمات ، فتَرَكَ عليَّ النِّساء .

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لو لم تكوني مسكينةً لجُررتِ على وجهك . أتُغْلَبُ إحداكُنّ أن تُصاحِبَ صُوَيْحبَه [١] في الدُّنيا معروفاً ، فإذا حالَ بينَه وبينَه مَن هو أولى به منه استرجع ثم قال : ربِّ أُسني ماأمضَيْتَ ، وأعِنِّي على ماأبقَيْتَ . فو الذي نفسُ محمّدٍ بيده إنَّ أحَدكم ليبكي ويَسْتعبِرُ إليهَ صُوَيْحِبه ، فيا عبادَ الله ، لاتُعذِّبوا موتاكم أو إخوانَكم .

ثم كتب لها في قطعة أديمٍ أحمرَ : لقَيْلَةَ والنِّسوةِ من بنات قَيْلَةَ : أن لايُظْلَمْنَ حقًّا ، ولا يُكْرَهْنَ على مَنْكَحٍ ، وكلُّ مؤمنٍ ومُسْلمٍ لهنّ نَصِيرٌ ، أحسَنَّ ولايُسِئْنَ .

* * *

---

(١) هكذا بضمير المذكر ، وسيتكلم عليه المصنف .

أخرجه أبو عبيد والزمخشريّ [١] مختصراً ، وأخرجه أبو نُعَيم وغيرُه من الحُفَّاظ تامًّا [٢] بطُوله وأطولَ منه . قال أبو موسى : وهو حديثٌ غريبٌ حَسَنٌ ، يُعَدُّ في أفراد أهل البصرة ، ولا أعلَم رواه [٣]إلا عبدُ الله ابن حسَّان العَنْبريّ ، ورواه عنه جماعةٌ كبيرة [٤] .

شرحه

قَيْلَةُ : مُسمَّاةٌ بالمرَّة من القَيْلِ . وهو شُربُ نِصف النهار ، كالصَّبُوح لأوَّله ، والغَبُوق لآخِرِه .

والعَنْبريَّة : منسوبة إلى عَنْبر بن عمرو بن تميم ، بَطْنٍ منهم .

والتَّمِيميَّة : منسوبة إلى تميم بن مُرّ بن أُدٍّ بنِ طابِخَة بن إلياس بن مُضَر .

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣ / ٥٠ ، والفائق ٣ / ١٠٠ ، وانظر ٤٢/١ .

(٢) أخرجه تاما الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ / ٩ — ١٢ ، وذكر طرفا منه في ٩ / ٢٦٥ ، وأخرجه بتمامه أيضاً ابن حجر في الإصابة ٨ / ١٧١ — ١٧٣ ، وذكر طرفا منه في تهذيب التهذيب ١٣ / ٤٤٦ ، وذكره بتمامه ابن عبد ربه في العقد الفريد ٢ / ٤٢ — ٤٧ .

وأخرج طرفا منه البخاري في الأدب المفرد (باب القرفصاء) ص ٤٠٢ .

وأبو داود في سننه (باب في إقطاع الأرضين ، من كتاب الخراج والإمارة والفيء) ٣ / ١٧٧ و (باب في جلوس الرجل . من كتاب الأدب) ٤ / ٢٦٢ .

والترمذي في (باب ماجاء في الثوب الأصفر. من أبواب الأدب) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ١٠ / ٢٥٥ . وانظر الاستيعاب ص ١٩٠٦ ، وأسد الغابة ٧ / ٢٤٥ وجامع الأصول للمؤلف ١٠ / ٥٧٩ ، ٦٧١ ، وبلاغات النساء ص ١٢١ ، وحواشي المعرب للجواليقي ص ٢٣٠ . ومجالس ثعلب ص ٥٢٣ وحواشيه .

(٣) وسبق إلى هذا الإمام الترمذي ، في الموضع السابق من كتابه .

(٤) بحاشية الأصل : بلغ تصحيحاً ، ولله الحمد والمنة .

ودُحَيْبةُ ، بضم الدال المهملة وفتح الحاء المهملة وياء ثم باء مُوحَّدة ، تصغير دَحْبَةٍ ، وهي المَرَّة من الدَّحْبِ : الدَّفْع .

وعُلَيْبَةُ : تصغير عُلْبة ، وهي مِحْلَبٌ مِن جِلد .

والرَّبيبةُ : التى يُرَبِّيها الإنسانُ وهي صغيرة ، فَعِيلةٌ بمعنى مفعولة ، أي مَرْبُوبةٌ ، وجمعها : رَبائبُ ،وأكثر ماتُطلَقُ على بنت الزوجةِ من غير زوجِها ، أو بنتِ الرجل من غير زوجته .

وقولها : « ولدتُ له النِّساء » تعنى البنات .

وأثْوَبُ ، بالثاء المثلثة والباء الموحَّدة ، كأنه أفعلُ من الثَّوابِ : الجزاءِ ، أو من الثَّوْبِ : الرجوع .

والصَّحابة بالفتح : جمع صاحبٍ [1]، وهي فى الأصل : مصدرٌ بمعنى الصُّحبة وقد صَحِبه يَصْحَبُه صُحْبةً وصَحابةً ، وكِلا الوجهين يحتملهما الموضعُ .

وهُنَيَّة : تصغير هَنَةٍ ، وهي كنايةٌ عن المرأة ، وصغَّرها لصِغَر سِنِّها .

والحُدَيْباءُ : تصغير الحَدْباء ، والحَدَب : ارتفاعُ الضَّهْر وخروجُه عن حَدّة خِلْقَةً .

والفَرْصَةُ ، بالصاد والسين : الرِّيح التى تَعْرِض للإنسان فيحدُث عنها الحَدَبُ ، كأنها تَفْرِصُ الظَّهْرَ ، أي تشقُّه ، أو تَفرسُه ، أي تَدُقُّه .

والسُّبَيِّج : تصغير السَّبِيج ، وهو كِساءٌ أسودُ ، مأخوذٌ من السَّبَج ، وهو الخَرَزُ الأسود المعروف .

---

(١) في النهاية : ولم يجمع فاعل على فعالة إلا هذا . وانظر هذا الجمع فى صحيح مسلم (كتاب الصيام) ص ٧٨٤ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ص ٩٨١ .

وقيل : هو معرَّبُ « شَبيه » [١]أي القميص . وقال ابن الأنباري : هو السِّبْيَجُ [٢] ، يعني بوزن الدِّرْهم .

قال : وأُراه مُعَرَّبا .

والرَّتَكُ والرَّتَكان : جنسٌ من عَدْوِ البَعير ، وقد رَتَك ، وأَرْتَكه صاحبهُ . أي أنَّهما كانا يُسرعان في السَّير .

وانْتَفَجت الأرنبُ : إذا وَثَبَتْ وثارت من مَجْثَمِها .

والفَصْيَةُ : الفَرَجُ [٣] والتَّخلُّص ، ومنه انْفَصَى الصَّيْدُ من حِبالته : أي انفصل وتخلَّص . تفاءلَتْ بانتفاج الأرنب ، بالخروج من الضِّيق إلى السَّعَة ، والخلاصِ من الغَمّ الذي كانت فيه مِن قِبَل عمّ البنات .

والكَعْبُ : أحدُ كُعُوب الرُّمْح الناتئة في أطراف الأنابيب ، ويجوز أن تريد به كعبَ الساق ، كنايةً عن الشَّرَف . أي لايزال أمْرُك أعلَى من أمره ، ولاتزالين أشْرَفَ منه .

والسَّانِحُ من الطَّير والوحش : ماجاءَ من مَياسِرِك إلى مَيامِنك ؛ لأنه أمْكَنُ للرَّمْي .

---

(١) في النهاية : « شبى » وكذلك في المعرب للجواليقي ص ٢٣٠ ، وأفاد أن أصله بالفارسية .

(٢) في الفائق : وعن ابن الأعرابي: السِّبِّيَجُ (بكسر السين وفتح الباء) قال : وأراه معرباً .

(٣) هذا من كلام الأخفش ، كما في الفائق .

والبارحُ : بضدّ ذلك ، وقيل هما بالعكس ، والعرب تتيمَّن بالسَّانح وتتطيَّر بالبارح .

وقولها : « أدركَتْكِ واللهِ أخذَةُ أثْوَبَ » أي لَحِقك فأخذك . وفي رواية : « أدْرَكَتْكِ والأمانةِ » وهي مِن أقسامهم التي كانوا يُقْسِمون بها في الجاهلية ، ونُهُوا عنها .

وقولها : « واضطُرِرتُ إليها » لأنها صبيَّة ، فما سألتُها وهي طِفلةٌ إلا عن ضرورةٍ دَعَتْني إليها ، حيث تفاءلَتْ وأَخبرتْ بما أخبرَتْ

وتقليب الثياب : أرادت به التفاؤل أيضاً ، وقريبٌ منه قلبُ الرِّداء عند الاسْتِسقاء ، وكذلك التَّدحْرُج والتقلُّبُ على الظهر والبطن ، كلُّ ذلك تفاؤل بقلب الحالِ الراهنة التي دُفِعتْ إليها من الغَمّ والهَمّ .

وتَفاجَّ البعيرُ : إذا فرَّق وباعَدَ مابين رِجْليه ، كما يفعلُه الذي يريد أن يبول .

والأحلاس : جمع حِلْسٍ ، وهو الكِساء الذي يكون على ظهرِ البعير تحت الرَّحْل .

والأَداةُ : مايستصحبه الإِنسانُ فى سَفرِه ، من آلة ونحوها .

والصَّلْتُ : السَّيفُ المجرَّد من الغِمد .

ووَأَلْنا : أي التَجأْنا ومِلْنا ، وقد وأَلَ يَئِلُ وأْلاً .

والحِواءُ : البُيوتُ المجتمعة على ماءٍ . والضَّخم : الكبير العظيم .

وقولها : « حتى أَلْقيَ الجملُ إلى رِوُاق [1] البيت » أي أدْخَلَتْهُ إلى الرِّواق ، وهي صُفَّةٌ دُونَ الصُّفّة العُلْيا .

---

(١) بكسر الراء وضمها ، كما قيده صاحب القاموس بوزن كتاب وغراب .

واقْتحمْتُ : أى دخلتُ بعُنف ، والاقتحام : دخول الإنسان في الأمر من غير رَوِيَّة ولا تثَبُّت .

والجَمَلُ الذَّلُول : المنقاد المطيع لراكبه ، فَعُول بمعنى مفعول .

والظُّبَةُ : حَدُّ السَّيف مما يلي طَرَفه وذُبابَه .

والطائفة : القِطعة من كلّ شيىء .

وقُرُون الرأس : جوانبه . والهاء في « راسِيَهْ » للوقف والسَّكت ، كقوله تعالى [١] : ﴿ مَاأَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴾ .

ودَفارِ ، بوزن قَطامِ ، مبنيٌّ على الكسر ، من الدَّفْرِ : النَّتْن ، وأكثر مايُسْتعمل في النداء .

وقولها : « تحسِب عَنِّي نائمةٌ » على لغة تَميِمٍ ، يُبدلون العينَ من الهمزة ، وتُسمَّى العَنْعَنَةَ ، أي تحسَب أنِّي نائمةٌ ، ورواه بعضهم : « تحسَبُ عيني نائمةً » والأوُل أحفَظُ وأشْهَرُ .

والسَّامِر : الجماعة يجتمعون بالليل يتحدَّثون ، ويقع على الواحد والجمع .

وغادِياً ذا صَباحٍ : أي خارِجاً أوّلَ النَّهار ، كما يقولون : ذاتَ يوم وذاتَ ليلة .

والوَيْلُ : كلمةُ عذابٍ ، تُقال عند التَّكرُّه ، يُقال : ويلٌ لزيدٍ ، وويلاً له ، على الابتداء ، أو إضمار الناصب .

وقولها : « بين سَمْع الأرضِ وبَصرَها » تمثيلٌ ، أي لايسمع

---

(١) سورة الحاقة ٢٨ .

كلامَهُما إلا الأرض ، فاستعارت للأرض سَمْعاً وبَصَراً . وقيل : أرادت (١) بين طُول الأرض وعَرْضِها ، مَجازاً .

ونَشَدْتُ عنه : أي سألتُ ، من نِشْدان الضالَّة ، وهو طَلَبُها .

والرِّكابُ : الجِمالُ .

وشَقَّ الفَجْرُ ، بفتح الشين : أي ظَهَر وطَلَع ، كأنَّ الفجرَ شَقَّ الظَّلام .

والنُّجومِ شابِكةٌ : أي مُشْتبكة من كثرتِها وظهُورها ، كأن بعضَها متَّصِلٌ ببعض . ولا تكاد تَعَارَفُ : أي تَتعارَفُ ، فحذف التاء الأولى تخفيفاً .

والرُّواء : المَنْظَرُ الحسن الجميل .

والقِشْرُ : اللِّباس النَّفيس .

وطَمَح البَصَرُ : إذا امتدَّ وعَلا . ظنَّت أن رسول الله ﷺ ، كان يتميَّزُ من بين أصحابه بهيئةٍ أو لِباسٍ أو مَجْلِسٍ .

والقُرْفُصاء : قِعْدةُ المُحْتَبي بيديه ، وهو أن يجمع ساقيه إلى فَخِذَيْه رافعاً رُكْبتيه ، ويُدْني فخذيه من صدره وجَوفه ، ثم يجمعهما بيديه ، عاقداً إحداهما في الأخرى ، ليصير كالمُحْتَبي بالثَّوب .

والأسمالُ : الأخلاق من الثياب ، واحدها سَمَلٌ .

ومُلَيَّتَيْن : تصغير مُلاءتين ، تثنية مُلاءة ، وهي الثوب الذي يُتَّشَحُ به ويُؤتَزر ، وإنما جَمع الأسمال مع تثنية المُلاءة (٢) ، لأنه أراد أنهما كانتا مُلاءتين فتقطَّعتا حتى صارتا قطَعاً .

---

(١) رد أبو عبيد هذا القول ؛ في كلام طويل ، تراه في غريب الحديث ٣ / ٥٥ .

(٢) مع تخفيف الهمزة ، كما ذكر في النهاية . وقال الزمخشري في الفائق : تصغير ملاءة ، على الترخيم .

ونَفَضَ الصِّبْغُ : إذا نَصَل أكثرُ لونِه .

والعُسَيِّبُ : تصغير العَسِيب ، وهو جَرِيدُ النَّخْل مما لايَنْبت عليه الخُوصُ ، ومانَبت عليه فهو السَّعَفَةُ .

والمَقْشُوُّ : المَقْشُور ، وقد قَشَوْتُه أَقْشُوه قَشْواً .

والخُوصُ : ورق النَّخل . وفي رواية : « خُوَيْصتَيْن » على التصغير .

والمُتَخشِّع : المُتواضِع .

وأُرْعِدَتْ : أي رَجَفَتْ : من خوفها ، حيث رأت مَهابَته مع تواضُعه فى هيئته وجلوسه .

والمِسكين : الضَّعيف . وقوله : « عليك السَّكينةَ » بالنصب ، أي الزَمي السُّكونَ ، فلا بأسَ عليك . ويجوز أن تكون مرفوعةً بالابتداء ، و« عليك » خبرٌ مقدَّم .

والدَّهْناء : أرضٌ من بلاد تميمٍ ، ذاتُ رملٍ ونباتٍ كثير .

وشُخِصَ بي : أي دُهِشْتُ وتحيرَّتُ . وقيل : ارتفع بصري من إكبار ما سمعتُ ، وإعظامِه ، وأصلهُ من شُخُوص المسافر ، وهو خروجه عن منزله ، كأنّ الرجلَ إذا جاءه مايُقْلِقه ويُزْعِجه قد خرج من الأرض التي هو بها .

والسَّوِيَّة : العدل والإنصاف . يقال : هما على سَوِيَّة من الأمر ، أي على سواءٍ .

ومُقَيَّدُ الجَمل : الموضع الذي يقيم فيه لايتعدَّاه ، لِخصبه وكثرةِ مرعاه ، ولايتجاوزُه إلى غيره في طَلَب المرعى ، فكأنه به مُقَيَّدٌ لايبرح .

وقوله : « يسعُهما الماءُ والشجر » أي هم شركاءُ فيهما ، لكلٍّ منهم حظٌّ ونَصِيب .

والفُتَّان ، بالضمّ : جمع فاتنٍ ، يريد بهم شياطينَ الإنسِ والجنّ ، الذين يظلمون الناسَ ، ويفتنونهم ويُضلُّونهم عن الحق .

ويروى : « الفَتَّانُ » بالفتح ، على الواحد ، يريد الشيطانَ . والتَّعاونُ عليه : تَرْكُ اتِّباعه والافتتانِ بخُدَعِه ، وسُمِّي الشيطانُ فتَّاناً ، لأنه يَفْتِنُ الناسَ في أديانهم وعقولهم ، والفَتَّان : مبالغةٌ في الفاتن .

وحِيلَ دون كتابه : أي فاته ماكان يريد أن يكتبَ له ، وصار بينهما حائلٌ ومانِع .

والحَتْفُ : الموت .

وأَظْلافُ الغَنم : كالحافِرِ للفرس .

وقوله : « حَتْفَها تَحملُ ضَأْنٌ بأظلافها » مَثَلٌ قديم [1] سائر للعرب ، وأصله أن إنسانا وجد شاةً في فَلاةٍ ، ولم يكن معه مايَذْبحها به ، فبحَثَتْ بأظلافِها في الأرض ، فظهرت مُدْيةٌ فذبحها بها ، فضُربت مَثلاً لكلّ من عَمِل عملاً عاد وَبالُه عليه .

والبَذُولُ : مبالغة في الباذل ، من البَذْلِ : العطاء .

ولا أبالَك : هى في الأصل كلمة ذَمٍّ ، أي ليس لك أبٌ يُعرَف ، ثم اتُّسع فيها حتى صارت تقال فى معرض التعجب والمدح ، وصار المجاز فيها أشهرَ من الحقيقة .

ولاجَرَمَ : بمعنى حقًّا .

---

(١) انظره في جمهرة الأمثال ١ / ٣٦٣ ، ومجمع الأمثال ١ / ١٩٢ ، والمستقصى ٢ / ٥٩ .

وقوله « عَنِّي أُشْهِد » أي أَنِّي ، على قلب الهمزة عَيْناً .

وقولها : « إذ بَدَأْتَها فلن أضيِّعَها » أي حين أحسنتَ إليَّ هذا الإِحسان ابتداءً ، لا أزال أشكُرك به .

وقوله : « أَيُلامُ ابنُ هذه أن يفصلَ الخُطَّة وينتصرَ مِن وراء الحَجَزَة » الخُطَّةُ الحالُ والخَطْب ، أي إنّ ولَدَ مثل هذه المرأة العاقلة الكاملة ، لا يُلام أن يفصلَ الأمورَ المشكلةَ برأيه ، وينظرَ في عواقِبها بفكره ، ولا يُنكَرُ له ذلك إذا أشبَه أمَّه في عقلها وكمالها .

والحَجَزَةُ : جمع حاجِز ، وهم الذين يمنعون بعضَ الناس من بعض ، ويفصلون بينهم بالحقّ ، أي إذا تعرَّض له أعوان الظُّلم ليحجزُوه عن ظالمه لم يُثَبِّطُوه بذلك ، بل انتصر لنفسه ، واستوفى حقَّه ، فكأنه حين لامها حُرَيثٌ على مادَفعَتْ عن نفسها ، اعتذر عنها رسول الله ﷺ ، وأنه لا لومَ عليها فيما فعلَتْ . وذِكْرُ الابنِ تعريضٌ بالثناء عليها ، وهو من أنواع البلاغة في أن يذكر ابنُ الشيء أو أبوه ، أو مثلُه وشبيهُه ثم يُوصَف .

ورُوِي : « أيُلام ابنُ ذِه» قال الهرويُّ (١) : أراد به الإِنسانَ . أي أيُلامُ الإِنسان . إذا احتجَّ لنفسه ، واعتذر عنها ؟

وقولها : « كنتُ ولدتُه حِزاماً » الهاء في « ولدته » ضمير ابنها ، حين ذكره رسول الله ﷺ تذكَّرتْه ، وحِزاماً (٢) اسمُه ، وهو بدلُ المُظْهَر من المضمَر .

---

(١) ذكره في الغريبين (حجز) .

(٢) ترجم له ابن حجر ولم ينسبه ، قال : « حزام غير منسوب ، له ذكر في ترجمة قيلة بنت مخرمة ، وهي أمه ، وذكرت أنه قتل مع رسول الله ﷺ الإصابة ٢ / ٧ .

ويَميرُني : أي يأتيني بالمِيرة ،وهي الطَّعام والقُوت . ولما تذكَّرت ولدَها غلبها البكاءُ .

ويروى : « أيُغْلَب أُحَيْداكُنَّ » تصغير إحداكنّ .

وصُوَيْحِبه : تصغير صاحب ، وهو من يصحبُ الإنسانَ من ولدٍ أو أخٍ أو زوجٍ أو غيرهم ، وتصغيره على معنى التقريب والتلطيف المَحَلّ (١) .

وذَكَّر الضمير ردًّا إلى الشَّخْص أو الإنسان .

وقوله : « مَن هو أولى به » يعني اللّٰه تبارك وتعالى ، أي على الإنسان مصاحبةُ صاحبه ماعاشا بالمعروف ، فإذا قبض الله سبحانه أحدَهما استرجع ، فقال : « إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون » وعلم أنه أولى بِخَلْقِه من غيره ، فإذا تذكّر ذلك ، وغلبه الجزعُ ، استعان بالدعاء عليه ، فقال : ربِّ أُسْنِي ما أمْضَيْتَ ، وأَعِنِّي على ما أبْقيتَ : أي عَوِّضْني عماّ أخذتَ ، يقال : أُسْتُ القومَ أوْساً : إذا عَوَّضْتَهم عن شيء أُخِذ منهم ، فحذف حرف الجر .

ويروى : « آسِنِي » بالمدّ ، و « أسِّني » بالتشديد ، أي عَزِّني وصَبِّرْني . يقال : آسيتُ الإنسان ، وأسَّيْتُه تَأْساءً وتَأْسِيَةً : إذا عزَّيْتَه . وحرف الجرّ في هذه الرواية أيضاً محذوف . ويروى : « أَنْسِنِي ما أَمْضَيْتَ » من النِّسيان (٢) .

---

(١) هكذا في الأصل بفتح الميم والحاء المهملة وتشديد اللام .

(٢) زاد في النهاية ، في ترجمة (أوس) قال : ويروى : « أثبنى » من الثواب .

وأَعَنِّى على ماأبقيتَ : من الإعانة . ويروى : « أغِثْني » من الإغاثة .

والاستعبارُ : البكاء ، وهو استفعال من العَبْرةِ : الدمعة .

قيل : إن هذا الكلامَ إنكارٌ من النبى ﷺ لجزَعها على ميِّتٍ بعدَ طول عَهْد ، لأن الباكيَ يَهِيجُ غيرَه على البكاء . أى على الإنسان إذا غلبه الجَزَعُ أن يدعَو الله عزَّ وجلّ ليعوِّضَه عمّا أخَذ منه ، أو يعزِّيَه ويُصبِّرَه على مابُلِيَ به ، أو يُنْسِيَه مافاتَه حتى لايجزعَ بعدَه ، وأن يستعين بالله تعالى فيما أبْقى عليه على ماأخذ منه ، ولايبكي كلَّ وقتٍ فيُبكيَ غيرَه ، ويُعذِّبَه بالحُزْن عليه .

وقوله : « أحْسَنَّ ولايُسِئْنَ » أي إذا أحسَنَّ في أفعالِهن ، وأقوالهنَّ ، ولم يُسِئْنَ فيهما . والله أعلم (١) .

---

(١) بحاشية الأصل : بلغ تصحيحاً ، ولله الحمد والمنة .

حَدِيثُ اسْتِسْقَاءِ النَّبي ﷺ

قال أنس بن مالك : قَحَل الناسُ على عهد رسول الله ﷺ ، فأتاه المسلمون فقالوا : يارسول الله ، قَحَطَ المطَرُ ، ويَبِس الشجرُ ، وهلكت المواشي ، وأسْنَتَ الناسُ ، فاستَسْقِ لنا ربَّك عزّ وجلّ .

فقال : إذا كان يوم كذا وكذا فاخرجُوا ، واخْرُجُوا معكم بصدَقَات .

فلما كان ذلك اليوم ، خرج رسولُ الله والناسُ معه ، يمشي ويمشُون ، عليهم السكينةُ والوقار ، حتى أتَوا المُصَلَّى ، فتقدَّم النبيّ عليه السلام ، فصلَّى بهم ركعتين ، يَجْهَر فيهما بالقراءة ، فلما قضى صلاتَه استقبل القومَ بوجهه ، وقلَبَ رِدَاءَه ، ثم جَثا على رُكْبَتَيْه ، ورفع يديه ، وكبَّر تكبيرةً قبل أن يَستسقِيَ ، ثم قال : اللهمّ اسْقنا وأغِثْنا ، اللهمّ اسقِنا غَيْثاً مُغيثا ، وحَياً رَبيعاً ، وجَداً طَبَقاً غَدَقاً مُغْدقاً مُونِقاً عامًّا ، هَنيئاً مَرِيئاً مَريعاً ، مُرْتِعاً مُرْبِعاً وابِلاً ، سابِلاً مُسْبَلاً مُجَلِّلاً دائماً دِرَراً ، نافعاً غيرَ ضارٍّ ، عاجِلاً غيرَ رائثٍ . اَللهمّ غيثا تُحْيي به البلاد ، وتُغيثُ به العباد ، وتجعله بَلاغاً للحاضِرِ منّا والباد .

اللهمّ أنزلْ في أرضِنا زينتَها ، وأنزِل علينا في أرضِنا سُكْنَها.

اللهم أنزِل علينا من السماء ماءً طَهُورا ، فأحْيِ به بلدةً مَيْتاً ، واسْقِه ممّا خلَقْتَ لنا أنعاماً وأناسِيَّ كثيرا .

قال : فما بَرِحْنا حتى أقبل قَزَعٌ من السَّحاب ، فالتأم بعضُه إلى بعض ، ثم مطَرتْ عليهم سبعةَ أيام وليالِيَهُنَّ ، لايُقْلِع عن المدينة .

فأتاه المسلمون ، فقالوا : يارسولَ الله ، قد غَرِقَت الأرضُ ، وتهدَّمت البُيوت ، وانقَطَعَت السُّبُل ، فادْعُ الله تعالى أن يصرفَها عنا .

فضحك رسولُ الله ﷺ على المنبر حتى بدت نواجذه ؛ تعجباً لسرعة ملالة ابن آدم ، ثم رفع يديه ، فقال : اللهمَّ حوالينا ولا عَلَينا ، اللهمّ على رُؤوس الجبال (١) ، ومَنابت الشجر وبُطون الأودية ، وظُهور الآكام . فتصدَّعت عن المدينة حتى كانت في مثل التُّرْسِ عليها كالفُسْطاط ، تُمْطَر مَراعِيها ، ولايُمْطَر فيها قَطْرَةٌ .

* * *

هذا حديثٌ صحيح ، مَرْويٌّ من طُرُقٍ كثيرة ، عن أنس (٢) ،

---

(١) بحاشية الأصل : « الظراب » . وعلى هذه الرواية اقتصر المصنف في الشرح .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة . من كتاب الجمعة) ٢ / ١٥ ، وفي (باب الاستسقاء في المسجد الجامع . من كتاب الاستسقاء) ٢ / ٣٤ ـــ ٣٧ ، وفي (باب علامات النبوة . من أبواب المناقب) ٤/٢٣٦ ، وفي (باب الدعاء غير مستقبل القبلة . من كتاب الدعوات) ٨ / ٩٢ ، ورواه في مواضع أخرى من صحيحه ذكرها الشيخ عبد الغني النابلسي في ذخائر المواريث ١ / ٧٥ .

وأخرجه مسلم في صحيحه (باب الدعاء في الاستسقاء . من كتاب صلاة الاستسقاء) ص ٦١٢

وأبو داود فى سننه (باب رفع اليدين فى الاستسقاء . من جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها) ١/٣٠٤ .

والنسائى في سننه (متى يستسقي الإمام . من كتاب الاستسقاء) ٣ / ١٢٥ .

وابن ماجه في سننه (باب ماجاء في الدعاء في الاستسقاء . من كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها) ص ٤٠٤ .

ومالك في الموطأ (باب ماجاء في الاستسقاء . من كتاب الاستسقاء) ص ١٩١ .

ونور الدين الهيثمى في مجمع الزوائد ٢ / ٢١١ ـــ ٢١٦ (باب الاستسقاء) .

وانظر الروض الأنف ١ / ١٧٩ ، وشمائل الرسول ﷺ ، لابن كثير ص ١٦٤ ـــ ١٧٥

وأخرج ابن قُتيبة [١] والزمخشريُّ [٢]منه دعاء الاستسقاء إلى قوله : « وأناسيَّ كثيرا» .

وفي حديثٍ آخرَ عن أنس ، قال : جاء أعرابيٌّ إلى النبيّ ﷺ ، فقال : يارسول الله ، لقد أتيناك ومالَنا بَعيرٌ يَئِطُّ ، ولاصبيٌّ يَصْطَبح ، وأنشد [٣] :

أَتَيْنـاكَ والعَـذراءُ يَدمَـى لبانُهـا	وقد شُغِلَتْ أمُّ الصَّبيّ عن الطِّفْلِ
وألْقَى بكَفَّيْـه الفَتَـى إسْتِكانـةً	من الجوع ضَعْفاً مايُمِرُّ وما يُحْلِي
ولا شيءَ ممّا يأكل النـاسُ عندنـا	سِوى الحَنْظَلِ العاميِّ والعِلْهِزِ الفَسْلِ
ولـيس لنـا إلّا إلـيكَ فِرارُنـا	وأين فِرارُ الناسِ إلّا إلى الرُّسْلِ

فقام رسولُ الله ﷺ يَجرُّ رداءَهُ حتى صَعِد المِنبرَ ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ورفع يديه إلى السماء ، فقال : اللهمّ اسْقِنا غيثاً مُغيثا مَريعاً غَدَقاً طَبَقاً ، عاجلاً غيرَ رائث ، نافعاً غيرَ ضارّ ، تملأ به الضَّرع ، وتُنبت به الزَّرع ، وتُحيِي به الأرضَ بعد موتها وكذلك تُخْرَجُون .

قال : فما ردَّ رسولُ الله يديه إلى نحره حتى التقت السماء بأَرْواقِها ، وجاء أهلُ البطانة يَضِجُّون ، يارسولَ الله ، الغَرَقَ الغَرَقَ . فرفع يدَه إلى السماء ، وقال : اللهمّ حَوالَيْنا ولا علينا . فانْجابَ السحابُ عن المدينة حتى أحْدَقَ بها كالإكليل . فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بَدَتْ نَواجِذُه ، ثم

---

(١) لم أجده في كتابه غريب الحديث المطبوع .

(٢) الفائق ١ / ٣٤١ .

(٣) ينسب هذا الشعر إلى لبيد ، يخاطب به رسول الله ﷺ ، حين وفد عليه في جماعة من قومه ، وهو في شرح ديوانه ص ٢٧٧ ، في أبيات لم يروها السكري ، كما قال محققه ، وانظر تخريجه في ص ٣٩٢ ، ويقع اختلاف في الرواية بين ماذكره المصنف في هذا الكتاب وبين مافي الديوان .

قال : لله أبو طالب ! لو كان حيًّا قَرَّتْ عيناه ، مَن الذي يُنشدُنا قولَه ؟ فقام عليٌّ بن أبي طالب ، فقال يارسول الله ، كأنك أردت قوله (١) :

وأبيضُ يُستَسْقَى الغَمامُ بوَجْهِه ثِمالُ (٢) اليَتامى عِصْمةٌ للأرامِلِ
يَلُوذُ به الهُلَّاكُ من آل هاشِمٍ فهمُ عنده في نَعْمةٍ وفَواضِلِ
كذَبتُم وبيتِ الله يُبْزَى محمَّدٌ ولما نُقاتِلْ دُونَه ونُناضِلِ
ونُسْلِمَهُ حتَّى نُصَرَّعَ حولَهُ ونَذْهَلَ عن أبنائِنا والحَلائِلِ

فقال رسولُ الله ﷺ : أجَلْ . فقام رجلٌ مِن كِنانة ، فقال :

لَكَ الحمدُ والحمدُ مِمَّنْ شَكَرْ سُقِينا بوَجْهِ النبيّ المَطَرْ
دَعا اللهَ خالقَه دَعوةً إليه وأشْخَصَ منه البَصَرْ
فلم يكُ إلا كإلْقا الرِّداءِ وأسرَعَ حتى رأينا الدِّرَرْ
دُفاقَ العَزائِلِ جَمَّ البُعاقِ أغاثَ به اللهُ عُلْيا مُضَرْ
وكان كما قالَهُ عَمُّهُ أبو طالبٍ أبيضٌ ذو غُرَرْ
به اللهُ يَسْقِي صَوْبَ الغَمامِ وهذا العِيانُ لِذاك الخَبَرْ
فمَنْ يشكُرِ اللهَ يَلْقَ المَزِيدَ ومَن يكفُرِ اللهَ يَلْقَ الغِيَرْ

فقال رسول الله ﷺ إن يك شاعرٌ أحسنَ فقد أحسنْتَ .

قال أبو موسى : هذا حديثٌ غريبٌ من حديثِ أنسٍ ، بهذا السِّياق والزِّيادات . وفي الاستسقاء أحاديثُ عِدَّةٌ ، عن أنسٍ وغيرِه ، متقاربةُ الألفاظ .

---

(١) ديوان أبي طالب ص ١١٣ ، وانظر تعليق من أمالى ابن دريد ص ١٠٠ ، وشفاء السقام فى زيارة خير الأنام ص ١٧٠ .

(٢) ثمال : تروى بأوجه الإعراب الثلاثة ، كما في حواشي صحيح البخاري . الموضع الثاني السابق في تخريج الحديث .

شرحه

قَحَلَ [١] الشيءُ وقَحِلَ يَقْحَلُ قُحُولاً : إذا يَبِسَ ، والقَحَلُ : التزاقُ الجلد بالعظْم ، يريد أن الناس قد يَبِسَتْ جلودُهم ، وقَشِفَتْ من شِدّة الجَدْب ، وقِلَّة الطعامِ واللِّبن والمَرْعَى .

والقَحْطُ : احتباسُ المطر ، يقال : قَحِطَ المطرُ وقَحَطَ : إذا انقطع ، وأقحط الناسُ : إذا لم يُمْطَرُوا ، فأَجْدَبُوا .

والمواشِي : جمع ماشِية ، وهو اسمٌ يُطْلَق على الإبل والبقر والغنمِ

وأسْنَتَ الناسُ فهم مُسْنِتون : إذا دخلوا في السَّنَة ، وهي الجَدْب ، وهذه التاء بدلٌ من الواو التي كانت في أسْنَوْا : إذا دخلوا في السَّنَة .

وأصل السَّنَة : سَنْوَةٌ : في أحد القولين [٢] ، تقول منه : استأجرتُه مُساناةً ، وجمعها سَنَواتٌ .

والاستسقاء : طَلَبُ السُّقْيا ، واستِنزالُ الغيْث .

والسَّكينة : فَعِيلة من السُّكون والتَّأنِّي والطُّمأنينة .

والمُصَلَّى : مَوضعُ الصَّلاة من الصحراء .

---

(١) الفعل من باب نفع وتعب ، كما في المصباح . ويأتي أيضاً بضم أوله وكسر ثانيه بوزن « عُنِى » كما في القاموس . وانظر النهاية (قحل) .

(٢) والقول الثاني أن أصلها : « سنهة » بالهاء ، بوزن جبهة ، فحذفت لامها ، ونقلت حركتها إلى النون ، فبقيت سنة ، لأنها من سنهت النخلة وتسنهت : إذا أتى عليها السنون ، وجمعها على هذا القول : سنهات . ذكره المصنف في النهاية (سنه) .

وقَلْبُ الرِّداء في الاستسقاء سُنَّةٌ ، وهو أن يَجعل أسفلَه أعلاه ، تَفاؤلاً بقلْب الحال التي هم فيها من الجَدْب (١) .

والإغاثة : النُّصْرة والإعانة ، وقد أغاثه يُغيثه إغاثةً ، إذا نَصرَه وأنجاه من الشِّدَّة .

والغَيثُ : المطَرُ ، وغاثَ الله البلادَ يَغِيثُها : إذا أنزلَ عليها الغَيثَ ، والسُّؤال منه : غِثْنا كعِذْنا .

والحَيَا ، مقصوراً : المطرُ الذي تحيا به الأرضُ والماشيةُ . يقال : أحيا الناسُ فهم مُحْيُون ، إذا نزل عليهم الحَيَا .

والجَدَا ، مقصوراً : المطرُ العامُّ .

والطَّبَقُ : الذي يُطبِّق الأرضَ ، أي يَعُمُّ وجْهها .

والغَدَق : الكثيرُ القَطْر ، وقد غَدِق ، بالكسر : إذا كَثُر .

والمُغْدِق : مُفْعِلٌ منه ، أكَّدَه به ، يقال : أغْدَق المطرُ يُغْدِق إغداقاً ، فهو مُغْدِقٌ .

والمُونِق : المُعْجِب ، يقال : آنَقَنِي الشيُ : أي أعجبني .

والعامُّ : الشَّامِلُ .

والهنيءُ : الطَّيِّب السَّائغُ .

---

(١) جاء في الفائق : قيل لابن لهيعة : لم قلب رداءه ؟ فقال : لينقلب القحط إلى الخصب . فقيل له : كيف قلبه ؟ قال : جعله ظهراً لبطن . قيل : كيف ؟ قال : حوّل الأيسر على الأيمن والأيمن على الأيسر .

والمريءُ : مستعارٌ من استمراءِ الطَّعام ، وهو ذَهابُ ثِقَله وكِظَّته عن المعِدة . يقال : هَنَأَني الطَّعامُ وَمَرَأَني ، فإذا لم يذكروا [١] : هَنَأَني ، قالوا : أَمْرَأَني ، بالألف ، وقيل : هما لغتان .

والمَريعُ : المُخْصِب الناجِعُ في الماشية ، يقال : مَرُعَ المكانُ فهو مَرِيعٌ : إذا كثُر نَبْتُه ، وأمرَعَ القومُ : أصابوا مكاناً مَرِيعاً ، والمُمْرِع : المُغْنِي عن الارتحال في طَلَب المَرْعَى .

والمُرْبع ، بالباء الموحَّدة : الدائمُ المقيمُ ، يقال : رَبَع بالمكان وأربَع ، إذا أقام به . أي حَمل الناسَ على أن يقيموا عنده ، لعُموم نَباته وكثرةِ مائه .

والمُرْتِع ، بالتاء : من رَتَعَت الإبلُ : إذا رَعَتْ ، وأرْتَعَها اللهُ : أي أنْبَت لها ماتَرْتَعُ فيه وتَرْعاه .

والوابِلُ : المَطَرُ الشَّديدُ ، الكبيرُ القَطْر .

والسَّابلُ : السَّحابُ الماطرُ ، يقال : سَبَلٌ [٢] سابِلٌ ، ومطَرٌ ماطِرٌ ، والسَّبَلُ ، بالتحريك : المَطَرُ ، والمُسْبَل : مُفْعَلٌ من أسبَل المطرُ : إذا هَطَل ، أو مِن أسبلَ إزارَه : إذا أرخاه ، فكأنَّ السَّحابَ قد أُسْبِل على الأرض ، كما يُسبَل الإزارُ .

---

(١) هذا قول الفراء ، كما صرح المصنف في النهاية . وانظر إصلاح المنطق ص ١٤٩ ، ٣١٩ .

(٢) ضبطت اللام في الأصل بالفتح ، وكذلك الراء في « مطر » ، على أنهما فعلان ماضيان . والصواب أن يكونا بالضم مع التنوين ، على الاسمية ، ويجريان مجرى قولهم في المبالغة : شعرٌ شاعر . راجع اللسان (سبل) . ومثله : موتٌ مائتٌ، وهَمَجٌ هامِجٌ .

والمُجَلِّل : الذي يستُرُ الأرضَ بالماءِ ، والنَّباتِ الذي يَنبُت عنه كأنه يكسوها به . ويُروى بفتح اللام الأولى على المفعول .

والدائم : الذى لاينقطع . ويروى : « دِيَماً » جمع دِيمَةٍ ، وهو المطرُ الذى يدومُ في سُكون .

والدِّرَرُ : جمع الدِّرَّة ، وهي المطرُ ، ودِرَّةُ السَّحابِ : صَبِّه .

والرَّائِثُ : البطيءُ . يقال : راثَ علينا فلانٌ : إذا أبطأ .

والبلاغُ : مايُبلَغُ به الغَرَضُ .

والحاضِرُ : أهل المُدن . والبادي : أهلُ البَدْو . أي يكون عامًّا لايَخُصُّ أحداً . والأصل في البادِ : البادي ، فحذفَ الياء للوقف ، ولمزاوجة البلاد والعِباد .

وحياةُ الأرض وزِينتُها : كنايةٌ عن النَّبات ، واختلافِ ألوانِه وخِلَقِه .

والسُّكْنُ ، بضم السِّين وسكون الكاف : القُوتُ الذي يُسْكَنُ به في البلاد ، بمنزلة النُّزْل ، وهو طعامُ القومِ الذى يَنْزلون عليه [للمَضيف] (١) .

ويُروى بفتح السِّين والكاف ، وهو غِياثُ أهلِها الذي تَسكُن أنفسُهم إليه .

والطَّهُور : الماء المُطَهِّر المُبالغ في الطَّهارة ؛ لأن فَعُولاً من أبنية المبالغة ، وهو في الشَّرع : المستعمَلُ في رفع الحَدَث وإزالةِ النَّجَس .

---

(١) ألحق بهامش الأصل ، بخط الناسخ نفسه ، ولم يرد في النهاية .

والأنعام والنَّعَم : الإبل الراعية ، وأكثَرُ مايُطلق على الإبل .
والأنعامُ : يُذكَّرُ ويؤنَّث ، والنَّعَم يذكَّر ولا يُؤَنَّثُ . وقيل : هو واحد الأنعام .
والأناسِيّ : جمع إنسانٍ ، والياء فيه عِوَضٌ من النُّون ، وقيل : هو جمعُ إنْسِيٍّ .
والقَزَعُ : جمع قَزَعَةٍ ، بفتح الزاى ، وهي القِطَعُ المتفرّقة من السَّحاب .
والسُّبُل : جمع سَبِيلٍ ، وهي الطَّريق ، وتذكَّر وتؤنَّث .
والنَّواجذ : أقصى الأسنان ، وقيل : هى الضَّواحك .
وقوله : « حَوالَيْنا ولا علَينا » في موضع نصب على الظَّرف ، أو على المفعول .
والظِّراب : جمع ظَرِبٍ ، بكسر الراء ، وهو الجُبَيْل الصَّغير .
والآكام ، بالمدّ : جمعُ إكامٍ ، والإكام : جمع أَكَمَةٍ [١] وهي الرَّابية.
والتَّصدُّع : التفرُّق والتَّشقُّق . والضمير في « كانت » و « عليها » للمدينة .
والفُسطاط ، بالضمّ والكسر : الخَيْمة الكبيرة والسُّرادِق . أي حتى كانت المدينة في مِثل التُّرْس ، من الصَّحْو وسْطَ السَّحاب ، والسَّحابُ عليها كالفُسطاط .

---

(١) قال الفيومي في المصباح : الأكمة : تل ، والجمع : أكم وأكمات ، مثل قصبة وقصب وقصبات ، وجمع الأكم : إكام ، مثل جبل وجبال ، وجمع الإكام : أكم ، بضمتين ، مثل كتاب وكتب ، وجمع الأكم : آكام ، مثل عنق وأعناق .

والأَطِيطُ : حنينُ الناقة وصِياحها . يريد : مالنا بَعيرٌ أصلاً ، لأن البعيرَ لابدَّ أن يَئِطَّ ، ويجوز أن يريدَ به المبالغة فى ضَعْفِ الإبل وهُزالِها ، وأنها بحالٍ تَعْجِزُ فيها عن الصِّياح والحنين . ويستعمل هذا اللفظُ للتأبيد ، يقال : لاأفعلُ كذا ما أَطَّتِ (١) الإبلُ .

والاصطِباح : شُرْبُ الصَّبُوح ، وهو مايُشرَبُ من اللَّبن وغيره بالغَداة ، أي ليس عندنا لبنٌ بقَدْر مايَصطبحه صبيٌّ .

والعذراءُ : البِكْر من النِّساء .

واللَّبان ، بالفتح : الصَّدْرُ .

ويَدْمَى : يَظْهَر دمُه عليه ، يقال : دَميَ العُضوُ يَدْمَى فهو دامٍ . يريد أنها من كثرة امتهانِها نفسَها في الخِدمة وماعندهم من الجَدْب والضِّيق ، قد دَمِيَ صدرُها ، لأنها لاتجدُ ماتُعطِي مَن تكفيها الخِدمة . وأصلُ اللَّبان للفرَس ، فاستُعير للإنسان .

وبعضهم يرويه : « تَدْمَى لَبانُها » بالتاء ، على نحو قراءة من قرأ : (٢) ﴿ تَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ لإضافة البعض إلى السَّيَّارة ، وهي مؤنَّث ، ولَبانُ المرأةِ بعضُها ، فأنَّث لذلك . هكذا فُسِّر ، وأحسنُ منه ــ إن صحَّت الرِّواية ــ أن يقال : إنّ قوله : « تَدْمَى » راجعٌ إلى العذراء . أراد أنَّ بدنَها قد دَمِيَ ، ثم استدرك فأبدل اللَّبانَ من البَدَن ، بدلَ البعض من الكُلِّ ، فقال : « لبانُها » بعد أن أطلق الفِعل المؤنَّث بالتاء .

---

(١) ومن أمثالهم : « لاآتيك ماأطَّت الإبل » ذكره المصنف في النهاية ،وهو في مجمع الأمثال ٢ / ٢١٩ .

(٢) الآية العاشرة من سورة يوسف ، وبقراءة التأنيث هذه قرأ الحسن البصري وقتادة وابن أبي عبلة . راجع تفسير الطبري ١٥ / ٥٦٧ ، وزاد المسير ٤ / ١٨٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ص ٢٦٢ .

وقوله : « شُغِلت أمُّ الصبيّ عن الطِّفل » أي شُغِلت عن ولدها بما هي فيه من شدّة الزمان وصعوبة الحال . والطِّفلُ : هو الصبيُّ ،كأنه قال : شُغِلت أمّ الصبيّ عنه ، فأقام المُظهر مقام المُضمر ، وخالَف بين اللفظين لأمرين : أحدهما ليتغايرَ اللفظُ ولايتكرّر ، والثانى : أن الصبيَّ يُطلَق على الطِّفل وغير الطِّفل ، فلما قال : « وقد شُغلت أُمُّ الصبيِّ » جاء بالطِّفل ليُحقّقَ صِغرَه ،حيث هو أحْوَجُ إلى الأُمّ ، لطفولته ، من الصبيّ غير الطِّفل .

والاستِكانة : الذُّلّ والخُضوع ، وهي افتِعالة من السُّكون ، وأكثر ما تُروى بقَطْع الهمزة ،وإنما هي همزة وصلٍ ، فَعل ذلك لضرورة الشّعر ، كقوله [١] :

ألا لا أرى إثنين أحسنَ شِيمةً　　على حَدَثان الدَّهرِ مني ومِن جُمْلِ

فقطع همزة « اثنين » .

والفَتَى : الشابُّ الحَدَثُ ، وهو أقوىَ وأصبْرُ على الشَّقاء . ومنهم من يرويه [٢] : « الفَتِيُّ » بالتشديد ، ويُقرُّ همزةَ الوصل بحالها ، تشبيهاً بالفَتِيّ من الإبل ، وهو الشابُّ القويّ .

وقوله : « مايُمِرُّ ومايُحْلِي » أي مايتكلّم بمُرٍّ من الكلام ولا حُلْوٍ ، من الجُوع والضَّعف . والإلقاءُ بالكفِّ : كِناية عن الاستسلام والانقِياد للعَجْز ، كقوله تعالى : [٣] ﴿ وَلَاتُلْقُوا بأَيْدِيكُمْ إلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ .

---

(١) جميل بن معمر . والبيت مفرد في ديوانه ص ١٨٢ ، وتخريجه فيه ، ويزاد عليه : المحتسب ١ / ٢٤٨ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٩ / ١٩ .

(٢) ورواية ديوان لبيد : * وألقى تَكَنِّيه الشجاعُ استكانة * .

(٣) سورة البقرة ١٩٥ .

والحَنْظَلُ العاميُّ : منسوبٌ إلى العامِ ، وهو الجَدْب ، كما يقال له : السَّنَةُ أيضاً ، يقال : أصابَنا عامٌ ، وأصابتنا سنةٌ : أي قَحْطٌ وجَدْب . ويريد به الهَبِيدَ الذي يُتَّخَذ من الحَنْظَل للأكل في المجاعة .

والعِلْهِز ، بكسر العين والهاء : شيءٌ كانوا يدَّخِرُونه لعام الجَدْب من الدَّم وأوبارِ الإبل ،ثم يعالجونه بالنار ويأكلونه . وقيل : هو قِرْدانٌ ودَمٌ يُعالَجان بالنار . وقيل: هو شيء يَنبُت ببلاد بني سُلَيم (١) .

والفَشْلُ ، بالشين (٢) : الضَّعيف . المعنى : الفَشْلُ آكِلُه ومُدَّخِرُه ، فصرُف الوصفُ إلى العِلْهِز ، وهو لصاحبه كقوله تعالى : (٣) ﴿ فكَأَيِّن مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُهَا وَهِيَ ظَالِمةٌ ﴾ أي ظالِمٌ أهلُها . ويُروى بالسِّين ، وهو الشيءُ الرَّديءُ الرَّذْلُ .

والرُّسْلُ : جمع رسُولٍ ، والأصل : رُسُلٌ ، بالضم ، فخُفِّف (٤) .

وقوله : « وكذلك تُخْرَجون » عَقِيبَ الدعاء . يجوز أن يكون تلفَّظ به حيث قال : « وتُحيي به الأرضَ بعد موتها » فأراد به تمام قراءة

---

(١) زاد في النهاية : له أصل كأصل البردى .

(٢) هكذا قدم رواية الشين المعجمة ، مع أنه جاء في الشعر هناك بالسين المهملة .

(٣) سورة الحج ٤٥ ، وقوله : « أهلكتها » جاءت هكذا فى الأصل بالتاء على التوحيد ، وهى قراءة أبى عمرو ، وقرأ باقى القراء : « أهلكناها » بالنون والألف . راجع الكشف ٢ / ١٢١ ، وزاد المسير ٥ /٤٣٨ .

(٤) المراد بالتخفيف هنا التسكين ، وهو يقال في مقابلة التثقيل الذي يراد به تحريك الحرف بأحد الحركات الثلاث .

الآية (١) ، ويجوز أن يكون أراد به مخاطبةَ الصحابة وإعلامَهم أن الله تَعالى كما يُحيي الأرض بعد موتِها بالمطر ، كذلك يُحيي الخلق بعد الموت ، فقطع الدعاء ثم خاطَبَهم بذلك .

وقوله : « حتى التقت السماءُ بأرواقها » يريد بالسماء ها هنا السحاب . أي التقت بجميع مافيها من الماء . والأرواق : الأثقال ، كأنه قال : التقت السماءُ بمائها الكثير المُثقِل للسحاب . وقيل : أراد بأرواقها : مياهَها الصافيةَ ، مِن راق الماءُ : إذا صفا ، ويجوز أن يريد بالسماء السماءَ الحقيقيّة ، لا السحابَ ، لأن المطرَ إنما يجيء من جهة السماء .

وفي رواية : « حتى إذا ألقت السماءُ بأرواقها » من الإلقاء ، والباء زائدة .

وأهل البِطانة : هم الذين كانوا يَنزِلون حَوالَى المدينة . كذا فُسِّر (٢) .

وقوله : « الغَرَقَ » منصوب بفعل مضمر . أي نخافُ الغرقَ ونحذَرُه ، وتكريره تنبيهٌ على شدّة الأمر .

وانْجابَ السَّحابُ : أي ذهب وانكشف . وقيل : تَقَبَّضَ واجتمع ، وهو مطاوعُ جاب : إذا قَطَع وخَرَق .

والإكليل : العِصابةُ التي تُعمل على الرأس كالتاج ، أي صار السحابُ حولَ المدينة كالإكليل حول الرأس .

---

(١) راجع الآية ١٩ من سورة الروم .

(٢) وهو تفسير ابن الأنباري ، على مافي الغريبين ١ / ١٨٢.

والإحداقُ : الإحاطة بالشيء .

وقوله : « لله أبو طالب » يعني عمَّه ، وهي كلمةٌ تقال في مَعْرِض التعجُّب من الشيء والاستحسان له والارتضاء ، وهم أبداً يَنْسُبُون كلَّ ماكان من هذا القَبِيل إلى الله تعالى ويضيفونه إليه ، فيقولون : لله أنت ، ولله أبوك ! ولله دَرُّك ! : أي إنك خالصٌ لله مختصٌّ به دونَ غيرك ، وأنت مِلْكٌ له دون غيره ، فلله خبرٌ ، وأنت مبتدأٌ ، ولهذا التخصيص قُدّم الخبرُ على المبتدأ .

وقوله : « قَرَّتْ عيناه » أي بَردَتْ دَمْعَتُها ؛ لأنّ دمعَ السُّرور باردٌ ، ودمعَ الحُزنِ حارٌّ . وقيل : معناه : أدْرَكتا مأمُولَهما ، بحيث تَقِرُّ وتَرْضَى به ولا تطَّلعُ إلى غيره .

والغَمامُ : السَّحاب ، واحدتُه غَمامة .

والثِّمالُ : المُطعِم ، يقال : ثَمَلهم يَثْمِلُهُم (١) : إذا أطعمهم . وقيل : هو مُعتَمدُ القوم . وقيل : الغِياث والمَلْجأ .

واليتامى : جمع يتيمٍ ويتيمة ، وهما من الناس : الذي مات أبوه وهو صبيٌّ .

والأرامل : جمع أَرْمَلٍ وأرمَلَة ، وهما الذي لازوجةَ له ، والتي لا زوجَ لها .

---

(١) بكسر الميم وضمها ، كما في القاموس .

والعِصمةُ : المَنْعةُ (١) والحماية . أي إنه حامٍ للأرامل ، مانعٌ من ظُلمهم .

وقوله : « يُستَسْقى الغَمامُ بوجهه » أي بجاهه وحُرْمَتِه ، فاستعار الوَجْهَ له .

وقوله : « يلوذ به الهُلَّاك » أي يلتجىء إليه الهَلْكَى من آل هاشم . والهُلَّاك : جمع هالِك ، ككاتب وكُتَّاب .

ويُبْزَى : يُقْهَر ويُغْلَب . يقال : بَزَى عليه وأبْزَى به : إذا غَلَبه وقَهَره .

وفى رواية :

كَذبْتُم وبيتِ الله يُقْتَلُ أحمدٌ

والمُناضلَة : المُقاتلةُ والمُدافَعَةُ ، وأصله من النِّضال : الرَّمي بالسَّهام . يقال : ناضَلْتُه فنضَلْتُه ، أي راميتُه فغلبتُه ، وفلانٌ يُناضل عن فلان : إذا تكلَّم بعُذْره .

وجَرَّ « نناضل » للإطلاق والوزن ، وأصله الجزمُ عطفاً على « نُقاتِل » .

---

(١) بسكون النون ، كما ضبط في الأصل . وفي اللسان والقاموس : العصمة : المنع . وفي ترجمة (عصم) من النهاية واللسان ضبطت المنعة بفتح النون ، ضبط قلم . أما في ترجمة (منع) فقد ضبطها المصنف بالسكون . وهذه عبارته ، قال رحمه الله : « وفيه : « سيعوذ بهذا البيت قوم ليست لهم منعة » أي قوة تمنع من يريدهم بسوء . وقد تفتح النون . وقيل : هي بالفتح جمع مانع ، مثل كافر وكفرة » .

وتقدير البيت : كذبتم وبيتِ الله أن يُغلَبَ محمدٌ ولم نُقاتِلْ دونَه وندفَعْ عنه [١] .

ونصب « نُسلِمَه » على القطعِ ممّا قبله ، كقوله تعالى : [٢] ﴿ ولَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الّذينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ . ولو لم يقطعْه لكسره ، وحقيقة نصبه بإضمار « أن » بعدَ واو الجمع [٣] ، كقولهم : لاتأكلِ [٤] السمكَ وتشربَ اللَّبنَ .

ونُصرَّع : أي نُقْتل ونُرْمَى على الأرض .

والذُّهول : الغَفلَةُ والنِّسيان .

والحَلائِلُ : الزَّوجات ، واحدتهنَّ حَلِيلة ، والرجُلُ : حَليلُ امرأتِه .

والضمير فى قوله : « دعوةً إليه » . راجعٌ إلى الاستسقاء . أي دعا الله تعالى إلى إنزال الغيث .

ويُروى : « دعوةً أُجِيبَتْ » .

وأشخص بصَره : إذا رفَعه إلى السماء .

وقوله : « كالِقا الرداء » قصر « الإلقاء » لضرورة الشِّعر .

والدِّرَر : جمع دِرَّةِ المطر .

شبَّه سُرعةَ الإجابة بسرعة إلقاء الرجل رداءَه عن عاتقه .

والدُّفاق ، بالضم : المطرُ الواسع المتدفِّق .

---

(١) قدره في النهاية على حذف « لا » قال : أراد : لايبزى ، فحذف « لا » من جواب القسم ، وهي مرادة ، أي لايقهر ولم نقاتل عنه وندافع .

(٢) سورة آل عمران ١٤٢ .

(٣) يعني واو المعية .

(٤) هذا من الشواهد النحوية السيارة . راجعه في الكتاب ٣ / ٤٢ ، وشرح المفصل ٧ / ٣٤ .

والعزائِلُ : مقلوب العَزالِي ، جمع عَزْلاء ، وهي فَمُ المزادة من أسفلها الذي يخرج منه الماءُ ، وربّما رُوي البيتُ : « العَزالِي » شبَّه مايُمطِر من السحاب بما يتدفق من فم المَزادة .

والجَمُّ : الكثير .

والبُعاق ، بالضمّ : المطرُ العظِيم الذي يتصبَّب بشدَّة ، وقد انْبَعَق ، وتَبَعَّق .

وقوله : « به الله يَسْقِي » هكذا يُرْوى ، وهو زحافٌ في البيت ، يحتاجُ أن تُحرَّكَ الياء لِيَتَّزن ، وبعضهم يرويه :

* به الله أنزلَ صوبَ الغَمامِ *

والصَّوْبُ : نُزولُ المطر .

والعُلْيا : تأنيث الأعلى .

والغُرَر : جمع غُرَّة ، وهي النَّفِيسُ من كلِّ شيء .

وقوله : « أبيض ذو غُرَر » حكاية قولِ أبي طالب :

* وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِهِ *

والعِيان : الحاضِر المُشاهَد .

والغِيَرُ : الحوادث وتغيُّر الحال . أي : ومَن يكفُرْ نعمةَ الله يُغَيِّرْ حالَه .

وقوله : « فلم يكُ » و « وإن يكُ شاعرٌ » حذْفُ النون فيها تخفيفٌ ؛ لكثرة جَرْيها على اللِّسان ، فإن المحذوف منها للجزم هو الواو فى « يكون » دون النون (١) .

---

(١) بحاشية الأصل : بلغت القراءة على مصنفه إلى هنا ، والحمد لله وحده .

حَدِيثُ لقمَان بن عَاد

أنه خطب امرأةً قد خطبها إخوتُه قبلَه ، فقالوا : بئس ما صَنَعْتَ ! خطبتَ امرأةً خطبْناها قبلك .

وكانوا سبعةً وهو ثامنهم ، فصالحهم على أن يَنْعَتَ لها نفسَه وإخوتَه بصِدْق ، وتختار أَيَّهم شاءت .

فقال : خُذِي منيِّ أخي ذا البَجَل ، إذا رعَى القومُ غَفَل ، وإذا سَعَى القومُ نَسَل ، وإذا كان الشأنُ اتَّكَل ، قريبٌ مِن نَضِيج ، بعيدٌ مِن نيِء . فلَحْياً لصاحبنا لَحْياً .

فقالت : عِيالٌ لا أُرِيدُه .

ثم قال : خُذِي منِّي أخي ذا البَجْلَة ، يحملُ ثِقَلي وثِقْلَه ، ويَخْصِف نَعْلي ونَعْلَه ، وإذا جاء يومُه قُدِّمْتُ قَبْلَه .

فقالت : خادِمٌ لا أُريدُه .

ثم قال : خُذِي منّي أخي ذا العِفاق ، صَفَّاقٌ أفَّاق ، يُعمِل الناقةَ والسَّاق .

فقالت : فَيْجٌ لا أُريده .

ثم قال : خُذِي منِّي أخي ذا النَّمِر ، حَيِيٌّ خَفِر ، شُجاعٌ ظَفِر ، أعجبني، وهو خيرٌ من ذلك إذا سَكِر .

فقالت : يشرَبُ الخمرَ ، لاأُريدُه .

ثم قال : خُذِى منّى أخي ذا الأَسَد ، جوَّابُ ليلٍ سَرْمَد ، وبَحْرٌ ذو زَبَد .

فقالت : سارقٌ لا أُريدُه .

ثم قال : خُذي منّي أخي ذا الحُمَمَة ، يَهَبُ البَكْرَةَ السَّنِمَة ، والمائةَ البَقَرةِ العَمَمة ، والمائةَ الضائِنَةِ الزَّنِمَة ، وإذا أَتَتْ على عادٍ ليلةٌ مُظْلِمَة رَتَبَ رُتُوبَ الكَعْب ، ووَلَّاهم شُزُنَه ، وقال : اكفُوني المَيْمَنَة ، سأكفِيكم المَشأَمَة ، وليست فيه لَعْثَمةٌ ، إلا أنه ابنُ أَمَة .

قالت أُمُّ حبيبة ــ ورسولُ الله ﷺ يُحدِّث حديثَهم :ــ أأَخَذَتْ هذا يارسولَ الله ؟ قال : رُوَيْدَكِ ؛ فإني لم أفرُغْ من حديثهم .

فقالت ــ يعنى المرأة ــ : مُسْرِفٌ عَبْدٌ ، لا أُرِيدُه .

ثم قال : خُذِي منّى أخي حُزَيْنا ، أوَّلُنا إذا غَدَوْنا ، وآخِرُنا إذا اسْتَنْجَيْنا ، وعِصْمةُ أبنائنا إذا شَتَوْنا ، وفاصِلُ خُطَّةٍ أعْيَت عَلَيْنا ، ولايَعُدُّ فَضْلَه لَدَيْنا .

قالت أمُّ حَبِيبة ــ ورسول الله ﷺ يُحَدِّثُ حديثَهم ــ: أأخَذَتْ هذا يارسول الله ؟ فقال : رُويدَكِ ؛ فإني لم أفرُغْ من حديثهم بعدُ .

ثم قال : أنا لُقمان بن عاد ، لعاديةٍ وعاد [١]، إذا انضَجَعْتُ لا أَجْلَنْظي ، ولا تَملأُ رِئَتي جَنْبِي ، إن أَرَمَطْمَعي فَحِدَأٌ تَلَمَّع ، وإن لا أرَ مَطْمَعي فوَقَّاعٌ بِصُلَّع .

---

(١) كتب فوقها في الأصل : «لعاد » . وهي رواية ابن قتيبة ، وسيشير إليها المصنف في الشرح .

أخرجه ابنُ قُتيبة [١] ، عن يزيد بن عمرو بن البَراء الغَنَوِيّ ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه .

قال عُروةُ : فبلغَنا أنها تَزوَّجَتْ حُزَيْناً ، وأسقط منه أجوبتها في كلّ واحد . وأخرجه الزمخشري [٢]وغيرُهُ بذكر الأجوبة ، وأسقط منها حديثَ أُمّ حَبِيبة وجوابَها .

شرحه

لُقْمان بن عاد [٣]: هو من أولاد عادٍ الأكبر ، قوم هُود النبيِّ عليه السلام ، وهو صاحب النُّسُور السَّبعة التي عُمِّر بقَدْر آجالِها .

وخَطَب الرجلُ المرأةَ يَخْطُبها خِطْبَةً ، بالكسر : إذا طَلَب نِكاحَها ، والتَّزوُّجَ بها .

وبِئسَ : فعلٌ غير مُتصرِّف ، موضوعٌ للمُبالغة في الذَّمّ ، وهو نقيض « نِعْم » في المدح .

وقوله : « سبعةٌ هو ثامِنُهم » أي كَمُلوا به ثمانية ، كأنه هو جعلهم ثمانية .

---

(١) غريب الحديث ١ / ٥١٤ ــ ٥٢٩ .

(٢) الفائق ١ / ٧٤ ــ ٧٨ .

(٣) لقمان هذا : هو لقمان بن عاد بن ملطاط ، من بني وائل ، من حمير ، معمر جاهلي قديم ، من ملوك حمير في اليمن ، يلقب بالرائش الأكبر ، زعم أصحاب الأساطير أنه عاش عمر سبعة نسور ، عاش كل نسر منها ثمانين عاماً ، وكان من بقية عاد الأولى ، وهو غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم . انظر المعمرين لأبي حاتم ص ٤ ، والروض الأنف ١ / ٢٦٦ ، والأعلام للزركلي ٦ / ١٠٨ .

وذو البَجَل : ذو الضَّخامة ، يقال : رجلٌ بَجيلٌ وبَجالٌ ، كعَقِيم وعَقامٍ [١] . وقيل : هو من قولك : بَجَلي هذا : أي حَسْبِي ، المعني أنه قصيرُ [٢]الهِمَّة ، يقتصر على الأَدْنَى ، فإذا ظَفِر به قال : حَسْبِي وكِفايتي .

وقوله : « إذا رعَى القومُ غَفَل » أي إذا اهتمُّوا برِعاية بعضِهم بعضاً ، أو برعاية أموالهم [٣] ، لم يهتمَّ بشيء من ذلك ، وكان غافِلاً عنه .

وقال القُتيبيّ : لم يُرِدْ رِعْيةَ الغَنَم ، وإنما أراد : إذا تَحافظَ القومُ الشيءَ يخافُونه غَفَلَ ، ومنه قولهم : رعاك الله ، أي حَفِظَكَ .

وقوله : « إذا سَعَى القومُ نَسَلَ » أي إذا بذلُوا وُسْعَهم في السَّعْى ونَهَضُوا فيما ينفعهم ، وأسرعوا فيما يُنْجيهم ، نَسَل هو مِن بينهم ، أي خرج وكان بِمَعْزِلٍ ، وتباطأ عنهم ، مِن النَّسَلان ، وهو مُقاربةُ الخَطْوِ مع الإسراع . والنَّسَلانُ أيضاً : مَشْيُ الذِّئب إذَا بادَر إلى شيء .

والشَّأْنُ : الحالُ والخَطْبُ ، والأمْرُ المُهِمّ .

والاتِّكال : اعتمادُ الإنسان على غيره في كفاية مَهامِّه ، لعجزه وكَسَله عن تَولِّيها بنفسه .

والنَّضِيج : ضدّ النِّيء من الطَّعام . يُريد أنه لازِمٌ لبيته ، لايصيدُ ولايغزو ، فيأكل اللحمَ الذي لم يَنْضج . ويَحتمل أنه ليس بجَلْدٍ يخدُم

---

(١) هذا قول الأصمعي ، رواه عنه ابن قتيبة .

(٢) وهذا تفسير أبي عبيدة . على مافي الغريبين ١ / ١٣١ .

(٣) المراد بالأموال هنا : الإبل .

أصحابَه ويطبخ لهم ، ولكنه متكاسلٌ عن معاونتهم ، وإذا قدَّموا الطَّعام أَكَل ، فهو بعيدٌ عن النِّيء وطبخِه ، قريبٌ من النَّضيج وأَكْلِه .

وقوله : « فَلْحياً لصاحبنا لَحْياً » يقال : لَحَوْتُ الرجلَ ولَحْيتُه : إذا عَذَلْتَه ولُمْتَه ، وأصله من لَحْوتُ العُودَ : إذا أخذتَ لِحاءَه ، وهو قِشْرُه . ونَصْبُه على المصدر ، وتكراره للتأكيد ، وأكثر مايقال في الدُّعاء والذَّمّ .

والبَجْلَةُ بسكون الجيم : الهيئة الحسنة ، كأنه الذي له من الرُّواء وحُسنِ المنظَرِ مايُبَجَّل لأجلهِ ويُكرَّم . يقال : بَجَّلْتُ فلانا : إذا عظمته .

وخَصْفُ النَّعْل : خَرْزها وإصلاحُها .

وقوله : « إذا جاء يومُه قُدِّمْتُ قَبْلَه » أي إذا كان يومُ وفاته تمنَّى أن يموتَ قبلَه ويَفْدِيَه بنفسِه .

والعِفاق : مِن عَفَق يَعْفِق : إذا أسرع في الذهاب . والعَفْقُ : العَطْفُ والحَلَبُ أيضاً .

والصَّفَّاق : الذي يَصفِق على الأمر العظيم ، ويَضرِب عليه . وقيل : هو مِن الصُّفْقِ : الجانبِ ، يقال : جاء أهلُ ذلك الصُّفْق : أي الصُّقْع .

والأَفَّاق : هو الذي يأتي آفاق الأرض . أي إنه كثير السَّفَر في نَواحي الأرض وأطرافها . وقيل : الصَّفْق والأَفْق متقاربان . أي إنه كثير التصرُّف في الأمور .

والإعمالُ : الحَثُّ على الشيء ، والحملُ على العَمل . أي إنه يركبُ في أسفارِه ومَهامِّه تارةً ، ويمشي فيها تارةً ، فهو جَلْدٌ كامِلٌ في الأمرين .

والفَيْجُ : الرسولُ الذي يأتي بالأخبار والكتب ، فارسيٌّ مُعَرَّب [١] . ويجوز أن يكون من الإفاجة : الإسراعِ والعَدْو ؛ لأن الفَيجَ من شرطه أن يكون مُسْرِعاً في سيره .

والنَّمِر : الحيوانُ المعروف ، وهو موصوفٌ بالشهامة والحِدَّة .

والخَفِرُ : الشَّديدُ الحياء ،و قد خَفِرت المرأةُ تَخْفَرُ خَفَراً . جَمَع له في الصِّفة بين الحِدَّة والحياء .

والظَّفِر : الذي يَظفَرُ بالأمور ويُدرِكها وينالُها .

وقولُه : « ذا الأَسَدِ » أي ذا القُوَّة الأسديَّة و الأَسَدُ : ها هنا مصدرٌ ، بمعنى اسْتأْسَدَ ، يقال : أسِدَ يأسَدُ أسَداً .

والجَوَّاب : مِن جاب الأرضَ يَجُوبُها : إذا قطَعها سَيْراً . وأصْلُ الجَوْب : القَطْعُ والخَرْق .

والسَّرْمَد : الدَّائمُ المستمِرُّ ، وإنما جعلَ الليلَ سَرْمداً لطُولِه ، وتشبيهاً بالشيء الذي لاينقضي ، يريدُ أنه يدورُ الليلَ كلَّه على طوله ، لاينام فيه ، لجُرأته وهِمَّته .

والحُمَمَة : الفَحْمة ، وجمعها : حُمَمٌ ، كأنه [٢] يريدُ به سوادَ شعَرِه ، أو لونِه .

والبَكْرة : الناقة الفَتيَّةُ الشابَّة .

والسَّنِمَةُ : العظيمةُ السَّنام .

---

(١) راجع المعرب للجواليقي ص ٢٩١ .

(٢) في الأصل : « كأنها تريد » ،وأصلحته كما ترى ، فإن الواصف هو لقمان ، وجاء فى النهاية على الصواب . قال : أراد سواد لونه .

والعَمَمةُ ، بفتح العين والميم : التامَّةُ الخَلْق . وفي كتاب القُتَيْبِيّ : « العَمِمَة » بكسر الميم ، فإن صَحّ فيكون محذوفاً ، من العَمِيم ، وهو التامُّ من كل شيء .

وقوله : « المائة البقرة » و « المائة الضائنة » بتعريف « المائة » مع الإضافة ، ممّا لايُجيزه نُحاة البصرة ، وإنما يقولون : أخذتُ مائة الدِّرهم ، لاغير ، لأن الألف واللام لايجتمعان مع الإضافة ، وأجاز ذلك نُحاةُ الكوفة ، في العَدَد خاصة .

والضائنة : واحدة الضأن من الغَنَم .

والزَّنِمَةُ ، بكسر النون : ذات الزَّنَمَة ، بفتحها ، وهوشيىء يُقْطَع من أذن الشاة ويُتْرَك معلَّقاً بها ، لايُفْصَل عنها . ويروى : « الزَّلِمة » باللام ، وهو بمعناه .

والرُّتُوبُ : الثُّبوتُ ، أي ثَبَت ثُبوتَ الكَعْبِ ، وقيل : رُتُوبه : انتصابُه إذا ألقيتَه إلى الأرض .

وقوله : « ولّاهُم شُزُنَه » أي ولّاهُم جانِبه ، ووقاهم بنفسِه ، إذا دَهِمهُم [١]الأمرُ الشَّديد ، يقال : شُزُنٌ وشَزَنٌ ، بضمَّتين وفتحتين .

والمَشْأَمة : المَيْسَرة ، ضِدّ الميمنة .

واللَّعْثَمة : التَّوقُّف عن الشيء حتى يُفكِّرَ فيه . أي إنه ليس في صفاته التي تُوجب تقديمَه توقُّفٌ وتَردُّدٌ ، إلا أنه ابن أَمَةٍ ، فهذا عيبه لاغيرُ .

---

(١) بكسر الهاء ، كما ضبط في الأصل ، وهو من باب تعب ، كما في المصباح ، قال الفيومي : وفي لغة من باب نفع .

وقوله : « وأوَّلُنا إذا غَدَوْنا » أي إنه يُبادِرنا إذا نحن خَرَجْنا لِمُهِمٍّ من الأمر فيكون أوَّلَنا ، وإذا ولَّيْنا أو انْهَزَمْنا كان آخِرَنا ؛ ليحميَنا ويقيَنا بنفسه ممّن يَتْبَعُنا .

واستَنْجَيْنا : من النَّجاء : الإسراع ، يقال : نجوتُ واستنجَيْتُ بمعنىً .

وعِصمةُ أبنائنا إذا شَتَوْنا : أي الذى نعتصم به ونلتجىء إليه في حال الجَدْب وعندَ الشِّدَّة ، من الجوع والبرد والبؤس . وإنما خَصَّ الأبناء ، وأراد بهم الأطفال ، لأنهم إذا تعذَّر عليهم قُوتُ الطِّفل فذلك غايةُ الجَهْد وكَلَبُ الزمان .

وقوله : « وفاصلُ خُطَّةٍ أعْيَتْ علينا » أي إذا وقَعَتْ بنا مُعْضِلةٌ قام بها دونَنا ، أو مشكلة عَرَّفها وبيَّنها . والخُطَّة : الحالة الصَّعبة .

وأعياه الأمرُ يُعْيِيه : إذا أعجَزَه ، وأشْكَل عليه ، فلم يَهْتدِ لوجهه .

وقوله : « لا يَعُدُّ فضلَه لدينا » أي لايُعَدِّدُ إحسانَه ، ويَمُنُّ به علينا .

وقوله : « لِعاديةٍ وعادٍ » العاديةُ : خيلٌ تَعْدُو ورجالٌ يَعْدُون ، والعادي : الواحد منهم . أي أنا لِجماعةٍ وواحدٍ ، يعنى أن مقاومته للجماعة والواحد واحدةٌ ، لاتتفاوت لشدّة بأسه ، وقُوّةِ بطشه .

وفي كتاب القُتَيبيّ : « لعاديةٍ لعادٍ » بتكرير اللام ، أي أنا لهذا ، أنا لهذا ، وعَدَّده من غير واو عَطْف .

والانضجاعُ : مطاوع أَضْجَعَ ، يقال : أضجعْتُه فانْضَجَع ، وضَجَع الرجلُ : أي وضَع جَنْبَه بالأرض ، وهذه المُطاوَعةُ قليلة فى الرُّباعىّ ، قالوا : أزعجتهُ فانْزَعَج ، وأطلَقْتُه فانْطَلَق ، وحَقُّ انْفَعَلَ أن يُطاوِعَ فَعَل ، نحو ضَرَبْتُه فانْضَرَب ، وإنما فُعِل ذلك على إنابه أَفْعَلَ مَنابَ فَعَلَ (١) .

والاجْلِنْظاء : الاستلقاءُ ورفعُ الرِّجلين . يقال : اجْلَنْظأتُ ، واجْلَنْظَيتُ . أي إنه ينام على جَنْبه مُسْتَوْفِزاً ، لايتمكَّن من الانبطاح على الأرض والتَّمدُّد .

وقوله : « لا تملأ رِئتى جَنْبِي » أي لست بجَبانٍ تنتفِخُ رِئَتي من الخوفِ حتى تملأَ جَنْبي .

والحِدَأُ : جمع حِدأةٍ ، وهي الطائر المعروف ، من الجوارحِ .

وتَلَمَّعُ : تَخْفِقُ بجَناحَيْها . أى إن رأيتُ شيئاً أطمعُ فيه انقضضتُ عليه ، كما تَنْقَضُّ الحِدَأُ .

ويُروى : « فَحِدَوٌّ تَلَمَّع » والحِدَوُّ : الحِدَأُ بلغة أهل مكَّة ، يقلبون الهمزة في الوقف أَلِفاً ، ثم يقلبونها واواً ، وقد أَجرى هاهنا الوصلَ مجرى الوَقْف .

والتَّلَمُّع : تَفَعُّلٌ من اللُّمُوع . ويروى : « تَلْمَعُ » بالتخفيف ، يقال : لَمَعْتُ بثَوْبِى : إذا حَرّكْتَه وأشرْتَ به إلى شيء ، وألمعتُ بالشيء : إذا اختَلَسْتَه .

---

(١) هذا مسلوخ من كلام الزمخشرى في الفائق .

والصُّلَّعُ : الحَجَرُ الأَمْلَسُ ،وقيل : الموضع الذى لايُنْبتُ ، مِن صَلَعِ الرأس . أراد أن عيشَه عَيْشُ الصَّعاليك ، إن ظَفِر بشيء أَخَذَه ، وإلَّا فهو مُوَطِّنٌ نَفْسه على معاناة خُشونِه الحال ، وشدَّةِ العَيْش ، فإذا لم يرَ شيئاً لم يبرح واقعاً على الصُّلَّع (١) . والله أعلم .

---

(١) وهذا مثل سابقه .

حَدِيْثُ قسّ بن سَاعِدَةَ الإِيَاديّ

لمّا قدِم وفدُ عبد القيس على رسول الله ﷺ ، قال لهم : أفيكم مَن يعرفُ قُسَّ بن ساعِدَةَ الإيادِيَّ ؟ قالوا : كلُّنانعرفِهُ يارسولَ الله . قال فما فَعَل ؟ قالوا : هَلَكَ . قال : لستُ أنساه بسُوق عُكاظ في الشهر الحرام ، واقِفٌ على جملٍ أحمرَ (١) وهويُنادِي ويقول : يا أيها الناسُ اجتمعوا واستمعوا ، وإذا سمعتم فعُوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، وإذا انتفعتم فقولوا ، وإذا قُلْتُم فاصدُقوا ، مَن عاشَ ماتَ ، ومَن ماتَ فاتَ ، وكلُّ ماهو آتٍ آت ، مَطَرٌ ونَبات ، وأحياءٌ وأموات ، وأرزاقٌ وأقوات ، وجَمِيعٌ وأَشْتات ، وآياتٌ بعد آيات ، إنَّ في السماءِ لَخَبراً ، وإن في الأرض لَعِبَراً ، يَحارُ فيها البَصَرُ ، مِهادٌ موضوعٌ ، وسَقْفٌ مرفوع ، ونُجومٌ تَمُور ، وبِحارٌ لاتَغُور ، ومَنايا دَوَانٍ ، ودَهْرٌ خَوَّانٌ ، كحَذْوِ النِّسْطاس ، ووزن القُسْطاس . أقْسَم قُسٌّ قَسَماً حَقّاً ، لاكاذِباً فيه ولا آثِما : إنَّ لله دِيناً هو أَرْضَى له من الدِّين الذي أنتم عليه .

ثم قال : مالي أرى الناسَ يذهبونَ فلا يَرْجعون ! أَرَضُوا فأقامُوا ، أم تُرِكُوا فنامُوا ؟

ثم التفتَ رسولُ الله ﷺ إلى أصحابه ، فقال : أيُّكم يَرْوِي لنا شِعرَه ؟ فقال أبو بكر : أنا شاهِدٌ له في ذلك اليوم حيث يقول (٢) .

---

(١) بحاشية الأصل : « أورق » ، وقد ذكر المصنف هذه الرواية في النهاية . والأورق : الأسمر . وستأتى فى أثناء الشرح .

(٢) تخريج هذه الأبيات والأبيات التي بعدها ، يأتي في تخريج الحديث إن شاء الله .

في الذاهبينَ الأوَّليـنَ   مِن القُرون لنا بَصائِرْ
لما رأيْتُ موارِداً   للموتِ ليس لها مَصادِرْ
ورأيتُ قَومْى نَحْوَها   يَمْضي الأكابِرُ والأصاغِرْ
لايَرْجِعُ الماضِي ولا   يَبْقَي من الباقِينَ غابِرْ
أيْقَنْتُ أنّـي لامَحـا   لَةَ حيثُ صارَ القومُ صائِرْ

قال : فقام إلى رسول الله ﷺ شيخٌ من عبدِ القَيْس ، طويلُ القامةِ عظيم الهامةِ ، ضَخْمُ الدَّسِيعةِ ، جَهْوَرِيُّ الصَّوت ، فقال : فِداكَ أبِى وأُمِّى يارسولَ الله ، وأنا فقد رأيتُ من قُسِّ بن ساعدةَ عَجَباً .

فقال له رسولُ الله ﷺ : وما الذى رأيتَ منه يا أخا عبدِ القَيْس ؟

فقال : خرجتُ في جاهِلِيَّتى ، أُرِيغُ بَعِيراً شَرَدَ منّى ، أقْفُو أثَرَه في تَنائِفِ حِقافٍ ، ذاتِ ضَغابِيسَ ، وعَرَصاتِ جَثْجاثٍ ، بين صدُور جِرْعانٍ ، وغَمِير حَوْذَانٍ ، ومَهْمَهِ ظِلْمانٍ ، ورَضِيع (١) أيْهُقانٍ ، فبينا أنا في تلك الفَلَوات أَجُوبُ بَسْبَسَها — وفي رواية : سَبْسَبها — وأرمُقُ فَدْفَدَها . إذا أنا بهضبةٍ في تَسْوَائِها أراكُ كَبَاثٍ ، مخضوضلةٌ بأَغْصَانها كأنَّ بَرِيرها حَبُّ فُلْفُلٍ ، من بَواسِقِ أُقْحُوانٍ ، وإذا أنا بعَيْنٍ خَرَّارةٍ ، ورَوْضَةٍ مُدْهامَّةٍ ، وشجرةٍ عادِيَّةٍ ، وإذا قُسُّ بنُ ساعِدةَ جالِسٌ في أصل تلك الشجرة ، وبيده قَضِيبٌ ، فدَنَوْتُ منه ، فقلت : انْعَمْ صَبَاحاً ، فقال : وأنت فنَعِمَ صَباحُك .

---

(١) بالضاد المعجمة والصاد المهملة ، وسيأتي في الشرح .

قال : وإذا قَبْران بينَهما مسجدٌ ، فقلت : ماهذان القَبْران ؟ فقال : هذان قَبْرا أَخَوَيْنِ كانا لى ، يعبدانِ الله عزَّ وجلَّ في هذا الموضع ، فأنا مقيمٌ بين قبريهما ، أعبُدُ الله تعالى حتى ألحقَ بهما ، ثم أقبل على القبرين يبكى ، ويقول :

خَلِيلَيَّ هُبَّا طال ماقد رَقَدْتُما ... أجِدَّكُما ماتَقْضِيانِ كَرَاكُما [1]

أرى النومَ بينَ العَظْمِ والجلْدِ منكما ... كأَن الذي يَسْقِي العُقارَ سَقاكُما

ألم تعلَما أني بِسِمْعانَ مُفْرَدٌ ... ومالِيَ فيه من حبيبٍ سواكما

مُقيمٌ على قَبريكما لستُ بارحاً ... أذُوبُ الليالي أو يجيبَ صَداكُما

وأبكيكُما طُولَ الحياةِ وماالذي ... يردُّ على ذي لوعةٍ إن بكاكما

كأنكما والموتُ أقربُ غايةٍ ... برُوحِيَ في قَبريكُما قد أتاكما

فلو جُعِلت نَفْسٌ لنَفْسٍ فداءها ... لَجُدْتُ بنفسي أن تكونَ فِداكُما

فقال رسولُ الله ﷺ : يرحمُ اللهُ قُسّاً ، أما إنه سيُبْعَثُ يومَ القيامة أُمَّةً وَحْدَه .

وفي رواية أخرى : قدم الجارُودُ بن عبد الله في وفدِ عبدِ القيس ، على رسول الله ﷺ ، وكان سيِّداً في قومه ، مُطاعاً في عشيرته ، في كُلِّ كَمِيٍّ صِنْدِيد ، قد دَوَّمُوا العمائمَ ، وتَرَدَّوْا بالصَّماصِم ، يَجُرُّون أسيافَهم ، ويَسْحَبون أذيالَهم ، كأنهم أُسْدُ غِيلٍ ، يَقْدُمُها ذو لَبُوَّةٍ مَهُولٍ ، فلما دخلوا المسجدَ ، دَلَف الجارُودُ ، وحَسَر لِثامه ، وأحسنَ سلامَه ، ثم قال :

---

(١) اختلف في نسبة هذه الأبيات ، فتنسب إلى قس ، كما ترى ، وتنسب إلى عيسى بن قدامة الأسدي ، وإلى الحزين بن الحارث ، أحد بني عامر بن صعصعة ، وإلى غير هؤلاء الثلاثة . راجع الأغانى ١٥ / ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٨٧٥ ، ومعجم مااستعجم ص ٤٩٧ ، في رسم (خزاق) ، ومعجم البلدان ٤ / ٢١٥ ، فى رسم (رواند) ، و(سمعان) .

يانبيَّ الهُدَى أَتَتْكَ رِجالٌ قطعَتْ مَهْمَهاً وآلاً فآلا
وطَوَتْ نَحْوكَ الصَّحاصِحَ طُرّاً لاتَخالُ الكَلالَ فيك كَلالا
كُلَّ يَهْماءَ يَقْصُرُ الطَّرْفُ عنها أَرْقَلَتْها قِلاصُنا إرْقالا
وطَوَتْها الجيادُ تَجْمَعُ فيها بكُماةٍ كأَنْجُمٍ تَتَلالا
تَبْتغي دَفْعَ بأسِ يومٍ عَبُوسٍ أَوْجَلَ القَلْبَ ذِكرُه ثُمَّ هالا

فقرَّبَه رسولُ الله ، وأدناه ، وقال : ياجارُودُ ، لقد تأخَّر بك وبقومِك الموعِدُ ، وطال بكم الأَمَدُ .

فقال: واللهِ لقد أخطأ من أخطأكَ قَصْدُه ، وعَدِمَ رُشْدَه ، وتلك وايمُ [1] الله ــ أكبرُ خَيْبة وأعظم حَوْبة ، والرائدُ لا يَكْذِبُ أهلَه ، ولايَغُشُّ نفسَه ، لقد جئتَ بالحقّ ، ونطقتَ بالصِّدق ، ولقد وجدتُ وصفَك في الإنجيل ، ولقد بَشَّر بك ابنُ البَتُول ، ولا أَثَرَ بعد عَين ، ولاشكَّ بعد يقين ، مُدَّ يدَك فأنا أشهدُ أن لا إله إلّا الله ، وأنَّك رسول الله .

فآمن الجارُودُ ، وآمَن مِن قومه كلُّ سيِّدٍ .

ثم قال : ياجارُودُ ، هل في جماعةِ عبدِ القيسِ مَن يَعرفُ لنا قُسّاً ؟

فقال : كلُّنا يعرفه ، وأنا مِن بين قومى كنت أَقْفُو أثَرَه ، وأطلُبُ خبَرَه ، كان قُسٌّ سِبْطاً من أسْباطِ العرب ، صحيحَ النَّسب ، فصيحاً ذا خُطَبٍ ، عُمِّر خمسَ مائةِ سنة ، أو ستمائة ، يتَقَفَّرُ القِفار ، لاتُكِنُّه

---

(١) رسمت فى الأصل : « ويم » بإسقاط الألف .

دار ، ولايُقِرُّه قرار ، يتَحَسَّى في تَقَفُّره بَيْضَ النَّعام ، ويأنَسُ بالوَحْش والهَوامّ ، وهو أوَّلُ مَن تألَّه من العرب ، وأعبَدُ مَن تَعبَّد في الحِقَب . ثم أطال في وصفه نَثْراً ونَظْماً .

فقال النبيّ ﷺ : على رِسْلِكَ ياجارُودُ ، فلستُ أنساه بسُوق عُكاظَ على جملٍ له أوْرَقَ ، وهو يتكلّم بكلامٍ مُونِقٍ ، ماأظُنُّ أنِّي أحفظه ، فهل فيكم يامعشر المُهاجِرين والأنصار من يَحفظُ لنا منه شيئا ؟

فوثَبَ أبو بكر ، وقال : أنا أحْفظُه ، وكنت حاضراً ذلك اليومَ حينَ خَطَب ، فقال : أيُّها الناسُ اسمَعُوا وعُوا . وذكر نحْوَ ماتقدَّم . وفيه بعد قوله : « وإنَّ في الأرضِ لَعِبَراً » : ليلٌ داجٍ وسماءٌ ذات أبراجٍ ، وأرضٌ ذاتُ رِتاجٍ ، وبحارٌ ذاتُ أمواجٍ . وذكر الحديثَ إلى آخر الابيات الرائية .

ثم قال : وقام رجلٌ من الانصار ، كأنَّه قِطعَة جَبَل ، ذو هامةٍ عظيمة وقامةٍ جَسيمة ، قد دَوَّم عِمامتَه ، وأرْخى ذُؤابته ، مُنِيفٌ أُنُوفٌ أشْدَقُ أجَشُّ الصوتِ ، فقال : لقد رأيتُ من قُسٍّ عَجَباً ، وشهدتُ منه مُرْعِباً ، خرجتُ في الجاهلية أطلبُ بعيراً لِي شَرَدَ منيّ في تَنائِف حقائفَ ، ذات دَعادعَ وزَعازِعَ ، ليس بها للرَّكْب مَقِيلٌ ، ولا لغير الجِنّ سبيل ، فإذا أنا بَمْوئِلٍ مَهُولٍ ، في طَوْدٍ عظيم ، ليس به إلا البُومُ ، إذْ ركَبَنى اللَّيلُ ، فوَلَجْتُه مذعوراً ، لاآمنُ فيه حَتْفي ، ولا أركَنُ فيه إلى غير سَيْفِي ، فبِتُّ بليلٍ طويل ، كأنه بليلٍ مَوصُول ، أرْقُب الكوكبَ ، وأرْمُق الغَيْهبَ ، حتى إذا اللَّيلُ عَسْعَس ، وكاد الصُّبْح أن يتنفَّس ،

ولاحَ الصَّباح ، واتَّسع الإيضاح ، فتركتُ المَوْرَ ، وأخذتُ في الجَبل ، فإذا أنا بالفَنِيق يُشَقْشِق النُّوق ، فملكتُ خِطامَه ، وعلوتُ سَنامه ، فمَرِحَ طاعةً ، وهزَزْتُه ساعةً ، حتى إذا لَغَبَ ، وذَلَّ منه ماصَعُب ، بَرَك فى رَوضَةٍ خَضِرةٍ ، نَضِرةٍ عَطِرة ، ذاتِ حَوْذانٍ وقُرْيانٍ ، وعُنْقُزانٍ وعَبَيْثَرانٍ ، وحَليٍّ وأَقاحٍ وجَثْجاثٍ ، وبَرارِيَ وشَقائق وبَهارٍ ، كأنما بات الجَوُّ بها مَطِيراً ، وباكَرَها المُزْنُ بُكُوراً ، فَخِلالَها شَجَرٌ ، وقَرارَها نَهَرٌ ، فجعل يَرْتَعُ أَبّاً ، وأصيدُ ضَبّاً ، حتى إذا أكلتُ وأكَل ، ونَهَلْتُ ونَهَل ، وعَلَلْتُ وعَلَّ ، حَلَلْتُ عِقالَه ، وعَلَوتُ جِلالَه ، وأوسعتُ مَجالَه ، فاغْتَنم الحَمْلة ، ومَرَّ كالنَّبْلَة ، يَسبِقُ الرِّيح ،ويَقطَعُ عَرْضَ الفَسِيح ، حتى أَشْرَفَ بي على وادٍ ، وشَجرةٍ من شَجرِ عادٍ ، مُورِقَةٍ مُونِقَةٍ ، قد تَهَدَّلَت أغصانُها ، كأنما بَريرُها حَبُّ فُلْفُل ، فدنوتُ ، فإذا أنا بقُسِّ بن ساعِدةَ في ظِلِّ شجرة ، بيده قَضِيبٌ من أراك ، وهو يقول :

ياناعِيَ الموتِ والملحودُ في جَدَثٍ	عليهمُ من بقايا بَزِّهِـمْ خِرَقُ
دَعْهُمْ فإنَّ لهم يوماً يُصاحُ بهمْ	فهُمْ إذا أُنْبِهُوا من نومِهم فَرِقُوا
حتى يعودُوا لِحالٍ غيرِ حالِهِمُ	خَلْقاً جَديداً كما مِن قَبْلِه خُلِقُوا
منهم عُراةٌ ومنهم في ثيابِهِـــمُ	منها الجَدِيدُ ومِنْها المُنْهَجُ الخَلَقُ

ثم ذكر حديثَ القَبْرين والشِّعر ، كما سَبَق ، فقال النبيّ ﷺ : رحم اللهُ قُسّاً ، أرجو أن يبعثَه اللهُ أُمَّةً وحدَه .

* * *

حديث قُسّ بن ساعِدة ، على كثرةِ رواياتِه ، واختلافِ طُرُقه ، حديثٌ مشهورٌ ، مُتداوَلٌ بين رُواة الحديث وأئمَّتِه ،وقد ذكر بعضُ الحُفَّاظ أنه موضوعٌ (١) .

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير ، من طرق عدَّة ، وقال : « وأصله مشهور ، وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة» ، ثم نقل عن الإمام البيهقي قوله « وإذا روى الحديث من أوجه أخر ــ وإن كان بعضها ضعيفاً ــ دل على أن للحديث أصلاً »

السيرة النبوية لابن كثير ١ /.١٤١ ــ ١٥٣ ، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ١ / ٤٥٣ ــ ٤٦٦ ، وأورده الحافظ ابن سيد الناس ، بسنده ، ولم يتكلم عليه بشيء . عيون الأثر ١ / ٦٨ . ٧٢

وذكره الحافظ نور الدين الهيثمي مختصراً ، وقال في آخره : « رواه الطبراني والبزار ، وفيه محمد بن حجاج اللخمي ، وهو كذاب » . مجمع الزوائد ٩ / ٤١٨ ، ٤١٩ (كتاب المناقب ــ باب ما جاء في قس بن ساعدة) .

وقد ترجم الحافظ ابن حجر العسقلاني لقس في الإصابة ٥ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، وقال في آخر الترجمة : « وقد أفرد بعض الرواة طريق حديث قس ، وفيه شعره وخطبته ، وهو في الطوالات للطبراني وغيرها ، وطرقه كلها ضعيفة » .

وأورده الحافظ السيوطي ، من طرق كثيرة ، وضعَّفه . اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ /١٨٣ ــ ١٩٢ (كتاب الأنبياء والقدماء) : وانظر هواتف الجِنَّان ص ١٨٥

وحديث قس وشعره تراه في غير كتاب . انظر مثلاً المعمرين لأبى حاتم ص ٨٧ ودلائل النبوة لأبي نعيم ١ / ١٢٧ ــ ١٣٠ والبيان والتبيين ١ / ٣٠٩ ، والأغاني ١٥ / ٢٤٧ ، والأوائل لأبي هلال العسكري ١ / ٨٥ ، والعقد الفريد ٤ / ١٢٨ ، والعصا لأسامة بن منقذ (نوادر المخطوطات) ١ / ١٨٦ ، والمنازل والديار ، له ص ٤٥٣ ، وشرح مقامات الحريري للشريشي ٤ / ٣٩٤ ،والخزانة للبغدادي ٢ / ٧٧ ، ٨٠ . وقد أفرد هذا الحديث بالشرح ابن درستويه . راجع مقدمة تحقيق كتابه « تصحيح الفصيح » ص ٣٤ وانظر الزهرة ٢ /٣١ .

فأما الرِّوايةُ الأُولى فهي معروفةٌ بمحّمد بن الحَجَّاج اللخْمي [١] ، عن مُجالِد بن سعيد ، عن الشَّعْبيّ ، عن ابن عباس ، وقد أخرجها أبو القاسم البَغَوِيُّ ، وأبو القاسم الطَّبرانيُّ ، وغيرهما

وأما الروايةُ الثانية فمعروفةٌ من رواية بِشْر [٢] بن نُمَيْر ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عبّاس .

قال أبو موسى : وهو غريبٌ من هذا الوجه ، وقد رُوى عن ابن عباس ، مِن غير وجه ، ورُوى عن أنس بن مالك ، وأبى لُبابة ، وكأنَّ ألفاظَها مصنوعة مُلَفَّقة ، لكن هكذا يروى . على أنَّا قد تَرَكْنا بعضَ ألفاظه التي أطالوه بها اختِصاراً . والله أعلم .

شَرْحُه

قُسّ بن ساعدة الإيادىّ : رجلٌ من العَرَب معروفٌ ، من المُعَمَّرين ، مشهور بالحكمة والفصاحة والدِّين ، وكان قد تنصَّر وتَرَهْبَن ، يقال : إنه أدرك شَمْعُون حَوارِيَّ المسيح عليه السلام .

---

(١) محمد بن الحجاج اللخمي الواسطي ، أبو إبراهيم . نزيل بغداد . قال البخاري : منكر الحديث ، وقال الدارقطني : كذاب ، وقال ابن معين : كذاب خبيث ، وقال مرة : ليس بثقة . ميزان الاعتدال ٣ / ٥٠٩ ،وتاريخ بغداد ٢ / ٢٧٩ — ٢٨٢ .

(٢) بشر بن نمير القشيري البصري . تركه يحيى القطان ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال أحمد بن حنبل : ترك الناس حديثه ، وقال ابن عدي : عامة مايرويه لا يتابع عليه ، وقال البخاري : مضطرب . ميزان الاعتدال ٣٢٦/١ ، وانظر تهذيب ٤٦٠/١ .

قال الجوهريّ (١) : كان أُسْقُفَّ نَجْرانَ .

وساعِدةُ : من أسماء الأسد ، وبه سُمِّيَ الرجلُ .

والإيادِيُّ : منسوبٌ إلى إياد بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدنان .

وعُكاظُ : اسمٌ سُوقٍ للعرب بناحية مكَّةَ ، كانوا يجتمعون بها كلَّ سنة ، فيقيمون شهراً ، ويتبايعون ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون .

والشهر الحرام : أحد الشهور الأربعة : المحرّم ورجب وذو القَعْدة وذو الحِجَّة ، كانوا يُحرِّمون فيها النَّهْبَ والغارةَ والقتالَ والقَتْل ، بحيث يلقى أحدُهم فيها قاتلَ أبيه أو ابنه فلا يَهِيْجُه ، ولا يَعْرِضُ له بسُوء .

والوَعْيُ : الحِفْظ والفَهْم . يقال : وَعَيْتُ الشيءَ أَعِيه وَعْياً ، والأمر منه للواحد ، ع ، وللاثنين : عِيَا : وللجمع : عُوا ، وتَلْحَق مع الواحد هاءُ السَّكْت ، فيقال : عِهْ .

والأَشْتات : المتفرِّقون .

والآياتُ : الدَّلائلُ والآثار .

والعِبَرُ : جمع عِبْرة ، وهي الاسم من الاعتبار ، والاتِّعاظ بالشيء والتَّدَبُّر له .

والمِهادُ : البِساط . يقال : مَهَدْتُ الفِراشَ مَهْداً ، ومَهَّدتُه تَمْهِيداً : إذا بَسَطْتَه ووطَّأْتَه ، ويريد به هاهنا الأَرضَ .

ووَضْعُه : تَسْوِيتُه وتَمْهِيده .

والسَّقْفُ المرفوع : أراد به السماءَ .

---

(١) فى الصحاح (ق س س) .

ومارَ الشيءُ يَمورُ مَوْراً : إذا تحرَّك وجاء وذَهب .

وغارَ الماءُ يَغُور : إذا غاضَ في الأرض ، ولم يَبْقَ منه شيءٌ .

والمنايا : جمعُ مَنِيَّة ، وهي الموتُ ، من المَنْي : التقديرِ ، لأنها مُقَدَّرة .

والدَّواني : جمعُ دانِيَةٍ ، وهي القَرِيبة .

والخَوَّانُ : فَعَّالٌ من الخِيانة .

والحَذْوُ : التقديرُ والتَّسويةُ ، يقال : حَذَوْتُ النَّعْلَ بالنَّعْلِ حَذْواً : إذا قَدَّرتَ كلَّ واحدةٍ منهما على الأخرى .

والنِّسْطاسُ : قيل إنه رِيشُ السَّهم ، كذا فُسِّر (١) .

ويُروَى : كحَدِّ الفِسْطاط » (٢) وهي الخَيْمة .

والقُسْطاس ، بالضمّ والكسر : أَقْوَمُ الموازين وأَعْدَلُها . أي إنّ قُرْبَ المنايا وخيانةَ الدَّهر لا خُلْفَ فيها ولا شكَّ ، كما أن رِيشَ السِّهام متساويةٌ ، وأن مايُوزَن بالقُسطاس لاجَوْرَ فيه .

ويريد بالذاهبين الأمواتَ الذين لايَرجعون إلى الدنيا .

والبصائر : جمع بَصِيرة ، وهي الحُجَّة والدَّليل ، وأصل البَصيرة : شيء من الدَّم يُستدَلّ به على الرَّمِيَّة . ولهذا قيل لما يُدرَك بالنَّفْس والاستدلال : بَصِيرةٌ ،ومايُدرَك بالعَين : إبصار .

والمَوارِدُ : جمع مَوْرِدِ ، وهو المكان الذي يقصده الناسُ لماءٍ وغيره . والموارد أيضاً : الطُّرُق .

---

(١) قال في النهاية : « ولاتعرف حقيقته » . ولم يزد صاحبا اللسان والتاج على ذلك شيئاً .

(٢) كذا ضبطت الفاء في الأصل بالكسر ، وهي بالضم والكسر ، كما في القاموس

والمصادر : المواضع التي يرجعون فيها ومنها . أي يَرِدُون الموتَ بعِلَلٍ وأسباب ، ولايرجعون منها بَمْوتٍ (١) ولاسَبَبٍ .

ولامَحالَةَ : أي لاحِيلةَ . ويجوز أن يكون من الحَوْل : القُوَّةِ ، أو الحركة ، وأكثر مايُستعمل بمعنى لابُدَّ ، أو بمعنى اليقين والحقيقة ، والميم زائدة .

والهامة : الرأس ، وجَمْعها هامٌ .

والضَّخْم : الغَليظ السَّمين .

والدَّسِيعَة : مُجتَمع الكَتِفَيْن ، وقيل : العُنُق .

والجَهْوَرِيُّ : العالي الصَّوت ، يقال : جَهَر بالقول وجَهْورَ : إذا رَفَع صوتَه به ، ورجلٌ جَهِيرُ الصوتِ وجَهْوَرِيُّه ، وقد جَهُرَ ، بالضمّ .

والجاهليّة : اسمٌ للزمان الذي كان قبل الإسلام وأهلِه ، وهي مشتقَّة من الجهلِ ضدِّ العلم ، لأنه كان الغالبَ على أهلها .

وأُرِيغُ : أي أَطْلُب ، يقال : أراغَ وارتاغ : إذا أرادَ وطَلَب ، ومنه رَوَغانُ الثعلب ، وهو عَدْوُه كذا وكذا .

والشُّرُود : النُّفُور .

واقتفاء الأَثَر : تَتَبُّعه . يقال : قَفا الأَثَرَ ، واقْتفاه .

والتَّنائِفُ : جمعُ تَنُوفَة (٢) ، وهى المَفازة والفَلاة البعيدة ، التي لا أَثَرَ بها .

---

(١) هكذا في الأصل .

(٢) سبقت في حديث جهيش بن أوس .

والحِقاف : جمع حِقْفٍ ، وهو الكَثِيب المجتمع ، المائلُ من الرَّمل . وأضاف التَّنائِفَ إليها ؛ لكونها فيها ، كأنه قال : براري رمالٍ .

والضَّغابيس : جمع ضُغْبُوسٍ ، وهونَبتٌ شِبه العَراجين في أصول الثُّمام ، طويلٌ ، منه أحمرُ وأخضرُ ، ويؤُكل [١] ، وقيل : هو شِبه الهِلْيَوْن . والضَّغابيس — في غير هذا الحديث —: صِغار القِثَّاء [٢] .

والعَرَصات : جمع عَرْصَةٍ ، وهي كلّ موضعٍ واسعٍ لابناءَ فيه .

والجَثْجاث : نَبْتٌ أصفرُ طَيِّب الرائحة ، وأضاف العَرَصات إليه ، لكونه فيها .

والجِرْعان ، بالكسر : جمع جَرَعَةٍ ، بالتحريك ،وهى الرَّمْلة التى لاتُنبت شيئاً ولا تُمْسك ماءً ، وتُجْمَع على جَرَعاتٍ ، وهو الأشهر فى جمعها ، وقد رُوى كذلك ، إلا أن الجِرْعان أَلْيَقُ للسَّجع .

وصُدُورها : أوائلُها وأعاليها .

والغَمِير : المَغْمُور ، أي المستور ، فَعِيلٌ بمعنى مفعول .

والحَوْذانُ : بَقْلَةٌ فيها انضَمامٌ ، لها قُضُبٌ وورَقٌ ، ونَوْرٌ أصفَرُ . يريد أن الموضعَ استتر بالحَوْذان ، لكثرة نباته .

والمَهْمَه : المَفَازةُ البعيدةُ ، وجمعها : مَهامِهُ .

والظِّلمان : جمع ظَلِيم ، وهو ذَكَر النَّعام .

---

(١) في النهاية : يسلق بالخل والزيت ويؤكل .

(٢) يقول الأصمعي : الضغابيس : نبت ضعيف ، يشبه به الضعيف من الرجال . يقال : رجل ضغبوس ، ورجال ضغابيس . النبات ص ٢٠ .

والرَّضِيع ، إن رُوِيَ بالضاد المعجمة ، كان صفةً للظِّلمان ، أو لغيرها من السِّباعْ التي في ذلك الموضع .

والأَيْهُقان : الجِرْجِيرُ البَرِّيُّ . يريد أنها تَرْتَع الأَيْهُقانَ الرَّطْبَ وتَمَصُّه مَصَّ اللَّبَنِ ، لشدَّةِ نُعومةِ نَبْتِ ذلك المكان ، وكثرةِ مائه .

ويجوز أن يكونَ الرَّضيعُ كِنايةً عن صِغارِ الأَيْهُقان .

وإن رُوِيَ بالصاد المهملة فهو من الرَّصِيعَة ،وهي مايُعْقَد على الشيء ، ويُحَسَّنُ به ، كالشيء المرصَّع بالجوهرِ وغيره . أي ذلك الموضعُ مُحَسَّنٌ مُزَيَّنٌ بهذا النَّبْت .

والفَلَواتُ : جمع فَلاةٍ ، وهي البَرِّيَّة .

والبَسْبَسُ ، والسَّبْسَبُ : القَفْرُ منها .

والفَدْفَدُ : المكانُ الصُّلْب المرتفع ، وقيل : المُسْتَوى .

ورَمقْتُ الشيءَ أرْمُقُه رَمْقاً : إذا نظرتَ إليه .

والجَوْبُ : القَطْعُ والسَّيْرُ ، ويروى : « أَجُولُ » من الجَوَلان ، وهو السَّيْرُ في الأرض والتَّرَدُّد . والهَضْبة : الرَّابية .

والتَّسْواء : الموضِعُ المُسْتَوى من الأرض . أراد حيث استوى من الهَضْبة وانْبَسَط منها .

والكَباثُ : ثَمر الأراك قبل أن يَنْضَج . أي أراكٌ عليه ثَمَرُه ، فلهذا أضافه إليه .

والمُخْضَوْضِلَة : الرَّطْبة النَّدِيَّة .

والباء في « بأغصانها » بمعنى مَعَ .

والبَرير : ثَمَر الأراك إذا نَضِج ، كالرُّطَب من البُسْر.

والبَواسِقُ : الطِّوال العالية ، جمع باسِقةٍ .

والأُقْحُوان : من الأزهار معروفٌ ، واحدته أُقْحُوانة ، وجمعُه أَقاحٍ ، على حذف الألف والنون ، وإن لم يُحْذفا ، وأصلُها : أَقاحِيُّ ، مُشَدَّداً ، على إبدال النون في الجمع ياءً .

والعَينُ الخَرَّارة : الشَّديدةُ صوتِ مائها من كثرته ، وهي فَعَّالةٌ من الخَرِير ، للمبالغة .

والمُدْهامَّةُ : المُتَناهيةُ الخُضْرةِ حتى تميلَ إلى السَّواد،والدُّهْمة : من لونِ السَّواد ، ومنه قوله تعالى : (١) ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ .

والعادِيَّة ، بالتشديد : القديمة ، كأنها منسوبة إلى عادٍ ، قومِ هودٍ النبيِّ عليه السلام ، هكذا يقولون للشيء القديم ، وإن لم يكن من آثار عادٍ .

وانْعَمْ صَباحاً : من تَحايا الجاهلية ، وقد تقدَّم شرحُه في حديث خُزَيمة .

والخَليلُ : الصَّديق ، والخُلَّة : الصَّداقة .

وهُبَّا : انْتبها من نومِكما .

وقوله : « أجِدَّكُما » أي أبجدٍّ منكما لاتَقْضِيان نومكما ؟ من الجِدِّ : ضِدّ الهزل ، وهو منصوب على المصدر ، ولايُتكلَّم به إلا مضافاً (٢) ، قال أبو عمرو : معناه : مالَكَ ، أجِدّاً منكَ ؟

---

(١) سورة الرحمن ٦٤ .

(٢) راجع الكتاب لسيبويه ١ / ٣٧٩ (باب ماينتصب من المصادر توكيداً لما قبله) وشرح المفصل لابن يعيش ١ / ١١٦ ، والخزانة ، الموضع السابق في تخريج الحديث .

والعُقار : من أسماءِ الخمر ، سُمِّيتْ به لأنها تَعْقِر شارِبَها ، أي تُهْلِكه .

وسِمْعان ، بالكسر : جبلٌ بأرض عبد القَيْس .

وقوله : « أَذُوبُ اللَّيالي » أي في مُرورِ الليالي .

والصَّدَى : الذي يُجيب الصائحَ من الجبل ونحوه ، لأن الصَّدَى إنما يُجيب مَن صاحَ ، وذلك من لوازم الحياة. يعني لاأبرحُ مُقيماً على قبريكما إلى أن تَعِيشا .

ونَصب « يُجيبَ صداكما » بإضمار « أَنْ » بعد « أو » التي بمعنى « إلاّ أن » .

والباء في « بِروحي » متعلّقة « بكأنكما » ، والموتُ أقربُ غايةٍ : اعتراضٌ بينهما .

واللَّوْعَةُ : حُرقة الحُبّ وشدّته .

ويُروى : « عَوْلَة » وهي المَرّة من العَوْلِ والعَوِيل ، وهو رفع الصوت بالبكاء .

وقوله : « يُبعَث أمَّةً وحدَه » الأُمَّة : الرجلُ المنفردُ بدِين ، ومنه قوله تعالى : (١) ﴿ إنَّ إبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً ﴾ والأصل في الأُمَّة : الجماعة ، فكأنه جعله في وَحْدته بمنزلة الجماعة . قال الأخفش : الأمَّة في اللفظ واحِدٌ ، وفي المعنى جَمْعٌ .

---

(١) سورة النحل ١٢٠ ، وقيل في تفسير « أمة » في الآية الكريمة إنه الرجل الجامع للخير ، وقيل : معلم الخير . راجع معاني القرآن للفراء ٢ / ١١٤ ،وتهذيب اللغة ١٥ / ٦٣٤ ، والغريبين ١ / ٨٦ .

وأما غريبُ الرواية الثانية : فإن الكَميَّ الرجلُ الشُّجاعُ المُتَكَمِّي في سِلاحِه ، المُتغَطِّي به المُستَخفي ، والجمعُ الكُماةُ .

والصِّنْدِيد : الرئيس الشريف ، الغالبُ لكلّ أحد ، وجَمْعُه صَنادِيدُ .

ودَوَّمُوا العَمائمَ : إذا لَفُّوها وأداروها حولَ رُءوسِهم .

والصَّماصِمُ : جمع الصِّمْصامة ، وهي السَّيفُ القاطِع . ويروى : بالصَّوارِمِ .

والتَّرَدِّي : جَعْلُ حَمائلها على عَواتِقهم ، تشبيهاً بوضع الأَرْدِية .

والغِيلُ : مَوْضِعُ الأَسَد ومَأْواه ، وأصله : شجرٌ مُلْتَفٌّ يَستَتِر فيه .

واللَّبُؤَة ، مهموزة : أنثى الأُسُود .

والمَهُولُ : مفعولٌ من الهَوْل .

ودَلَفَ : إذا سار سَيْراً بين الإسراع والبُطْء ، ودَلَفَ : إذا تَقَدَّم .

وحَسَرَ لِثامَه : إذا كَشَفَه عن وجهه . واللِّثام : مايُستَر به الأنفُ وبعضُ الوَجه .

والمَهْمَه : المَفازة . ويُروى : « فَدْفَداً وقَرْدَداً » وهما قريبٌ من الأول .

والآلُ : السَّرابُ ، وتكرارُه لاتِّصال بعضِه ببعض .

وطَوَتْ : بمعنى قَطَعَتْ .

والصَّحاصِحُ : جمع صَحْصَح ، وهو المكان المُستَوى .

وطُرّاً : أي جميعاً ، وهو منصوب على المصدر ، أو الحال .

والكَلالُ : الإعياءُ والتَّعب .

واليَهْماءُ : البَرِّيَّة التي لا ماءَ بها ولا نباتَ . ويروى : « دَهْماء » أي سوداء ، لايُهْتَدى فيها لطريق .

والإرقال : السَّيْرُ السَّريع .

والقِلاص : جمع قَلُوص ، وهي الناقة .

والجِيادُ : الخيل ، واحدها جَوادٌ .

وتَجْمَحُ : أي تَمضي على وجهها ، وتَغْلِب فُرسانَها . وفرسٌ جَمُوحٌ : إذا غَلبَ راكِبَه ، وذَهب على وجهِه .

والكُماة : جمع الكَمِيِّ ، وقد تقدَّم .

والتَّلألُؤ : الإشراق والإنارة .

والبأس : الخوفُ والشِّدَّة .

والعَبُوس : صفةٌ لأصحاب اليوم ، أي يومٌ يُعْبَس فيه ، فأجراه صِفةً على اليوم ، كما يقال : ليلٌ نائمٌ ، أي يُنامُ فيه . والعَبُوس : الكَريهُ المَلْقَى ، الجَهْمُ المُحَيَّا . يقال : عَبَس الرجلُ يَعْبِسُ [1] عُبُوساً ، وعَبَّس وجهَه ، شُدِّد للمُبالغة .

وأَوْجَلَ : أي أخافَ ، من الوَجَل . ويروى : « أَذْهَلَ » من الذُّهُول : الغَفْلةِ عن الشيء .

وهالَ : من الهَوْل ، يقال : هالَهُ يَهُولُه هَوْلاً : إذا أخافَه . وأراد بهذا اليوم يومَ القيامة .

---

(١) بكسر الباء ، وفعله من باب ضرب ، كما في المصباح .

والحَوْبَةُ ، بالفتح والضَّمّ : الإثمُ .

والرائد : الذي يتقدّم القومَ ليُبصرَ لهم الماءَ والمَرْعَى .

والغِشُّ : الخيانةُ في القول ، وضدُّ النُّصحِ ، وقد غَشَّهُ يَغُشُّهُ . يعنى أنَّ أمينَ القوم لايكذبُ من ائتمنه ، ولايخونُ نفْسَه .

وابن البَتُول : يريد به المسيحَ بن مريم عليه السلام . والبَتُول : المنقطعة عن الأزواج ، وأصل البَتْل : القَطْع .

وقوله : « لا أثَرَ بعد عَيْن [١] » أي لايُطْلَب أثَرُ الشيءِ بعد أن تُرَى عينُه وذاتُه ، ولذلك أكَّده بقوله : « ولاشكَّ بعد يقين » .

والسِّبْط : واحد الأسباط ، وهم في الأصل ولَدُ الوَلَدِ ، وهم في بني إسرائيل كالقبائل فى العرب .

والكِنُّ : السُّتْرة ، يقال : كَنَنْتُ الشَّيءَ وأكنَنْتُه : إذا سترتَه وصُنْتَه .

والقِفار : جمع قَفْر ، وهي البَرِّيَّة التي لانباتَ بها . والتَّقَفُّر : التَّتَبُّع ، يقال : تقفَّرتُ الشيءَ واقتَفَرْتُه : إذا تتبَّعْتَه شيئاً فشيئاً .

وقوله : « يَتَحسَّى في تَقَفُّره بيضَ النَّعام » [يعني] [٢] أنه كان في سِياحته لايجد طَعاماً ، فإذا وجد بيضَ النَّعام تَحَسَّاه نِيّاً .

والهَوَامُّ : جمع هامَّةٍ ، وهي حَشَراتُ الأرضِ .

---

(١) جاء في أمثالهم : « تطلب أثراً بعد عين » ، و « لاأتبع أثراً بعد عين » . « ولا أطلب أثرا بعد عين » انظر مجمع الأمثال ١ / ١٢٧ ، ٢ / ٢١٥ ، وجمهرة الأمثال ٢ / ٣٨٩ ، والمستقصى ٢ / ٢٤٢ .

(٢) تكملة لازمة .

والتَّألُّه : التَّعبُّد ، يقال : أَلَه ، بالفتح ، إلاهةً ، أي عَبَدَ ، ومنه قراءة ابن عباس [1] : ﴿ وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ ﴾ أي عِبَادَتكَ .

والحِقَبُ : السِّنُون ، جمع حِقْبة ، وهي السَّنَةُ ، والحُقْب ، بالضم : ثمانون سنة ، وقيل : أكثر من ذلك ، وجَمْعُه حِقابٌ .

والرِّسْل : بالكسر : الهِينَةُ والتأنِّي . يقال : افعَلْ هذا على رِسْلِك ، أي على هِينتك .

والأَوْرَق : الأسمر ، من الوُرْقةِ : السُّمرة ، وهو من الإبل : الذي في لونه بياضٌ إلى سواد ، وقيل : هو الذي يَضْرِب لونُه إلى الخُضْرة .

والمُونِق : المُعْجِبُ من كلّ شيء ، وقد آنَقَني يُؤْنِقُني .

وليلٌ داجٍ : أي مُظْلِم ، وقد دَجا الليلُ يَدْجُو : إذا أقبل بظلامِه .

والرِّتاج : الباب ، وأُرْتَجْتُ البابَ : إذا أغْلَقْتَه ، فهو مُرْتَجٌ . وقيل : الرِّتاج : الباب المُغْلَق .

والجَسِيمُ : التامُّ الجسِم .

وذُؤابة العِمامة : طَرَفُها المُرْخَى ، وهي في الأصل : الضّفِيرة من الشّعَر .

---

(١) سورة الأعراف ١٢٧ ، وقرأ بهذه بهذه القراءة أيضاً على بن أبي طالب ومجاهد والضحاك . راجع المحتسب ١ / ٢٥٦ ،وتفسير الطبرى ١٣ / ٣٨ ، والقرطبي ٧ / ٢٦٢ ، وانظر الغريبين ١ /٧٣ .

والمُنِيف : المُشْرِف ، وقد أنافَ على الشيء يُنيفُ : إذا طَلع فوقَه ، وأشرفَ عليه .

والأنُوف ، بفتح الهمزة : الكبيرُ الأنفِ ، وكنى به عن الشَّرفِ والمجد ، وهم يَكْنُون عن السادة بالأُنوف .

والأشْدَق : الواسِعُ شِدْقَي الفَم .

والأَجَشُّ : الغَليظ (١) الصَّوتِ .

والمُرْعِب : المُفْزِع المخيف : من الرُّعب : الخوفِ والفزع .

والتَّنائِف : البَرارِي (٢) .

والحَقائِف : جمع حِقاف ، وهي الرِّمال ، وقد ذُكِرت (٣) .

والدَّعادِع : جمع دَعْدَعٍ ، وهي الأرض الجرداء من النَّبات .

والزَّعازِع : الشَّدائد ، جمع زَعْزَع .

والرَّكْب : الجماعة الرُّكَّاب على الإبل .

والمَقِيل : مَوْضِع القائلة ، وهي شِدَّة الحَرِّ .

والسَّبيل : الطَّريق .

والمَوْئِل : الملجأ ، والموضع الذي يُلْتَجأ إليه .

والمَهُول : المَخُوف .

والطَّوْدُ : الجبلُ العالي .

---

(١) في الأصل : « الرفيع الصوت » . وهو خطأ . وقد شرح المصنف في النهاية الجشة في الصوت بأنها شدة وغلظ .

(٢) سبق شرحها في حديث جهيش بن أوس النخعي . وفي حديث قس أيضاً .

(٣) في حديث ذي المشعار ، مالك بن نمط الهمداني . وفي حديث قس أيضاً .

ورَكِبه الليلُ : إذا أدركه ، كأنه تَغَشَّاه من فوقه .

والوُلُوج : الدُّخول .

والذُّعْر : الخوف والفزع .

والحَتْف : الموت .

والرُّكون إلى الشيء : السُّكونُ إليه والميلُ .

ورَقَبْتُ الشيءَ أرْقُبُه رُقُوباً : إذا انتظرتَه ، وإذا رصدتَه ونظرتَ إليه .

والرُّمُوق : النَّظَر .

والغَيْهَب : الظُّلْمة .

وعَسْعَسَ الليلُ : إذا وَلَّى وأدْبَر إلا أقَلَّه . وعَسْعَسَ الليلُ : إذا أقبلَ ، فهو من الأضداد (١) ، والأوَّل المُراد .

وتَنفَّس الصُّبْحُ : إذا بدا أوَّل طُلُوعه ،وهو من أحسن الاستعارات .

وإدخال « أنْ » في خبر « كاد » ليس بالفصيح ، وهو محمول على خبر « عسى » ، كما حُمِل خبر « عسى » على « كاد » في حذف « أن » من خبرها .

والإيضاح : الإظهار ، وقد وَضَح (٢) الشيءُ ، وأوضحتُه أنا .

---

(١) راجع شواهده في الأضداد لابن الأنباري ص ٣٤ ، ولأبي الطيب ص ٤٨٨ .

(٢) بفتح الضاد ،وهو من باب وعد ، كما في المصباح .

والمَوْرُ : الطَّريق (١) .
والفَنِيق : الفَحْلُ من الإبل .
ويُشقشق هاهنا : بمعنى يُشقِّق ، أي يَشُقُّها ويخرُج من بينها .
ويجوز أن يكون من الشِّقْشِقَة التي يخرجها البعيرُ من جَوفه ، ويَهْدِر فيها .
والخِطام : الزِّمام الذي يُمْسِكه الرَّاكبُ بيده .
والمَرَح : اللعِب والبَطَر .
وهَزَزْتُه : أي رَكضْتُه ، وحملتُه على العَدْو .
واللُّغُوب : الإعياءُ والتَّعَب .
والنَّضِرة : الحَسَنَةُ الناعمة .
والعَطِرة : الطَّيِّبةُ الرِّيح .
والحَوْذان : قد تقدَّم .
والقُرْيانُ : جمع قَرِيٍّ ، بوزن صَبِيٍّ ، وهو مَجْرَى الماء في الروض .
وقيل : هو ماءٌ كبير ، في شبه وادٍ صغير .
والعُنْقُزانُ (٢) : أصلُ القَصَب الغَضّ .
والعَبَيْثَرَانُ (٣) : نَبْتٌ طيِّب الرائحة .

---

(١) قال في النهاية : « مار الشيء يمور موراً : إذا جاء وذهب » . ثم قال فى حديث قس : « المور ، بالفتح: الطريق ، سمى بالمصدر ، لأنه يجاء فيه ويذهب » .

(٢) بفتح العين والقاف وبضمهما ،ويقال فيه أيضاً : العنقز . راجع المعرب للجواليقي ص ٣٥٧ ، والنبات للأصمعي ص ٣٢ .

(٣) ويقال : عبوثران . راجع النبات للأصمعي ص ٢٥ ، ٧١ ، وتفتح العين وتضم ، كما في النهاية .

والحَلِيُّ ، على فَعِيل : يَبِيس النَّصِيِّ من الكَلأ ، وجمعه أَحْلِيةٌ ، كرغيف وأرغفة . والأقاحي والجَثْجاث : قد تقدَّما (١) .

والشَّقائق والبَهارُ : من أزهار الصحراء ، معروفان . ويجوز أن تكون الشقائق جمع شَقِيقةٍ ، وهي الرَّمْلَة .

والمُزْنُ : السَّحاب ، جمع مُزْنَةٍ .

والبُكُور : مصدر بَكَرْتُ أَبْكُرُ (٢) : إذا خرجْتَ بُكْرَةً ،وهي أوّل النَّهار .

وخِلالُ الشيء : وسَطُه .

والرَّتْع : الرَّعْي ، والتَّردُّد في المَرْعَى .

والضَّبُّ : الحَيوانُ المعروفُ .

والنَّهَلُ : الشُّرْبُ والرِّيُّ . والعَلُّ : الشُّرْب بعدَ الشُّرب .

والعِقالُ : الحُبَيْل الذي تُشَدُّ به رُكْبَةُ البَعير لئلّا يَشْرُدَ .

والمَجالُ : موضع الجَوَلان والعَدْو .

والفَسِيح : الواسع ، وأضاف العَرْضَ إليه ، من إضافة الموصوف إلى الصفة .

والمُونِقة : المُعْجِبة .

والتَّهدُّل : الاسترخاء .

والبَرِير : قد تقدَّم (٣) .

---

(١) في هذا الحديث .

(٢) بضم الكاف ، وهو من باب قعد ، كما في المصباح .

(٣) في هذا الحديث ، وسبق أيضاً في حديث طهفة .

والمَلْحُود : الموضوع في لَحْد القَبْر .

والجَدَث : القَبْر .

والبَزُّ والبِزَّة : اللِّباس ، ويريد به الأكفان .

والفَرَق : الفَزَع .

والمُنْهَجُ : البالي ، يقال : نَهِجَ الثَّوبُ [١] وأَنْهَجَ : إذا بَلِيَ ، وأَنْهَجَه البِلَى : إذا أَخْلَقَه .

---

(١) والجسم أيضاً ، كما في النهاية .

حَدِيثُ سَطِيْح الكَاهِن

لما كان ليلةَ وُلد فيها رسول الله ﷺ ارْتَجَس إيوانُ كِسْرَى ، فسقطت منه أربعَ عشرةَ شُرْفَةً ، وخَمَدتْ نارُ فارس ، ولم تَخْمُد قبل ذلك بألف عام ،وغاضَتْ بُحيرة ساوَةَ ، ورأى المُوبِذانُ كأنَّ إبِلاً صِعاباً تقودُ خَيْلاً عِراباً ، حتى عَبَرتْ (١) دِجْلَةَ ، وانتشرت في بلاد فارسَ ، فتجلَّد كِسْرى ،وجلس على سريره ، ولبِس تاجَه ، وأرسل إلى المُوبِذان ، فقال له : إنه سقط من إيواني أربعَ عشرةَ شُرْفَةً ، وخَمَدتْ نارُ فارسَ ، ولم تَخْمُد قبل اليوم بألف عام .

قال : وأنا أيها الملِك ، قد رأيت كأَنَّ إبِلاً صِعاباً تَقُودُ خَيْلاً عِراباً ، حتى عَبَرتْ دِجْلةَ ، وانتشرت في بلاد فارس .

قال : فما ترى في ذلك يامُوبِذانُ ــ وكان رأْسَهم في العِلم ؟

فقال : حَدَثٌ يكونُ مِن قِبَل العَرَب .

فكتب حينئذ كتاباً : مِن كِسْرى ملكِ الملوك إلى النُّعمان بن المنذر ــ وكان يومئذ مِلِكَ العرب ــ أن ابعَثْ إليَّ رجُلاً من العرب يُخبِرني بما أسأله عنه .

فبعث إليه عبدَ المسيح بن حَيَّان (٢) بن بُقَيْلَة الغَسَّانيّ .

---

(١) بحاشية الأصل : قطعت .

(٢) بحاشية الأصل : « عمرو » . وكذا جاء في بعض الكتب التي ذكرت هذا الحديث ، وفي بعضها الاخر: « عبد المسيح بن عمرو بن حيان » . وانظر حواشي جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٣٧٤ ، والاشتقاق ص ٤٨٥ .

فقال له : ياعَبْدَ المَسيح ، هل عندك عِلْمٌ بما أُريد أن أسألك عنه ؟

قال : يسألني المَلِكُ ، فإن كان عندي منه عِلمٌ أعلمتُه ، وإلا أعلمتُه بمَن عِلمُه عنده . فأخبره كِسْرى به . فقال : عِلمُه عند خالٍ لي يسكن مَشارِفَ الشَّام ، يقال له : سَطِيحٌ .

قال : فاذهب إليه فسَلْه ، فأخبِرْني بما يُخبرك به .

فخرج عبد المسيح ، حتى قدم على سَطِيح ، وهو مشرفٌ على الموت . قال : فسلَّم عليه وحَيَّاه ، فلم يُجِبْه سَطِيحٌ ، ولم يُحِرْ جواباً ، فأنشأ عبد المسيح يقول :

أَصَمَّ أمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ اليَمَنْ
أَمْ فادَ فازْلَمَّ به شَأْوُ العَنَنْ
يافاصِلَ الخُطَّةِ أعْيَتْ مَنْ ومَنْ
وكاشِفَ الكُرْبَةِ في الوَجْهِ الغَضِنْ
أتاكَ شيخُ الحَيِّ مِن آلِ سَنَنْ
وأُمُّه مِن آل ذِئبِ بنِ حَجَنْ
أبيضُ فَضْفاضُ الرِّداءِ والبَدَنْ
رسولُ قَيْلِ العُجْمِ كِسْرَى (١) للوَسَنْ
لايَرْهَبُ الدَّهرَ ولا ريبَ الزَّمنْ
يجُوبُ بِيَ الأرضَ عَلَنْداةٌ شُزُنْ

---

(١) بحاشية الأصل : « يسري » ، وتأتى هذه الرواية في الشرح .

يَرْفَعُني وُجْنٌ ويَهْوي بي وُجُنْ
حتى أَتَى عاري الجآجِىءِ والقَطَنْ
تَلُفُّه في الرِّيحِ بَوْغاءُ الدِّمَنْ
أزْرَقُ مُهْمَى (١)النَّابِ صرَّارُ الأُذُنْ
كأنَّما حُثْحِثَ مِنْ حِضْنَيْ ثكَنْ

فلما سمع شعَره رفع رأسَه إليه ، فقال : عبدُ المسيحْ ، على جَملٍ مُشِيحْ ، من بَلَدٍ نَزِيحْ ، جاء إلى سَطِيحْ ، وقد أوْفَى على الضَّرِيحْ . بَعَثك مِلكُ بني ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخُمود النِّيران ، وَرُؤْيا المُوبِذان . رأى إبلا صِعابا ، تقود خيلاً عِرابا ، قد قطَعتْ دِجلَة وانتشرت في بلاد فارس . ياعبدَ المسيح ، إذا ظهرت التِّلاوَة ، وغارَتْ بُحَيْرة ساوَة ، وفاضَ وادي السَّماوَة ، وخرَج صاحبُ الهِراوة ، فليست الشامُ لسَطيحٍ شاما . يملِكُ منهم ملوكٌ ومَلِكات ، على عَدَد الشُّرُفات ، ثم تكون هَناتٌ وهَنات ، وكلُّ ماهو آتٍ آت .

ثم قضَى سَطِيحٌ مكانَه ، ونَهض عبدُ المسيح إلى رَحْله وهو يقول :

شَمِّرْ فإنك ماضي الهَمِّ (٢)شِمِّيرُ ... لا يُفْزِعَنَّك تَشْرِيدٌ وتَغْزِيرُ (٣)
إن يُمْسِ مُلْكُ بني ساسانَ أَفْرَطَهُمْ ... فإن ذا الدَّهْرَ أطْوارٌ دَهارِيرُ

---

(١) هكذا في الأصل : « مهمي » بالهاء بين الميمين ، وسيردّ المصنف هذه الرواية في الشرح .

(٢) بحاشية الأصل : العزم .

(٣) بحاشية الأصل : تفريق وتغيير . والتعزير هنا : الردّ والمنع .

فرُبَّما رُبَّما أضحَوْا بمَنْزِلةٍ تَهابُ صَوْلَهُمُ الأُسْدُ المَهاصِيرُ
منهم أخو الصَّرْح بَهْرامٌ وإخوَتُه والهُرْمُزانُ وسابُورٌ وسابُورُ
والناسُ أولادُ عَلّاتٍ فمَنْ عَلِمُوا أنْ قد أقَلَّ فمَحْقُورٌ ومَهْجُورُ
وهم بَنُو الأُمِّ إمَّا إنْ رأَوْا نَشَباً فذاك بالغَيبِ محْفوظٌ ومَنْصورُ
والخيرُ والشَّرُّ مَجْموعانِ في قَرَنٍ فالخيرُ مُتَّبَعٌ والشَّرُّ مَحْذورُ

فلما قدم عبدُ المسيح على كِسْرَى أخبره بقول سَطِيح ، فقال كسرى : إلى أن يملِكَ منا أربعةَ عشَرَ ملكاً تكون أمورٌ !

قال : فملك منهم عشرةٌ في أربع سِنِين ، ومَلك الباقون إلى خلافِة عُثمانَ بنِ عَفَّان ، رحمة الله عليه .

* * *

حديث سَطِيحٍ هذا ، مشهورٌ بين الرُّواة ، مذكورٌ في دلائل النُّبوة [١] . قال أبو موسى : لايُعرَف إلّا من حديث عليٍّ بن حَرْب

---

(١) راجع دلائل النبوة لأبي نعيم ١ / ١٧٤ ــ ١٧٧ ، ودلائل النبوة للبيهقى ١ / ٦٧ ــ ٧٢ ، وانظر حديث سطيح أيضاً في : تاريخ الطبري ٢ / ١٦٦ ــ ١٦٨ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٥ ، والروض الأنف ١ / ١٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ / ٢١٥ ــ ٢١٨ ، والعقد الفريد ٢ / ٢٨ ، ٣٠ ، وتهذيب اللغة ٤ / ٢٧٦ ــ وقال الأزهري : « وهذا الخبر فيه ذكر آية من آيات نبوة محمد ﷺ قبل مبعثه ، وهو حديث حسن غريب » ــ والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى ١ / ٩٧ ــ ١٠٠ ، والاكتفا للكلاعي ١ / ١٢٠ ــ ١٢٢ ، ومعجم البلدان ٣ / ٢٠ ،في رسم (ثكن) ، ولسان العرب (سطح) ، والخصائص الكبرى للسيوطي ١ / ١٢٧ ــ ١٢٩ ، وعيون الأثر ١ / ٢٨ وهواتف الجِنّان ص ١٧٩ .

الطائيِّ ، وقد رُوي عنه من غير وَجْهٍ ، عن يَعْلَى بن النُّعمان البَجَليِّ (١) ، أو يَعْلَى بن عِمران ، عن مخزوم بن هانئٍ المخزوميّ ، عن أبيه هانىء . وكانت له عشرون ومائة سنة ، أو خمسون ومائة سنة .

وأخرجه الخَطَّابيّ(٢)،عن محمد بن الحسين بن إبراهيم ، بإسناده عن يَعْلَى بن عِمران البَجَليّ . وأخرجه الزمخشريُّ (٣) أخصرَ من هذا .

شرحه

سَطِيحٌ : اسمه ربيع بن ربيعة ، من بني ذُؤَيب (٤) ، وهم بَطْنٌ من بني مازن بن الأَزْد ، الغَسَّانيّ ، وسُمِّيَ سَطِيحاً لأنه كان لا عَظْمَ فيه ، والسَّطِيح : المُسْتَلْقي على قَفاه من الزَّمانة .

والكاهن : هو الذي يَتَعاطَى الخبرَ عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويَدَّعي معرفةَ الأسرار ، وقد كَهَنَ يكْهُن (٥) كِهانةً ، بالكسر : إذا تكَهَّن ، فإذا (٦) أردتَ أنه صار كاهِناً قلت : كَهُنَ ، بالضمّ ، كَهانَةً ، بالفتح . وجمعُ الكاهن : كَهَنةٌ وكُهَّانٌ ، وقد كان في العرب كَهَنةٌ ، منهم شِقٌّ وسَطِيح ، فمنهم من كان يَزْعُم أن له تابعاً من الجنّ

(١) من ولد جرير بن عبد الله البجلي ، الصحابي الجليل الذي تقدم حديثه .

(٢) غريب الحديث ٦٢٢/١ .

(٣) الفائق ٢ / ٣٨ ــ ٤٢ .

(٤) في جمهرة الأنساب ص ٣٧٥ : الذئب .

(٥) بضم الهاء في المضارع ، وهو من باب قتل ، كما في المصباح .

(٦) عبارة المصباح : فإذا صارت الكهانة له طبيعة وغريزة .

وَرِئيّاً يُلْقِي إليه الأخبارَ ، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدِّماتِ أسبابٍ يستدِلّ بها على مواقعها مِن كلام مَن يسأله ، أو فعلِه أو حالِهِ ، وهذا يخصُّونه باسم العَرَّاف ، وهو الذي يدَّعى معرفة الشيء المسروق ومكان الضالَّة ونحوهما . وأصل الكهانة : المعرفة والفِطنة بدقائق الأمور وغوامِضها .

والارتجاس : الاضطِراب والحركة المُزْعجة ، ورَجَست السماء تَرْجُس وارتَجَسَت : إذا رَعَدِتْ . والرَّجْس ، بالفتح : الصوت الشَّديد .

والإيوان : البناء المعروف من مساكن الدُّور ، كالصُّفَّة العظيمة ، وهي كلمة فارسيّة ، كان يجلس فيه الملك لدخول الناس عليه ، وتُكْسَر همزتُه وتُفتح ، وقد تُحذف منه الياء [1] .

وكِسْرَى : لقَب كلِّ من يملك من ملوك الفرس ، وتُفتح كافه وتُكسر [2] ، وهو مُعرَّب خُسْرُو ، وجمعه أكاسِرة ، على غير قياس .

---

(١) وحينئذ تخفف الواو ، كما نص الجواليقي في المعرب ص ٦٧ ، وضبطت في الفائق بالتشديد ، ضبط قلم .

(٢) قال ابن الشجري : « وروى الكوفيون : كسرى ، بكسر الكاف ، ورواه البصريون بفتحها ، إلا أبا عمرو بن العلاء ، وجمعته العرب جمعين على غير القياس ، وهما الأكاسرة والكسور ، وذلك أن حد الأفاعلة أن يكون جمعا لإفعال ونحوه ، كإسكاف وأساكفة ، وأما الكسور ، فكأنهم جمعوه عليه بتقدير طرح ألفه ، فهو كجذع وجذوع ، في قول من كسر أوله ، ودرب ودروب ، في قول من فتحه » . أمالي ابن الشجري ١ / ٩٥ .

هذا وقد ذكر الجواليقي في المعرب ص ٣٣٠ أن الأفصح كسر الكاف .

وأورد صاحب اللسان ، مادة (كسر) جمعا ثالثاً على غير القياس ، وهو « كساسرة » . ثم أفاد أن قياسه « كِسْرَوْن » بفتح الراء ، مثل عِيسَوْن ومُوسَوْن .

وكان الملكُ يومئذٍ كسرى أنُو شَرْوان بن قُباذ .

والشُّرفَة : مايُشَرَّف به أعلا القَصْر ، ويُبْنَى على رأس جِداره مُتَفَرقاً كالأسنان الخارجة ، وجمعُها شُرَفٌ وشُرُفات .

وخَمَدت النارُ تَخْمُد (١) : إذا طَفِئَتْ أو كادَت . ونارُ فارسَ هي التي يعبدها المجوسُ ، وتكون في بيوت عباداتهم ، لاتُطْفأُ ليلاً ولا نهاراً .

والفُرْس : الجِيل المعروف من الناس . وبلاد فارسَ : اسمٌ للصُّقْع المعروفِ من الأرض .

وفي إضافة النار إليه خاصّةً (٢) ، لأن معظم بيوت عباداتهم كانت به .

والبُحَيْرة : تصغير بَحْرةٍ في الأصل ، من البَحْر ، كالشَّحْمة والشَّهْدة ، من الشَّحم والشَّهد (٣) .

والمُوبِذانُ للمجوس : كقاضي القُضاةِ للمسلمين . والمُوبِذُ : القاضي .

والصِّعاب : الإبل الشِّداد التي لاتُطيع راكبَها ، واحدها : صَعْبٌ .

والعِراب : الخيلُ العربيَّةُ ، ولا واحدَ لها من لفظها ، كأنهم فرَّقوا

---

(١) بضم الميم ، وفعله من باب قعد ، كما في المصباح .

(٢) هكذا في الأصل . وكأن في الكلام سقطا .

(٣) وهي الطائفة والقطعة . قاله الزمخشري ،والشرح كله له .

بين الأناسيّ والخيل ، فقالوا في الناس : عَرَبٌ وأعرابٌ ، وفي الخيل : عِرابٌ ، كما قالوا فيهم : عُراةٌ ، وفيها : أعراءٌ .

والتَّجَلُّد : تكلُّف الجَلادة والجَلَد ، وهي الصَّلابة والشِّدَّة .

والتاج : حَلْيٌ من ذهبٍ مُرصَّع بالجوهر ، يُلبَس على الرأس .

والحَدَثُ : الأمر الحادثُ الفَظيع .

والغَسَّانيّ : منسوبٌ إلى غَسَّانَ ، وهو لقبُ مازن بن الأزد بن الغَوْث . وغَسَّانُ : ماءٌ باليمن ، نَزلوا عليه ، فنُسِبوا إليه ، وغَلَب عليهم .

وحَيَّانُ ، بالياء تحتها نقطتان .

وبُقَيْلَة [١] : تصغير بَقْلَة ، بالباء المُوحَّدة والقاف .

ومَشارِفُ الشام : أعاليها ، جَمْع مَشْرَفٍ .

والمَشْرَفيَّة : سُيوفٌ نسبت إلى مَشْرَفٍ ، واحدِ مشارِف ، وهي قُرىً من أرض العرب تدنو من الرِّيف . ولم يقل :مشارفيَّة ؛ لأن الجمع لايُنسَب إليه .

والإشراف على الشيء : الدُّنُوّ منه والاطِّلاع عليه .

ويروى : « وهومُشْفٍ على الموت » بمعنى أشرفَ ، يقال : أشْفَى على الشيء يُشْفي : إذا أشرف عليه ، وقَرُبَ منه ، وهو من أفعلَ الذي بمعنى صارَ هذا كهذا ، لأن من كان على حالةٍ ثم أشرفَ على مايُنافيها فقد بلغ شَفا تلك الحالة ، أي طَرَفها ومُنْتهاها ، فكأنه صار ذا شَفاً ، لبلوغه إيَّاه ، بعد أن كان ذا وسَطٍ ، لتمكُّنِه وبُعدِه من النِّهاية .

---

(١) اسمه ثعلبة ، أو الحارث ، قالوا : سمي بقيلة لأنه خرج في بردين أخضرين فقيل له : يا حارث ما أنت إلا بقيلة خضراء ، فغلبت عليه » انظر الاشتقاق ص ٤٨٥ حاشية (٣).

ولم يُحِرْ جَواباً : أي لم يَرُدَّ عليه ، وأحارَ : منقولٌ مِن حارَ : إذا رجع ، ومنه المحاورة ، وهي مراجعة القول .

والأَصَمُّ : الذي لايَسمع لآفةٍ في سمعه .

والغِطْريف : السَّيِّد ، وقد تَغَطْرَف : إذا تَسوَّد وتكبَّر . قيل : أصله من الغِطْرِيف : فَرْخ البازي .

وفادَ يَفُودُ ويَفِيد : إذا مات . قال (١) :

رَعَى خَرَزاتِ المُلْكِ سِتِّين حجَّةً وسِتِّين حتى فادَ والشَّيْبُ شامِلُ

ويروى : « فازَ » بالزاى بمعناه ، تقول : فاز ، يَفُوز : إذا هلَك ، وفَوَّز : إذا مات ، وهو من الأضداد (٢).

وازْلَمَّ : محذوف ، من ازْلأَمَّ بالهمز ، وازْلامَّ بالمد : إذا ولَّى مُسرِعاً ، وإذا ارتفع وانتصب ، نحو احْمَرَّ من احْمارَّ ، واصْفَرَّ من اصْفارَّ .

والشَّأْوُ : الغاية والسَّبْق .

والعَنَنُ : مِن عَنَّ لي كذا : أى عَرضَ ، ويريد به هاهنا الموت .

ومعنى « ازْلَمّ به شأْوُ العَنَن » : ذهب به غايةُ الموت وسَبْقُه ، ذهاباً سريعاً .

والفاصِلُ : الحاكم المبيِّن .

والخُطَّة : الحالة والقَضيَّة .

والإعياء : العَجْز والقُصُور .

---

(١) لبيد ، والبيت في ديوانه ص ٢٦٦ ، وتخريجه في ٣٩٠ ، ورواية الديوان : « عشرين حجة وعشرين » . والشاعر يرثي النعمان بن المنذر .

(٢) راجع الأضداد لابن الأنباري ص ٤٠٥ ، ولأبي الطيب ص ٥٥٧ ، وأنشدا شعر لبيد .

وقوله : « أعْيَتْ مَنْ ومَنْ » أي إن هذه الخُطَّة لصُعوبتها أعْجزَتْ كلَّ من جَلَّ قَدْرُه في عِلمه وحِكمته ، فحذف الصِّلَةَ التي لِمَنْ ومَنْ ، كما حُذِفت في قولهم : « بَعْدَ اللَّتيَّا والتَّي » [١] إيذاناً بأن ذلك مما تَقْصُرُ العبارةُ عنه لعِظَمه .

والوَجْه الغَضِن : الذي فيه تكَسُّرٌ وتجَعُّد ، من شِدَّة اهتمامِه بالكَرْب الذي أصابه . وغُضُون الجِلد : مَكاسِرُه ومَعاطِفُه .

وآل سَنَن [٢]

والفَضْفاض : الواسع .

والرِّداء : الثوب الذي يوضَع على الأكتاف .

والبَدَن من الجسد : ماسوى الرأس والأطراف ، ومن الدُّروع :

---

(١) راجع الكتاب ٢ / ٣٤٧ ، ٣ / ٤٨٨ ، والمقتضب ٢ / ٢٨٩ ،وأمالي ابن الشجري ١ / ٢٤ ، والخزانة ٢ / ٥٥٩ ، وتأتي هذه العبارة في رجز للعجاج . راجع ديوانه ص ٢٧٤ .

(٢) بياض بالأصل . وفي الاشتقاق ص ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ذكر من إياد : بني سُبَيْن ، قال : « وهم بالحيرة ، منهم بقيلة ، صاحب القصر الذي يقال له : قصر بني بقيلة بالحيرة ، منهم عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة » وفي هامشه حاشية من حواشي نسخة الاشتقاق ، منقولة عن معجم الشعراء للمرزباني ــ وهي من النصوص التى فقدت من أصل المعجم ، كما ذكر محقق الاشتقاق . ونص هذه الحاشية : « عبد المسيح بن بقيلة الغساني ، وهو عبد المسيح بن بقيلة،اسمه ثعلبة بن سنين ، ويقال : الحارث ... » .

فهل سنين هذا هو المراد بقوله : من آل سنن » وإنه إنّما غيَّره للوزن ، كما يفعلون بالأعلام أحياناً ؟ أو أنه « من آل سبن » الذين هم بنو سبين ، على ماذكر ابن دريد ؟

وقد نبهني إلى هذا أخي الكريم الأستاذ المحقق مصطفى حجازي ، فله خالص الشكر والدعاء .

ماوارَى البَدَن . والمراد هاهنا : رُحْبُ الذِّراعْ وسَعَةُ الصَّدْر ، لأنه إذا وصَفَ بالسَّعةِ مايَنعطِف علَى ذِراعيه ، ويشتمل على صدره من بدَنه أو دِرعه ، فقد رحَّب ذِراعَه ووسَّع صدْرَه .

والقَيْلُ (١) : المَلِك .

والوَسَن : النَّوم ، وأراد به رؤْيا المُوبِذان .

ويروى : « يَسْري للوَسَن » من السُّرَى : سَيْرِ الليل .

والرَّهْبة : الخَوْف .

ورَيْبُ الزَّمَن : حوادثه ، وأصل الرَّيب : الشَّكّ والتُّهمة .

والجَوْب : القَطْع ، وجابَ الأرضَ يَجُوبُها : إذا سار فيها وقطعها .

والعَلَنْداة : الناقة الصُّلبة ، والعَلَنْدَى : الصُّلْب الشَّديد ، والألف والنون زائدتان ، وقيل : إن التاء للمبالغة لا للتأنيث ، لأنه يريد الجملَ لا الناقةَ ، لأن مابعده مُذكَّر .

والشَّزَن ، بفتح الشين والزاي وبضمهما : الشدّة والغِلظة ، وقيل : هو بالفتح : الغِلظة ، وبالضم : الجانِبُ والناحية . والشَّزَن بالفتح أيضاً : النَّشاط . أي يمشي في شِقٍّ وجانبٍ من نشاطه .

وجاء في رواية : « عَلَنْدًى ذو شَزَن » وأراد به الإعياءَ من الحَفا . يقال : شَزِنَ البعيرُ شَزَناً فهو شَزِنٌ .

ويروى : « عَلَنْداةٌ شَجَن » بالجيم ، والشَّجَنُ : الناقة المُداخَلَةُ الخَلْق ، كأنها شجرةٌ مُتشَجِّنة ، أي متَّصلة الأغصان .

---

(١) تقدم الكلام فيه مفصلاً في حديث وائل بن حجر الحضرمي .

والوُجُن ، بضمتين : جمع وَجِينٍ ، وهو المنقاد من الأرض في غِلَظٍ ، وتُخفَّف الجيم فتُسكَّن .

وهَوَى يَهْوِي : إذا انحطَّ من عُلْوٍ .

ويروى :

* تَرْفَعُني وَجْناءُ تَهْوِى من وُجُنْ *

فالوَجْناء : الناقةُ القويَّة الصُّلبة . والوُجُن : صِفةٌ للأرض . أي لم يزل هذا البعيرُ — أو هذه الناقة — الذي هذا صِفتُه ، يرفعني مرَّةً في هذه الأرض التي بهذه الصفة ، ويخفضنى أخرى .

والجَآجِىء : جمع جُؤْجُؤ ، وهو الصَّدْر .

والقَطَنُ : مابين الوركين من أسفل الظهر .

والعاري : الذي ذهب لحمُه وشحمه ، فكأنه عَرِيَ منه . يعني أن سُرعةَ السَّير قد هَزَله وأذهب سِمَنَه .

وهذا البيت يشهد لتذكير العَلَنْداة ، لأنه قال : « أتى عاري » ولو أراد الناقةَ لقال : « أتَتْ عارية » ويجوز أن يكون أراد نفسَه لا الناقةَ .

وسكَّن ياء « عارِي » وأصلها الفتح على الحال ، لضرورة الشِّعر ، وإن جعلته فاعل « أتى » زالت الضرورة .

والبَوْغاء : دُقاقُ التُّراب الطائرُ في الهواء . وارتفعت بَوْغاءُ الطِّيب : إذا سطعَتْ رائحتُه .

والدِّمَن : جمع دِمْنَةٍ ، وهى آثار الناس ، وما سوَّدُوا من الأرض ، وأصلها من التَّدَمُّن : التَّجَمُّع .

وهذا البيت من المقلوب [١] ، أراد : تَلُفُّه الرِّيحُ ببوغاء الدِّمَن . ويُروى :

* تَلُوحُه في اللُّوح بَوْغاءُ الدِّمَنْ *

يقال : لاحَه يَلُوحُه ، ولَوَّحه : إذا غَيَّر لونَه ، ومنه قولهم : لَوَّحَتْه النارُ والشَّمسُ . واللُّوح ، بالضم : الهواءُ والفضاءُ مابين السماء والأرض . يريد أن الهواء والتُّراب غيَّرا لونَه .

والأزرق : أراد به النَّمِر ، وهم أبداً يصفونه بالزُّرقة ، لزُرقة عينه .

والمُمْهى : المُحَدَّد ، يقال : أمْهَيْتُ الحديدةَ : إذا أحْدَدْتَها وإذا سقيتَها ماءً .

ورواه الزمخشريّ [٢] : « مُهْمَى الناب » وقال : هو مقلوبٌ من المُمْهَى : المُحَدَّد ، والظاهر والله أعلم أنه تصحيفٌ قد وقع إليه كذا ، فاحتال لتأويله وَجْهاً .

والمشهور في الرواية : « أزرقُ مَهْمُ الناب » وفُسِّر أنه الحَديدُ الناب . قال الأزهرى [٣] :هكذا رُوي هذا الحرف ، وأظنه « مَهْوُ الناب » ، بالواو ، يقال : سَيْفٌ مَهْوٌ : أي حَديدٌ ماضٍ .

---

(١) عبارة المصنف في ترجمة (بوغ) من النهاية : وهذا اللفظ كأنه من المقلوب ، تقديره : تلفه الريح في بوغاء الدمن ، ويشهد له الرواية الأخرى :

« تلفه الريح ببوغاء الدمن »

(٢) الذي في الفائق المطبوع : « ممهى » وقال الزمخشري : « وهو من المهى ، مقلوب » . وكذا حكاه المصنف عنه ، في النهاية (مهم) .

(٣) لم أجد هذا الكلام في تهذيب اللغة للأزهرى ، في كل مظانه ، واعتماداً على =

والصَّرَّارُ(١) الأُذُنِ : الذي نَصَبَ أُذُنَه وسَوَّاها .

وحُثْحِثَ : أي حُثَّ واستُعْجِل ، يقال : حَثَّه على السَّير(٢) يَحُثُّه و حَثْحَثه ، ثم بُنى لما لم يُسَمَّ فاعِلُه ، ويقال : حَثَّ البَعيرُ والفرسُ وحَثْحَثا : إذا أسرعا ، فيكون قاصِراً(٣) ، والأول مُتعدِّياً .

والحِضْنُ : الجَنْبُ .

وثَكَن : اسمُ جبلٍ حجازِيٍّ . ومعنى البيت أنه من كثرة التُّراب والغُبار الذي أصاب جَملَه في سرعة سيره ، كأنه نَمِرٌ هُيِّجَ ، وأُعْجِل من جانبي هذا الجبل .

والمُشِيح : الجادُّ في السَّير وغيرِهِ .

والنَّزيح : البعيدُ ، كالنازِح .

ويروى : « على جَملٍ طَلِيح » أي مُعْيٍ ، وقد طَلَح البعيرُ ، وأطلَحْتُه أنا .

= الفهارس التي صنعها له شيخنا عبد السلام هارون ، ولعل الأزهري قد أورد هذا الكلام في كتابه « تفسير شواهد غريب الحديث » فقد ذكر له ياقوت كتاباً بهذا العنوان . راجع معجم الأدباء ١٧ / ١٦٥ .

ويبقى أن أشير إلى أن ابن الأثير قد حكى كلام الأزهري هذا عن الهروي . فقد نقل الهروي هذا الكلام عن الأزهري ، في الغريبين (مهم) .

وقال الزمخشري في الفائق : ورواه المحدثون : « مهم الناب » بميمين ، وقد لحنوا . وقيل : الصواب : « مهو الناب » وهو في معني الممهي ، شبه جمله في سرعة سيره بنمر هيج من جانبي هذا الجبل .

(١) يقال : صرّ أذنه وصرَّرها ، وإنما تفعل الخيل ذلك إذا جدت في سيرها .

(٢) في النهاية واللسان : الشيء .

(٣) أي لازما . وسبق مثل هذا التعبير في حديث جهيش بن أوس النخعي .

وأَوْفَى على الشيء : إذا أشرَف عليه .

والضَّريح : القَبْر .

وبَنُو ساسانَ : الفُرْس ، وهو أبوهم الأكبر ، وملوكهم من أولاده .

والتِّلاوة : القِراءة . يريد قراءة القرآن .

وفاضَ الوادي والإناء : إذا امتلأً وسالَ .

والسَّماوة : البَرِّيَّة بين دِمَشْقَ والعراق .

والهِراوةُ : القضيب ، يعنى النبيَّ ﷺ ، لأنه كان يُمسك القضيب بيده كثيراً ، وكانَ يُمْشَى بالعصا بين يديه ، وتُغْرَز له فيُصَلِّي إليها .

وغارَ الماءُ : إذا غاصَ في الأرض وذهب بالكُلّيّة . ويروى : « غاضَتْ » بمعناه .

وقوله : « فليست الشامُ لسطيحٍ شاما » يعني أنه يكون قد مات ، ولم يبق بالشام . وفى رواية : « فليست الشامُ بالشام » أي يتنكَّر حالُها بعد ظُهور النبيّ ﷺ ، ويُتبدَّل بملوكها .

وهَناتٌ : جمع هَنَةٍ ، وهي الشَّدائد والأُمورُ العِظام .

وقَضَى الرجلُ يَقْضِي : إذا مات .

والرَّحْل : الكُورُ ، وهو سَرْجُ الناقة .

والتَّشْمير والتَّشَمُّر : التَّأهُّب والاستعداد ، والجِدُّ في الأمور .

والشِّمِّير بوزن القِنْدِيل : من أبنية المبالغة .

والإفزاع : من الفَزَع : الخوفِ .

والتَّشْريد : التَّنْفِير والحَمْل على التَّفَرُّق .

والتَّغْرير : الوقوع في الغَرَر ، وهوالجَهْل والخَطَر .

وأفْرَطَهُم : من أفرطَ الرجلُ القومَ : أي تقدَّمهم وتركهم وراءَه . يريد زوالَ المُلْكِ عنهم .

وقوله : « ذا الدَّهرَ » نصب على عطف البيان مِن « ذا » التي هي اسم « إن »

والأطوار : الحالات ، واحدها : طَوْرٌ .

والدَّهارير : تصاريف الدَّهْر ونَوائبه ، مشتقٌ من لفظ الدهر ، وليس له واحدٌ من لفظه ، يقال : دهرٌ دهاريرُ [أي شديدٌ ، كقولهم : ليلةٌ ليلاءُ ، ويومٌ أيْوَمُ] (١) .

وقوله : « فرُبَّما رُبَّما » مكرَّرة لكثرة حصول هذا الفعل منهم . و « رُبَّ » وإن كانت للتقليل في أصل الوضع ، فقد تستعمل للتكثير (٢) كقوله تعالى (٣) : ﴿ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ ،

---

(١) مابين الحاصرتين بياض فى الأصل ، وقد استكملته من النهاية ، وقد حكاه المصنف هناك عن الجوهري ، وهو في الصحاح (دهر) .

(٢) قال القرطبي في تفسيره ١٠ / ١ : وأصلها أن تستعمل في القليل ، وقد تستعمل في الكثير ، أي يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين . قاله الكوفيون ، ومنه قول الشاعر :

ألا ربما أهدت لك العين نظرة قصاراك منها أنها عنك لاتجدي

وقال بعضهم : هي للتقليل في هذا الموضع ، لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لافي كلها ، لشغلهم بالعذاب . والله أعلم .

وقال ابن هشام : وليس معناها التقليل دائماً ، خلافاً للأكثرين ، ولا التكثير دائماً ، خلافاً لابن درستويه وجماعة ، بل ترد للتكثير كثيراً ، وللتقليل قليلاً . المغني ص ١٤٣ .

(٣) الآية الثانية من سورة الحجر ، وقد ضبطت باء « ربما » في الأصل بالتشديد ، وهي قراءة غير عاصم ونافع من القراء . راجع السبعة لابن مجاهد ص ٣٦٦ ، والموضع السابق من تفسير القرطبي .

وإدخال « ما » عليها ليصحَّ وقوعُ الفعل بعدها ، فإنها حرف جرّ ، وهي من خواصّ الأسماء .

والصَّوْل والصَّولَة : الحملة والشِّدَّة ، والأَخْذُ القويُّ .

والمَهاصِيرُ : جمع مِهْصارٍ ، والهَصْر : أن تُميلَ الشيءَ إليك وتكسِره . أي إنها تَكْسِرُ كلَّ ماظَفِرت به .

والصَّرْح : القَصْر ، وكلُّ بناءٍ عالٍ .

وبَهْرام ، والهُرْمُزان ، وسابُور ، وسابُور : من أسماء ملوكهم .

وأولاد العَلَّات : الإخوة لأَب واحدٍ وأُمَّهاتٍ شَتَّى .

وأقلَّ الرجلُ فهو مُقِلٌّ : إذا افتقر وقَلَّ مابيده .

والمحقور : المُهانُ المُطَّرَح .

والمهجُور : المُبْعَد المتروك .

وقوله : « وهم بنو الأُمّ » يريد بني الأُمِّ الواحدة .

والنَّشَبُ : المال .

يريد أن الناس إخوانٌ من حيث الانتسابُ إلى آدمَ ، لكنْ طِباعُهم وأهواؤهم وأغراضهم مختلفة ، فإذا رأوا من الإنسان غِنىً ومالاً كانوا كبنى الأم الواحدة ، يعطِف بعضهم على بعض ؛ لأن بني الأمّ الواحدة يتعاطفون ويتحابُّون أكثر من أولاد الأمهات الشَّتَّى ، لأن الأمّ أعطفُ على الأولاد من الأب ، وهم إذا رأوا فقيراً هجروه وحَقَرُوه ، وصاروا معه بمنزلة أولاد الأب بعضهم مع بعض .

وإمّا في قوله : « إمّا إن رأوا » ، زائدةٌ ، تقديره : وهم بنو [1] الأُمّ إن رأوا . ويروى : « لَمَّا أن رأوا » بفتح « أن » .

والقَرَنُ : الحَبْل يُشَدُّ به البعيران معاً .

---

(١) في الأصل : بنى .

حَدِيثُ أُمِّ مَعْبَد
الخُزاعيَّة

أنّ النبيّ ﷺ لمّا خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ، خرج هو وأبو بكر ، ومولى أبي بكر عامرُ بن فُهَيْرة ، ودليلُهم الليثيُّ عبدُ الله بنُ أُرَيْقِط رضي الله عنهم ، مَرُّوا على خَيْمتي أمّ مَعْبَدٍ الخُزاعيّة ، وكانت بَرْزَةً جَلْدةً ، تَحْتَبي بفِناء القُبَّة [١] ، ثم تَسْقي وتُطْعِم ، فسألوها لَحْماً وتَمْراً ليشتروه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وكان القوم مُرْمِلين مُسْنِتِين [٢] ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاةٍ في كِسْر الخَيْمة ، فقال : ماهذه الشاةُ يا أم مَعْبَد ؟ قالت : شاةٌ خَلَّفها الجَهْدُ عن الغنم ، قال : فهل بها مِن لَبَن ؟ قالت : هي أَجْهَدُ من ذلك . قال : أَتَأْذَنِينَ أن أحْلُبها ؟ قالت : بأبي أنت وأُمِّي ! إن رأيتَ بها حَلَباً فاحلُبْها . فدعا بها رسول الله ﷺ ، فمسح بيده ضَرْعَها ، وسَمَّى الله عزّ وجلّ ، ودعا لها في شاتها ، فَتفاجَّتْ عليه ودَرَّتْ ،واجْتَرَّت ، ودعا بإناءٍ يُرْبِض الرَّهْط ، فحَلَب فيه ثَجّاً حتى علاه البهاءُ ، ثم سقاها حتى رَوِيَتْ ، وسقى أصحابَه حتى رَوُوا ، ثم شرب آخِرَهم ، ثم أراضُوا عَلَلاً بعد نَهَلٍ ، ثم حلب فيه ثانياً بعد بَدْءٍ ، حتى ملأ الإناء ، ثم غادَرَه عندها ، ثم بايَعها ، وارتحلوا عنها .

فقلَّما لَبِثَتْ حتى جاء زوجُها أبو مَعْبد ، يَسوقُ أعنُزاً عِجافاً ،

---

(١) بحاشية الأصل : بيتها .

(٢) بحاشية الأصل : « مشتين » . وستأتي هذه الرواية في الشرح .

تَشارَكْنَ هُزْلاً ضُحاً مُخُّهُنَّ قليل ، فلما أن رأى أبو مَعْبدٍ اللبنَ عَجبَ ، وقال : من أين لكِ هذا اللَّبنُ يا أمَّ مَعْبد ، والشَّاءُ عازبٌ حِيالٌ ، ولا حَلوبَ في البيت ؟ .

قالت : لا واللهِ ، إلا أنه مَرَّ بنا رجلٌ مباركٌ ، مِن حاله كذا وكذا .

قال : صِفيه لي ياأمَّ مَعْبَد .

قالت : رأيت رجُلاً ظاهرَ الوَضاءةِ ، مُتبلِّجَ الوجهِ ، حسَنَ الخُلُق ، لم تَعِبْه نُحْلَةٌ (١) ، ولم تُزْرِ به صُقْلَةٌ (٢) ، وَسِيماً قَسِيماً ، في عينيه دَعَجٌ ، وفي أشفاره غَطَفٌ (٣) ،وفي صوته صَحَلٌ ، وفي عُنُقه سَطَعٌ ، وفي لِحيته كثافة ، أزَجَّ أَقْرَنَ ، إن صَمَت فعليه الوقارُ ، وإن تكلَّم سَمَا وعلاه البهاءُ ، أجملُ الناس وأبهاهُ من بَعيد ، وأحسَنُه وأحلاه من قريب ، حلوُ المنطق ، فَصْلٌ لانَزْرٌ ولا هَذَرٌ ، كأن مَنْطِقَه خَرَزاتُ نَظْم يَتَحَدَّرْنَ ، رَبْعةٌ لايأسَ من طُول ، ولا تَقْتَحمهُ عينٌ من قِصَر ، غُصْنٌ بين غُصْنَين ، فهو أنْضَرُ الثلاثة منظراً ،وأحسَنُهم قَدْراً ، له رُفقاءُ يَحُفُّون به ، إن قال أنْصَتُوا لقوله ، وإن أمَر تبادَرُوا إلى أمره ، مَحْفُودٌ مَحْشُود ، لا عابِسٌ ولا مُفَنَّد (٤) .

قال أبو مَعْبَد : هو واللهِ صاحبُ قُريشٍ الذي ذُكِر لنا من أمره ماذُكِر بمكة ، ولقد هممتُ أن أصحَبه ، ولأفعلَنَّ إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً .

---

(١) بحاشية الأصل : « ثجلة » وستأتي هذه الرواية في الشرح .

(٢) بحاشية الأصل : « صعلة » . وتأتى في الشرح .

(٣) بالعين المهملة والغين المعجمة ، ويروى أيضاً : « وطف » وسيأتى كل ذلك في الشرح .

(٤) بحاشية الأصل : « معتد » وسيأتي في الشرح .

قال : فأصبح صوتٌ بمكة (١) عالياً ، يسمعون الصوتَ ولا يدْرُون مَن صاحبُه ، وهو يقول :

جَزَى اللهُ رَبُّ الناسِ خيرَ جزائهِ رفيقين قالا خَيْمَتيْ أمِّ مَعْبَدِ
هما نَزلاها بالهُدَى واهتدَتْ به فقد فازَ من أمسى رفيقَ محمَّدِ
فيالِقُصَيٍّ مازَوَى اللهُ عنكُمُ به مِن فَعالٍ لاتُجارَى وسُؤْدَدِ
لِيَهْنأْ بني كعبٍ مَقامُ(٢) فتاتكمْ ومَقْعَدُها للمؤمنين بمَرْصَدِ
سَلُوا أختَكم عن شاتها وإنائها فإنّكمُ إن تسألوا الشاةَ تَشْهَدِ
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلَّبَتْ له بصَريحٍ ضَرَّةُ الشاة مُزْبِدِ
فغادَرها رَهْناً لَدَيْها لحالِبٍ يُرَدِّدُها في مَصْدرٍ ثم مَوْرِدِ

زاد في رواية :

فما حَمَلَتْ مِن ناقةٍ فوق رَحْلِها أبَرَّ وأوفَى ذِمَّةً من محمَّدِ
وأكْسَى لبُرْدِ الخالِ قبل ابتذالِه وأعْطَى برأسِ السابِحِ المتجرِّدِ

قال : فلما سمع حسانُ بن ثابت الأنصاريّ بهذا الشعر نَشِب (٣) يُجاوب الهاتف ، وهو يقول :

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيُّهم وقُدِّس مَن يَسْري إليهم ويَغْتَدي(٤)
تَرَّحلَ عن قومٍ فضَلَّتْ عقولُهم وحَلَّ على قومٍ بنُورٍ مُجَدَّدِ
هداهُمْ به بعدَ الضَّلالةِ رَبُّهم وأرشدهم مَن يَتْبعِ الحقَّ يَرْشُدِ

---

(١) بحاشية الأصل : « ببكة » وسيأتي الكلام عليه .
(٢) بحاشية الأصل : مكان .
(٣) بحاشية الأصل : « شبب » وستأتي في الشرح .
(٤) ديوان حسان ص ٤٦٤ .

وهل يستوي ضُلَّالُ قومٍ تَسَفَّهُوا   عَمايتَهم هادٍ به كلُّ مُهْتَدِ(١)
وقد نزلَتْ منه على أهل يَثْرِبٍ   رِكابُ هُدىً حَلَّتْ عليهم بأسعُدِ
نبيٌّ يرى مالا يَرى الناسُ حولَه   ويتلو كتابَ الله في كلِّ مَسْجِدِ
وإن قال في يومٍ مقالةَ غائبٍ   فتصديقُها في اليوم أو في ضُحى الغدِ
ليهنأْ أبا بكرٍ سعادةُ جَدِّهِ   بصُحبته مَن يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

* * *

حديث أم مَعْبدٍ حديثٌ مشهور بين العلماء، مرويٌّ في كُتبهم، وهو من أعلام النُّبوّة (٢)، ورواه جماعة من الحفَّاظ، من رواية حِزام بن هشام بن

---

(١) رواية عجز البيت في الديوان:
عمىً وهداةٌ يهتدون بمهتد
وستأتي هذه الرواية في أثناء الشرح.

(٢) انظر دلائل النبوة لأبي نعيم ٢ / ١١٧ — ١١٩، ودلائل النبوة للبيهقي ١ / ٢٢٨ — ٢٣٧، وطبقات ابن سعد ١ / ٢٣٠ — ٢٣٢، والمستدرك للحاكم ٣ / ٩ — ١١، ومجمع الزوائد ٦ / ٥٥ — ٥٨ (باب الهجرة إلى المدينة. من كتاب المغازي والسير) و ٨ / ٢٧٨، ٢٧٩ — (باب صفته ﷺ. من كتاب علامات النبوة) و٩ / ٢٦٣ (باب في أم معبد. من كتاب المناقب) والاستيعاب ص ١٩٥٨ - ١٩٦٢، وأسد الغابة ١/٤٥١ - ٤٥٣ (ترجمة حبيش بن خالد) و ٧/١٨٢، ٣٩٦ (ترجمة أم معبد) والإصابة ٨ / ٢٨١، ٢٨٢، والفائق ١ / ٩٤ — ٩٩، والروض الأنف ٢ / ٧ — ٩، والوفا بأحوال المصطفى ١ / ٢٤٢ — ٢٤٦، والاكتفا للكلاعي ١ / ٤٤٦ — ٤٤٩، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٢٥٧ — ٢٦٣، وعيون الأثر ١ / ١٨٧ — ١٩٠، والخصائص الكبرى للسيوطي ١ / ٤٦٦ — ٤٦٩، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١ / ٣٤٠ — ٣٤٦، وبلاغات النساء ص ٤٨، وأخبار أبي القاسم الزَّجّاجي ص ٢١٩.

حُبَيش بن خالدٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه حُبَيش ، صاحبِ رسول الله ﷺ . وأخرجه القُتَيْبي (١) عن سليمان بن الحكم ، بإسناده عن هشام ابن حُبيش . ورُوي من طُرُق أخرى كثيرة . وقد أُخرج أيضاً عن أبي مَعْبَدٍ نفسِه ، وعنه عن أم مَعْبَد ، وأُخرج عن أسماءَ بنت أبي بكر ، وأبي سَلِيط الأنصاريّ .

وقد اختُلِف في بعض ألفاظه ، وقد ذكرناها باختلافها في الشرح ، ومما اختُلف فيه أنه نزل ﷺ هو وأبو بكر بأم مَعْبَدٍ وَذْفانَ مَخْرَجِه إلى المدينة ، فأرسلت إليهم شاةً ، فرأى فيها بُصْرَةً من لبنٍ ، فنظر إلى ضَرْعِها ، فقال : إن بهذه لَبَناً ،ولكن ابْغيني شاةً ليس فيها لبنٌ ، فبعثت إليه بعَناقٍ جَذَعَةٍ ، فقَبِلها .

شرحه

أُمُّ مَعْبَدٍ : صحابيّةٌ ، اسمها فيما قيل : عاتكةُ بنت خالد بن خُلَيد (٢) الخُزاعيّة ، كُنيت بابنها مَعْبَد ، وأبو مَعْبَد : زوجها ،اسمه فيما قيل (٣) : أكْثَم بن الجَوْن .

---

(١) غريب الحديث ١ / ٤٦٢ — ٤٧٨ .

(٢) في الاشتقاق ص ٤٧٤ : « خليف » . وكذلك في جمهرة الأنساب ص ٢٣٨ ، والاستيعاب ص ١٨٧٦ .

(٣) قال هذا أيضاً عز الدين ابن الأثير أخو المصنف . راجع أسد الغابة ١/ ١٣٣ ، ٧ / ١٨٢ ، أما ابن عبد البروابن حجر فقد ترجما لأبي معبد ولم يسمياه ، ثم ترجما لأكثم بن الجون ، ولم يذكرا أنه هو أبو معبد . انظر الاستيعاب ص ١٤١ — ١٧٥٩ ، والإصابة ١ / ٦١ ، ٧ / ١٧٧ .

والخُزاعيّ : منسوب إلى خُزاعةَ ، وهم أولاد عمرو بن ربيعة ، بَطْنٌ من الأَزْد ، وهم : كَعْبٌ ، ومُلَيْحٌ ، وعَدِىٌّ ، سُمُّوا خُزاعةَ [١] ؛ لأن الأزْدَ لمّا خرجت من مكة لتتفرَّقَ في البلاد تخلَّفت عنهم خُزاعةُ وأقامت بها : يقال : خَزَعَ فلانٌ عن أصحابه : أي تَخلَّف ، واْختَزَعْتُه عن القوم : أي قطَعْتُه عنهم .

ومكَّةُ : اسم البلدة المعروفة ، وبَكَّةُ : موضع البيتِ والطَّواف ، وقيل : هما اسمان للمدينة [٢]، والباء بدلٌ من الميم ، لاتِّحاد مَخْرَجْيهما . وسُمِّيت مكةَ لأنها تَمُكُّ الجبابرة ، أي تُخْرج نَخْوَتَهم بالتَّذلُّل عندها ، أو لأنها تَمُكُّ مَن ألْحدَ فيها : أي تُهلِكه . وسُمّيت بكَّةَ لأنها تَبُكُّ رِقابَ الجبابرة ومَن قصدها بسُوء : أي تدُقُّها .

وعامر بن فُهيرة : كان من مُولّدي الأزْد ، فاشتراه أبو بكر الصّدّيق ، فأعتقه ، وأسلم قبلَ دخول النبيِّ ﷺ دارَ الأَرْقَم .

وفُهَيْرة : تصغير فِهْرٍ ، وهو حجرٌ مِلْءُ الكَفِّ ، ويؤنَّث ، فلذلك أُلحق مُصغَّرُه تاءَ التأنيث .

وعبدُ الله بن أُرَيْقِط : هكذا يُرْوَى في حديث أم مَعْبَد ، وهو [٣] ...

---

(١) راجع الاشتقاق لابن دريد ص ٤٦٨ .

(٢) راجع معجم مااستعجم ص ٢٦٩ ، فى رسم (بكة) ،والروض الأنف ١ / ٨١ .

(٣) بياض بالأصل ، ولم يترجمه ابن عبد البر في الاستيعاب ، وعز الدين ابن الأثير في أسد الغابة . ثم وجدت له ترجمة في الإصابة ٤ / ٣٣ ، قال ابن حجر : =

والمشهور أن دليلهما في الهجرة كان رجلاً من بني الدِّيل ، وهو من بني عَبْد بن عَدِيّ .

قال أبو موسى : إن عبد الله بن أُرَيْقط الليثىّ لاأعرف إسلامه ، إلا أن الدِّيل هو ابن بكر بن كِنانة .

واللَّيثيّ : منسوب إلى ليث بن بكر [١] بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر ، فلعله من إحدى القبيلتين ،ونُسِب إلى الأخرى ، لقُرب بعضهما من بعض .

وأُرَيْقِط : تصغير أرْقَط ، من الرُّقْطَة . وهو سوادٌ يَشُوبه نُقَطُ بياض .

والخَيْمَةُ : بيتٌ تَبْنِيه العربُ من عِيدان الشَّجر تسكُنه ، وقد كان لأُمِّ مَعْبَدٍ منه بيتان ، فلذلك ثنَّاها ، والموضع الذي كانت به إلى اليوم يُعرف بخيمتي أم مَعْبَد ، وهو اسمُه إلى الآن .

= « عبد الله بن أريقط ، ويقال : أريقد ، بالدال بدل الطاء المهملتين ، وهو بقاف ، بصيغة التصغير ، الليثي ثم الدئلي . دليل النبي ﷺ ، وأبي بكر لما هاجرا إلى المدينة . ثبت ذكره في الصحيح ، فإنه كان على دين قومه ، وسيأتي له ذكر في ترجمة عبد الله بن أبي بكر الصديق قريباً يتعلق بالهجرة أيضاً . ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد ، وقد جزم عبد الغني المقدسي في السيرة له بأنه لم يعرف له إسلاماً ، وتبعه النووي في تهذيب الأسماء » .

هذا كلام ابن حجر في الإصابة ، والأمر على ماقال في التجريد للذهبي ١ / ٢٩٦ ، ولم يزد الذهبي في الترجمة على قوله : « عبد الله بن أريقط الليثي ، ويقال فيه الديلي ، فالديل وليث أخوان » .

أما مانسبه إلى النووي في تهذيب الأسماء ، فإني لم أجده في المطبوع منه .

(١) سقط بين بكر وكنانة : « عبد مناة » . راجع جمهرة الأنساب لابن حزم ص ١٨٠ ، ٤٦٥ .

والبَرْزَة : العفيفة الرَّزينة ، التي يَتحدَّث إليها الرجال فتَبْرُز لهم ، وهي كهلةٌ قد خَلا بِها (١) سِنٌّ ، فخرجَتْ عن حَدِّ المحجوبات ، أو لأنها تمتنع ممَّن يقصدها ويريدها ، لكمالِ عَقْلِها ، لا كالشَّوابّ الغِرَّات اللَّاتي يَنْخَدِعْن ، وقد بَرُزَتْ (٢) بَرازةً .

والجَلْدة : القَويَّة الصُّلْبة .

والاحتِباءُ : جِلْسة الأعراب ، وهو أن يجلس أحدُهم على أَلْيتيه ناصِباً رُكْبَتَيْه ، عاقِداً يديه على ساقيه ، ليكون شِبْهَ المُستَند ، وأصل الاحتباء أن يكون بثَوْب أو مِنْدِيل ،وهي الحِبْوَة والحُبْوة ، بالكسر والضّمّ ، وجَمْعُها حِبىً وحُبىً ، بالكسر والضّمّ .

والقُبَّة هاهنا : أرادت (٣) بها الخَيْمةَ المُتقدِّمة ، وفِناؤُها : ماحَوْلَها .

و« ثُمَّ » بالضمّ : العاطفة للتَّراخي ، وإن فُتحت كانت بمعنى هناك .

وقوله : « تَسْقِي وتُطْعِم » قد حذَف منهما مفعوليهما ، تقديره : تَسْقى الناسَ الماءَ واللَّبن ، وتُطْعِمهم الخُبْزَ والأُدْم .

والمُرْمِل : الذي نَفِد زادُه فَرَقَّتْ حالُه وضَعُفَتْ (٤) ، من الرَّمْل ، وهو نَسْجٌ ضعيفٌ خَفيف ، وقيل : هو من الرَّمْل : التُّراب ،

---

(١) وهكذا في الفائق . وفي غريب الحديث لابن قتيبة : لها

(٢) بضم الراء ، مثل ضخم ضخامة : كما ضبط في المصباح .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : « أراد » والمراد راوى الحديث .

(٤) في الفائق : « وسخفت ، من الرمل ، وهو نسج سخيف » .

كأنه لفَقْره قد لَصِقَ بالرَّمْل ، كما قيل في أَتْرَبَ إذا افتقر : كأنه قد لَصِق بالرَّمْل .

والمُسْنِت : الداخل في السَّنة ، وهي الجَدْب ، وتاؤُهُ بَدَلٌ من ياءٍ ، لأن أصل أَسْنَت : أَسْنَى ، وقد تقدَّم مبسوطاً في حديث الاستسقاء .

ويُرْوَى : « مُشْتِين » وهم الداخلون في الشتاء . يقال لمن أجْدَب : أَشْتَى ، لفقده مايحتاج إليه ، كما يحتاج في الشتاء . فأمّا شَتَوْتُ بموضع كذا ، فمعناه أقمتُ به في الشتاء .

والكِسْر ، بكسر الكاف وفتحها : جانبُ البيت ، وقيل : هو الشُّقَّة السُّفْلى من الخِباء ، تُرْفَعُ وَقْتاً وتُرْخَى وَقْتاً ، وتكون في مُقَدَّم الخِباء أو في مُؤَخَّره .

والخِباء من بيوت الأعراب على عمودين أو ثلاثة ، مِن وَبَرٍ أو صُوف ، ولايكون من شَعَر .

ورُوِي : « فرأى في كِفاء البيت » والكِفاء : شُقَّة أو شُقَّتان : تُخاط إحداهما بالأخرى ، ثم تجْعل في مُؤَخَّر الخِباء .

والجَهْد ، بالفتح : المَشقَّة ، وبالضَّمِّ ، الوُسْع والطاقة ، والفتح هاهنا أولى ، وقيل : هما لغتان بمعنىً .

وخَلَّفها عن الغنم : أي سَرَحَت الغنم إلى المرعَى ، وبقيت هي لم تَسْرَح معها لضعفها .

وهي أَجْهَدُ من ذلك : أي أشدُّ جَهْداً .

وقولها : « بأبي أنت وأمِّي » أي أَفْديك بهما ، والباء متعلقة بهذا الفِعل المقدَّر .

والحَلَب ، بالتحريك : مصدر حَلَبْتُه ، كالطَّلَب من طَلَبْتُه ، ولا تُسَكَّن لاماهُما .

والضَّرْع لذات الخُفِّ كالثَّدْى للمرأة .

وتَفاجَّتْ : أي وسَّعَتْ مابين رِجليها ، وباعَدَتْ إحداهما من الأخرى ، وأصله من الفَجَج ، وهو أشَدُّ الفَحَج [١]، وتفعل الشاةُ ذلك عند الحَلَب والبول .

ودَرَّتْ : أي صَبَّت الَّلبَن .

واجْتَرَّتْ : أى أخرجت الجِرَّةَ من جوفها إلى فِيها لتَمضُغَها ، وإنما يَفعله من الإبل والغنم الممتلىءُ عَلَفاً ، فصارت هذه الشاة تَجْتَرُّ مع مابها من الجَهْد والضَّعف .

وقوله : « يُرْبِضُ الرَّهْطَ » أي يُرْوِيهم شُرْبُه حتى يَثْقُلُوا ويقعوا على الأرض ، فيَرْبِضُوا كما تَرْبِض الغَنَم على الأرض إذا شَبِعت ونامَتْ .

والرَّهْط : من الثلاثة إلى العشرة ، ولا واحدَ له من لفظه .

ويُرْوَى : « بإناءٍ يُرِيضُ الرَّهْطَ » أي يُرْويهم بعضَ الرِّيِّ . والرَّوْض : نحوٌ من نصفِ قِرْبة ، وأراضَ الحوضَ : إذا صَبَّ فيه من الماء مايُوارى أرضَه . وقيل : هو مأخوذ من الروضة ، وهو الموضع الذي يستنقع فيه الماءُ ، ومنه قوله في هذا الحديث « فشَربوا حتى أراضُوا عَلَلاً بعدَ نَهَلٍ » أي ارتَوَوْا من الشُّرب مرّةً بعدَ مَرَّة ، فالنَّهَل ، الشُّربُ الأول ، والعَلَلُ : الثاني .

---

(١) بالحاء المهملة قبل الجيم . وفي الفائق : أشد من الفحج .

والثَّجُّ : السَّيَلان الكثير . أي كان لبنُها الذي يحلُبه يسيل من ضَرْعها ، كالتي امتلأت سِمَناً ولَبَناً . وانتصب « ثَجّا » بفعل مُضمَر ، أي تَثُجُّ ثَجّا ، أو بِحَلَبَ ؛ لأنّ فيه معني ثَجَّ ، ويجوز أن ينتصب على الحال ، وإن كان مصدراً ، بمعنى ثاجّاً .

والبَهاءُ : يريد به وَبِيصَ رُغْوَة [1] اللبن وبريقها ، بعد امتلاء الإناء وأصل البهاء : الحُسْنُ والنَّضارة .

ويُروى : « حتى علاه الثُّمال » جمع ثُمالة ، وهي الرُّغْوة .

وقوله : «ثم شَرِب آخِرَهم» نصبٌ على الظرف ، وإنما فعل ذلك لأن السُّنَّة أن يشربَ السَّاقي آخرَ القوم ، وكان هو ساقيَهم يومئذ .

وبعد بَدْءٍ : أي بعدَ الحَلَب الأول .

وغادره : أي تركَه .

والعِجافُ : ضِدُّ السِّمان ، واحدتها عَجْفَاءُ .

وتَشارَكْن هُزْلاً ، أي عَمَّهُنَّ الهُزال ، فكأنهنّ قد اشتركن فيه .

ويروى : « تَساوَكْنَ » بالسِّين المهملة والواو . أي يَمْشِين مَشْياً ضعيفاً ، والتَّساوُك : التَّمايُل من الضَّعف [2] .

---

(١) بفتح الراء وضمها ، وحكى الكسر . على مافي المصباح ، والوبيص مثل البريق ، وزنا ومعنى .

(٢) وجاءت هذه الرواية مضمنة في شعر لعبيد الله بن الحر الجعفي — ويروى لعبيدة ابن هلال اليشكري — أنشده اللسان في (سوك) ، وهو قوله :

إلى الله أشكو ما رى بجيادنا   تساوَكُ هَزْلَى مُخُّهُنّ قليلُ

وفي رواية : « يَتَتارَكْنَ » وهو قريبٌ من معنى الأول ، أي يترك بعضُها بعضاً ، ويتخلَّف بعضُها عن بعض لضعفها ،وهو تفاعُلٌ من تَرْكِ الشيء . ويشهد له الرواية الأخرى : « تَساوَقْنَ هُزْلاً » . كأن بعضَها يسوقُ بعضاً ويتأخر عنه .

وقوله : « ضُحاً » قال أبو موسى الحافظ الأصفهانيّ : هذه اللفظة كانت تنبو عن قلبي ، فإن وُقوعَها بين صفاتِ الغنم بعيدٌ ، وكان يغلب على ظنّي أنه تصحيفٌ ، ومن الرُّواة مَن أسقطها من الحديث ، حتى وجدت الحافظ أبا أحمد العَسَّال [١] رواه في « مُعْجمه » بإسناده ، فقال : « يَتَتارَكْنَ هُزْلًا مِخاخُهُنّ قليل » ولا أظُنّ الصَّحيح إلا كما رواه . والمِخاخ : جمع المُخِّ ، كالحِباب في الحُبِّ [٢] ، فيكون قد صُحِّف « مِخا » بضُحا ، ويدلُّ عليه أنه في أكثر النُّسخ مكتوب بالألف .

وإنما وصف المِخاخَ ، وهو جمعٌ ، بقليلٍ ، وهو مفرد ، لأنه أراد أنها شيء قليل ، ولأن مُخَّهنّ واحدة ، ولكل واحدةٍ منها مُخٌّ .

وممّا يُبطل « ضُحاً » أنهم كانوا عندها في القائلة ، يقول الهاتف في الشعر :

---

(١) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم . ولي القضاء ، وكان من كبار الناس في الحفظ والإتقان والمعرفة . وتوفي في شهر رمضان من سنة ٣٤٩ ، وله كتاب في غريب الحديث . ، تذكرة الحفاظ ص ٨٨٦ ، والمشتبه ص ٤٥٨ .

(٢) الحب ، بضم الحاء : الجرة التي يجعل فيها الماء ، وهو فارسي معرب . المعرب للجواليقي ص ١٢٠ ،والقاموس ، وانظر الروض الأنف ٢ / ١٤ .

« رفيقَين قالا خَيْمتيْ أمِّ مَعْبَدِ »

وزوجها إنما جاء بعدَ مسيرهم ، فكيف يكون مجيئه ضُحاً ؟

والهُزْل والهُزالُ : ضِدُّ السِّمَن ، وانتصب على التمييز .

ويروى : « هَزْلَى » جمع هَزِيل بمعنى مَهْزول ، كقتيلٍ وقَتْلَى .

والعازب ، البَعِيد ، وقد عَزَب يَعْزُب عَزُوباً : إذا أَبْعَد . وإنما لم يقل : عازِبة ، وإن كان الشاءُ جمع شاةٍ ، حَمْلاً على لفظ الشاء ، لأنه كالجنس ، ويروى : « والشاء عازبة » بالتاء .

والحِيال : جمع حائلٍ ، وهي التي لم تَحمل ، فلا يكون لها لبنٌ .

ويروى : « حُيَّلٌ » ،وهو جمع حائلٍ أيضاً .

والحَلُوب : التي تُحْلَب ، وهو عند أهل اللغة فَعُولٌ بمعنى مَفْعولة ، وإنما هو [1] بمعنى فاعلة ، والأصل فيه أن الفعل كما يُسْنَد إلى مُباشره يُسْنَد إلى الحامل عليه والآمِر به ، فقيل : ناقةٌ حَلُوبٌ ، لأنها تَحْمِل على احتلابها ، بكونها ذاتَ حَلَب ، فكأنها تَحْلُب نفسَها لَحمْلها [على الحَلَب] [2] ومن ذلك قولهم : الماء الشَّرُوب ، والطريق الرَّكُوب ، ونحو ذلك .

وفي رواية : « ولا حَلُوبة » بالهاء ، على أصل التأنيث ، وقيل : هي والحَلُوب سواءٌ . وقيل : الحَلُوب واحدٌ ، والحَلُوبة : الجماعة .

وقولها : « لا واللهِ » رَدٌّ على سُؤَال زوجها إياها : « مِن أين لك هذا اللَّبن ؟ » أي لم يحدث لنا شيءٌ ، إلا أنه مَرَّ بنا رجلٌ مبارَكٌ ، أي

---

(١) هذا مسلوخ من كلام الزمخشري في الفائق .

(٢) تكملة من الفائق ، والنقل منه كما أسلفت .

حصلت البركةُ لنا بمروره علينا ، وأصل البركة : الثُّبُوت والدَّوام ، ثم استُعير للزِّيادة والنَّماء .

والوضَاءة : الحسن والجمَال ، ورجلٌ وضيء .

والأَبْلَج الوجهِ ، والمُتَبلِّج : الحَسَنُ المُشرِقُ المضيءُ ، ومنه قولهم : الحقُّ أَبْلَجُ . ولم تُرِدْ به بَلَجَ الحواجب ، وهو البياض بين الحاجبين ، لأنها وصفته بالقَرَنِ .

وحُسْنُ الخُلُق : كناية عن حُسْن الأوصاف الباطنة ، من الحِلم والكرم والشجاعة ، ونحو ذلك ، كما أن حُسْنَ الخَلْقِ كنايةٌ عن حُسن الأوصاف الظاهرة ، في الوجه والبدن والأعضاء .

والثُّجْلة ، بالثاء المثلَّثة والجيم : عِظَمُ البَطْن مع استرخاء أسفَله .

ومن رواه بالنون والحاء المهملة : فبمعنى النُّحول ،وهو الدِّقَّة وضعف التَّركيب ، إلا أنهم لم يستعملوا النُّحْلَة بمعنى النُّحُول .

وفي رواية : « لم تَعْلُهُ » عِوَضَ « لم تَعِبْهُ » أي لم تَغْلِب عليه حتى عُرِف بها .

والإزراء : التَّهاوُن بالشيء ، والاحتقارُ له ، وشيءٌ زَريٌّ ، يقال : أَزْرَيْتُ به ، وزَرَيْتُ عليه .

والصُّقْلة ؛ بالقاف : طول الصُّقْل ، وهو الخَصْر ومُنْقَطَع الأضلاع من الخاصِرة ، وقيل : ضُمْرُه وقلَّة لحمِه ، من قولهم : صقلتُ الناقةَ : إذا أضمرتَها بالسَّير .

ويروى : « سُقلة » بالسين ، وهو بمعناه ، على إبدال الصاد سينا ، لأجل القاف .

والصَّعْلَة ، بفتح الصاد : صِغَر الرأسِ ، يقال : رجلٌ صَعْلٌ وأصْعَلُ ،وقد تكون الصَّعْلةُ الدِّقَّةَ في البَدَن والنُّحولَ . والمعنى أنه ليس بعظيم البطن ، ولامنتفخ الخَصْر ، ولا ضامِره جدّاً ، ولا صغير الرأس ، فلا عيبَ في صفةٍ من صفاته ، ولا تُحْدِثُ فيه عيباً .

والوسيم : المَشْهورُ بالحُسْن ،وهو فعيلٌ من الوَسْمِ والسِّمَة ، كأنَّ الحُسْنَ صار له علامةً .

والقَسِيمُ : الحَسَنُ القِسْمَة [١] ،وهي الوجه ، وقيل : هو من القَسام : الجمال ، ورجلٌ مُقَسَّم الوجهِ ، وقسيُم الوجهِ ، كأن كلَّ موضعٍ منه قد أخذ من الحُسْن والجمال قِسْماً ، فهو كُلُّه جميل ، ليس فيه مايُستَقْبَح .

ويروى : « وسيمٌ قسيمٌ » بالرفع على الاستئناف ، وبالنصب على الصِّفة ، لقولها : « رأيت رجلاً » .

والدَّعَج : شِدَّة سواد العين مع سَعَتَها . يقال : عينٌ دَعْجاءُ ، والأَدْعَج من الرجال : الأسودُ .

والأَشْفارُ : حروف الأجفان التي يَنْبُت عليها الشَّعَر ، واحِدُها شُفْرٌ ، بالضمّ .

والشَّعَر : الهُدْبُ والأهداب .

والغَطَفُ ، يروى بالغين ، ويريد به الطُّولَ ، وأصله من الغَطَف : سَعَةِ العيش .

---

(١) ضبط في الأصل بفتح القاف وكسرها ،وفوقها « معا » . والذى في اللسان والقاموس أنه بفتح السين وكسرها ، أما القاف فمفتوحة لا غير .

ويروى بالعين المهملة ، وهو انعطافُ شعَرِ الأجفان لطُولها .

ويروى بالواو ، من الوَطَف ، وهو كثرة شعَر العين والاسترخاء ، وإنما يكون ذلك مع الطُّول . فاشتركت الروايات الثلاث ، في طول شعَر الأجفان . والمشهور في الرواية بالغين المعجمة ، وأرادت بالأشفار شعَرَ الأشفار ، فحذفَت المضاف .

والصَّحَلُ (١) : صوتٌ فيه بُحَّةٌ وغِلَظٌ ، لايبلغ أن يكون جُشَّةً ، وهي الشِّدَّة والغِلَظ ،وهو يُستَحسن لخلوّة عن الحِدَّة المُؤْذِيَة للسَّمع .

ويروى : « صَهَلٌ » بالهاء ، من الصَّهيل : صوتِ الفَرس ،وإنما يَصْهَل (٢) بشِدَّة وقوّة .

والسَّطَعُ ، بفتح الطاء : طول العُنُق ، ورجلٌ أسطَعُ ، وامرأةٌ سطعاءُ ، وهو من سُطوع النار : ارتفاعِ لَهيبها .

والكثافة في الشَّعَر : اجتماعه والتفافه وكثرته . ويروى : « كثاثة » بالثاء ، وهو بمعناه .

والأَزَجُّ : المتقوِّس الحاجبين ، في طُولٍ وامتداد .

والأَقْرَنُ : المتصل رأسَيْ حاجِبَيْه . كذا في حديث أُمِّ مَعْبد ، والصحيح في صفته أنه لم يكن أقْرَنَ ،وإنما كان أبلَجَ ، وسيجيء في حديث ابن أبي هالةَ .

---

(١) انظر مايأتي في حديث رقيقة .

(٢) ضبطت الهاء في الأصل بالضم ، والصواب أن تكون بالكسر أو بالفتح ، فالفعل من باب ضرب ومنع ،كما في المصباح والقاموس .

والصَّمْت : السُّكوت عن الكلام ،وقد صَمَت وأصْمت بمعنىً .

والوَقار : ثَباتُ الهيئة وسكونُها ، وهو ضِدُّ الخِفَّة والطَّيش .

وسَما : إذا ارتفع وعَلا ، من السُّمُوّ : العُلُوّ ، أي علا وارتفع على جُلَسائه . وقيل : علا عند الكلام برأسِه أو يده ، ويجوز أن يكون الفعلُ للبهاء ، أي سماه [١] البهاءُ وعَلاه ، على سبيل التأكيد ، للمبالغة في وصفه بالبهاء والرَّونق إذا أخذ في الكلام ، لأنه كان عليه السلام أفصحَ العرب وأعذبَهم كلاماً ، وأحلاهم منطقاً ، وكان إذا نُظِر إليه من بعيد أجملَ الناسِ وأبهاهم منظراً ، وإذا رُئُى من قريب ظهرت دقائقُ حُسْنِه للرائي ، وحلاوةُ منظره . يقال : حَلِيَ الشيءُ بعيني وبصدري يَحْلَى حلاوةً : إذا أعجبك حُسْنُه ، وحَلَا في فمي ، بالفتح ، وقد يقال في العين : حَلَا ، بالفتح ، يَحْلُو .

والفَصْلُ : من صفة الكلام ، وهو مصدرٌ موضوعٌ موضعَ اسم الفاعل ، أى الفاصل بين الشيئين

والنَّزْر : القليل .

والهَذَر : الكثير غير المفيد ، أرادت أن منطقَه مع حلاوته ليس بقليلٍ لايُفهم ، ولاكثيرٍ يُمَلُّ ويُسْأَم ، بل هو قَصْدٌ بين ذلك .

وقد ضبطه بعضهم : « الهَذْر » بالدال المهملة الساكنة ، فإن صَحَّ فهو من الهَذْرِ : الكثير الكلام المِنْطيق ، أو من الهَدر : الباطل ، يقال : ذهب دَمُه هَدْراً أو هَدَراً ، أي باطلاً لا قَوَدَ فيه ولا عَقْلَ ، أو مِن هَدَر الشَّرابُ هَدْراً : إذا غَلا واشتدَّ .

---

(١) في الأصل : « سما » بغير الهاء ، وأثبتها من الفائق ، والكلام كله فيه .

والرَّبْعَة من الرجال : مابين الطويل والقصير ، يقال : رجلٌ رَبْعةٌ ، وإنما أنَّثُوا على تأويل النَّفْس ، كقولهم : غلامٌ يَفَعةٌ . ويقال للمرأة : رَبْعة أيضاً ، ويُجمعان على رَبَعاتٍ ، بالتحريك ، خارجاً عن قياس جَمْع الصفات ، فإنها لاتُحَرَّك في الجمع وإنما تُسَكَّن ، نحو صَعْبة وصَعْبات ، وتُحَرَّك الأسماءُ ، نحو قصعة وقصَعَات .

وقوله : « لايَأسَ مِن طُولٍ » اليأس : ضد الرَّجاء ، يقال : أَيِسْتُ منه آيَسُ يأساً ، مثل يَئِسْتُ أيأَس . والمعنى أنه كان ميلُه إلى جانب الطُّول أكثرَ من ميله إلى جانب القِصَر ، فلم يكن في حَدّ الرَّبْعة غيرَ متجاوزٍ له ، فجُعِل ذلك القَدْرُ مِن تجاوز حَدّ الرَّبْعة عَدمَ اليأس من بعض الطُّول ، وفي تنكير الطُّول دليلٌ على معنى البَعْضيَّة .

ويأسَ : نكرة منصوبة بلا النافية ، وخبره محذوف ، تقديره : لايأسَ منه أوفِيه ، من طُول .

ويروى : « لايائسٌ (١) مِن طُول » بمعنى آيسٍ ، وهو فاعلٌ بمعنى مفعول ، أي لامَيْؤُوسٌ منه ، لإفراط طُولِه .

ورُوي : « لا بائنٌ مِن طولٍ » أي لايُجاوِز الناسَ طُولاً .

وفي رواية : « لا تَشْنَؤُه مِن طُول » أي لا يُبْغَضُ لفَرْط طُوله ، وقد شَنِئْتُه أشْنَؤُه شَنآناً : إذا أبغضتَه ،وهو مَشْنُوءٌ ومَشْنِيٌّ ، بالهمز وتَرْكه ، وعليه جاء (٢) روايةُ من رَوَى : « لايُتَشَنَّى مِن طُولٍ » على التَّفَعُّل من البُغْض .

---

(١) هذه رواية بن الأنباري ، كما ذكر المصنف في النهاية ، وحكى عن ابن الأنباري في شرحه : قال : معناه لاميئوس من أجل طوله ، أي لاييأس مطاوله منه لإفراط طوله ، فيائس بمعنى ميئوس ، كماء دافق بمعنى مدفوق .

(٢) هكذا بالتذكير .

وقولها [١] : « لاتَقْتحمُه عينٌ من قِصَر » أي لاتحتقره العيونُ لِقصرِه فتتركه وتُجاوزه إلى غيره ، بل تقبله وتقف عنده ، يقال في المنظر المُسْتقَبح : اقتحمتْه العينُ : أي ازدرَتْه واحتقرَتْه ، كأنها وقعَتْ من قُبْحه في قُحْمةٍ ،وهي المهْلَكَة والشِّدَّة .

والمَحْفُود : المَخْدُوم ، والحَفَدةُ : الخَدَمُ ، جمع حافِدٍ .

والمَحْشُود : الذي يجتمع الناسُ حولَه . يعني أن أصحابَه يَحوطُون به ، ويجتمعون على خِدمته ، من الحَشْدِ : الجَمْع .

ويُروى بالسِّين المهملة ، من الحَسَد ، فإن صَحَّ فمَنْ أولَى بأن يُحْسَد ممَّن تكاملتْ فيه مثلُ هذه الأخلاق الرَّضِيَّة ؟

وقولها : « أَنْضرُ الثلاثة منظراً » أي أحسنهم وأبهاهُم ، من النَّضارةِ : الحُسْنِ والنَّعْمة .

والمَنْظر : الموضع الذي يقع عليه النَّظرُ من كلِّ شيء .

والثلاثة :هم رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعامر بن فُهَيْرة .

والعابِس : الكالِح الوجهِ المقطِّب ، وقد عَبَس وعَبَّس .

والمُفَنَّد : المنسوب إلى الجهل وقلّة العقل ، من الفَنَد : الخَرَف .

والمُعْتدِي : مُفْتَعِل من العُدْوان : الظُّلم .

وقالا : من القَيْلُولة ، وهو النُّزول في القائلة عند شِدَّة الحَرّ ، للاستراحة والنوم وغير ذلك ، إلا أنه لايُعَدَّي فِعلُه إلى الموضع إلا بحرفِ الجرّ ، تقول : قِلْتُ بمكان كذا ، أو فيه ، أو عندَه ، ولايقال : قِلْتُه .

---

(١) في الأصل : « وقوله » . والكلام لأم معبد .

وقال الزمخشريّ : خَيْمَتَيْ أمّ مَعْبَد : نصبٌ على الظَّرف ، وأجْرَى فيه الموضعَ المَحْدودَ مجرى المبهَم ، كما أَنْشَده سيبويه (١) :

لَدْنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ   فيه كما عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ

وقيل : إن معنى « قالا » قَصَدا ، وهو أَلْيَقُ به إن ساعَدَتْه اللُّغةُ ، وكثيراً مايجيء في الحديث والكلام : « فقال برأسه كذا ، وقال بيده كذا » والمراد منه الإشارةُ والقَصْدُ بالرأس واليد .

وفي رواية : « حَلاَّ خيمَتَيْ أمِّ معبَد » وهو ظاهرٌ ، لأن « حَلَّ » مُتَعدٍّ .

وأراد بالرفيقين النبيَّ ﷺ وأبا بكر ، تخصيصاً لهما بالذِّكر ، لأنهما الأصل في الهِجرة .

والهاء في « نزلاها » للمكان ، وأنَّثها للفظ الخَيمة ، ويجوز أن يكون لأُمّ مَعْبَد ، لقوله : « واهْتَدَتْ به » والتاءُ لها .

وفي قوله : « نزلاها » شُذوذ ، لأنه غير مُتَعدٍّ ، يقال : نزلتُ بالمكان وفيه ،وحُكمها حُكم « قالا » .

واللام (٢) في « يالِقُصَيٍّ » للتَّعَجُّب ، كقولهم : يالِلدَّواهي ويا لِلماء . والمعنى : تعالَوا قُصَيُّ لنتعجَّبَ منكم فيما أغفلتموه من حظِّكم ، وأضعتموه من عزِّكم بعِصيْانكم رسولَ الله ، وإلجائِكم إيَّاه إلى الخروج من بين أظْهُركم .

---

(١) الكتاب ١ / ٣٦ ، ١٢٤ ، والفائق ، والبيت لساعدة بن جؤية الهذلي . شرح أشعار الهذليين ص ١١٢٠ ،وتخريجه في ١٤٩٣ ، وانظر أمالي ابن الشجري ١ / ٤٢ ، ٢ / ٢٤٨

(٢) كتب فوقها في الأصل : « بالكسر » ،وقد نص على الكسر سيبويه في النقل الآتى عنه .

وهذه اللام تُسَمَّى لامَ المَدْعُوِّ إليه ، ولابُدَّلها من شيءٍ مَدْعُوٍّ قبلها ، فإذا قلت : يالِلدَّواهي ويا لِلماء ، كأنك قلت : ياَلَقَوْمِ لِلدَّواهي ، ويالَقَوْمِ لِلماء . قال سيبويه [١]: ومن أمثالهم : يالِلْعَجب ويالِلماء ، لَمَّا رأوا عَجَباً أو ماءً كثيراً .

وقوله : « مازَوَى الله عنكم » أي قَبَضه عنكم ، ومنعه منكم . وأصل الزَّيِّ : الجَمْع والضَّمّ . و « ما » نكرةٌ بمعنى التَّعجُّب ، أي إنه شيٌّ عظيمٌ زَواه الله عنكم .

والسُّودَد [٢] السِّيادة ، والدال فيه زائدة ، للإلحاق بجُنْدَب .

وقوله : « لِيَهْنَأ » يروى بالهمز وتركِه ، على التخفيف ، من الهَنيء ، وهو الطَّيِّب الَّلذيذ السائغ .

وبني كعب : هم أحَدُ خُزاعة . وكعبٌ : هو ابن عمرو بن ربيعة ، قَبِيلُ أمّ مَعْبَد .

والمَرْصَد : موضع الرَّصَد ،وهم القوم الذين يحفظون الطُّرُق . وهو انتظارُ الشيء وارتقابُه .

والصَّرِيحُ : اللَّبَنُ الخالِصُ الذي لم يُمْزَج .

والضَّرَّةُ : أصل الضَّرع الذي لايخلو من اللَّبَن ،وقيل : هي الضَّرْع كُلُّه .

والمُزْبِد : الذي عَلاهُ الزَّبَدُ ، وإنما يكون ذلك مع كثرة نزوله وخُروجِه من الضَّرع ،وهو صفة للصَّريح ، وفصَل بينهما بقوله : « ضَرَّة الشاة » . ويروى :

---

(١) الكتاب ٢ / ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) بفتح الدال وضمها ، ويهمز ولا يهمز .

دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلَّبَتْ عليه صَرِيحاً ضَرَّةُ الشاةِ مُزْبِدِ

فيكون « مزبد » مجروراً على الجِوار ، كقولهم : « جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ » ، وإنما هو خَرِبٌ ، لأنه صفةُ الجُحْر . و« مزبد » صفة للصريح ، فينبغي أنْ يكون منصوباً . وقيل : إن مُزْبِداً بالجَرّ على البدل من الشاةِ ، وإنما لم يُؤَنِّثْهُ حيث لم يجعله وصْفاً لها ؛ لأنّ الشاةَ معرفةٌ ، فلا تُوصَف بالنكرة ، وأبدله منها لجواز إبدال النكرة من المعرفة ، والمذكَّر من المُؤَنَّث .

وقوله : « فغادرها رَهْناً لَدَيْها » أي تركها محبوسةً عندها لمن يَحْلُبها ، كالرهن عند المُرْتَهِن ، لتكون معجزةً له عندَ من أراد حَلَبَها ،وتصديقاً لحكاية أم مَعْبَد .

والخال : ثوبٌ ناعمٌ من ثياب اليمن .

والبُرْدُ : الثَّوب .

والابتذال : الاستعمال . يصف سخاءه ، وأنه أبْذَلُ الناسِ لأنْعَم الثياب على جِدَّته وطراوته قبل ابتذاله وخُلُوقَته ،وأَجْوَدُهم بالفَرَس السابِح ، وهو الذي شُبِّه جَرْيُه لحُسْنِه ، بالذي يَسبَح في الماء .

والمُتَجَرِّد : الرَّقيق البَشَرة ، القصير شَعَر الجِسم ، كأنه قد جُرِّد منه : أي عُرِّي .

ونَشِبَ [١] في الشيء يَنْشَب : إذا عَلِقَ . أي إنه أخذ يُجاوب الهاتفَ .

---

(١) من باب تعب ، كما في المصباح .

والهاتِف : الصَّائح ، وقد هَتَف يَهْتِف : إذا صاح ، وكثيراً مايُطْلَق ويُراد به الذي يُسْمَع صوتُه ولا يُرى شَخْصُه .

ويُروى : « شَبَّبَ » من تَشْبِيب الكُتُب ، وهو الابتداءُ بها والأَخْذُ في جوابها . أي ابتدأ في جواب الهاتِف ، وأَخَذَ فيه ، وليس من التشبيب بالنِّساء في الشِّعر ، والتَّعَرُّض لِذِكرهنّ .

والخَيْبة : خِلاف الظَّفَر بالشيءِ ، ونَيْلِ المطلوب .

والتَّقْديس : التَّطهير والتَّنْزيه .

والسُّرَى : سَيْرُ الليل .

والاغْتِداء : سَيْرُ الغُدْوة .

والضَّلال : ضِدُّ الهُدَى ،وضَلَّ عَقْلُه : إذا لم يَهْتَدِ للصواب .

والرَّشاد : خِلافُ الغَيِّ . يقال : رَشَد [١] يَرْشُد ،ورَشِد يَرْشَد .

والضُّلَّال : جمع ضالٍّ .

والسَّفَه : الجَهْلُ وضِدُّ الحِلْم ،وأصله الخِفَّة والحَرَكة ، وتَسَفَّهوا : أي صاروا سُفَهاء ، وتَعَمَّدُوا السَّفَه .

والعَمايةُ : الضَّلال ،وهي فَعالَةٌ من العَمَى ، وعَمايَةُ الصُّبْح : بقيَّة ظُلْمة الَّليل . ومعنى « تَسَفَّهوا عَمايتَهم » : تَعَمَّدوا السَّفَه والجَهْلَ في ضَلالهم .

---

(١) من باب قتل وتعب ، على مافي المصباح . وعبارة القاموس « كنصر وفرح » وقال المرتضى الزبيدي عن الأول إنه الأشهر والأفصح . راجع التاج (رشد) وانظر حكاية طريفة حول هذا الفعل في طبقات الشافعية ١٠ / ٤٢٩ .

وقوله : « هادٍ به كلّ مُهتَد » قال ابنُ الأنباري : هكذا أنشدَناه ابنُ ناجيَةَ (١) ، وهو صَحيح الوزن ، مضطرب المعنى ، يريد أن البيتَ يحتاجُ إلى واو العطف ، أي هل يستوي هُلّاكُ قومٍ سُفَهاء ، وهادٍ به كلُّ مُهْتَد ؟ فاضطراب معناه بحذف الواو ، ويمكن أن يُخَرَّج له وَجْهٌ حَسَنٌ ، ويكون « يَسْتَوي » بمعنى يستقيم ويَكْمُل ، أي هل يستقيم ضُلَّالُ قومٍ سُفَهاء ، ويكون قوله : « هادٍ به كلُّ مُهْتَد » كلام مُسْتأنَف ، راجعٌ إلى قوله : « رَبّهم » في البيت قبله ، أو إلى النبيِّ ﷺ ، أي به يَهْدي كلُّ مُهْتَد . ويجوز أن تكون « به » متعلّقة بهادٍ ، أي كلُّ مُهْتَدٍ هادٍ به . ويجوز أن تُجعَل « يستوي » على بابها من التسوية بين الشيئين ،وحَذَف الثاني المساويَ بينَهما ، كقوله تعالى (٢) : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وقَاتَلَ ﴾ فَحذَف ذكر الثاني ، وهو في التقدير : ومَن أنفق من بعد الفتح وقاتَل ،ودَلَّ عليه بقوله : ﴿ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾ .

ويُروى هذا البيت :

وما يستوي جُهَّالُ قومٍ تَسكَّعُوا عَماً وهُداةٌ يهتدون بمُهْتَدِ

والتَّسَكُّع : التَّحيُّر والتَّمادي في الباطِل ، وهو ظاهر المعنى .

ويَثْرِب : اسم مدينة النبيِّ ﷺ (٣) ، من الثَّرْب ، الفساد ، أو التَّثْريب ، التَّعْيير والتَّقْبيح .

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناجية البربري البغدادي المتوفى سنة ٣٠١ ، تاريخ بغداد ١٠ / ١٠٤ ، والمنتظم ٦ / ١٢٥ .

(٢) الآية العاشرة من سورة الحديد .

(٣) غيرها النبى ﷺ وسماها طيبة ـــ بفتح الطاء ـــ وطابة . وقيل سميت بيثرب ابن قانية ، من بني إرم بن سام بن نوح . النهاية ، ومعجم ما استعجم ص ١٣٨٩ .

والرِّكاب : الإبل التي تَحمل القومَ وأحمالَهم ، ولا واحِدَ لها من لَفْظِها .

والأَسْعُد ، جمعُ قِلَّة للسَّعْد ، ضِدّ النَّحْس .

وقوله : « يَرَى مالا يرى الناسُ حَوْلَه » يجوز أن يكون من رُؤْيةِ العين ، ويريد به رُؤْيَةَ الملائكة عند الوَحْي وغيره ، ويجوز أن يكون من رُؤْيَة القلب ، ويريد به المعرفةَ ،وسَدادَ الرأي ،وكمالَ البصيرة ، ومثله بيت الأعشى في قصيدته الداليّة التي يمدح بها النبيَّ ﷺ :

نَبيٌّ يَرَى مالا تَرَوْن وذِكْرُه   أغارَ لَعَمْري في البلادِ وأَنْجَدَا(١)

والجَدُّ : الحَظُّ والبَخْت .

وقولُه : « وَذْفانَ مَخْرَجِه إلى المدينة » أي وقتَ خُروجه ، كما يُقال حِدْثَانَ خُروجِه ، وهو من تَوَذَّف : إذا مَرَّ مَرّاً سَرِيعاً .

والبُصْرة ، بالضَّمّ : أَثَرٌ من اللَّبَن يُبْصَر في الضَّرْع فيُسْتَدَلُّ به .

وقولُه : « ابْغِيني شاةً » أي أَعْطِيني . يقال : بَغَيْتُه الشيءَ : إذا أعطيتَه إيَّاه ، وأبغيتُه : إذا أَعَنْتَه على ابتغائِه .

والعَناق : الأنثى من ولَد المَعَز .

وقد ذُكر في هذا الحديث ألفاظٌ مختلفة لاختلاف رواياته ، غير ماذكرناه ، فلم نُطِل بذكرها ، فإنه قد طال الشرحُ وامتدَّ .

وحُبَيْشٌ صاحب الحديث ، بالحاء المهملة والشين المعجمة ، مُسَمًّى بطائر معروف ، اسمه حُبَيْش ، هكذا جُاء مصغَّراً ، مثل

(١) ديوان الأعشى ص ١٣٥ .

الكُعَيت ، للبُلْبل . ويجوز أن يكون تصغير حَبَشٍ ، وهو اسم جِنْس من السُّودان .

ويقال : إنه أخو أمِّ مَعْبَد ،وفيه نَظَرٌ ،وقيل : هو ابن عَمِّها .

وأبو سَليطٍ ، بفتح السين المهملة ، والسَّلِيط : الزَّيت ، وقيل : الشِّيرَج (١) ، أو هو مِن قولهم : رجلٌ سَلِيطٌ ، إذا كان فصيحاً حديدَ اللِّسان ، أو هو فعيلٌ من السَّلاطة : القَهْر والغَلَبة . والله أعلم .

وحيث اشتمل حديثُ أمّ مَعْبَد ، على ذِكر شيءٍ من صفات النبيِّ ﷺ ، فلْنُتْبِعْه بما جاء من الأحاديث ، في صفاته المشتملة على الغريب .

---

(١) هكذا ضبط في الأصل بكسر الشين وفتح الراء ، والذي في التاج بفتح الشين والراء معا ، وقال « كصيقل وزينب » وانظر الألفاظ الفارسية المعربة ص ٨٩ .

حَدِيثُ هِنْدِ بن أَبَي هَالة
التَّميميّ في صفة النبيّ عليه السلام

قال الحسنُ بنُ عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : سألت خالي هندَ بن أبي هالةَ التَّميميّ ، عن حِلْيةِ النبيّ ﷺ ، وكان وَصَّافاً له ، وأنا أشتهى أن يصفَ لي منها شيئاً ، لعلّي أَتَعلَّق به .

فقال : كان رسول الله ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً ، يتلأْلأ وجهُه تلالُؤَ القمر ليلةَ البَدْر ، أطْوَلَ من المَرْبُوع ، وأقْصَرَ من المُشَذَّب ، عظيمَ الهامة ، رَجِلَ الشَّعَر ، إن انْفرقتْ عَقِيصتُه فَرَق ، وإلّا فلا يُجاوز شَعَرُه شَحْمةَ أُذنَيْه إذا وَفَّرَه ، أزْهَرَ اللَّونِ ، واسعَ الجَبينَيْن ، أزَجَّ الحواجِبِ ، سَوابِغَ في غيرِ قَرَنٍ ، بينهما عِرقٌ يُدِرُّه الغَضَبُ ، أَقْنَى العِرنِين ، له نُورٌ يعلُوه ، يَحْسِبُه من لم يتأمَّلْه أشَمَّ ، كَثَّ اللِّحْية ، سَهْلَ الخَدَّين ، ضَلِيعَ الفَم ، أشْنَبَ ، مُفَلَّجَ الأسنان ، دقيقَ المَسْرُبَة ، كأنّ عُنُقَه جيدُ دُمْيةٍ في صفاء الفِضَّة ، مُعتدلَ الخَلْق ، بادِناً مُتماسِكاً ، سواءَ البَطْن والصَّدْر ، عريضَ الصَّدْر ، بعيدَ مابين المَنْكِبَيْن ، ضَخْمَ الكَرادِيس ، أنْوَرَ المُتَجَرَّد ، موصولَ مابين اللَّبَّة والسُّرَّة بشَعَر يَجرى كالخَطِّ ، عارِيَ الثَّدْيين والبَطْن ممَّا سِوَى ذلك ، أشْعَرَ الذِّراعين والمَنْكِبَيْن وأعالي الصَّدْر ، طويلَ الزَّنْدَين ، رَحْبَ الراحة ، سَبْطَ القَصَب ، شَثْنَ الكَفَّيْن والقَدَمْين ، سائلَ الأطراف ، خُمْصانَ الأَخْمَصَيْن ، مَسِيحَ القَدَمَيْن ، يَنْبُو عنهما الماءُ ، إذا زالَ زالَ قَلْعاً ، يَخْطُو تَكَفِّئاً [١] ويمشي هَوْناً ، ذَرِيعَ المِشْية ، إذا مَشَى كأنما

---

(١) في الفائق : « تكفؤا » . وسيتكلم عليه المصنف .

يَنْحطُّ مِن صَبَبٍ ، وإذا الْتَفَت التَفَت جَميعاً ، خافِضَ الطَّرْف ، نَظَرُه إلى الأرض أطولُ من نظره إلى السماء ، جُلّ نظَره المُلاحظةُ ، يَسُوقُ أصحابَه ، ويبدأ مَن لَقِيَه بالسَّلام .

قلت : صِفْ لي مَنْطِقَه .

قال : كان رسولُ الله ﷺ مُتواصِلَ الأحزان ، دائمَ الفِكرة ، ليست له راحة ، طويلَ السَّكْت ، لا يتكلَّم في غير حاجة ، يفتتح الكلامَ ويختِمه بأشْداقه ، ويتكلَّم بجَوامع الكَلِم ، فَصْلاً لافُضُولَ ولا تقصيرَ ، دَمِثاً ليس بالجافي ولا المُهين ، يُعَظِّم النِّعمة وإن دَقَّتْ ، ولا يَذُمُّ منها شيئاً ، غيرَ أنه لم يكن يَذُمُّ ذَواقاً ولايَمْدَحُه ، ولاتُغْضِبُه الدُّنيا ، ولا ماكان لها ، فإذا تُعُوطيَ الحَقُّ لم يعرفْه أحدٌ ، ولم يَقُمْ لغَضبه شيءٌ حتى ينتصرَ له ، لايغضَبُ لنفسه ، ولايَنْتَصِرُ لها ، إذا أشارَ أشارَ بكَفِّه كُلِّها ، وإذا تَعَجَّب قَلَبَها ، وإذا تَحدَّث اتَّصل بها ، فَيضربُ بباطِنِ راحته اليُمْنى باطِنَ إبهامه اليُسْرَى ، فإذا غَضِب أعرضَ وأشاحَ وإذا فَرِح غَضَّ طَرْفَه ، جُلُّ ضَحِكِه التَّبسُّم ،ويَفْتَرُّ عن مثل حَبِّ الغَمام .

قال الحسن : فكَتَمْتُها الحسينَ زماناً ، ثم حَدَّثْتُه فوجدتُه قد سَبَقني إليه ، فسأله عمَّا سألته ، ووجدته قد سأل أباه : ــ يعنى عليّاً كرَّم الله وَجْهَه ــ عن مَدْخَلِه ومَخْرَجِه وشَكْلِه ، فلم يَدَعْ منه شيئاً .

فقال : كان دُخولُه لنَفْسه مأذُوناً له في ذلك ، فكان إذا أَوَى إلى منزله جَزَّأَ دُخُولَهُ ثلاثةَ أَجزاءٍ : جزءاً لله عزَّ وجَلّ ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنَفْسه ، ثم جَزَّأَ جُزْءَه بينه و بين الناس ، فيرُدُّ ذلك على العامَّة بالخاصَّة ، ولا يَدَّخِرُ عنهم شيئاً .

وذكَر دخولَ أصحابه عليه فقال : يدخلون رُوَّاداً ، ولايفترقون إلّا عن ذَواق ، ويخرجون أدِلَّةً .

وذكر مجلسَه فقال : مجلس حِلْمٍ وحياءٍ ، وصَبْرٍ وأمانة ، لاتُرفَع فيه الأصوات ، ولاتُؤْبَنُ فيه الحُرَم ، ولاتُنْثَى فَلَتاتُه ، إذا تكلَّم أطرق جلساؤُه كأنَّما على رُءُوسهم الطَّير ، فإذا سكت تكلَّموا ، كان دائمَ البشْر ، سَهْلَ الخُلُق ، ليِّنَ الجانب ، ليس بفَظٍّ ولاغليظ ، ولاسَخَّابٍ في الأسواق ، ولافَحَّاشٍ ولاعَيَّاب ولامَدَّاح ، ولايقبل الثناءَ إلّا من مُكافىء .

* * *

هذا حديثٌ مشهور ، معروفٌ عند الرُّواة ، مَسْطورٌ في كتب العلماء ، مُدَوَّنٌ في كتب شمائلِ النبيِّ ﷺ وأوصافِه . وصَدْر الحديث مرويٌّ عن الحَسَن بن عليٍّ ، عن هندِ بن أبي هالة ، إلى قوله : « مثل حَبِّ الغَمام » وباقيه مرويٌّ عن الحسن عن أخيه الحُسَين ، عن أبيهما عليٍّ ، وقد حَذفْنا منه كلاماً كثيراً فى صِفة مَدْخَله ومَخْرَجه ومجلسه ، وغير ذلك ممّا لاغريبَ فيه ، والحديثُ يُعرفُ بهِنْدٍ ؛ لكونه لاحديثَ عنه سواه ، وإن كان أكثُره عن عليٍّ .

وأخرجه ابن قتيبة في غريبه [١] ، عن محمد بن عُبَيد ، بإسناده عن الحسن بن عليّ .

---

(١) غريب الحديث ١ / ٤٨٧ ــ ٥٠٧ ، وانظر أيضاً : الشمائل للترمذى بشرح ملا على القارى ١ / ٣٩ ــ ٥٣ ، والشمائل لابن كثير ص ٥٠ ــ ٥٦ ، وطبقات ابن سعد ١ / ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ودلائل النبوة لابى نعيم ٣ / ٢٢٧ ــ ٢٣٠ ، ودلائل النبوة للبيهقي =

شرحه

هندُ بن أبي هالَةَ بن زُرارة الأُسَيْديّ التَّميميّ (١) ، ربيبُ رسول الله ﷺ ، أُمُّه خَديجةُ بنت خُوَيْلد أمُّ المؤمنين ، كانت تحت أبي هالَةَ قبلَ النبيّ ، فولَدَت له هِنْداً هذا ، وهو خال الحَسَن والحُسَين عليهما السلام .

والأُسَيْديّ : منسوبٌ إلى أُسَيِّد بن عَمْرو بن تميم بن مُرٍّ . وأُسَيِّد : تصغير أسودَ ، على القَلْب والإدغام ، وأهل الحديث ينسبُون إليه مُشَدَّداً ، على واحده ، وأهل اللغة يحذفون إحدى الياءين ، وتبقى الأُخرى (٢) ساكنةً ، طَلَباً للخِفَّة ، وينسُبُون إليه ، وهو مُطَّردٌ فيما كان مِثلَه .

والغالبُ على هندٍ أن يسمَّى به النّساء ، ويسمَّى به الرجالُ قليلاً .

وحِلْية الإنسان : صِفَتُه .

والفَخْم المُفَخَّم : العظيمُ المُعظَّم في العيون والصُّدور ، أي كان جميلاً مَهيباً عند الناس ، وأصل الفَخْم : الضَّخْمُ ، ولم يكن ضخماً ، وإنما أراد به التعظيم . يقال : رجلٌ فَخْمٌ : أي عظيم القَدْر ،

= ١ / ٢٣٨ ــ ٢٥١ ، والفائق ٢ / ٢٢٧ ــ ٢٣١ ،والرصف لما روى عن النبى ﷺ من الفعل والوصف ١ / ٦٢ ــ ٦٧ ، ومجمع الزوائد ٨ / ٢٧٣ ــ ٢٧٨ (باب صفته ﷺ . من كتاب المناقب) ،والخصائص الكبرى للسيوطى ١ / ١٨٨ ــ ١٩٠ . وقد أفرد هذا الحديث بالشرح أبو بكر بن الأنبارى . راجع مقدمة تحقيق كتابه « الزاهر » ص ٢٣ .

(١) راجع الاستيعاب ص ١٥٤٤ ،وأسد الغابة ٥ / ٤١٧ ، والإصابة ٦ / ٢٩٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢ / ١٤٠ ، وجمهرة الأنساب لابن حزم ص ٢١٠ .

(٢) وكذا جاء في اللباب ١ / ٤٩ ،وتكلم عليه ابن دريد في الاشتقاق ص ٢٠٦ .

وقيل : الفَخامةُ في الوَجْه : نُبْلُه وامتلاؤُه ، مع الجمال والمهابة .
والتَّلألؤ : الإشراق والاستنارة ، وهو مأخوذٌ من اللُّؤلؤ : الجوهر المعروف .

وليلة البَدْر : هي الليلة الرابعةَ عشَرَ من الشَّهر غالباً ، وفيها يستكملُ القمرُ نُورَه ، وسُمِّيَ بدراً لأنه يُبادر ليلتئذ غُروبَ الشمس بطلُوعه فى المَشْرق .

والمَرْبُوع : المعتدل القامة ، وسَطاً بين الطويل والقصير .

والمُشَذَّب : الطويل البائن الطُّولِ ، مع نَقْصٍ في لحمه ، وأصله من النَّخلة الطويلة التي شُذِّب عنها سَعَفُها ، أي قُطِعت وفُرِّقت فيُفْحِش طُولُها في مرأى العين ، وأكثر مايقال المُشَذَّب في طُولٍ لا عَرْضَ له ، أي ليس بنَحيفٍ طويل ، بل طولُه وعَرْضُه متناسبان على أتَمِّ صِفة .

والهامة : الرأسُ ، وعِظَمُ الرأسِ دليلٌ على وُفورالعَقلِ .

والشَّعَرُ الرَّجِلُ : الذي ليس شديدَ الجُعُودة ، ولا شديدَ السُّبُوطة ، بل بينهما .

والعَقِيصة : الشَّعَر المجموع كهيئة المَضْفُور ، فَعِيلةٌ بمعنى مفعولة ، من العَقْصِ : العَطْفِ واللّيّ . وقيل : هي الخُصْلَةِ من الشَّعَر إذا عُقِصَت .

ويروى : « إن انفرقت عَقِيقَتُه » والعَقِيقة في الأصل : الشَّعَر الذي يخرجُ على رأس الصبيّ حين يُولَد ، وبه سُمِّيت العقيقة المَسْنُونة في الذَّبح عن المولود إذا حُلِق شَعَرُه بعد سبعة أيّام من مولِده ، وكان تَرْكُها عندهم عَيْباً وشُحّاً ولُؤماً .

وإنما سَمَّى شَعَرَ النبيِّ ﷺ عقيقةً ، لأنه منها ؛ ونَباتَه من أُصُولِها ، كما سَمَّت العربُ أشياءَ كثيرةً بأسامى ماهي منه ، أو مِن سَببه .

وذهب بعض الأئمة إلى أن العقيقةَ في هذا الحديث تصحيفٌ ، فإن أكثر الروايات : العَقِيصة .

والانفِراق : مُطاوع فَرَق : إذا فَصَل بين الشيئين . أي كان لايَفْرُق شَعَرَه ، إلا أن ينفرقَ هو لنفسهِ ، كأنه يريد أن يُفَرِّق شَعَره بعدما جَمَعه وعَقَصه ، يقال : فَرق شَعَره وفَرَّقَه : إذا تَرَك كلَّ شيء منه في مَنْبته منحدراً على حالته ، لأنه إذا كان معقوصاً فموضِعُه الذي يجمعهُ فيه حِذاءَ أُذُنيه ، ثم يُرسِله هناك . قال القُتَيْبِيُّ : كان هذا في صدر الإسلام ، يقال : إنه كان يُحبُّ موافقةَ أهل الكتاب فيما لم يُؤْمَر فيه بأمرٍ ، فَسدَل شَعَره ماشاء الله ، موافقةً لأهل الكتاب ، ثم فَرَق بعد ذلك .

ووَفَّره : إذا أعفاه عن الفَرْق . يعني أن شَعَره إذا فَرَقه تَجاوزَ شَحْمةَ أُذُنيه ، وإذا تَرك فَرْقَه لم يُجاوزْها .

وشَحْمة الأُذُن : طَرَفُها الأسفل .

واللونُ الأَزْهَر : الأبيضُ المضيءُ المُسْتَنير ، والزَّهْر والزَّهْرة : البياضُ النَّيِّر ، وهن أحسن الألوان ، وليس بالشَّديد البياض .

والجَبِينان : ماعن جانبي الجَبْهة من مُقَدَّم الرأس .

والزَّجَج : دِقَّة الحاجبين وسُبُوغُهما إلى محاذاة آخر العين ، مع تَقوُّسٍ خِلْقةً ، وقد تفعله النِّساءُ تكلُّفاً ، وقد نُهِيَ عنه .

والقَرَنُ : أَن يلتقىَ طَرَفاهما ممّا يلي أَعْلَى الأنف ، وهو غير محمودٍ عند العرب ، ويستَحِبُّون البَلَج ، وهو بياض مابين رأسيهما وخلوّه من الشَّعَر . والمراد أن حاجبيه قد سَبَغا وامتدَّا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا .

ونَفْىُ القَرَنِ هو الصَّحيح في صفته عليه السلام ، دون ماوصفته به أُمُّ مَعْبَد ، ويمكن الجَمْعُ بينهما على أنه لم يكن بالأَقْرَن حقيقةً ، ولا بالأَبْلَج حقيقةً ، بل كان بين حاجبيه فُرْجةٌ يسيرة ، لاتَتَبيَّن إلّا لمن حَقَّق النَّظَر إليها ، كما ذَكر فى صفة أَنفه ، فقال : يحسبه من لم يتأَمَّلْه أَشَمَّ ، ولم يكن أَشَمَّ .

والسَّوابغ : جمع سابغ ، وهو التامُّ الطويلُ ، وسُبوغُ الدِّرع : سَعَتُها وتَمامُها .

وسوابغ : حال من الحواجب ،وهي فاعلةٌ في المعني ؛ لأن التقدير : أزجَّ حواجبُه ، أي دقَّتْ (١) حواجِبُه في حالِ سُبُوغِها ، ووضَع الحواجبَ ، وهي جَمعٌ ، مَوْضِعَ الحاجبين ، على مذهب من جعل التثنيَة جمعاً ، كما جاء في حديثٍ آخر ذِكرُ « السَّوالف » ، وإنما هما سالِفان (٢) ، ومنه قولُه تعالى في شأن داودَ وسليمانَ عليهما

---

(١) في الفائق : « زجت » والكلام كله فيه .

(٢) هكذا في الأصل . والذي في النهاية (سلف) : « سالفتان » بالتاء الفوقية بعد الفاء . وكذلك في كتب اللغة ، وقال ثابت في خلق الإنسان ص ٢٠١ : « وفي العنق السالفتان ، وهما ناحيتا مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى الحاقنة ، الواحدة سالفة ، والجمع سوالف » .

السلام [١] : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ ﴾ .

في أحد التأويلين [٢] .

وقوله : « بينهما عِرْقٌ يُدِرُّه الغضب » . ردَّ الضمير في « بينهما » إلى التثنية على المعنى دون اللفظ . ويُدِرُّه الغضبُ : أى يحرِّكه ويُظهره ، كان إذا غضب امتلأ ذلك العِرقُ دماً ، كما يمتلىء الضَّرعُ لبناً إذا دَرَّ ، فيظهر ويرتفع . وقيل : هو من أدَرَّت المرأةُ المِغْزَل : إذا فتَلَتْه فَتْلاً شديداً .

والعِرْنِين : الأنفُ .

والقَنَا : طولُ الأنف ودِقَّةُ أرْنَبته ، مع ارتفاعٍ في وسَط قَصَبته ، ورجلٌ أَقْنَى ، وامرأةٌ قَنْواءُ .

والشَّمَمُ : ارتفاعُ رأس الأنف ، وإشرافُ الأرنبة قليلاً ، واستِواء أعلَى القَصَبة : أي كان يُحْسَبُ لحُسْن قَنَاهُ قبلَ التأمُّل أشَمَّ ، فليس قَنَاهُ بفاحِشٍ مُفْرِطٍ ، بل يميل يسيراً إلى الشَّمَم .

والشَّعَر الكَثُّ : الكثيف المُتراكِب ، من غير طُولٍ ولارِقَّة ، وقد كَثَّ الشَّعَرُ كَثاثَةً ، ولِحْيةٌ كَثَّةٌوكَثَّاءُ ، ورجلٌ كَثٌّ ، وقومٌ كُثٌّ .

وسَهْلُ الخدَّين : أي ليس في خَدَّيه نُتُوٌّ وارتفاعٌ ، مِن سَهْل الأرض ، ضِدِّ حَزْنِها . وقيل : أراد أن خَدَّيه أَسِيلان ، قليلا اللَّحم ، رقيقا الجِلدة .

---

(١) سورة الأنبياء ٧٨ .

(٢) والتأويل الآخر : أن المراد الحاكمان والمحكوم عليه ، فلذلك قال : لحكمهم . تفسير القرطبى ١١ / ٣٠٧ .

والضَّليعُ الفَمِ : العظيمُ الواسع ، وكانوا يذمُّون صِغَر الفَم . وقال أبو عبيد : أَحْسِبُهُ جِلَّةً في الشَّفتين وغِلْظةً فيهما .

والضَّلِيع في الأصل : الذى عَظُمتْ أَضلاعُه واتَّسَع جَنْباه ، ثم اتُّسِع فيه فاستُعمِل في كلّ عظيمٍ وإن لم يكن ثَمَّ أضلاعٌ .

والشَّنَبُ : رِقَّةُ الأسنان ودِقَّتُها ، وتَحَدُّد أطرافها ، وقيل : هو بَرْدُها وعُذوبتُها ، ومنه قولهم : رُمّانةٌ شَنْباءُ ، وهي العَذْبةُ الطَّعمِ ، الكثيرةُ الماء . وسُئل رُؤْبَةُ بن العَّجاج عن الشَّنَب ، فأخرج حَبَّةَ رُمَّان ، وقال : هذا هو الشَّنَبُ .

والفَلَجُ : تَباعُد مابين الثَّنايا والرَّباعِيَات ، ورجلٌ أَفْلَجُ الأسنان ، ومُفَلَّجُ الأسنان ، قال ابن دُرَيد (١) : لابُدَّ من ذِكر الأسنان .

والفَرَقُ ، بالتحريك : فُرْجةٌ بين الثَّنِيَّتين .

والمَسْرُبَةُ ، بضمّ الراء : مادَقَّ من شَعَر الصَّدْر ، سائلاً إلى السُّرَّة .

والجِيدُ : العُنُق ، وإنما ذكرهما لئلّا يتكرَّر لفظٌ واحِدٌ .

والدُّمْية : الصُّورة المُصَوَّرة في جدارٍ أو غيره ، وجَمْعُها دُمىً .

واعتدال الخَلْق : تناسُبُ الأعضاء والأطراف ، وألَّا تكونَ متباينةً مختلفةً في الدِّقَّة والغِلَظ ، والصِّغَرِ والكِبَر ، والطُّولِ والقِصَر .

والبادِنُ : الضَّخْمُ التامُّ اللَّحمِ ،وقد بَدُنَ (٢) يَبْدُن ، فهو بَدينٌ وبادِنٌ .

---

(١) في الجمهرة ٢ / ١٠٧ .

(٢) بضم الدال وفتحها ، والفعل من باب كرم ونصر ، على مافي القاموس .

والمُتماسِك : الذي لَحمُه ليس بمُسْتَرْخٍ ولا مُتَهدِّل . ولمَّا وصَفَه بالبَدانة أَتْبعها بالتَّماسُك ، كأنّ لحَمه لاكتنازِه واصْطِحابِه يُمسك بعضُه بعضاً ؛ لأن الغالبَ على السِّمَن الاسترخاءُ .

وقوله : « سَواءَ البَطْن والصَّدْر » أي مُتَساويهما . يعني أن بَطْنَه غيرُ خارج ، فهو مُساوٍ لصدره ، وصَدْرَه عَريضٌ ، فهو مُساوٍ لبطنه . والأَصل في السَّواء : العَدْلُ ، يقال : هما في هذا الأمر سواءٌ ، وهم فيه سواءٌ ، وإِن شئتَ : سَواآنِ ، وأَسْواءٌ .

والمَنْكِبان : أَعْلَى الكتفين ، وبُعْدُ ما بينهما يدلُّ على سَعَة الصَّدْر والظَّهْر .

والكَرادِيس : جَمْعُ كُرْدُوسٍ ،وهو رأسُ كلِّ عَظْمٍ كبير ، ومُلْتَقَى كلِّ عَظْمين ضَخْمَيْن ، كالمَنْكِبين ،والمِرْفَقَيْن ، والورِكَيْن والرُّكبتين ، ويريد به ضخامة الأعضاء وغِلَظَها .

والمُجَرَّد والمُتجرِّد : ماكُشِف عنه الثَّوبُ من البَدَن . يعني أنه كان مُشرقَ الجسدِ ، نَيِّرَ اللَّون ، فوضع الأَنْورَ موضعَ النَّيِّر .

والأشعرُ : الذي عليه الشَّعر من البدن .

واللَّبَّةُ ، بفتح اللام : الوَهْدة التي في أعلا الصَّدْر ، في أسفَل الحَلْق بين التَّرْقُوَتين .

وقوله : « عاري الثَّدْيَيْن والبَطْن ممَّا سِوى ذلك » أي أن ثَدْيَيه وبطنَه ، ليس عليها شَعَرٌ سِوى المَسْرُبة المقدَّم ذِكرُها ، الذي جعَله جارياً كالخَطّ .

والزَّنْدان : العَظْمان اللذان يِليان الكفَّ من الذِّراع ، رأسُ أحدهما يلي الإِبهامَ ، ورأسُ الآخر يلي الخِنْصَر .

والرَّاحَة : الكَفُّ . ورُحْبُها : سَعَتُها ،وهو دليلُ الجُود ، مُستعاراً ، كما أن ضِيقَها وصِغَرها دليل البُخْل .

والشَّثْن : الغَليظُ الأطرافِ والأصابع ،وكونُها سائلةً . أي ليست بمُتعقِّدة ولا مُتجعِّدة ، فهي مع غِلَظِها سَهْلةٌ سَبْطة .

ويُرْوى : « سائنَ الأطراف » بالنون ، على الإبدال (١) ، كجِبرْيل وجِبْرين .

والقَصَب : جمع القَصَبة ، وهي كلّ عَظْمٍ أَجْوَف فيه مُخٌّ .

والسَّبْط : الممتدُّ في استواء ، ليس فيه تَعقُّد ولانُتوٌّ ، وتُسَكَّن باؤُه وتُكسر ، ويُوصَف به الشَّعَرُ ، والأعضاءُ ، والجِلد .

والأَخْمَص من القَدم : الموضعُ الذي لايَصِلُ إلى الأرض منها عند الوَطْء ، والخُمْصان : المُبالِغ منه . أي إن ذلك الموضعَ من رِجله شديدُ التَّجافي عن الأرض .

وسئل ابن الأعرابي عنه ، فقال : إذا كان خَمَصُ الأخمَص بقَدْرٍ لم يرتفع جداً ، ولم يستو أسفَلُ القدم جدّاً ، فهو أحسن مايكون ، وإذا استوى أو ارتفع جدّاً فهو ذَمٌّ . فيكون المعنى حينئذ : معتدل الخَمَص ، بخلاف الأول ، وكِلا القولين مُتَّجِه يحتمله اللفظُ ، فإن الخَمَص الجُوعُ وخُلُوّ البَطْن ، يقال : رجلٌ خُمْصانٌ وخَمِيصٌ : إذا كان ضَامِرَ البطن .

---

(١) راجع الإبدال والمعاقبة ص ٩٣ .

ومَسيحُ القدمين : أي إنَّ ظاهرهما مَمسوحٌ غير مُتعقِّد ، فَعِيلٌ بمعنى مفعول ، فإذا صُبَّ عليهما الماءُ مَرَّ سريعاً ، لملاستهما ، فينبو عنهما الماءُ ولايقفُ ، يقال : نَبا الشيءُ عنِّي يَنْبُو : إذا تَباعَدَ وتَجافَى ، ونَبا السَّيفُ : إذا لم يَعْمل في الضَّرِيبة .

وقوله : « إذا زالَ زالَ قَلْعاً » قد اختُلف في ضَبط هذه اللفظة ، فقال الهَرويّ (١) : قرأت هذا الحَرْفَ في كتاب غريب الحديث لابن الأنباريّ : « قَلِعاً » بفتح القاف وكسر اللام ، وكذلك قرأته بخط الأزهريّ . قال (٢) : وهذا كما جاء في حديثٍ آخر : « كأنما يَنْحطُّ من صَبَبٍ » والانحدارُ من الصَّبَب ، والتَّقَلُّع من الأرض قريبٌ بعضُه من بعض ، أراد (٣) ، أنه كان يستعمل التَّثَبُّت ، ولا يَبين منه في هذه الحال استعجالٌ ومبادرةٌ شديدة ، وقد جاءت صفته في حديثٍ آخر (٤) : « إذا مَشَى تَقلَّع » أراد به قُوَّةَ مَشْيه ، وأنه كان يرفع رِجليه من الأرض رَفْعاً قويّاً ، لاكمن يمشي اختيالاً ويُقارب خَطْوَه ، فإن ذلك مِن مَشْى النساء ، ويُوصَفْن به .

وقيل : هو بفتح القاف وسكون اللام ، مصدرٌ بمعنى الفاعل . أي إذا زالَ زالَ قالِعاً لرجله من الأرض ، ومنهم من يرويه بضم القاف وسكون اللام ، على أنه مصدرٌ أيضاً بهذا المعنى .

---

(١) الغريبين (قلع) .
(٢) أي الأزهري : كما صرح الهروى في الغريبين ، وانظر التهذيب ١ / ٢٥٠ .
(٣) وهذا من قول أبي بكر بن الأنباري ، كما في الغريبين .
(٤) هو حديث علي بن أبي طالب التالي .

والتَّكفُّؤ : تمايلُ الماشي إلى قُدَّامٍ ، كما تتكفَّأُ السَّفينةُ والغُصنُ إذا هَبَّت به الرِّيحُ ، وأصله من كفأتُ الإناءَ : إذا أَمَلْتَه .

والذي جاء في الرواية : « يمشي تَكَفِّئاً » وروي غيرَ مهموز . وفي حديثٍ آخر : « إذا مشى تكفَّى تكفِّياً » والأصل الهمزُ وضَمُّ الفاء ؛ لأن الهمزة حرفٌ صحيح يجري عليه الإعرابُ ، ومصدر تَفعَّلَ من الصحيح : تَفَعُّلٌ ،كتقَدَّم تَقدُّماً ، وتكرَّم تكرُّماً ، وتكفَّأَ تَكَفُّؤاً ، فأَما إذا اعتلَّ انكسرتْ عينُه ، كقولك : تسمَّي تسميِّاً ، وتَحفَّى [1] تَحفِّياً ، وإذا خفَّفْتَ الهمزة التحقتْ بالمُعْتلّ ، فصارت تكفِّياً ، بالكسر من غير همز .

والهَوْنُ : المَشْيُ في رِفْق ولِين ، غيرَ مُخْتال ولا مُعْجَب .

وفي رواية : « كان يمشي الهُوَيْنا » تصغير الهُونَي ، تأنيث الأَهْون ، وهو من الأوَّل .

والذَّريع : السَّريع . أي إنه كان واسعَ الخَطْو ، فيَسْرُع [2] مَشْيُه ، وربما يُظَنّ أن هذا ضِدٌّ للأول ، ولا تَضادَّ فيه ، لأن معناه أنه كان مع تَثَبُّته في المشي يُتابع بين الخُطُوات ويُوسِعُها ، فيَسبِق غيرَه .

والصَّبَب : الموضعُ المُنحدِر من الأرض ، وذلك دليلٌ على سُرعة مشيه ، لأن المنحدرَ لايكاد يثبُتُ في مَشْيه .

---

(١) رسمت في الأصل حاء صغيرة تحت الحاء ، إشارة إلى الإهمال .

(٢) هكذا ضبط فى الأصل بفتح الياء وضم الراء ، وهو من باب صغر ـــ بفتح فضم ـــ كما ذكر في المصباح .

وفي رواية : « كأنما يَهْوِي من صَبُوب » يروى بالضمّ والفتح ، فالضمّ جمع صَبَبٍ ، وهو المنحدِر من الأرض ، والفتح اسمٌ لِما يُصَبُّ على الإنسان من ماءٍ وغيرِه .

وهَوَى يَهْوِي : إذا نزل من موضعٍ عالٍ .

وقوله : « وإذا التَفَتَ التفَتَ جميعاً » أي لم يكن يَلْوي عُنُقَه ورأسَه إذا أراد أن يلتفتَ إلى ورائه ، فِعْلَ الطائشِ العَجِل ، إنما يُديرُ بدَنَه كلَّه وينظر ،وقيل : أَراد أَنه كان لايُسارِق النَّظَر .

وخَفْض الطَّرْف : ضِدّ رفعه ، وهو الغَضُّ منه والإِطراقُ .

وجُلُّ الشيء : مُعْظَمُه وأَكثرُه ، من الجَلِيل ، خِلافِ الدَّقيق .

والمُلاحَظَةُ : أَن ينظر الرجل بلَحْظ عَيْنِه ،وهو شِقُّها الذي يلي الصُّدْغَ والأُذُن ،ولايُحدِّق إلى الشيء تَحْديقاً ، يقال : لَحَظ لَحْظاً ، ولاحَظَ مُلاحَظَةً .

والطَّرْف : العَين ، مُسَمّىً بالمصدر ، ولذلك لايُثَنّى ولايُجْمَع ، وكانت الملاحظةُ مُعْظمَ نظَرِهِ وأَكثَرَه ، وهو دليل الحياء والكرم .

وقوله : « نظَرُه إلى الأَرض أَطولُ من نظره إلى السماء » تفسيرٌ لخَفْض الطَّرْف والملاحَظة .

ويَسُوق أَصحابَه : أَي يُقَدِّمُهم أَمامَه ، ويمشي وراءَهم .

ويروى : « يَنُسُّ أَصحابَه » والنَّسُّ : السَّوْق ، وقد نَسَّه يَنُسُّه نَسّاً .

وتَواصُلُ أَحزانِه ، ودوامُ فِكره ، وعدَمُ راحته : لاهتمامه بأَمْر الدِّين ، والقيام بما بُعث به ، وكُلِّف تبليغَه ، وخوفِه من أُمور الآخرة ، ويَشْهَدُ له قولُه ﷺ : « أَنا أَعْرَفُكم بالله ، وأَشَدُّكم له خوفاً » .

والسَّكْت : السُّكوت ، وهما مصدران .

والأَشْداق : جمع شِدْق ، وهو جانب الفم ، وإنما يتكلّم الرجل بأشداقه ، لرُحْبها وسَعَتها ، والعرب تَمتدِح بذلك ، ورجلٌ أَشْدَق : بَيِّنُ الشَّدَق . فأما الحديث الآخر : « أبْغَضكم إليَّ المُتشَدِّقون » فقيل : أراد المُسْتهزئين بالناس ، كالذي يَلْوي شِدْقَه بهم وعليهم ، وقيل : أراد المتوسِّعَ في الكلام ، كِبْراً وعُجْباً ، في غير احتياطٍ واحتراز . وقيل : هو أن يفتح فاهُ كلَّه عند الكلام ، ويتكلَّمَ بِمِلءِ فَكَّيه .

وجَوامع الكَلِم : هي القليلة الألفاظ الكثيرة المعاني ، جَمْعُ جامِعَةٍ ، وهي اللفظة أو اللَّفَظات الجامعة للمعاني ، ومنه الحديث الآخَر : « أُوتِيت جَوامِعَ الكَلِمِ » يعني القرآن .

والقولُ الفَصْلُ : هو البَيِّنُ الظاهِرُ المحكَم ، الذي لايُعابُ قائلُه ، وحقيقته : الفاصِلُ بينَ الحقِّ والباطِل ، والخطأ والصواب .

والفُضُول من الكلام : مازادَ عن الحاجة وفَضَلَ ،ولذلك عطَفَ عليه ، فقال : « ولا تقصيرَ . »

والدَّمِثُ : السَّهْلُ اللَّيِّن الخُلُقِ ، وأَصلهُ من الدَّمَث ، وهي الأرض اللَّيِّنة السَّهْلة .

والجافي : المُعْرض المتباعدُ عن الناس ، من الجَفاءِ : تَرْكِ الصِّلَة والبرِّ ، وقيل : الجافي : الغَلِيظُ الخِلْقةِ والطَّبعِ ،وقد جفا أَصحابَه يَجْفُوهم : إذا قاطَعَهم ، أَو خَشُنَ عليهم .

والمُهين : يُرْوَى بضمّ الميم وفتحها ، فالضمُّ من الإهانة ، وهي الإذلالُ والاطِّراحُ . أَي لايُهِينُ أَحداً من أَصحابه أَو مِن الناس ، والفتحِ : هو من المَهانة : الحقارةِ والصِّغَر ، وقد مَهُنَ يَمْهُن فهو مَهينٌ ، والميم فيه أَصيلة ، وفي الأول زائدة .

وقوله : « يُعَظِّم النَّعمةَ » أي لايستصغر شيئاً أُوتِيَه وإن كان صغيراً .

ودَقَّ الشيءُ يَدِقُّ : إذا صَغُر مِقدارُه ، والدَّقيق في الأصل : ضِدّ الغليظ ، ثم اتُّسع فيه فاستُعمل في المعاني ، ويكون في مقابلة الجَلِيل أيضاً .

والذَّواقُ : اسم مايُذاق باللِّسان ، أي لايصفُ الطَّعامَ بطِيبٍ ولا بَشاعة .

وقوله : « إذا تُعُوطيَ الحقُّ لم يعرفْه أَحدٌ » أى إذا نِيلَ من الحَقِّ ، أَو أُهْمِل ، أَو تُعُرِّضَ للقَدْح فيه ، تنكَّر عليهم ، وخالَفَ عادتَه معهم ، حتى لايكادُ يعرفُه أَحدٌ منهم ، ولايثبُتُ لغَضبه شيءٌ حتى يتنصرَ للحَقّ .

والتَّعاطي : تفاعُلٌ من عَطَا يَعْطُو : إذا أَخذ وتَناوَلَ .

وقوله : « وإذا تحدَّث اتَّصل بها » أَي إنه كان يشير بكفِّه إلى حديثه ، وتفسيره قوله : « فيضربُ بباطن راحتِه اليمنى باطنَ إبهامه اليُسرى » .

وأَشاحَ : إذا بالَغَ في الإعراض وجَدَّ فيه . وقيل : المُشِيح : المُبالغُ في كلِّ أَمر . أَى إذا غَضِب لم يكن يَنْتَقِمُ ويُؤَاخِذُ ، ويقنعُ بالإعراض عمَّن أَغضبه .

وغَضُّ الطَّرْف عند الفَرَح : دليلٌ على نَفْي البَطَر والأَشَر .

والتَّبَسُّم : أَقلُّ الضَّحك وأَدناه ، وقد بَسَم [1] يَبْسِمُ وتَبسَّم ،فهو باسمٌ ومُتَبسِّم ، والمَبْسِمُ : الثَّغْر .

---

(١) من باب ضرب .

وَيْفَترُّ : أي يكشف عند التبسُّم عن أسنانه ، من غير قَهْقهة ، وأصله من فَرَرْتُ الدابَّةَ أَفُرُّها (١) فَرّاً : إذا كشفتَ شَفَتها لتتعرَّف مِقدارَ سِنّها .

والغَمامُ : السَّحاب ، وحَبُّه : البَرَدُ .

والشَّكْل هاهنا ، بفتح الشين ، وهو السِّيرةُ والطريقةُ ، وشكلُ الإنسان : مِثلُه .

وأَوَى إلى المنزلِ يَأْوي : إذا رجَع .

والتَّجزئةُ ، مهموزةً : القِسْمة . وقد جَزَأْتُ الشيءَ أَجْزَؤُه ،وجَزَّأْتُه تَجْزئةً : إذا قَسَمْتَه وجعلتَه أَجزاءً ،والاسم : الجُزْءُ ، بالضمّ .

والجُزءُ المختصُّ بالله تعالى : هو اشتغالُه بعبادته ومناجاتِه في ليله ونهاره . والجزءُ المختصُّ بأَهله : هو الوقت الذي يَصْحَبُهم ويعاشرهم فيه . والجزءُ المختصُّ بنفسه : هو الذي لايتعَّبد فيه ولا يعاشر أَهلَه ، فقَسَمه بِقسْمين بينَه وبينَ الناس .

وقوله : « فيرُدُّ ذلك على العامَّة بالخاصَّة » أَراد أَن العامَّة كانت لاتصلُ إليه في هذا الوقت ، فكانت الخاصَّةُ تُخبر العامَّةَ بما سمعتْ منه ، فكأَنه أَوصَلَ الفوائدَ إلى العامَّة بالخاصَّة ، وقيل : إن الباء في « الخاصَّة » بمعنى «مِن» أَي يجعل وقتَ العامَّة بعد وقت الخاصَّة ، وبَدَلاً منهم ، كقول الأعشى (٢) :

---

(١) بضم الفاء ، كما نص عليه في اللسان .

(٢) ديوانه ص ٩٥ .

على أَنَّها إِذْ رَأَتْني أُقا   دُ قالتْ بِما قد أُراهُ بَصِيراً

أي هذا العَشَا مكان ذلك الإبصار ، وبَدَلٌ منه [١] .

والرُّوَّاد : جمع رائد ، وهو الذي يتقدَّم القومَ يكشفُ لهم حالَ الماء والمرعَى قبل وصولهم . ويخرجون أدِلَّةً : جمع دليلٍ ، أي يدلُّون الناسَ بما قد عَلِمُوه منه وعَرَفُوه . يريد أنهم يخرجون من عنده فُقهاءَ .

ويروى بالذال المعجمة ، جمع ذَليل . يريد به : يخرجون من عنده متواضِعين مُتَّعظين بما سمعوا ، من قوله تعالى [٢] : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتي اللهُ بقَومٍ يُحبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقوله : « لايَفْتَرِقُون إلَّا عن ذَواق » ضَرب الذَّواقَ مثلاً لما ينالُون عنده من الخير ، أي لايتفرَّقون إلا عن علمٍ يَتَعلَّمونه ، يقوم لهم مَقَام الطعامِ والشراب ، لأنه يحفظ الأرواح ، كما يحفظان الأجسام .

وقوله : « لاتُؤْبَنُ فيه الحُرَمُ » أي لاتُقْذَف وتُرْمَى بعَيْبٍ . يقال : أَبَنْتُه بكذا آبِنُهُ [٣] ، ومنه حديث الإفك : « أشيروا عليَّ في أُناسٍ أَبَنُوا أهلي » .

والحُرَم : جمع حُرْمةٍ ، وهي المرأة ، ومايلزم الإنسانَ حفظُه وصَوْنُه .

---

(١) وهذا رأي ابن جني . وقيل : إن « بما » في البيت بمعنى « ربما » . راجع الخصائص ٢ / ١٧٣ ،وحواشيه . وانظر النهاية (عمم) .

(٢) سورة المائدة ٥٤ .

(٣) بضم الباء وكسرها ، كما في اللسان .

وقوله : « لاتُنْثَى فَلَتاتُه » أي لايُتَحدَّث عن مجلسه بهَفْوَةٍ أو زَلَّةٍ ، إن حدثَتْ فيه من بعض القوم . يقال : نَثَوْتُ الحديثَ فأنا أَنْثُوه نَثْوًا : إذا أَذَعْتَه .

والفَلَتَاتُ : جمع فَلْتة ، وهي هاهنا الزَّلَّة والسَّقْطة . وقيل : معناه أنه لم يكن فيه فَلَتاتٌ فتُنْثَى [١] .

والإطراق : خَفْضُ الرَّأس ، وإدامةُ النَّظر إلى الأرض بينَ يديه .

وقوله : « كأنما على رُؤُوسهم الطَّيرُ » يصفهم بالسُّكون والثَّباتِ في المجلس ، لأن الطير لا تسقط إلا على ساكن . وقيل : أصلُ هذا المثل أن النبيَّ سليمان عليه السلام كان يقول للرِّيح : أَقِلِّينا ، وللطَّير : أَظِلِّينا . فكان أصحابه يَغُضُّون أبصارَهم ويُطرِقُون ساكنين ، هَيْبةً له ، لا يتكلّمون إلّا جَواباً ، فقِيل للقومِ إذا سَكَنُوا : كأَنَّما على رُؤُوسهم الطَّير [٢]

---

(١) توجيه هذا الكلام أن العرب قد تنفي صفة عن شيء ما ، والمراد نفي هذا الشيء أصلاً ، وعلى ذلك وجهوا قول المتنبي :

يُعْطي فلا مَطْلُه يكدِّرُها بها ولا مَنُّه يُنكِّدها

قال ابن الشجري : وليس يريد بقوله : فلا مطله يكدرها ، وقوله : ولامنه ينكدها : أن له مطلا لايكدر ، ومنا لاينكد ، وإنما أراد انتفاء المطل والمن عنه البتة . أمالي ابن الشجري ١ / ١٩٢ ، وديوان المتنبي ١/ ٣٠٤ ، وقد كشف هذا الباب وأوضحه أبو الفتح بن جنى ، في الخصائص ٣ / ١٦٥ ، ٣٢١ ، وانظر الخزانة ٤ / ٢٧٣ ، والكشاف ١ / ٤٧٠ ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ﴾ سورة آل عمران ١٥١ . وهذا النوع من البيان يسميه ضياء الدين بن الأثير : عكس الظاهر ، وهو نفي الشيء بإثباته ، وساق له شواهد ، منها هذا الجزء من الحديث . راجع المثل السائر ٢/٢٥٧ ، وانظر الإنصاف لابن السِّيد ص ١١٨ ، وشرح الحماسة ١٢٠ ، ٢٤٠ ، واللسان (نسى) والمصباح (نفى)

(٢) راجع مجمع الأمثال ٢ / ١٤٦، والمستقصى ٢ / ٢٠١ ، وجمهرة الأمثال ٢ / ١٤٣ .

والبِشْر : طَلاقةُ الوَجْه وبشاشَتُه .

والفَظُّ : السَّيِّء الخُلُق ، وقد فَظَّ يَفَظُّ [١] فَظاظةً .

والسَّخَّاب : فَعَّالٌ من السَّخَب ، وهو الضَّجَّة واضطرابُ الأصوات ، والخِصامُ ،ويروى بالسين والصاد ، على الإبدال [٢] .

والفَحَّاش والعَيَّاب : فَعَّال للمبالغة من الفُحْش في القول ، وعَيْبِ الناس والوقيعِة فيهم .

وقوله : « لايَقبل الثناءَ إلا من مُكافىء » يريد [٣] أنه كان إذا ابُتدىء بثناءٍ ومدحٍ ، كَرِه ذلك ، وإذا اصطنع معروفاً فأثْنَى عليه مُثْنٍ وشكَر له ، قَبِل ثناءَه . وأنكر ابنُ الأنباريّ [٤] هذا التأويل ، وقال [٥] : المعنى أنه لايقبل الثناءَ عليه ممّن لايعرف حقيقةَ إسلامه ، ولايكون من

---

(١) بفتح الفاء في المضارع . وهو من باب تعب ، كما في المصباح .

(٢) راجع الإبدال والمعاقبة ص ٦٠ .

(٣) هذا التأويل لابن قتيبة . غريب الحديث ١ / ٥٠٧ .

(٤) في الأصل : « ابن الأعرابي » . وهو خطأ ، أثبت صوابه من الغريبين والنهاية (كفأ) .ويلاحظ أن ابن الأعرابي محمد بن زياد توفى سنة ٢٣١ ، فيبعد أن يتعقب ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ ، وأيضاً فإن نقد أبي بكر الأنباري لابن قتيبة معروف ومذكور في كتب الغريب واللغة . انظر مقدمة تحقيق غريب الحديث لابن قتيبة ص ٧٣ .

(٥) جاء كلام ابن الأنباري الذى تعقب فيه ابن قتيبة ، في الغريبين أتَمَّ من هذا ، قال الهروي : قال أبو بكر بن الأنبارى : هذا غلط بيّن ، لأنه عليه السلام لاينفكّ أحدٌ من إنعامه ، إذ كان الله تعالى قد بعثه إلى الناس كافة ، ورحم به ، وأنقذ به ، وانتاش به ، فنعمه سابقة إليهم ، لايخرج منها مكافيء ولاغير مكافيء ، هذا والثناء عليه فرض لايتم الإسلام إلّا به ، وإنما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ، ولايدخل عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم ، فإذا كان المثنى عليه بهذه الصفة قبل ثناؤه وكان مكافئاً ماسلف من نعمة النبي ﷺ عنده ،وإحسانه إليه .

المنافقين الذين يقولون بألْسِنتهم ماليس في قلوبهم . وقال الأزهريُّ (١) : فيه قولٌ ثالث ، أي لايقبل الثَّناءَ إلَّا مِن مُقارِبٍ (٢) غيرِ مُجاوزٍ حَدَّ مثِله ، ولا مُقَصرٍ عمَّا رفعه الله إليه .

والمكافأة : المُجازاة على الشيءِ . يقال : كافأتُه أُكافِئه مُكافأةً . والتكافُؤ : التَّساوى(٣) .

---

(١) لم أجده في ترجمة (كفأ) من تهذيب اللغة .

(٢) في الغريبين : إلا من مكافىء : أي من مقارب في مدحه ، غير مجاوز به حدَّ مثله ، ولا مقصّر به عمّا وفقه الله تعالى إليه ، ألا تراه يقول : لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى عليه السلام ، ولكن قولوا : عبد الله ورسوله . فإذا قيل : هو نبي الله ورسوله فقد وصف بما لايجوز أن يوصف به أحدٌ من أمته ، فهو مدحٌ مكافىءٌ له .

(٣) بحاشية الأصل : بلغت القراءة بالأصل إلي هنا . والحمد لله وحده .

حَدِيْثٌ آخرُ فى صفَة النبىّ ﷺ

كان علىّ بن أبى طالب إذا نعت رسولَ الله ﷺ قال : لم يكن بالطَّويل المُمَّغِط ، ولا القصير المتردِّد ، كان رَبْعةً من القوم ، ولم يكن بالجَعْد القَطَط ولا السَّبِط ، كان جَعْداً رَجِلاً ، ولم يكن بالمُطَهَّم ولا المُكَلْثَمِ ، أبيضُ مُشْرَبٌ ، أَدْعَجُ العينين ، أَهْدَبُ [١] الأشفارِ ، جَلِيلُ المُشاش والكَتَدِ ، أَجْرَدُ ، شَثْنُ الكَفَّين والقدمين ، دَقِيقُ المَسْرُبة ، إذا مشَى تَقلَّع [٢] ، كأنما يمشى فى صَبَبٍ [٣] ، وإذا التفتَ التفتَ معاً [٤] ، بين كتفيه خاتَمُ النُّبُوَّة ، وهو خاتَمُ النَّبيِّين ، أَجْودُ الناسِ كَفّاً ، وأرحبُ الناسِ صَدْراً ، وأصدقُ الناسِ لهجةً ، وأوفَى الناس بِذمَّةٍ ، وأَلْيَنُهم عريكةً ، وأكرمهم عِشْرَةً . مَن رآه بَدِيهةً هابَه ، ومَن خالَطَه معرفةً أَحَبَّه . يقول ناعِتُه : لم أَرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه .

زادَ فى رواية أخرى : كان ضَخْمَ الرأسِ ، عظيمَ العينين ، كَثَّ اللِّحيةِ ، أزهَرَ اللَّوْن ، أبيضَ ، مُشْرَباً بياضُه حُمرةً ، أسودَ الحَدَقة ، لا قصيرٌ ولا طويلٌ ، وهو إلى الطُّولِ أَقْرَبُ ، ليس بالطويلِ البائن ، ولا الطويلِ المُتَثَنِّى ، ولا القصيرِ الفاحش ، شَعَرُه إلى شحمة أُذُنه ، عريضَ الجَبْهة ، مُفَلَّجَ الثَّنايا ، أَسيلَ الخَدِّ ، على شفته السُّفْلى خَالٌ ، كأنَّ

---

(١) بحاشية الأصل : هَدِب .

(٢) بحاشية الأصل : تكفأ .

(٣) بحاشية الأصل : « صعد » . وعلى هذه الرواية اقتصر المصنف في الشرح .

(٤) بحاشية الأصل : جميعاً .

عُنُقه إبريقُ فِضَّة ، بعيدَ مابين المنكِبَيْن ، كأنّ كفَّه مِن لِينها مَسُّ أرْنَب ، كأنّ عَرَقَه اللُّؤلُؤ ، وإذا جاءَ مع القوم غَمَرهم ، وإذا ضَحِك تبسَّم ، ليس بسَخَّابٍ فى الأسواق .

هذا مارُوِى فى صفته عن علىٍّ بن أبى طالب ، على اختلاف طُرُقه ، بإسقاط المتكرِّرِ منها فى الطُّرق .

ورُوِى فى صفته عن جماعة من الصحابة غير علىّ : أنه كان أَزْهَرَ اللون ، ليس بالأبيض الأَمْهَق ، شَبْحَ الذِّراعَيْن ، ضَرْبَ اللحمِ بين الرَّجُلَيْن ، كانت فى عينه شُكْلَةٌ ، أسْجَرَ العينين ، فى خاصِرَتَيْه انفِتاق ، مُفاضَ البَطْن ، وافِرَ السَّبَلَة ، أخضرَ الشَّمَط ، أبيضَ مُقَصَّداً[1] ، لم يكن بعُطْبُولٍ ولا بقصير ، أفْلَجَ الأسنان ، أشْنَبَها ، سَهْلَ الخَدَّين ، صَلْتَهما ، فَعْمَ الأوصال ، أكْثَرُ شَيْبِه فى فَوْدَىْ رأسه ، كان إذا رَضِىَ وسُرَّ كأنَّ وجْهَه المِرآة ، وكأنَّ الجُدُرَ تُلاحِكُ وَجْهَه ، وكان فيه شيءٌ مِن صَوَرٍ ، يَبُذُّ القومَ إذا سارَعَ إلى خَيرٍ ، أو مشى إليه ، ويسوقُهم إذا لم يُسارع إلى شىء ، بمَشْيِه الهُوَيْنا ، وكان من أَزْمَتِهم فى المجلس .

* * *

أخرج أبو عبيد[2] طَرَفاً من أول حديث علىٍّ ، بإسناده عن

---

(١) بحاشية الأصل : معضداً .

(٢) غريب الحديث ٣ / ٢٣ ـــ ٢٨ ،وأخرج أبو عبيد أيضاً جزءاً من صفة النبي ﷺ في ١ / ١٢١ . وانظر غريب الحديث للخطابي ٥٩٧/١ .

إبراهيم بن محمد بن الحنفية ، عن عليٍّ ، وأخرج الزمخشريّ[1] أكثره ، بغير إسنادٍ على عادته ، وأخرج طُرُقَه كلَّها جماعةٌ من الأئمة الحُفَّاظ ، فَجَمعْنا بينَ ألفاظِهم ، وأسقَطْنا المتداخِلَ منها .

شرحه

كثير من ألفاظ هذا الحديث قد تقدَّم شرحُها فى الحديث الذى قبلَه ، فلا حاجةَ إلى إعادتها ، وإنما نشرح هاهنا ماعدا تلك الألفاظ ، مما انفرد بها هذا الحديث ، وهى :

النَّعْت : الصِّفة ، يُقال : نَعَت الشيءَ وانْتَعَته ، فهو ناعِتٌ : إذا وصَفه .

والمُمَّغِط ، بتشديد الميم الثانية : الشديدُ الطُّول ، وأصلُه : مُنْمَغِط ، فأُدغمت النون فى الميم ، يقال : مَغَطتُ الحبلَ ، وكلَّ شيء ليِّن : إذا مَدَدْتَه ، فامَّغَطَ ، ومنه امّغط النهارُ : إذا امتدَّ . ويروى بالعين المهملة ، وهو بمعناه ، وفَسَّره الأصمعىّ فقال : المُمَغَّط ـــ يعنى

---

(١) الفائق ٣ / ٣٧٦ ـــ ٣٧٨ ، وانظر أيضاً : صحيح البخاري (باب الجعد . من كتاب اللباس) ٧ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ومسند أحمد ١ / ٩٦ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ، ١٥١ (مسند على بن أبى طالب) و ٢ / ٣٢٨ ، ٤٤٨ (مسند أبى هريرة) ، وعارضة الأحوذي بشرح الترمذي (باب ماجاء في صفة النبي ﷺ من كتاب المناقب) ١٣ / ١١٦ ، ١١٧ والشمائل للترمذي بشرح ملا على القارى ١ / ٢٤ ـــ ٣٤ ، وجامع الأصول ١١ / ٢٢٤ ـــ ٢٢٨ ، وطبقات ابن سعد ١ / ٤١٠ ـــ ٤١٣ ، والروض الأنف ١ / ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، والاكتفا ١ / ٣٨٢ ، والرصف لما روي عن النبي ﷺ من الفعل والوصف ١ / ٦٧ ، ٦٨ ، والخصائص الكبرى للسيوطي ١ / ١٨١ ـــ ١٨٨ .

بتشديد الغين – الذاهب طُولاً . قال : وسمعت أعرابيّاً يقول فى كلامه : فَمغَّط فى نُشَّابته ، أى مَدَّها مَدّاً شديداً .

والمُتردِّد : الذى تردَّدَ بعضُ خَلْقه على بعضٍ ، فاجتمع بدَنُه وتداخَلَ قِصَراً .

والجَعْدُ فى صِفات الرِّجال يكون مدحاً وذَمّاً ، فإذا كان مدحاً فمعناه أن يكونَ شديدَ الأَسْر والخَلْق ، أو يكون جَعْدَ الشعَر ؛ لأنّ الجُعُودةَ تَغلِبُ على شُعورِ العَرب ، والسُّبُوطة ، وهى ضِدُّ الجُعُودة ، أكثرُها فى شُعور العَجَم .

وإذا كان الجَعْدُ ذَمّاً فهو القصير المتردِّدُ الخَلْق ، وقد يُطلَق على البخيل ، فيقال : هو جَعْدُ اليدين ، والمرادُ به فى هذا الحديث الشَّعَرُ ، ولذلك أُتْبَعه بالقَطَط ، وهو المتناهى الجُعُودة ، كشَعَر الزُّنُوج .

والسَّبَط : الذى لا جُعُودةَ فيه أصلاً ، وتفتح [١]باؤه وتُسكَّن ، ولذلك أتْبَعه فقال : « كان جَعْداً رَجِلاً » أى وسطاً بين الطَّرَفين .

والمُطَهَّم : المنتفخ الوَجْهِ ، وقيل : الفاحشُ السِّمَن ، وقيل : النَّحيفُ الجسمِ . وقيل : الطُّهْمة فى اللون : أن تَتجاوزَ سُمرتُه إلى السَّواد ، ووجْهٌ مُطَهَّمٌ : إذا كان كذلك [٢] .

---

(١)فى الحديث السابق : وتكسر .

(٢) قال الهروي في الغريبين (طهم) : « قال أحمد بن يحيى [وهو ثعلب] : اختلف الناس في تفسير هذا الحرف ، فقالت طائفة : هو الذي كل عضو منه حسن على حدته ، وقالت طائفة : المطهم : الفاحش السمن . وقيل : هو المنتفخ الوجه ،ومنه قول الشاعر :

ووجهٌ فيه تطهيمُ

أي انتفاخ وجهامة ،وقالت طائفة : هو النحيف الجسم ، قال أبو سعيد : الطهمة والطخمة في اللون : تجاوز السمرة إلى السواد ، ووجه مطهم : إذا كان كذلك » .

والمُكَلْثَم : المستديرُ الوجه ، ولا يكون إلاّ مع كثرة اللحم (١) ، وقيل : هو القصير الحَنَك ، الدانى الجَبْهة مع الاستدارة .

والمُشْرَب من الألوان : الذى خالَطَ بياضَه حُمرةٌ ، كأنه أُسْقِيها فشربها ، وقد يُشَدَّد للتكثير .

والأَدْعَج : الشَّديدُ سوادِ العين ، مع سَعَتها .

والأَهْدَب : الطَّويلُ شَعَر الأجفان ، والهَدِبُ بمعناه ، كما يقال : أَمْعَرُ(٢) ومَعِرٌ ، وأَزْعَرُ وزَعِرٌ .

والمُشاشُ : رُؤُوسُ العِظام ، كالمَنْكِبين والمِرْفَقين والرُّكبتين ، واحدُها : مُشاشة ، وقال الجوهرى(٣) : المُشاشُ : رُؤُوس العِظام اللَّيِّنة التى يمكن مَضْغُها .

والمُرادُ الأول . يريد أنه كان عظيمَ رُؤُوسِ العِظام ، غليظَها ، وهو دليلُ القُوّة والشدّة .

والكَتَدُ ، بفتح التاء وكسرها : مابين الأكتاف إلى الظَّهر .

والصَّعَد : مِثْلُ الصَّبَب . هكذا شرحه أبو موسى ، والمعروفُ فى الصَّعَد أنه خِلاف الصَّبَب ، ووَجْهُه إن صَحَّت الرواية أنه كأنما يمشى مُنْحَدِراً فى موضعٍ فيه صُعودٌ وارتفاع .

والأصل فى « مَعاً » : مَعَ ، وهى كلمةٌ تدلُّ على المصاحبة ، تقول : جاء زيدٌ مع عمرو ، وهو ظرف مكان ، لوقوعه خبراً عن

---

(١) بعد هذا في الفائق : أراد أنه كان أسيلا مسنون الخدين .

(٢) وهو القليل الشعر ، والأزعر مثله .

(٣) في الصحاح (مشش) .

الجُثَّة ، والألف التى تلحَقُها فى قولك : « مَعاً » هى بمنزلتها فى قولك : صَبَبْتُ دَماً ، وقيل : بمنزلتها فى قَفاً ، على أنه اسمٌ مقصورٌ ، والأول أكثر تقول : جاء القومُ مَعاً ، أى مجتمعين .

والجُودُ : العطاء .

والرُّحْب : السَّعَة ، وإنما خَصَّ الجُودَ بالكفِّ ، والسَّعَةَ بالصَّدْر ، لأن العطاءَ باليد ، والحِلْمَ والاحتمالَ بالقَلْب الذى محلُّه الصَّدرُ .

واللَّهْجةُ : اللِّسان ، ويُعَبَّر به عن القول والكلام .

والذِّمَّةُ : العَهْدُ والأمان .

والعَرِيكةُ : الخَلِيقة والسَّجِيَّة ، يقال : فلانٌ ليِّنُ العريكة : إذا كان سَلِساً مُنْقاداً .

والعِشْرةُ : الصُّحْبة .

والبَدِيهةُ : المُفاجأة .

والهَيْبة : الخَوْفُ والاحترام .

والطَّويل البائن : الخارجُ عن الاعتدال ، وكأنه من البَيْن : البُعْد .

والمُتَثنِّى : المُنْعَطِف لشِدَّة طولِه .

وأَسِيلُ الخَدِّ : هو القليلُ اللَّحمِ ، من غير نُتُوٍّ .

والخالُ : الشامَةُ .

وغَمَرهُم : أى عَلا عليهم ، واشْتَهَر مِن بينهم .

والأَمْهَقُ : اللَّونُ الذى لا يُخالطه شىءٌ من الحُمرة ، وليس بَنيِّرٍ كلون الجِصِّ .

والشَّبْحُ : العَرِيضُ ، يقال : رجُلٌ شَبْحُ الذِّراعين ومَشْبُوحُهُما ، وقد شَبُحَ ، بالضَّمِّ .

والضَّرْبُ : الخَفيف اللَّحم ، بين السَّمين والنَّحيف .

والشُّكْلَة : أن يُخالطَ بياضَ العين حُمرةٌ يسيرة .

والشُّهْلَة : حُمرةٌ فى سوادِها .

والسُّجرةُ : مِثل الشُّكْلة ، أو قريبٌ منها ، وعَينٌ سَجْراءُ : بَيِّنةُ السَّجَر .

والانْفِتاق : الاسترخاء ، أى لم يكن منتفخَ الخاصِرتين .

والمُفاضُ : أن يكونَ فيه امتلاءٌ ، وهو عند العَرَب من علامات السُّؤْدَد ، وقد وُصِف فى الحديث الآخَر أنه خَميصُ البَطن ، ووَجْه الجمع بينَهما ، أن يكون ضامِرَ أعلى البطنِ ، مُفاضَ أسْفَلِه ، وكذلك قد وُصِف فى حديثٍ بالسُّمْرة ، وفى هذا بالبياض المُشْرَب ، ووَجْه الجمع بينهما ، أن تكون السُّمرة فيما يظهرُ للشمس من بدَنه ، والبياضُ فيما تُواريه الثِّياب [١] .

والسَّبَلَة ، بالتحريك : مُقدَّم اللِّحية ، وما انحدَر منها على الصَّدر ، وقيل : هى الشَّعَراتُ التى تحت اللَّحْى الأسفل . وقال الجوهرىّ [٢] : السَّبَلَة : الشارِبُ ، والجمع : السِّبالُ .

والشَّمَطُ : الشَّيْبُ ، واخضِرارُه : من الطِّيب والدُّهْن المُرَوَّح [٣] .

---

(١) هذا كله من كلام الزمخشري في الفائق .

(٢) في الصحاح (سبل) .

(٣) المروح : أي المطيب بالمسك ، كأنه جعل له رائحة تفوح ، بعد أن لم تكن له رائحة .

ومنه الحديث الآخر : « أنه كان قد شَمِطَ مُقَدَّم رأسِه ولِحْيته ، فإذا ادَّهَن وامْتَشَط لم يَتبيَّن ، وإذا شَعِثَ شَعَرُه تَبيَّن وظَهَر » .

والمُقَصَّد : المُعْتدِلُ الخَلْق ، الذى ليس بجَسيمٍ ولا طَويلٍ ولا قصير ، كأنّ خَلْقَه نُحِيَ به القَصْدُ من الأمور ، وهو العَدْل الذى لا يميلُ إلى أحد طَرَفى التفريط والإفراط .

والمُعَضَّد : المُوَثَّق الخَلْقِ ، وكأنه من المُعاضَدة : المُعاوَنة والمساعدة .

والعُطْبُول : الطَّويل .

والصَّلْتُ : الأملَس النَّقىّ .

والفَعْمُ : المُمْتَلِىءُ ، وقد فَعُم ، بالضمّ ، فَعامَةً وفُعُومةً .

والأوصال : الأعضاء ، واحدها : وَصَلٌ ، بالتحريك [١] .

وفَوْدا الرأسِ : جانِباه ، والفَوْدُ أيضاً : مُعْظَم شَعَر الرأسِ .

والمُلاحَكَةُ : شِدَّة المُلاءَمة والالتِحام ، يقال : لا حَكْتُ البُنيانَ : إذا ألحَمْتَ أجزاءَه ، وأدخلْتَ بعضَها فى بعض ، والمعنى أن حِيطانَ البيت تُرَى فى وَجْهه ، لوضاءته ونُورِهِ كما تُرى فى المِرآة .

والصَّوَرُ ، بالتحريك : المَيْلُ . قال الخَطّابىّ [٢]: يُشبه أن تكون هذه الحالُ فى مَشْيه إذا جَدَّ به السَّيرُ واستَعْجل .

والبَذُّ : السَّبْق ، يقال : بَذَّهم يَبُذُّهم بَذّاً .

---

(١) هكذا يقيده المصنف بالتحريك ،ولم يضبطه في النهاية . والذي في اللسان والقاموس ، بضم الواو وكسرها ، كعُضو وشِلْو .

(٢) غريب الحديث ٥٩٩/١ .

والهُوَيْنا : التَّأنِّى فى المَشْى ، واللِّينُ . يريد أنه كان يسبق أصحابَه عند الإسراع إلىٰ الخير ، ويتأخَّر عن أصحابه إذا لم يُسرِع .

والزَّمْت : الثَّبات والوَقار والرَّزانة ، يقال : رجلٌ زَمِيتٌ وزِمِّيتٌ ، بالكسر والتشديد للمبالغة ، وفُلانٌ أَزْمَتُ القومِ : أى أَوْقَرُهم .

حَدِيثُ كتَابِ قُرَيش وَ الأنصَار

كتب رسولُ الله ﷺ بين قريشٍ والأنصار كتاباً ، وفى الكتاب أنهم أمّةٌ واحدة دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِباعَتهم ، يَتعاقَلُون بينَهم مَعاقِلَهم الأولى ، ويَفكُّون عانِيَهم بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين ، وأنّ المؤمنين لايتركون مُفْرَحاً منهم أن يُعِينوه بالمعروف ، فى فِداءٍ أو عَقْلٍ ، وأنَّ المؤمنين المتَّقين ، أيديهم على مَن بَغَى عليهم ، أو ابتَغَى دَسِيعةَ ظُلْم ، وأنَّ سِلْمَ المؤمنين واحدٌ ، لايُسالِمُ مؤمنٌ دون مؤمن ، فى قتالٍ فى سبيل الله ، إلاّ على سواءٍ وعَدْلٍ بينَهم ، وأنّ كلَّ غازيةٍ غزَتْ يُعْقِب بعضُهمْ بعضاً ، وأنّه لا يُجيرُ مُشرِكٌ مالاً لقُريش ، ولا يُعينها على مُؤْمِن ، وأنّه من اعْتَبط مُؤْمناً قَتلاً ، فإنه قَوَدٌ ، إلاّ أن يرضَى ولىُّ المقتول بالعَقْل ، وأنّ اليهودَ يتَّفقون مع المؤمنين ما داموا مُحاربين ، وأنّ يهودَ بنى عَوْفٍ ؛ أنفُسَهم وَمواليَهم أُمَّةٌ من المؤمنين ، لليهود دِينُهم وللمؤمنين دِيُنهم ، إلاّ مَن ظَلَم وأَثِمَ ، فإنه لا يُوتِغُ إلا نفسَه وأَهْلَ بيته ، وأنّ يهودَ الأوس ومواليَهم وأنفُسَهم مع البَرِّ المحسِن من أهل هذه الصَّحيفة ، وأن البرَّ دون الإثم ، وأنّ الله علىَ أصْدَقِ ما فى هذه الصَّحيفة وأبَرِّه ، لاَ يَحولُ الكتابُ دون ظُلْمِ ظالِمٍ ، ولا إِثْمِ آثِم ، وأنه مَن خَرَج أَمِنَ ، ومَن قَعَد أَمِنَ ، إلاّ مَن ظَلَم وأَثِم ، وأَنّ أولاهم بهذه الصَّحيفة البَرُّ المحسِنُ .

* * *

أخرجه القُتيبىُّ[١] عن أحمد بن سعيد اللِّحيانىّ ، صاحب أبى عبيدٍ ، عنه بإسناده ، عن ابن شِهاب .

---

(١) لم أجده في كتابه غريب الحديث المطبوع في بغداد .

والكتابُ فى نفسِه أطولُ من هذا ، فاختصره لأجل الغريب . وقد أخرجه محمد بن إسحاق بنُ يَسار ، فى كتاب المغازى ، وعبدُ الملك بن هشام ، فى كتاب السِّيرة [١] تامّاً بطُولِه .

شرحه

الأُمَّةُ : الجماعة الكثيرة من الناس ، وجَعْلُه إيَّاهم أُمَّةً واحدةً يريد به اتفاقَهم على دِينٍ واحد ، ومِلَّةٍ واحدة ، دونَ غيرهم من الناس .

ورِباعةُ الرَّجُل : شأنُه وحالُه التى هو رابعٌ عليها ، أى ثابتٌ مقيمٌ ، وقيل : لا تكون [٢] الرِّباعةُ فى غير حُسنِ الحال ، يقال : مافى بنى فُلانٍ مَن يضبط رِباعَتَه غيرُ فُلان ، يريد أنَّهم على أمرِهم الذى كانوا عليه . يقال : القَومُ [٣] على رِباعَتِهم ورَبَعاتِهم ، بفتح الباء وقد تُكْسَر : أى على استقامتهم وأَمْرِهم الأوَل .

والتَّعاقُلُ : تَفاعُلٌ مِن العَقْل ، وهو الدِّيَةُ ، أى يكونون على ماكانوا عليه مِن أَخْذ الدِّيات وإعطائها . والمَعاقِل : الدِّياتُ ، جمع مَعْقُلَة ، وإنما سُمِّيت الدِّيةُ عَقْلاً ، لأنهم كانوا يسوقُون الإبَلَ إلى وَلِىّ دمِ القَتيل ، ثم

---

(١) السيرة النبوية ١ / ٥٠١ ، وشرحها الروض الأنف ٢ / ١٦ ، ١٧ ، وانظر أيضاً : الأموال لأبي عبيد ص ١٨٤ ـــ وأخرج أبو عبيد أيضاً طرفاً من هذا الحديث في كتابه غريب الحديث ، سأذكره في موضعه من الشرح إن شاء الله ـــ والفائق ٢ / ٢٥ ، ٢٦ ، وعيون الأثر ١ / ١٩٧ـــ ١٩٩ ،والسيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٣٢٠ ـــ ٣٢٣ . وانظر أيضا : مسند أحمد ١ / ٢٧١ (مسند ابن عباس) ، ٢ / ٢٠٤ (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص) .

(٢) هذا كلام يعقوب بن السكيت ، كما صرح الزمخشري في الفائق .

(٣) وهذا من كلام الفراء ، كما صرح الهروي في الغريبين (ربع) .

يَعْقِلونها فى فِنائه بالعُقُل [١] ؛ لئلاَّ تَهْرُبَ حتى يقبضَها ، يقال : عَقَلْتُ البعيرَ : إذا شَدَدْتَه بالعِقال .

وفَكُّ الأسيرِ : إطلاقُه .

والعانى : الأسيرُ ، وقد عَنَا يَعْنُو ، وعَنِيَ يَعْنَى ، فهو عانٍ .

والمعروف : ضِدُّ المنكَر ، ويريد به الإحسانَ والبِرَّ واللُّطْفَ .

والقِسْطُ : العَدْلُ . وقد أقْسَطَ يُقْسِطُ : إذا عَدَل ، وقَسَطَ يَقْسِط [٢] : إذا جارَ . والمعنى أنهم يُطلِقُون الأسيرَ غيرَ مُشْتَطِّين فى ذلك ، ولا جائرين ولا مُتعدِّين .

والمُفْرَح ، بالحاء المهملة : المُثقَلُ بالغُرْم والدَّيْن . يقال : أفْرَحه الأمْرُ يُفْرِحُه [٣] : إذا أثْقَلَه .

وقوله : أن يُعينوه : بدلٌ منه ، أى لا يتركون إعانتَه بالمعروف من الفِداء والعَقْل .

والفِداء : ما يُفْتَكُّ به الأسيرُ من مالٍ أو أسيرٍ مثلِه .

ويروى : «مُفْرَجاً» بالجيم ، وهو القتيل [٤] يُوجَدُ بأرضٍ فَلاةٍ ، ولايكون قريباً من قريةٍ ، فإنَّه يُودَى من بيت المال ، ولا يُبطَل[٥] دمُه .

---

(١) بضم العين والقاف ، مثل كتاب وكتب . نص عليه في المصباح .

(٢) راجع الأضداد لابن الأنباري ص ٥٨ .

(٣) هذا شرح الأصمعي ، كما حكى أبو عبيد في غريب الحديث ١ / ٣١ ، وانظر مجالس ثعلب ص ١٧٨ ، ١٩٢ ، وهذا الحرف من الأضداد ، فالمفرح : المسرور ، والمفرح : المثقل بالدين ، راجع الأضداد السابق ص ١٩٧ ،وتهذيب اللغة ٥ / ٢٠ .

(٤) هذا من كلام محمد بن الحسن الشيباني ، وحكاه عنه أبو عبيد في غريب الحديث ، الموضع السابق .

(٥) هكذا في الأصل ومثله في غريب أبي عبيد ،والذي في الغريبين والنهاية (فرج) : « يُطَلُّ » .

وقيل : هو الرجلُ [١] يكون فى القوم من غيرهم ، فيلزمهم أن يَعْقِلُوا عنه .

وقيل : هو أن يُسلمَ[٢] الرجلُ ولا يُوالى أحداً ، حتى إذا جَنَى جِنايةً كانت على بيت المال ، لأنه لا عاقِلَةَ له . والمُفْرَج أيضاً : الذى[٣] لا عشيرةَ له .

والبَغْىُ : الظُّلْم والعُدْوانُ والجَوْر .

والابتغاء : الطَّلَب .

والدَّسِيعةُ : من الدَّسْع ، وهو الدَّفْع ، أراد دَفْعاً على سبيل الظُّلْم ، فأضافه إليه ، وهى إضافةٌ بمعنى «مِنْ» .

وقيل : أراد بالدَّسِيعة : العَطِيَّة ، يقال : فلانٌ ضَخْمُ الدَّسِيعة ، أى عظيمُ العطاء ، واسعُ الخُلُق . يريد : أو ابتَغَى منهم أن يدفعوا إليه عطيَّةً على وَجْه ظُلْمهم ، أى كونهم مظلومين ، أو أضافها إلى ظُلْمه لهم ، لأنه سَبَبُ دَفْعِهم لها[٤] .

والسِّلْم : الصُّلْح وضِدُّ الحرب . أى لا يجوز الصُّلْحُ لواحدٍ من المؤمنين دونَ الباقين ، وإنما يُصالحون عَدُوَّهم ، ويُسالِمونهم بالاجتماع ، والاتِّفاقِ عليه .

والسَّواء : التَّساوِى فى الشيء ، والاشتراكُ فيه ، أى يكونون فى السِّلْم مُتساوِين مُتعادِلين .

---

(١) هذا تفسير جابر ، كما في الغريبين .

(٢) وهذا تأويل أبي عبيدة ، حكاه عنه أبو عبيد .

(٣) وهذا شرح ابن الأعرابي ، كما في الغريبين أيضاً .

(٤) كل هذا كلام الزمخشري في الفائق .

والغازِيَة : تأنيث الغازى ، والغَزْو : الجِهاد وقَصْدُ العدوّ . وجَعل الغازِيَةَ صفةً للجماعة[1] ، فلذلك أنَّثها ، ولمّا قال : « يُعَقِّبُ بعضُهم بعضاً » رَدَّه إلى المعنى ، فقال : « بعضهم » بالميم .

والتَّعقيب والإعقاب : مِن عَقَّبْتُ الغُزاةَ ، وأعْقَبتُهم : إذا جعلتَ الغزوَ بينهم نُوَباً متعاقبةً ، قوماً بعدَ قوم . والمعنى أنَّ على الغُزاةِ أن يَتناوَبُوا ، وتخْرُجَ كلُّ طائفةِ منهم إلى الغَزْو ، بعد أن تقضىَ الطائفةُ الأولى نَوْبَتها ، وتخرجَ عَقِيبَ فراغ الأولى ، ولا يُكلَّف من يعمل نَوْبته الخروجَ إلى الغَزْو ، إلى أن تعود نَوْبَتُه .

والاعْتِباط : النَّحْرُ لغير عِلَّة ، يقال : عَبَطْتُ الناقةَ واعْتَبَطْتُها : إذا نحرتَها وهى صحيحةٌ لا مرضَ بها ولا آفةَ ، وكذلك إذا ماتتْ من غير عِلَّة . هذا هو الأصلُ ، ثم استُعملَ فى الناس ، وأراد به هاهنا القَتْلَ بغير جِناية ولا حَقٍّ .

وقَتْلاً : منصوبٌ على المصدر ، من غير لفظ الفِعل قبلَه ؛ لأنّ اعتبطَ بمعنى قَتَل .

والقَوَدُ : القِصاص ، وقد أقَدْتُ وَلِىَّ الدَّم من قاتل وَلِيّه : إذا مَكَّنتَه مِن قتله ، وأقادَه السُّلطانُ إقادةً .

والقَوَدُ : الاسم ، وضعه موضعَ المفعول ، أى فهو مُقادٌ به ، أو على حذف المضاف ، أى ذو قَوَدٍ . يريد أنه مَن قتل مؤمناً بغير جُرْمٍ ولا جِناية فإنه يُقتَل به ، إلا أن يرضى أولياءُ المقتول بالدِّية ، فإنه لا يُقْتَل .

---

(١) في الفائق : للخيل .

وقولُه : « وإن يَهُودَ بنى عَوْفٍ أُمَّةٌ من المؤمنين » يريد أنهم بالصُّلح الذى وقع بينهم وبين المؤمنين ، فصارت أيديهم وأيدى مَواليهم مع المؤمنين واحدةً على عَدُوٍّ المؤمنين ، كأُمَّة من المؤمنين ، إلا أنّ لهؤلاء دينَهم ولهؤلاء دينَهم ، إلا مَن ظَلم وأثِم بنقض العَهْد والنَّكْث .

فإنه لا يُوتِغُ إلا نفسَه ، أى لايُهلك إلا نفسَه ، وأهلَ بيته . يقال : وَتِغَ[1] يَوْتَغ وتَغاً : أى هَلَك ، وأوتَغَه الله : أى أهلكه ، وأوتَغَ فُلانٌ دِينَه بالإِثم .

والبَرُّ ، بفتح الباء : واحد الأبرار ، يقال : بَرَّ يَبَرُّ بِرّاً ، فهو بَرٌّ ، والبَرُّ ، مِن أسماء الله تعالى : العَطُوفُ على عِباده بلُطْفِه وإحسانه .

والبِرُّ بالكسر : ضِدُّ العُقُوق ، ورجلٌ بارٌّ بأبيه ، وبالجملة فالبِرُّ : اسمٌ جامعٌ للإحسان والرِّفقِ والعَطْف .

وقوله : وأنَّ البِرَّ دُونَ الإثم ، أى أن الوفاءَ بالعَهْد الذى معه السُّكُون والطمأنينة أهْوَنُ من النَّكْث والغَدْر ، المؤدِّى إلى الحرب والخِلاف ، لأن الوفاءَ بذلك كَفٌّ وإمساكٌ وتعاوُنٌ . والغَدْر والنَّكْث خروجٌ من جماعة الناس ومخالفةٌ لهم ، فالإثم أشقُّ على صاحبه من البِرّ .

فلا يكسِبُ كاسِبٌ إلا على نفسه : أى لا يجنى جانٍ إلاَّ على نفسه ، ولا يجُرُّ ذلك مَن نكَث وغَدَر إلاّ على نفسه .

وقوله : لا يَحُولُ الكتابُ دونَ ظُلْم ظالِمٍ ، ولا إثمِ آثِمٍ ، أى أن

---

(١) بكسر التاء في الماضي وفتحها في المضارع ،والفعل من باب وَجِل ، كما في القاموس .

هذا الكتابَ الذى كُتب بينَهم ، فى التَّعاون والتُّناصُح ، لا يحولُ دونَ أحدٍ منهم إن هو ظَلَم أو أَثِم واعتدَى بمخالفة مافيه ، وزَعم أنه داخِلٌ فى جُملة أهل الكتاب ، لم يمنعه كونُه منهم أن يؤخذَ بجِنايته ، بل يُؤخَذُ بما جَنَى .

وقوله : وإنَّ أوْلاهُم ، يعنى قريشاً والأنصار ، أن يعملوا بما فى هذه الصحيفة ـــ وهى الكتاب ـــ البَرُّ المحسنُ منهم .

وفى كتاب ابن قتيبة [1] : « وأنه مَن خَرَجَ ـــ أو جَرِجَ ـــ آمِنٌ ، ومَن قعد آمِنٌ » . هكذا بالشَّكِّ فى « خَرَجَ أو جَرِجَ » فإن صَحَّت الروايةُ بالجيمين ، فالجَرَجُ بالتحريك : الاضطرابُ والقَلَقُ . يقال : جَرِجَ يَجْرَجُ جَرَجاً . والله أعلم .

---

(١) ذكرت في تخريج الحديث أني لم أجده في غريب الحديث المطبوع لابن قتيبة .

حَديث لقِيْطِ بن عَامِر العُقَيْلى
وافِد بنى المُنْتَفِق

خرج وافِداً إلى النبىّ ﷺ ، وذكر حديثاً طويلاً ، إلى أن ذكر الصَّيحةَ والساعةَ ، ثم قال : فلَعَمْرُ إلهك ، ماتَدَعُ على ظهرها مِن شىءٍ إلاَّ مات ، والملائكة الذين مع ربِّك ، فأصبح يطوفُ فى الأرض ، وخَلَتْ عليه [١] البلادُ ، فأرسل السماءَ بهَضْبٍ مِن عند العَرْش ، فلَعَمْرُ إلهك مايدع على ظهرها من مَصْرَع قَتيلٍ ، ولا مَدْفِن مَيِّتٍ إلاّ شُقَّت الأرضُ عنه حتى يَخْلُقَه مِن قِبَل رأسِه .

وسأله لَقِيطٌ فقال : كيف يَجمعُنا بعدما مزَّقَتْنا الرِّياحُ والبِلَى والسِّباعُ ؟ .

قال : أُنبِّئُكَ بمثل ذلك فى إِلِّ الله . الأرضُ أشرفْتَ عليها مَدَرَةً باليةً فقلتَ : لا تحيا أبداً ، ثم أرسل ربُّكَ عليها السماءَ ، فلم تلبث عليك إلا أَيَّاماً ، ثم أشرفتَ عليها ، وهى شَرْبَةٌ واحدة ، فلَعَمْرُ إلهِك ، لَهُو أقْدَرُ على أن يجمعكم من الماء ، على أن يجمع نباتَ الأرض ، فتخرجون من الأَصْواء ، فتنظرون إليه ساعةً ، وينظرُ إليكم .

قال : يارسول الله ، فما يَفعلُ بنا إذا لَقِيناه ؟

قال : تُعْرضُون عليه بادياً له صَفَحاتُكُم ، لا تخفى عليه منكم خافية ، فيأخذُ ربُّك بيده غُرفةً من الماء ، فَيَنْضِحُ عليكم ، فأمَّا المسلمُ فتَدَعُ وجهَه مثلَ الرَّيطة البيضاء ، وأما الكافرُ فَتَخطِمه بمثلِ الحُمَم

---

(١) بحاشية الأصل : له .

الأسود ، أَلاَ ثُم ينصرِفُ مِن عندكم ، ويفترق على أثَره الصالحون ، ألا فيَسْلُكون جِسراً من النار ، يَطَأُ أحدُكم الجمرةَ فيقول : حَسٍّ ، فيقولُ ربُّك : وإنَّهْ . أَلاَ فتطَّلِعون على حَوض الرسول ، لا يَظْمأُ واللهِ ناهِلُه ، فلَعَمْرُ إلهِك[١] مايَبْسُط أحدٌ منكم يدَه إلاّ وقع عليها قَدَحٌ مُطَهَّرةٌ مِن الطَّوْف والأذَى ، وتُحْبَس الشَّمسُ والقمرُ ، فلا ترون منهما واحداً .

قال : فبِما نُبْصِرُ ؟ قال : بمثل بَصَر ساعَتِك هذه .

قال : يا رسولَ الله ، فعلى ما نَطَّلِعُ من الجنَّة ؟

قال : على أنهارٍ من عَسَلٍ مُصَفّىً ، وأنهارٍ من كأسٍ ، ما بها صُداعٌ ولا نَدامة .

ثمّ بايَعَه على أن يَحُلَّ حيث شاء ، ولا يَجُرَّ عليه إلا نفسَه .

* * *

أخرجه ابنُ قتيبة [٢] ، وقال : يرويه إبراهيم بن المُنْذِر ، عن عبد الرحمن بن المُغيرة ، بإسناده ، عن عاصم بن لَقِيط . قال : وذكَرَ [٣] حديثاً فيه طولٌ اختصرتُه ، واقتصرتُ منه على مايُفَسَّر . كذا قال ابن قتيبة .

---

(١) بحاشية الأصل : الله .

(٢) غريب الحديث ١ / ٥٣٠ — ٥٤١ .

(٣) عبارة ابن قتيبة في غريب الحديث : وذكر ذلك عنه في حديث فيه طول .

وأخرجه الزمخشريُّ [١] نَحْوَه . والحديث بطُوله حديثٌ معروف مشهورٌ ، مُخرَّج فى مسانيد العلماء والحُفَّاظ .

شرحه

لَقِيطٌ : هو أبو رَزِين [٢] لقيط بن عامر بن صَبِرة [٣] بن عبد الله بن المُنْتَفِق بن عامر بن عُقَيل [٤] العُقَيْلىّ بن كَعْب ، من بنى بكر بن هَوازِن .

---

(١) الفائق ٤ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، وانظر أيضاً : مسند أحمد بن حنبل ٤ / ١٣ ، ١٤ (حديث أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر بن المنتفق) . والعقد الفريد ٢ / ٣٨ — ٤٢ ،والاستيعاب ٣ / ١٣٤٠ ، وأسد الغابة ٤ / ٥٢٣ — ٥٢٥ ، والإصابة ٦ / ٧ ، ٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٤ / ١٥٦ — ١٦٠ ، وزاد المعاد ٣ / ٦٣ — ٧٠ ، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٤ / ٦٥ — ٦٧ .

قال ابن القيم في زاد المعاد : « هذا حديث كبير جليل ، تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة ..

ورواه أئمة أهل السنة في كتبهم ، وتلقوه بالقبول ، وقابلوه بالتسليم والانقياد ، ولم يطعن أحد منهم فيه ، ولا في أحد من رواته » .

ثم ذكر ابن القيم الأئمة الذين رووا هذا الحديث .

وقال ابن كثير في السيرة النبوية : هذا حديث غريب جداً ، وألفاظه فى بعضها نكارة ، وقد أخرجه الحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور ، وعبد الحق الإشبيلي في العاقبة ، والقرطبي في كتاب التذكرة في أحوال الآخرة .

(٢) بفتح الراء وكسر الزاى ، كما ضبطه الزرقانى .

(٣) بفتح الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة ، كما قيده الزرقاني .

(٤) بضم العين ، كما قيده الزرقاني . وانظر جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٢٩٠ ،

واللَّقِيط : الطِّفْل الذى ترميه أُمُّه على الأرض فيُلْتَقَط ، أى يُؤخَذ ، فَعِيل بمعنى مفعول .

والصَّبِرة : واحدة الصَّبِر ، وهو هذا الدَّواءُ المُرُّ .

والمُنْتَفِق : مِن [١] انتَفَق اليَرْبُوعُ : إذا خرج من نافِقائه ، وهو أحَدُ جِحَرَته .

والوافِد : القادِمُ على الشَّخْص ، وقد تقدَّم مَبْسوطاً فى أول الكتاب [٢] .

والصَّيحةُ : يريد بها صَيْحةَ إسرافيلَ عليه السلام ، ونَفْخَه فى الصُّور ، النَّفْخةَ الأولى للموت ، والثانيةَ للإحياء عند قيام الساعة ، وهى القيامة ، وإنما سُمِّيت القيامةُ بالساعة ، وهى الوقتُ ، لكونها تقع بَغْتةً ، أو لأنها عندَ الله تعالى مع طُولها كساعةٍ من الساعات عند الخَلْق .

والعَمْرُ ، بفتح العين : هو العُمْر بالضمّ ، إلا أنه لا يُستَعْمل فى القَسَم إلا المفتوح ، تقول : لَعَمْرُ الله ، فاللام لتوكيد الابتداء ، والخبر محذوفٌ ، تقديره : لَعَمْرُ الله قَسَمى ، ولَعَمْرُ الله ما أُقْسِم به ، فإن لم تأتِ باللام نصبْتَه نَصْبَ المصادِر ، فقلت : عَمْرَ اللهِ مافعلتُ ، وعَمْرَكَ اللهَ مافعلتُ [٣] .

ومعنى : لَعَمْرُ الله وعَمْرَ الله : أحلِفُ ببقاء الله ودوامه .

ومعنى عَمْرَكَ اللهَ : بتعميرك اللهَ ، أى بإقرارِك له بالبقاء والدَّوام .

والهَضْبُ : المَطَرُ ، وقد هَضَبت السماءُ تَهْضِبُ هَضْباً .

---

(١) قال ابن دريد : المنتفق الذي قد دخل في النفق . والنفق : السَّرَب في الأرض . ونافقاء اليربوع من هذا ، وهو سَرَبُه الذي يدخل فيه . الاشتقاق ص ١٩٨ .

(٢) في حديث طهفة النهدي .

(٣) أورد عليه ابن الشجري كلاماً جيداً في الأمالي ١ / ٣٤٨ ـــ ٣٥١ .

ومَصْرَعُ القتيل : الموضعُ الذى قُتِل فيه ، وهو مَفْعَلٌ من الصَّرْع : الإلقاءِ على الأرض ، يقال : صَرَعَه يَصْرَعُه صَرْعاً ومَصْرَعاً ، الزمان والمكان ، والمصدر : مَفْعَل ، بالفتح .

والمَدْفِن : موضعُ الدَّفْن ، مَفْعِل ، بالكسر ؛ لأنه مِن دفَنَ يدْفِن ، كضَرَب يضرِب ، والمصدرُ والزمانُ : مَدْفَنٌ ، بالفتح .

وقوله : أنبِّئُك بمِثْل ذلك فى إلِّ الله : الإلُّ هاهنا : بمعنى الرُّبُوبيَّة والإلهيّة ، أى أُخبرك بمثْل ما أنكرتَه من تمزيق الرِّياح والبِلَى والسِّباع ، فى إلهيَّة الله وقُدْرَته ، ومنه قولُ أبى بكر الصّدّيق ، رضى الله عنه ، لمّا سمع كلامَ مُسَيْلِمة ، قال : « إنه لَكلامٌ لم يَخرُج مِن إلٍّ » أى مِن رُبُوبيَّةٍ وإلهيَّة .

والمَدَرةُ : واحدة المَدَر ، وهو الطِّين والتُّراب .

والشَّرْبة : إن سُكِّنت الراءُ ، فهى المرَّة من الشُّرْب ، وأراد أن الماءَ كثُر ، فمِن حيث أردتَ أن تَشربَ شربتَ ، وإن فتحتَ الراءَ ، فهى الحوضُ الذى يُحفَر فى أصل النَّخلة حتى يجتمع فيه الماءُ لشُرْبها . يريد أن الماءَ قد غَمَر الأرض حتى صارت كأنها شَرَبَةٌ واحدة .

ويُروى : «شَرْية» بياء تحتها نُقطتان ، وهى الحَنْظَلة ، وجَمْعها شَرْيٌ . أى أن الأرضَ تَخْضَرُّ بالنَّبات ، فتصير فى اخضرار الحَنْظَلة ونَضارتها .

قال القُتَيبى : وصفُ الأرضِ بالنَّبات فى هذا أشْبَهُ بالمعنى ، من اللفظين الأوَّلين ، لأنه شَبَّه مَن أحياه الله تعالى من الموتى ، بالنَّبات الذى أخرجه الله من الأرض الهامدة بالمطر ، ويدّل عليه قولُه : وهو أقْدَرُ على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نباتَ الأرض .

والأَصْواء : القُبورُ ، وهى جمع الصُّوَى ، والصُّوَى : جَمْع صُوَّةٍ ، وهى الأعلامُ تُنْصَبَ فى الأرض ليُهتَدى بها فى المقاصد ، فشبَّه بها القبورَ ، ومنه الحديث : « إن للإسلامِ صُوىً ومَناراً كمنارِ الطَّرِيق » . وقيل : الصُّوَّة [١] : المكان المرتفع فيه غِلَظٌ .

والبادى : الظاهر .

والصَّفَحات : جمع صَفْحة ، ويريد بها الوُجوهَ ، يقال : نظر إلىَّ بصَفْح وَجْهِه وصُفْحِه ، أى بجانبه .

والنَّضْح : الرَّشُّ ، يقال : نَضَحْتُ البيتَ أَنْضِحُه ، بالكسر [٢] .

والرَّيْطَة : المُلاءة والشُّقَّة من الثِّياب ، إذا لم تكن لِفْقَين ، وجَمْعُها رَيْطٌ ورِياطٌ .

وتَخْطِمه : أى تُصيبُ خَطْمَه ، وهو أَنْفُه ، وأصلُه موضعُ الخِطام من رأس البعير ، أى تضرب أَنْفَه ، فتجعَلُ فيه أَثَراً مثلَ أثر الخِطام .

والحُمَم : جمع حُمَمَة ، وهى الفَحْمة [٣] .

والجِسْر : معروف ، وتُفتح جيمُه وتُكْسَر ، ويُريد به الصِّراطَ .

وحَسِّ : كلمةٌ يقولها المتوجِّعُ مما يُؤلمه ويُوجِعُه ، إذا أصابه بَغْتةً

---

(١) هذا قول الأصمعي ، كما صرح ابن قتيبة .

(٢) وبالفتح أيضاً ، فالفعل من باب ضرب ونفع ، كما في المصباح .

(٣) سبق هذا في حديث لقمان بن عاد .

وعلى غَفْلة ، كالضَّربة والجَرْحة والجَمْرة تَسقُط عليه ، وهو مبنيٌّ على الكسر [١] .

وقوله : « فيقول ربُّك : وإنَّهْ » هكذا يُروى مقطوعاً ممَّا بعده ، وفيه قولان : أحدهما : أنّ «إنَّ» بمعنى نَعَمْ [٢] ، والهاء فيها للسَّكْت .

وقيل : إنَّ « إنَّ » هي التى للتأكيد والتحقيق ، والهاءُ اسمُها ، وخبرها محذوف ، تقديره : وإنه كذلك ، أو إنه كما تقول .

والاطِّلاعُ على الشيء : الإشرافُ عليه .

والظَّمأُ : العَطَشُ ، وقد ظَمِىء يَظْمأُ .

والناهِل : الذى شَرِب حتى رَوِىَ . أى لايَعْطَش مَن رَوِىَ منه بعد ذلك .

وقوله : « قَدَحٌ مُطَهِّرةٌ مِن الطَّوْف » وهو الحَدَثُ والبولُ . تقول : طافَ يطوفُ طَوْفاً [٣] .

---

(١) قال السهيلي : « وليست « حَسِّ » باسم ولا بفعل ، إنها لاموضع لها من الإعراب ، وليست بمنزلة « صه ومه ورويد » لأن تلك أسماء سمي الفعل بها ، وإنما « حَسِّ » صوت كالأنين الذي يخرجه المتألم ، نحو « آه » ،ونحو قول الغراب : « غاق » الروض الأنف ٢ / ٣٢١ .

(٢) وشاهده من الشعر قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

بكرت عليَّ عواذلي يلْحَيْنني وألومُهُنَّهْ
ويقلن شيبٌ قد علا ك وقد كبرت فقلت إنَّهْ

وهو شاهد سيار في كتب العربية . وقيل إن مجيء « إن » بمعنى « نعم » شاذ . راجع مغني اللبيب ص ٣٨ ، ٦٤٩ ، وانظر غريب الحديث لابن قتيبة وحواشيه .

(٣) ويقال أيضاً : اطَّاف يطَّاف اطِّيافاً ، بتشديد الطاء ، وعليه اقتصر ابن قتيبة في غريب الحديث ، والهروي في الغريبين (طوف) . وانظر غريب الحديث لأبي عبيد ٤ / ٢١٥ ، واللسان (طوف) .

والأَذَى : الحيضُ والنجاسة . يريد أنه مَن شرب ذلك القدحَ طُهِّر من الغائط والبول والحيض وجميع النجاسات .

وأَنَّث «مُطَهِّرة» والقَدَحُ مذكّر ، حَمْلاً على المعنى ، لأنه إذا وقَع على يد كلِّ واحدٍ منهم قَدَحٌ ، فهى أقداحٌ كثيرة (١) .

وقال القُتيبىّ : أَنَّثه لأنه ذهب إلى الشَّرْبة ، ولذلك (٢) أَنَّثوا الكأسَ لأنهم ذهبوا إلى الخَمْر ، ثم صار الكأسُ اسماً لها ، إذْ (٣) كانت فيه ، ألا تراه قال (٤) : « وَأَنْهَارٍ مِنْ كَأْسٍ » أى مِن خَمْر ، قال الأعشى (٥) :

وكأسٍ شربتُ على لذَّةٍ … وأُخْرَى تداويتُ مِنْها بِها

ومنه قولُه تعالى (٦) :﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ .

وقوله : ما بها من صُداع ولا نَدامة ، أى لا يَعْرِض لهم من شُرْبها صُداعُ الرأس ، وهو الخُمار الذى يَعْرِض من شُرب خَمْرِ الدُّنيا ، ومثله قوله تعالى (٧) : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ (٨) ﴾ .

---

(١) هذا تأويل الزمخشري وكلامه في الفائق .

(٢) في غريب الحديث : وكذلك .

(٣) في الأصل : « إذا » . وأثبت مافي غريب الحديث . وعبارته : « إذ كانت تكون فيه » .

(٤) في هذا الحديث نفسه .

(٥) ديوانه ص ١٧٣ .

(٦) سورة الصافات ٤٥ ، ٤٦ ، ولم يعرض ابن قتيبة لهاتين الآيتين الكريمتين .

(٧) سورة الواقعة ١٩ .

(٨) ضبطت الزاى فى الأصل بالفتح ، وهى قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبى عمرو =

وقوله : أن يَحُلَّ حيث شاءَ ، أى يَسكُنَ أين اختار من الأرض ، لا يُمْنَع منه .

وقوله : « لا يَجُرُّ إلاّ نفسَه » : من الجَريرة : الذَّنْب والجناية ، أى لا يُطالَبُ بجناية غيره ، من ولَدٍ أو والدٍ أوْ أهل أو عَشيرة ، ومنه قوله تعالى (١) : ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

= وابن عامر ، وهذه قراءتهم في آية سورة الواقعة ، وفي آية (٤٧) من سورة الصافات . وقرأ عاصم في الصافات (ينزفون) بفتح الزاى ، وفي الواقعة (ينزفون) بكسر الزاى . وقرأهما حمزة والكسائي (ينزفون) بكسر الزاى في الموضعين . السبعة لابن مجاهد ص ٥٤٧ ، وانظر توجيه القراءتين في الكشف عن وجوه القرآات السبع ٢ / ٢٢٤ .

(١) سورة الأنعام ١٦٤ ، ومواضع أخرى من الكتاب العزيز .

حَدِيْثُ أبي عَمرو النَّخعِيّ

قدم على النبيِّ ﷺ فى وفْدٍ من النَّخَع ، فقال : يا رسولَ الله ، إنى رأيتُ فى طريقى هذا رُؤْيَا : رأيت أَتانًا تركتُها فى الحَيِّ ، وَلَدَتْ جَدْياً أسْفَعَ أَحْوَى .

فقال له رسولُ الله ﷺ : هل لك مِن أمَةٍ تركتَها مُسِرَّةً حَمْلاً ؟

فقال : نعم ، تركتُ أمةً لى ، أظُنُّها قد حملَتْ .

قال : فقد ولدتْ غُلاماً ، وهو ابنُك .

قال : فمالَهُ أسْفَعَ أَحْوَى ؟

قال : ادْنُ مِنيِّ . فدنا منه ، قال : هل بك مِن بَرَصٍ تَكْتُمه ؟

قال : نَعم ، لا والذى بعثك بالحقّ ما رآه مخلوقٌ ولا عَلِم به .

قال : فهو ذاك .

قال : ورأيت النُّعمانَ بن المُنْذِر ، وعليه قُرطانِ ودُمْلُجانِ ومَسَكَتانِ .

قال : ذاك مُلْكُ العَرَب ، عاد إلى أفضل زِيِّه وبَهْجته .

قال : ورأيتُ عجوزاً شَمْطاءَ تَخْرج من الأرض .

قال : تلك بقيَّة الدُّنيا .

قال : ورأيت ناراً خَرجتْ من الأرض ، فحالَتْ بيني وبينَ ابنٍ لي يقال له : عمرو ، ورأيتُها تقول : لَظَى لَظَى ، بصيرٌ وأَعْمَى ، أَطْعِمُونِي آكُلْكُم (١) كُلَّكم ، أهلَكُم ومالَكُم .

---

(١) هكذا ضبط في الأصل ، هنا وفي الشرح ، بمدّ الألف وضم الكاف وسكون اللام ، وهو مجزوم في جواب الأمر السابق . وقد أهمل الضبط في الكتب التي ذكرت الحديث .

فقال النبىّ ﷺ : تلك فِتنةٌ تكون فى آخر الزمان .
قال : وما الفِتْنَةُ يا رسولَ الله ؟
قال : يَقتل الناسُ إمامَهم ، ثم يَشْتَجرُون اشْتِجَارَ أَطْباق الرَّأس – وخالف رسولُ الله ﷺ بينَ أصابعه – يَحسِب المسىءُ أنَّه محسَنٌ ، ودمُ المؤمن عند المؤمِن أحَلُّ من شُرْب الماء .

* * *

أخرجه ابن قتيبة[١] عن أبيه ، عن شيخٍ له ، كان يرويه عن ابنِ دَأْبٍ الليثىّ ، وأخرجه الزمخشرىُّ [٢] مثلَه .

شرحه

أبو عمرو : هو [٣] [زُرارَة بن عمرو] .
والنَّخَعىّ :منسوبٌ إلى النَّخَع ، لقب حَبِيبِ بن عَمْرٍو ، من بنى عَرِيب بن زيد بن كَهْلان ، وقد تقدَّم [٤] .

---

(١) غريب الحديث ١ / ٥٠٨ ــ ٥١٣ .

(٢) الفائق ٢ / ١٨٢ ،١٨٣ ، وانظر هذا الحديث أيضاً في : الاستيعاب ص ٥١٧ ، ٥١٨ ، وأسد الغابة ٢ / ٢٥٤ ، والإصابة ٣ / ٨ ، ٩ ، وزاد المعاد ٣/ ٧٠ ، وعيون الأثر ٢ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، والخصائص الكبرى ٢ / ١٩٨ ، ١٩٩ ، والسيرة الحلبية ٣ / ٣٣٢ ، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٤ / ٦٧ ، ٦٩ ، والعقد الفريد ٢ / ٣٣ ، ٣٤ .
وقد سبق جزء من حديث وفد النخع هذا في حديث جهيش بن أوس النخعي ،فانظر المراجع هناك .

(٣) مابين الحاصرتين مكانه بياض بالأصل ، وأثبته من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة . وقيل في اسم أبي عمرو : زرارة بن قيس بن الحارث بن عدي . ذكره الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية .

(٤) في حديث جهيش بن أوس النخعي .

والرُّؤيا : الحُلْم ، وما يراه النائمُ فى مَنامِه ، يُقال : رأى فى منامه رُؤْيا ، على فُعْلَى ، بلا تنوين ، وهى مختصَّة بالنَّوم ، والرُّؤيةُ مختصَّة باليقظة .

والأتانُ : الأُنثى من الحَمير ، ولا يُقال : أَتانَةٌ ، وبعضهم يقوله .

والأَسْفَع : الذى فيه سوادٌ يخالفُ سائرَ لونِه ، وليس بالكثير فيه . وقال القُتَيْبىّ : هو الذى أصابَ خَدَّه لونٌ خالَفَ سائرَ لونِه ، من سوادٍ أو حُمْرة ، أو غير ذلك ، ومنه قيل للثَّور الوحشىّ : أَسْفَعُ ، لأَنَّ فى خدِّه سواداً ، يخالفُ سائرَ لونِه .

والأَحْوَى : الذى يَضْرِبُ لونُه إلى سوادٍ قليل .

وقوله : تركتَها مُسِرَّةً [١] حَمْلاً ، أى مخفيةً حَبَلَها ، وكلُّ شىءٍ أخفيتَه فقد أسرَرْتَه .

وقوله له : وهو ابنُك ، تقريرٌ له فى نفسِه ، حيث خالَفَ لونُه لونَه .

والقُرْط من حُلىّ الأُذن : ما كان مُعلَّقاً إلى أسْفلها ، ويُجمع على أَقْراطٍ وقِرَطَة وأَقْرِطَة .

والمَسَكَة ، بفتح الميم والسين : السِّوار ، وجمعها : مَسَكٌ ، وقيل : هو السِّوارُ من الذَّبْل ، وهى قُرونُ الأوعال ، وقيل : جلْد دابَّةٍ بَحْرية . والمَسَكَةُ على الأوَّل تُضاف إلى ما تُعمل منه ، ذَهباً كان أو فِضّةً ، أو غَيرَ ذلك .

---

(١) في بعض ماذكرت من مراجع : « مصرة » بالصاد المهملة ، وليس بشيء .

وَلَظَى : اسمُ علمٍ لنار الدار الآخرة ، غيرَ مُنصرف للتعريف والتأنيث . واللَّظَى فى الأصل : اللَّهَبُ . وتقدير الكلام : أنا لَظَى ، فحذف المُبتدأ ، ولَظَى الثانية : إما أن تكون تكريراً للخبر ، أو خبرَ مبتدأ آخَرَ محذوفٍ ، تقديره : أنا لَظَى أنا لَظَى .

وقوله [١] : بَصيرٌ وأعمى ، أى الناسُ فى شأنى ضَرْبان ، عالِمٌ يَهْتَدِى لما هو الصوابُ والحقُّ ، كالبصير ، وجاهلٌ يركبُ رأسَه فَيضِلُّ كالأعمى .

وقوله : أَطْعِمُونِي آكُلْكُم كُلَّكُم ، كنايةٌ عن إحراقها إيَّاهم ، والمراد به فى الحديث القَتْلُ فى الفتنة التى فَسَّرها .

والاشتجارُ : الاشتِباك والاختِلاط .

وأطباقُ الرأس : عِظامُه التى يَدخُل بعضُها فى بعض ، واحِدُها : طبَقٌ ، بالتَّحْريك ، ولذلك قال : وخالَفَ رسولُ الله بين أصابعه ، أى شَبَّك بعضَها فى بعضٍ ، تشبيهاً باشتباك الأطباق ، وأراد به التِحامَ الحرب بينَ الناس ، واختلاطَهم فى الفِتنة ، ومَوْجَ بعضِهم فى بعض .

والمُسيِءُ : يريد به المقاتلَ فى الفتنة ، يَحسِب أنه مُحسنٌ فى فعِله ، بقتله أخاه المسلم ، وأنّ قتْلَه عنده أحَلُّ من شُرب الماء المباح [٢] .

---

(١) الأولى : « وقولها » هنا وفيما يأتي . والضمير راجع إلى النار ..

(٢) بحاشية الأصل : بلغت القراءة على مصنفه إلى هنا . والحمد لله .

حَدِيْثُ ابن زِمْل الجهني

قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا صَلَّى الصُّبْحَ ، قال وهو ثانٍ رِجلَه : سُبحانَ الله وبحمدِهِ ، وأستغفرُ اللهَ إن اللهَ كان توّاباً ، سبعين مَرَّة ، ثم يقول : سبعين بسبع مائة ، لا خَيْرَ ولا طَعْمَ ، أو لا نُعْمَةَ ، لمن كانت ذُنُوبُه في يومٍ واحدٍ أكثرَ مِن سبع مائة ، يقول ذلك مرّتين ، ثم يستقبل الناسَ بوجهه فيقول : هل رأى أحدٌ منكم شيئاً ؟ قال ابن زِمْلٍ : فقلت : أنا يانبيَّ الله ، قال : خَيْراً [١] تُلَقَّاه وشَرّاً تُوَقَّاه ، وخيراً لنا وشَرّاً على أعدائِنا ، والحمد لله ربّ العالمين ، اقْصُصْ .

فقلت : رأيتُ الناس على طريقٍ سَهْلٍ رَحْبٍ لا حِبٍ ، والناسُ [٢] على الجادَّة مُنطلقون ، فبيناهم كذلك أَشْفَى ذلك الطريقُ على مَرْجٍ لَم تَرَعيني مِثلَه قَطُّ ، يَرِفُّ رَفيفاً يَقْطُر نَداهُ[٣] ، فيه من أنواع الكَلأ ، فكأنّي بالرَّعْلَة الأولى حين أَشْفَوا على المَرْج كَبَّرُوا ، ثم أَكَبُّوا رَواحِلَهم في الطريق ، فلم يَظْلِموه يميناً ولا شِمالاً[٤] ، [فكأنّي أنظُر إليهم مُنْطلقين] . ثم جاءت الرَّعلَةُ الثانية مِن بعدهم ، وهم أكثرُ منهم أضعافاً ، فلما أَشْفَوا على المَرْج كَبَّرُوا ، ثم أَكَبُّوا رَواحِلَهم في

---

(١) في الموضع الآتي من غريب ابن قتيبة والفائق : « خير وشر » بالرفع ، وسيأتي توجيه النصب في شرح المصنف .

(٢) عند ابن قتيبة والزمخشري : « فالناس » بالفاء .

(٣) هكذا في الأصل والنهاية (رفف) وغريب ابن قتيبة . وفي الفائق : نداوة .

(٤) مابين الحاصرتين كتب بهامش الأصل بخط الناسخ نفسه ، ولم يرد عند ابن قتيبة والزمخشري .

الطريق ، فمنهم المُرْتِع ، ومنهم الآخِذُ الضِّغْثَ ، ومَضَوْا على ذلك . ثم جاءت الزَّعْلةُ الثالثةُ مِن بعدهم ، وهم أكثَرُ منهم أضعافاً ، فلما أشْفَوْا على المَرْج كبَّروا ، ثم أكبُّوا رواحِلَهم فى الطريق ، وقالوا : هذا حينَ [١] المنزلُ ، فكأنى [٢] أنظُر إليهم يميلون فى المَرْج يميناً وشِمالاً ، فلما رأيتُ ذلك لزِمتُ الطريق ، حتى أتيتُ [٣] أقصَى المَرْج ، فإذا أنابك يارسول الله ، على مِنْبرٍ فيه سبعُ دَرَجات وأنتَ فى أعلاها درجةً ، وإذا عن يمينك رجلٌ طُوالٌ آدَمُ أَقْنَى [٤] [شَثْنُ اللَّحْم] ، إذا تكلَّم [٥] يَسمُو ، يكاد يَفْرَعُ الرجالَ طُولاً ، وإذا عن يسارك رجلٌ رَبْعةٌ ، تارٌّ أحمرُ ، كثيرُ خِيلان الوَجْه[٦] [كأنما حُمِّمَ شَعَرُه بالماء] ، إذا هو تكلَّم أَصْغَيْتُم إليه إكراماً له ، وإذا أَمامكم [٧] شيخٌ أشبَهُ بك خَلْقاً ووَجْهاً ، وكُلُّكم تَؤُمُّونه ، تُرِيدونه كأنكم تَقتَدُون به ، وإذا أمامَ ذلك ناقةٌ عَجْفاءُ شارِفٌ ، وإذا أنت يارسولَ الله كأنك تَبْعَثُها [٨] .

---

(١) بحاشية الأصل : « خير » . وهي رواية ابن قتيبة والزمخشري . وستذكر الروايتان في الشرح .

(٢) رواية ابن قتيبة والزمخشري : « فمالوا في المرج يميناً وشمالاً » .

(٣) بحاشية الأصل : أتى .

(٤) لم يرد هذا عند ابن قتيبة والزمخشري .

(٥) عند ابن قتيبة والزمخشري : إذا هو .

(٦) وهذا أيضاً لم يرد عند ابن قتيبة والزمخشري .

(٧) عند ابن قتيبة والزمخشري : وإذا أمام ذلك شيخ كأنكم تقتدون به .

(٨) هكذا الرواية أيضاً عند ابن قتيبة والزمخشري .وجاء بحاشية الأصل رواية أخرى : « تبغيها » وسيشير إليها المصنف ،وإلى رواية ثالثة .

قال : فانْتُقِع لونُ رسول الله ﷺ ساعةً ، ثم سُرِّىَ عنه ، فقال : أمَّا ما رأيتَ من الطريق السَّهْل اللاَّحِب : فذاك ماحَمَلْتُكم عليه من الهُدَى وأنتم عليه [١] .

وأمّا المَرْج الذى رأيتَ : فالدُّنْيا وغَضارةُ عَيْشها [٢] ، [مضيتُ أنا وأصحابى] لم نتعلَّقْ بها ولم تتعلَّقْ بنا ، ولم نُرِدْهَا ولم تُرِدْنا ، ثم جاءت الرَّعْلَةُ الثانية مِن بعدنا ، وهم أكثرُ منّا أضعافاً ، فمنهم المُرْتِع ، ومنهم الآخِذُ الضِّغْثَ ، ونَجَوْا على ذلك ، ثم جاءت الرَّعْلَةُ الثالثة ، فمالُوا فى المَرْج يميناً وشِمالاً ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون .

وأمّا أنت فمضيتَ على طريقةٍ صالحة ، ولن تزالَ عليها حتى تلقانى .

وأمّا المِنْبر : فالدُّنيا سبعةُ آلاف سنة ، أنا فى آخِرها ألفاً .

وأمّا الرجلُ الآدَمُ الأَقْنَى الشَّثْنُ اللحمِ : فذاك موسى عليه السلام ، إذا [٣] تكلَّم يعلو الرجالَ ، بفَضْلِ كلام الله تعالى إيَّاه .

وأما الرجلُ التارُّ الرَّبْعةُ الأحمر : فذاك عيسى بن مريم عليهما السلام ، تَكْرِمةً [٤] لإكرام الله تعالى إيَّاه .

---

(١) عند ابن قتيبة والزمخشري : فأنتم .

(٢) لم يرد عند ابن قتيبة والزمخشري .

(٣) مكان هذا عند ابن قتيبة والزمخشرى : نكرمه بفضل كلام الله إياه

(٤) هكذا جاءت هذه اللفظة واضحة جداً في الأصل ومضبوطة بالنصب . والذي عند ابن قتيبة والزمخشري : نُكرمه بفضل منزلته من الله جل وعز .

وأمَّا الشيخُ الذى رأيتَ أشْبَهَ الناس بى خَلْقاً ووَجْهاً : فذاك أبونا إبراهيم عليه السلام ، كلُّنا نؤُمُّه ونَقْتدى به .

وأمّا الناقةُ التى رأيتَنى أَبْغِيها : فهى الساعةُ ، علينا تَقومُ لا مَحالةَ ، لا نبىَّ بعدى ولا أُمَّةَ بعد أُمَّتى .

قال : فما سأل رسولُ الله ﷺ عن رؤيا بعدَها ، إلا أن يجىء الرجلُ فيحدِّثه بها مُتبرِّعاً .

* * *

هذا حديثٌ حَسَنٌ ، شامىُّ الإسناد ، وقد أخرجه الأئمةُ فى كتبهم ، وأخرجه ابن قتيبة [١] عن عبد الله بن هارون ، بإسناده عن ابن زِمْلٍ ، وأخرجه الزمخشرىُّ [٢] أيضاً ، وحذَفا بعضَ ألفاظه .

شرحه

قال الحافظ أبو موسى الأصفهانىّ ، وقد أخرج هذا الحديث : أما [٣] ابنُ زِمْلٍ هذا فلا أعلمه سُمِّىَ فى شىء من الرِّوايات ، وقد أورده الطَّبَرانى ، فسمَّاه بالضَّحَّاك ، وتبعه أبو نُعَيم ، وأُرَاهُمَا ذهبا غيرَ

---

(١) غريب الحديث ١ / ٤٧٩ ــ ٤٨٦ .

(٢) الفائق ٣ / ٣٦١ ــ ٣٠٨ ، وانظر أيضاً : مجمع الزوائد (باب تعبير الرؤيا . من كتاب التعبير) ٧ / ١٨٣ ، ١٨٤ ، وأسد الغابة ٣ / ٤٧ ، ٢٤٦ ، ٦ / ٣٣٩ [وترجم له ابن الأثير في : الضحاك بن زمل ،وعبد الله بن زمل ، وابن زمل] ، والإصابة ٤/ ٧١ ، ٧٢ .

(٣) هذا الكلام بحروفه أورده عز الدين بن الأثير في أسد الغابة ٣ / ٤٧ ، وانظر التجريد ١ / ٢٧٠ ، ٣١١ ، وميزان الاعتدال ٢ / ٤٢٣ ، وتاج العروس (زمل) .

مَذْهَب ، ولعلّهما حَفِظا اسمَ الضَّحَّاك بن زِمْلٍ ، فظَنَّاه ذاك ، والضَّحَّاكُ رجلٌ من أتباع التابعين .

قال : وأورده أبو عبد الله بن مَنْدَةَ ، وسَمَّاه بعبد الله بن زِمْلٍ ، وتَبِعه أبو نُعَيم أيضاً ، وعبد الله بن زِمْلٍ من التابعين .

والجُهَنيّ : منسوب إلى جُهَينة بن زيد بن ليث بن سُود بن أَسْلُم (١) بن اَلْحاف بن قُضاعة .

وقوله : « وهو ثانٍ رِجْلَه » ، أى عاطِفُها إلى تحته ، عند التَّشهُّد فى الصلاة .

وسُبحانَ الله : مصدر ، يقال : سَبَّحتُ الله أُسبِّحه تسبيحاً ، وسُبْحاناً ، وهو أن يقول : سُبحانَ الله .

والتَّسْبيح : التَّنْزيه ، ومعنى سُبحانَ الله : التَّنزيه لله ، كأنه قال : أُبَرِّىءُ اللهَ من السُّوء براءةً ، وقد يُطلَق التسبيحُ على أنواع الذِّكر مَجازاً .

والحَمْدُ : نَقيضُ الذَّمّ ، والباء فيه متعلِّقة بمحذوف ، تقديره : وبِحَمْده سَبَّحتُ ، أو : وبحمده تسبيحى .

والاستغفار : طلب المغْفِرة من الله تعالى .

والتوَّاب : فَعَّالٌ من التوبة ، وهى الرجوعُ إلى الله من الذَّنب ، وفَعَّال للمُبالغة .

وقوله : « لا خَيرَ ولا طَعْمَ » ، أى لا ذَوقَ له ولا حلاوةَ فيه ، فاستعاره من الذَّوات إلى المعانى .

---

(١) ضبطت اللام في الأصل بالضم . وسبق الكلام عليه في حديث طهفة بن أبي زهير النهدي .

وقوله : « ولا نُعْمةَ » ، أى ولا قُرَّةَ عَيْنٍ ولا سُرورَ .

وقوله : «خيراً تُلقَّاه » ، أى تُستَقْبل به ، وشرّاً تُوَقَّاه ، أى يُصْرَف عنك ، ويُجَعل بَينك وبينه وِقايةٌ .

وخيراً وشرّاً : منصوبان بفعلٍ مُضمَر يجوز إظهارُه ، تقديره : رأيتَ خيراً .

وتفاءلَ بهذه الكلمات التى قدَّمها على الرُؤْيَا .

وقوله : « اقْصُصْ » ، أى قُصَّ الرُّؤْيَا واذكُرْها ، وإظهارُ الإدغام لغة أهل الحجاز فى الوقف والجزم ، وغيرُهم لا يُظْهِره .

والرَّحْب : الواسع .

واللاَّحِب : الطريق المُنقاد البَيِّن ، الذى لا ينقطع .

والجادَّة : وسَطُ الطريق الأعظمِ .

ومنطلقون : يُروى بالواو والياء ، فالواو رفعٌ على خبر المبتدأ ، والياء نصبٌ على الحال ، كأنه قال : والناسُ يَمْشُون على الجادَّة منطلقين .

وَبْينا وَبْينما : ظَرْفا زمانٍ للمفاجأة ، وأصل بَيْنا : بَيْنَ ، فأُشبِعت الفتحةُ ، فصارت ألفاً ، ويُضافان إلى جملة من فعلٍ وفاعل ومبتدأ وخبر ، ويحتاجان إلى جوابٍ يتمُّ به المعنى ، والأفصح فى جوابهما أن لا يكونَ فيه إذْ وإذا ، وقد جاءا فى الجواب كثيراً ، تقول : بينا زيدٌ جالسٌ دخل عمرو ، وإذْ دخل عمرو ، وإذا دخل عمرو ، ومنه قول الحُرَقَة [1] بنت النعمان :

---

(١) وهكذا نسبه المصنف في النهاية (بين) . وينسب أيضاً لهند بنت النعمان ، في قصة تراها في أمالي ابن الشجري ٢ / ١٧٥ . =

بَيْنا نَسُوسُ الناسَ والأمرُ أمْرُنا إذا نحن فيهم سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

وأَشْفَى على الشيء : أى أشرف ، وقلَّما يُستعمل إلاّ فى الشرّ .

والمَرْج : أرضٌ واسعةٌ ذاتُ نباتٍ غَضٍّ لا يكاد يَجِفُّ .

ورَفَّ النَّبْتُ يَرِفُّ رَفِيفاً : إذا كان يَقْطُر ماؤُه من الرِّيِّ والغَضاضة ، وأصلُه من رَفَّ البرقُ يَرِفُّ : إذا تَلألأ .

والنَّدَى : البَلَل . ونَدَى الأرضِ : نَداوتُها ، ويجوز أن يكون أراد بالنَّدَى الكَلأَ ، فإنه اسمُه .

والكَلأُ : العُشْبُ ، وسواءٌ رَطْبُه ويابِسُه .

والرَّعْلَة : الجماعةُ من الفُرسان [1] ، والمراد به هاهنا الرُّكبان ؛ لأنه يقول فيه : « أكَبُّوا رَواحِلَهم » ، والرَّواحِل : الإبلُ الحَمُولَة ، واحدتها : راحِلَة .

وقوله : « أكبُّوا رَواحِلَهم » ، أى ألزموها الطريق . هكذا يروى : «أكَبُّوا» والصواب عند أهل اللغة : « كَبُّوا » بلا ألف ، يقال : كَبَبْتُه فأكَبَّ هو بنفسه ، فالأول متعدٍّ ، والثانى لازمٌ ، وقيل : هو من باب حذف الجارِّ وإيصال الفِعل ، يقال : أكَبَّ الرجلُ على عَمِله : إذا لَزِمه ، والمعنى : جعلوها مُكِبَّةً على لُزوم الطريقِ وقَطْعِه .

= وجاء الخرم في أول البيت ، وهو حذف الفاء من فعولن . والبيت من البحر الطويل . وورد في مغنى اللبيب ص ٣١١ ، ٣٧١ على التمام هكذا :

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ليس ننصف

وانظر خزانة الأدب ٣ / ١٧٨ ، واللسان (نصف) ، و(سوق) .

(١) قال في النهاية : يقال للقطعة من الفرسان : رعلة ، ولجماعة الخيل : رعيل . ومنه حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه :

« سراعا إلى أمره رعيلا » أي رُكاباً على الخيل .

وقوله : « فلم يَظْلِموه » ، أى لم يَعْدِلوا عنه ، يقال : أخذ فى طريقٍ فما ظَلَم يميناً ولا شِمالاً ، ومنه حديث أم سَلَمة : « إن أبا بكرٍ وعمرَ ثَكَما [١] الأمرَ فما ظَلَماه » أى ما عَدَلا عنه .

وأصل الظُّلْم : وَضْعُ الشىء فى غير موضعه .

وأراد بالرَّعْلَة الأَوْلَة[٢] الصَّحابةَ رضى الله عنهم ، وأراد بالرَّعْلة الثانية التابعين ، ولذلك قال : « وهم أكثَرُ منهم أضعافاً » ، وأراد بالرَّعْلة الثالثة مَن جاء بعد التابعين ، ولذلك قال : « وهم أكثَرُ منهم أضْعافاً » .

وقوله فى الرَّعلات الثلاث : « كبَّروا » كأنه إشارةٌ إلى التوحيد ، واستمساكِهم بالدين والإسلام ، وإن وقع بعضُهم فى الدُّنيا .

والمُرْتِعُ : التارِكُ دابَّته لتَرْتَعَ ، يقال : رَتَعَت الإبلُ : إذا رَعَتْ ، وأَرْتَعَها صاحِبُها .

والضِّغْث : الحُزْمَة من الحَشِيش والعِيدان ونحوها .

وأشار بالمُرْتِع إلى الذى زَجَّى أيَّامَهُ بالقليل ، وقَنِعَ[٣] من الدُّنيا بقَدْر الكِفاية ، وأشار بأَخْذ الضِّغْث إلى الذى تَشبَّثْ بشىء من الدُّنيا ، ونال منها حَظّاً فوق الحاجة والكِفاية بقليل ، وكذا كانت حالُ التابعين .

---

(١) أي لزما الأمر ولم يفارقاهِ . تعني أمر رسول الله ﷺ . يقال : ثكمت الطريق: إذا لزمته . غريب الحديث لابن قتيبة ٢ / ٨٤ وسيأتى حديث أم سلمة هذا .

(٢) هكذا ، والذي سبق في متن الحديث : « الأولى » وكلاهما صحيح .

(٣) بكسر النون في الماضي وفتحها في المضارع من باب تعب بمعنى رَضِيَ . أما « قنع » بفتح النون في الماضي والمضارع فبمعنى سأل . ومنه قوله تعالى : (وأطعموا القانع والمعتر) . سورة الحج ٣٦ .

وقوله : « ومضَوا على ذلك » ، أى ماتُوا لازِمين هذه الطَّريقة .
وفى رواية : « ونَجَوْا على ذلك » ، وهو إشارةٌ إلى أن مَن قَنِع بهذا القَدر نَجا .

وفى روايةٍ عِوَض « الرَّعْلة الثالثة » : « ثم جاء عُظْمُ الناسِ » أى أكثرهم ومُعْظَمُهم.

وقوله : « هذا حينَ المنزل » ، يريد أنهم رَكَنُوا إلى مافى المَرْج من الرَّعْى ، فاستوطَنُوه وتَخلَّفُوا عن الفِرقتين المُتقدِّمتين . ويروى « خَيْرُ المنزل » بالخاء المعجمة والراء ، أى خيرُ موضعٍ نَنْزِل فيه .

وقوله : « يميلون فى المَرْج يميناً وشِمالاً » ، إشارةٌ إلى توسُّعهم فى الدُّنيا ، وتمكُّنهم منها ، ورَغْبتِهم فيها ، وكذا كانت حالُ الناسِ بعدَ التابعين .

والطُّوال ، بالضمّ : أطْولُ من الطَّويل ، يقال : طويلٌ وطُوالٌ .
والآدمُ : الأبيضُ الذى فيه قليلُ حُمْرةٍ أو سوادٍ ، يقال : رجلٌ آدمُ ، بيِّن الأُدْمَة .
والأَقْنَى : الذى فى أنْفه طولٌ ، وفى وسَطه حَدَبٌ وارتفاعٌ ، وفى طَرَفه دِقَّة .
والشَّثْن : الغَليظُ المكتنِزُ اللحمِ ، ويروى باللام ، وهو بمعناه .
وسَمَا يَسْمُو : إذا علا وارتفع . يريد أنه يعلو برأسه ويديه [1] إذا تكلَّم .

---

(١) فى غريب ابن قتيبة : « وبدنه » . ومافي كتابنا مثله في الفائق والنهاية والغريبين (سما) .

ويَفْرَع الرجالَ طُولاً : أى يَطولُهم ، يقال : فَرعْتُ القومَ أفرَعُهم فَرْعاً : إذا علوتَ عليهم ببَدَنك . وطُولاً : نصبٌ على التمييز .

والرَّبْعَةُ : المعتدلُ القامةِ ، بين الطويل والقصير .

والتَّارُّ : الممتلىء لَحْماً ، وقد تَرَّ يَتِرُّ[1] تَرارةً .

والخِيلانُ : جمع خالٍ ، وهى الشامةُ فى الجَسد .

وقوله : « حُمِّمَ » ، أى سُوِّدَ ، من التَّحميم : التَّسْوِيد ، وأصلُه من الحُمَمة : الفَحْمةِ ، كان الشَّعَرُ إذا شَعِثَ[2] فغُسِلَ بالماء ظَهَر سَوادُه .

ولو قيل : إن حُمِّمَ غُسِلَ بالحَمِيمِ ، وهو الماء الحارُّ ، لكان وَجْهاً ، ومنه سُمِّىَ الحَمَّامُ .

وإن رُوى « جُمِّمَ » فهو من الجُمَّة : الشَّعَرِ المَضْفُور ، وقيل : مُجْتَمع الشَّعَر .

والإصغاء : الاستِماع .

والأمام ، بفتح الهمزة : القُدَّام . وأَمَّ الشىءَ يؤُمُّه : إذا قَصَده .

والاقتداء : الاتِّباعُ فى القول والفِعل .

والعَجْفاء : الهَزِيلةُ الضَّعيفة .

والشَّارِف : المُسِنَّة ، ولا يُوصَفُ بها الذَّكَرُ ، ولذلك لم يُدْخِلْها هاءَ التأنيث .

وتَبْعَثُها: أى تَسوقُها وتُقيمها ، وتَحُثُّها على السَّير .

---

(١) بكسر التاء وضمها ، كما في اللسان والقاموس .

(٢) عبارة المصنف في النهاية : لأن الشعر إذا شعث اغبر ، فإذا غسل بالماء ظهر سواده .

وفى رواية : « تَبْغِيها » ، أى : تَطْلُبُهَا ، يقالُ : بَغَى الشَّىْءَ وابْتَغَاه : إذا طَلَبَهُ . وفى روايةٍ : « تتقيها » من الاتِّقاء ، أى تَحْذَرُها .

وانْتُقِع لونُه : أى تغيَّر عن حاله ، ويقال : امتُقِع ، بالميم ، وهو أفصحُ اللغتين .

وسُرِّىَ عنه : أى كُشِف عنه سَبَبُ انتقاع لونِه ، وأصله من سَرَوْتُ الثَّوبَ وسَرَيْتُه : إذا خلَعْتَه . وغَضارةُ العَيْش : طِيبه ولَذَّته .

وقوله : « إنا لله وإنا إليه راجعون » تَحَزُّنٌ منه ، وتَوجُّعٌ على مَن وقَع فى الدُّنيا مِن أُمَّته ، ومن ذلك كان انتقاعُ لونِه .

وقوله : « أنا فى آخرِها أَلْفاً » ، أى فى آخر الألوف السبعة التى هى مُدَّة الدُّنيا ، وهو نصبٌ على التمييز .

ولا مَحالَةَ : بمعنى لا حِيلةَ ولا شَكَّ . وأكثرُ ما تُستعَمل فى اليقين .

والتَّبَرُّع : التَّطوُّع ، وهو أن يفعل الإنسانُ الشىء من نفسِه ، عن غير باعثٍ من غيره .

حَدِيثُ رُقَيقة بنت أبى صَيفى القُرشَيِة
وكانت لِدَةَ عبد المطلب بن هاشم

قالت : تتابَعتْ على قُرَيْشٍ سِنُو جَدْب ، أَقْحَلت الأرضَ والضَّرعَ ، وأرَقَّت العَظْمَ ، فبينا أنا راقدةٌ – اللَّهُمَّ – أو مُهَوِّمةٌ ، ومعى صِبْوَتى (١) ، إذا أنا بهاتِفٍ صَيِّتٍ يَصْرُخ بصوتٍ صَحِلٍ ، اقْشعَرَّ له جلدى ، يقول : يا معشرَ قريشٍ ، إن هذا النبىَّ المبعوث منكم قد أَظَلَّتْكم أيّامُه ، وهذا إبَّانُ نُجُومِه ، فَحَيَّ هَلاً بالحَيَا والخِصْب ، ألا فانظروا فيكم رجلاً وَسِيطاً جُساماً طُوالاً ، أبيضَ بَضّاً ، أَشَمَّ العِرْنِين ، أوْطَفَ الأهداب ، سَهْلَ الخَدَّين ، له فَخْرٌ يَكْظِم عليه ، وسُنَّةٌ تَهْدى إليه ، ألا فَلْيَخْلُص هو وولَدُه ، ولْيَدْلِفْ إليه من كُلِّ بَطْنٍ رجلٌ ، ألا فَلْيَشُنُّوا من الماء ، ولْيَمَسُّوا من الطِّيب ، ولْيَسْتَلِمُوا الرُّكْنَ ، ولْيَطَّوفُوا بالبيت العتيق سَبعاً ، ثم لْيَرْتَقُوا أبا قُبَيْس ، ألا وفيهم الطَّيِّبُ الطاهِرُ لِداتُه ، ألا فَلْيَسْتَسْقِ الرجلُ ، ولْيُؤَمِّنِ القومُ ، ألا فغِثْتُم إذاً ما شِئتم وعِشْتُم .

قالت : فأصبحتُ ــ عَلِمَ اللهُ ــ مَذْعُورةً ، قد قَفَّ جِلْدِى ، ووَلِهَ عَقْلي ، فاقْتصَصْتُ رُؤْياى ، ونَمَتْ في شِعاب مكَّةَ ، فو الحُرْمَةِ والحَرَمِ إن بقى بها أبْطَحىٌّ إلّا قال : هذا شَيْبَةُ الحَمْدُ ، وتَتامَّتْ عنده رجالاتُ قُريش ، وانقضَّ إليه من كلِّ بَطْنٍ رجلٌ ، فشَنُّوا ، ومَسُّوا ،

---

(١) وقع في الروض الأنف والفائق وغيرهما من الكتب التي ذكرت هذا الحديث : « صنوى » وكذلك فى غريب الخطابي ٤٣٥/١ . وليس بشئ . وسيأتي شرح « صبوتي » في كلام المصنف .

واسْتَلَموا واطَّوَّفُوا ، ثم ارتَقَوْا أبا قُبَيْس ، وطَفِق القومُ يَدِفُّون حَوْلَه ، ما إن يُدْرك سَعْيُهم مَهْلَهُ ، حتى قَرُّوا بذِرْوَة الجَبل ، واسْتَكَفُّوا جَنابَيْه .

فقام عبدُ المطلب ، فاعْتَضَد ابنَ ابنِه محمداً ، فرفعه على عاتِقه ، وهو يومئذٍ غلامٌ قد أيفَع أو كَرَب ، ثم رفع يديه ، فقال : اللهمَّ سادَّ الخَلَّةِ وكاشفَ الكُرْبة ، أنت عالِمٌ غيرُ مُعَلَّم ، ومسؤولٌ غير مُبَخَّل ، وهذه عِبِدَّاؤُك وإماؤُك بعَذِرات حَرَمِك ، يَشْكُون إليك سَنَتَهم ، أذْهَبَت الخُفَّ والظِّلْفَ ، فاسْمَعَنَّ اللهُمَّ ، وأمْطِرَنَّ علينا غَيْثاً مُرْبِعاً مُغْدِقاً . فوربِّ الكعبةِ مارامُوا حتى تَفجَّرت السماءُ بمائِها ، وكَظَّ الوادي بثَجيجه ، فسمعتُ شيخانَ قُريش وجِلَّتَها : عبدَ الله بنَ جُدْعانَ ، وحَرْبَ بنَ أُميَّة ، وهشامَ بن المغيرة ، تقول لعبد المطَّلب : هنيئاً لك أبَا البَطْحاء ، وفي ذلك تقول رُقَيْقَةُ :

بشَيْبةِ الحَمْدِ أسْقَى اللهُ بَلْدَتَنا ... وقد فَقَدْنا الحَيَا واجْلَوَّذَ المَطَرُ

فَجادَ بالماء جَوْنِيٌّ له سَبَلٌ ... سَحّاً فعاشَتْ به الأنعامُ والشَّجَرُ

مَنّاً مِن اللهِ بالميمونِ طائرُهُ ... وخير مَن بُشِّرتْ يوماً به مُضَرُ

مُبارَكُ الوجهِ يُسْتَسْقَى الغَمامُ به ... مافي الأنامِ له عِدْلٌ ولا خَطَرُ

* * *

أخرجه الخَطّابيُّ [١] وأبو نعيم الحافظ والزمخشريُّ [٢] ، وهو من

---

(١) غريب الحديث ١/٤٣٥ .

(٢) الفائق ٣ / ١٥٩ ــ ١٦٢ ، وانظر أيضاً: طبقات ابن سعد ١ / ٨٩ ، ٩٠ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١ / ٣٦١ ــ ٣٦٥ ، والروض الأنف ١ / ١٧٩ ــ ورواه السهيلي عن أبي سليمان الخطابي ، وشرح نهج البلاغة ٧ / ٢٧٠ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ / ١٢٠ =

حديث المِسْوَر بن مَخْرَمة بن نَوْفَلٍ ، عن أبيه ،ومن حديث عمرو بن مُضَرِّسٍ ، عن مَخْرَمَة ، قال : حدثتني أُمِّي رُقَيْقَة [١] .

شرحه

رُقَيْقَة : هي بنت أبي صَيْفيّ بن هاشم بن عبد مناف . ويُشبه أن تكون تصغير الرَّقَّة ،وهي كلُّ أرضٍ إلى جَنْب وادٍ ، يَنْبسَط عليها الماءُ أيَّامَ المَدّ ،ثم يَنْضُب ، فتكون مَكْرُمَةً للنَّبات .

واللِّدَةُ : مصدر وَلَدَ لِدَةً ،كالعِدةَ والزِّنَة ، مِن وعَد ووزَن . أي أنها كانت في سِنّ عبد المطَّلب بن هاشم ، ومن أقرانه ، لاتِّفاق ولادتهما ، وكان عبد المطَّلب عَمَّها .

والجَدْب : القَحْطُ .

والأصل في سِنُو : سِنُون ، فحذَف النّونَ لإضافتها إلى الجَدْب ، وهو من الجموع الشَّاذَّة ، كثِبُون وقِلُون ، في جمع ثُبةٍ وقُلَةٍ ، لأن الجمع بالواو والنون لايُجْمَع به إلا المذكّر العَلَمُ العاقل .

وأقْحَلَتْ : أي أيْبَسَت الأرضَ فلم تَدَعْ فيها نباتاً ، والضَّرْعَ فلم تَدعْ فيه لَبَناً ، يقال : قَحَلَ يَقْحَلُ [٢] قُحُولاً ، وقَحِلَ يَقْحَلُ قَحَلاً .

= ١٢٢ ، وأسد الغابة ٧ / ١١١ — ١١٣ — والإصابة ٨ / ٨١ ، ٨٢ ،وانظر أيضاً ٦ / ٧٠ (ترجمة مخرمة بن نوفل) ومجمع الزوائد ٨ / ٢١٩ (باب في كرامة أصله ﷺ . من كتاب علامات النبوة) ، وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ١ / ٢٣٩ ، والخصائص الكبرى ١ / ١٩٨ — ٢٠٠ ، وبلاغات النساء ص ٥١ ، والداعى إلى الإسلام ص ٤٥٦ .

(١) حكى عز الدين بن الأثير بعد إيراده هذا الحديث — في الموضع المذكور من أسد الغابة — عن الحافظ أبي موسى المديني الأصبهاني ، قوله : هذا حديث حسنٌ عال .

(٢) ضبطت الحاء في الأصل بالكسر ، وهو خطأ ، صوابه الفتح ، وقد حررت هذا الفعل من قبل في حديث الاستسقاء .

ويروى : « أقْحَلت الظِّلْفَ » وهو للشَّاءِ كالحافِرِ للفَرَس ، وتُريد ذاتَ الظِّلْف ، أي أن السِّنينَ المُجْدِبة هَزَلت [١] الماشيةَ ، وألصقَتْ جُلودَها بعِظامها ، ورِقَّةُ العظمِ دليلٌ على الضَّعف .

ويُرْوَى : «وأفْنَت العَظْمَ » أي أذابَتْه .

والرُّقُود : النَّومُ [٢] المُسْتحِكم المُمْتدُّ .

والتَّهْويم : النَّومُ الخفيف ، يقال : هَوَّم وتَهوَّم ، وكأنه من الهامة : الرأس . أي حَرَّك رأسَه من النُّعاس .

والصِّبْوة : الأولادُ الصِّغار ، جمع صبيٍّ ، على الأصل ، فإن ألفَه واوٌ ، والجمع المعروف فيه : صِبْيَةٌ [٣] وصِبْيانٌ .

والهاتِف : الصائح ، وأكثر مايُطلَق على مَن لايُرَى شَخصُه .

والصَّيِّت : العالي الصَّوت ، وهو فَيْعِلٌ مِن صاتَ يَصُوتُ صَوتاً ، ويقال فيه أيضاً : صائتٌ .

والصُّراخُ : عُلُوُّ الصَّوْت .

والصَّحِلُ : الذي في صوته [٤] بُحَّةٌ تُذْهِبُ حِدَّتَه ، وهو مُسْتَلَذٌّ في السَّمْع ، وقد صَحِلَ [٥] يَصْحَلُ صَحَلاً .

---

(١) يقال : هزَلتُ الدابةَ أهْزِلها — من باب ضرب — هزلاً ، بضم الهاء وسكون الزاى ، بوزن قفل ، كما في المصباح .

(٢) في الفائق : النوم بالليل .

(٣) وجاء في الحديث « أن النبي ﷺ رأى حُسَيْناً يلعب مع صِبْوة في السِّكَّة » . وحكى الهروي عن أبي بكر بن الأنباري ، قال : « الصبوة والصبية لغتان معناهما واحد ، بمنزلة عنوان وعنيان ، والفتوت والفتيت » الغريبين (صبو) .

وقال المصنف في النهاية (صبا) : الصِّبْوة والصبية : « جمع صبي ، والواو القياس ، وإن كانت الياء أكثر استعمالاً » . وانظر الفائق ٢ / ٢٨٢

(٤) راجع ماسبق في حديث أم معبد .

(٥) من باب فرح ، على مافي القاموس .

واقْشَعَرَّ الجِلْدُ : إذا ارْتَعَد وقام شَعَرُه ، كالذي يَعْرِض له عند مُفاجأة البرد . والمَعْشَر : الأهلُ والأقارب ، وجَماعة العَشيرة .

وأظَلَّتْكم أيّامُه : أي أشرفَتْ عليكم وحاذَتْكم ، كأنها ألقَتْ عليهم ظِلَّها .

وإبَّانُ نُجُومِه : وقتُ ظُهورِهِ . وإبَّانُ : فِعْلانُ من أَبَّ الشيءُ : إذا تَهيَّأ .

ونَجَم النَّبتُ يَنْجُم [١] : إذا طَلَع وظَهَر .

وحَيَّ هَلاً : كلمةٌ مُرَكَّبَة من كلمتين ، إحداهما حَيَّ ، ومعناها هَلُمَّ وأَقْبِلْ ، والأُخْرى هَلاً ، وهي حَثٌّ واستعجالٌ ، وتُنَوَّن في الوَصْل ، ويُوقَفُ على الألف مَرَّةً ، وعلى اللام أُخْرَى .

والحَيَا ، مقصوراً : المَطَر ، لأنَّ به حياةَ الأرض .

والخِصْبُ : ضدّ الجَدْب ،وهو مِن أثر المطَر .

وأَلَا : حرف استفتاح وابتداء ، كقوله تعالى [٢] : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

والوَسِيطُ : أَفْضَلُ القومِ ، من الوَسَط ، وقد وَسُطَ وَساطةً .

والعُظَامُ : العَظيمُ القَدْرِ .

والجُسَامُ : العظيم الجِسْمِ .

والطُّوالُ [٣] : الطَّويلُ القامة . وفُعَالٌ أبْلَغُ من فعيل .

---

(١) من باب قعد ، على مافي المصباح .

(٢) سورة يونس ٦٢ .

(٣) انظر الحديث السابق .

والبَضُّ : الرَّقِيق اللَّونِ ، الذي يُؤَثِّر فيه كلُّ شيء .

والعِرْنِينُ : الأَنْفُ ، وقيل : أعلاه .

والشَّمَمُ : ارتفاعُ أَرْنبة الأنف ، مع امتداد القَصَبة .

والأهداب : شَعَرُ أجفان العين .

والوَطَفُ : طُولُها .

وسَهْلُ الخَدَّين : طويلُهما غير ناتئهما .

والكَظْمُ : الكَتْم والإمساكُ على الشيء . تريد أنه من ذوي الفخر والشَّرف ، وهو يُخفِي حَسَبه ولايَتَبَجَّح به .

والسُنَّة : الطريقة [1] الواضحة . أي أن سَجِيَّتَه وسيرتَه الجميلة تَهْدي الناسَ إليه ، وتجمعهم عليه .

وقولها : « ألا فَلْيَخْلُصْ هو ووَلَدُه » أي فليتميَّزوا ، ولْيَنْفردوا من الناس ، ومنه قوله تعالى [2] : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً ﴾ .

ولْيَدْلِفْ إليه : أي يُقْبلْ نحوَه ، يقال : دَلَفت الكتيبةُ في الحرب : إذا تقدَّمتْ ،والدَّليفُ : المَشْيُ المُتأنِّي ، والتقدُّمُ في رِفْق .

والبَطْنُ : مادُونَ القَبيلة ، وفوق الفَخِذ من العَشيرة .

والشَّنُّ ، بالشين المعجمة : صَبُّ الماءِ على الرأس والبَدَن متفرِّقاً ،ومنه شَنُّ الغارةِ : إذا أخذَتْهم مِن نواحيهم ، وبالسِّين المهملة : صَبُّه عليه غيرَ متفرِّق .

واسْتِلامُ الرُّكْن : لَمْسُه باليد وتقبيلُه ، وهو افتعالٌ من السَّلامِ :

---

(١) ويمكن أن تُفسَّر « السُّنَّة » هنا أيضًا بأنها الصُّورة وما أقبل عليك من الوجه . النهاية ٢/٤١٣ .

(٢) الآية الثمانون من سورة يوسف .

التحيّة ، أو من السِّلامِ (١) : الحِجارة . وتريد رُكنَ البيت الأسودَ .

والعَتيقُ : القديمُ من كلِّ شيء ، والعَتيقُ أيضاً : الكريمُ الخِيارُ من كلِّ شيءَ .

وإنما أمرتْهم بهذه الأشياء من الغُسْل ومَسِّ الطِّيب ، واستلامِ الرّكْن ،والطَّوافِ بالبيت ، ليُقدِّموا الطَّهارةَ والطِّيبَ ، ثم يُتْبِعوها بالعبادة ، ثم يُرْدِفُوهما بالمسألة وطَلَب الرحمة ، ليكونَ أدْعَى إلى القَبُول والإجابة .

واللِّدَاتُ : جمعُ لِدَةٍ . تعني أن مولدَه ومولدَ من مضَى من آبائه موصوفٌ (٢) بالطُّهْر والطِّيب .

وقيل : أراد باللِّدات : الأقرانَ والأترابَ ،ويكون ذِكْرُ اللِّدات أسلوباً من أساليب بلاغتهم في كلامهم ، لتثبيت الصفة وتمكينها ، لأنه إذا جُعل من أقرانٍ وأترابٍ ذوي طيبٍ وطهارةٍ ، كان ذلك أثبتَ لطِيبه وطهارته ، وأدَلَّ على شرفه ، كقولهم : مِثْلُك جَوادٌ ، ومِثْلُك يُعطى من غير مسألة .

والاستسقاء : طَلَبُ السُّقْيا مِن الله تعالى .

ويُؤمِّن : مِن التَّأْمين ،وهو أن يقول عَقِيبَ الدُّعاء : آمين ، وفيها لغتان : المَدُّ والقَصْر ،والمَدُّ أفصحُهما (٣) . .

---

(١) هذا بكسر السين ، بوزن كتاب ، والمفرد « سلمة » بفتح السين وكسر اللام ، بوزن كلمة ، على مافي المصباح .

(٢) في الأصل : « موصوفة » . وأثبته بالتذكير من الفائق .

(٣) قال في النهاية (أمن) : « وهو اسم مبني على الفتح ، ومعناه : اللهم استجب لي . وقيل : معناه كذلك فليكن ، يعني الدعاء » . وانظر الغريبين ١ / ٩٣ .

وقولها : « أَلَا فغِثْتُم إذاً ماشئِتم » أي مُطِرْتُم ،وهي بكسر الغين ، وقد تُضَمّ ،لأنها فعلٌ لم يُسَمَّ فاعِلُه ، وأصلُها : غُيِثْنا ، فلما استُثْقلت الضمةُ قبل الياء المكسورة حُذفت الياء ، ونُقِلتْ كسرتُها إلى الغين لتدُلَّ عليها ، يقال : غاثَ اللهُ الأرضَ يَغيثُها غَيْثاً ، وأرضٌ مَغِيثةٌ ومَغْيوثَةٌ ، ومَن ضمَّ الغينَ في « غُثْنا » حَذفَ الياءَ مع الكسرة ، وأبقى الغينَ على ضّمتها

قال الأصمعيّ (١) : أخبرني أبو عمرو بن العلاء ، قال : قال لي ذُو الرُّمَّة : مارأيتُ أفصحَ من أَمَة بني فُلانٍ ! قلتُ لها : كيف كان مَطَرُكم ؟ فقالت : غِثْناً ماشِئْنا : أي مُطِرْنا مَطَراً بقدر طَلَبِنا وحاجتنا ، مُوافِقاً لاختيارنا ، غيرَ مُسرِفٍ يُؤذى ،ولا قليلٍ يُمْحِلُ .

وعَلِمَ اللهُ : من ألفاظ القَسَم المؤَكِّدِ بها .

والذُّعْر : الخوفُ والفَزَع .

وقَفَّ الجِلدُ : إذا تقبَّض وارْتَعد .

والوَلَهُ : الحيرةُ والدَّهَشُ ، وذَهابُ العقل ، وقد وَلِهَ (٢) يَوْلَهُ .

والشِّعابُ : الأوديةُ والأزقَّة فيه .

والحُرْمةُ : حُرْمة البيت . والحَرَم : حَرَم مكة .

والأَبْطَحيُّ : منسوبٌ إلى أَبْطَح (٣) مكة ، وهو ظاهِرُها ، وهم سُكَّانُها من قريشٍ وأهلُها .

---

(١) راجع إصلاح المنطق ص ٢٥٥ . وغريب الحديث للخطابي ٤٣٩/١.

(٢) من باب تعب ،وفي لغة قليلة : وله يله ، من باب وعد . أفاده في المصباح .

(٣) الأبطح والبطحاء : هو التراب اللين في مسيل الماء . وقيل : إنه مجرى السيل إذا جف واستحجر . ويقال : قريش البطاح ، وهم الذين ينزلون أباطح مكة وبطحاءها ، وقريش الظواهر ، وهم الذين ينزلون ماحول مكة . وأكرمهما قريش البطاح . تهذيب الأسماء واللغات ، الجزء الأول من القسم الثاني ص ٢٨ ، واللسان (بطح) .

وشَيْبة الحَمْد : لَقَب عبد المطّلب ، سُمِّى به لشَيْبة كانت في رأسِه حين وُلِد ،واسمُ عبد المطَّلب : [١] شَيْبَةُ ،وقيل : عامر ،وإنما قيل له عبدُ المطلب ؛ لأنَّ هاشِماً أباه تزوَّج سَلْمَى بنت [٢] زَيْدٍ النَّجّاريَّة ، فولدتْه ، فلما توفّى هاشمٌ وشَبَّ الغلامُ انتزعه عَمُّه المُطَّلب من أُمِّه ، وأردَفَه على راحلته ، وقَدِم به مكة فسأله الناسُ عنه ، فقال : هو عَبْدِى ، حياءً أن يقول لهم : هو ابن أخى ، لرثاثة هيئته ساعَتَئِذ ،فقال الناسُ : أردف المطلبُ عبدَه ، ولَزِمه هذا الاسمُ .

والتَّتامُّ : التَّوافُر والتَّتابُع ،وهو تفاعُلٌ من التَّمام .

ورِجالاتٌ : جمع رِجال ، ورِجالٌ : جمع رجُلٍ ، كجَمَلٍ وجِمال وجِمالات .

والانقِضاض : المجيء ، وأصله النُّزول من عُلْوٍ ،ومنه انقِضاض النَّجم .

وطَفِق يفعل كذا : أي جَعَل وأَخذ .

والدَّفِيف : المَرُّ السَّريع ، وقد دَفَّ يَدِفُّ .

والسَّعْيُ: فوق المشي ، ودونَ العَدْو .

والمَهْلُ بالإسكان : التُّؤَدَة والتَّأنِّي ، ومنه قولهم [٣] : « مَهْلاً ـــ أي تأَنَّ وارْفُقْ ـــ وما مَهْلٌ بِمُغْنِيةٍ عنكَ شيئاً » . أي لايُدرِك إسراعُهم إبطاءَه .

---

(١) راجع الروض الأنف ١ / ٥ .

(٢) في جمهرة الأنساب لابن حزم ص ١٤ : « سلمى بنت عمرو بن زيد » . وانظر الاشتقاق لابن دريد صفحات ٩ ، ٣٤ ، ٤٤١ ، وابن الأثير تبع ماأورده الزمخشري في الفائق .

(٣) انظر إصلاح المنطق ص ٢٩٠ ، والفائق ، الموضع السابق ، والأساس (مهل) .

والمَهَلُ ، بالتحريك : التَّقدُّم ،ومنه قول الأعشى (١) :

إنَّ مَحَلاًّ وإنَّ مُرْتَحَلاً وإنَّ في السَّفْر إذ مَضَوْا مَهَلَا

أي كان يَسْعَى ويَسْعَوْن وهو يَتقدَّمُهم .

وقيل : المَهْلُ سواءٌ ، في كِلا الأمرين .

وذِرْوَةُ الجَبَل : أعلاه .

واسْتَكَفُّوا به : أَحْدَقُوا به وصاروا حَوْلَه ، من الكِفَّة ، بالكسر ،وهي ماكان مستديراً ، مثل كِفَّة المِيزان .

والجَنابُ والجَنابة : الجانِبُ (٢) .

واعْتَضَدَ الرجلُ بالصَّبيّ : إذا أخذ بعَضُدِه ورَفَعَه .

والعاتِق : أعلا الكَتِف إلى صفحة العُنُق .

وأَيْفَع الغلامُ (٣) : إذا شَبَّ وتَرَعْرَع ، وشارَفَ الاحتلامَ ، وهو من نوادِر الأَبْنية ، لأنَّ قِياسَ أيْفَعَ : مُوفعٌ ، لايافِعٌ .

وكَرَب : أي قَرُبَ .

والخَلَّةُ بالفتح : الحاجةُ .

والمُبَخَّل : الذي يُنْسَب إليه (٤) البُخْلُ .

---

(١) ديوانه ص ٢٣٣ ، والبيت من الشواهد النحوية السَّيَّارة ، وانظر المقتضب ٤ / ١٣٠ ، وأمالي ابن الشجري ١ / ٣٢٢ ،ومغنى اللبيب صفحات ٨٢ ، ٢٣٩ ، ٦٠٩ ، ٦٣١ .

(٢) والناحية .

(٣) هكذا جاء في الأصل . ولعل صواب الكلام : « أيفع الغلام فهو يافع » وذلك ليتجه إليه قول المصنف : « وهو من نوادر الأبنية » وعلى هذا جاء الكلام تاماً في النهاية (يفع) وانظر إصلاح المنطق ٢٧٥ ، ٣٦٣ ، وأدب الكاتب ٦١١ ، والمزهر ٢/ ٧٦ ، ٨٢ .

(٤) أو الذي يُنْسَب إلى البخل . جاء في اللسان : وَبخَّله : رماه بالبخل ونسبه إلى البخل .

والعِبِدَّاءُ ، بكسر العين والباء وتشديد الدال والمَدّ والقَصْر : العَبِيدُ ، جَمْع عَبْدٍ ، على غير قياس .

والعَذِراتُ : جمع عَذِرةٍ ، وهي فِناء البيت .

والسَّنَةُ : الجَدْب .

والخُفُّ للبعير : كالحافر للفَرَس ، وأرادَتْ ذوات الخُفِّ .

ومَطَرت السماءُ تَمْطُر ، وأمطَرَها الله ، وقد مُطِرْنا ، وناسٌ يقولون : مَطَرتِ السماءُ وأَمْطَرَتْ .

والمُرْبِعُ : المَطَرُ الدائمُ المقيم ، والمُغْني عن الارتياد لعُمومِه ، فالناس يَرْبَعُون حيث شاءوا ، لا يحتاجون إلى النُّجْعة .

والمُغْدِق : الواسع الكثير .

ومارامُوا : أي مابَرِحُوا ومازالُوا ،وقد رامَ يَرِيمُ : إذا فارَق ، ولايكادُ يستعمل إلّا في النفي . وكَظَّ الوادي واكتَظَّ : إذا امتلأ .

والثَّجيج : الماء المصبوب المُتدفِّق ، فَعِيلٌ بمعنى مفعول .

والشِّيخان ، بالكسر : جمع شَيْخ ، كالضِّيفان جمع ضَيْف .

وجِلَّةُ الناسِ : أكابرُهم ومُقَدَّمُوهم .

وإنما قالوا لعبد المُطَّلب : أبو البطحاء — وهي صحراء مكة ونواحيها — لأنَّ أهلَها عاشوا به ، وباستسقائه ، كما يُقال للمِطعام : أبو الأضياف .

وسَقَى وأَسْقَى بمعنًى ، وقيل : سَقَيْتُه لشَفَتِه ، وأسْقَيْتُه لماشيته وأرْضِه (١) .

---

(١) قال ابن السِّكّيت : « ويقال : أسقيته : إذا جعلت له شرْباً لأرضه . ويقال : سقيته ماء : إذا أعطيته ماء يشربه » . إصلاح المنطق ص ٢٧٠ .

واجْلَوَّذَ المطرُ ، هكذا جاء في الرواية : أي ذَهَب وقَلَّ ، وأصلهُ من اجْلَوَّذَ في السَّيْر : إذا أسرع . وقال الجوهريّ : اجْلَوَّذَ بهم السَّيْرُ اجْلِوَّاذاً ، أي دام مع السُّرعة .

والجَوْنيُّ : منسوبٌ إلى الجَوْن ، وهو الأسود أو الأبيض . يعني مَطَراً جاء من سَحابٍ أسودَ أو أبيضَ .

والسَّبَلُ ، بالتحريك : المُسْبَل ، فَعَلٌ بمعني مُفْعَل ، وقد أسْبَلت السماءُ ، إذا هَطَلَتْ ، والاسم : السَّبَلُ ، بالتحريك .

والسَّحُّ : الدافِق المُتَتابع .

والمَيْمُون طائره : أي المبارك المُقْبِل السَّعيد ، وهو من التَّيَمُّن بالطير السَّانِح ، وَضِدُّه التشاؤم بالطَّير البارح [1] . وتُريد به النبيَّ ﷺ .

والعِدْل : المِثْل والنَّظير ، وقد تُكْسَر عينُه وتُفْتَح .

والخَطَر ، بالتحريك : القَدْر والمَنزِلة ، وهذا خَطَرٌ لهذا وخَطِيرٌ ، أي مِثْلُه في القَدْر . والله أعلم .

---

(١) قال المصنف في النهاية (برح) : السانح مامرَّ من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك إلي يمينك ، والعرب تتيمن به ، لأنه أمكن للرمي والصيد . والبارح : مامرّ من يمينك إلى يسارك ، والعرب تتطير به ، لأنه لايمكنك أن ترميه حتي تنحرف



منال الطالب

في شرح طوال الغرائب

لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد

ابن الأثير

٥٤٤ - ٦٠٦ هـ

الجزء الثاني

في أحاديث الصحابة والتابعين

رضي الله عنهم

تحقيق

الدكتور محمود محمد الطناحي

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث
أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه

حديثٌ أوَّل

قال في خُطْبةٍ له : أمَّا بعدُ ، أيُّها الناسُ ، فقد وَلِيتُ أمرَكم ولست بخيركم ، ولكن قد نَزل القرآنُ ، وسَنَّ النبيُّ صلّي الله عليه وسلّم السُّنَن (١) ، فَعلِمْنا .

اعلَمُوا أنّ أكْيَسَ الكَيْسِ التَّقوي ، وأنّ أحْمقَ الحُمْقِ الفُجُورُ ، إنَّ أقواكم عِندي الضعيفُ حتي آخُذَ له بحَقِّه ، وإنَّ أضعَفَكم عِندي القويُّ حتي آخُذَ منه الحقَّ .

أيُّها الناسُ ، إنما أنا مُتَّبِعٌ ولست بمُبْتَدِع ، فإن أحسنتُ فأعِينُوني ، وإن زُغْتُ فقَوِّمُوني .

ألا إنَّ أشْقَي الناسِ في الدنيا والآخِرة الملوكُ ؛ إذا مَلِك المَلِكُ زَهَّده اللهُ فيما عندَه ، ورَغَّبه فيما عندَ غيره ، وانْتَقصَه شَطْرَ أجلِه ، وأشْرَبَ قَلْبَه الإشفاقَ ، فإذا وجَبَ ، ونَضَب عُمرُه ، وضَحَا ظِلُّه ، حاسَبه اللهُ ، فأشَدَّ حِسابَه ، وأقَلَّ عَفْوَه ، وستَرَوْن بعدي مُلْكاً عَضُوضاً ، وأُمَّةً شَعاعاً ، ودَماً مُفاحاً ، فإن كانت للباطِلِ نَزْوَةٌ ، ولأهلِ الحقِّ جَوْلَةٌ ، يَعْفُو لها الأثَرُ ، وتَموتُ السُّنَنُ ، فالزَمُوا المساجدَ ، واستشِيرُوا القُرآنَ ، ولْيَكُنِ الإبْرامُ بعدَ التَّشاوُر ، والصَّفْقةُ بعدَ طُولِ التَّناظُر .

---

(١) في الموضع الآتي من إعجاز القرآن : « وعلَّمَنا فعَلِمْنا » .

وفي رواية : أين الوُضاةُ الحَسَنَةُ وُجوهُهم ؟ أين الذين كانوا يُعْطُون الغَلَبَةَ في مَواطِنِ الحَرْب ، قد تَصَعْصَع بهم الدَّهرُ ، فأصبحوا في ظُلُمات القُبُور ؟ فَسابِقُوا في مَهَلِ آجالِكم ، قبلَ أن تنقضِيَ آجالُكم فتَرُدَّكم إلي أسوأ أعمالِكم ، الوَحاءَ الوَحاءَ ، النَّجاءَ النَّجاءَ ، إنَّ وراءَكم طالِباً حَثِيثاً مَرُّه [١] سريعٌ .

* * *

أخرجَ القُتَيبيُّ [٢] طَرَفاً مِن وسَطِه ، وأخرج غيرُه باقيه .

شَرْحُه

الصِّدِّيقُ ، بكسر الصاد وتشديد الدَّال : فِعِّيل ، للمُبالغة في الصِّدق ، والذي يكثُر صِدْقُه ، ويَغْلِب عليه . والنبيُّ ﷺ سَمَّي أبا بكرٍ صِدِّيقاً لمَّا صَدَّقه في الرِّسالةِ والإسراء .

وقوله : « أمَّا بَعْدُ » فهي كلمةٌ يُبْتَدأُ بها في أوَّلِ كلِّ مَوْعظةٍ أو خُطْبة ، أو فَصْلٍ ، وتُسَمَّي فَصْلَ الخِطاب .

و « بَعْدُ » مبنيَّةٌ علي الضمّ ؛ لقَطْعها عن الإضافة ، تقديرها : أمَّا بعدَ حَمْدِ الله ، والثَّناءِ عليه ، والصلاةِ علي نبيِّه .

وسواءٌ ذُكِر قَبْلَها الحَمْدُ والثَّناءُ أو لم يُذكر ، فإنه مُرادٌ .

---

(١) في الموضع الآتي من العقد الفريد : « حثيثا مرُّه ، سريعا سيرُه » . وفي تاريخ الطبري : « أجلا مره سريع » .

(٢) غريب الحديث ١/٥٦٦ – ٥٧٠ ، وانظر أيضا : الفائق ٤/٤٣ ، ٤٤ ، وعيون الأخبار ٢/٢٣٤ ، وتاريخ الطبري ٣/٢٢٤ ، والعقد الفريد ٤/٥٩ ، ٦٢ ، وإعجاز القرآن للباقلاني ص ١٣٧ ، ومجمع الأمثال ٢/٤٥١ (الباب الثلاثون) .

وهي نَقِيضَة « قَبْل » في المعني ، ومثلُها في البِناء ، كقوله تعالي : ﴿ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ ﴾ (١) أي مِن قبلِ الأشياءِ وبعدِها .

ولا بُدَّ « لأَمَّا » من جَواب ، ولا بُدَّ في أوَّله من الفاءِ ، تقول : أمَّا بعدُ ؛ فيكون كذا وكذا ، وهي حرفٌ من حروف المعاني ، يُفصَّلُ بها ما أجْمَله المُدَّعِي ، يقول : قام زيدٌ وعمرو ، فيُقال : أمَّا زيدٌ فقامَ ، وأمَّا عمروٌ فلم يقُمْ .

وقوله : « ولستُ بخيرِكم » تواضُعٌ منه ، وكرَمُ نَفْسٍ ، وشَرَفُ سَجِيَّة ، ونُزولٌ عن حَقِّه .

والكَيْسُ : خِلافُ الحُمْق ، والرجُلُ كَيِّسٌ ، وفُلانٌ أكْيَسُ مِن فُلانٍ ، وقد كاسَ يَكِيسُ كَيْساً .

والحُمْقُ، والحُمُقُ : قِلَّةُ العَقْلِ ، وقد حَمُقَ ، بالضمّ ، حَماقةً ، فهو أحْمَقُ ، وحَمِقَ ، بالكسر ، حُمْقاً ، فهو حَمِقٌ .

والتَّقْوَي : فَعْلَي من الاتّقاء ، وهو الحَذَرُ ، والعملُ بطاعةِ الله ، واجتنابُ (٢) مَحارِمِه ، وأصلُه من الوِقاية ، وهي ما يَصُون الإنسانُ به نَفْسَه من الأذي .

والفُجُورُ في الأصل : المَيْلُ عن الواجب ، والعُدولُ عن الحَق ، ثم استُعمِل في كلِّ معصيةٍ وذَنْبٍ ، من الأقوالِ والأفعال .

---

(١) الآية الرابعة من سورة الروم .

(٢) ضبط في الأصل بكسر الباء ، ورفعه بالعطف علي « العمل » أولي .

وقوله : « إنَّما أنا مُتَّبعٌ » يُريد اتِّباعَه للنبيِّ ﷺ ، في قَبُولِ أوامِرِه ونَواهِيه .

والمُبْتَدِعُ : صاحبُ البِدْعة ، وهي إحْداثُ مالم يكُن ، والمرادُ به في الشَّرْع ما يُخالِف أصولَ الشَّريعة ، ولا يُوافِق السُّنَّةَ .

والمُبتدِعُ في الأصل : هو الذي يَفْعل الشيء مُبْتدئاً علي غير مِثال ، وأكثَرُ ما يُستعَملُ في الذَّمِّ والشَّرّ ، وقد يُطْلَق علي المدح والخير ، إذا كان لها في الشَّريعةِ أصلٌ يقاسُ عليه ، ومنه حديثُ عمرَ ، في صلاة التَّراويح : « نِعْمَت البِدْعَةُ هذه » (١) .

والزَّيْغُ : المَيْلُ ، ويُريدُ المَيْلَ عن الحَقِّ .

وشَطْرُ كلِّ شيءٍ : نِصْفُه .

والإشْرابُ : الإسْقاءُ ، وحقيقتُه أنه حَمْلهُ علي الشُّرْب .

والإشْفاقُ : الخوفُ ، يقال : أشْفَقْتُ أُشْفِقُ إشفاقاً ، ويقال : شَفِقْتُ أَشْفَقُ شَفَقاً .

وقوله : « إذا وجَبَ » يُرِيدُ : ماتَ ، وأصلُ الوُجوبِ : السُّقُوط (٢) ، ووجَبَت الشَّمْسُ : إذا غَرَبَتْ ، وغُروُبها : عَدَمُها عن الإبصار .

ونَضَبَ عُمْرُه : أي نَفِدَ ، وهو مِن نَضَبَ الماءُ : إذا غارَ ، وذَهَبَ في الأرض .

---

(١) أورد المصنف ، رحمه الله ، علي هذا الحديث ، كلاما جيدا ، في النهاية ١/١٠٦ ، ١٠٧

(٢) ومنه قوله تعالي : (فإذا وجبت جنوبها) سورة الحج ٣٦ ، راجع غريب الحديث لابن قتيبة . الموضع السابق .

وضَحَا ظِلُّه : أى صارَ شَمْساً ، يقال : ضَحَي الرجلُ ، وضَحِيَ يَضْحَي ، فيهما : إذا بَرَز للشَّمس ، وكَنَي به عن الموت ؛ لأن الظِّلَّ إذا صار شَمْساً ، فقد ذهب صاحبُه ، وهو من أحسن الاستعارات .

والمُلْك العَضُوضُ : الشَّديدُ العَسُوفُ الظَّلُومُ ، كأنه يَعَضُّ الناسَ عَضًّا .

والأُمَّةُ : الجماعةُ الكثيرةُ (١) من الناس .

والشَّعاعُ ، بالفتح : التَّفَرُّق ، يقال : ذهبتْ نَفْسي شَعاعاً : إذا انْتَشَرت . يُريدُ تَفرُّقَ الأُمَّةِ واختلافَها .

والدَّمُ المُفاحُ : السائلُ الجارِي ، يقال : فاحَ الدَّمُ يَفِيحُ فَيْحاً ، وأفَحْتُه أنا ، وأرادَ به القَتْل الذَّريعَ ، الفاشِيَ بكلِّ مكان .

والنَّزْوَةُ : المَرَّةُ من النَّزْوِ : الوُثُوبِ ، وقد نَزَا يَنْزُو نَزْواً ، ونَزَواناً .

والجَوْلَةُ : المَرَّةُ من الجَوَلان في البلادِ ؛ قَطْعِها والسَّيْرِ فيها . يريدُ أنهم لا يستقرُّون علي أمرٍ يَعْرفونه ، ويطمئنُّون إليه ، فهم مُتَحيِّرون .

وقوله : « يعفُو لها الأَثَرُ » أي يَدْرُس ويَمَّحِي .

ومَوْتُ السُّنَن : كِنايةٌ عن إبْطالِها ، وتَرْكِ العملِ بها .

وأراد بمُشاوَرَة القرآنِ : مُراجعتَه ، والوُقوفَ عندَ أحكامِه .

---

(١) راجع حديث قس بن ساعدة ، وحديث كتاب قريش والأنصار

وإبْرامُ الأمرِ : إنْفاذُه بعدَ إحكامِه ، يقال : أبْرَمْتُ الأمْرَ : إذا أحكمتَه ، وأصلُه من فَتْل الحَبْلِ ، إذا جُمِع بينَ حَبْلَين مَفْتُولَيْن ، ففُتِلا حَبْلاً واحداً .

والصَّفْقَة : المَرَّةُ من الصَّفْق باليدَيْن ، ثم استُعير للبَيْعَة علي الخِلافة والإمارة ونحوِهما ، وللبيعِ والشِّراءِ ، وذلك أنَّ مِن شأْن المُتعاهِدين والمُتبايِعين أن يضَعَ كلُّ واحدٍ منهم يدَه في يد الآخَرِ عند العَهْد والعَقْد ، ومنه قولهم : أتَتِ الخليفةَ صَفْقةُ الناسِ : أي بَيْعَتُهم . ورَبِحَتْ صَفْقَتُك : أي بَيْعُك وشِراؤُك .

والتَّناظُر : تَفاعُلٌ من النَّظَر ، ويريدُ به الرأيَ ، استعارةً من نَظَرِ العينِ ، كما استُعيرت له الرُّؤيةُ .

والوُضاةُ : جَمْع وَضيءٍ ، من الوَضاءةِ : الحُسْنِ والنَّظافةِ ، يُقال : وَضُؤَ الرَّجلُ وَضاءةً ، فهو وَضيءٌ ، ومثلُه في الجَمْع : كَمِيٌّ وكُماةٌ ، وسَرِيٌّ وسُراةٌ ، وهذا الجَمْعُ غريبٌ قليلٌ ، وهو علي تقدير حذْفِ الزِّيادة ، قال الجوهريُّ في كُماةٍ : كأنَّه جَمْعُ كامٍ [1] .

وتَصَعْصَع ، بالصّاد المهملة : أي تَبَدَّدَ وتفرَّقَ ، ويروي بالضّاد المعجَمة ، وهو الخُضوعُ والذُّلُّ . والضَّعْضَعةُ : الهَدْمُ إلي الأرضِ .

والمَهْلُ ، بالسُّكون : السَّكِينةُ والوَقارُ . والمَهَلُ ، بالتحريك : التَّقدُّمُ ، وقيل : هما بالعَكْس ، وقيل : هما بِمعنيً .

---

(١) عبارة الجوهري في الصحاح (كمي) : « والكميّ : الشجاع ... والجمع : الكماة ، كأنهم جمعوا كامٍ ، مثل قاضٍ وقضاة » .

والوَحاءُ : العَجَلةُ والإسراعُ ، ويُمَدُّ ويُقْصَرُ . يقال : تَوَحَّيْتُ تَوحِّيًا ، وتَوَحَّ يا هذا : أي أَسْرِعْ .

والنَّجاءُ : الخَلاصُ ، يقال : نَجَا مِن الشَّرِّ ، يَنْجُو ، نَجاءً ، بالمدِّ ، ونَجاةً ، بالقَصْر ، وتكرير « الوَحا والنَّجا » للتأكيد .

والحَثِيثُ : السَّرِيعُ ، يقال : وَلَّي فُلانٌ حَثِيثاً : أي مُسْرِعاً حَرِيصاً .

حديثٌ آخرُ
لأبي بكرٍ رضي الله عنه

دَخَل عبدُ الرحمن بن عَوْف ، علَي أبي بكرٍ الصِّدِّيق ، في عِلَّته التي ماتَ فيها ، فأصابَه مُفِيقاً ، فقال له : أراك بارِئاً يا خليفةَ رسولِ الله .

فقال : أما إنِّي علي ذلك لَشَدِيدُ الوَجَع ، ولَمَا لقيتُ منكم يا معشرَ المهاجِرين الأَوَّلِين ، أشَدُّ عليَّ مِن وَجَعِي .

إنِّي ولَّيتُ أُمورَكم خيرَكم في نَفْسِي ، فكُلُّكم وَرِمَ من ذلك أَنْفُه ؛ يريدُ أن يكونَ له الأمرُ دُونَه . ورأيتُم الدُّنيا قد أقبلَتْ ، ولَمَّا تُقْبلْ ، ولَهِيَ مُقْبِلةٌ . واللهِ لَتَتَّخِذُنَّ نَضائدَ الدِّيباج ، وسُتُورَ الحرير ، ولَتَأْلَمُنَّ النَّومَ علَي الصُّوفِ الأَذْرَبِيّ ، كما يَأْلَمُ أحدُكم النَّومَ علي حَسَكِ السَّعْدان .

والذي نَفْسِي بيدِهِ ؛ لَأَنْ يُقَدَّمَ أحَدُكم ، فتُضْرَبَ رَقَبتُه في غيرِ حَدٍّ ، خَيرٌ له من أن يَخُوضَ غَمَراتِ الدُّنيا ، وأنتم أَوَّلُ ضالٍّ بالنَّاسِ غدًا ، يا هادِيَ الطَّرِيقِ جُرْتَ ، إنما هو الفَجْرُ أو البَحْرُ .

فقال له عبدُ الرحمن : خَفِّضْ عليك يا خليفةَ رسولِ الله ، فإنَّ هذا يَهِيضُكَ إلي ما بِك .

وفي روايةٍ أُخري : إنَّ فُلاناً دخَل عليه ، فنالَ مِن عُمَرَ ، وقال له : استَخْلَفْتَ علينا عُمرَ ، وقد عَتَا علينا ولا سُلْطانَ له ، فلو ملكَنا كان أَعْتَي وأَعْتَي ، فكيف تقولُ للهِ إذا لقيتَه ؟

فقال أبو بكر : أَجْلِسُونِي ، فأَجْلَسُوه ، فقال : أبا للهِ تُفرِقُنِي ؟ خابَ مَن تَزَوَّدَ مِن أمرِكم بظُلْم ، أقول : اللهُمّ ؛ استَخْلَفْتُ عليهم خيرَ أهلِك . أَبلِغْ عنِّي ما قلتُ لك مَن وراءَك ، ثم اضطَجَع .

فقال : لو استَخْلفْتَ فُلاناً !

فقال : لو فعلتُ ذلك ، لجَعلْتَ أنْفَكَ في قَفاك ، ولَمَا أَخَذْتَ مِن أهلِك حقًّا .

أخرجه الخَطّابيُّ (١) بإسناده ، مُفَرَّقًا ، وأخرجه الزمخشريُّ (٢) بعده ، وقد أخرجه محمد بن سعد ، في الطبقات (٣) .

شَرْحه

أفاقَ المريضُ يُفيقُ إفاقَةً ، واسْتَفاق استفاقةً : إذا خَفَّ مِن مرضِه ، ورجَعَتْ إليه نَفْسُه .

وبَرِيءَ المريضُ من المرضِ ، وبَرَأ بُرْءاً وبَرْءاً ، فهو بارِيءٌ : إذا أبَلَّ من المرضِ ، فالفتح لأهل الحِجاز ، والكَسْرُ لغيرهم ، وأصلُه من البُعْد ، كأنّ المرضَ تَباعَدَ منه ، ومنه قولُهم : بَرِئْتُ مِن الدَّين بَراءةً .

و « أَمَا » بالتخفيف : حَرْفٌ من حُروف المعاني ، يُستَفْتَح به الكلامُ ، مثل « أَلاَ » .

---

(١) غريب الحديث ٣٧/٢ ، ٣٨ .

(٢) الفائق ٩٩/١ ، ١٠٠

(٣) أخرج ابن سعد جزءا يسيرا من الحديث ، في الطبقات ١٩٩/٣ ، ٢٠٠ ، وانظره في الكامل للمبرد ٦/١ ، ٧ وتاريخ الطبري ٤٢٩/٣ ، ٤٣٠ ، وإعجاز القرآن للباقلاني ص ١٣٨ . وأكثر تعويل الناس في هذه الخطبة على كامل المبرد .

واللام في « لَمَا لَقِيتُ » للتأكيد ، و « ما » بمعني الذي .

وأراد بالمهاجِرين الأَوَّلين : الذين سبَقُوا بالهجرة إلي المدينة ، لأنهم كانوا أصحابَ التَّقدُّم والوَجاهة بينَ الصحابة ، وكلٌّ منهم كان يَرُومُ التقدُّمَ لِسَبْقِه .

ووَرَمُ الأنفِ : كنايةٌ عن إفراطِ الغَيْظ ؛ لأنه من تَوابِعه وآثارِه ، وأبدَاً تَري الشَّديدَ الغَيظِ يَرْبُو أَنْفُه ، ويَنتفخُ مَنْخِراه ، كأنهم اغْتاظُوا وأَنِفُوا من استخلافِه عُمَرَ عليهم ؛ ولهذا قال : « كُلّكم يريدُ أن يكونَ الأمرُ له » .

وأرادَ بإقبالِ الدُّنيا عليهم : ما فُتِح لهم منها في خِلافتِه ، واتَّسَعَ .

وقوله : « ولمّا تُقْبِلْ وهي مُقْبِلةٌ » : أي ما جاءكم منها يَسيرٌ قليلٌ ، في جَنْب ما يجيئكم منها فيما بعدُ .

و « لَمَّا » حرفُ جزمٍ بمعني « لم » إلاّ أنها تَختصّ بنفي قولك : « قَدْ فَعَل » ، فتقول : « لَمَّا يَفْعَلْ » .

و « لم » جوابُ « فَعَلَ » بغير « قد » ، فتقول : « لم يَفعَلْ » ، فزادوا فيها : « ما » بإزاء « قد » ، فتضمَّنتْ بذلك معني التَّوقُّع والانتظار ، كأنك تتوقَّع وتنتظر حُصولَ المَنْفيِّ بها ، تقول : « نَدِمتُ ولم ينفعْني النَّدَمُ » أي عَقِيبَ ندَمِي ، فإذا قلت : « ولمَّا ينفعْني النَّدَمُ » أردتَ به امتدادَ النَّدَمِ ، أي لم ينفعْني إلي وقتي هذا ، مع توقُّع المَنْفِيّ .

والنَّضائدُ : الوَسائدُ والفُرُشُ ، الواحدة : نَضِيدَةٌ ، يقال : نَضَدْتُ المتاعَ أنْضِدُه [١] نَضْدًا : إذا وضعتَ بعضَه فوقَ بعضٍ ، والتَّنْضيدُ مِثْلُه ، شُدِّدَ للمبالغة .

والدِّيباجُ : ثيابُ الإبْرِيسَم ، وهو فارسيٌّ معرَّب ، ويُتَّخَذُ منه اللِّباسُ ، ويُقَطَّعُ وَسائِدَ وفُرُشاً .

والحَريرُ : الإبْرِيسَمُ أيضاً .

ولَتَأْلَمُنَّ : من الألَمِ : الوَجَع ، وقد أَلِمَ يَأْلَمُ أَلَماً ، وآلَمَهُ المَرَضُ يُؤْلِمُه .

والأَذْرَبِيُّ : مَنْسوبٌ إلي أَذْرَبيجانَ ، علي غير قِياس .

ويُرْوَي : « الأَذْرِيُّ » بغير باءٍ ، قيل : وهو الأفصَحُ ، كما يُقال في النَّسَب إلي رامَهُرْمُز : رامِيٌّ ، وهو القِياسُ في النَّسَب إلي الأسماء المُرَكَّبة ؛ أن يُنْسَبَ إلي الأوَّل منها .

ويريُد بالصُّوفِ الأَذْرَبِيِّ : المُتَّخَذ من الوَسائِدِ والفُرُش ، وغيرها ، المعمولة من الصُّوف بأَذْرَبيجانَ ، وهي من أحسنِ ما يُعْمَلُ ، وأنْعَمِه وأَتْرَفِهِ .

والسَّعْدانُ : نَبْتٌ له شَوْكٌ كِبارٌ ، وله حَسَكٌ كثيرُ الشَّوْكِ ، وهي من أَجْوَدِ مَراعِي الإبِلِ .

وقولُه : « في غيرِ حَدٍّ » أي يُقْتَلُ ظُلْماً في غير سَبَبٍ أَوْجَبَ قَتْلَه ، من زِناً ، أو قَطْعِ طريقٍ ، أو قِصاصٍ .

---

(١) من باب ضرب .

وغَمَراتُ الدُّنيا : جمْعُ غَمْرةٍ ، وهي في الأصل : الماءُ الكثيرُ ، الذي يَغْمُرُ ما يقَعُ فيه : أي يَستُرُه ويُغَطِّيه . والمُرادُ بها المَواضِعُ التي تكثُرُ فيها أُمورُ الدُّنيا ومَنافِعُها ، وقد تُطْلَق علي الشَّدائِدِ أيضاً .

والضَّلالُ : ضِدُّ الهُدَي . يريدُ أنّ النّاسَ إذا رأَوْكُم ، وأنتم المُقَدَّمون في الدِّين ، والسَّابقون إلي الإسلام ، وأنتم القُدْوةُ لهم ، وقد مِلْتُم إلي الدُّنيا ورَغِبْتم فيها ؛ تَبِعُوكم ، وعَمِلوا مثل عَمَلِكم ، فضَلُّوا .

والبُجْرُ ، بالضَّمّ والفتح : الدَّاهيةُ ، والأَمْرُ العظيمُ .

والمعني : إن انتظَرْتَ يا هاديَ الطريقِ وسالِكَه ، حتي يُضيءَ لك الفَجْرُ ، أبْصرْتَ الطريقَ ، وإن خَبَطْتَ الظَّلماءَ ، أفْضَتْ بك إلي المكرُوه .

ويُرْوَي : « البَحْرُ » بالحاء ، ويريدُ به غَمَراتِ الدُّنيا ، مَثَّلَها بالبَحْر ، لتَحيُّر أهلِها فيها .

وقوله : « خَفِّضْ عليك » أي هَوِّنِ الأمرَ عليك ، وسَهِّلْه ، من الخَفْضِ : الدَّعَةِ والسُّكُونِ ، وأصلُ الخَفْض : ضِدُّ الرَّفْع .

والهَيْضُ : كَسْرُ العَظْمِ المَجْبُورِ ثانيةً ، يقال : هاضَهُ الأمْرُ يَهِيضُه : إذا كَسَرَه .

يريدُ أنّ ذلكَ يَنكُسُك ، ويُعيُدكَ إلي مَرضِك .

والعُتُوُّ : الشِّدَّةُ والغِلْظَةُ ، والتَّجبُّر ، يُقال : عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا ، فهو عاتٍ .

والفَرَقُ : الخوفُ والفَزَعُ ، وقد فَرِقَ ، بالكسر ، يَفْرَقُ ، وأفْرَقْتُه : إذا خَوَّفتَه .

وقوله : « استَخلَفْتُ عليهم خيرَ أهلِك » يريدُ خيرَ قُريشٍ ، لأنهم كانوا يقولون لقُريشٍ : « هم أهلُ اللهِ » تعظيماً لشأنِهم ، كقولهم : « بيتُ اللهِ » ، وكذلك كلُّ ما يُضافُ إلي اسمِ اللهِ تعالى .

وقوله : « لجَعَلْتَ أنفكَ في قَفاكَ » كنايةٌ عن غايةِ الإعراض عن الشيء ؛ لأنَّ قُصارَي ذلك أن يُقْبلَ بأنْفِه علي ما وراءَه ، فكأنه جَعلَ أنْفَه في قَفاه ، ومنه قولهم للمُنْهزِم : عيناه في قَفاه ؛ لأنه يُكثِرِ الالتفاتَ إلي خَلفِه ، خوفاً من الطَّلَب ، فجعلَه مَثَلاً لإعْراضِه عن الحقِّ ، وإقبالِه علي الباطلِ .

وقيل : أراد : إنَّك تُقْبل بوَجْهِك علي مَن وراءَك من أشياعِك وأقاربك ، فتُؤْثِرُهم ببِرِّك ، وتَخُصُّهم به ، ويدلُّ عليه قولُه : « ولَمَا أخَذْتَ من أهلِك حَقًّا » أي لم تُلْزِمْهم بما يجبُ عليهم من أُمورِ الدِّين ، وحُقوقِ المسلمين .

حديثٌ آخرُ
لأبي بكرٍ رضي اللهُ عنه

قال عليُّ بن أبي طالب : لمَّا أَمَر اللهُ عزَّ وجَلَّ ، رسولَه ﷺ ، أن يَعرِضَ نفسَه علي قَبائل العَرَب ، خَرَج وأنا معه ، وأبو بكر ، حتَّي دُفِعْنا إلي مجلسٍ من مَجالس العَرَب ، فتَقدَّم أبو بكر ، فسلَّم ، وكان مُقَدَّماً في كلِّ خَيرٍ ، وكان رجُلاً نَسَّابةً ، فقال : مِمَّن القَوْمُ ؟

قالوا : مِن رَبيعةَ بنِ نِزارٍ .

قال : ومن أيِّ رَبِيعةَ أنتم ؟ أمِن هامِها ، أم مِن لَهازِمِها ؟

قالوا : بل مِن هامَتِها العُظْمَي .

قال : وأيُّ هامَتِها العُظْمَي أنتم ؟

قالوا : ذُهْلٌ الأكْبَر .

فقال : أمِنْكُم عَوْفُ بن مُحَلِّم ، الذي يُقال له : لا حُرَّ بِوادِي عَوْفٍ ؟

قالوا : لا .

قال : فمِنكُم بِسْطامُ بنُ قَيْس ، أبو القِرَي [١] ، ومُنْتَهَي الأحْياء ؟

قالوا : لا .

قال : فمنكم جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ ، حامي الذِّمار ، ومانِعُ الجار ؟

---

(١) بحاشية الأصل : « اللواء » ، ويأتي في شرح المصنف .

قالوا : لا .

قال : فمنكم الحَوْفَزانُ بنُ شَرِيكٍ ، قاتلُ المُلوك ، وسالِبُها أنْفُسَها ؟

قالوا : لا .

قال : فمنكم المُزْدَلِفُ الحُرُّ ، صاحبُ العِمامةِ الفَرْدةِ ؟

قالوا : لا .

قال : فمنكم أخوالُ الملوكِ مِن كِنْدَةَ ؟

قالوا : لا .

قال : فمنكم أَصْهارُ المُلوكِ مِن لَخْمٍ ؟

قالوا : لا .

قال أبو بكرٍ : فلستُمْ بذُهْلٍ الأكبر ، إنّما أنتم ذُهْلٌ الأصْغَر .

فقام إليه غُلامٌ مِن بني شَيْبانَ ، حين بَقَلَ وَجْهُهُ ، يقال له : دَغْفَلٌ ، فأخذ بزِمامِ ناقةِ أبي بكر ، فقال :

إنَّ علَي سائلِنا أن نَسْأَلَهْ   والعِبْءُ لا تَعْرِفُه أو تَحْمِلَهْ

والحُرُّ لا يَعْرِفُ عَبْدٌ عَمَلَهْ

ثم قال : يا هذا ، إنَّك قد سأَلْتَنا فأخبرناك ، ولم نَكْتُمْكَ شيئاً ، فمِمَّن الرَّجلُ ؟

قال أبو بكر : أنا مِن قُرَيْش .

فقال الغُلام : بَخْ بَخْ ، أهلُ الشَّرَفِ والرِّئاسة ، وأَزِمَّةُ العَرَبِ ، وهادِيها ، فمِن أيِّ القُرَشيِّين أنت ؟

قال : مِن وَلَدِ تَيْم بنِ مُرَّةَ .

فقال الغُلامُ : أَمْكَنْتَ واللهِ الرَّامِيَ مِن سَواء الثُّغْرَة ، فمِنكم قُصَيُّ بنُ كِلابٍ ، الذي جَمَع القبائلَ مِن فِهْرٍ ، وقتل بمَكَّةَ المُتغَلِّبين عليها ، وأجْلَي بقيَّتهم ، وجَمَع قَوْمَه مِن كُلِّ أَوْبٍ ، حتَّي أوْطَنَهم مَكَّةَ ، ثمّ استَوْلَي علي الدَّار ، ونَزَّل قُرَيْشاً مَنازِلَها ، فسَمَّته العَرَبُ بذلك مُجَمِّعاً ، وفيه يقول الشاعرُ (١) ، لبني عبدِ مَنافٍ :

أَلَيْسَ أَبُوكم كان يُدْعَي مُجَمِّعاً   به جَمَعَ اللهُ القبائلَ مِن فِهْرِ

قال أبو بكر : لا .

قال : فمِنكم عبدُ مَنافٍ ، الذي انتَهَتْ إليه الوَصايا ، وأبو الغَطارِيفِ السَّادَة ؟

قال : لا .

قال : فمنكم عمرُو بن عبد مَنافٍ ، هاشِمٌ الذي هَشَم الثَّرِيدَ لقَوْمِه ، وأهلِ مكَّةَ ، والمَوْسِمِ ، وفيه يقول الشاعرُ :

عمرُو العُلَي هَشَمَ الثَّرِيدَ لقومِهِ   ورِجالُ مكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجافُ(٢)

---

(١) اختلف في اسمه ، فقيل : حذافة بن جمح – أو ابن غانم – وقيل : مطرود بن كعب ، وقيل : الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب . وبعضهم أنشد البيت من غير نسبة . راجع الاشتقاق ص ١٥٥ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١٢٦/١ ، والروض الأنف ٨٧/١ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ص ٢٦٠ ، وتاريخ الطبري ٢٥٦/٢ ، والخزانة ٢٠٣/١ ، واللسان (جمع) .

(٢) اختلف في نسبة هذا الشعر ، فقيل : هو لمطرود بن كعب الخزاعي ، وقيل : عبد الله بن الزبعري . =

سَنُّوا إليه الرِّحْلَتَيْنِ كِلَيْهِمَا عندَ الشِّتاءِ ورِحْلَةِ الأَصْيافِ[١]
كانتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فتَفلَّقَتْ فالمُحُّ خالِصُهُ لعَبْدِ مَنافِ[٢]
الرَّائِشِينَ وليس يُعْرَفُ رائِشٌ والقائلينَ هَلُمَّ للأَضْيافِ
والضاربين الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ والمانِعِينَ البِيضَ بالأَسْيافِ
للهِ دَرُّكَ لو نزَلْتَ بِدارِهِمْ مَنَعُوكَ مِن ذُلٍّ ومِن إقْرافِ

= وهذا الشعر مما استفاضت به كتب العربية ، انظر السيرة النبوية ١/١٣٦ ، وشرحها الروض الأنف ١/٩٤ ، وأنساب الأشراف ١/٥٨ ، والمحبر ص ١٦٤ ، والكامل ١/٢٥٢ ، والمقتضب ٢/٣١٢ ، ٣١٦ ، وتاريخ الطبري ٢/٢٥٢ ، ونضرة الإغريض ص ٣٠٤ ، وأمالي المرتضي ٢/٢٦٨ ، والإنصاف ص ٦٦٣ ، وشرح نهج البلاغة ١٥/٢٠٠ ، وطبقات الشافعية الكبري ٤/٤٠٠ ، ٤٠١ ، وفي حواشيها وحواشي المقتضب فضل تخريج . وانظر شعر عبد الله بن الزبعري ، تحقيق الدكتور يحيي الجبوري – في المجلد الرابع والعشرين من مجلة معهد المخطوطات ص ٨٩

وفي البيت الأول إقواء ، كما تري . لكن ابن السبكي أورد في الطبقات رواية تخرجه منه ، قال في الموضع المذكور من الطبقات :

ثم أنت تري البيت ، كيف أورده ابن الصَّلاح : « ورجال مكة مُسْنِتُونَ عجافُ » . ومن خط شيخنا الحافظ الثبت أبي الحجاج المِزِّي نقلته ، والقصيدة مكسورة الفاء فيحتاج حينئذ إلي التَّمحُّل والتأويل ، في كسر الفاء من عجاف ، وهي صفة « لمسنتون » الذي هو خبر « رجال مكة » والناس كذلك ينشدون البيت ، ويستشكلونه ، والذي رأيته فى السيرة ، في أصول معتمدة صحيحة ، ما نصه :

عمرو العلي هشم الثريد لقومه قومٍ بمكّة مسنتين عجافِ

(١) الأصياف ، بالصاد المهملة ، وسيأتي في الشرح .

(٢) المح ، بالحاء المهملة ، وسيأتي في الشرح . ويروي : « خالصه » بالهاء ، و « خالصة » بالتاء ، جاء في اللسان (محح) : « قال ابن بري : من روي « خالصة » بالتاء ، فهو في الأصل مصدر ، كالعافية ، ومنه قوله تعالي : ﴿ إنا أخلصناهم بخالصة ذكري الدار ﴾ فذكري فاعلة بخالصة ، تقديره : بأن خلصت لهم ذكري الدار ، وقد قرئ بالإضافة ، وهي في القراءتين مصدر . ومن روي « خالصه » بالهاء ، فلا إشكال فيه » . =

قال أبو بكر : لا .

قال : فمنكم شَيْبَةُ الحَمْدِ ، عبدُ المُطَّلِب ، مُطْعِمُ طَيْرِ السَّماءِ ، الذي كان وَجْهُه كالقَمر ، يُضِيءُ في اللَّيلة الظَّلْماء ؟

قال : لا .

قال : فمِن أهلِ الإفاضَةِ بالنَّاسِ أنتَ ؟

قال : لا .

قال : فمِن أهلِ النَّدْوَةِ أنتَ ؟

قال : لا .

قال : فمِن أهلِ السِّقايةِ أنت ؟

قال : لا .

قال : فمِن أهلِ الرِّفادَةِ أنتَ ؟

قال : لا .

قال : فمِن أهلِ الحِجابَةِ أنتَ ؟

قال : لا .

فاجْتَذَبَ أبو بكرٍ زِمامَ النَّاقةِ ، ورَجَعَ ، فقال الغُلامُ :

صادَفَ دَرْءَ السَّيْلِ سَيْلٌ يَرْدَعُهْ   يَهِيضُهُ حِيناً وحيناً يَصْدَعُهْ

أَمَا واللهِ لوثَبَتَّ يا أخا قُرَيْشٍ لَخَبَّرْتُك أَنَّك مِن زَمَعاتِ قُرَيْشٍ ، ولستَ من الذَّوائِبِ .

= هذا وقد رأيت بيتاً لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، شبيها بهذا البيت ، بل هو لا يختلف عنه إلا في القافية ، وذلك قوله :

كانت قريش بيضة فتفلقت   فالمح خالصه لعبد الدار

وبعده ثلاثة أبيات . راجع ديوان حسان ص ٢٩١ ، وانظر الأضداد لابن الأنباري ص ٧٨

فتبَسَّم رسولُ اللهِ ﷺ .

قال عليٌّ : فقلتُ : يا أبا بكرٍ ، لقد وقَعْتَ من الأَعرابيّ علي باقِعَةٍ . فقال : أجَلْ يا أبا حَسَنٍ ، ما مِن طامَّةٍ إلاَّ وفَوْقَها طامَّةٌ ، والبَلاءُ مُوَكَّلٌ بالمَنْطَقِ .

وفي رِواية : أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذلك لأبي بكرٍ ، لا عليٌّ .

وفي الحديثِ طولٌ ، لكنَّه خالٍ مِن الغَرِيب .

* * *

وهو حديثٌ معروفٌ ، مشهورٌ بينَ العلماء ، مُخَرَّجٌ في كُتُبِهم ، تَنْتهِي رِوايتُه إلي عِكْرِمَةَ ، مَوْلَي ابنِ عبّاس ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، عن عليّ بن أبي طالب .

وأخرجه الخَطّابيّ [١] ، والزَّمخشريُّ ، في غَرِيبِهما ، مُخْتَصَرًا [٢] .

شرحه

القَبائلُ : جَمْع قَبيلةٍ ، وهم القَومُ يَجمَعُهم أبٌ واحدٌ من العَرَب . قال أبو عبيد : أوَّلُهم الشِّعْبُ ، ثمّ القَبيلةُ ، ثم الفَصِيلةُ ، ثم العِمارَةُ ، ثمّ البَطْنُ ، ثمّ الفَخِذُ . وفي هذا الترتيب خِلافٌ بين العلماء .

---

(١) غريب الحديث ٢٠/٢ .

(٢) الفائق ٤٢٣/٣ - ٤٢٥ ، والحديث أورده أبو هلال العسكري ، ورواه عن خاله أبي أحمد العسكري ، بسنده إلي عكرمة عن ابن عباس ، رضي الله عنهما . راجع جمهرة الأمثال ٤١٣/٢ - ٤١٥ ، في شرح مورد المثل « لا طامة إلاّ وفوقها طامة » . وذكره الميداني في مجمع الأمثال ١٧/١ ، ١٨ ، في شرح مورد المثل : « إنَّ البلاء موكل بالمنطق » . وانظر أيضا العقد الفريد ٣٢٦/٣ ، ٣٢٧ ، واختيار الممتع ص ٢٠٦ .

والنَّسَّابةُ : العالِمُ بأنساب العربِ ، الخَبيرُ ، المُتَناهِي في معرفتِها ، والتَّاءُ فيها للمُبالغة ، لا للتأنيث ، وفَعَّالٌ : من أبنيةِ المبالغة .

والهامُ : جَمْعُ هامةٍ ، وهي الرَّأْسُ ، ثم استُعير للسَّيِّد ، وهامةُ القَوْمِ : سَيِّدُهم .

واللَّهازِمُ : أُصولُ الحَنَكَيْن ، الواحِدة : لِهْزِمَةٌ ، بالكسر ، وقيل : هما عَظْمانِ ناتئانِ في اللَّحْيَيْن ، تحتَ الأُذُنَيْن .

يُريد : أَمِن أشرافِها أنتَ وساداتِها ، أم مِن أوساطِها ؟

والعَربُ تُشبِّه النَّسَبَ بالجَسَد ، فتُعبِّر عنه بالأعضاء ، كالبَطْن ، والفَخِذ ، ونحوِهما .

ويقول النَّسَّابُون : إنَّ بَكْرَ بنَ وائلٍ علي جِذْمَيْن ، أي أَصْلَيْن ، جِذْمٌ يُقال له : الذُّهْلانِ ، وجِذْمٌ يُقال له : اللَّهازِمُ ، فالذُّهْلان : بنو شَيْبانِ بنِ ثَعْلَبَةَ ، وبنو ذُهْلِ بن ثعْلبَةَ .

واللَّهازِمُ : بنو قيسِ بنِ ثَعْلَبَةَ ، وبنو تَيْم اللَّاتِ بن ثَعْلَبَةَ ، قال الفرزدق [١] :

وأَرْضَي بُحكْمِ الحَيِّ بكْرِ بنِ وائلٍ إذا كان في الذُّهْلَيْنِ أو في اللَّهازِمِ

وذُهْلٌ الأكبر : هم ذُهْلُ بن ثَعْلبَةَ .

وذُهْلٌ الأصغر : هم ذُهْلُ بن شَيبانَ بن ثَعْلَبَةَ .

---

(١) المصنف ، رحمه الله ، يتابع الزمخشري في نسبة البيت للفرزدق ، ولم أجده في ديوانه المطبوع ، ثم وجدته لجرير ، في ديوانه ص ٩٩٧ ، عن النقائض ص ٧٦٤

فإنَّ ذُهْلَ بن ثَعْلبةَ عَمُّ ذُهْلِ بن شَيْبان ، وإيَّاه أرادوا بقولِهم : مِن ذُهْلِ الأكبر ، يَعْنُون مِن جِهةِ النَّسَبِ والسِّنِّ .

وقولُ أبي بَكْرٍ لهم : فلستُم بذُهْلِ الأكبر ، إنما أنتم ذُهْلُ الأصغر ؛ لأنَّ الجماعةَ الذين سألهم عنهم ، هم أشرافُ ذُهْلٍ وساداتُها ، وهم جميعُهم من بني ذُهْلِ بن شَيْبان ، لا مِن بني ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ ، فأراد بالصِّغَرِ والكِبَر : من جِهةِ الشَّرَفِ والفَخْر ، لا مِن جهة النَّسَبِ والسِّنِّ .

وَعَوْفٌ : هو ابنُ مُحَلِّم بن ذُهْل ، كان عَزِيزًا شَرِيفاً ، حاكِماً مُطاعاً ، قال له المُنْذِرُ بنُ ماء السَّماءِ ؛ لشَرَفِه : « لا حُرَّ بِوادي عَوْفٍ »[1] أي النَّاسُ له كالعَبيدِ والخَوَلِ ، فليس لأَحدٍ معه أَمرٌ ، ولا تَصرُّفٌ مع حُضُورِه ، وقيل : كان يَقتلُ الأُسارَي ، ولا يُعْتِقُهم ، فقيل له ذلك ؛ لأنه لا يَبْقَي أسيرٌ حَلَّ بِوادِيه ، والأَوَّلُ الوَجهُ .

ولَهُم القُبَّةُ ، التي يُقال لها : المَعاذَةُ ، مَن لَجأَ إليها أعاذُوه ومَنَعُوه مِمَّنْ يُرِيدُه .

وبِسْطامُ بنُ قيسٍ : كان فارِسَ بَكْرٍ ، وكان مَوْصُوفاً بقِرَي الأضياف ، حتَّي اشْتَهَر به ، وعُرِفَ بينَ العَرَبِ .

وقوله : « أبو القِرَي » أي مُتَولِّيه ، وصاحِبُه الذي يَبْذُلُه للأَضْيافِ ، فهو له كالأبِ الذي يُوجِدُ الوَلَدَ .

واللِّواءُ ، بالمَدِّ : العَلَمُ والرَّايةُ ، وليس بالكبير .

---

(١) راجع مجمع الأمثال ٢/٢٣٦

وقوله : « ومُنْتَهي الأَحياءِ » أي غايةُ مَقْصَدِهم [١] ، وآخِرُه ، فليس بَعْدَه مَقْصَدٌ .

وجَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ : هو صاحبُ القصَّة المَشهُورة ، في قَتْل كُلَيْب ، ومَنْعِ البَسُوسِ ، حتي ثارت الحَرْبُ المعروفةُ بحَرْبِ البَسُوسِ ، بين بكرٍ وَتْغلِبَ ، وخُلاصتُها : أنَّ جَليلةَ أُختَ جَسَّاسٍ كانت تحتَ كُلَيْبِ بنِ وائِلٍ ، وكانت البَسُوسُ خالةُ جَسَّاسٍ نازِلةً عليه في جِوارِهِ ، ولها ناقةٌ يُقال لها : السَّرابُ ، وقيل : إنّ البَسُوسَ : اسمُ النَّاقةِ .

فبينما أُختُ جَسَّاسٍ تَغْسِلُ شَعَرَ كُلَيْبٍ ، وتُسَرِّحُه ، إذ قال لها : مَن أَعَزُّ وائلٍ ؟ فسكتَتْ ، فأعاد عليها القولَ وكَرَّرَه ، فقالت : أخَوايَ جَسَّاسٌ وهَمَّامٌ ، فنَزَع شَعَرَه من يدِها ، وخَرَج ، فرأي ناقةَ البَسُوسِ تَرْعَي في حِماه ، وكان إذا حَمَي مَوضِعاً لم يَطأْه أحَدٌ ، ولم يَرْعَه ، وبه ضُرِبَ المَثَلُ ، فقيل : « أَعَزُّ مِن حِمَيَ كُلَيْب » [٢] ، فأخذَ القَوْسَ ، فرَمَي فَصِيلَ ناقةِ البَسُوس ، فقتله ، فغضِب جَسَّاسٌ لذلك ، وقتل كُلَيباً ، فهاجَ الشَّرُّ بسَبَبِه ، بينَ بكرٍ وتَغْلبَ ، ودامَ أربعين سنةً ، فيما يُقال .

---

(١) هكذا ضبط بفتح الصاد ، في الموضعين ، وهو بفتح الصاد : المصدر ، وبكسرها : اسم المكان ، نحو مقصِد معين . ويقال في المصدر : إليه قصدي ومقصَدي . أفاده في المصباح .

(٢) الفاخر ص ٩٣ ، والدرة الفاخرة ص ٣٠٠ ، ومجمع الأمثال ٤٢/٢ (ما جاء علي أفعل من باب العين) .

وبالبَسُوسِ يُضْرَبُ المَثَلُ في الشُّؤْم ، فيُقال : « أَشْأَمُ من البَسُوسِ » [١] ، ولذلك قال : « فمنكم جَسَّاسٌ ، حامِي الذِّمار ، ومانِعُ الجارِ » ؟

والذِّمارُ : كلُّ ما يَلْزَمُ الرَّجُلَ ، ويجبُ عليه حِفْظُه .

ومانِعُ الجارِ : الذي يحمي مَن التجأ إليه ، وكان في جِوارِه .

والحَوْفَزَانُ : هو الحارِثُ بنُ شَرِيك بنِ مَطَرٍ ، لُقِّبَ بذلك ؛ لأنَّ بِسْطاماً حَفَزه بالرُّمْح ، فاقْتَلَعه عن سَرْجِه ، وكان أَحَدَ الشُّجْعان المعروفين .

والمُزْدَلِفُ : كان يُسَمَّي الخَصِيبَ ، ويُكْنَي بأبي رَبِيعةَ ، وقيل : كان اسمُه عَمرو بن أبي رَبيعةَ ، ولُقِّبَ بذلك ؛ لأنه قال في حَرْبِ كُلَيبٍ : ازْدَلِفُوا قَوْسِي ، أو قَدْرَها : أي تَقَدَّمُوا في الحَرْب ، بقَدْرِ قَوْسِي .

والأصل في ازْدَلَفَ : ازْتَلَفَ ، افتَعَلَ مِن الزُّلْفِ : القُرْبِ ، فأُبْدِلت التَّاءُ دالاً .

وكان المُزْدَلِف إذا رَكِب لم يَعْتَمَّ معه غَيرُه ، تعظيماً له واحتراماً ، فلذلك قال : « صاحبُ العِمامةِ الفَرْدَةِ » .

---

(١) الدرة الفاخرة ص ٢٣٦ ، ومجمع الأمثال ١/٣٧٤ (ما جاء على أفعل ، الشين) .

وانظر حديث الحرب بين بكر وتغلب في النقائض ص ٩٠٧ ، والأغاني ٥/٣٤ – ٦٤ ، والعقد الفريد ٥/٢١٣ – ٢٥٠ ، والشعر والشعراء ص ٢٩٩ (في ترجمة مهلهل بن ربيعة) وأمالي ابن الشجري ١/١١٤ ، والخزانة ٢/١٦٥ – ١٧٤

وكِنْدَةُ ولَخْمٌ : قَبيلانِ عظيمان من اليَمَن ، وكانوا مُلوكاً في الجاهِليّة .

والأَصْهارُ : جَمْع صِهْرٍ ، وهم الأقاربُ مِن جِهة النِّكاح .

وبَقَلَ وَجْهُ الغُلامِ يَبْقُلُ بُقُولاً : إذا خرجَتْ لِحْيَتُه ، ولا يُقال : بَقَّلَ ، بالتشديد [١] .

ودَغْفَلٌ : هو النَّسّابَةُ المعروفُ ، فيما بينَ العَرَبِ ، يقال له : دَغْفَلُ بنُ حَنْظَلَةَ النَّسَّابة ، أحد بني [٢] شَيْبان ، وهو مُسَمًّي بالدَّغْفَلِ : وَلَدِ الفِيلِ [٣] .

---

(١) سبق إلي منع التشديد ابنُ السكيت ، في إصلاح المنطق ص ١٨٣ ، وأجازه الزمخشري في الأساس ، والفيروزابادي في القاموس . وأورد عليه ابن منظور كلاما في اللسان .

(٢) أدرك دغفل النبي ﷺ ، ولم يسمع منه . انظر الاستيعاب ص ٤٦٢ ، والمعارف ص ٥٣٤

(٣) ذكره ابن دريد ، في الاشتقاق ص ٣٥١ ، وجعله من قولهم : عيشٌ دغفل ، أي : واسع ، وقال في الجمهرة ٣/٣٣٥ ، ٣٣٦ : « ودغفل اسم ، ويقال : عيش دغفل : واسع ، وقال قوم : الدغفل : ولد الفيل ، وما أدري ما صحته » .

قلت : وقد جاء « الدغفل » بمعني ولد الفيل ، في شعر لأبي الأصلع الهندي ، أنشده الجاحظ في الحيوان ٧/١٧١ ، وذلك قوله :

لقد يعذِلُني صَحْبي   وما ذلك بالأَمْثَلْ
وفي مدحتي الهِنْدَ   وسهمُ الهِنْدِ في المَقْتَلْ
وفيه السَّاجُ والعَاجُ   وفيه الفيلُ والدَّغْفَلْ

وانظر الحيوان أيضا ٧/١٨٨

وجاء « الدغفل » بمعني الخصب والسِعة ، في قول العجاج :

وإذ زمانُ الناسِ دَغْفَلِيُّ

ديوانه ص ٣١٣ ، واللسان (دغفل) .

والعِبْءُ : الحِمْلُ الثَّقِيلُ . أي لا يَعرِفُ ثِقْلَ الشَّيء إلاَّ مَن يَحْمِلُه .

ونَصَبَ : « تحمله » بأَنْ مُضْمَرةً بعد « أو » التي بمعني : إلاَّ أن تحملَه ، أو : إلي أن تَحمِلَه .

وقوله :

* والحُرُّ لا يَعْرِفُ عَبْدٌ عَمَلَهْ *

يريدُ : أن كُلَّ أحدٍ يَعلَمُ مِن حالِه مالا يَعلَمُه غيُره ، ولم يَعْرِفْ أحدٌ مِن نَسَبِي ما عَرفْتُه ، وقد صَدَقْتُك عنه .

وبَخْ بَخْ : كلمةٌ تُقال عندَ المَدْحِ ، وتعظيمِ الأمرِ ، وتفخيمِه[١] ، وتُكَرَّرُ للمُبالَغة ، فإن وصلتَ جَرَرْتَ ونَوَّنْتَ ، فتقول : بَخٍ بَخٍ ، ورُبَّما شُدِّدَتْ .

والأَزِمَّةُ : جَمْعُ زِمامٍ ، وهو الحَبْلُ الذي يُقَادُ به البَعيرُ . أي هم قادَةُ العَرَبِ ، يقُودُونهم حيث شاءوا .

وهادِي الشيءِ : مُقَدَّمُه ، وما يَهْدِي غيرَه ليتَّبعَه ، ومنه قيل للأعناق : الهَوادِي .

وثُغْرَةُ النَّحْرِ : الوَهْدَةُ التي في أعْلَي الصَّدْر ، بينَ التَّرْقُوتَيْن .

وسَواؤُها : وسَطُها .

أي صَدَقْتَني عن نَسَبِك ، فأَمكَنْتَنِي مِنْ قَولٍ أقولُه فيك .

ويُرْوَي : « مِنْ صَفاةِ الثُّغْرة » أي مِن نُقْرتِها ، فاستعمَل فيها الصَّفاةَ ، وهي الحَجَرُ الأَمْلسُ .

---

(١) راجع الغريبين ١/١٣٥

وقُصَيٌّ : أحَدُ أجدادِ النبيّ عليه السَّلامُ ، واسمُه زيدُ بن كِلاب ابن مُرَّةَ ، ولُقِّب به ، لأنه قَصَّي قومَه : أي تَتَبَّعهم بالشَّام ، فجمعهم ونقلهم إلي مكَّةَ (١) .

وفِهْرٌ : هو ابنُ مالك بنِ النَّضْر بن كِنانة ، مَجْمَعُ قُرَيْشٍ ، في أحد القولين .

وأَجْلَي : أي نَفَي وأَبْعَدَ ، من الجَلاءِ : الإخراج .

ومِنْ كلِّ أَوْبِ : أي مِن كلِّ مَرْجِعٍ ومَكانٍ .

وسُمِّيَ قُصَيٌّ مُجَمِّعاً ؛ لأنه جَمَع قَبائلَ قُرَيشٍ ، وأعادَهُم إلي مكَّةَ .

وأَوْطَنَهُم إيَّاها : أي جَعَلَها لهم وَطَناً .

والغَطاريف : جَمْع غِطْرِيفٍ ، وهو السَّيِّدُ الشَّرِيفُ ، مُسْتعارٌ مِن الغِطْرِيف : فَرْخِ البازِي .

والهَشْمُ : الكَسْرُ .

والمَوْسِمُ : الزَّمانُ الذي يَصِلُ فيه الحُجَّاجُ والمُعْتمِرون إلي مكَّةَ .

وأضاف « عَمْراً » إلي « العُلَي » لشَرَفِه .

ولُقِّبَ هاشماً ؛ لأنّ قومَه أصابَهُم جَدْبٌ ، فبَعَث عِيراً إلي الشَّام ، وحَمَّلَها كَعْكاً (٢) ، فكان يَنْحر الإبلَ ، ويُطْعِم الناسَ اللَّحْمَ والثَّرِيدَ .

---

(١) انظر الاشتقاق ص ١٩ ، والروض الأنف ٦/١

(٢) الكعك : هو الخبز اليابس ، فارسي معرب . انظر المعرب ص ٣٤٥

والمُسْنِتُون : المُجْدِبُون ، وهم الذين أصابَتْهم السَّنَةُ ، وهي الجَدْبُ .

والعِجافُ : جَمْع أَعْجَفَ ، وهو الهَزِيلُ .

وسَنُّوا إليه : أي سارُوا .

والأَصْيافُ : جَمْع الصَّيْفِ .

والتَّفَلُّق : الانْشِقاقُ .

والمُحُّ [١] : مُحُّ البَيْضَةِ ، وهو أَشْرَفُ ما فِيها .

والرَّائِشُون : المُصْلِحُون لأحوالِ الناسِ ، وأصلُه مِن راشَ السَّهْمَ يَرِيشُه : إذا عَمِل له رِيشاً ، أو مِن راشَ الرجُلَ يَرِيشُه : إذا أعطاه رِياشاً ، وهو اللِّباسُ ، ويَرْجِعان إلي أصلٍ واحد .

وهَلُمَّ : بمعنى تَعالَ ، وأهلُ الحِجاز يُجْرُونها للواحدِ والاثنين والجَمْع والمؤنَّث ، بلَفْظٍ واحدٍ : هَلُمَّ ، وغيرُهم [٢] يُضيفُ إليها علامةَ ما تَقْترِنُ به ، فيقول : هَلُمَّ ، وهَلُمَّا ، وهَلُمُّوا ، وهَلُمِّي [٣] .

والكَبْشُ : الرَّئِيسُ ، السَّيِّدُ ، المُقدَّم .

والبَيْضُ ، بفتح الباء : جَمْع بَيْضَةِ الحديدِ ، وهي الخُوذَةُ .

وبُرُوقُها : لمَعَانُها .

---

(١) المح ، بالحاء المهملة . قيل : هو صفرة البيض ، وقيل : ما في البيض كله .

(٢) وهم بنو تميم ، كما صرح في النهاية ٥/٢٧٢ ، وسيعيد المصنف الكلام علي « هلم » في الحديث الثامن ، من أحاديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) يزيد النحويون هنا « هلممن » مضافا إلي ضمير جمع الإناث .

والبِيضُ ، بكسر الباء ، كِنايةٌ عن النِّساء : أي يُقاتلون عنهم بالسُّيوف .

ولله دَرُّكَ : كلمةٌ تُقالُ عند التَّعجُّب ، والتَّعظيم . والدَّرُّ : الَّلبَنُ ، أي لَبَنُكَ الذي رَبِيتَ (١) عليه هو خالِصٌ لله ، تعظيماً لشأنِ المَقُولِ عنه ، بإضافته إلي الله تعالي ، كما يُقال : لله أنتَ ، ولله أبوكَ .

والإِقْرافُ : لُزُومُ العَيْبِ ، يقال : قَرَفْتُ الرجُلَ : إذا عِبْتَه . والهمزةُ في الإِقرافِ للحَمْلِ علي الشيء ، والتَّعْرِيضِ له ، كقولك : أقمتُ فُلاناً : إذا حَملْتَه علي القِيام ، وأبَعْتُ الثَّوبَ : إذا عرَضْتَه للبَيع .

وشَيْبَةُ الحَمْدِ : هو عبد المُطَّلِب بن هاشِمٍ ، أبو أبي النبيِّ عليه السَّلامُ ، ولُقِّب بذلك ؛ لأنه لمَّا وُلِد كانت في رأسِه شَعَراتٌ بِيضٌ مجتمعةٌ ، وسُمِّيَ مُطْعِمَ طَيْرِ السَّماء ؛ لأنه حينَ أخَذَ في حَفْرِ زَمْزَمَ ، وكانت قد انْدَفَنَتْ ، جَعلتْ قُرَيشٌ تَهْزأُ به ، وتَسْخَر منه ، فقال : اللهُمَّ إن سَقيتَ الحَجِيجَ منها ذَبَحتُ لك بعضَ ولَدِي ، فحَفَرها ، وأنْبَطَ الماءَ ، وسَقَي الحَجِيجَ منها ، وكان له عَشَرةُ بَنِينَ ، فأَقْرَعَ بينَهم ، فخرجت القُرعةُ علي ابنه عبدِ الله ، أبي النبيِّ ﷺ ، فقالت أخوالُه بَنُو مَخْزُومٍ : أَرْضِ ربَّكَ ، وافْدِ ابنَك ، فجاء بعَشْرٍ من الإِبلِ ، وأقْرَعَ بينَها وبينَ ابنِهِ ، فخرجت القُرعةُ علي ابنه ، فلم يَزَلْ يَزِيدُ عَشْراً عَشْراً ، ويُقْرِعُ بينَها وبينَه ، فتخرج علي ابنِه ، إلي أن بلَغَتْ مائةً ، فخرجت القُرعةُ علي الإِبلِ ، فنحرها بمكَّةَ ، في رُءوس الجِبال ، وتركها تأكُلُها الطَّيرُ والوَحْشُ ، فسُمِّيَ مُطْعِمَ طَيْرِ السَّماء .

---

(١) بفتح الراء ، كما ضبط في الأصل ، وراجع ما تقدم في حديث طهفة بن أبي زهير النهدي .

قالوا : ومِن يومئذٍ جَرَتِ السُّنَّةُ في الدِّية بمائةٍ من الإِبِل .

والإِفاضةُ : دَفْعُ الحَجِيج مِن عَرفاتٍ ومُزْدَلِفَةَ ، وكانت في الجاهلية قديماً إلي الأخرم بن العاص ، المُلَقَّب بصُوفَةَ [1] ، ولم تَزَلْ في وَلَدِه حتي انْقَرَضُوا ، فصارَتْ في عَدْوانَ ، يَتَوارثُونها ، حتي كان الذي قام الإِسلامُ عليه ، أبا سَيَّارَةَ العَدْوانيَّ ، صاحبَ الحِمار .

وقِيل : كان قُصَيٌّ قد حازَها إلي ماحازَ مِن سائر المكارِم ، وكان قَسمَ مَكارِمَه بينَ ولَدِه ، فأعطَي عبدَ مَنافٍ السِّقايَةَ والنَّدْوَةَ ، وعبدَ الدارِ الحِجابَةَ واللِّواءَ ، وعبدَ العُزَّي الرِّفادَةَ ، وعبدَ قُصَيٍّ جَلْهَةَ الوادي .

والنَّدْوَةُ : الانْتِداءُ ؛ [2] الاجتماعُ للمُشاوَرَة في الأُمور ، وبه سُمِّيَتْ دارُ النَّدْوة بمكّة ، لأنهم كانوا يجتمعون بها للتَّشاوُر .

وأهلُ السِّقاية : هم الذين كانوا يَسْقُون الحَجِيجَ ، وأهلَ المَوْسِمِ ، من الزَّبِيب المَنْبُوذِ في الماء ، وكان يليها العَبّاسُ بن عبد المطَّلب ، في الجاهليّة والإِسلام ، وكانت السِّقايةُ قبلَ ذلك الماءَ ، والسِّقايةُ في الأصل : الموضعُ الذي يكون فيه مُسْتَقَي الماءِ .

---

(١) جاء في اللسان (صوف) : « وصوفة : أبو حيّ من مضر ، وهو الغوث بن مرّ ابن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر ، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ، ويجيزون الحاجّ ، أي يفيضون بهم ... قال ابن بري : وكانت الإجازة بالحج إليهم في الجاهلية ، وكانت العرب إذا حجت وحضرت عرفة ، لا تدفع منها حتي يدفع بها صوفة ، وكذلك لا ينفرون من مني حتي تنفر صوفة ، فإذا أبطأت بهم قالوا : أجيزي صوفة » .

وانظر جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٢٠٦ ، ٤٨٠ . وأفاد صاحب تاج العروس أنه سمي « صوفة » لأن أمه جعلت في رأسه صوفة وجعلته ربيطا للكعبة يخدمها .

(٢) هكذا ، والمصنف كثيرا ما يحذف واو العطف في مثل هذه الشروح .

والرِّفادَةُ : الإعطاءُ والإعانة ، وقد رَفَدْتُه أرفِدُه [١] رَفْداً ورِفادَةً ، وكانت قُرَيشٌ تتَعاوَنُ ، فيُخْرِج كلُّ إنسانٍ بقَدْرِ طاقتِه ، فيَجْمعون مالاً عظيماً ، أيَّامَ الموسِم ، فيشترون به الطَّعامَ والزَّبيبَ ، فيتَّخذونه نَبيذاً ، ويُطْعِمون الناسِ ، ويَسْقُونهم ، حتي ينقضيَ الموسِمُ .

والحِجابةُ : هي حِفْظُ الكَعْبة ، وتَولِّي فَتْحِها ، وإغلاقِها ، فيَحْجُبُ عنها مَن يُريدُ ، ويَفْتَحُها لمن يُريدُ .

وجَلْهَةُ الوادي : جانِبُه . يُريدُ وادِيَ مكَّة .

وهذه الخِصالُ التي عَدَّدها ، كان يتولَّاها آباءُ النبيِّ عليه السَّلامُ ، خاصَّةً مِن لَدُنْ قُصَيٍّ ، فمَن بعدَه ، ولم يكن لبني تَيْمٍ منها شيءٌ .

والمصادَفَةُ : المُلاقاةُ والوِجْدانُ .

ودَرْءُ السَّيْلِ ، بفتح الدال وضَمِّها : هُجومُه وإقْبالُه ، يقال : سالَ الوادي دَرْءاً ودُرْءاً : إذا سالَ مِن مطرٍ غيرِ أرضِه ، وسالَ الوادي ظَهْراً وظُهْراً : إذا سالَ مِن مطرِ أرضِه .

وأصلُ الدَّرْءِ : الدَّفْعُ ، كأنَّ بعضَه دفع بَعْضاً .

وقال أبو موسي : دَرْءُ السَّيلِ : بِناءٌ يُبْنَي حوالَيْ مَجْرَي السَّيلِ ، يُدْفَعُ به عن مَواضِعَ يُريدُونها .

والرَّدْعُ : الزَّجْرُ والكَفُّ ، وهو مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ ظَلَم ظالِماً ، أو غَلَبَ مُغالِباً .

---

(١) بكسر الفاء في المضارع ، وهو من باب ضرب ، كما في المصباح .

والهَيْضُ [١] : الكَسْرُ .

والصَّدْعُ : الشَّقُّ .

والزَّمَعاتُ : جَمْع زَمَعَةٍ ، بالتحريك ، وهي التَّلْعةُ الصَّغيرةُ . كذا قال أبو موسى ، والمعروف في الزَّمَعَة أنها الهَنَةُ الزَّائدةُ مِن وراءِ ظِلْفِ الشَّاة ، والأَولي في تفسيرها ما قال الجوهريُّ ، فإنه قال : الزَّمَعُ : رُذالُ الناسِ ، يُقال : هو مِن زَمَعِ الناسِ : أي مَآخِيرِهم ، والزَّمَعَةُ : أَخَصُّ منه .

والذَّوائِبُ : جَمْع الذُّؤابة ، وهي ما أُشْرَفَ مِن الجِبال ، ومنه ذُؤابة الشَّعَر ، وهذا يُناسِبُ تفسيرَ الزَّمَعَةِ بالتَّلْعة ، والمرادُ بذَوائبِ الناسِ : أشرافُهم وساداتُهم ، تشبيهاً بالشُّعُور التي مَحلُّها الرُّؤوس .

والباقِعَةُ : الرجُلُ الكَيِّس الحَذِرُ ، وقيل : الدَّاهِي .

والطَّامَّةُ : الشَّديدةُ العَظِيمةُ ، مِن طَمَّ الماءُ : إذا ارْتَفَع ، والهاءُ فيها للتأنيث ، وفي الباقِعة للمُبالغة ، لوُقُوعها صِفَةً للمذكَّر .

---

(١) هذا شرح لقوله فى البيت « يهيضه » ويقع فى هذه الكلمة تصحيف ، انظره فى الأغاني ٢٨٣/٢ ، وتاج العروس (درأ) .

أحاديث
عمر الفاروق رضي الله عنه
حديثٌ أوَّل

قَدِمَ وَفْدٌ من أهل البصرة ، مع أبي موسي الأشْعَرِيّ ، علَي عمرَ ابنِ الخَطَّاب ، رضي الله عنه .

قال : فكُنَّا ندخُلُ عليه ، وله كلَّ يومٍ خُبزٌ ثَلاثٌ ، ورُبَّما وافَقْناه مَأْدُوماً بسَمْنٍ ، وأحياناً بزَيْتٍ ، وأحياناً بلَبَنٍ ، ورُبَّما وافقْنا القَدائدَ اليابِسةَ قد دُقَّتْ ثُمّ أُغْلِيَتْ بماءٍ ، ورُبَّما وافَقْنا الَّلحْمَ الغَرِيضَ ، وهو قليلٌ ، فقال لنا يوماً : إنّي ، واللهِ ، لقد أري تَعْذيرَكم ، وكراهيتَكم طَعامي ، وإني ، والله ، لو شئتُ لكنتُ أطْيَبَكم طَعاماً ، وأرَقَّكم عَيْشاً ، أمَا واللهِ ، ما أَجْهَلُ عن كَراكِرَ وأَسْنِمَةٍ ، وعن صِلاءٍ وصَلائِقَ وصِنابٍ وأَفْلاذٍ ، ولكنّي سمعتُ اللهَ عَيَّر قَوماً بأمْرٍ فَعَلُوه ، فقال : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (١) .

أخْرجَ أبو عَبيدٍ طَرَفاً من (٢) آخِرِه ، بإسناده عن الحسن البَصْرِيّ ، وأخرجه بِطُوله الحافظُ أبو نُعَيم ، في الحِلْية (٣) ، عن الحسن أيضاً

---

(١) الآية العشرون من سورة الأحقاف .

(٢) غريب الحديث ٢٦٣/٣ - ٢٦٥ ، وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٣١/١٢

(٣) الحلية ٤٩/١ ، والعجب من ابن الأثير - رحمه الله - لم يذكر تخريج الزمخشري لهذا الحديث - علي عادته - وقد أخرجه الزمخشري علي نحو ما أخرجه أبو عبيد . راجع الفائق ٤٤٨/١ ، ٣١١/٢

شرحه

عُمَرُ : معدولٌ عن عامِرٍ ، كزُفَرَ ، عن زافِرٍ ، ولا يَنْصَرِفان ، للتعريف والعَدْل .

والفارُوق : لَقَبُه ، لقَّبه به النبيُّ ﷺ ، لمَّا أسْلَم ، لأنَّ اللهَ فَرَق بإسلامِه بينَ الحَقِّ والباطِلِ ، فإنَّ المسلمين أَمِنُوا بإسلامِهِ من أَذَي قُريشٍ .

والفارُوقُ : فاعُولٌ ، للمُبالَغة ، مِن الفَرْقِ : الفَصْلِ بينَ الشَّيْئَين

والخُبَزُ : جَمْعُ خُبْزَةٍ ، وهي القُرْصَةُ من الخُبْز ، كغُرْفَةٍ وغُرَفٍ .

والمَأْدُومُ : الخُبْزُ الذي معه أُدْمٌ ، وهو ما يُؤْكَلُ مع الخُبْز ، من كلِّ مأكُولٍ ، وقد أَدَمْتُ الخُبْزَ آدُمهُ [١]، فهو مَأْدُومٌ ، وآدَمْتُه فهو مُؤْدَمٌ .

والأَحْيانُ : جَمْع حِينٍ ، وهو الطائفةُ مِن الزَّمان ، ويقَعُ علي القليلِ منه والكثير .

والقَدائدُ : جمع قَدِيدٍ ، وهو اللَّحْمُ الذي يُقَطَّعُ سَرائحَ [٢] ، ويُجَفَّفُ في الشَّمس ، لتذهبَ رُطُوبَتُه ، ولا يُنْتِنُ ، فإذا أرادُوا أَكْلَه دَقُّوه ، ثم طَبَخوه بالماء ، لِيلينَ ويُؤْكَلَ .

---

(١) بضم الدال ، كما في الأصل ، وتكسر أيضا . راجع الغريبين ٢٩/١

(٢) هكذا في الأصل ، بالسين المهملة ، ووجهه أن يكون جمع سريحة ، وهي القطعة المستطيلة . راجع اللسان (سرح) . لكن الفيومي ذكره بالشين المعجمة ، وإن كان سياقه مختلفا ، قال في مادة (قدد) : « والقِدّ ، وزان حِمل : السير يخصف به النعل ، ويكون غير مدبوغ ، ولحم قديد : مُشَرَّحٌ طولا ، من ذلك » . المصباح المنير .

والتَّعذِيرُ : التَّقْصيرُ ، أي إنّي لَأَري تَقْصيرَكُم في الأَكلِ ، ومنه الحديث الآخَر : « جاءَنا (١) بطَعامٍ جَشِبٍ ، فكنّا نأكُلُ ونُعَذِّرُ » أي نُقَصِّرُ في الأكل (٢) .

والكَراكِرُ : جَمْع كِرْكِرَةِ البَعِير ، وهي زَوْرُه النَّاتِيءُ عن جِسْمِه ، كالقُرْصَة ، وإذا بَرَكَ أصابَ الأرضَ .

والأَسْنِمَةُ : جَمْع سَنامِ البعيرِ .

والكَراكِرُ والأَسْنِمَةُ ، يُقال إنها مِن أَطْيبِ ما في البَعير .

والصِّلاءُ : الشِّواءُ ، وهو فِعالٌ مِن صَلاهُ ، كشِواءٍ من شَواهُ ، يقال : صَلَيْتُ اللَّحْمَ أَصْلِيه صَلْياً : إذا شَوَيْتَه .

والصَّلائِقُ : الخُبْزُ الرُّقاقُ ، واحِدَتُها : صَلِيقَةٌ ، وعن ابن الأعرابيّ أنَّ الصَّلائقَ مِن صَلَقْتُ الشَّاةَ : إذا شَوَيْتَها ، كأنَّه أرادَ الحُمْلانَ والجِداءَ .

ويُرْوَي : « سَلائِقَ » بالسِّين ، وهو كلُّ ما سُلِقَ مِن البُقُولِ وغيرِها .

والصِّنابُ : الخَرْدَلُ المُتَّخَذُ بالزَّبيب للأَكْل ، وهو صِباغٌ معروفٌ .

والأَفْلاذُ : جَمْع فِلْذٍ وفِلْذَة ، وهي القِطْعَةُ مِن الكَبِد .

والهُونُ : الهَوانُ .

---

(١) الضمير يعود إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أيضا ، والطعام الجشب – بفتح الشين وكسرها : هو الغليظ الخشن ، وقيل : غير المأدوم ، وكل بشع الطعم جشب . الفائق ٢١٥/١ ، والنهاية ٢٧٢/١ ، وسيأتي في شرح الحديث الثالث من أحاديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) زاد في النهاية ١٩٨/٣ : « ونُري أننا مجتهدون » .

حديثٌ آخرُ
لعُمرَ رضي الله عنه

أتاه رجلٌ يسأله ، فقال له : هَلَكْتُ وأهْلَكْتُ ، فقال له عمرُ : اسكُتْ ، أَهَلَكْتَ وأنت تَنِثُّ نَثِيثَ الحَمِيتِ ؟

ثم قال : أَعْطُوه رُبَعَةً مِن الصَّدَقَةِ .

فخرجَتْ تَتْبَعُها ظِئْراها .

ثم أنشأ يُحدِّث أصحابَه عن نَفْسِه ، فقال : لقد رأيتُني وأُخْتاً لي ، نَرْعَي علَي أبَوْينا ناضِحاً لنا ، قد ألْبستْنَا أُمُّنا نُقْبتَها ، وزَوَّدَتْنا يُمَيْنَتَيْها مِن الهَبِيد ، فنَخْرُج بناضِحِنا ، فإذا طلعَت الشَّمسُ ألقيتُ النُّقْبةَ إلي أختي ، وخرجتُ أسعَي عُرْياناً ، فنرجِعُ إلي أُمِّنا ، وقد جعلَتْ لَنا لَفِيتةً مِن الهَبِيد ، فياخِصْباهْ .

أخرجه أبو عبيد [١] ، عن يزيد بن هارون ، بإسناده عن عُمَرَ ، وأخرجه الزمخشريُّ [٢] وغيرُه .

شَرْحُه

قوله : « هلكتُ وأهلكتُ » يريد به ما صار إليه هو وعِيالُهُ ، من الفَقْر والجَدْب ، ويعني بهَلكْتُ : نَفْسَه ، وبأهلكْتُ : هَلاكَ عِيالِه .

---

(١) غريب الحديث ٢٥٥/٣ – ٢٥٩ ، وحكاه عنه ابن أبي الحديدْ ، في شرح نهج البلاغة ٢٠/١٢ ، ١٢٩ ، ١٣٠

(٢) الفائق ١٠٩/٤ ، ١١٠

والهمزةُ في « أهلكتُ » ليستْ للتعدية ، لأنه ليس هو الذي أهْلَكَهُم ، إنما أهلكهم الجَدْبُ . ولكنَّها الهمزةُ التي في مِثْل : أَقْطَفَ الرجلُ ، وأَعْطَشَ : إذا قَطَفَتْ دابَّتُه [١] ، وعَطِشَتْ .

والنَّثِيثُ : أن يَعْرَقَ الرجلُ ، ويَرْشَحَ ، مِن سِمَنِه ، وعِظَمِه ، وكثرةِ لحمِه ، يقال منه : نَثَّ الرَّجُلُ يَنِثُّ ، بالكسر [٢] ، نَثِيثاً .

ويُرَوي : « وأنت تَمُثُّ مَثِيثاً » ، بالميم ، وهو مِثْلُه ، علي تَعاقُب الميم من النُّون .

والحَمِيتُ : زِقُّ السَّمْنِ والعَسَلِ . قيل : إذا كان مُشْعَراً ، شَبَّهه في سِمَنِه بالزِّق المَمْلوءِ سَمْناً ، فهو يَرْشَحُ ، ومَن هَلَكَ بالجدبِ والفقرِ ، كيف يكون سَمِيناً ؟

والرُّبَعَةُ ، بالتحريك : الناقةُ التي ولَدَتْ في رِبْعِيَّة النِّتاج ، وهي أوَّلُه ، والذكر : رُبَعٌ .

وقوله : « فخرجَتْ تَتْبَعُها ظِئْراها » أي أُمُّها وأبوها . والظِّئْر ، في الأصل : المُرْضِعَةُ ، ثم اتُّسِعَ فيه ، فأُطْلِق علي الأبِ أيضاً ، ومنه الحديث في ذِكْر سَيْفِ القَيْنِ : « وكان ظِئْراً لإبراهيمَ بنِ النبيّ عليه السَّلامُ » ؛ لأنّ امرأته كانت تُرْضِعُه .

---

(١) يقال : قطفت الدابة : أي أساءت السير ، وأبطأت ، والقَطُوفُ من الدوابّ : هو المتقارب الخطو ، البطيء .

(٢) في الأصل : « نث الرجل بالكسر ، ينث نثيثا » . وهو خطأ في السياق كما نري .

والنَّاضِحُ : البَعِيرُ الذي يُسْتَقَي (١) عليه ، لسَقْيِ الزُّرُوعِ ، والأُنْثَي ناضِحةٌ ، وجَمْعُهما : النَّواضِحُ ، ولا يُقال : ناضِحٌ لغير المُسْتَقِي . قاله أبو عُبَيدٍ .

والنُّقْبَةُ ، بالضمّ : قِطْعةُ ثَوْبٍ يُؤْتَزَرُ بها ، وقيل : هي السَّراوِيلُ التي يكون لها حُجْزَةٌ من غير نَيْفَقٍ (٢) ، فإذا كان لها نَيْفَقٌ ، فهي سَراوِيل .

واليُمَيْنَتَيْنِ : تثنيةُ اليُمَيْنَة ، واليُمَيْنَةُ : تصغير اليَمين ، علي الترخيم ، أو هو تصغيرُ يُمْنَةٍ ، مِن قولهم : أعطاه يُمْنَةً مِن الطَّعام : إذا أعطاه ما حَمَلَتْ يدُه مَبْسُوطةً ، فإن أعطاه بها مَقْبُوضةً ، قيل : أعطاه قُبْضَةً .

المعني : أعطَتْ كلَّ واحدٍ مِنّا كَفًّا واحدةً بيمِينِها . أو أراد اليدَيْن ، فَغلَّب اليمينَ علي الشِّمال (٣) .

---

(١) هكذا في الأصل : « يستقي » بالتاء الفوقية بعدها قاف ، واضحة تماما . والذي في غريب أبي عبيد ، وفيما حكي عنه ابن أبي الحديد ، وكذلك في الفائق : « يُسْنَي » بالنون . وهذه عبارة أبي عبيد : « الناضح : هو البعير الذي يسني عليه فيسقي به الأرضون ، والأنثي ناضحة ، قالها الكسائي ، وهي السانية أيضا ، وجمعها سواني ، وقد سنت تسنو » . انتهي كلام أبي عبيد .

ولا خلاف بين « يستقي » و « يسني » فقد قال الفيومي في المصباح (سني) : « السانية : البعير يُسْنَي عليه ، أي يستقي من البئر ، والسحابة تسنو الأرض ، أي تسقيها ، فهي سانية أيضا » .

(٢) قال في القاموس : ونيفق السراويل – بالفتح – : الموضعُ المتَّسع منه .

(٣) هذا كله من شرح الزمخشري في الفائق .

قال أبو عبيد : هكذا جاء الحديث – يعني يُمَيْنَتَيْها ، بالتخفيف – ولكن الوجه في الكلام أن يكون « يُمَيِّنَيْها » بالتشديد ، لأنه تصغيرُ يَمِين ، وتصغيرها : يُمَيِّنٌ ، بلا هاءٍ ، وإنما قال : « يُمَيْنَتَيْها » ولم يقل : يَدَيْها ، ولا : كَفَّيْها ، لأنه لم يُرِدْ أَنَّها جَمَعتْ كفَّيْها ، ثم أَعْطَتْنا [١] بجميع الكَفَّين ، ولكنَّه أراد : أعطَتْ كلَّ واحدٍ كَفًّا[٢] كَفًّا بيَمينها ، فهاتان يَمينان .

والهَبيدُ : حَبُّ الحَنْظَل ، زعموا أنّهم يُعالجونه حتّي يَطِيبَ ، ويُمكِنَهم أكلُه .

واللَّفيتةُ : العَصِيدَةُ ، قال أبو عُبَيدٍ : هي ضَرْبٌ من الطَّبِيخ ، لا أقفُ علَي حَدِّه ، أُراه كالحَساءِ ، ونحوِه .

والخِصْبُ : ضِدُّ الجَدْب .

والهاء في : « يا خِصْباهْ » للوَقْف ، وامتدادِ الألف في حالِ النِّداء .

ويُرِيدُ بقوله : « يا خِصْباهْ » إشارةً إلي الحال التي آلَ أَمْرُه إليها ، بعد ذلك الفقر والجَهْد ، وصارَ أميرَ المؤمنين ، وهذا مِثْلُ قولِه في حديثٍ آخَرَ ، وقد ذكَر ما كانوا عليه من الفقر ، والحالِة السَّيِّئة ، فقال : « وقد أصبحتُ اليومَ ليس بَيْنِي وبينَ اللهِ أحدٌ » يُرِيدُ تَقَدُّمَه علي المسلمين كافَّةً .

---

(١) في غريب أبي عبيد : « أعطتهما » .

(٢) في غريب أبي عبيد : « كفا واحدة » .

حديثٌ آخَرُ
لعُمر رضي الله عنه

قال عِمْرانُ بن سَوَادَةَ ، أخو بني لَيْثٍ ، لعُمرَ بن الخَطّاب ، رضي الله عنه : أربَعُ خِصالٍ عاتَبَتْكَ عليها رَعِيَّتُك .

فوضَعَ عُودَ الدِّرَّةِ ، ثم ذَقَّنَ عليها ، وقال : هاتِ .

قال : ذكروا أنَّك حَرَّمْتَ العُمْرَةَ في أشهُر الحَجِّ .

فقال عمر : أجَلْ ؛ إنّكم إن اعتَمْرتُم في أشهر الحَجّ ، رأيتُموها مُجْزِئةً مِن حَجِّكم ، فقَرِعَ حَجُّكُم ، فكانت قائبةَ قُوبٍ عامَها ، والحَجُّ بهاءٌ مِن بَهاءِ الله

قال : وشكَوْا مِنك عُنْفَ السِّياقِ ، ونَهْزَ الرَّعِيَّةِ .

قال : فنَزَع الدِّرَّةَ ، ثم مَسحَها حتي أتي علي سُيُورِها ، وقال : أنا زَميلُ محّمدٍ في غَزْوة قَرْقَرَةِ الكُدْرِ ، ثم إنِّي واللهِ لأُرْتِعُ فأُشْبِـعُ ، وأَسْقِي فأُرْوِي ، وأَضْرِبُ العَرُوضَ ، وأَزْجُرُ العَجُولَ ، وأَذُبُّ قَدْرِي ، وأَسُوقُ خَطْوِي ، وأَرُدُّ اللَّفُوتَ ، وأضُمُّ العَنُودَ ، وأُكْثِرُ الزَّجْرَ ، وأُقِلُّ الضَّرْبَ ، وأَشْهَرُ بالعَصا ، وأَدْفَعُ باليَدِ ، ولولا ذلك لأَغْدَرْتُ بَعْضَ ما أَسُوقُ .

* * *

أخرجه ابن قُتَيبة (١) ، وقال : يرويه يوسُفُ بن أبي سَلَمةَ الماجَشُون ، عن عبد الرحمن بن نُباتَةَ ، عن عِمْران بن سَوادَةَ . وأخرجه الزمخشريُّ (٢) مثله ، مختصرا .

---

(١) غريب الحديث ١/٥٨٥ – ٥٨٧

(٢) الفائق ٢/١١ – ١٣ ، والحديث أيضا أخرجه أبو جعفر الطبري في تاريخه ٤/٢٢٥ (حوادث سنة ٢٣) ، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢/١٢١ – ١٢٤ ، حكاية عن الطبري وابن قتيبة .

شرحه

قوله : « ذَقَنَ عليها » أي وضَعَ عليها ذَقَنَهُ ، واتَّكأً عليها ، ليُصْغِيَ إليه ، ويَسْمَعَ كلامَه . يُقال : ذقَّنَ علي يدِه ، وعلي عصاه ، بالتشديد والتخفيف .

وهاتِ : مبنيٌّ علي الكسرِ ، بمعني أَعْطِ ، وللاثنين : هاتِيا ، وللجمع : هاتُوا ، وللمرأة : هاتِي .

والعُمْرةُ : معروفةٌ ، وهي فُعْلَةٌ من الاعتمارِ : الزِّيارةِ .

والحَجُّ في الأصل : القَصْدُ ، وتُفْتَح حاؤُه وتُكْسَرُ ، ثم خُصَّ بقَصْدِ الكعبةِ ، علي الشُّروطِ المعروفةِ فيه وفي العُمْرة . وأشْهُر الحَجِّ : شَوَّالٌ ، وذو القَعْدةِ ، وتِسْعٌ من ذي الحِجّة ، وإنما جَمَع وهما شَهْران وبعضُ الثالث ؛ للتَّغْليب ، تقول : ما رأيتُه مذ يومانِ [١] ، وتكون قد رأيتَه في أوّل اليوم الأوّل .

وأَجَلْ : بمعني نَعَمْ ، وتقع في جَوابِ الخَبرِ ، مُحقِّقةً له ، ولا تصلُحُ في جواب الاستفهام [٢] .

---

(١) هكذا بالرفع ، وهو أحد استعمالين لما بعد « مذ » قال ابن عقيل : « تستعمل مذ ومنذ اسمين إذا وقع بعدهما الاسم مرفوعا ، أو وقع بعدهما فعل .... فمذ اسمٌ مبتدأ ، خبره ما بعده ، وكذلك منذ ، وجوَّز بعضهم أن يكونا خبرين لما بعدهما ، وإن وقع ما بعدهما مجرورا فهما حرفا جر ، بمعني « مِن » إن كان المجرور ماضيا ... وبمعني « في » إن كان حاضرا » . شرح ابن عقيل علي الألفية ٣١/٢

(٢) هذا من كلام الزمخشري في الفائق ، وفيه بعد هذا : « وأمَّا نعم فمحققة لكل كلام » .

وأجْزَأَ الشيءُ فهو مُجْزِيءٌ : أي كافٍ .

وقوله : « قَرِعَ حَجُّكُم » أي خَلَتْ أيّامُ الحَجِّ من النَّاسِ القائمين به ، مِن قولهم : أعوذُ باللهِ مِن قَرَعِ الفِناء ، وهو أن لا يكون له مَن يَغْشاه ، ويَزُورُه ، وأصلُه خُلُوُّ الرأسِ مِن الشَّعَرِ ، يُقال : قَرِعَ يَقْرَعُ قَرَعاً ، فهو أَقْرَعُ .

والقائبةُ : البَيْضَةُ المُفْرِخَة ، فاعِلَةٌ بمعني مَفْعُولة ، مِن قُبْتُها قَوْباً : إذا فَلَقْتَها ، والقُوبُ : الفَرْخُ ، ومنه المثل : تَخَلَّصَتْ قائبةٌ مِن قُوبٍ : أي خَلَصتِ البَيْضَةُ من الفَرْخِ ، فلا يعودُ إليها [١]بعدَ خُروجِه منها .

يعني أنكم إذا رأيتم العُمرةَ في أشهُرِ الحَجِّ كافيةً مِن الحَجّ ، خَلَتْ مكَّةُ مِن الحُجَّاج خُلُوَّ البَيْضةِ من الفَرْخِ .

وانتصاب « عامها » إمّا بكانت ، أو بما يُفْهَمُ مِن خبرِها ، لأنّ المعني : كانت خاليةً عامَها .

وبَهاءُ اللهِ : عَظَمتُه وجَلالُه ، وأصلُ البَهاءِ : الحُسْنُ ، فاستعاره للحَجِّ ، وأضافه إلي اللهِ ؛ لأنّ الحَجَّ له .

و« مِن » في قوله : « مِن بَهاءِ الله » للتبعيض ، أو لتبيين الجِنس .

والعُنْفُ : ضِدُّ الرِّفْق ، يقال : عَنَفَ [٢] به ، وعليه ، عُنْفاً ، وعَنافَةً .

---

(١) علي قوله هذا ينبغي أن تكون الجملة السابقة : « تخلص الفرخ من البيضة » وهذا ما صرح به أبو هلال العسكري ، في جمهرة الأمثال ١/٢٨٠

(٢) ضبطت النون في الأصل بالفتح ، والصواب الضم ، والفعل من باب كرُم ، كما في القاموس .

والسِّياقُ : السَّوْق ، يقال : ساقه يَسُوقُه سَوْقاً وسِياقاً .

وإضافةُ العُنُفِ إليه : لا تَخلو أن تكون من إضافة المصدرِ إلي فاعلِهِ ، كقولهم : سَوْقٌ عَنِيفٌ ، أو يكون أراد عُنُفَه في السِّياق ، فأُضِيفَ علي سبيل الاتِّساع ، كقوله تعالي : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ ﴾ [١] أي بل مكرُه [٢] فيهما .

والنَّهْزُ [٣] : الزَّجْرُ ، وأصلُه : الدَّفْعُ ، يقال : نَهَزْتُ الرجُلَ أنْهَزُه نَهْزاً : إذا دَفَعْتَه .

والزَّمِيل : الرَّدِيفُ ، والعَدِيلُ في السَّفَر .

وغَزْوَةُ قَرْقَرَةِ الكُدْرِ : غزوةٌ معروفةٌ للنبيّ ﷺ .

والقَرْقَرُ : الأرضُ المُسْتَوِيةُ .

والكُدْرُ : ماءٌ لبني سُلَيم ، أو مَوْضعٌ . وقيل : إنّ أصْلَ الكُدْرِ : طَيْرٌ غُبْرٌ ، سُمِّيَ الماءُ ، أو الموضعُ بها .

ورَتَعَت الإبلُ : إذا رَعَتْ ، وأَرْتَعَها صاحبُها .

---

(١) سورة سبأ ٣٣

(٢) الذي في الفائق : « مكركم فيهما » وهو الأولي ، وسياق الآية يدل عليه ، يقول تعالي : ﴿ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ... ﴾ الآية .

(٣) هكذا بالزاي ، هنا ، وفي متن الحديث ، وهو صواب ، وجاء في الفائق « النهر » ، بالراء . وعند ابن قتيبة : « وقهر الرعية » . ولم يتعرض له في الشرح ، لعدم غرابته .

أراد أنه في حُسْنِ سياستِه الناسَ بهذه الغَزاة (١) ، كالرَّاعي الحاذِق بالرِّعْيَة ، الذي يُرْسِلُ الإبَلَ في مَرْعاها ، ويتركُها حتي تَشْبَعَ ، وإذا أوْرَدَها الماءَ تَرَكَها حتي تَرْوَي .

والعَرُوضُ ، بفتح العين : الذي يأخُذُ يميناً وشِمالاً ، ولا يَلْزَمُ المَحَجَّةَ .

أي أضرِبُه حتي أرُدَّه إلي الطريق .

والعَجُولُ : المُسْرِعُ في الأُمور ، قولاً وفِعْلاً ، فهو يَزْجُرُه : أي يكُفُّه ويَنْهاه عن عَجَلتِه .

---

(١) قوله : « بهذه الغزاة » هو من شرح ابن قتيبة ، والمتأمل لنص الحديث يري أنه لا علاقة بين غزوة قرقرة الكدر ، وبين حسن سياسة عمر – رضي الله عنه – الناسَ . وكان قد تلجلج في صدري شيء ، فهممت أن أردّ علي ابن قتيبة ، لكني أجفلت وأمسكت ، حتي رأيت ابن أبي الحديد – رحمه الله – يتوقف فيما توقفت فيه ، ويردّ علي ابن قتيبة تأويله . يقول ابن أبي الحديد :

« وعندي أن ابن قتيبة غالِطٌ في هذا التأويل ، وليس في كلام عمر ما يدلّ علي ذلك ، وليس عمر في غزاة قرقرة الكدر يسوس الناس ، ولا يأمرهم ولا ينهاهم ، وكيف ورسول الله ﷺ وآله ، حاضرٌ بينهم ! ولا كان في غزاة قرقرة الكدر حرب ، ولا ما يُحتاج فيه إلي السياسة ، وهل كان لعمر أو لغير عمر ، ورسول الله ﷺ وآله ، حيٌّ ، أن يرتع فيشبع ، ويسقي فيروي ! وهل تكون هذه الصفات ، وما بعدها إلا للرئيس الأعظم ! والذي أراده عمر ذكر حاله في خلافته .... وإنما ذكر قوله : « أنا زميل رسول الله ﷺ في غزاة قرقرة الكدر » علي عادة العرب ، في الافتخار وقت المنافرة ، وعندما تجيش النفس ، ويحمي القلب ، كما كان علي عليه السلام يقول وقت الحاجة : « أنا عبد الله وأخو رسوله » فيذكر أشرف أحواله ، والمزية التي اختص بها عن غيره ، وكان رسول الله ﷺ وآله ، في غزاة قرقرة الكدر ، أردف عمر معه علي بعيره ، فكان عمر يفخر بها ، ويذكرها وقت الحاجة إليها » .

والذَّبُّ : المَنْعُ والدَّفْعُ ، أي أَمْنَعُ وأَدْفَعُ عمَّا لا يَنْبَغِي ، بقَدْرِ وُسْعِي وطاقَتي ، وأَسُوقُ مَبْلَغَ خَطْوِي ومَشْيِي .

ويجوز أن يريد : أنه يُسْرِعُ خَطْوَه ، كأنه يَسُوقُه أينما شاءَ منه .

واللَّفُوت : التي تَتلَفَّتُ ، وتَرُوغُ كذا وكذا ، وهو فَعُولٌ من اللَّفْتِ ، بمعني الالتفات .

وقيل : هي الضَّجُورُ مِن النُّوق ، التي تَلْتفِتُ إلي حالِبها ؛ لِتعَضَّه .

ويُرْوَي : « وأَنْهَزُ اللَّفُوتَ » أي أَدْفَعُها .

والعَنُودُ : المائلُ عن السَّنَن المُسْتَقيم ، أي يَجْمَعُه ويضُمُّه ، ليعودَ إلي الاستقامة .

وقوله : « أُكْثِر الزَّجْرَ ، وأُقِلُّ الضَّرْبَ » أي أَنَّه يَنْهَي ما دام النَّهْيُ كافياً ، فإذا اضْطُرّ إلي الضَّرْب استعْملَه ، فلذلك جَعَل نَهْيَه كثيراً ، وضَرْبَه قليلا .

وقوله : « وأَشْهَرُ بالعَصا » أي أَرْفَعُها ، مُخَوِّفاً بها ، ولا أَستَعْمِلُها ، ولذلك أَتْبَعه بقوله : « وأَدْفَعُ باليَد » ، وغَرَضُه بذلك احتجاجُه عليهم بأنه كان يَفعل هذا علي عهد رسولِ الله ﷺ ، مع طاعةِ الناسِ ، وإذْعانِهم [١] له ، فكيف لا يفعله بعده ؟

---

(١) في الأصل : « وإذعانه لهم » وهو خطأ محض ، وصححته من الفائق ، والكلام كله فيه .

وعبارة ابن قتيبة : « مع طاعة الناس له ، وتعظيمهم إياه » .

وقوله : « ولولا ذلك لأَغْدَرْتُ » أي لتركتُ الحَقَّ والصَّوابَ ، وقَصَّرْتُ في الإيالَةِ (١) والرِّعاية .

يقال : غادَرْتُ الشيءَ ، وأَغْدَرْتُه : أي تركتُه .

يعني لولا هذا التدبيرُ ، وهذه السِّياسةُ .

ورُوِي : « لَغَدَّرْتُ » أي لألقيتُ الناسَ في الغَدَرِ ، وهو سَهْلٌ فيه حجارةٌ ، وغَدِرتِ الأرضُ : إذا كثُرَتْ حِجارَتُها .

ويجوز أن يكون « أَغْدَرَ » مَن الغَدْر ، ضِدَّ الوفاء . أي أوقعتُهم في الغَدْر ، أو حملتُهم عليه .

وكلُّ هذه أمثالٌ ضَرَبَها ، وأصْلُها في رِعْيَة الإبِلِ وسَوْقِها ، وإنما أراد به حُسْنَ سياستِه الناسَ . والله أعلم .

---

(١) الإيالة ، بكسر الهمزة : السياسة .

حديثٌ آخَرُ
لعمر رضي الله عنه

دخل عبدُ الله بن العباس علي عُمَرَ ، حينَ طُعِنَ ، فرآه مُغْتماً بمَنْ يَسْتَخْلِفُ بعدَه . فجعل ابنُ عباسٍ يذكُر له أصحابَه ، فذكَر عُثْمانَ ، فقال : كَلِفٌ بأقارِبه ، أَخْشَي حَفْدَه وأُثْرَتَه .

قال : فعَلِيٌّ .

قال : ذاك رجلٌ فيه دُعابَةٌ .

قال : فطَلْحَةُ .

فقال : الأَكْنَعُ ، إنّ فيه بَأْواً ونَخْوَةً .

قال : فالزُّبَيْرُ .

قال : وَعْقَةٌ لَقِسٌ ، ضَرِسٌ ضَبِسٌ ، أو قال : ضَمِسٌ .

قال : عبدُ الرحمن .

قال : أَوَّهْ ! ذكَرْتَ رجلاً صالحاً ، ولكنه ضعيفٌ ، وهذا الأَمْرُ لا يَصلُحُ له إلاَّ اللَّيِّنُ مِن غير ضُعْفٍ (١) ، والقَوِيُّ من غير عُنْفٍ .

ورُوِيَ : لا يَصلُحُ أن يَلِيَ هذا الأمرَ إلا حَصيفُ العُقْدَةِ ، قليلُ الغِرَّة ، الشَّدِيدُ في غير عُنْفٍ ، اللَّيِّنُ في غير ضُعْفٍ ، الجَوادُ في غير سَرَفٍ ، البَخيلُ في غير وَكَفٍ .

---

(١) هكذا بضم الضاد في الأصل . قال الفيومي في المصباح : « والضعف بفتح الضاد في لغة تميم ، وبضمها في لغة قريش .... فالمضموم : مصدر ضعُف ، مثل قرُب قُربا ، والمفتوح : مصدر ضعَف ضعفا ، من باب قتل ، ومنهم من يجعل المفتوح في الرأي ، والمضموم في الجسد » .

قال : فسَعْدُ بن أبي وقَّاص .

قال : ذاك يكونُ في مِقْنَبٍ مِن مَقانِبِكم .

* * *

أخرجه أبو عُبيد [١] ، ولم يذكر الرِّوايةَ الآخِرَة ، وانفرد الخَطَّابيُّ [٢] بإخراجها ، وأخرجه الزمخشريُّ تامًّا [٣] .

شرحه

الكَلَفُ : الوُلوعُ بالشَّيء ، مع شُغْلِ قَلْبٍ ومَشَقَّة . يقال : كَلِفَ فُلانٌ بهذا الأمر ، يَكْلَفُ كَلَفاً ، فهو كَلِفٌ ، ومنه المَثَلُ : « لا يكُنْ حُبُّكَ كَلَفاً ، ولا بُغْضُكَ تَلَفاً » [٣] ، وأصلُه مِن : كَلِفَ الشَّيءَ ، بمعني تَكَلَّفَه ، إذا فَعَله علي كُرْهٍ وشِدَّة . ومِن أمثالهم : « كَلِفْتُ إليك عَرَقَ القِرْبة » [٤] ، أي تكلَّفْتُ ، فلمّا ضُمِّنَ معني « أُولِعَ » عُدِّيَ بالباء .

---

(١) غريب الحديث ٣/٣٣١ – ٣٣٥ (٢) غريب الحديث ٢/٨٩ ، ١١١.

(٣) الفائق ٣/٢٧٥ – ٢٧٨ ، والحديث برواية أبي عبيد ، في شرح نهج البلاغة ١٢/١٤٢ ، ١٤٣

(٤) مجمع الأمثال ٢/٢١٨

(٥) مجمع الأمثال ٢/١٥٠ ، ويروي : « جشمت » مكان « كلفت » ، وبهذه الرواية أورده المصنف في مادة (عرق) من النهاية ٣/٢٢٠ ، وهو في مجمع الأمثال ١/١٦٧ ، وفي تفسير هذا المثل أقوال كثيرة ، ذكرها في النهاية ، وأظهر معانيه ما ذكره الميداني ، قال : « تقدير المثل : كلفت نفسي في الوصول إليك عرق القربة ، أي عرقا يحصل من حمل القربة » .

والحَفْدُ في الأصل : الجَمْعُ ، والمُرادُ به إسراعُه إلي مَرْضاةِ أقارِبِهِ ، ومُبادَرَتُه إلي تحصيل هَواهُ . والاحْتِفادُ والاحتِفالُ في الشيء بمعنيً ، وقيل لمن يَخفُّ في الخِدْمةِ ، ويُسْرِعُ : حافِدٌ ؛ لأنه يَهْتَمُّ به ، ويَجْمَعُ له نَفْسَه ، ومنه دعاءُ الوِتْرِ : « وإليك نَسْعَي و نَحْفِدُ » .

والأَثَرَةُ : الاستئثارُ بالفَيْء ، وغيرِه ، والانفرادُ به .

والدُّعابَةُ : المُزاحُ ، وقد دَعِبَ [١] يَدْعَبُ ، فهو دَعِبٌ .

والأَكْنَعُ : الأَشَلُّ اليَدِ ، وقد كَنِعَتْ [٢] أصابِعُه كَنَعاً : إذا تَشَنَّجَتْ ، والرجلُ أَكْنَعُ ، وكانت يدُه أُصِيبتْ يومَ أُحُدٍ .

والبَأْوُ ، بالهمز : العُجْبُ ، والكِبْرُ ، والفَخْرُ ، يقال : بَأَوْتُ علي القَوْمِ أَبْأَي بَأْواً ، قال حاتِمٌ :

فما زادَنَا بَأْواً علي ذِي قَرابَةٍ غِنانا ولا أَزْرَي بأَحْسابِنا الفَقْرُ[٣]

والنَّخْوَةُ : العَظَمةُ ، والأَنَفَةُ والكِبْرُ ، وقد نُخِيَ الرجلُ ، وانْتَخَي ، كزُهِيَ وازْدَهَي .

---

(١) ضبطت العين في الأصل بالكسر ، وضبطها الزمخشري في الفائق بالفتح ، قال : « كمَزَح يمزح » ، لكنه في الأساس ضبطه بالفتح والكسر ، قال الفيومي في المصباح : « دعب يدعب ، مثل مزح يمزح ، وزنا ومعني ، فهو داعب ، وفي لغة من باب تَعِب ، فهو دَعِبٌ » .

(٢) بكسر النون ، وهو من باب فرح ، كما في القاموس .

(٣) ديوانه ص ٢١٤ ، وتخريجه فيه .

ورجلٌ وَعْقَةٌ لَعْقَةٌ ، ووَعِقٌ لَعِقٌ ، بسكون العين وكسرِها ، وهو الذي يَضْجَرُ ويَتَبَرَّمُ بالأمر ، وقيل : هو السَّيِّءُ الأخلاقِ ، وقيل : هو الذي فيه حِرْصٌ ، ووُقُوعٌ في الأمرِ ، بجَهْلٍ وضِيقِ نَفْسٍ ، وسُوءِ خُلُق ، قال الشاعر (١) :

مُوَطَّأُ البَيْتِ مَحْمودٌ شَمائِلُهُ عِندَ الحَمالَةِ لا كَزٌّ ولا وَعِقُ

واللَّقِسُ ، بكسر القافِ : مِن لَقِسَتْ نَفْسُه إلي الشيءِ : إذا نازَعَتْه (٢) إليه ، وحَرَصَتْ عليه ، وقيل : لَقِسَتْ نَفْسُه : إذا خَبُثَتْ ، ومنه الحديث : « لا يَقُلْ أحدُكم : خَبُثَتْ نَفْسِي ، ولكن ليقل : لَقِسَتْ نَفْسِي » . وقيل : اللَّقِسُ : الذي يُلَقِّبُ الناسَ ، ويَسْخَرُ منهم .

ويقال : النَّقِسُ ، بالنون ، بمعناه .

والضَّرِسُ : الشَّرِسُ ، الصَّعْبُ الخُلُقِ ، يقال : رجلٌ ضَرِسٌ ، وضَرِيسٌ ، وهو مِن الناقةِ الضَّرُوسِ ، التي تَعَضُّ حالِبَها .

والضَّبِسُ : قريبٌ مِن الضَّرِسِ ، يقال : رجلٌ ضَبِسٌ ، وضَبِيسٌ .

والضَّمِسُ بمعناه ، علي تَعاقُبِ الميم من الباءِ ، وأصْلُ الضَّمْسِ : المَضْغُ .

وأَوَّهْ : كلمةٌ تقال عند التَّوجُّع والشَّكوي ، وفيها لُغاتٌ : يقال : أَوْهِ مِن كذا ، ساكنةَ الواوِ ، مكسورة الهاء ، وربَّما قلبوا الواوَ ألِفاً ، فقالوا : آهِ مِن كذا ، وربَّما شَدَّدُوا الواوَ وكسروها وفتحوها ، وسَكَّنوا الهاءَ ، فقالوا : أَوِّهْ مِن كذا ، وأَوَّهْ مِن كذا ، وربَّما حَذفُوا مع التَّشديد الهاءَ ، فقالوا : أَوٍّ مِن كذا .

---

(١) هو الأخطل ، ديوانه ص ٦١١ ، من قصيدة يمدح بها سلم بن زياد بن أبيه .

(٢) في الأصل : « نازعت » ، وأثبت ما في الفائق ، والنهاية ٤/٢٦٤

وقد أَوَّهَ الرجلُ تأْوِيهاً ، وتَأَوَّه تأَوُّهاً : إذا قال : أَوْهِ .

والعُنْفُ ، بالضمّ : ضِدُّ الرِّفْقِ .

والحَصِيفُ : المُحْكَمُ العَقْلِ ، وقد حَصُفَ بالضَّمِّ حَصافَةً .
وأراد بالعُقْدَة : الرَّأيَ وحُسْنَ السِّياسة .

والغِرَّةُ : الغَفْلَةُ .

والجَوادُ : الكريمُ السَّخِيُّ .

والسَّرَفُ : التَّبْذيرُ ، ووَضْعُ العَطاءِ في غير أهلِهِ ، وقد أسْرَفَ يُسْرِفُ إسْرافاً ، والسَّرَفُ : الاسمُ .

وقال بعضُ السَّلَف : كلُّ ما أنفقتَه في طاعةِ الله فليس بسَرَفٍ ، وإن كثُر ، وما أنفقْتَه في غير طاعتِه فهو سَرَفٌ ، وإن قَلَّ .

والوَكَفُ ، بفتح الكاف : الوُقُوع في المَأْثَم ، والعَيْب ، وقد وَكِفَ يَوْكَفُ وَكَفاً ، وأوْكَفْتُه أنا : إذا أوْقَعْتَه فيه ، وهو مِن وَكَفَ المطَرُ : إذا وَقَع (١) .

---

(١) إلي هنا وقف الشرح ، وقد بقي علي المصنف ، رحمه الله ، شرحُ قول عمر ، رضي الله عنه ، عن سعد ، رضي الله عنه : « ذاك يكون في مقنب من مقانبكم » .

وإليك ما قاله أبو عبيد ، والزمخشري :

قال أبو عبيد : « وقوله : « يكون في مقنب من مقانبكم » فالمقنب : جماعة الخيل والفرسان . يريد أن سعدا صاحب جيوش ومحاربة ، وليس بصاحب هذا الأمر ، وجمع المقنب : مقانب ، قال لبيد :

وإذا تواكلت المقانب لم يزل بالثغر منّا مِنْسَرٌ معلوم

قال أبو عمرو : المنسر : ما بين الثلاثين فرسا إلي أربعين ، ولم أره وقَّت في المقنب شيئا » .

وقال الزمخشري : « المقنب من الخيل : الأربعون والخمسون ، وفي كتاب العين : زهاء ثلاثمائة . يعني أنه صاحب جيوش ، ولا يصلح لهذا الأمر » .

وقال المصنف في النهاية ٤/١١١ : « المقنب ، بالكسر : جماعة الخيل والفرسان ، وقيل : هو دون المائة . يريد أنه صاحب حرب وجيوش ، وليس بصاحب هذا الأمر » .

حديثٌ آخَرُ
لعمر رضي الله عنه

كتب عمر بن الخَطّاب ، في الصَّدَقة ، إلي بعض عُمَّاله ، كتاباً فيه : ولا تَحْبِسِ الناسَ ، أوَّلَهُم علي آخِرِهم ؛ فإنّ الرَّجْنَ للماشِيةِ عليها شديدٌ ، ولَهَا مُهْلِكٌ ، وإذا وَقَفَ الرجُلُ عليك غَنَمه ، فلا تَعْتَمْ مِن عَيْمَتِها [١] ، ولا تأخُذْ مِن أَدْناها ، وخُذِ الصَّدَقَةَ من أوْسَطِها ، وإذا وجَب علي الرجُلِ سِنٌّ لم تَجِدْها في إبِلهِ ، فلا تأخُذْ إلاَّ تلك السِّنَّ مِن شَرْوَي إبلهِ ، أو قِيمةَ عَدْلٍ ، وانظُرْ ذَوَاتِ الدَّرِّ ، والماخِضَ ، فتَنكَّبْ عنها ، فإنها ثِمالُ حاضِرتِهم .

وفي رواية أنه قال في صدقة الغَنَم : يَعْتامُها صاحبُها ؛ شاةً شاةً ، حتي يَعْزِلَ ثُلُثَيها ، ثم يَصْدَعُ الغَنَمَ صَدْعَيْن ، فيَخْتارُ المُصَدِّقُ مِن أحدهما .

* * *

أخرجه ابنُ قُتيبة [٢] ، والزمخشريُّ [٣] ، وهو من حديث عبد الرزَّاق ، عن مَعْمَر ، عن إسماعيل بن أُميَّةَ ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه .

---

(١) بحاشية الأصل : « غنمه » ، وسيشير إليه المصنف في الشرح .

(٢) غريب الحديث ٢/٤٠ – ٤٢ ، وحكاه عنه ابن أبي الحديد ، في شرح نهج البلاغة ١٢/١٧٤ ، ١٧٥

(٣) الفائق ٢/٤٤ ، ٤٥

شرحه

قوله : « لا تَحْبِسِ الناسَ أَوَّلَهم علي آخِرِهم » أي لا تجمعْهم كُلَّهم عندك لأَخْذِ الصَّدقة ، بل كلٌّ من حَضَرْتَه ، أو حضَرَك منهم ، فخُذْ صدَقَته وسَرِّحْه .

والرَّجْنُ : الحَبْسُ ، يقال : رَجَنَ الشاةَ رَجْناً ، ورُجُونا ، إذا حَبَسها ، وقد رجَنَتْ ، فهي راجِنٌ ، كدَجَنَتْ فهي داجِنٌ ، والدَّاجِنُ : التي تألَفُ البيتَ ، ولا تَسْرحُ في المَرْعَي ، ورَجَنَ بالمكان ، ودَجَنَ ، إذا أقامَ به .

والاعْتِيامُ : الاختِيارُ ، يقال : اعْتامَ الشيءَ يَعْتامُه ، إذا اختاره ، واعْتَماه يعتميه ، مقلوبٌ منه . قال طَرَفَةُ [١] :

أَرَي الموتَ يَعْتامُ الكِرامَ ويَصْطَفِي عَقِيلةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ

وعَيْمَةُ المالِ : خِيارُه .

وقال الجوهريّ : العِيمَةُ ، بالكسر : خِيارُ المال ، واعْتامَ الرجُلُ : إذا أَخَذَ العِيمَةَ .

قال الزمخشريّ : وهو مِن العَيْمة – يَعْني شِدَّةَ شَهْوةِ اللَّبن – لأَنَّ النَّفسَ تَنْزِعُ إلي خِيار كلِّ شيء ، فكأنَّها تَعَامُ إليه .

هكذا رَوَي الزمخشريُّ ، وشَرَح : « فلا تَعْتَمْ مِن عَيْمتِها » [٢] ، وفي كتاب القُتَيْبيّ : « ولا تَعْتَمْ مِن غَنَمِه » أي لا

---

(١) ديوانه ص ٣٦ ، وشرح القصائد السبع ص ٢٠٠

(٢) الذي في الفائق المطبوع : « فلا تعتم من غنمه » .

تَخْتَرِ الصَّدقة منها ، فتأخُذَ خِيارَها ، ولا تأخُذْ مِن أَدْناها ، وخُذْ مِن وَسَطِها .

وقوله : « إذا وجَبَ علي الرجُلِ سِنٌّ » يعني ذاتَ السِّنِّ ، مِن أَسْنان الإبل ، كابْنَة المَخاض ، وابْنةِ اللَّبُون ، والحِقَّة .

والشَّرْوَي : المِثْل ، وهي مِن شَرَي يَشْرِي ، لِما بينَ البَدَلَيْن من التَّماثُل والتَّساوِي ، ألا تَرَي إلي قولهم : هذا يُساوِي (١) كذا ، وإنما قُلِبت الياءُ في « الشَّرْوَي » واواً ؛ لأنها اسمٌ ، كالتَّقْوَي ، والبَقْوَي ، ولو كانت صِفَةً لم تُقْلَبْ ، كالخَزْيَا ، والصَّدْيَا .

ومعني الحديث : أنه إذا وجَبَ علي صاحبِ خمسٍ وعشرين من الإبلِ ابنُ مَخاضٍ ، ولا يُوجَدُ في إبلِه ، فعليه أن يُحَصِّلَه من إبلٍ مِثلِ حالِ إبلِهِ ، خِياراً أو رُذَالاً ، وليس للعاملِ أن يُلْزِمَه بتحصيل ما هو خِيارٌ ، إن لم تكُنْ إبِلُه خِياراً .

ومعني قوله : « أو قِيمة عَدْلٍ » أي يأخُذُ منه قِيمةَ السِّنِّ الواجبةِ عليه ، علي سبيلِ العَدْلِ والسَّوِيَّة ، من غير حَيْفٍ في الثَّمَن .

والدَّرُّ : اللَّبنُ ، وذواتُ الدَّرِّ : الحَلُوباتُ من الإبلِ .

والماخِضُ : التي ضَرَبَها المخَاضُ ، وهو الطَّلْقُ ، وقد مَخَضَتِ (٢) النَّاقَةُ ، وتَمَخَّضتْ ، فهي ماخِضٌ ، ومَخُوضٌ ، ونُوقٌ مَواخِضُ .

---

(١) هكذا في الأصل : « يساوي » بالسين المهملة ثم الواو ، والذي في الفائق – والنقل منه – : « إيشاري » بالشين المعجمة ، ثم الراء ، ولعله « يشاري » بإسقاط الهمزة من أوله .

(٢) بفتح الخاء وكسرها ، وفعله من باب سمع ، ومنع ، كما في القاموس ، ويقال أيضا ، بضم أوله وكسر ثانيه .

وتَنكَّبْتُ عن الشيءِ : إذا تركتَه ، وعَدَلْتَ عنه إلي غيرِه ، يقال : تَنكَّبه ، وتَنكَّب عنه ، كأنَّك ولَّيْتَه مَنْكِبَكَ .

يريد : دَعْ ذواتِ الألبان ، والحَوامِلَ المُقْرِبات [1] ، فلا تأخُذْها في الصَّدَقة ، لأنها مِن نَفائس أموالِهم عليهم .

وثِمالُ القومِ : مَلْجَؤُهم ومُعْتَمَدُهم [2] ، وقد ثَمَلْتُ إليه : أي لَجأْتُ .

والحاضِرَةُ : القَوْمُ الحُضُورُ المُجْتَمِعون . يريد أنَّ ذَواتَ اللَّبنِ ، والماخِضَ ، يَلْجأُ إليها أصحابُها ، اعتماداً علي ألبانِها .

وقولُه في الرِّواية الأُخْرَي : « يَعْتامُها صاحِبُها شاةً شاةً » أي يَختارُها واحدةً واحدةً .

و « شاةً شاةً » منصوبٌ علي الحال ، التي بتقدير المُشتَقَّة ، تقديره : يختارُها مُفرَّقةً ومُفْرَدةً .

والثَّلَّةُ : الجَماعةُ الكَثِيرةُ مِن الضَّأْنِ ، وجَمْعُها : ثِلَلٌ ، كبَدْرَةٍ وبِدَرٍ .

والصَّدْعُ : الفَرْقُ والشَّقُّ ، أي يَقْسِمُ غَنَمه قِسْمَيْن مُتَساوِيَيْن .

والمُصَدِّقُ ، بتخفيف الصّادِ ، وتشديد الدال المكسورة : عامِلُ الصَّدَقة ، يقال : صَدَّقَ الإبِلَ والغَنَمَ ، فهو مُصَدِّقٌ : إذا أخذ صَدَقتَها .

---

(١) المقرب : هي التي دنا وِلادُها .

(٢) راجع حديث استسقاء النبي ﷺ . ص ١١٦ .

حديثٌ آخَرُ
لِعُمرَ رضي الله عنه

أَنْفَذَ سعدُ بن أبي وَقَّاصٍ ، عمرَو بن مَعْدِي كَرِبَ ، بعد فتح القادِسِيّة ، إلي عمرَ بن الخَطَّاب ، فقدِم عليه ، فسأله عُمَرُ عن المسلمين ، فقال : ما قولُك في عُلَةَ بنِ جَلْدٍ ؟

قال : أولئك فَوارِسُ أَعْراضِنا ، وشِفاءُ أمراضِنا ، أَحَثُّنا طَلَباً ، وأَقَلُّنا هَرَباً .

قال : فسَعْدُ العَشِيرةِ ؟

قال : أَعْظَمُنا خَمِيساً ، وأَكْبَرُنا رئيساً ، وأَشَدُّنا شَرِيساً .

قال : فبنو الحارِث بن كَعْب ؟

قال : حَسَكَةٌ مَسَكَةٌ .

قال : فَمُرادٌ ؟

قال : أولئك الأتقياءُ البَرَرَةُ ، والمَساعِيرُ الفَخَرَةُ ، أَكْرَمُنا قراراً ، وأَبْعَدُنا آثاراً .

* * *

أخرجه ابن قُتيبة [١] ، والزمخشريُّ [٢] ، في غريبيهما ، بغير إسناد ، في أحاديث عمر ، وليس له فيه إلا السُّؤال ، وإنما الغَريبُ لعمرو بن مَعْدِي كَرِبَ .

---

(١) غريب الحديث ٢/٨٥ - ٨٧

(٢) الفائق ٢/٤١٤ ، ٤١٥ ، والحديث أيضا في مروج الذهب ٢/٣٣٣ ، ٣٣٤ ، وشرح نهج البلاغة ١٢/١١٨

شرحه

عمرو بن مَعْدِي كَرِبَ الزُّبَيْدِيّ : صحابيٌّ مشهورٌ [١] ، مَعْدودٌ في شُجْعان العَرَبِ ، وفُرْسانِ اليَمن ، من بني زُبَيد بن صَعْب ابن سَعْدِ العَشِيرة بن مَذْحِج .

ومَعْدِي كَرِبَ : اسمٌ مُرَكَّبٌ من اسمَيْن ، فلا يَنْصَرِفُ ، للمَعْرفة والتركيب [٢] ، وقد يُضافُ « مَعْدِي » إلي « كَرِبٍ » فَيَنْصَرِف ويُجَرُّ .

وعُلَةُ [٣] بن جَلْدٍ : هو أبو بُطُونٍ كبيرةٍ من اليمن ، وهو عُلَةُ ابن جَلْدِ بن مالك بن أُدَد ، من بني زَيْد بن كَهْلانَ بن سَبَأ ، ومالِكٌ : هو مَذْحِجٌ .

فسؤالُه عن عُلَةَ ، يريد من يَنتسبُ إلي عُلَةَ .

وسَعْدُ العَشِيرة : هو أخو جَلْد بن مالك ، وهو أبو بُطُونٍ كبيرة .

---

(١) راجع أسد الغابة ٢٧٣/٤ ، والإصابة ١٨/٥

(٢) ومعناه بالحميرية : وجه الفلاح ، وذلك أن المعدي : هو الوجه ، بلغتهم ، والكرب : هو الفلاح . أفاده السهيلي في الروض الأنف ٣٩/١

(٣) « علة » بضم العين ، وفتح اللام ، وهو اسم ناقص ، مثل قلة ، وكرة ، وكأنه من علا يعلو . الاشتقاق ص ٣٩٧

و « جَلْد » هو بفتح الجيم ، وسكون اللام ، ووقع في شرح نهج البلاغة : « خالد » . وهو خطأ . وقد نبهت عليه لئلا تغترّ به .

وفَوارِسُ : جَمْع فارسٍ ، علي غير قياسٍ ، لأنّ فاعلاً من صِفة المذكَّر العاقِل ، لا يُجْمَعُ علي فَواعِلَ ، وهو مِن جَمْع المُؤنَّث ، إلاّ ما شَذَّ ، كفوارِسَ ، ونَواكِسِ الأبصارِ [(١)] .

والأَعْراضُ : جَمْع العُرْضِ ، بالضَّمّ ، وهو الجانِبُ ، أي يَحْمُون نَواحِيَنا عن قَصْد العَدُوّ ، واختطافِه .

أو هو جَمْع العَرْض ، بالفتح ، وهو الجَيْش ، أي هم الفَوارِسُ المُشارُ إليهم من جُيُوشِنا .

أو هو جَمْع العِرْض ، بالكسر ، وهو النَّفْسُ ، والحَسَبُ ، أي يَصُونُون بشَهامَتِهم أعْراضَنا أن تُذَمَّ وتُعابَ .

وقوله : « وشِفاءُ أمراضِنا » هو مِن باب الاستعارة ، يريدُ به أنهم يأخذون بثأْرنا ، فنَشْفِي قُلُوبَنا من الأمراضِ التي نَزلَتْ بها .

والحَثُّ : الإسراعُ ، أي هو أسرَعُنا إذا طَلَبْنا ، فإن قُدِّرَ لنا هَرَبٌ ، كانوا أقلَّنا لهُ مباشَرَةً .

والخَمِيسُ : الجيشُ الذي له خمسةُ أركانٍ : مَيْمنةٌ ، ومَيْسَرةٌ ، وقَلْبٌ ، ومُجَنِّبتان ، وقِيل عِوَضَ المُجَنِّبتين : مُقَدِّمةٌ وساقَةٌ .

وقيل : لأنّ الغَنائمَ تُخَمَّسُ فيه ، أي يُؤْخَذُ خُمْسُها .

والشَّرِيسُ : فَعِيلٌ مِن الشَّراسَة ، وهي النُّفورُ ، وسوءُ الخُلُقِ ، ورجُلٌ شَرِسٌ ، وشَرِيسٌ ، وفيه شَرَسٌ ، وشَراسَةٌ .

---

(١) قطعة من بيتِ سيّار ، وتمامه :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم　　　خضع الرقاب نواكس الأبصار

وهو للفرزدق . ديوانه ص ٣٧٦ ، والكتاب ٦٣٣/٣ ، وشرح المفصل ٥٦/٥ ، والخزانة ٤٠٢/١ ، وغير ذلك كثير .

يُريد أنّ سَعْدَ العَشِيرة أَكْثَرُ وأَعْظَمُ مَذْحِجَ جَيْشاً ، وأَكبرُهم في الرِّياسة والتَّقَدُّم ، وأشَدُّهم بأساً وشَجاعةً ، فقد جَمَعُوا بينَ الكَثْرَةِ والرئاسةِ ، والشِّدَّة .

وبنو الحارث بن كَعْبٍ : بَطْنٌ مِن مَذْحِجَ .

ومُرادٌ : أخو جَلْدٍ ، وسَعْدِ العَشِيرة .

والحَسَكَةُ في الأصل : شَوْكَةٌ صُلْبَة مُعَقَّفَةٌ ، شَبَّهَهُم في امتناعهم علي مَن أرادهم بالحَسَكَةِ .

والمَسَكَةُ : قال القُتَيبيُّ [١] : يقال : رجلٌ مُسَكَةٌ – يعني بضمّ الميم ، وفتح السِّين – إذا كان لا يَعْلَقْ بشيءٍ ، فيُتَخَلَّصَ منه ، ولا يُنازِلُه مُنازِلٌ فيُفْلِتَ منه ، ولهذا قِيل للبخيل : مُسَكَةٌ ؛ لأنه يُمْسِكُ ما في يده ، فلا يُخْرِجه إلي أحد .

وكذلك قال الجوهريُّ في المُسَكَة ، وقال : وجَمْعها مُسَكٌ .

وقال الزمخشريُّ [٢] : المَسَكُ – يعني بفتح الميم [٣] – جَمْع مَسَكةٍ ، وهو الذي إذا أمْسَكَ بشيءٍ لم يُقْدَر علي تخليصه منه ، ونظيرُه : رجلٌ أَمَنَةٌ ، وهو الذي يَثِقُ بكُلِّ أحدٍ ، ويأْمَنُ إليه ، وأمَّا المُسَكَةُ ، بالضمّ : فالبَخِيلُ ، وهذا التَّقييد منه بخِلاف الأول .

---

(١) غريب الحديث ٨٥/٢ ، وذكره في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٢) الفائق ١٠٩/٣ ، في حديث عثمان – رضي الله عنه – أيضا .

(٣) الزمخشري لم يقيد بالعبارة ، والذي في الفائق المطبوع ، ضبطت الميم ؛ بالضم ، في المفرد والجمع ، وذلك بضبط القلم .

وكِلا القولين مُتَّجِهٌ . يُريد أنهم إذا تَعلَّقُوا بأحدٍ ، لم يَخْلُصْ منهم ، كالذي تَعْتَلِقُ به الحَسَكَةُ المُعَقَّفَةُ .

والأتْقياءُ : جَمْع تَقِيٍّ .

والبَرَرَةُ : جَمْع بارٍّ . يصِفُهم بالدِّين والخير .

والمَساعِيرُ : جَمْع مِسْعارٍ ، وهو الذي تُسْعَرُ به نارُ الحربِ ، يُقال : سَعَرْتُ النارَ : إذا أوقَدْتَها ، فاستُعير للحَرْب ، فقيل : سَعَرَ الحربَ : إذا هاجَها ، فهو مِسْعَرٌ ، ومِسْعارٌ ، وهُما من أبنية المُبالَغة .

والفَخَرَةُ : جَمْع فاخِرٍ ، من الفَخْرِ : الشَّرَفِ ، نحو كاتبٍ وكَتَبَةٍ .

والقَرارُ : الموضعُ الذي يُستقَرُّ فيه ، أي هم أكرَمُهم مَنازِلَ .

وقوله : « وأبْعَدُنا آثاراً » أي أبْعَدُنا ذِكْراً وصِيتاً ، فإنّ بُعْدَ الأثَرِ دليلٌ علي بُعْد الذِّكرِ .

حديثٌ آخَرُ
لعُمر رضي الله عنه

ذُكِر عنده التَّمْرُ والزَّبِيبُ : أيُّهما أَطْيَبُ . وفي رواية أنه قال لرجُلٍ من أهلِ الطائف : الحَبَلَةُ أطْيَبُ أم النَّخْلَةُ ؟ فأرسل إلي أبي حَثْمَةَ الأنصاريّ ، فقال : إنّ هؤلاء قد اختلفوا في التَّمر والزَّبيب ، وجاء أبو عَمْرَةَ عبدُ الرحمن بن مِحْصَنٍ الأنصاريّ .

فقال أبو حَثْمَةَ : ليس الصَّقْرُ في رُؤوسِ الرَّقْلِ ، الرَّاسِخاتِ في الوَحْلِ ، المُطْعِماتِ في المَحْل ، تَعِلَّةُ الصَّبِيّ ، وقِرَي الضَّيف ، وبه يُحْتَرَشُ الضِّبابُ في الأرضِ الصَّلْعاء ، كزَبِيبٍ ، إن أكلْته ضَرِسْتَ ، وإن تركتَه غَرِثْتَ .

وفي رواية أبي عَمْرةَ زِيادةٌ في صِفَة التَّمْر : خُرْفَةُ الصَّائِم ، وتُحْفَةُ الكبيرِ ، وصُمْتَةُ الصَّغير ، وخُرْسَةُ مَرْيَم .

* * *

أخرجه القُتَيْبيّ [(١)] ، والزمخشريّ [(٢)] ، وهو من حديث الحُمَيديّ ، عن ابن عُيَيْنَةَ ، عن الرَّبيع بن لُوطٍ ، مِن وَلَدِ البَرَاء بن عازِبٍ .

---

(١) غريب الحديث ٦١٢/١ – ٦١٨ ، وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٦١/١٢ ، ١٦٢ . وانظر الحيوان ١٤٠/٦ ، وأمالي القالي ٥٨/٢ .

(٢) الفائق ٢٥٤/١ ، ٢٥٥

شَرْحه

أبو حَثْمةَ : هو عبدُ الله بن ساعِدةَ الأنصاريّ .

والحَثْمةُ : الأَكَمةُ الحمراءُ ، وبها سُمِّيت المرأةُ حَثْمَةً ، ويجوز أن يُسمَّي بالمَرَّة من الحَثْمِ : العَطاء .

والحَبَلَةُ ، بفتحتين : شَجَرةُ الكَرْم ، وقد تُسكَّن الباءُ .

فأمّا الحُبْلَةُ ، بالضمّ ، وسكون الباء ، فهو ثَمَرُ العِضاه .

والصَّقْرُ : الدِّبْسُ المُتَّخَذُ مِن الرُّطَب .

والرَّقْلُ : جَمْع رَقْلَةٍ ، بسُكون القاف فيهما ، وهي النَّخْلة الطويلة ، دُونَ السَّحُوق ، وفوقَ الجَبَّارةِ .

فجعل الدِّبْسَ في رؤوسِ النَّخْلِ مجازاً ، ويُريد به الرُّطَبَ ، تسميةً للشيء باسم ما يؤُول إليه [١] إليه ، قال :

وما العَيْشُ إلاَّ نَوْمَةٌ وتشرُّقٌ وتَمْرٌ علي رأسِ النَّخيلِ وماءُ[٢]

فسَمَّي الرُّطَبَ تمراً ؛ لأنه يؤُول إليه ، وكذلك سَمَّي الرُّطَبَ صَقْراً .

---

(١) كما قالوا في قوله تعالي : ﴿ إني أراني أعصر خمرا ﴾ سورة يوسف ٣٦ – أي عنبا يؤول أمره إلي الخمر .

(٢) البيت من غير نسبة في أساس البلاغة (شرق) ، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ١٨٥٤ ، برواية :

وتمرٌ كأكبادِ الجرادِ وماءٌ

ونسبه الجاحظ إلي بعض الأعراب ، وروايته :

وما العيش إلا شبعةٌ وتشرقٍ وتمر كأخفاف الرباع وماءُ

البيان والتبين ١٧٩/٢ ، ١٨٨/٣

وقول الشاعر في البيت : « وتشرق » فإنه موضع القعود في الشمس في الشتاء ، ويقال : تشرق : قعد فيه . ويقال : طلع الشرق والشارق ، للشمس .

والرَّاسِخاتُ في الوَحْلِ : هي التي تَنْتَهِي عُروقُها إلي التُّرابِ المُخْتلِط بالماءِ المَعِين .

والوَحَلُ ، بفتح الحاء ، في الأصل : الطِّينُ الرَّقيقُ ، وسُكونُ الحاءِ فيه لغةٌ رَدِيئةٌ . قاله الجوهريُّ . وقد وَحِلَ الرجلُ ، بالكسر ، [يَوْحَلُ : إذا] (١) وقَعَ في الوَحَل .

والرُّسُوخُ : الثَّباتُ ، والاستِقْرار .

والمَحْلُ : الجَدْبُ والغَلاءُ . يعني أنها لا تَعْطَبُ علي العَطَشِ ، وقِلَّةِ الأَنْداءِ والأمطارِ ، وثَمرتُها دائمةٌ لا تَنْقَطِعُ ، فهي مُطْعِمةٌ في الجَدْب .

والتَّعِلَّةُ : ما يُتَعلَّلُ به ، يقال : عَلَّلتُه بالشيء : أي أَلْهَيْتُه به ، والتَّعِلَّةُ : تَفْعِلَةٌ من التَّعَلُّلِ ، كالتَّحِلَّة من التَّحلُّل .

يُريد ما يُسَكَّن به بُكاءُ الصَّبيِّ إذا طَلَبَ اللَّبَنَ ، فتُعْطِيه أُمُّه تَمْرةً ، تُرْضِيه بِها .

وقِرَي الضَّيفِ : ما يُحْضَرُ له من الطَّعام .

والضَّيْفُ : مصدرٌ سُمِّيَ به ، ويَقَعُ علي الواحِدِ ، والاثنين ، والجميع ، والمُؤنَّث ، ومنه قوله تعالي : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) لم يرد هذا في الصحاح المطبوع .

(٢) سورة الذاريات ٢٤

والاحتِراشُ : الاصْطِيادُ ، والحارِشُ : الصَّائدُ ، وحَرْشُها : أن يُحرِّكَ الصائدُ يَدَه عندَ جُحْرِ الضَّبِّ ، فيُرَي أنه حَيَّةٌ ، فيخرجُ ليصطادَها ، ويأكُلَها ، فيُصْطادَ هو ، ثم اتُّسِعَ فيه ، حتي سُمِّيَ صائدُه بأيّ طريقٍ كان : حارِشاً ، وهم يقولون : إن الضَّبَّ يُعْجَبُ بالتَّمْر ، ويُحبُّه .

والأرضُ الصَّلْعاءُ : التي لا نَباتَ بها ، كالرأس الأَصْلعِ الذي لا شَعَرَ فيه .

والضَّرَسُ : خَوَرٌ وكَلالٌ ، يَحْدُثُ للأسنانِ عند أكلِ ما فيهِ حُمُوضَةٌ ، أو جِلاءٌ [1] ، وقد ضَرِسَ يَضْرَسُ ضَرَساً ، فهو ضَرِسٌ .

والغَرَثُ : الجُوعُ ، وقد غَرِثَ يَغْرَثُ ، فهو غَرْثانُ .

يريد أنه إذا أكَلَ الزبيبَ ، ثم تركه ، تركه وهو جائعٌ ؛ لأنه لا يَسُدُّ من الجُوعِ ، كما يَسُدُّ التَّمْرُ .

والخُرْفَةُ : اسم ما يُخْتَرَفُ مِن الثَّمَرِ ، أي يُجْتَنَي ، وأضافَها إلي الصائم ؛ لأنهم كانوا يَستحبُّون أن يُفْطِرُوا علي التَّمر .

والصُّمْتَةُ : فُعْلَةٌ مِن الصَّمْتِ : السُّكُوتِ ، يُريد ما يُسَكَّتُ به الصَّغيرُ .

والتُّحْفَةُ : الهديَّةُ ، وأصْلُ التُّحْفَةِ : طُرْفَةُ الفاكِهة ، ثم استُعْمِل

---

(١) هكذا في الأصل ، ولم أجد من معاني الجلاء ما يناسب هذا المقام .

في غيرها مِن الألْطافِ ، والنُّعصِ [١] ، والتاءُ فيها بَدَلٌ من واو . قاله الأزهريُّ [٢] ، وأثْبَتَها الجوهريُّ أصلاً ، وقد تُحَرَّك حاؤُها .

يريد أن التَّمْرَ يَصْلُحُ للصَّغير والكبير .

والخُرْسَةُ : ما تُطْعَمُه النُّفَساءُ عندَ وِلادتِها ، يُقال : خَرَسْتُ النُّفَساءَ : أي أطعَمْتُها الخُرْسَةَ .

فأمَّا الخُرْسُ ، بلا هاءٍ : فهو الطَّعامُ الذي يُدْعَي إليه عندَ الوِلادة .

ومَرْيَمُ : هي أمُّ المسيح ، عليهما السَّلامُ ، أسْقطَ الله عزَّ وجَلَّ عليها التَّمْرَ مِن النَّخْلة ، لمَّا ولدت المسيحَ ، وذلك قوله تعالي : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقَطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً ﴾ [٣] .

---

(١) في الأصل : « النغص » بالغين المعجمة ، وأثبته بالعين المهملة من النهاية ١/١٨٢ ، ولم أجد فيما بين يدي من كتب اللغة معني مناسبا لهذا الحرف إلا ما ذكره الصاغاني في التكملة ٤/٤٦ ، قال : « وما أنعصه بشيء : أي ما أعطاه » .

وقال الأزهري في التهذيب ٢/٣٥ : ولم يصح لي من باب (نعص) شيءٌ أعتمده من جهة من يرجع إلي علمه وروايته عن العرب .

(٢) وذكره في (تحف) التهذيب ٤/٤٤٥

(٣) سورة مريم ٢٥

وضبط في الأصل : (تساقط) بفتح التاء ، وتخفيف السين ، وفتح القاف . قال مكي : « قرأه حفص بضم التاء وكسر القاف مخففة ، وفتحهما الباقون ، وكلهم شدّد السين إلا حمزة وحفصا . الكشف عن وجوه القرآت السبع ٢/٨٧

حديثٌ آخرُ
لعُمر رضي الله عنه

وَقَفَتْ عليه امرأةٌ عَشَمَةٌ ، بأَهْدامٍ لها ، فقالت : حَيّاكم اللهُ قَوْماً ، تحيَّةَ السَّلام ، وأَمارَةَ الإسلام ، إني امرأةٌ جُحَيْمِرٌ ، طَهْمَلَةٌ ، أَقْبَلْتُ مِن هَكْرانَ وكَوْكَبَ ، أجاءَتْني النَّآئِدُ ، إلي اسْتِيشاءِ الأَباعِدِ ، بعدَ الدِّفْءِ والوَقِير ، فهل مِن ناصِرٍ يُجِير ، أو دَاعٍ يُشْكَر ، أعاذَكُم اللهُ مِن جَوْحِ الدَّهر ، وضَغْمِ الفَقْرِ .

* * *

أخرجه الخَطَّابيُّ (١) ، عن محمد بن عليّ بن إسماعيل القَفَّال ، بإسنادِه ، وقال : فيه ألفاظٌ كثيرةٌ ، ظَننتُ بها الصَّنْعةَ ، فتركتُها . وأخرجه الزمخشريُّ (٢) مختصراً مثلَه . وغريبُه من كلام المرأةِ ، لا كلامِ عُمر .

شرحه

يُقال للرجُلِ والمرأةِ : عَشَمَةٌ ، بالتحريك ، وعَشَبَةٌ ؛ إذا أَسَنَّا ويَبِسَا ، مِن عَشِمَ الخُبْزُ يَعْشَمُ : إذا يَبِسَ وتَكَرَّجَ (٣) .

---

(١) غريب الحديث ٢/٧٧ .

(٢) الفائق ٢/٤٣٤ ، ٤٣٥

(٣) كرج الخبز – بوزن فرح – واكترج ، وكرّج – بالتشديد – وتكرّج : فسد وعلته خضرة . القاموس .

والأَهْدامُ : جَمْع هِدْمٍ ، بالكسر ، وهو الثَّوبُ الخَلَقُ البالي ، كأنّ البِلَي هَدَمَه هَدْمَ البِناء .

وحَيَّاكُم اللهُ : أي أَبقاكُم ، وهو فَعَّلَ مِن الحياة ، وقيل : هو مِن التّحيةِ : السَّلامِ .

والتحِيَّةُ : تَفْعِلَةٌ من الحياة أيضاً .

وقيل : إنّه من استِقبال المُحَيَّا ، وهو الوجْهُ .

و « قَوْماً » منصوبٌ علي التَّمييز ، أي حيَّاكَم اللهُ مِن قومٍ .

والسَّلام : اسمُ مَصْدَر التَّسْليمِ .

والأَمارةُ : العَلامةُ .

تُريدُ تحيّة السَّلامِ المعروفةَ ، المَسنُونةَ في الإِسلام ، وهي : سلامٌ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه .

وجُحَيْمِرٌ : تصغير جَحْمَرِشٍ ، وهي العجوزُ القَحِلَةُ ، وحُذِفت شِينُها في التصغير ؛ لأنها الحرفُ الخامِسُ ، قياساً علي نظائرِهِ ، ويجوز إبقاءُ الشِّين ، وحَذْفُ الميم ، لأنها مِن حُروف الزِّيادة ، فيُقال : جُحَيْرِش ، والأوّل أكثَرُ وأَقْيَسُ .

والطَّهْمَلَةُ : المُسْتَرْخِيةُ اللَّحمِ . وقال الجوهريُّ : الطَّهْمَلُ : الجَسِيمُ ، القَبِيحُ الخِلْقَةِ ، والأُنْثَي طَهْمَلَةٌ .

وهَكْرانُ وكَوْكَبُ : جَبلانِ [١] .

---

(١) في بلاد العرب . راجع معجم ما استعجم ص ١١٤٢ (في رسم كوكب) وأسماء جبال تهامة (نوادر المخطوطات – المجلد الثاني ص ٤٣٩) .

والنَّآئِدُ : الدَّواهِي ، واحِدُها : نَآدَي [١] ، ونَآدٍ ، والنَّآدُ والنُّؤُودُ أيضا : الدَّاهِيَةُ .

وأجاءَتْنِي : أي حَمَلتْنِي علي المَجِيء [٢] ، والهمزةُ للتَّعدية .

والاسْتِيشاءُ : الاحْتِلابُ والاستِخْراجُ ، يقال : اسْتَوْشَيْتُ الناقةَ : إذا حَلَبْتَها ، واستَوْشَيْتُ الفرسَ : إذا استْخَرجْتَ ما عندَه من الجَرْي ، فاستعارتْه للسُّؤال .

تُرِيدُ أنها اضطرَتْها الدَّواهِي المُحْوِجَةُ ، إلي مسألةِ الأباعِد والأجانِب .

والدِّفْءُ : الإبِلُ العَظِيمةُ ، سَمَّاها دِفْأً ، لأنهُ يُتَّخَذُ مِن أوبارِها ما يُدْفِيءُ [٣] ، ومنه الحديثُ الآخَرُ : « لَنا مِن دِفْئِهم وصِرامِهم » [٤] أي مِن إبِلهم ونَخْلِهم .

والوَقِيرُ : القَطِيعُ العَظِيمُ من الغَنَم ، وقيل [٥] : لا تكون وَقِيرا حتى يكونَ معَها كَلْبُها ، وكَرَّازُها [٦] ، وراعِيها .

---

(١) هذا بوزن فَعالَي ، والذي بعده بوزن سحاب . راجع حواشي النهاية ٣/٥

(٢) ومنه قوله تعالي : ﴿ فأجاءها المخاض إلي جذع النخلة ﴾ سورة مريم ٢٣

(٣) من قوله تعالي : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ سورة النحل ٥

(٤) النهاية ٢/١٢٤

(٥) سبق هذا في حديث طهفة بن أبي زهير النهدي .

(٦) الكراز ، بالتشديد ، بوزن حمّاد : الكبش يحمل خُرج الراعي .

والنَّاصِرُ ، ها هُنا : المُعْطِى ، مِن نَصَرَ الغَيثُ أرض بنى فُلانٍ : إذا نَزَل بها .

والمُجِير : الحامِى ، والدَّافِعُ عن الإنسانِ الأذَى .

ولو جُعِل النَّاصِرُ ها هنا ، مِن النُّصْرَةِ : الإعانةِ ، لجَازَ ، وكان أشْبَهَ بالإجارة .

والجَوْحُ : الاجْتِياحُ ، والإهْلاكُ ، وقد جاحَهُم الدَّهرُ يَجُوحُهم جَوْحاً : إذا أصابَهُم بالجائحة ، فأهلكهم .

والضَّغْمُ : العَضُّ ، وقد ضَغَمه يَضْغَمُه ضَغْماً ، ومنه سُمِّىَ الأسدُ ضَيْغَماً ، وأرادتْ به شِدَّةَ الحاجة ، كأنَّ الفقرَ قد عَضَّهم بأنيابِه ، فاستعارتْ للفَقْرِ عَضًّا [١] .

---

(١) هنا انتهت أحاديث عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، الطوال . والعجب من المصنف ، رحمه الله ، ألاّ يذكر رسالة عمر إلي أبي موسي الأشعري ، رضي الله عنهما ، في القضاء ، وهي مما استفاضت بها كتب اللغة والأدب والفقه والأخبار ، وفيها بعض الغريب ، فهي علي شرط المصنف ، وقد ذكر منها ألفاظا وشرحها ، في النهاية . انظر علي سبيل المثال ١/ ٥٠ ، ٤٦٩ ، ٣/١٦٣ ، ٤/٢٣٤ . وانظر الرسالة في الكامل للمبرد ١/١٢ ، والعقد الفريد ١/١٠٠

أحاديث
عُثْمَان بن عفَّان رضي الله عنه
حديثٌ أوَّل

أنه قال حينَ تنكَّر له الناسُ : إنَّ هؤلاءِ النَّفَرَ رَعاعٌ غَثَرَةٌ ، تَطَأْطأْتُ لهم تَطأْطُؤَ الدُّلاةِ ، وتَلَدَّدْتُ تَلَدُّدَ المُضْطَرِّ ، أُرانِيهِمُ الحَقُّ إخواناً ، وأُراهُمْنِي الباطِلُ شَيْطاناً ، أجْرَرْتُ المَرْسُونَ رَسَنَهُ ، وأبْلَغْتُ الرَّاتِعَ مَسْقَاتَهُ ، فتفرقُوا عليَّ فِرَقاً ثَلاثاً : فَصامِتٌ صَمْتُه أَنْفَذُ مِن صَوْلِ غيرِهِ ، وساعٍ أعطاني شاهِدَه ، ومَنَعنِي غائبَه ، ومُرَخَّصٌ له في مُدَّةٍ زُيِّنَتْ في قلبه ، فأنا مِنهم بينَ أَلْسُنٍ لِدادٍ ، وقُلُوبٍ شِدادٍ ، وسُيُوفٍ حِدادٍ ، عَذِيرِي اللهُ منهم ، ألاَ يَنْهَى عالِمٌ جاهِلاً ؟ ولا يَرْدَعُ ، أو يُنْذِرُ حَليمٌ ، سَفِيهاً ؟ واللهُ حَسِيبِي وحَسِيبُهم ، يومَ لا يَنْطِقُون ، ولا يُؤْذَنُ لهم فيَعْتَذِرُون .

وفيه : أنّ أُمَّ سَلَمةَ أرسلتْ إليه : يا بُنَيَّ ! مالِي أرَى رَعِيَّتَك عنكَ مُزْوَرِّين ، وعن جَنابِك نافِرِين ! لا تُعَفِّ سَبِيلاً كان رسولُ اللهِ ﷺ ، لَحَبَها ، ولا تَقْدَحْ بزَنْدٍ كان أكْباها ، تَوَخَّ حيثُ تَوَخَّي صاحِباك ، فإنَّهما ثَكَما الأَمْرَ ثَكْماً ، ولم يَظْلِماه .

* * *

أخرجه القُتَيبيُّ [١] بطُولِه ، وفرَّقه الزمخشريُّ ، في موضعين [٢] مِن كتابِه .

---

(١) غريب الحديث ٧٨/٢ - ٨٤

(٢) الفائق ٦٦/٢ ، ٦٧ ، ١٣٢

شرحه

النَّفَرُ : اسمٌ يَقَعُ علي جَماعةٍ من الرجال ، خاصَّةً ما بينَ الثلاثة إلي العَشَرة ، ولا واحدَ له مِن لفظِه .

والرَّعاعُ : الغَوْغاءُ مِن الناسِ ، ورجلٌ رَعاعَةٌ : ليس له فُؤادٌ ، ولا عَقْلٌ ، وهو مِن الرَّعْرَعَةِ : اضطرابِ الماءِ علي وَجْه الأرضِ ؛ لأنّ العاقلَ يُوصَفُ بالتَّثبتِ والتَّماسُك ، والأحمقُ بضِدِّ ذلك .

والغَثَرَةُ : جَمْع الأَغْثَر ، وهو الأَغْبَرُ اللَّونِ في الأصلِ ، وبه سُمِّيت الضَّبُعُ غَثْراءَ (١) ، ثم قيل للأحْمَقِ : أَغْثَرُ .

قال القُتَيبيُّ : هكذا سمعتُه يُرْوَي « غَثَرَةٌ » كأنه جمعُ غاثِرٍ ، مِثلُ كافرٍ وكَفَرَةٍ ، ولم أسمع غاثِراً (٢) ، إنما يُقال : رجلٌ أغْثَرُ ، إذا كان جاهلاً ، والغَثْراءُ : عامَّةُ الناسِ ، والغُثْرَة والغُبْرة شيءٌ واحِدٌ ، وكان ينبغي علي هذا أن يكون : « رَعَاعٌ غُثْرٌ » مِثلُ أَغْبَرَ وغُبْرٍ ، ولعلّه يكون يَجتمعُ في الحَرْفِ أفعَلُ وفاعِلٌ ، كأَوْحَدَ وواحِدٍ ، وأَمْيَلَ ومائلٍ ، أو يكونُ أفعَلُ قد جُمعَ علي فَعَلَةٍ ، فإني قد سمعتُ في حديثٍ آخَرَ ، أنّه (٣) وصفَ قُريشاً ، فقال : « أَشِحَّةٌ بَجَرَةٌ » والبَجَرَةُ : جَمْعُ أَبْجَرَ ، وهو العظيمُ البَطْنِ ، الناتِيءُ السُّرَّةِ .

---

(١) لأن الضبع موصوفة بالحمق ، وفي أمثالهم : « أحمق من الضبع » . قاله الزمخشري في الفائق ، وانظر مجمع الأمثال ١/٢٢٥

(٢) الذي في غريب الحديث : « ولم أسمع لغاثر جمعا » .

(٣) أي رسول الله ﷺ . راجع غريب الحديث ، الموضع السابق . والفائق ١/٧٤

والتَّطَأْطُؤُ : الانحِناءُ ، كما يَفعل مُسْتَقِي الدَّلْوِ من البِئر .

والدُّلاةُ : جَمْع دالٍ ، وهو المُسْتَقِي بالدَّلْوِ ، مِثْل قاضٍ وقُضاةٍ ، يُقال : دَلاَ يَدْلُو : إذا نَزَع الدَّلْوَ مِن البِئر ، فإن ألقاها في البِئر ليستقيَ ، قيل : أَدْلاها ، فهو مُدْلٍ .

وأرادَ بالتَّطأْطُؤِ ها هنا الخُضُوعَ ، والتَّواضُعَ لهم ، وخَفْضَ نَفْسِه في سيرتِه معهم ، فضَرَبه لذلك مَثَلاً .

والتَّلَدُّدُ : التَّحَيُّر ، والتَّلَفُّتُ يميناً وشِمالاً ، وهو مأخوذٌ مِن اللَّدِيدَيْنِ ، وهما صَفْحَتا العُنُقِ ، ولَدِيدَا الوادِي : جانِباه .

يُرِيدُ أنه دَارَاهُمْ ، وراقَبَهمْ ، كما يفعل المُضْطَرُّ .

وقوله : « أَراهُمْنِي[1] » فيه شُذُوذانِ خارِجان عن القِياس ، أحدُهما : أنّ ضميرَ الغائبِ إذا وقع مُتقدِّماً علي ضمير المتكلِّمِ والمُخاطَبِ ، فالوَجْهُ أن يُجاءَ بالثاني مُنْفصِلاً ، نحو أعطاهُ إيّايَ ، وأعطاهُ إيّاكَ ، والمجيءُ به مُتَّصِلاً غيرُ مُستَعْمَلٍ ، والأَوْلَي ألاَّ يتقدَّمَ ضميرُ الغائبِ علي المتكلِّم والمُخاطَبِ .

والثاني : أنّ الواوَ حَقُّها أن تَثْبتَ مع الضَّمائرِ[2] ، كقوله تعالي : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾[3] فكان ينبغي أن يقول : « أراهُمُونِي » .

---

(١) هكذا بسكون الميم ، وهو الصواب ، وقد حكاه ابن مالك عن ابن الأثير ، وذكر وجهه . راجع شرحه على التسهيل ١/١٢٢ .

(٢) هذا الكلام كله للزمخشري ، في الموضع المذكور من الفائق . وانظر شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك ١/١٠٦ ، عند شرح قول الناظم :

وصل أو افصل هاء سلنيه وما ... أشبهه في كنته الخلف انتمي

وقد أشار ابن عقيل إلي كلام ابن الأثير في حديث عثمان ، رضي الله عنه ، هذا . وانظر النهاية ٢/١٧٧

(٣) سورة هود ٢٨

والمعني : أنّ استعمالِي الحَقَّ معهم ، جَعلَهُم عندي إخواناً ، وأنَّ استعمالَهُم الباطلَ معي ، جعلني عندهم شيطاناً ، فَحَسَّنَ الحقُّ ظَنِّي فيهم ، وأساءَ الباطِلُ ظَنَّهُمْ فِيَّ .

والمَرْسُونُ : الذي عليه الرَّسَنُ ، وهو الحَبْلُ الذي يُشَدُّ في رأسِ البعيرِ ، يقال : رَسَنْتُ البعيرَ ، فهو مَرْسُونٌ ، وأرسَنْتُه ، فهو مُرْسَنٌ .

قال القُتَيبيُّ : هذا الحرفُ وحدَه جاءَ مِن بينِ أمثالِه علي فعلتُ وأفعَلْتُ ، وسائِرُها علي أفْعَلْتُ ، يقال : أَثْغَرْتُ الدَّابَّةَ ، وألبَدْتُه [1] ، وألْبَبْتُه ، وأعْذَرْتُه ، وأحْكَمْتُه ، مِن الثَّغَر ، واللِّبْدِ ، واللَّبَبِ ، والعِذارِ ، والحَكَمَةِ ، وقد جاء في غيرها : فَعَلْتُ ، بغير أَفْعَلْتُ ، مثل عَقَلْتُه بالعِقال ، ونحوِه .

ومعني قولِه : « أجْرَرْتُ رَسَنَهُ » أي خَلَّيْتُه ، وأهملتُه يَرْعَي كيف شاءَ ، فهو يَجُرُّ رَسَنَه علي الأرضِ ، لا يمنَعُه أحدٌ ، ولا يَعُوقُه حَبْلُه .

والرَّاتِعُ : الذي يَرْعَي [2] .

والمَسْقاةُ : بالفتح : مَوضِعُ الشُّرْبِ . قال القُتَيْبيُّ : والعَوامُّ تقول : مِسْقاةٌ ، بكَسرِها ، وقال الجوهريُّ : مَن كَسر الميمَ ، جَعلَها كالآلةِ [3] التي يُشْرَبُ بها .

---

(١) المراد بالدابة هنا : ما يدبّ ، ولذلك أعاد الضمير إليها في كل هذه الأفعال مذكرا .

(٢) عند ابن قتيبة : « يرتعي » . وهو الأولي .

(٣) الذي في الصحاح : « كالآلة التي هي مسقاة الديك » .

وأراد بهذا المَثَلِ : رِفْقَه بالرَّعِيَّة ، وحُسْنَ إيالَتِه (١) ، وأنَّه في ذلك كمَنْ خَلَّي إبِلَه تَرْتَعُ كيف شاءتْ ، ثم أورَدَها الماءَ في رِفْق .

والصَّمْتُ : السُّكُوتُ ، ويُرِيُد به ها هُنا الإمساكَ عن الفِعْل .

والصَّوْلُ : التَّطاوُل ، والأَخْذُ بالقُوَّةِ والشِّدَّة . يريد : إمْساكُه عن أَذايَ أشدُّ عليَّ مِن أخْذِ غيرِه .

والنَّفاذُ في الشيء : المُضِيُّ فيه .

والشَّاهِدُ : الحاضِرُ ، ضِدُّ الغائب . أي أظْهَرَ لي المَعُونَةَ والمُساعدَةَ ، وباطِنُه بخِلاف ذلك . يعني أنه غير مُخْلِصٍ لي .

وقوله : « ومُرَخَّصٌ له في مُدَّةٍ » الرُّخْصَةُ : ضِدُّ العَزِيمَةِ ، وأصلُه مِن الرُّخْصِ (٢) : ضِدِّ الغَلاء .

والمُدَّةُ ، ها هنا : أيّام العُمْرِ ، والمعني بتَزْيِينها تَحْبيبُ أيّامِ عُمرِهِ إليه ، وتَزيينُها في قلبِه ، فباعَ بها حَظَّه من الآخرةِ ، فهو يَسْتَحِلُّ منِّي ما حَرَّم اللهُ عليه .

واللِّدادُ : جَمْعُ الأَلَدِّ ، وهو الشَّديدُ الخُصُومةِ .

وشِداد : جَمْعُ شَدِيدٍ .

وحِدادٌ : جَمْعُ حَدِيدٍ ، وهو الماضِي القاطِعُ .

---

(١) الإيالة : السياسة ، وسبقت في الحديث الثالث ، من أحاديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) ضبطت الراء في الأصل ، بالضم ، وهو الصحيح ، نص عليه صاحب القاموس .

يعني أنه مع الناسِ ؛ بينَ مَن يَقَعُ فيه بالقولِ ، أو يُبْغِضُه بقَلْبِه ، أو يُقاتِلُه بسَيْفِه .

والعَذِيرُ : العاذِرُ ، أي اللهُ يَعْذِرُني منهم ، إن نِلْتُ منهم قولاً أو فعلاً .

والرَّدْعُ : الزَّجْرُ .

والإنْذارُ : التَّخْويفُ .

والسَّفِيه : ضِدُّ الحَلِيم .

والحَسِيبُ : الكافي .

ويومَ لا يَنْطِقُون : يوم القِيامة .

والفاء في « فيَعْتَذِرُونَ » للاسْتِئناف والعَطْف ، ولهذا ثبتت النونُ ، تقديره : ولا يُؤْذَنُ لهم ، وما يَعْتذِرون ، ولو كانت الفاءُ [1] جوابَ النَّفْي ، لسقَطت النونُ .

والازْوِرارُ : الإعراضُ عن الشيء ، والانحرافُ ، يقال : ازْوَرَّ عنه ، وازْوارَّ ، وتَزاوَرَ .

والتَّعْفِيَةُ : الدَّرْسُ ، والمَحْوُ ، يقال : عَفا المنزِلُ ، وعَفَتْه الرِّيحُ : إذا مَحَتْ آثارَه .

---

(١) في الأصل : « الواو » ، وهو خطأ . قال أبو البركات الأنباري : « يعتذرون : عطف علي : ينطقون ، فيعتذرون داخل في النص ، كأنه قال : لا ينطقون ولا يعتذرون » البيان في غريب إعراب القرآن ٤٨٨/٢ ، في إعراب الآية السادسة والثلاثين من سورة المرسلات .

ولحَبَهَا : أي سَلَكَها ، وأوْسَعَها ، والطَّرِيقُ اللَّاحِبُ : المُسْتقيمُ الواضِحُ .

تريدُ : لا تَأخُذْ غيرَ الطريقِ التي أخذ فيها رسول الله ﷺ ، فتَعْفُوَ وتَدْرُسَ ، بتَرْكِكَ الأخْذَ فيها ، وسُلوكَها .

والزَّنْدُ : المِقْدَحَةُ ، وكَبَا الزَّنْدُ يَكْبُو : إذا لم تَخْرُجْ نارُه عندَ الاقْتداح ، وأكْبَيْتُه : إذا عَطَّلْتَه ، فلم تَقْدَحْ به .

تريد : لا تَسْتَعِنْ علي أَمرِكَ بمَن كان رسولُ الله عَطَّلَه ، ولم يَسْتَعِنْ به في العَمل ، أو الرَّأي ، وكأنه إشارةٌ إلي مَروانَ بن الحكم ، واختصاصِه به ، واستيلائه علي أمرِهِ .

والتَّوَخِّي : القَصْدُ والتَّحرِّي . أي اقْصِدْ واعْتَمِدْ ما فَعَل أبو بكرٍ وعمرُ ، فإنهما ثَكَما أَمْرَ رسولِ الله ثَكْماً ، ولم يَظْلِماه ، أي لَزِماه ، ولم يُفارِقَاه ، ولم يَعْدِلا عنه . يقال : ثَكَمْتُ المكانَ أَثْكُمُه : إذا لَزِمْتَه .

وظَلَمْتُ الطريقَ : إذا عَدَلْتَ عنه ، وأصْلُ الظُّلْمِ : وَضْعُ الشيء في غير موضعِه .

حديثٌ آخَرُ
لعثمان رضي الله عنه

قدم عليه خَيْفانُ بنُ عَرانَةَ ، فقال له : كيف تركْتَ أفارِيقَ العَرب في ذِي اليَمَنِ ؟

فقال : أمَّا هذا الحَيُّ مِن بَلْحارِثِ بن كَعْبٍ ، فحَسَكٌ أَمْراسٌ ، ومَسَكٌ أَحْماسٌ ، تَتَلظَّي المَنِيَّةُ في رِماحِهم ، وأمَّا هذا الحَيُّ مِن أَنْمارٍ ، مِن بَجِيلَةَ وخَثْعَم ، فَجَوْبُ أبٍ ، وأولادُ عَلَّةٍ ، ليست بهم ذِلَّةٌ ، ولا قِلَّةٌ ، صَعابِيبُ ، وهُم أهلُ الأَنابِيبِ ، وأمَّا هذا الحَيُّ مِن هَمْدانَ ، فأَنجادٌ بُسْلٌ ، مَساعِيرُ غيرُ عُزْلٍ ، وأمَّا هذا الحَيُّ مِن مَذْحِجٍ ، فَمَطاعِيمُ في الجَدْبِ ، مَسارِيعُ في الحَرْبِ .

* * *

أخرجه القُتَيْبِيُّ [١] في حديث عثمان ، وليس له فيه إلا السُّؤالُ ، وقال : يرويه [٢] إبراهيمُ بن مُسْلِمٍ بإسنادِه ، وأخرجه الزمخشريُّ [٣] مثلَه .

---

(١) غريب الحديث ٢/٨٤ – ٨٧

(٢) الذي عند ابن قتيبة : « يرويه محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن عبد الله بن ثمامة ، عن أنس » .

(٣) الفائق ٣/١٠٨ ، ١٠٩

شرحه

خَيْفانُ ، بالخاء [١] المعجمة ، والفاء : مُسَمًّي بالجَرادِ ، إذا صارت فيه خُطوطٌ مختلفةٌ ، بِيضٌ وصُفْرٌ ، الواحدة : خَيْفانَةٌ .

وعَرانَةُ ، بفتح العين المُهْمَلَة والنُّون ، كذا قاله ابن قُتيبة [٢] ، وحكاه عنه الأميرُ ابنُ ماكُولا ، في « الإِكمال » في باب « عَرابة ، وعَرانة » وقيَّده بالنُّون ، ولا أعلمُ ما أَصْلُه .

والأَفَارِيقُ : الفِرَقُ ، وكأنه جَمْع أَفْرَاقٍ ، وأَفْرَاقٌ : جَمْع فِرْقٍ ، بالكسر ، والفِرْقُ ، والفِرْقَةُ : الطائفةُ مِن الناسِ ، وغيرِهم ، ويجوز أن يكونَ جَمْعاً علي غيرِ واحده ، كالأَباطِيل .

---

(١) وقع في الموضع الآتي من الإكمال والتبصير ، بالجيم « جيفان » . من غير تقييد ، لكن جاء في القاموس والتاج : « خيفان » بالخاء المعجمة ، لكن من غير تقييد أيضا .

(٢) فيما بين يدي من غريب الحديث المطبوع لابن قتيبة لم أجده قال فيه شيئا ، وهو عنده « عرابة » بالباء الموحدة ، من غير تقييد بالعبارة .

أما التقييد بالنون ، فهو لابن ماكولا ، ولم يحكه عن ابن قتيبة ، كما قد توهم عبارة المصنف ، إنما حكي عنه فقط قدوم خيفان ، علي عثمان بن عفان ، رضي الله عنه . انظر الإكمال ١٨٤/٦ ، ١٨٥

وقد رأيت الحافظ ابن حجر يقيد « عرانة » بتشديد الراء ونون ، ولم يذكر في العين شيئا . تبصير المنتبه ص ٩٣٨

وضبطه صاحب القاموس بضم العين وتخفيف الراء ، قال : « كثُمامة » .

وتعقبه شارحه المرتضي الزبيدي في التاج بأنه بضم العين وتشديد الراء ، بوزن رُمّانة ، ونقل هذا عن الحافظ ابن حجر ، وقد أريتك أن ابن حجر لم يذكر في العين شيئا . وراجع التاج (عرن) .

بقي شيء : وهو أن المصنف ، رحمه الله ، قد ذكر « خيفان » هذا في النهاية أربع عشرة مرة ، لم يذكر في واحدة منها اسم « عرانة » . راجع فهرس الأعلام من النهاية ٣٨٣/٥

وقوله : « في ذِي اليمن » ذِي : صِلَةٌ (١) ، قال مِثلَه أبو عُمر الزاهد .

ويجوز أن يكون أراد بِذِي اليمن أحدَ أَذْوائِها ، وهم مُلوكُها ومُقَدَّمُوها ، كذِي يَزَنٍ ، وذِي جَدَنٍ (٢) .

وقوله : « بَلْحَارث بن كعب » يريد بني الحَارث ، كقولهم : بَلْعَنْبَر ، في بَني العَنْبَر ، فعلوا ذلك تَخْفِيفاً (٣) .

والحَسَكُ : جمعُ حَسَكَةٍ ، وهي الشَّوْكَةُ المُعَقَّفَةُ ، شَبَّهَهُم بها ، يُقال للرجُلِ الخَشِنِ الصَّعْبِ المَرامِ ، المُمْتَنِعِ علي طالبِه : إنَّه لَحَسَكَةٌ .

والأَمْراسُ : جَمعُ مَرِسٍ ، بكسرِ الراءِ ، وهو الشَّدِيدُ العِلاجِ .

وقال القُتَيْبيُّ : الأَمْراسُ : الذين مارَسُوا الأُمُورَ ، وجَرَّبُوها . يُريد أَنَّهم صِلابٌ أَشِدَّاءُ ، عارِفُون بالأُمُورِ .

والمَسَكُ : جَمعُ مَسَكَةٍ ، وهو الذي إذا أَمْسَكَ شيئاً لم يُقْدَرْ علي تَخْليصِه منه ، وقد تقدَّم مُبَيَّناً في حديث عمرو بن مَعْدِي كَرِبَ ، من أحاديث عمر بن الخَطّاب ، رضي الله عنه .

---

(١) يعني زائدة .

(٢) انظر الحديث علي أذواء اليمن مبسوطا ، في أمالي ابن الشجري ١/١٧٠

(٣) انظر مبحث الحذف هذا وأمثلته في الصفحة الأخيرة من كتاب سيبويه ، والكامل ٣/٢٩٩ ، وأمالي ابن الشجري ٢/٤

والأَحْماسُ : جَمْعُ حَمِسٍ بكسر الميم ، مِن الحَماسةِ : الشِّدَّةِ والشَّجاعة .

وتَتَلظَّي : تَتلهَّبُ ، وهو تَفَعُّلٌ مِن اللَّظَي : اسم النار .

والمَنِيَّةُ : الموتُ .

وأَنْمارٌ : أبو بَجِيلَةَ وخَثْعَم ، وهو مِن أولادِ زيد بن كَهْلانَ بن سَبَأ .

وبَجِيلَةُ : من البَجالَةِ ، السِّمَنِ والجَسامَةِ ، أو التَّبْجيلِ ، التَّعْظيمِ .

وخَثْعَم : قيل : إنه اسمُ جَمَلٍ ، كانوا يَحْتمِلُون عليه ، فَسُمُّوا به ، وقيل : هو اسمُ جَبَلٍ تَحالَفُوا عِندَه .

والجَوْبُ : القَطْعُ ، أي أَنَّهم بَنُو أبٍ واحدٍ ، قد قُطِعُوا مِنه ؛ لأَنَّهم بَعْضُه ، وهم مع هذا أولادُ عَلَّةٍ ، وهم الذين أُمَّهاتُهم شَتَّي وأبوهم واحِدٌ ، فإذا كانوا لأُمٍّ واحِدةٍ وآباءٍ شَتَّي ، فهم أبناء أَخْيافٍ ، وإذا كانوا لأبٍ واحدٍ وأُمٍّ واحدةٍ ، فهم أبناءُ أَعْيانٍ .

والصَّعابِيبُ : الصِّعابُ ، كأنه جمع صُعْبُوبٍ .

والأَنابيبُ : الرِّماحُ ، جمع أُنْبُوبٍ .

وصَفَهم أَنَّهم إخوةٌ شِدادٌ صِعابٌ ، وأَنَّهم أهلُ الطِّعان .

وهَمْدان : أبو قَبيلةٍ من اليَمن ، واسمُه أَوْسَلَةُ [1] بن مالِكٍ ، من بَني زيد بن كَهْلانَ بن سَبَأ .

---

(١) هنا مخالفة في النسب ، انظر الاشتقاق ص ٤١٩ ، وجمهرة الأنساب ص ٣٩٢

والأَنْجادُ : جَمْع نَجْدٍ ، أو نَجِدٍ [١] ، وهو الشَّدِيدُ البأسِ ، وقيل : الذَّكِيُّ السَّدِيدُ الرَّأْيِ .

والبُسْلُ : جَمْعُ باسِلٍ ، وهو الشُّجاعُ ، والبَسالَةُ : الشَّجاعةُ ، سُمِّي به لامتناعِهِ مِمَّن يَقْصِدُه [٢] .

والمَساعِيرُ : جَمْعُ مِسْعارٍ ، وهو الذي يُوقِدُ نارَ الحربِ .

وعُزْلٌ : جَمْعُ أَعْزَل ، وهو الذي لا سِلاحَ معه ، كأَحْمَرَ ، وحُمْرٍ .

والمَطاعِيمُ : جَمْعُ مِطْعامٍ ، وهو الذي يُكْثِرِ الإطعامَ ، ومِفْعالٌ من أبنيةِ المُبالَغة .

والجَدْبُ : القَحطُ والغَلاءُ .

والمَسارِيعُ : جَمْعُ مِسْراعٍ ، وهو الشَّديدُ الإسراعِ في الأُمورِ .

ومَذْحِجِ : أبو قبيلةٍ من اليَمنِ ، وقد تقدَّم في غيرِ موضعٍ .

---

(١) يقال على ثلاثة أشكال ؛ بضم الجيم وكسرها وسكونها ، كل ذلك مع فتح النون . راجع مقاييس اللغة ٣٩١/٥

(٢) وذلك لأن معني البسل : المنع ، ومن ذلك قولهم للحرام : بَسْلٌ . مقاييس اللغة ٢٤٨/١

أحاديث
علي بن أبي طالب كرَّم اللهُ وجْهَه

حديثٌ أوَّلُ

ذِمَّتي رَهِينةٌ ، وأنا بِهِ زَعِيمٌ لِمَن صَرَّحَتْ له العِبَرُ ، أن لا يَهِيجُ [١] علي التَّوَي [٢] زَرْعُ قَوْمٍ ، ولا يَظْمأُ علي التَّقْوي سِنْخُ أَصْلٍ .

أَلاَ وإنَّ أبغضَ خَلْقِ اللهِ إلي اللهِ ، رجلٌ قَمَشَ عِلْماً ، غاراً بأَغْباشِ الفِتْنة ، عَمِيًّا بما في غَيْبِ الهُدْنَة ، سَمَّاه أَشْباهُه من الناسِ عالِماً ، ولم يَغْنَ في العِلْمِ يوماً سالِماً ، بَكَّرَ فاستَكْثَر ، ما قَلَّ منه خيرٌ ممّا كَثُر ، حتي إذا ما ارْتَوي مِن آجِنٍ ، واكْتَنزَ مِن غيرِ طائلٍ ، قَعَدَ بينَ الناسِ قاضِياً ؛ لتلخيص [٣] ما التَبَس علي غيرِهِ ، إن نزلَتْ به إحدى المُبْهَماتِ هَيَّأَ لهَا حَشْواً رَثًّا مِن رَأْيِه ، ثم قَطَع به لَبْسَ الشُّبُهاتِ ، في مِثْلِ غَزْلِ العَنْكَبُوتِ ، لا يَعْلَمُ إذا أَخطأَ ؛ لأنه لا يَعْلَمُ أَأَخْطأَ أم أَصابَ ، خَبَّاطُ عَشَواتٍ ، رَكَّابُ جَهالاتٍ ، لا يَعْتَذِرُ ممَّا لا يَعْلَمُ فيَسْلَمَ ، ولا يَعَضُّ في العِلْمِ بضِرْسٍ قاطِعٍ [٤] ،

---

(١) الفعل مرفوع ، لأنّ « أن » هنا هي المخففة من الثقيلة ، وسيأتي في الشرح .

(٢) بحاشية الأصل : « التقوي » ، ويأتي في الشرح .

(٣) بحاشية الأصل : « لتخليص » ، ويأتي في الشرح .

(٤) بعد هذا في الفائق : « فيغنم » ، وليست عند ابن قتيبة ، في أصل كتابه ، وإن زادها المحقق من الفائق .

يَذْرُو الرِّوايةَ ذَرْوَ الرِّيحِ الهَشِيمَ ، تَبْكِي منه الدِّماءُ ، وتَصْرُخُ منه المَوارِيثُ ، ويُسْتَحَلُّ بقَضائِه الفَرْجُ الحَرامُ ، لا مَلِيءٌ ، واللهِ ، بإصْدارِ ما ورَدَ عليه ، ولا هو أَهْلٌ لِما قُرِّظَ به .

* * *

أخرجه ابن قُتيبة [١] ، عن عليّ بن محمد بن العَبَّاس ، بإسنادِه ، وأخرجه الزمخشريُّ [٢] .

شرحه

الذِّمَّةُ ، والذِّمُّ : العَهْدُ والضَّمانُ ، يقال : هذا في ذِمَّتِي ، وذِمِّي ، أي في ضَماني .

والرَّهِينَةُ : بمعني [٣] الرَّهْنِ ، كالشَّتِيمة بمعني الشَّتْم ، وليست تأنيثَ رَهِينٍ بمعني مَرْهُونٍ ؛ لأَن « فَعِيلاً » هذا يَسْتوِي فيه المذَكَّرُ والمؤنَّثُ ، نحو كَفٍّ خَضِيبٍ ، ولِحْيَةٍ دَهِينٍ ، فلو أراد هذا لقال : « ذِمَّتِي رَهِينٌ » إلاّ أن المصدرَ الذي هو الرَّهْنُ ، وما في معناه من

---

(١) غريب الحديث ٢/١٢٠ — ١٢٤

(٢) الفائق ٢/١٥ — ١٧ ، والحديث في شرح نهج البلاغة ١/٢٧٢ ، ٢٨٣ مفرقا في خطبتين ، وفي الرواية بعض اختلاف .

(٣) هذا الذي يذكره المصنف في تأويل « الرهينة » كله مسلوخ من كلام الزمخشري في الفائق .

الرَّهِينة ، يُقامان مُقامَ الشيءِ المرهُون ؛ ولهذا قيل : رَهْنٌ ، ورِهانٌ ، ورَهائِنُ ، فجُمِعَ ، وقولهم : هو رَهِينةٌ في أيديهم ، دليلٌ عليه ، قال [١] :

أَبَعْدَالذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رَهِينَةُ رَمْسٍ ذِي تُرابٍ وجَنْدَلِ

والزَّعيمُ : الكَفِيلُ ، والضَّامِنُ ، يقال : زَعَم به زَعْماً ، وزَعامةً .

والتَّصريحُ : الظُّهوُرُ ، والإِظْهارُ ، يقال : صَرَّحَ الأَمرُ : أي ظَهَرَ ، وانْكَشَف ، وصَرَّحْتُ الشَّيءَ : أي أظهرتُه ، وكشَفْتُه .

ويجوز أن يكون فيه الوَجْهانِ معاً ، أي تَبيَّنتْ له العِبَرُ ، أو بَيَّنَتْ له الحَقَّ .

والعِبَرُ : جَمْعُ عِبْرةٍ ، وهي الموعظةُ ، والحالَةُ التي يَحْصُلُ بها الاتِّعاظُ .

والهَيْجُ : الجفَافُ ، يقال : هاجَ النَّبْتُ يَهِيجُ هِياجاً ، أي يَبِسَ وجَفَّ .

وأنْ لا يَهيجُ : مَتعلِّقٌ برَهينةٍ ، تقديره : ذِمَّتِي رَهِينةٌ بأنّه لا يهيجُ ، فحذفَ الجارَّ . و « أَنْ » هذه هي المخَفَّفَة من الثَّقيلة .

---

(١) هو المِسْوَر بن زيادة ، كما في معجم ما استعجم ص ٧٥٥ ، في رسم (سُمْن) ، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٢٤٥ ، والبيت من غير نسبة في الفائق ، والأساس (رهن) .

والتَّقْوَي : فَعْلَي من الاتِّقاء ، وقد جاء في كتاب الزمخشريّ : « لا يهيج علي التَّوَي » (١) ، وليس مَوْضِعَه ؛ فإنَّ التَّوَي الهَلاكُ ، يقال : تَوِيَ المالُ ، بالكسر ، يَتْوَي تَوًي .

والظَّمأُ : العَطَشُ .

والسِّنْخُ مِن الأصل : ما يَنْتَهِي (٢) منه ، ومنه سِنْخُ السِّنِّ : وهو الداخلُ منه في الَّلحم ، وسِنْخُ السَّيِفِ : سِيلانُه (٣) .

وقال القُتيبيُّ : السِّنْخُ والأصلُ واحِدٌ ، وإنما أضافَ أحدَهما إلي الآخَر ؛ لمَّا اختلف اللَّفْظان (٤) .

والمرادُ أنّه مَن عَمِلَ للهِ عملاً ، لم يَفْسُدْ ذلك العَمَلُ ، ولم يَبْطُلْ ، كما يَفْسُدُ النَّبْتُ بيُبْسِه ، وعَطَشِ أصْلِه (٥) .

والمعني : ضَمِنْتُ لِمَن اسْتَبْصَر واعْتَبَر ، أنَّ مَن اتَّقي اللهَ لم يَزَلْ أمرُه غَضًّا ناضِراً ، وعَملُه نامِياً زاكِياً ، وأنا لَهُ بذلك كفيلٌ .

والضمير في « به » راجعٌ إلي المَضْمُون ، الذي هو : « أن لا يهيجُ ولا يظمأُ » ، وهو في التقدير مُقَدَّمٌ عليه ؛ لتعَلُّقِه بالرَّهِينة .

---

(١) الذي في الفائق المطبوع : « التقوي » ، ولو كانت الرواية عند الزمخشري : « التوي » كما يذكر المصنف ، لشرحها الزمخشري ، فإنها من الغريب بمكان .

(٢) في الفائق : « ما توغل منه » . والكلام كله منتزع منه .

(٣) ضبط في الأصل بفتح السين والياء ، وهو خطأ ، وقد نص صاحب القاموس في (سيل) علي أنه بالكسر ، قال : « والسيلان ، بالكسر : سنخ قائم السيف ونحوه » .

(٤) وعلي هذا التأويل اكتفي المصنف في النهاية ٤٠٨/٢

(٥) هذا من شرح ابن قتيبة ، والذي بعده كله من شرح الزمخشري .

والقَمْشُ : الجَمْعُ مِن ها هُنا ، وها هُنا ، ومنه قُماشُ البيتِ ، وهو رَدِيءُ مَتاعِه .

والغَارُّ : الغافِلُ ، وقد غَرَّ يَغِرُّ ، بالكَسْرِ ، فهو غارٌّ .

والأَغْباشُ : جَمْعُ غَبَشٍ ، وهو ظُلْمةُ آخِرِ الليلِ ، أوَّلُها الغَبَشُ ، ثم الغَبَسُ ، ثم الغَلَسُ ، فاستعارها لظُلَمِ الفِتنة .

والعَمِيُّ ، بالتشديد : فعيلٌ مِن العَمَي [١] ، ورجلٌ عَمِي القَلْبِ ، وعنِ الصَّواب ، بالتخفيف : أي جاهلٌ به ، وقد عَمِيَ يَعْمِيَ ، فهو عَمٍ .

والهُدْنَةُ : السُّكُون ، وقد هَدَنَ يَهْدُنُ [٢] هُدْنَةً ، وهُدُوناً .

أراد : أنه مُغْتَرٌّ بما وَجَد مِن تسليم الجَهَلَةِ عليه [٣] ، وتَمَشِّي أمرِه بينَ أَظْهُرِهم ، وذَهَبَ عليه أن يَتفَطَّنَ لِما هو مُدَّخَرٌ له ، إذا زالَتْ هذه الحالُ ، ودُفِعَ إلي قومٍ أُولِي بَصيرةٍ في الدِّين ، من الافتِضاحِ ، وظُهورِ العَيْبِ ، فسَمَّي الحالةَ المَسخُوطةَ فِتْنةً ، والمَرْضِيَّةَ هُدْنَةً .

وقوله : « لم يَغْنَ في العِلْمِ يوماً سالِماً » أي لم يَلْبَثْ في أَخْذِ العِلمِ يوماً تامًّا سالِماً مِن النُّقْصان ، وغَنِيَ بالمكانِ يَغْنَي ، فهو غانٍ : إذا أقام به ، وسكن فيه ، والمَغْنَي : المَنْزِلُ .

---

(١) في الأصل : « العما » بالألف . قال ابن ولاد : « والعمي في البصر ، مقصور ، يكتب بالياء ؛ لأنك تقول : امرأة عمياء » المقصور والممدود ص ٧٢ ، وانظر المنقوص والممدود ، للفراء ص ١١

(٢) بفتح الدال في الماضي وضمها في المضارع ، وفعله من باب قتل ، كما في المصباح المنير .

(٣) في الفائق : « له » .

والارْتِواءُ : افتِعالٌ مِن الرِّيِّ : ضِدِّ العَطَشِ .

والآجِنُ : الماءُ المُتَغَيِّر ، وقد أَجِنَ يأْجَنُ [١] أَجَناً .

والاكِتنازُ : الادِّخارُ ، وهو افتِعالٌ مِن الكَنْزِ : المالِ المَدْفُون .

والطَّائِلُ : الكثيرُ ، يقال : هذا أمرٌ لا طائِلَ فيه : إذا لم يكن فيه غَناءٌ ومَزِيَّةٌ ، ولا يُتَكَلَّمُ به إلاّ في الجَحْد [٢] .

والتَّلخيصُ : التَّبيينُ والإيضاحُ ، وهو والتَّخليصُ مُتَقارِبان ، قال القُتيبيُّ : « ولعلهما شيءٌ واحدٌ ، من المَقْلُوب » ، وحقيقةُ التَّخليصِ : إفرادُ الخالصِ من الشيء ، وهو الجيِّدُ منه .

والمُبْهماتُ : المَسائلُ المشكلةُ ، كأنها أُبْهِمت وأُصْمِتَتْ ، فلم يُجْعَلْ عليها دليلٌ ، ولا إليها سبيلٌ ، ومنه قِيلَ : ليلٌ بَهِيمٌ ، ولَونٌ بَهِيمٌ ، أي مُظْلِمٌ ، ولا لَونَ فيه يُخالِفُ لونَه .

والعَشَوَاتُ : جَمْعُ عِشْوَةٍ ، بالكسر ، والضَّمّ ، والفتح ، وهي الظُّلْمةُ .

وخَبَّاطٌ : فَعَّالٌ من الخَبْطِ ، وهو أن يَضْرِبَ البَعيرُ الأَرضَ بيده إذا مَشَي ، لا يَتَوقَّي شيئاً .

---

(١) هكذا ضبط في الأصل ؛ بكسر الجيم في الماضي ، وفتحها في المستقبل والمصدر . قال الفيومي في المصباح : « أجن الماء أجنا وأجونا ، من بابي ضرب وقعد : تغير ، إلا أنه يشرب ، فهو آجن ، علي فاعل ، وأجن أجنا ، فهو أجن ، مثل تعب تعبا ، فهو تعب ، لغة فيه » . وانظر النهاية ٢٧/١

(٢) هذا من كلام الجوهري في الصحاح (طول) .

شَبَّهَه في تَحيُّرِه وعَسْفِه ، بِواطيءِ الظُّلْمَةِ ، وهو الذي يمشي في الليل بِلا مِصْباح ، فيتحيَّر [١] ويَضِلُّ ، ورُبَّما وقَع في بئرٍ ، أو سَقَط علي سَبُعٍ .

والضِّرْسُ : واحدُ الأضراسِ ، وهي الطَّواحِينُ .

يريد : أنه لم يُتْقِن الأُمورَ ، ولا أَحْكَمَها ، وهو مَثَلٌ لعَدَمِ إتقانِه العِلْمَ .

والذَّرْوُ : التَّطْيِيرُ ، والنَّسْفُ ، يقال : ذَرَتِ الرِّيحُ التُّرابَ ، تَذْرُوه ذَرْواً : إذا أطارَتْه .

والهَشِيمُ : النَّبْتُ اليابِسُ المتكسِّر ، من الهَشْمِ : الكَسْرِ .

أي يَسْرُدُ رِوايةَ الحديثِ بسُرْعةٍ ، كما تَنْسِفُ الرِّيحُ هَشِيمَ النَّبْت ، ومنه قوله تعالي : ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ ﴾ [٢] .

وقوله : « ولا مَلِيءٌ ، واللهِ ، بإصدارِ ما وَرَد عليه » أي ليس بكاملٍ برَدِّ [٣] ما سُئِل عنه ، يقال : فلانٌ مَلِيءٌ بهذا الأمر : إذا كان قائماً به ، كاملاً في مُحاولتِه ، وقد مَلُؤَ فهو مَلِيءٌ ، بالهمز ، وربَّما خُفِّفت ، فصار ياءً مُشَدَّدة ، وهو قليلٌ .

والتَّقْرِيظُ : مَدْحُ الرجُلِ حَيًّا ، والتَّأْبِينُ : مَدْحُه مَيِّتاً .

أي ليس أهلاً لما يُمْدَحُ به .

---

(١) في الأصل : « فيحير » ، وكتب في الهامش : « صوابه فيحار » . وقد أثبت ما عند ابن قتيبة .

(٢) سورة الكهف ٤٥

(٣) عند ابن قتيبة : « لرد » .

حديثٌ آخَرُ
لعليٍّ كرَّم اللهُ وجهه

أيُّها الناسُ ، مَتاعُ الدُّنيا حُطامٌ مُوبِيءٌ ، فتَجنَّبوا مَرْعاةً ، قُلْعَتُها أَحْظَي مِن طُمَأْنِينتِها ، وبُلْغَتُها أَزْكَي مِن ثَرْوَتِها ، حُكِمَ علي مُكْثِرِيها بالفاقة ، وأُعِينَ مَن غَنِيَ بها [١] بالراحة ، مَن راقه زِبْرِجُها أعقَبَتْ ناظِرَيْه كَمَهاً ، ومَن استَشْعر الشَّعَفَ [٢] بها ، ملأَتْ ضميرَه أَشْجاناً ، حتي يُؤْخَذَ بكَظَمِه ، فيُلْقَي بالفَضاءِ ، مُنْقطِعاً أَبْهرَاه ، هَيِّناً علي اللهِ فَناؤُه ، وعلي الإخوانِ لِقاؤُه .

وإنمَّا يَنْظُر المؤمن إلي الدُّنْيا بعَيْنِ الاعْتبار ، ويَقْتاتُ منها ببَطْنِ الاضْطِرار ، ويَسْمَعُ فيها بأُذُن المَقْتِ والإبْغاض ، إن قيل : أَثْرَي ، قِيل : أَكْدَي ، هذا ولم يأتِهم يومٌ هم فيه يُبْلِسُون [٣] .

شرحه

مَتاعُ الدُّنيا : كلُّ ما يُقْتَنَي فيها من الأموالِ ، وغيرِها ، مما يُنْتَفَعُ به ، والمَتاعُ : السِّلْعةُ ، والمَنْفعَةُ ، وقد مَتَعَ به يَمْتَعُ مَتْعاً ، وتَمتَّعْتُ به ، واسْتَمتعْتُ ، ومَتَّعه اللهُ به ، وأَمْتَعَهُ ، كلُّه بمعنيً ، والاسمُ المُتْعةُ ، ومنه سُمِّيتْ مُتْعةُ النِّكاحِ ، والطَّلاقِ ، والحَجِّ .

---

(١) في شرح نهج البلاغة : « عنها » ، وهو أولي ، وسيأتي في الشرح .
(٢) الشعف ، بالعين المهملة ، وسيأتي في الشرح .
(٣) الحديث في شرح نهج البلاغة ١٩/٢٨٥ – ٢٨٧

والحُطامُ : النَّبْتُ المُتَكسِّر ، المُتَفتِّتُ ، وقد حَطَمْتُه حَطْماً : أي كسرتُه ، فانْحطَمَ ، وتَحَطَّمَ .

والمُوبِيءُ : المُهْلِكُ ، وقد أَوْبَأَتِ الأرضُ ، فهي مُوبِئةٌ ، ووَبِئَتْ ، فهي وَبِيئةٌ ، ووُبِئَتْ ، فهي مَوْبُوءَةٌ : إذا نَزل بها الوَباءُ ، بالمَدِّ والقَصْر ، مع الهَمْز ، وهو الطَّاعُون والمَرَضُ العامُّ .

والمَرْعاةُ : أَخصُّ مِن المَرْعَي ، وهي مَفْعَلَةٌ مِن الرَّعْي .

والقُلْعَةُ ، بالضَّمّ : الانْقِلاعُ عن الشيء ، ومُفارَقتُه [١] .

والحُظْوةُ : الانتِفاعُ بالشيء ، والقُرْبُ منه ، وقد حَظِيت المرأةُ عندَ زوجِها ، حُظْوَةً [٢] ، وحِظْوَةً : إذا دَنَتْ مِن قلبِه ، وأحبَّها ، فهي حَظِيَّةٌ ، والجمعُ : الحَظَايَا .

والبُلْغَةُ ، بالضم : الشيءُ اليسيرُ ، الذي يُتَوصَّلُ به إلي الغَرَضِ .

والطُّمأْنِينَةُ : السُّكُونُ .

والزَّكاءُ : النَّماءُ ، والزِّيادَةُ .

والثَّرْوَةُ : الكَثْرَةُ . يريد أنّ القَناعةَ في الدُّنْيا بالقليل ، والانْقِلاعَ عنها ، أَنْفَعُ من الاستكثار منها ، والسُّكُونِ إليها . ثم علَّلَ ذلك بقوله : « حُكِمَ علي مُكْثِرِها بالفاقَةِ ، ومَن [٣] غَنِيَ عنها بالراحة » .

---

(١) قال ابن أبي الحديد : أي كون الإنسان فيها منزعجا ، متهيئا للرحيل عنها ، خير له من أن يكون ساكنا إليها ، مطمئنا بالمقام فيها .

(٢) بضم الحاء وكسرها .

(٣) هكذا فى الأصل ، والذى سبق فى متن الحديث : « وأعين من غنى بها بالراحة » .

والمُكْثِر : الذي له مالٌ كثيرٌ .

والفاقَةُ : الفَقْرُ .

وغَنِيَ عن الشيء : بمعني استَغْنَي عنه .

وراقَني الشيءُ ، يَرُوقُني : أي أعْجَبني .

والزِّبْرِجُ : الزِّينةُ ، والذَّهَبَةُ (١) .

والكَمَهُ : العَمَي (٢) ، وقد كَمِهَ يَكْمَهُ ، فهو أكْمَهُ ، وقيل : هو الذي يُولَدُ أعْمَي .

والاستِشْعارُ : اتِّخاذُ الشِّعارِ ، وهو في الأصل : الثَّوبُ الذي يَلي الجَسَدَ .

والشَّعَفُ (٣) : أَشَدُّ الحُبِّ ، وقد شَعَفَ به يَشْعَفُ ، وشَعَفَهُ الحُبُّ : إذا أحْرَقَ قَلْبَه .

---

(١) مؤنث الذهب .

(٢) في الأصل : « العما » وصحة كتابته بالياء ، وقد علقت عليه في الحديث السابق .

(٣) الشعف ، بالعين المهملة ، هكذا هو في الأصل ، في متن الحديث ، وشرحه ، وتحت العين عين أخري صغيرة ، علامة الإهمال .

جاء في اللسان : « الشعف بالعين غير معجمة : أن يقع في القلب شيءٌ فلا يذهب » .

وفيه أيضا : « وقوله تعالي : ﴿ قد شعفها حبا ﴾ قرئت بالعين والغين ، فمن قرأها بالعين المهملة ، فمعناه تيَّمها ، ومن قرأها بالغين المعجمة ، أي أصاب شغافها » . وانظر توجيه القراءتين في المحتسب ١/٣٣٩

وشغاف القلب ، بفتح الشين : غشاؤه .

والأَشْجانُ : الأحزانُ ، واحِدُها : شَجَنٌ ، وقد شَجَنَهُ ، وأَشْجَنَهُ

والضمير : ما تُخْفِيه في النَّفسِ ، وأَضْمَرْتُ في نَفْسِي شيئاً ، والاسمُ : الضَّميرُ ، والجَمْعُ : الضَّمائِرُ .

والكَظَمُ ، بالتَّحريك : مَخْرَجُ النَّفَسِ مِن الحَلْقِ .

والفَضاءُ : المَوْضِعُ الذي لا عِمارَةَ فيه .

والأَبْهرانِ : عِرْقانِ في الظَّهْر ، وقيل : الأَبْهَر : عِرْقٌ مُسْتَوْطِنُ [١] القَلْبِ ، فإذا انْقَطَع لم تَبْقَ معه حياةٌ ، ومنه الحديث : « ما زالَتْ أُكْلَةُ خَيْبَرَ تُعادُّني ، فهذا أَوانُ قَطَعَتْ أَبْهرِي » .

والاقْتِياتُ : افْتِعالٌ من القُوتِ : الغِذاءِ ، أي إنَّما يأْكُلُ من شَهَواتِ الدُّنْيا عندَ الضَّرُورة ، بقَدْرِ ما يُمْسِكُ الرَّمَقَ ، ويَنْظُرُ إليها نَظَرَ المُعْتَبِرِ بها ، المُتَّعِظِ بما فيها من خيرٍ وشَرٍّ ، ونَفْعٍ وضَرٍّ ، لا بعَيْنِ الراغِبِ فيها ، والمُسْتَحْسِنِ لها ، والمُتَشَفِّي بحَوادِثِها ، وكذلك يَسْمَعُ فيها بأُذُنِ المَقْتِ ، وهو أشَدُّ البُغْضِ .

والإِثْراءُ : الاستِغْناءُ بكَثْرةِ المالِ ، وقد أَثْرَي الرجلُ ، فهو مُثْرٍ .

والإِكْداءُ : الفَقْرُ ، وأصلُه مِن أَكْدَي حافِرُ البِئرِ : إذا بَلَغَ في حَفْرِه الكُدْيَةَ ، وهي صَخْرَةٌ تَظْهَرُ في أسفلِ البِئرِ ، فيُبَطِّلُ الحَفْرَ ؛ لشِدَّتِها ، وأَكْدَي الرجلُ : إذا قَلَّ خيرُه ، ومَنَع بِرَّه .

والإِبْلاسُ : الحَيْرةُ ، والدَّهَشُ ، وقد أُبْلِسَ ، فهو مُبْلَسٌ [٢] .

---

(١) في غريب أبي عبيد ٧٤/١ « مستبطن » وكذلك هو في النهاية ١٨/١

(٢) قال ابن أبي الحديد : « واللفظ من لفظات الكتاب العزيز » وانظر الآية ١٢ من سورة الروم ، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١٣٤ ولا زلنا ندعو لمصنفه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي بالمثوبة والمغفرة والرضوان .

حديثٌ آخرُ
لعليٍّ كرَّم اللهُ وجهَه

تَقْوَي اللهِ مِفْتاحُ سِدادٍ ، وذَخِيرَةُ مَعادٍ ، وعِتْقٌ من كُلِّ مَلَكَةٍ ، ونَجاةٌ مِن كُلِّ هَلَكَةٍ ، فبادِرُوا بالأعمالِ عُمراً ناكِساً ، أو مَرَضاً حابِساً ، أو مَوْتاً خالِساً ؛ فإنَّه هادِمُ [١] لَذَّاتِكم ، ومُباعِدُ طِيَّاتِكمُ ، زائرٌ غيرُ مَحْبُوبٍ ، وواتِرٌ غيرُ مَطْلُوبٍ ، قد أعْلَقَتْكم حَبائلُه ، وتَكَنَّفَتْكُم غَوائلُه ، وأَقْصَدَتْكُم مَعابِلُه ، فيُوشِكُ أن تَغْشاكُم دَواجِي ظُلَلِه ، واحْتِدامُ عِلَلِه ، وحَنادِسُ غَمَراتِه ، وغَواشِي سَكَراتِه ، وأَلِيمُ إرْهاقِه ، ودُجُوُّ إطْباقِه ، وجُشُوبَةُ [٢] مَذاقِه ، فأَسْكَتَ نَجِيَّكُم ، وفَرَّقَ نَدِيَّكُم ، فلا تَغُرَّنَّكُم الدُّنيا كما غَرَّتْ مَن كان قَبْلَكم ، مِن الأُمَمِ الماضيةِ ، والقُرُونِ الخاليةِ ، الذين احْتَلَبُوا دِرَّتَها ، وأصابُوا غِرَّتَها ، وأَفْنَوْا عِدَّتَها ، وأَخْلَقُوا جِدَّتَها ، أصبحَتْ مَساكِنُهم أجْداثاً ، وأموالُهمُ مِيراثاً ؛ فإنَّها غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ ، لا يَدُومُ رَخاؤُها ، ولا يَنْقَضِي عَناؤُها ، ولا يَرْكُدُ بلاؤُها [٣] .

شرحه

تَقْوَي اللهِ : جِماعُ الوُقُوفِ عندَ أوامرِه ونَواهِيه ، وهي فَعْلَي [٤]

---

(١) هادم ، بالدال المهملة ، ويأتي التعليق عليه ، في أثناء الشرح .

(٢) روي في شرح نهج البلاغة : « خشونة » وأشار إلي روايتنا .

(٣) شرح نهج البلاغة ١٣/٥ – ٧

(٤) سبق هذا في الحديث الأول من أحاديث علي رضي الله عنه .

من الاتِّقاءِ : الحَذَرِ ، واتِّخاذِ ما يَقِي الشَّرَّ ويَدْفَعُه .

والسِّدادُ ، بالكسر : ما يُسَدُّ به الشيءُ ، ومنه سِدادُ الثَّغْرِ ، والقارُورةِ [١] وغيرِهما .

والمَعادُ : المَرْجِعُ ، والرُّجُوعُ نَفْسُه ، وقد عادَ يَعُودُ عَوْداً ، ومَعاداً .

والنَّاكِسُ : الرَّاجِعُ ، وقد نَكَسْتُ الشيءَ أَنْكُسُه [٢] : إذا رَدَدْتَه إلي وَرائِك ، كأنَّ العُمْرَ الطَّوِيلَ يَرْجِعُ [٣] صاحبَه إلي وَارئِه ، ومنه قوله تعالي : ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ ﴾ [٤] .

والمَرَضُ الحابِسُ : الذي يَمْنَعُ صاحِبَه عن العملِ في العِبادةِ والطاعة .

والموتُ الخالِسُ : الذي يأخُذُ صاحبَه علي غَفْلةٍ ، كموتِ الفُجاءَةِ ، والموتِ عَقِيبَ التَّسْوِيفِ ، وقد خَلَسْتُ الشيءَ ، واختَلَسْتُه ، كسَلَبْتُه ، واستَلَبْتُه .

---

(١) أما السداد ، بفتح السين : فهو الصواب ، واختلفوا في قولهم : « سداد من عوز » و « سداد من عيش » هل هو بالفتح أو بالكسر ، انظر درة الغواص ص ١٤١ ، والمصباح واللسان .

(٢) بضم الكاف ، وهو من بابُ قتل ، علي ما في المصباح .

(٣) بفتح الياء ، كما ضبط في الأصل ، وهي اللغة العالية ، و « رجع » الثلاثي يستعمل لازما ومتعديا ، يقال : رجع الحقُّ إلي صاحبه ، ورجعتُ الحقَّ إلي صاحبه ، وبهذه اللغة جاء القرآن الكريم ، قال تعالي : ﴿ فإن رجعك الله إلي طائفة منهم ﴾ سورة التوبة ٨٣ ، وقال : ﴿ فرجعناك إلي أمك ﴾ سورة طه ٤٠ ، وغير ذلك من آي الكتاب العزيز .

(٤) سورة يس ٦٨

وهادِمُ لذَّاتِكم : أي مُخَرِّبُها ، من قوله ﷺ : « أَكْثِرُوا مِن ذِكْرِ هادِمِ اللَّذَّاتِ » (١) .

والطِّيَّاتُ : جمعُ طِيَّةٍ ، بالكسر ، هي القَصْدُ ، والنِّيَّةُ ، يقال : مَضَى لِطِيَّتِه ، وبَعُدَتْ عنَّا طِيَّتُه : أي مَنْزِلُه الذي انْتَواه ، وطِيَّةٌ بعيدةٌ : أي شاسِعةٌ .

والواتِرُ : القاتِلُ ، مِن الوِتْرِ : الذَّحْلِ ، وطَلَبَ وِتْرَه : إذا طَلَب دَمَه . يعني أنَّ الموتَ زائرٌ لا يُحبُّه أحدٌ ، وقاتِلٌ لا يُطْلَبُ .

والحَبائلُ : المَصائدُ ، واحِدُها : حِبالَةٌ ، بالكسر .

والغَوائِلُ : المَهالِكُ ، جَمعُ غائلةٍ ، وهي التي تَغُولُ الشيءَ : أي تُهْلِكُه .

والتَّكَنُّفُ : الحُلُولُ بالأَكْنافِ ، وهي النَّواحِي (٢) .

والإِقْصادُ : الإِصابَةُ ، يقال : أَقْصَدْتُ الرجلَ : إذا طَعَنْتَه ، فلم تُخْطِ مَقاتِلَه .

والمَعابِلُ : جَمْعُ مِعْبَلَةٍ ، بكسر الميم : نَصْلٌ عَرِيضٌ طَوِيلٌ .

---

(١) رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأحمد . انظر عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (باب ما جاء في ذكر الموت ، من أبواب الزهد) ١٨٧/٩ ، برواية : « أكثروا ذكر هازم اللذات » بالزاي ، ورواه بالدال المهملة في (أبواب صفة القيامة) ٢٨٣/٩ ، بلفظ « أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات » . وروي بالذال المعجمة عند النسائي ، وابن ماجة وأحمد ، ونص السيوطي في شرحه على النسائي على أنه بالذال المعجمة ، بمعنى قاطع .

انظر سنن النسائي (باب كثرة ذكر الموت ، من كتاب الجنائز) ٥/٤ ، وسنن ابن ماجة (باب ذكر الموت والاستعداد له ، من كتاب الزهد) ص ١٤٢٢ ، ومسند أحمد ٢٩٣/٢ (مسند أبي هريرة رضي الله عنه) .

(٢) والمعنى كما قال ابن أبي الحديد : أحاطت بكم دواهيه ومصائبه .

والإيشاكُ : القُرْبُ ، والإسراعُ .

والدَّواجِي : جمعُ داجِيةٍ ، وهي الظُّلْمَةُ .

والظُّلَلُ : جمعُ ظُلَّةٍ ، وهي كلُّ ما عَلا عليك ، وأَظَلَّكَ ، ومنه عذابُ [1] يومِ الظُّلَّةِ ، وهي سحابٌ أظَلَّتْهُم ، فلَجأُوا إلي ظِلِّها ، مِن شَدَّة الحَرِّ ، فأطْبَقَتْ عليهم فأهلكَتْهم .

والاحْتِدامُ : الشِّدَّةُ ، من احتدَمَت النارُ : إذا الْتَهبتْ ، واشتدَّ حَرُّها .

والعِلَلُ : الأمراضُ ، والحوادِثُ ، جَمْعُ عِلَّةٍ .

والحَنادِسُ : الظُّلَمُ ، جَمْعُ حِنْدِسٍ .

والغَمَراتُ : الشَّدائِدُ ، والدَّواهِي ، واحِدَتُها : غَمْرَةٌ ، مِن غَمْرةِ الماءِ ، وهي مُعْظَمُه .

والغَواشِي : جَمْعُ غاشِيةٍ ، وهي ما يُغَطِّي الإنسانَ ، ويُغَشِّيه ، مِن شدائِدِ الموتِ .

وسَكَراتُ الموتِ : أَخذاتُه ، تشبيهاً بسَكْرةِ الخَمْرِ .

والإرْهاقُ : الإعجالُ ، والغِشْيانُ .

والدُّجُوُّ ، مِن دَجا الليلُ يَدْجُو : إذا أقبلَ بظَلامِه .

والإطْباقُ : لُزومُ الشيءِ ، والثُّبوتُ عليه ، وقد أطبق علي الأمرِ إطْباقاً : إذا أَكَبَّ عليه ، ولم يُفارِقْه .

---

(١) في قوله تعالي : ﴿ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة ﴾ سورة الشعراء ١٨٩

ويجوز أن يكون بفتح الهمزة ، جَمْع طَبَقٍ ، يُريد به أَطْباقَ ثَرَي القَبْرِ .

والجُشُوبَةُ : خُشُونَةُ المَذاقِ ، وبَشاعَتُه ، وطَعامٌ جَشِبٌ : أي كَرِيهٌ بَشِعٌ .

والنَّجِيُّ : القَومُ يَتَناجَوْنَ ، ويَتَحدَّثُون ، ويَقعُ علي الواحِدِ والجماعةِ ، ومنه قوله تعالي : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ (١) .

والنَّدِيُّ : القومُ يَجْتَمِعُون في النادي يَتحدَّثون ، والنَّدِيُّ أيضاً ، والنَّادي : الموضعُ الذي يَجتمعُ فيه الأشرافُ .

والغِرَّةُ : الغَفْلَةُ .

والقُرُونُ : جَمْعُ قَرْنٍ ، بالفتح ، وهم أهلُ كلِّ زمانٍ .

والخالِيةُ : الذَّاهِبَةُ ، المُنْقَرِضَةُ .

والدِّرَّةُ : اللَّبَنُ ، وأراد بِها مَنافعَ الدُّنيا ولَذَّاتِها .

وأصابُوا غِرَّتَها : أي غُفُولَها عنهم ، وتَسْويلَها لَهُم .

والعِدَّةُ : عَدَدُ أَيَّامِها ، وشُهُورِها ، وسِنِيها .

والجِدَّةُ : الجَدِيدُ .

والإِخلاقُ : التَّقْطيعُ والتَّمْزِيقُ .

والأَجْداثُ : جَمْعُ جَدَثٍ ، وهو القَبْرُ .

---

(١) سورة يوسف ٨٠

والغَرَّارَةُ : فَعَّالَةٌ مِن الغُرُورِ ، وهو الوقُوعُ فيما لا يُعْلَمُ آخِرُه ، ومنه سُمِّيَ الشَّيطانُ غَرُوراً ؛ لأنه يَحْمِلُ الإنسانَ علي مَحابِّ النَّفْسِ ، ووراءَ ذلك ما يَسُوؤُه .

والخَدُوعُ ، والمَنُوعُ : فَعُولٌ مِن الخَدْعِ ، والمَنْعِ ، ويَسْتَوِي في الوصفِ به المذكَّرُ والمؤنَّثُ ، بلا هاءٍ .

والرَّخاءُ : ضِدُّ الشِّدَّةِ ، ورجُلٌ رَخِيُّ البالِ : أي واسِعُ الحالِ ، مُسْتَرِيحُ القَلْبِ .

والعَناءُ : التَّعَبُ ، والنَّصَبُ ، وقد عَنِيَ يَعْنَي .

والرُّكُودُ : السُّكُونُ ، تَشْبيهاً برُكُودِ الماءِ .

حديثٌ آخرُ لعليٍّ كرَّم اللهُ وجهَه في الاستسقاء

اللهُمَّ قد انْصاحَتْ جِبالُنا ، واغْبَرَّتْ أرْضُنا ، وهامَتْ دَوابُّنا ، وتَحيَّرتْ في مَرابِضِها ، وعَجَّتْ عَجيجَ الثَّكالَي علي أولادِها ، ومَلَّتِ التَّرَدُّدَ في مَراتِعِها ، والحَنِينَ إلي مَوارِدِها .

اللهُمَّ فارْحَمْ أَنينَ الآنَّةِ ، وحَنِينَ الحانَّةِ ، وقد خَرَجْنا إليك حِينَ اعْتكَرَتْ علينا حَدَابِيرُ السِّنين ، وأخْلَفتْنا مَخايِلُ الجَوْدِ ، فأنت (١) الرَّجاءُ للمُبْتَئِس ، والبَلاغُ للمُلْتَمِس ، ندعوك حينَ قَنَطَ الأنامُ ، ومَنَع (٢) الغَمامُ ، وهَلَك السَّوامُ ؛ أن لا تُؤاخِذَنا بأعمالِنا ، ولا تأخُذَنا بذُنُوبِنا ، وانْشُرْ علينا رحمتَك ، بالسَّحابِ المُنْبَعِق ، والرَّبيعِ المُغْدِق ، والنَّباتِ المُونِق ، سَحًّا وابِلاً ، تُحْيِي به ما قَدْ ماتَ ، وتَرُدُّ به ما قَدْ فاتَ .

---

(١) في شرح نهج البلاغة : « فكنت » .

(٢) هكذا ضبط في الأصل بفتح الميم والنون ، علي البناء للفاعل – ولم يتعرض له المصنف ، في الشرح ، وروي في شرح نهج البلاغة ، بضم الميم وكسر النون ، مبنيا للمفعول .

قال ابن أبي الحديد : « وإنما قال : « ومُنِع الغمامُ » فبني الفعل للمفعول به ؛ لأنه كره أن يضيف المنع إلي الله تعالي ، وهو منبع النعم ، فاقتضي حسن الأدب أنه لم يسمّ الفاعل ، وروي : « مَنَع الغمامُ » أي ومنع الغمام القطر ، فحذف المفعول » .

اللهُمَّ سُقْيَا منكَ ، مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً ، تامَّةً عامَّةً ، طَيِّبَةً مُبارَكَةً ، هَنِيئةً مَرِيئةً مَرِيعَةً ، زاكِياً نَبْتُها ، ثامِراً فَرْعُها ، ناضِراً وَرَقُها ، تَنْعَشُ بها الضَّعِيفَ مِن عِبادِك ، وتُحْيِي بها المَيْتَ [1] من بِلادِك .

اللهُمَّ سُقْيَا منك ، تُعْشِبُ بِها نِجادُنا ، وتَجْرِي بها وِهادُنا ، ويُخْصِبُ بها جَنابُنا ، وتُقْبِلُ بها ثِمارُنا ، وتَعِيشُ بها مَواشِينا ، وتَنْدَي بها أَقاصِينا ، وتَسْتَعِينُ بها ضَواحِينا ، مِن بركاتِك الواسِعة ، وعطاياك الجَزِيلة ، علي بَرِيَّتِك المُرْمِلَة ، ووَحْشِك المُهْمَلَة .

أنْزِلْ علينا سماءً مُخْضِلَةً ، مِدْراراً ، هاطِلَةً ، يُدافِعُ الوَدْقُ منها الوَدْقَ ، ويَحْفِزُ القَطْرُ منها القَطْرَ ، غيرَ خُلَّبٍ بَرْقُها ، ولا جَهامٍ عارِضُها ، ولا قَزَعٍ رَبابُها ، ولا شَفَّانٍ ذِهابُها ، حتي يُخْصِبَ لِإمْراعِها المُجْدِبُون ، ويَحْيا ببركَتِها المُسْنِتُون ، فإنَّك تُنْزِلُ الغَيْثَ من بعدِ ما قَنَطُوا [2] ، وتَنْشُرُ رحْمتَك ، وأنت الوَلِيُّ الحميدُ [3] .

شرحه

الأصل في قولهم : اللهُمَّ اغفِرْ لي : يا أللهُ اغفِرْ لي ، فحَذَفوا « يا » مِن أولِه ؛ لأنها لا تَدخُلُ علي اسمٍ فيه الألف واللامُ ، فلا تقولُ : لا يا الرَّجُلُ ، ولا يا الغُلامُ ، ولم تَدخُلْ إلاّ علي اسمِ اللهِ تعالي

---

(١) ضبط بسكون الياء ، تخفيفا ، وسيأتي في الشرح .

(٢) من قوله تعالي : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الوليّ الحميد ﴾ سورة الشوري ٢٨

(٣) الحديث في شرح نهج البلاغة ٧/٢٦٢ – ٢٦٧

خاصَّةً ، لكثرة الاستعمال ، فلمَّا حذفوها ، عَوَّضوا منها الميمَ في آخرِها ، فقالوا : اللهُمَّ ، ورُبَّما جَمَعُوا بينَ « يا » والميم ، في الشِّعر ، قال :

إنِّي إذا ما حَدَثٌ أَلَمَّا أقول يا اللَّهُمَّ يا اللَّهُمَّا [(١)]

وقد يُخَفَّف ، فيقال : لا هُمَّ ، بمعني اللهُمَّ .

وانْصاحَتْ جِبالُنا : أي تَشَقَّقتْ مِن المَحْل ، يقال : صاحَ النَّبْتُ ، وانْصاحَ ، وصَوَّحَ : إذا جَفَّ ويَبِسَ .

واغْبِرارُ الأرضِ بانقطاعِ الغَيْثِ ، وهو مِن مُقَدِّمات الجَدْبِ .

وهامَتِ الدَّوابُّ تهِيمُ : إذا عَطِشَتْ ، والهُيامُ : أشَدُّ العَطَشِ ، فلا يكاد صاحبُه يَرْوَي .

---

(١) قال العلامة البغدادي ، رحمه الله ، تعليقا علي هذا الشعر ، وردًّا علي كلامٍ سبق عنده :

« وهذا البيت أيضا من الأبيات المتداولة في كتب العربية ، ولا يعرف قائله ، ولا بقيته ، وزعم العيني أنه لأبي خراش الهذلي ، قال : وقبله :

إن تغفر اللهم تغفر جما وأيّ عبد لك لا ألما

وهذا خطأ ، فإن هذا البيت الذي زعم أنه قبله ، بيت مفرد ، لا قرين له ، وليس هو لأبي خراش ، وإنما هو لأمية بن أبي الصلت ، قاله عند موته ، وقد أخذه أبو خراش ، وضمه إلي بيت آخر » .

انظر الخزانة ٢٩٥/٢ ، ونوادر أبي زيد ص ١٦٥ ، والمقتضب ٢٤٢/٤ ، والمخصص ١٣٧/١ ، والإنصاف ص ٣٤١ ، وشرح المفصل ١٦/٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٣٩٩/٤ ، واللسان (أله) . وديوان أمية بن أبي الصلت ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، وشرح أشعار الهذليين ص ١٣٤٦

والمَرابِضُ : جَمْعُ مَرْبِضٍ (١) ، وهو الموضعُ الذي تَرْبِضُ فيه ، وتَأْوِي إليه .

والعَجِيجُ : الضَّجِيجُ .

والثَّكالَي : جمعَ ثَكْلَي ، وهي التي فقَدَتْ ولدَها .

والمَراتِعُ : المَراعِي ، ومَواضِعُ الرَّتْعِ ، وهو التَّردُّد في المَرْعَي ، أي أنَّها ضَجِرَتْ مِن التَّردُّدِ فيها ؛ لِخُلوِّها مِن النَّباتِ ، ومن الحنينِ إلي مَشارِعِها التي تَرِدُها .

والأَنينُ والحَنِينُ مُتقارِبان ، إلاَّ أنَّ الأنينَ من المرضِ ، والحنِينَ من الشَّوقِ والحُزْنِ .

والاعْتِكارُ : الازدِحامُ ، والاجتماعُ ، يقال : عَكَر عليه ، واعْتَكَر .

والحَدابِيرُ : الشَّدائدُ ، وأصلُها من النُّوقِ : التي أَنْضاها السَّيْرُ ، واحدتُها : حِدْبارٌ ، فشَبَّه بها السِّنينَ المُجْدِبةَ .

والجَوْدُ ، بفتح الجيم : المَطَرُ الغَزيرُ .

والمَخايِلُ : جَمْعُ مَخِيلَةٍ ، وهي السَّحابةُ التي يُظَنُّ بها المَطَرُ .

والإِخْلافُ : ضِدُّ الوفاءِ ، بالقولِ والفِعلِ ، وهو في المُسْتقبَل ، كالكذِب في الماضي ، يريد أنَّها خيَّبَتْ ظَنَّنا فيها ، ولم تُمْطِرْنا .

---

(١) بفتح الميم وكسر الباء ، بوزن مجلس ، والفعل منه من باب ضرب ، كل ذلك في المصباح .

والمُبْتَئِسُ : الحزينُ ، مُفْتَعِلٌ مِن البُؤْسِ : الشِّدَّةِ ، وقد ابتأس يَبْتئِسُ .

والبَلاغُ : الكِفايةُ اليَسيرةُ ، وما يُتَوصَّلُ به إلي الشيءِ المَطْلُوبِ .

والقُنُوطُ : أشَدُّ اليأسِ ، وقد قَنَطَ يَقْنِطُ ، وقَنِطَ يَقْنَطُ [١] .

والأَنامُ : النَّاسُ ، وقيل : هو عِبارةٌ عن كلِّ ذي رُوح .

والغَمامُ : السَّحابُ ، جَمْعُ غَمامةٍ .

ومنْعُهُ : احْتِباسُ قَطْرِهِ .

والسَّوَامُ : المواشِي الرَّاعيةُ ، يقال : سامَتِ الماشِيةُ تَسُومُ سَوْماً : إذا رَعَتْ .

والمُؤاخَذَةُ : مُفاعَلَةٌ من الأَخْذِ ، وهي المُجازاةُ علي الفِعْلِ والقَولِ .

والأَخْذُ بالذَّنْبِ : الانتِقامُ مِن مُرْتكِبِه بسَبَبه [٢] .

والمُنْبَعِقُ : المُتَدفِّقُ الواسِعُ ، وكذلك المُغْدِق ، وقد انْبَعَقَ الغَيْثُ .

وأَغْدَقَ : إذا كَثُر قَطْرُه ، واتَّسَعَ .

---

(١) من بابي ضرب وتعب .

(٢) قال ابن أبي الحديد : « فإن قلت : ما الفرق بين « تؤاخذنا » وبين « تأخذنا » ؟ قلت : المؤاخذة دون الأخذ ؛ لأن الأخذ الاستئصال ، والمؤاخذة عقوبة ، وإن قلّت » .

والمُونِقُ : المُعْجِبُ ، وقد آنقني الشيءُ ، يُونِقُني : إذا أعْجَبَني .

والسَّحُّ : أشَدُّ الغَيْثِ صَبًّا .

والوابِلُ : المَطَرُ الغَزيرُ الكثير .

والهَنيءُ : المَرِيءُ السَّائِغُ النافِعُ .

والمَرِيعُ : المُخْصِبُ الكَثِيرُ ، وقد مَرُعَ مَراعةً .

والسُّقْيا ، بالضمِّ : فُعْلَى من السَّقْيِ .

والثَّامِرُ : الذي أدْرَكَتْ ثَمَرتُه [١] وقد أَثْمَرَ الشَّجَرُ : إذا طَلَع ثَمَرُه ، فهو مُثْمِرٌ .

وفُرُوعُ النَّباتِ : أغْصانُه الخارِجَةُ عن أصلِه .

والنّاضِرُ : الحَسَنُ الناعِمُ ، مِن النَّضارَةِ : الحُسْنِ .

والنَّعْشُ : التَّقْوِيةُ ، يقال : نَعَشَه يَنْعَشُه : إذا أنْهَضَهَ ، ورَفَعه ، ولا يقال [٢] : أنْعَشَه .

والمَيْتُ : تخفيفُ المَيِّتِ ، ومَوْتُ البلادِ : كِنايةٌ عن مَحْلِها ، ويُبْسِها ، وعَدَمِ خُضْرتِها .

والعُشْبُ : الكَلَأُ الرَّطْبُ .

---

(١) في شرح نهج البلاغة : « ثامراً فرعها : ذو ثمر ، كما قالوا : لابن ، وتامر ، ذو لبن وتمر » .

(٢) هذا كلام ابن السكيت ، في إصلاح المنطق ص ٢٢٥ ، والجوهري في الصحاح ، وذكره صاحب تثقيف اللسان ص ١٥٢ ، لكن الفيومي وابن منظور أثبتاه ، راجع المصباح ، واللسان .

والنِّجادُ : جَمْعُ نَجْدٍ ، وهو ما ارْتَفَع من الأرضِ .

وإعشابُها : إظْهارُ العُشْبِ بها .

والوِهادُ : جَمْعُ وَهْدٍ ، وهو المُنْخفِضُ من الأرضِ .

والجَنابُ : الجانِبُ ، والناحِيةُ .

ويُروي : « جِنانُنا » جَمْعُ جَنَّةٍ ، وهي البُسْتانُ .

وتَنْدَي بها أَقاصِينا : كِنايةٌ عن شُمُولِ الغَيْثِ ، حتي يَتَندَّي به ما بَعُدَ من أراضِينا .

والأَقاصِي : جَمْعُ الأَقْصَي ، وهو الأَبْعَدُ .

والضَّواحِي : ظَواهِرُ الأَرَضِينَ (١) ، مِمَّا لا عِمارَةَ فيه ، جَمْعُ ضاحِيةٍ .

وقوله : « تَسْتَعِينُ » أي تَجْرِي عُيُوناً ، من كثرةِ المَطَرِ ، يُقال : عانَ الماءُ يَعينُ : إذا جَرَي .

والمُخْضِلَةُ : المُبْتَلَّةُ الرَّطْبَةُ ، وقد أخْضَلَتْ ، فهي مُخْضِلَةٌ ، واخْضَلَّتْ ، فهي مُخْضَلَّةٌ .

والبَرِيَّةُ : الخَلْقُ ، وأصلُه الهَمْزُ ، يقال : بَرَأَ اللهُ الخَلْقَ يَبْرَؤُهُم : إذا خَلَقَهُم ، وكأنَّه بالحيوانِ أخَصُّ مِن غيرِه ، يُقال : بَرَأَ اللهُ النَّسَمَةَ ، وخَلَقَ السماواتِ والأَرضَ .

وتُرِكَ همزُ « البَرِيَّة » حتي صار كالمنسُوخِ المُطَّرَحِ .

---

(١) عبارة ابن أبي الحديد أبْيَنُ ، قال : « الضواحي : النواحي القريبة من المدينة العظمي » .

والمُرْمِلَة : الفَقيرةُ المُحتاجَةُ ، ومنه الأَرامِلُ ، وهم المساكينُ ، مِن رِجالٍ ونِساءٍ ، وأَرْمَلَ القومُ : إذا نَفِدَ زادُهم ، وعامٌ أَرْمَلُ : قليلُ المطرِ .

والمُهْمَلَةُ : المُطَّرَحَةُ التي لا راعِيَ لها ، فاستعاره للوَحْشِ ، حيث لا مَرْعَي لها ، مِن الجَدْبِ ، فصارَتْ كالمُهْمَلَة التي لا حافِظَ لَها ، ولا ناظِرَ في أمرِها .

والمِدْرارُ : الدَّائمُ الصَّبِّ ، وهو مِفْعالٌ من الدُّرُورِ .

والهَطْلُ : نوعٌ منه ، مِثْلُه ، وقد هَطَلَ الغَيثُ يَهْطِلُ هَطْلاً ، فهو هَطِلٌ ، وهاطِلٌ : إذا تَتابَعَ قَطْرُه ، وسَيْلُه .

والوَدْقُ : المَطَرُ ، وقد وَدَقَ يَدِقُ وَدْقاً : أي قَطَر .

والحَفْزُ : الدَّفْعُ ، وقد حَفَزه يَحْفِزُه .

وبَرْقٌ خُلَّبٌ : لا يَتْبَعُه مَطَرٌ ، من قولهم : خَلَبَهُ يَخْلُبُه : إذا خَدَعه ، كأنَّ البَرْقَ خَدَعَ الناظِرَ إليه ، وأَطْمَعَه في المَطَر .

والخُلَّبُ أيضاً : السَّحابُ الذي لا مَطَرَ فيه ، يُقال فيه : بَرْقُ خُلَّبٍ ، بالإِضافة ، أي بَرْقُ سَحابٍ خُلَّبٍ .

والعارِضُ : السَّحابُ المُعْتَرِضُ في الجَوِّ .

والجَهامُ : الذي لا ماءَ فيه .

والرَّبابُ : السَّحابُ الأبيضُ .

والقَزَعُ : القِطَعُ الصِّغارُ ، المتفرِّقةُ ، من السَّحاب ، واحِدتُها : قَزَعَةٌ ، بالتحريك .

يريد أنَّ سَحابَها مُصطَحِبٌ مُتَراكِبٌ ، غيرُ مُتَفرِّقٍ ، ولا مُتَقطِّعٍ .

والشَّفَّانُ : الرِّيحُ البارِدَةُ .

والذِّهابُ ، بكسرِ الذالِ : الأَمطارُ اللّيِّنةُ (١) . أراد : ولا ذاتَ شَفَّانٍ ذِهابُها ، فحذَفَ للعِلْمِ به ، وإنَّما نفي الشَّفَّانَ ؛ لأنَّ المطرَ إذا كان معه ريحٌ باردَةٌ ، لا يَنْفَعُ ، كما يَنْفَعُ إذا لم يكن معه بَرْدٌ ، فإنَّه يُؤذِي النَّباتَ ، لبَرْدِه ، ورُبَّما حَدَثَ منه ثَلْجٌ أو بَرَدٌ .

والإمْراعُ : الخِصْبُ ، وقد أَمْرَعَ الروضُ ، فهو مُمْرِعٌ ، ومَرُعَ ، فهو مَرِيعٌ .

والمُسْنِتُ : المُمْحِلُ ، الداخِلُ في السَّنَةِ ، وهي الجَدْبُ (٢) .

والوَلِيُّ : النَّاصِرُ ، ومُتَولِّي الأُمُور .

والحميدُ : المحمودُ ، فعيلٌ بمعني مفعولٌ .

---

(١) المفرد : ذِهبة ، بكسر الذال ، ذكره في النهاية ٢/١٧٤

(٢) سبق هذا في حديث أبي بكر ، رضي الله عنه ، ودغفل النسابة .

حديثٌ آخَرُ
له
في الصلاة على النبيّ ﷺ

قال سَلامَةُ الكِنْدِيُّ : كان عليٌّ كرَّم اللهُ وجهَه ، يُعَلِّمنا الصَّلاةَ على النبيِّ ﷺ :

اللهُمَّ داحِيَ المَدْحُوَّاتِ ، وبارِئَ المَسْمُوكاتِ ، وجَبَّارَ القُلُوبِ على فِطَراتِها ؛ شَقِيِّها وسَعِيدِها ، اجعَلْ شرائفَ صَلَواتِك ، ونَوامِيَ بَرَكاتِك ، ورأفةَ تَحَنُّنِكَ ، على محمدٍ عبدِك ورسُولِك ، الفاتحِ لِما أُغْلِق ، والخاتِمِ لِما سُبِق (١) ، والمُعْلِنِ الحَقَّ بالحَقِّ ، والدَّامِغِ جَيْشاتِ الأباطِيلِ ، والدَّافِعِ صَوْلاتِ الأضالِيلِ ، كما حُمِّل فاضْطَلَع بأمرِك لطاعتِك ، مُسْتَوْفِزاً في مَرْضاتِك ، بغيرِ نَكَلٍ في قَدَمٍ ، ولا وَهْيٍ في عَزْمٍ ، واعِياً لوَحْيِك ، حافِظاً لعَهْدِك ، ماضِياً على نَفاذِ أمرِك ، حتى أَوْرَى قَبَساً لِقابِسٍ ، وأضاء الطريقَ للخابِط ، آلاءُ اللهِ تَصِلُ بأهلِه أسبابَه ، به هُدِيَت القُلوبُ بعدَ خَوْضاتِ الفِتَنِ والإِثْمِ ؛ مُوضِحاتِ الأَعْلامِ ، ونائراتِ الأحكامِ ، ومُنيراتِ الإِسلامِ ، فهو أمينُك المأمونُ ، وخازِنُ عِلمِك المخزون ، وشَهيدُك يومَ الدِّين ، وبَعِيثُك بالحقِّ نِعمةً ، ورَسُولُك إلى الخَلْقِ رحمةً .

اللهُمَّ افْسَحْ له مَفْسَحاً في عَدْلِك - أو عَدْنِك - وآجْزِهِ مُضاعَفاتِ الخيرِ مِن فَضْلِك ، مُهَنَّآتٍ غيرَ مُكَدَّراتٍ ، مِن فَوْزِ ثَوابِك المَحْلُولِ ، وجَزْلِ عَطائِك المَعْلُولِ .

---

(١) هكذا ضبط في الأصل ، بضم السين وكسر الباء .

اللهُمَّ أَعْلِ علَي بِناء البانِين بِناءَه ، وأَكْرِمْ مَثْواهُ لَدَيْك ، ونُزُلَه ، وأَتْمِمْ له نُورَه ، وأَجْرَه ، مِن ابْتِعاثِك له مَقْبُولَ الشَّهادةِ ، مَرْضِيَّ المَقالةِ ، ذا مَنْطِقٍ عدلٍ ، وخُطَّةٍ فَصْلٍ ، وبُرْهانٍ عَظِيمٍ .

* * *

أخرجه القُتَيْبِيُّ [١] ، من حديث يزيد بن هارون ، والزمخشريُّ مثلَه [٢] ، وزاد غيرُهما : اللهُمَّ اجمَعْ بينَنا وبينَه ، في بَرْدِ العَيْشِ ، وقَرارِ النِّعمة ، ومُنَي الشَّهَوات ، وأهواءِ اللَّذَّاتِ ، ورَخاءِ الدَّعَةِ ، ومُنْتَهي الطُّمأنينةِ ، وتُحَفِ الكرامةِ [٣] .

---

(١) غريب الحديث ٢/١٤٣ - ١٤٨ . وانظر الشفا ٦٤٣ ، ومجمع الزوائد ١٠/ ١٦٣ ، وشفاء السقام ٢٤٧ ، والقول البديع ٤٤ .

(٢) الفائق ١/٤١٥ - ٤١٧ ، وشرح نهج البلاغة ٦/١٣٨ - ١٤٣

هذا ، وقد أورد ابن كثير هذا الحديث ، مع ما ذكر من أحاديث الصلاة علي النبي ﷺ ، قال :

« حديث آخر موقوف ، رويناه من طريق سعيد بن منصور ، وزيد بن الحباب ، ويزيد ابن هارون ، ثلاثتهم عن نوح بن قيس ، حدثنا سلامة الكندي : أن عليا ... وفي آخره : قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ، ولم يدرك عليا ، كذا قال . وقد روي الطبراني هذا الأثر ، عن محمد بن علي الصائغ ، عن سعيد بن منصور ، حدثنا نوح بن قيس ، عن سلامة الكندي .... » .

تفسير ابن كثير ٦/٤٥٣ ، في تفسير قوله تعالي : ﴿ إن الله وملائكته يصلون علي النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ الآية ٥٦ من سورة الأحزاب .

(٣) هذه الزيادة في شرح نهج البلاغة .

شرحه

سَلامَةُ الكِنْدِيُّ هو [(١)] ....

والدَّحْوُ : البَسْطُ ، وقد دَحا يَدْحُو دَحْواً : إذا بَسَطَ ، ووَسَّعَ ، والمَدْحُوَّاتُ : الأَرَضُون ، وكان اللهُ خَلَقها أوّلاً رُبْوَةً [(٢)] ، ثم بَسَطَها ، ومنه قوله تعالي : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ [(٣)] .

والبارِئُ : الخالِقُ ، لا عَنْ مِثالٍ ، وقد تَقدَّم بَيانُه [(٤)] .

والمَسْمُوكاتُ : السَّماواتُ ، لارتِفاعِها ، وكُلُّ شيءٍ رَفَعْتَه فقد سَمَكْتَه ، وهو مَسْمُوكٌ ، وسَمْكُ البَيْتِ : ارتِفاعُه وعُلُّوه ، قال الفرزدق :

إنَّ الذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَي لَنا   بَيْتاً دَعائِمُه أَعَزُّ وأَطْوَلُ [(٥)]

والجَبَّارُ : فَعَّالٌ ، للمُبالَغَة ، مِن الجَبْرِ : الذي هو ضِدُّ الكَسْرِ ، يقال : جَبَرْتُ العَظْمَ ، فهو مَجْبُورٌ ، وأنت جابِرٌ ، وجَبَّارٌ .

أي أثْبَتَ القُلُوبَ ، وأقامها علي ما فَطَرها عليه ، من مَعْرفتِه ، والإقرارِ به .

---

(١) بياض بالأصل ، ولم أجد لسلامة هذا ترجمة ، وانظر ما نقلته قريبا عن الحافظ ابن كثير .

(٢) ضبطت الراء في الأصل ، بالضم ، قال الفيومي في المصباح : « الربوة : المكان المرتفع ، بضم الراء ، وهو الأكثر ، والفتح لغة بني تميم ، والكسر لغة » .

(٣) سورة النازعات ٣٠

(٤) في الحديث السابق .

(٥) ديوانه ص ٧١٤

ويجوز أن يكون « الجَبَّارُ » مِن أَجْبَرَه علي الأمرِ ، وجَبَره عليه : إذا أَلْزَمْتَه (١) به كُرْهاً ، وقَهرْتَه عليه .

أي أَلزَمَ القُلُوبَ ، وحَتَمَ عليها الفِطْرَةَ ، علي وَحْدانيّته .

ويروي : « جابِل القُلُوب » أي خالِقُها ، مِن الجِبْلَةِ ، والجِبِلَّةِ ، وهي الخِلْقَة .

والفِطَراتُ ، بفتح الطاء : جَمْعُ قِلَّةٍ للفِطْرَةِ ، بسكون الطاء ، وتُسكَّن طاءُ الجمعِ وتُكْسَر ، مع الفتح .

والفِطْرَةُ : الخِلْقَةُ التي يُخْلَقُ المولُودُ عليها ، والفَطْرُ : الخَلْقُ ، وقيل : ابْتداءُ الخَلْقِ .

وشَقِيِّها وسَعِيدِها : مكسوران علي البَدَلِ من « القلوب » ، وهما فَعِيلٌ مِن الشَّقاء والسَّعادة .

والشَّرائِفُ : جَمْعُ شَرِيفَةٍ .

والنَّوامِي : جَمْعُ نامِيَةٍ ، من النَّماءِ : الزِّيادةِ .

والرَّأْفَةُ : أرَقُّ مِن الرَّحْمة ، وقد رأَفْتُ به ، ورَؤُفْتُ ، أرأَفُ ، وأرْؤُف .

والتَّحَنُّنُ : التَّرَحُّم ، من الحَنانِ ، وهو الرحمةُ والعَطْفُ ، فأضاف الرأفةَ إليه ، لأنها أَخَصُّ منه .

---

(١) هكذا في الأصل ، وهو مخالف لأسلوب المعاجم ، فإما أن يكون هذا « ألزمه » بطرح التاء ، أو يكون الفعل السابق : « أجبرته – وجبرته » .

والمُعْلِنُ : المُظْهِرُ ، وقد أعلنتُ الشيءَ إعلاناً : إذا أَظْهرتَه . أي أَظْهَر الحقَّ إعلاناً مُلْتَبِساً بالصِّحَّةِ والحَقيقة .

والدَّامِغُ : المُهْلِكُ ، وقد دَمَغَه يَدْمَغُه دَمْغاً : إذا أصابَ دِماغَه فقتَلَه .

والجَيْشاتُ : جَمْعُ جَيْشَةٍ ، مِن جاشَ الشيءُ يَجِيشُ : إذا ارتفع ، وجاشَ الماءُ : إذا طَما .

والأَباطِيلُ : جَمْعُ باطِلٍ ، علي غيرِ قياسٍ .

والصَّوْلاتُ : جَمْعُ صَوْلَةٍ ، وهي الوَثْبَةُ ، والاستِطالَةُ علي الشيء .

والأضاليلُ : جمع ضَلالٍ ، كالأباطيل .

يريد أنه مُهْلِكُ ما ظَهَر من الباطل وارتَفَع ، ودافعُ ما استطال مِن الضَّلال ووَثَب .

واضْطَلَع : افتعل ، من الضَّلاعَة ، وهي القُوَّةُ والشِّدَّةُ ، وأصلُها مِن اتِّساعِ الجَنْبَيْن والأَضلاعِ ، يقال : اضْطَلَع بحِمْله : إذا قَوِيَ عليه ، ونَهضَ به ، والطاءُ فيه بدلٌ من تاء الافتِعال ؛ لأجل الضاد .

واسْتَوْفَزَ : إذا اسْتَعْجَل ، وهو اسْتَفْعَل ، من الوَفْزِ ، والوَفزِ : العَجَلَةِ ، وجمعهما : أوْفازٌ ، يُقال : نحن علي أَوْفازٍ : أي علي سَفَرٍ ، واسْتَوْفَزَ فِي جُلوسِهِ : إذا لم يتمكَّنْ من القُعُودِ ، وكان كأنّه يَثِبُ للقيامِ .

والنَّكَلُ ، بفتحتين : لغةٌ في النُّكُول ، يقال : نَكَلَ عن الشيءِ يَنْكُلُ (١) نُكُولاً ، ونَكِلَ عنه يَنْكَلُ نَكَلاً : إذا امْتَنَع ، ومنه النُّكُولُ في اليمين ، وعن العُدُوِّ ، والنَّاكِلُ : الجَبانُ .

والقَدَمُ ، بفتحتين : التَّقَدُّمُ . يريد : بغير جُبْنٍ ، وامتناعٍ عن الإقدام ، يُقال : رجلٌ فيه قَدَمٌ : إذا كان شُجاعاً .

ويجوز أن يُرادَ بالقَدَمِ قَدَمُ الرِّجْلِ ، ويكونُ نُكُولُها عِبارةً عن التَّأَخُّرِ ، والتَّوقُّفِ عن الإقدامِ علي الأمرِ .

والوَهْيُ : الضَّعْفُ ، وقد وَهَي يَهِي ، فهو واهٍ .

ويُرْوَي : « غير ناكِلٍ ولا وَاهٍ » .

ويُرْوَي : « واهِنٌ » بالنُّون ، من الوَهْنِ : الضَّعْفِ .

والعَزْمُ : ما يَنْعَقِدُ عليه القَلْبُ ، في قولٍ ، أو فِعْلٍ . أي غير ضعيفِ القَلْبِ والرَّأيِ ، في الاهتمامِ بالأُمُور .

والوَعْيُ : الحِفْظُ والفَهْمُ ، وقد وَعَي الشيءَ يَعِيه وَعْياً .

والنَّفاذُ : المَضاءُ في الأمرِ .

والقَبَسُ : الشُّعْلَةُ من النارِ ، والقابِسُ : آخِذُها .

ووَرَي الزَّنْدُ يَرِي : ظَهرتْ نارُه ، وأوراه غيرُه . وأرادَ به نُورَ الحقِّ الذي أُرْسِلَ به ، وإظهارَه لطالِبه .

ويُرْوَي : « قَبَسَ القابِسِ » علي الإضافة .

---

(١) هذه من باب قعد ، والتالية من باب تعب . علي ما في المصباح .

والخابِطُ : الذي يَمْشِي في الظُّلْمةِ ، فلا يدري أين يَضَعُ رِجْلَه ، فهو يَضْرِبُ الأرضَ برجلِه عند مَشْيِه .

وآلاءُ اللهِ : نِعَمُه ، واحِدُها : إلاً [1] ، بالفتح والكسر ، مع القَصْر .

والضميران في « بأهلِه وأسبابه » راجعان إلي القَبَس .

يعني : مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عليه ، وتكامَلَتْ عنده آلاؤُه ، وصَلَ أسبابَ ذلك القَبَسِ به ، وجَعَله من أهلِه ، والمُسْتَضيئين بنُورِه .

و « به » مُتَعلِّقةٌ بهُدِيَتْ ، والضميرُ للنبيِّ عليه السلامُ .

وخَوْضاتُ الفِتَنِ : جَمْعُ خَوْضَةٍ ، والمصدرُ فيها مضافٌ إلي المفعولِ ، تقديره : بَعْدَ ما خاضَتِ القُلُوبُ الفِتَنَ والإِثْمَ ، أَطْواراً وكَرَّاتٍ ، خَوضاً بعدَ خَوْضٍ .

و « مُوضِحاتٌ » مُتَعلِّقٌ بهُدِيَتْ ، والأصلُ : به هُدِيَتِ القُلُوبُ إلي مُوضِحاتِ الأعلامِ ، فحذَفَ الجارَّ ، وأوصلَ الفِعْلَ ، يقال : هَداهُ اللهُ للدِّين ، وإلي الدِّين ، هُدًي ، أو هو علي لغةِ أهل الحِجاز ، مِن هديتُه الطريقَ والبَيْتَ ، هِدايةً : إذا عرَّفْتَه ، وغيرُهم يقول : هديتُه إلي الطريقِ .

والمُوضِحاتُ : جَمْعُ مُوضِحَةٍ ، وهي الكاشِفَةُ المُظْهِرَةُ للشيء .

---

(١) هكذا رسمت في الأصل « إلا » بالألف ، وهو صحيح ، وتكتب بالياء أيضا : « إليً » المقصور والممدود ص ١١ ، وانظر النهاية ١/٦٣

والأعلامُ : جَمْعُ عَلَمٍ ، وهي في الأصل : الجِبالُ ، والمنارُ التي يُهْتَدَي بها في الطُّرُقِ .

والنَّائِرُ : بمعني المُنِير ، يقال : نارَ الشيءُ ، وأنارَ : إذا أضاءَ ، وظَهَر نُورُه ، إلاّ أنَّ أنارَ يكون قاصِراً ومُتَعدِّياً ، وهو فى « مُنيراتِ الإسلامِ » كذلك ، فجَمع في الحديث بينَ اللُّغَتَيْن .

والأَمِينُ : فَعِيلٌ ، من الأمانةِ ، وهو الذي يُوثَقُ به ، وإليه ، والمأمُونُ : مفعولٌ منه ، يُقالُ : أمينٌ مَأْمونٌ ، علي التأكيدِ .

والشَّهِيدُ : الشَّاهِدُ علي أُمَّتِه يومَ القيامة ، فعيلٌ بمعني مَفْعُولٍ [1] .

والدِّينُ : الجَزاءُ .

والبَعِيثُ : المَبْعُوثُ . أي بَعَثْتَه بالحقِّ ، نعمةً علي المؤمنين .

والمَفْسَحُ : مَفْعَلٌ ، من الفُسْحَةِ ، وهو السَّعَةُ . ويُرْوَي : « مُفْتَسَحاً » علي الافتعال منه ، أو هو مصدرٌ .

والمعنى : أوسِعْ له سَعَةً في دارِ عَدْلِك ، وهي الدارُ الآخِرةُ .

والعَدْنُ : مِن أسماءِ الجَنَّة ، يريد جَنَّةَ عَدْنٍ ، وأصلهُ مِن عَدَنَ بالمكان : إذا أقام .

والفَوْزُ : النَّجاةُ .

والمَحْلُولُ : المُيَسَّر ، المُهَيَّأُ للانتفاعِ به .

والمَعْلُولُ : المُضاعَفُ المُكَرَّرُ ، مِن العَلَلِ ، وهو الشُّرْبُ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ . يريد أنَّ عطاءَه مُضاعَفٌ ، يَعُلُّ به عِبادَه ، مَرَّةً بعدَ أُخْرَي .

والعَطاءُ الجَزْلُ : الكثيرُ الواسعُ .

---

(١) هكذا فى الأصل ، وحقه أن يكون : « بمعنى فاعل » ، وانظر النهاية ٢/٥١٣

والنُّزُل : الرِّزْق ، وتُضَمُّ زايُه وتُسَكَّنُ ، وأصلُه ما يُطْعَمُه الضَّيفُ .

والمَثْوَي : المَنْزِلُ الذي يَأوِي الإنسانُ إليه ، وقد ثَوَي بالمكانِ يَثْوِي : إذا أقام به .

والابْتِعاثُ : افتِعالٌ من البَعْثِ .

والمَنْطِقُ العَدْلُ : الذي لا فُضُولَ فيه ، ولا تَقْصِيرَ ، ولا جَوْرَ .

والخُطَّةُ الفَصْلُ : الحالةُ الفاصلةُ بينَ الحقِّ والباطِلِ ، التي لا حَيْفَ فيها ، ولا اشْتِباهَ .

والبُرْهانُ : الحُجَّةُ والدَّليلُ .

وبَرْدُ العَيْشِ : كِنايةٌ عن الرَّاحةِ ، والسُّكونِ ، والطُّمَأْنينة .

وقَرارُ النِّعمةِ : استِقْرارُها ، وثُبوتُها .

والمُنَي : جَمْعُ مُنْيَةٍ .

والدَّعَةُ : السُّكُونُ .

والرَّخاءُ : الاتِّساعُ .

والتُّحَفُ : جَمْعُ تُحْفَةٍ ، وهي الهَدِّيةُ ، والطُّرْفَةُ .

حديثٌ آخَرُ
لعليٍّ كرَّم اللهُ وَجْهَه

كتب إلى عبدِ الله بن عَبَّاسٍ ، حينَ أخَذَ مِن مال البَصْرةِ ما أَخَذَ ، وفارَقَه ومضَي إلي مكَّةَ :

أمَّا بَعْدُ ؛ فإنِّي كنتُ شَرِكْتُكَ في أمانتي ، وجَعلتُك شِعارِي ، وبِطانَتِي ، ولم يكن في أهلي رجلٌ أَوْثَقَ منكَ في نَفْسِي ، لمُواساتِي ومُؤازَرَتِي ، وأداءِ الأمانةِ إليَّ ، فلمَّا رأيتَ الزَّمانَ علي ابن عَمِّك قد كَلِبَ ، والعَدُوَّ قد حَرِبَ ، وأمانةَ الناسِ قد خَرِبَتْ ، وهذه الأُمَّةَ قد فَتَكَتْ ، وشَغَرَتْ ، قَلَبْتَ لابنِ عَمِّك ظَهْرَ المِجَنِّ ، ففارَقْتَه مع المُفارِقِين ، وخَذَلْتَه مع الخاذِلِين ، وخُنْتَه مع الخائنِين ، فلا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ ، ولا الأمانةَ أدَّيْتَ ، وكأنَّكَ إنما كُنْتَ تَكِيدُ هذه الأُمَّةَ عن دُنْياهُم ، وتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عن فَيْئِهِم ، فلمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ ، أسْرَعْتَ الكَرَّةَ ، وعاجَلْتَ الوَثْبَةَ ، واخْتَطَفْتَ ما قَدَرْتَ عليه ، من أموالِهم المَصُونَةِ ، لأَرامِلِهم وأيتامِهم ، اختِطافَ الذِّئْبِ الأَزَلِّ ، دامِيَةَ المِعْزَى الكَسِيرَةَ ، فحملتَه إلي الحِجازِ ، رَحِيبَ الصَّدْرِ بحَمْلِه ، غيرَ مُتَأَثِّمٍ مِن أَخْذِه ، فسُبحانَ اللهِ ! أما تُؤْمِنُ بالمَعادِ ؟ أوَمَا تَخافُ نِقاشَ الحِسابِ ؟ أيُّها المَعْدُودُ – كان عِنْدَنا – من ذَوِي الألباب . فاتَّقِ اللهَ وارْدُدْ أموالَهم ؛ فإنك إن لم تَفعَلْ ، ثُمّ أمكنَنِي اللهُ منكَ ، لأُعْذِرَنَّ إلي اللهِ فيك ، ولأَضْرِبَنَّكَ بسَيْفِي الذي ما ضَرَبْتُ به أحدًا إلاّ دخلَ النارَ ، فَضَحِّ رُوَيْداً ، فكأَنْ قد بلَغْتَ المَدَى ، وعُرِضَتْ

عليك أعمالُك ، بالمَحَلِّ الذي يُنادِي المُغْتَرُّ فيه بالحَسْرَةِ ، ويَتمنَّي المُضيِّعُ التَّوْبةَ ، والظَّالِمُ الرَّجْعَةَ ، ولاتَ حِينَ مَناصٍ .

* * *

أخرجه القُتيبيُّ [١] ، أخْصرَ مِن هذا ، وفي الكِتاب طُولٌ .

شرحه

شَرِكْتُ فُلاناً في الشيء ، أشْرَكُهُ شِرْكَةً ، وأشْرَكْتُه في أمرِي : أي جعلتُه شَرِيكي فيه .

وبِطَانَةُ الإنسانِ : داخِلَتُه ، وصاحِبُ سِرِّه ، مأخُوذٌ مِن بِطانة الثَّوبِ ؛ لأنها تَلِي الجَسَدَ .

---

(١) غريب الحديث ١٣٥/٢ – ١٣٧ ، ولم يذكر المصنف الزمخشري ، علي جاري عادته في التخريج ، مع أن الزمخشري قد أخرج الحديث ، برواية ابن قتيبة ، في الفائق ٢٧٨/٣ ، وذكر جزءا يسيرا منه في ٣٣٤/٢ ، والحديث أيضا في شرح نهج البلاغة ١٦٧/١٦ – ١٧٢ ، ومجمع الأمثال ١٠١/٢ ، في شرح المثل « قلب له ظهر المجن » .

هذا وقد ساق ابن أبي الحديد كلاما جيدا حول اختلاف الرأي فيمن كتب له هذا الكتاب . ثم قال في آخر كلامه :

« وقد أشكل عليَّ أمرُ هذا الكتاب ، فإن أنا كذَّبتُ النقل وقلت : هذا كلام موضوع علي أمير المؤمنين عليه السلام ، خالفتُ الرواة ؛ فإنهم قد أطبقوا علي رواية هذا الكلام عنه ، وقد ذكر في أكثر كتب السِّيَر ، وإن صرفته إلي عبد الله بن عباس ، صدَّني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام ، في حياته ، وبعد وفاته ، وإن صرفته إلي غيره لم أعلم إلي من أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام ، والكلام يشعر بأن الرجل المخاطب من أهله وبني عمه ، فأنا في هذا الموضع من المتوقفين » .

وكذلك الشِّعارُ ، وأصلُه الثوبُ الذي يَلِي الجَسَدَ .

والدِّثارُ : الثَّوْبُ الذي فَوْقَه .

والمُواساةُ : المُساهَمَةُ في الشيءِ ، والمُشارَكَةُ فيه ، يقال : آسيتُه بمالِي . مُواساةً : أي جعلتُه أُسْوَتِي فيه ، وواسَيْتُه ، بالواوِ ، لغةٌ ضَعِيفة

والمُؤازَرَةُ : المُظاهَرَةُ ، والمُعاوَنَةُ ، يقال : أَزرَهُ ، وآزَرَهُ : إذا أعانَه ، وأسْعَدَه [١] ، مِن الأَزْرِ : القُوَّةِ والشِّدَّةِ ، ومنه حديث وَرَقَة بنِ نَوْفَلٍ : « لأَنْصُرَنَّكَ نَصراً مُؤَزَّراً » أي قويًّا شديداً .

وكَلَبُ الزَّمانِ : كِنايةٌ عن الشِّدَّةِ ، والشَّرِّ ، والأَذَى ، وأصلُه مِن قولهم : كَلِبَ الكَلْبُ ، يَكْلَبُ كَلَباً : إذا عَرَضَ له شِبْهُ الجُنُونِ ، فكُلُّ مَن عَضَّهُ قَتَلَه ، وهو داءٌ مَعْروفٌ .

وحَرِبَ العَدُوُّ ، بالكسر : إذا اشتَدَّ غَضَبُه ، فهو يَحْرَبُ حَرَباً ، بالتحريك .

والفَتْكُ : القَتْلُ علي غِرَّةٍ وغَفْلَةٍ .

والشَّغَرُ : التَّفَرُّق ، ومنه قولهم : تَفرَّقُوا شَغَرَ بَغَرَ .

والمِجَنُّ : التُّرسُ ، وقَلْبُ ظَهْرِهِ : كِنايةٌ عن المُخالَفةِ ، والعَداوَةِ ، وهو مَثَلٌ [٢] يُضْرَبُ لِمَن كان مع صاحبِه علي مَوَدَّةٍ ومُحافَظَةٍ ، ثم حالَ عنها إلي ضِدِّها .

---

(١) يقال : أسعده ، أي أعانه .

(٢) راجع جمهرة الأمثال ١٢٥/٢ ، ومجمع الأمثال ، الموضع المذكور في تخريج الحديث .

والخِذْلانُ : تَرْكُ العَوْنِ والنُّصْرَةِ .

وآسَيْت : تقدَّم بَيانُه [١] .

والكَيْدُ : المَكْرُ ، والخِداعُ ، وقد كادَه يَكِيدُه كَيْداً ، ومَكِيدةً .

والغِرَّةُ : الغَفْلَةُ .

والفَيْءُ : ما يَحصُلُ للمُسلمين من غيرِ قتالٍ ، كالخَراجِ ، والجِزْيةِ ، ونحوِ ذلك .

والشَّدَّةُ : الحَمْلَةُ .

والكَرَّةُ : الرَّجْعةُ ، وقد كَرَّ عليه ، يَكُرُّ كَرًّا .

والاخْتِطافُ : الاسْتِلابُ بسُرْعةٍ .

والمَصُونَةُ : المَحْرُوسةُ المحفُوظَةُ .

والأَرامِلُ في الأصل : جَمْعُ أَرْمَلَ [٢] ، وأَرْمَلَةٍ ، وهما مَن لا زوجةَ له ، ولا زَوْجَ لها ، ويقع علي الفقراءِ والمساكينِ ، من الرِّجالِ والنِّساءِ .

والأَيْتامُ : جَمْعُ يَتِيمٍ ، ويتيمةٍ .

---

(١) في حديث قيلة بنت مخرمة العنبرية ، وتقدم أيضا فى الصفحة السابقة .

(٢) شاهد استعمال « الأرمل » في الذكور ، قول جرير :

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرمل الذكرِ

راجع غريب الحديث لابن قتيبة ٢٣٣/١ ، ٢٣٤ ، وانظر حواشيه ، وديوان جرير ص ١٠٨١

والذِّئْبُ الأَزَلُّ : الخَفِيفُ السَّرِيعُ ، مِن قولِهم : زَلَّ زَلِيلاً : إذا عَدَا ، والأَزَلُّ في الأصل : الصَّغِيرُ العَجُزِ .

ودامِيَةُ المِعْزَى : المَجْرُوحَةُ التي عليها أثَرُ الدَّمِ ، وقد دَمِيَتْ تَدْمَى ، فهي دامِيَةٌ ، وإنما خَصَّ الدَّامِيَةَ دُونَ غيرِها ؛ لأنَّ مِن طَبْعِ الذِّئبِ مَحَبَّةَ الدَّمِ ، فهو يُؤْثِرُ الدَّامية علي غيرِها ، ويَبْلُغُ به طَبْعُه في ذلك أنه يَرَي ذئباً مِثْلَه ، وقد دَمِيَ ، فيَثِبُ عليه ليأْكُلَه ، قال [١] :

وكنتَ كَذِئْبِ السَّوْءِ لمَّا رأي دَماً بصاحِبِهِ يوماً أحالَ علي الدَّمِ

ورُحْبُ الصَّدْرِ : سَعَتُه ، وهو ها هنا كِنايةٌ عن إيثارِه لذلك ، وسُرورِهِ به .

والمُتأَثِّمُ : الواقعُ في الإثم .

والمَعادُ : مَوضِعُ البَعْثِ ، يومَ القِيامة ، أو البَعْثُ نفسُه .

ونِقاشُ الحسابِ : مُناقَشتُه ، وهو استِقصاؤُه ، والمبالغةُ فيه ، وقد ناقَشَه نِقاشاً ومُناقَشةً .

وأعذرتُ إلي فُلانٍ : أي بلغتُ أقصى الغايةِ في العُذْر .

وقوله : « ضَحِّ رُوَيْداً » هو مَثَلٌ [٢] ، معناه : اصبِرْ قليلاً ، والأصلُ فيه القَوْمُ يسيرون ، فإذا مَرُّوا بلُمْعةٍ من الكَلأ ، فيقول قائلُهم : ألا ضَحُّوا رُوَيْداً ، فَيَدَعُون الإبلَ تَضْحَى ، أي تَمْشِي وهي تَرْعَى ، كي تُوافِيَ المَنْزِلَ ، وقد شَبِعَتْ .

---

(١) الفرزدق . ديوانه ص ٧٤٩ ، وطبقات فحول الشعراء ص ٣٦٢ ، والحيوان ٥/٣١٩ ، ٦/٢٩٨

(٢) راجع جمهرة الأمثال ٢/٦ ، ومجمع الأمثال ١/٤١٩

والتَّضْحِيةُ : التَّغْدِيَةُ ، وضَحَّيْتُ الإبلَ : إذا غَدَّيْتَها [١] .

ورُوَيْداً : بمعني أَمْهِلْ وارْفُقْ ، وهي تصغيرُ رَوْدٍ ، يُقال : أَرْوِدْ به ، وتكون صِفةً ، نحو : سارُوا سيراً رُوَيْداً ، وحالاً ، نحو : سارُوا رُوَيْداً ، ومصدراً مضافاً ، نحو : رُوَيْدَ زَيْدٍ ، وتكون من أسماءِ الأفعالِ المتعدّية ، تقول : رُوَيْدَكَ زيداً : أي أَمْهِلْه . وليس للكاف موضعٌ من الإعراب .

والمَدَى : الغايةُ ، ويريدُ به حالةَ الموتِ .

والمُغْتَرُّ : الغافِلُ ، الجاهِلُ .

والرَّجْعَةُ : المَرَّةُ من الرُّجُوع ، يُريد بها الرُّجوعَ إلي الدُّنيا بعدَ الموتِ ، أي يتمنَّي أن يُرَدَّ إلي الدُّنيا ؛ ليعملَ خيراً ، ويستدرِكَ ما فاتَ .

والقولُ بالرَّجْعةِ مَذْهَبُ قَومٍ من العرب ، في الجاهلية ، معروفٌ عندهم ، يقولون : إنَّ الميِّتَ يُرَدُّ إلي الدُّنْيا بعدَ الموتِ بحينٍ ، وهو قريبٌ من مَذْهبِ التَّناسُخ .

والمَناصُ : المَخْلَصُ ، والمَهْرَبُ ، يقال : ناصَ يَنُوصُ نَوْصاً ، ومَناصاً ، أي ليس حِينَ مَهْرَبٍ ومَفَرٍّ ، والميمُ زائدةٌ .

---

(١) إلي مثل هذا التفسير ذهب أبو هلال العسكري ، أما الميداني ، فقد ذهب في تفسير المثل مذهبا آخر ، قال : « هذا أمر من التضحية ، أي لا تعجل في ذبحها ، ثم استعير في النهي عن العجلة في الأمر » .

و « لا » حرفُ نَفْيٍ ، وزِيدَت التاءُ فيه ، كما زِيدَتْ في ثُمَّتْ ، ورُبَّتْ ، وشَبَّهوها بليس ، وأضْمَرُوا فيها اسمَ [١] الفاعِلِ .

ولا تدخُلُ « لاتَ » إلاّ علي الحِينِ ، وقد قرأ بعضُهم : ﴿ وَلاَتَ حِينُ مَنَاصٍ ﴾ [٢] برَفْعِ الحِينِ ، وإضمار الخَبرِ .

وقال بعضُهم : إنّ التاءَ إنما زِيدَتْ في الحِين ، وإن كُتبتْ مُفْردةً ، قال أبو وَجْزَةَ [٣] :

العاطِفُون تَحِينَ ما مِن عاطِفٍ والمُسْبِغُون نَدًي إذا ما أَنْعَمُوا

---

(١) هكذا في الأصل ، والأولى : « وأضمروا فيها اسمها » فإن اسم « لات » المشبهة بليس يضمر ، ثم يذكر الخبر ، أو يذكر ويضمر الخبر ، علي ما هو مقرر في كتب النحو ، وانظر المراجع في التعليق التالي .

(٢) الآية الثالثة من سورة ص ، وقراءة الرفع هذه قرأ بها عيسي بن عمر ، وأبو السمال ، وهي من الشواذ ، ووصفها سيبويه بأنها قليلة . انظر الكتاب ٥٨/١ ، ومختصر في شواذ القرآت ص ١٢٩ ، والبحر المحيط ٣٨٤/٧ ، ومراجع التعليق التالي .

(٣) السعدي . انظر تأويل مشكل القرآن ص ٥٣٠ ، ومجالس ثعلب ص ٣٧٤ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ص ١٠٨ ، وزاد المسير ١٠/٧ ، وتفسير القرطبي ١٤٧/١٥ ، والخزانة ١٧٦/٤ ، واللسان (ليت – حين – ما) .

حديثٌ آخرُ
لعليٍّ كرَّم اللهُ وجهه

لمَّا قُبِضَ أبو بكرٍ وسُجِّيَ، جاء عليٌّ مُسرِعاً ، مُستَرْجِعاً ، وهو يقول : اليومَ انقطعَتْ خِلافَةُ النُّبُوةِ ، حتي وقف علي بابِ البيتِ ، فقال : رحمكَ اللهُ أبا بكرٍ ، كنتَ إلْفَ رسولِ اللهِ ﷺ ، وذكر كلاماً طويلاً ، يُثْنِي به عليه ، وفيه :

فنهضْتَ حينَ وَهَنُوا ، وبَرزْتَ حينَ اسْتكانُوا ، وقمتَ بالأمرِ حينَ فَشِلُوا ، ونَطقْتَ إذ تَتَعْتَعُوا ، كنتَ واللهِ للدِّين يَعْسُوباً ؛ أوَّلاً : حينَ نَفَرُوا ، وآخِراً : حينَ فَيَّلُوا ، شَمَّرْتَ إذ خَنَعُوا ، وعَلَوْتَ إذ هَلَعُوا ، وصَبَرْتَ إذ جَزِعُوا ، وأدْرَكْتَ أوتارَ ما طَلَبُوا ، فنالُوا بك مالم يَحْتَسِبُوا ، كنتَ أخْفَضَهم صَوْتاً ، وأعْلاهُم فُوقاً ، كنتَ للدِّينِ عِزًّا ، وحِرْزاً ، وكَهْفاً ، وللمؤمنين رحمةً ، وأُنْساً ، وحِصْناً ، وعلي الكافرين عذاباً صَبًّا ولَهَباً ، وعلي المنافقين غِلْظَةً ، وكَظْماً وغَيْظاً ، فَطِرْتَ واللهِ بغَنائِها [1] ، وفُزْتَ بحِبائِها ، لم تُفْلَلْ حُجَّتُك ، ولم تَضْعُفْ بَصِيرَتُك ، كنت كالجَبَلِ الذي لا تُحرِّكه العواصِفُ ، ولا تُزِيلُه القَواصِفُ ، لم يكن لأحدٍ فيك مَغْمَزٌ ، ولا لقائلٍ فيك مَهْمَزٌ ، ولا لأحدٍ فيك مَطْمَعٌ ، ولا لمخلُوقٍ عندَك هَوادَةٌ ، قولُك حُكْمٌ وحَتْمٌ ، وأمرُكَ حِلْمٌ وحَزْمٌ ، ورأيُك عِلْمٌ وعَزْمٌ ، فأقْلَعْتَ وقد نَهَج السَّبِيلُ ،

---

(١) بهامش الأصل : « الصواب : فطرت والله بعبابها ، وفزت بحبابها ، بالعين المهملة ، والباء الموحدة من تحت » . وسيذكر المصنف هذه الرواية في الشرح .

وسَهُلَ العَسِيرُ ، واعْتَدَل بك الدِّينُ ، وظَهر أمرُ اللهِ ولو كَرِه الكافِرُون ، فسَبَقْتَ واللهِ سَبْقاً بعيداً ، وأتْعَبْتَ مَن بَعْدَكَ إتْعاباً شديداً ، وفُزْتَ بالخيرِ فوزاً مُبيناً ، فإنّا للهِ وإنا إليه راجعون .

* * *

هذه أطرافٌ من حديثٍ طويلٍ ، مَرْوِيٍّ في كُتُب الأئمَّةِ ، وهو بطُولِه مِن حديث عبد الملكِ بن عُمَيرٍ ، عن أُسِيدِ بن صَفْوانَ ، وكان قد أدرك النبيَّ ﷺ (١) .

وأخرج الخَطَّابيُّ (٢) والزمخشريُّ (٣) ، منه طَرَفًا يسيرًا .

شرحه

سُجِّيَ الميِّتُ : إذا غُطِّيَ ، وكلُّ مُغَطًّى مُسَجًّى .

والمُسْتَرْجِعُ : مُستَفْعِلٌ من الرُّجُوع ، وهو أن يقول : إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجِعُون (٤) .

---

(١) مجمع الزوائد ٤٧/٩ ، ٤٨ ، عن البزار ، وكنز العمال ٥٤٢/١٢ – ٥٤٥ [طبعة الشام] ، والرياض النضرة ٢٣٩/١ – ٢٤٢ ، وإعجاز القرآن للباقلاني ص ١٤٣ – ١٤٥

هذا وقد أورد ابن أبي الحديد أجزاء من هذا الحديث ، ولكنه جعله من كلام علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، يتحدث عن نفسه هو ، والضمائر كلها في الحديث ضمائر المتكلم . وأجزاء الكلام فيما رواه ابن أبي الحديد غير ملتئمة ، وقد أَحَسَّ هو بذلك ، فقال عقب إيراد الحديث : « هذه فصول أربعة لا يمتزج بعضها ببعض » ثم أخذ في كلام طويل ، تراه في شرح نهج البلاغة ٢٨٤/٢

(٢) غريب الحديث ٨/٢ .

(٣) الفائق ١٥٦/٢

(٤) راجع الآية ١٥٦ من سورة البقرة .

وقوله : « اليوم انقطَعَتْ خِلافةُ النُّبوَّة » يُريدُ أنَّ مَن يجيءُ بعدَه لا يقومُ بأُمورِ الدِّينِ ، التي كان يَخْلُفُ فيها رسولَ اللهِ ، ويقومُ فيها مَقامَه أحدٌ بعدَ أبي بكرٍ .

ويجوز أن يريدَ به انقطاعَ هذا اللَّقَبِ عمَّن يجيء بعدَه ؛ فإنّ أبا بكرٍ كان يُقال له : خليفةُ رسولِ اللهِ ، فلمَّا وَلِيَ عمرُ ، لم يُسَمَّ بذلك ، وأرادُوا أن يُسَمُّوه خليفةَ خليفةِ رسولِ الله ، فاستطالُوه ، واتَّفقُوا علي أن سَمَّوْه أميرَ المؤمنين . فيكون قولُ عليٍّ كالكَرامةِ له ، إشارةً إلي هذا المعني ، واللهُ أعلمُ .

والوَهْنُ : الضَّعْفُ .

والاستِكانةُ : افتعالةٌ من السُّكونِ ، ويريد به الخُضُوعَ والعَجْزَ .

والفَشَلُ : الضَّعْفُ والخوفُ .

والتَّتَعْتُعُ في الكلام : التَّبلُّدُ ، والإعْياءُ ، وأصلُ التَّتَعْتُع : القَلَقُ والإزعاجُ .

واليَعْسُوبُ : السَّيِّدُ ، والرَّئيسُ المُقَدَّمُ ، وأصلُ اليَعْسُوبِ : فَحْلُ النَّحْلِ ، فاستعاره ، وضَرَبه مَثَلاً لسَبْقِه إلي الإسلام ، ومُبادرتِه إلي قَبُولِه ، فصار الناسُ بعدَه تَبَعاً له ، كاليَعْسوبِ يتقدَّم النَّحْلَ ، ويَتْبَعُه ، طائرةً أينَ طارَ ، والياءُ فيه زائدة .

وقوله : « آخِراً حِينَ فَيَّلُوا » (١) أي حينَ فالَ رأيُهم ، فلم يَسْتَبِينُوا الحَقَّ في قتالِ مانِعِي الزكاةِ ، فقال أبو بكر : « واللهِ لأُقاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بينَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ » فلمَّا رَأَوْا منه الجِدَّ تابَعُوه .

---

(١) ويروي : « فشلوا » انظر النهاية ٣/٤٤٩ ، ٤٨٦

يُقال : فالَ الرجلُ في رأيِه ، وفَيَّلَ : إذا لم يُصِبْ فيه ، ورجلٌ فائلُ الرَّأيِ ، وفالُه ، وفَيِّلُه ، وفَيْلُهُ : أي ضعيفُ الرأيِ ، سَخِيفُه .

والتَّشْمِيرُ : كِنايةٌ عن الاجتهادِ في الأمرِ .

والخُنُوعُ : الخُضوعُ ، والذِّلَّةُ ، والرجلُ خانِعٌ .

والهَلَعُ : أشَدُّ الجزَعِ .

والأوْتار : جَمْعُ وِتْرٍ ، وهو طَلَبُ الدَّمِ .

وخَفْضُ الصَّوتِ دليلٌ علي الحياءِ ، والثَّباتِ .

والفُوقُ في الأصلِ : مَوْضِعُ الوَتَرِ من السَّهْمِ ، فاستعاره للحَظِّ والنَّصِيبِ في الدِّينِ .

ومنه حديثُ ابنِ مَسْعُودٍ : « فأَمَّرْنا عُثْمانَ ، ولم نَأْلُ عن خَيرِنا ذا فُوقٍ » أي وَلَّيْنا أعْلانا سَهْماً ذا فُوقٍ ، أراد خيرَنا سَهْماً تامًّا في الإسلامِ ، والسَّابِقةِ ، والفَضْلِ .

والكَهْفُ في الجبلِ معروفٌ ، فاستعاره مَلْجأً للدِّين ، يَرْكَنُ إليه ، كما يَرْكَنُ المسافِرُ ، وصاحبُ الماشيةِ في اللَّيلِ والمطرِ والبَرْدِ ، إلي الكَهْف .

والعَذابُ الصَّبُّ : الدَّافِقُ المَصْبُوبُ ، وهو مصدرٌ بمعني الفاعلِ ، أو المفعولِ ، يُقال : صَبَّ الشيءَ يَصُبُّه صَبًّا .

والكَظْمُ : تَجَرُّعُ الغَيْظِ علي كُرْهٍ ، وأصلُ الكَظْمِ : الحَبْسُ .

والغِلْظَة : الشِّدَّةُ .

والغَناءُ ، بالفتحِ والمَدِّ : الكِفايةُ ، والقِيامُ بالأمرِ ، يقال : أغْنَيْتُ عنك مَغْنَي فُلانٍ ، ومَغْناتَه : أي أجزأتُ عنكَ مَجْزأه ، وكفيتُكَ كفايتَه .

والحِباءُ : العَطاءُ ، وقد حَبَوْتُه أَحْبُوهُ .

والفَوْزُ : النَّجاةُ .

هكذا يرويه أصحابُ الحديثِ : « بغَنائها وحِبائها » كما قُلنا ، وكذا ذكره الدّارَقُطْنِيُّ [١] ، في كتاب « ما قالت القَرابةُ في الصحابة » ، وفي كتاب « المُؤْتَلِف والمُخْتلِف » ، وكذا ذكره غيرُه ، والذي جاء في غريب الخَطّابيّ ، وغيرِه من كُتُب الغَرِيب : « طِرْتَ بعُبابِها ، وفُزْتَ بِحَبابِها » ، وعُبابُ الماءِ : أوَّلُه ، وقيل : مُعْظَمُه ، وهو الأُبابُ أيضاً .

والحَبابُ : النُّفّاخاتُ التي تعلو الماءَ ، وهو أيضاً : مُعْظَمُه ، والحَبابُ أيضاً : الطَّلُّ الذي يُصْبِحُ علي النَّباتِ .

يُريد : وَرِدْتَ الماءَ أوَّلَ الناسِ ، وسَبَقْتَهم إلي جُمَّتِه [٢] ، فشَرِبْتَ صَفْوَه ، قبلَ أن يتكَدَّرَ ، فأحرزتَ سَوابِقَ الإِسلامِ ، وأدركْتَ أوائلَه وفَضائلَه .

والفَلُّ : ثَلْمُ الحَدِّ ، فاستعاره للحُجَّة ، أي لم تَضْعُفْ ، ولم يَبْطُلِ العَمَلُ بها .

والبَصِيرةُ في القَلْبِ : كالبَصَرِ في العينِ .

والعَواصِفُ : الرِّياحُ الشَّدِيدةُ القويَّةُ ، جَمْعُ عاصِفٍ ، يقال : عَصَفَتِ الرِّيحُ ، فهي عاصِفٌ ، وعَصُوفٌ : إذا اشْتَدَّتْ .

---

(١) الذي حكاه المصنف – في النهاية ١٦٨/٣ – عن الدارقطني : « حيائها » ، وقيده بالعبارة : « بالحاء المكسورة ، والياء المعجمة باثنتين من تحتها » .

(٢) جمة الماء : معظمه .

والقَواصِفُ : جَمْعُ قاصِفٍ ، وهي الرِّيحُ الشَّديدةُ ، التي لا تَمُرُّ بشيءٍ إلا قصفَتْه ، أي كسَرَتْه .

والمَغْمَزُ : مَوْضِعُ الغَمْزِ ، وهو الاستِهزاءُ والعَيْبُ .

والمَهْمَزُ : مَوْضِعُ الهَمْزِ ، وهو كالغَمْزِ ، أيضاً .

والهُمَزَةُ ، والهَمَّازُ : العَيَّابُ للناسِ .

والهَوادَةُ : المَيْلُ إلي الشيء ، والمُحاباةُ .

والحَتْمُ : الواجبُ ، اللازِمُ الوُقُوعِ .

والحَزْمُ : الاحتِياطُ في الشيء .

والعَزْمُ : الاهتِمامُ بالفِعْلِ والقولِ .

هكذا جاء في الرِّواية ، وفي اقترانِ هذه الأوصافِ ، بعضِها ببعضٍ تَنافُرٌ .

وقوله : « فأقْلَعْتَ » أي قَضَيْتَ ، وتُوُفِّيتَ ، تَشْبيهاً بإقْلاعِ السَّحابِ .

ونَهَجَ السَّبيلُ : أي اتَّضَحَ الطَّريقُ .

والفَوْزُ المبينُ : النَّجاةُ الواضحةُ البَيِّنةُ .

حديثٌ آخَرُ
لعليٍّ كرَّم اللهُ وجهه
خاطَبَ به بعضَ أصحابِه

يا أخا بني أسَدٍ ، إنَّك لَقَلِقُ الوَضِينِ ، تُرْسِلُ في غيرِ سَدَدٍ ، ولك بَعْدُ ذِمامَةُ الصِّهْرِ ، وحَقُّ المسألةِ ، وقد استَعْلَمْتَ فاعْلَمْ .

أما الاسْتِبْدادُ علينا بهذا المَقامِ ، ونحن الأَعْلَوْنَ نَسباً ، والأَشَدُّ بالرَّسُولِ نَوْطاً ، فإنَّها كانت أَثَرَةً ، شَحَّتْ عليها نُفوسُ قَوْمٍ ، وسَخَتْ عنها نُفُوسُ آخَرِين ، والحَكَمُ اللهُ ، والمَعْوَدُ إليه يومَ القيامةِ .

ودَعْ عنكَ نَهْباً صِيحَ في حَجَراتِهِ

وهَلُمَّ الخَطْبَ في ابنِ أبي سُفْيانَ ، فلَقَدْ أضْحكَنِي الدَّهْرُ بعد إبْكائِه ، ولا غَرْوَ واللهِ ! فيالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ العَجَبَ ، ويُكْثِرُ الأَوَدَ !

حاوَلَ القومُ إطفاءَ نُورِ اللهِ مِن مِصباحِه ، وسَدَّ فَوَّارةٍ مِن يَنْبُوعِه ، وجَدَحُوا بَيْنِي وبَيْنَهم شِرْباً وَبِيئاً ، فإن تَرْتَفِعْ عنَّا وعنهم مِحَنُ البَلْوَي ، أحْمِلْهُمْ مِن الحَقِّ علي مَحْضِه ، وإنْ تكن الأُخْرَي ﴿ فَلاَ تَذْهَبْ نَفسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [1] .

---

(١) سورة فاطر ٨

والحديث أخرجه ابن أبي الحديد ، في شرح نهج البلاغة ٢٤١/٩ – ٢٥١ وجعل هذا الحديث جوابا لمن سأل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟

شرحه

الوَضِينُ : بِطانٌ مَنْسُوجٌ بعضُه علي بَعْضٍ ، وهو لِكُورِ البعيرِ كالحِزامِ للسَّرْجِ .

والقَلِقُ : المُسْتَرْخِي ، الذي لا يَثْبُتُ ، وقد قَلِقَ الشيءُ يَقْلَقُ : إذا كان دائمَ الحركةِ ، لا يَسْتقرُّ ، فاستُعير للرجُل الطائشِ ، الخفيفِ العَجُولِ .

والسَّدَدُ ، والسَّدادُ ، بمعنيً ، وهو الصَّوابُ مِن الأمرِ ، والتَّثبُّتُ فيه .

يُريدُ : إنَّك تُسرِعُ القولَ ، من غيرِ فِكْرةٍ ، ولا رَوِيَّةٍ .

والذِّمامَةُ ، بالذال المعجمة : الحَقُّ ، والحَياءُ ، والإشفاقُ من العَيْبِ .

والصِّهْرُ : القَرابَةُ من جانبِ النِّكاح ، كالأَحْماءِ ، والأَخْتانِ (١) .

يريد : إنَّك مع عَجَلتِك ، وتَسَرُّعِك في القَوْلِ ، مُراعَي الجانِبِ ، بحقِّ القَرابةِ والسُّؤالِ .

والاستِبْدادُ بالشيءِ : الانفِرادُ به ، والاخْتِصاصُ .

والمَقامُ : يريدُ به الخِلافَةَ .

---

(١) الأحماء : أقارب الزوج ، والأختان : أقارب المرأة ، والصهر يجمعهما . راجع تهذيب اللغة ٧/٣٠٠ ، واللسان (ختن – حمو) .

والأَعْلَوْنَ ، بفتح اللام : جَمْعُ الأَعْلَي ، وهو جمعٌ مُطَّرِدٌ ، فيما كان مَقْصوُراً ، كالمُصْطَفَيْنَ .

والنَّوْطُ : التَّعَلُّقُ بالشيءِ ، وقد ناطَ يَنُوطُ نَوْطاً .

و « نَسَباً » و « نَوْطاً » منصوبان علي التمييز .

والأَثَرَةُ ، بالتحريك : التَّخَصُّصُ بالشيءِ ، والتَّميُّزُ به ، وهي اسمٌ مِن آثَرَ يُؤْثِرُ إيثاراً : إذا أعطي شيئاً ، وخَصَّ به .

والشُّحُّ : أَشَدُّ البُخْلِ .

يريد أنَّ قوماً بَخِلُوا بهذا المَقامِ ، فاستأْثَرُوا به ، وسَخَا بِهِ قومٌ ، فتركوه لهم ، ولمْ ينازِعُوهم فيه .

والحَكَمُ : الحاكِمُ القاضِي .

والمَعْوَدُ : المَرْجِعُ . هكذا جاء « المَعْوَدُ » علي الأصلِ ، غيرَ مُعْتَلٍّ ، والأكثرُ فيه : المَعادُ ، علي الاعتِلال ، وقد جاء علي الأصلِ أحرفٌ قليلةٌ ، نحو : مَشْوَرَةٍ ، ومَصْيَدَةٍ ، ومَقْوَدَةٍ [1] .

وقوله :

وَدَعْ عنك نَهْباً صِيحَ في حَجَراتِهِ

هو مَثَلٌ للعرب [2] ، يُضْرَبُ لمَنْ ذهب من ماله شيءٌ ، ثم ذهب بعدَه ما هو أجَلُّ منه ، قال امرؤ القيس :

وَدَعْ عنكَ نَهْباً صِيحَ في حجراتِهِ ولكنْ حَدِيثاً ما حديثُ الرَّواحِلِ[3]

---

(١) راجع في هذا : الكتاب ٣/٣٢٠ ، ٤/٤٣٠ ، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي ٣/٢٤٢ ، والنهاية (عود) ٣/٣١٦

(٢) جمهرة الأمثال ١/٤٥٢ ، ومجمع الأمثال ١/٢٦٧

(٣) ديوانه ص ٩٤ ، وروايته : « دع » بإسقاط الواو ، وفيه الخرم .

أي دَعِ النَّهْبَ الذي نُهِبَ مِن جِهاتِك ونَواحِيك ، وحَدِّثْني حديثَ الرَّواحِلِ ، وهي الإِبِلُ التي أَخَذْتَها ، وذَهَبْتَ بها ، ما فَعَلَتْ .

والحَجَراتُ ، بالتحريك : جَمْعُ حَجْرةٍ ، بالسُّكون ، وهي النَّاحِيةُ ، وحَجْرَةُ الطَّرِيقِ : جانِبُه .

وأرادَ بالمَثَلِ : استقلالَهم بالخِلافِة دُونَه .

وهَلُمَّ : بمعنى تَعالَ ، وهو مبنيٌّ علي الفتح ، وقد يُسْتَعَملُ بمعنى أَعْطِ ، وأَحْضِرْ ، وأهلُ الحِجازِ يُطْلِقُونه علي الواحِدِ ، والاثنين ، والجَميعِ ، والمؤنَّثِ ، بلفظٍ واحِدٍ ، وغيرُهم يُضِيفُ إليه علامةَ ما يقترنُ به ، فيقول : هَلُمّا ، وهَلُمُّوا ، وهَلُمِّي (١) .

والخَطْبُ : الشَّأنُ ، والحالُ ، وأَكثَرُ ما يُسْتَعْملُ في الشِّدَّة ، وهو منصوبٌ بهلُمَّ ، علي حذفِ الجارِّ ، تقديرُه : هَلُمَّ إلي الخَطْبِ ، أو عليَ جَعْلِها بمعني هاتِ ، وأَحْضِرْ .

وابنُ أبي سفيان : هو مُعاويةُ .

وقوله : « أضْحكَني الدهرُ بعدَ إبكائِه » هو ضَحِكُ المتعجِّبِ مِن حَوادِثِه .

والغَرْوُ : العَجَبُ ، وقد غَراهُ يَغْرُوه غَرْواً .

أي ليس بعَجَبٍ أن أَضحكَ منه بعدَ البُكاءِ .

وقوله : « فيالَهُ خَطْباً » نِداءٌ يُرادُ به التَّعجُّبُ من شِدَّةِ الخَطْبِ ، تقديرُه : يا هؤلاءِ تَعالَوْا فاعجَبُوا منه ، وهذه اللامُ تُسَمَّي لامَ الاستغاثةِ .

---

(١) سبق هذا في حديث أبي بكر رضي الله عنه ، ودغفل النَّسَّابة ص ٢٩٩ .

و « خَطْباً » منصوبٌ على المصدرِ .

والأَوَدُ : العَوَجُ [١] .

والمُحاوَلَةُ : مُباشَرَةُ الشيءِ ، وهي مُفاعَلَةٌ من الحَوْلِ : القُوَّةِ ، أو مِن التَّحَوُّلِ .

والمِصْباحُ : السِّراجُ .

والفَوَّارَةُ : فَعَّالَةٌ مِن فارَ الماءُ يَفُورُ : إذا خَرَج من الأرضِ بقُوَّة .

واليَنْبُوعُ : مَخْرَجُ الماءِ من الأرضِ ، والياءُ والواوُ زائدتان .

والجَدْحُ : الخَلْطُ ، وقد جَدَحَ يَجْدَحُ جَدْحاً : إذا خَلَطَ ، وشَرابٌ مُجَدَّحٌ : أي مُخَوَّضٌ [٢] .

والشِّرْبُ ، بالكسر : المَشْرَبُ ، والشَّرابُ نَفسُه .

والوَبِيءُ : الذي نَزَلَ به الوَباءُ ، وهو الطاعُونُ ، والمَرَضُ العامُّ ، وقد وَبِيءَ فهو وَبِيءٌ .

والمِحَنُ : جَمْعُ مِحْنَةٍ ، وهي المُصِيبةُ التي يُمْتَحَنُ بها الإنسانُ ، أي يُخْتَبَرُ ، يُقال : مَحَنْتُه ، وامْتَحنْتُه .

---

(١) هكذا ضبطت العين في الأصل بالفتح . قال المصنف في النهاية ٣/٣١٥ : « هو بفتح العين مختص بكل شيء مرئي كالأجسام ، وبالكسر فيما ليس بمرئي ، كالرأي والقول ، وقيل : الكسر يقال فيهما معا ، والأول أكثر » .

(٢) أي مخلوط . وقال في النهاية ١/٢٤٣ : « الجدح : أن يحرك السويق بالماء ويخوض حتي يستوي ... والمجدح : عود مجنح الرأس تُساط به الأشربة » . وقال صاحب القاموس ، في (خوض) : « والمخوض ، كمنبر ، للشراب كالمجدح للسويق » .

والبَلْوَي : فَعْلَي مِن البلاءِ .

والمَحْضُ : الخالِصُ من كلِّ شيءٍ .

والحَسَراتُ : جَمْعُ حَسْرةٍ ، وهي أشَدُّ التَّلهُّفِ ، والأسفِ علي الشيءِ الفائتِ ، وهي منصوبةٌ علي أنها مصدرٌ في موضعِ الحالِ (١) يُقال : حَسِرَ علي الشيءِ ، بالكسر ، يَحْسَرُ (٢) حَسَراً ، وحَسْرَةً .

---

(١) ويجوز أن تكون منصوبة علي أنها مفعول له – أي لأجله – راجع البيان في غريب إعراب القرآن ٢٨٧/٢ ، والتبيان في إعراب القرآن ص ١٠٧٣

(٢) من باب تعب ، كما في المصباح .

حديثٌ آخَرُ
لعليٍّ ، يحضُّ أصحَابَه علي القتال

قَدِّمُوا الدَّارِعَ ، وأَخِّرُوا الحاسِرَ ، وعَضُّوا علي الأضْراسِ ؛ فإنه أَنْبَي للسُّيوفِ عن الهامِ ، والْتَوُوا في أطرافِ الرِّماحِ ؛ فإنه أَمْوَرُ للأَسِنَّةِ ، وغُضُّوا الأَبْصارَ ؛ فإنه أَرْبَطُ للجَأْشِ ، وأَسْكَنُ للقُلُوبِ ، وأَمِيتُوا الأصواتَ ؛ فإنه أَطْرَدُ للفَشَلِ ، ورايتَكُم لا تُمِيلُوها ، ولا تَجْعَلُوها إلاّ بأيدي شُجعانِكم ، والمانِعينَ للذِّمارِ منكم ؛ فإنّ الصابرين علي نُزُولِ الحَقائقِ ، هم الذين يَخْفِقُون [(١)] براياتِهم ، وَيكْتَنِفُونَها ؛ حِفافَيْها ، لا يتأخَّرون عنها فيُسلِمُوها ، ولا يَتقدَّمون عليها فيُفْرِدُوها .

وآيْمُ اللهِ ؛ لئن فَرَرْتُم مِن سَيْفِ العاجلةِ ، لا تَسْلَمُوا مِن سَيْفِ الآخرةِ ، أنتم لَهامِيمُ العربِ ، والسَّنامُ الأَعْظَمُ .

إنَّ في الفِرارِ مَوْجِدَةَ اللهِ ، والذُّلَّ اللازِمَ ، والعارَ الباقي .

مَن رائحٌ إلي اللهِ كالظَّمآن يَرِدُ الماءَ ! الجَنَّةُ تحتَ أطرافِ العَوالِي ، اليومَ تُبْلَي الأخبارُ .

اللهُمَّ إن رَدُّوا الحَقَّ فافْضُضْ جَماعتَهم ، وشَتِّتْ كَلِمتَهم ، وأَبْسِلْهُم بخَطاياهُم .

إنَّهم لن يَزُولُوا عن مَواقِفِهم دُونَ طَعْنٍ دِراكٍ ، يَخْرُج منه

---

(١) في شرح نهج البلاغة : « يَحُفُّون » .

النَّسيمُ ، وضَرْبٍ يَفْلِقُ الهامَ ، ويُطيحُ العِظامَ ، ويُنْدِرُ السَّواعِدَ والأقدامَ ، حتَّي يُرْمَوْا بالمَناسِرِ ، تَتْبَعُها المَناسِرُ ، ويُرْجَمُوا بالكَتائبِ ، تَقْفُوها الحَلائبُ ، [1] حتَّي يُجَرَّ بِبلادِهم الخَمِيسُ ، يَتْلُوه الخَمِيس ، وحتَّي تَدْعَقَ الخُيُولُ في نَواحِرِ أرضِهِم ، وبأَعنانِ مَسارِبِهم ، ومَسارِحِهم [2] .

شرحه

الدَّارِعُ : صاحبُ الدِّرْعِ .

والحاسِرُ : الذي لا دِرْعَ عليه ، يقال : حَسَرَ عنه الثَّوبَ : إذا كَشَفَه عن بَدَنِه .

يُرِيدُ : قَدِّمُوا أصحابَ الدُّرُوعِ ؛ لِيَلْقَوُا الأَسِنَّةَ ، والسِّهامَ ، والنُّصُولَ ؛ فإنَّ الدُّرُوعَ تَقِيهم أَذاها ، وهم بدُرُوعِهم أَقْدَرُ علي اللِّقاءِ ، وأَخِّرُوا مَن لا دِرْعَ عليه ؛ فإنَّه أثْبَتُ له ، وأبْعَدُ عن الأَذَي .

وعَضُّ الأَضْراسِ : كِنايةٌ عن إطباقِ بَعْضِها علي بَعْضٍ ، وهو مِن فِعْلِ الحَنِقِ ، المُهْتَمِّ بالأمرِ العَظِيم .

ونَبَا السَّيفُ عن الضَّرِيبةِ يَنْبُو : إذا لم يُؤَثِّرْ فيها .

والهامُ : جَمْعُ هامةٍ ، وهي أعلَي الرَّأسِ .

---

(١) في شرح نهج البلاغة : « وحتي » .

(٢) شرح نهج البلاغة ٣/٨ – ٧ ، وذكر نصر بن مزاحم من هذه الخطبة جملا وألفاظا ، في مواضع متفرقة من وقعة صفين – صفحات ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٥٢٠

والالتِواءُ : الاضطرابُ ، والانْثِناءُ .

وأَطْرافُ الرِّماحِ : ما يَلِي حامِلَ الرُّمْحِ عندَ يدِه .

وأَمْوَرُ : أفْعَلُ ، مِن المَوْرِ : الحركَةِ ، وقد مارَ يَمُورُ مَوْراً : إذا ذهَبَ وجاءَ ، وماجَ واضْطَرَبَ .

وغَضُّ الأبصارِ : الإطْراقُ ، وتقليلُ النَّظَرِ .

والجَأْشُ ، مهموزٌ : القَلْبُ ، والنَّفْسُ .

والرَّبْطُ : الشَّدُّ ، والثُّبوتُ .

يُريدُ أنَّ المُطْرِقَ في الحَرْبِ لا يُحَقِّقُ ما بينَ يَدَيْه بنَظَرِهِ إليه ، فيخاف ، أو يَرْتاعُ ، فلا يُقْدِمُ .

وإماتَةُ الأصواتِ : إخْفاؤُها .

والفَشَلُ : الفَزَعُ ، والجُبْنُ ، والضَّعْفُ ، وذلك أنّ التَّداعِيَ في الحربِ أكثرُ ما يكونُ للاستعانةِ ، والحَثِّ مِن بعضِ المُقاتِلةِ لبَعْضٍ ، وهو ممّا يُوقعُ في النُّفوسِ الضَّعفَ والعَجْزَ ؛ فإنّ القادرَ لا يَسْتَدْعِي المَعُونةَ من غيرِه .

والشُّجْعان ، بالضم والكسر : جَمْعُ شُجاعٍ .

والذِّمارُ : كلُّ ما لَزِمَكَ المُحاماةُ عنه ، والمُدافَعَةُ .

والحَقائقُ : جَمْعُ الحَقِيقةِ ، وهي ما يصيرُ إليه حَقُّ الأمر ، ووُجُوبُه ، يُقال : فُلانٌ حامي الحقيقةِ : إذا حَمَي ما يَجبُ عليه حِمايتُه .

وخُفُوقُ الرايةِ : حَرَكتُها ، يقال : خَفَقتِ الرايةُ تَخْفِقُ (١) خَفْقاً ، وخَفَقاناً .

---

(١) من باب ضرب . على ما في المصباح .

والاكْتِنافُ : الإحاطةُ بالشيءِ مِن جَوانِبِه .

والكَنَفُ : الجانِبُ ، والناحيةُ .

وحِفافا الشيءِ ، بالكسر : جانِباه ، وحَفَّ بالشيءِ يَحُفُّ به : إذا دارَ حولَه ، وهو منصوبٌ علي الظَّرفِ .

وقوله : « فيُسْلِمُوها » أي يتركُونَها [1] لأعدائهم ، لا يَحْمُونها بتأخُّرِهم عنها ، يُقال : أسْلَمْتُ فُلاناً للقَتْلِ : إذا لم تَحْمِه ، وأوقَعْتَه في يد عَدُوِّه .

والنُّونُ حُذِفتْ في « يُسْلِمُوها » و « يُفْرِدُوها » علي جوابِ النَّفي بالفاء .

وايْمُ اللهِ : مِن ألفاظ القَسَمِ ، وهَمْزتُها همزةُ وَصْلٍ ، وفيها لغاتٌ كثيرة .

وسَيْفُ العاجِلَةِ : القَتْلُ في الدُّنيا ، وسَيْفُ الآخرةِ : عذابُ النارِ .

ولَهامِيمُ العَرَبِ : أُصولُها ، جمع لُهْمُومٍ ، وهو الجَوادُ مِن الناسِ والخَيلِ .

وأراد بالسَّنامِ الأعظَمِ : الشَّرَفَ الأعلي ، مستعاراً مِن سَنامِ البعيرِ .

والمَوجِدَةُ : الغَضَبُ ، وقد وجَدَ عليه يَجِدُ .

---

(١) هكذا جاء في الأصل : « يتركونها » بثبوت النون ، والأولي حذفها ؛ فإن ما بعد « أي » يوافق ما قبله في إعرابه ؛ ليوافق المفسِّرُ المفسَّرَ .

والرَّائحُ : الذَّاهِبُ إلي الشيء .

ويريد بقوله : « إلي اللهِ » الحَثَّ علي الجِهادِ ، فإنَّ الذَّاهبَ إليه ذاهبٌ إلي اللهِ .

والعَوالِي : رُءوسُ الرِّماحِ ، عندَ مَدْخَلِ السِّنانِ ، واحِدتُها : عالِيَةٌ .

والابْتِلاءُ : الاختِبارُ . أي اليومَ تُخْتَبَرُون ، وتَظْهَرُ أخبارُكم في الحربِ .

والفَضُّ : الفَتْحُ ، والكَسْرُ .

والتَّشْتِيتُ : التَّفْرِيقُ .

والإِبْسالُ : الإِلْزامُ ، ومنه قولُه تعالي : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ﴾ [١] أي جُعِلَتْ خطاياهُم وذُنُوبُهم لازمةً لَهمُ [٢] .

والطَّعْنُ الدِّراكُ : اللاَّحِقُ المُتَتابِعُ ، وقد أدْرَكْتُ الشيءَ دَرَكاً ، ودِراكاً : إذا وصَلْتَ إليه ، وبَلَغْتَه .

وقوله : « يَخْرُجُ منه النَّسِيمُ » أي يكون طَعْناً نافِذاً واسِعاً ، يدخل فيه الهَواءُ ، ويَخْرُجُ مِن الجانبِ الآخَرِ ، وهم أبَداً يَصِفُون الطَّعْنةَ بالسَّعَةِ والنَّفاذِ ، قال قيسُ بن الخَطِيم [٣] :

(١) سورة الأنعام ٧٠

(٢) وقيل معناه : أسلموا بجنايتهم إلي الهلاك . راجع معاني القرآن ١/٣٣٩ ، والغريبين ١/١٦٨

(٣) ديوانه ص ٧ ، ٨

طَعَنْتُ ابنَ عبدِ القيسِ طَعْنَةَ ثائرٍ   لها نَفَذٌ لولا الشَّعاعُ (١) أضاءَها
مَلَكْتُ بِها كَفِّي فأَنْهَرْتُ فَتْقَها   يَرَي قائمٌ (٢) مِن دُونِها ما وَراءَها

والفَلْقُ : الشَّقُّ .

وطاحَ الشيءُ يَطُوحُ ، ويَطِيحُ : إذا سَقَطَ وهَلَكَ .

ونَدَرَ الشيءُ يَنْدُرُ (٣) : إذا بانَ ، وانْفَصَلَ عمَّا هو مُتَّصِلٌ به

يريدُ ضَرْباً يُطيرُ الرُّءُوسَ عن الأبدانِ ، والسَّواعِدِ ، والأَقْدامِ .

والمَناسِرُ : جَمْعُ مَنْسِرٍ ، بفتح الميم ، وكسرِ السِّين ، وبعكسهما ، وهي القِطْعَةُ من العَسْكَرِ ، تَمُرُّ قُدَّامَ الجيشِ الكَبيرِ ، والميمُ زائدةٌ .

والكتائبُ : جَمْعُ كَتِيبةٍ ، وهي الجيشُ العظيمُ .

والرَّجْمُ : الرَّمْيُ .

والقَفْوُ : الاتِّباعُ .

والحَلائِبُ : جَمْعُ حَلُوبَةٍ ، وهي النَّاقَةُ التي تُحْلَبُ ، وأراد الإبِلَ مُطْلَقاً ، وإنَّما قال : الحلائب ، لأجلِ الكتائب .

يريد : حتَّي يُقْصَدُوا بالجُيوشِ ؛ فُرساناً ورُكْباناً .

---

(١) هكذا ضبط في الأصل ، بفتح الشين ، وهو وجه في ضبطه ، والوجه الثاني أن يكون بضم الشين ، والمعني علي الفتح : انتشار الدم ، وعلي الضم : حمرة الدم .

(٢) رواية الديوان : « يري قائما من خلفها » ، وانظر حواشيه .

(٣) من باب قعد . كما في المصباح .

والخَمِيسُ : الجيشُ الكبيرُ الكثيرُ ، وقد تَقدَّم وَجْهُ تسميتِهِ به [١] .

والدَّعْقُ : الدَّقُّ ، والوَطْءُ ، يقال : دَعَقتِ الدَّوابُّ الطريقَ : إذا أثَّرَتْ فيه .

ونَواحِرُ الأرضِ : مُتقابِلاتُها ، يُقال : مَنازِلُ بني فُلانٍ تَتَناحَرُ : أي تَتَقابَلُ ، وكأنَّه مِن النَّاحِرَيْنِ ، وهما عِرْقانِ في صَدْرِ الفرسِ ، أو هو مِن مُقابَلَةِ نَحْرِ الإنسانِ لنَحْرِ غيرِهِ .

والمَسارِبُ : المَسالِكُ ، والطُّرُقُ ، واحِدُها : مَسْرَبٌ ، والسَّارِبُ : الذَّاهِبُ علي وَجْهِه في الأرضِ .

والمَسارِحُ : المَواضِعُ التي يُسْرَحُ فيها ، أي يُذْهَبُ ، ويُمْشَي للنُّزْهةِ والرَّعْيِ ، وغيرِ ذلك .

وأَعْنانُها : ما اعْتَرَضَ مِن أقطارِها ونَواحِيها ، ومنه قِيلَ : أعْنانُ السَّماءِ ، كأنَّه جَمْعُ عَنَنٍ .

---

(١) في حديث عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، مع عمرو بن معدي كرب ص ٣٢٩ .

حديثٌ آخَرُ
لعليٍّ كرَّم اللهُ وجهه

قال عبدُ الله بنُ عبّاس : ما رأيتُ رئيساً مِحْرَباً ، يُزَنُّ به ، يعني علياً ؛ لَرَأيْتُه يومَ صِفِّينَ ، وعلي رأسِه عِمامةٌ بيضاءُ ، وكأنَّ عَيْنَيْه سِراجَا سَلِيطٍ ، وهو يُحْمِشُ أصحابَه ، إلي أن انْتَهي إليَّ ، وأنا في كَثْفٍ ، فقال :

مَعْشَرَ المسلمين ؛ استَشْعِرُوا الخَشْيَةَ ، وعَنُّوا الأصواتَ ، وتَجَلْبَبُوا السَّكِينةَ ، وعَضُّوا علي النَّواجِذِ ؛ فإنه أنْبَي للسُّيوفِ عن الهامِ ، وأكْمِلُوا اللُّؤَمَ ، وأَخِفُّوا الجُنَنَ ، وأَقْلِقُوا السُّيُوفَ في الغُمْدِ ، قَبْلَ السَّلَّةِ ، والْحَظُوا الشَّزْرَ ، أو الخَزْرَ ، واطْعُنُوا النَّبْرَ ، ونافِحُوا بالظُّبَي ، وصِلُوا السُّيُوفَ بالخُطَي ، والرِّماحَ بالنَّبْلِ ، وامْشُوا إلي الموتِ مِشْيَةً سُجُحاً ، واعلَمُوا أنّكم بَعيْنِ اللهِ ، ومع ابنِ عمِّ رسولِ اللهِ ، فَعاوِدُوا الكَرَّ ، واسْتَحْيُوا مِن الفَرِّ ؛ فإنَّه عارٌ في الأَعْقابِ ، ونارٌ يومَ الحِسابِ ، وطِيبُوا عن أنفُسِكم نَفْساً ، وعليكم الرِّواقَ المُطَنَّبَ ؛ فإنَّ الشيطانَ راكِدٌ في كِسْرِه ، نافِجٌ حِضْنَيْه ، مُفْتَرِشٌ ذِراعَيْه ، قد قَدَّمَ للوَثْبةِ يداً ، وأخَّرَ للنُّكُوصِ رِجْلاً ، فَصَمْداً صَمْداً ، حتَّي يَنْجَلِيَ لكم عمودُ الحَقِّ ، وأنتم الأَعْلَونَ ، واللهُ معكم ، ولن يَتِرَكُم أعمالَكُم .

* * *

أخرجه القُتيبيُّ [١] ، والزمخشريُّ [٢] ، أخْصَرَ مِن هذا بقليلٍ .

شرحه

الرَّئيسُ : المقدَّمُ علي القومِ ، وقد رأسَ فلانٌ القومَ يَرْأَسُ رئاسةً ، فهو رَئِيسٌ ، وقد يُتْرَكُ الهَمْزُ ، فيُقال : رَيِّسٌ [٣] ، كقَيِّمٍ .

والمِحْرَبُ ، بكسر الميم : صاحبُ حُروبٍ ، وتَجارِبَ فيها ، وهو من أبنيةِ المُبالَغةِ ، ومِحْرابٌ أبْلَغُ منه .

ويُزَنُّ به : أي يُتَّهَمُ ، ويُظَنُّ بمُشاكِلِه ونَظِيرِهِ ، يقال : أَزْنَنْتُه بشيءٍ ، أُزِنُّه ، قال حسَّانُ بن ثابتٍ :

حَصَانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبَـــةٍ وتُصبِحُ غَرْثَي من لُحُومِ الغَوافِلِ[٤]

وصِفِّينُ ، بكسر الصادِ [٥] : موضعٌ معروفٌ ، غَرْبِيَّ الفُرات ، كانت به الحربُ بينَ عليٍّ ومعاوية .

---

(١) غريب الحديث ٢/١٢٥ – ١٣٠

(٢) الفائق ٢/١٢٦ ، ١٢٧ ، وأخرجه ابن أبي الحديد ، من أول قوله : « معشر المسلمين » ، وأسقط قول ابن عباس رضي الله عنهما . شرح نهج البلاغة ٥/١٦٨ – ١٧٥

(٣) شاهده قول الكميت ، يمدح محمد بن سليمان الهاشمي :

تلقي الأمان علي حياض محمد ثولاء مخرفة وذئب أطلس
لا ذي تخاف ولا لهذا جرأة تهدي الرعيّة ما استقام الريِّس

اللسان والتاج (رأس) .

(٤) ديوانه ص ٢٩٢ ، يمدح أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٥) أدقّ من هذا عبارة ياقوت ، قال في معجم البلدان : « صفين بكسرتين وتشديد الفاء » ، وقال البكري في معجم ما استعجم ص ٨٣٦ : « بكسر أوله وثانيه وتشديده » .

وفيها وفي أمثالِها لغتان : إحداهما ، وهي الأكثرُ استعمالاً ، أن تَجْعلَ النُّونَ حرفَ الإعرابِ ، وتُقِرَّ الياءَ بِحالِها ، فتقول : هذه صِفِّينُ ، ورأيت صِفِّينَ ، ومررتُ بِصِفِّينَ ، وكذلك فِلَسْطينُ ، وقِنَّسْرِينُ ، ونحوُهما .

والثانية : أن تُجْرِيَ الإعرابَ بالحُروفِ علي ما قَبْلَ النُّونِ ، وتَترُكَها مفتوحةً ، كجمع السَّلامة ، فتقول : هذه صِفُّونَ ، ورأيت صِفِّينَ ، وكذلك أمثالُها .

والسَّلِيطُ : الزَّيتُ ، وقيل : الشَّيْرَجُ .

والإحْماشُ : الحَضُّ علي الشيء ، والإغْضابُ ، يقال : أحْمَشْتُ الرجلَ : إذا أغضَبْتَه ، وحَثَثْتَه علي الأمرِ ، وأصلُه مِن إحْماشِ النارِ ، وهو إلْهابُها .

والكَثْفُ [١] : الجَماعةُ المُزْدَحِمةُ ، ومنه الشيءُ الكَثِيفُ ، وهو الغَليظُ المُتراكِمُ .

واستِشْعارُ الخَشْيةِ : إضْمارُها في النُّفوسِ ، مِن الشِّعار ، وهو الثَّوبُ الذي يلي الجَسَدَ .

يُريد : خافُوا أقرانَكم ، واخْشَوْهُم ؛ لتكونُوا أشَدَّ استِظْهاراً في لقائِهم وقتالِهم .

وعَنُّوا الأَصْواتَ : أي أَخْفُوها ، مِن التَّعْنِيةِ : الحَبْسِ ، ومنه قيل للأسير : عانٍ ، وهو مثل قوله في الحديث الآخَرَ : « وأَمِيتُوا الأصواتَ »

---

(١) ضبطت الثاء في الأصل ، بالفتح ، هنا وفي متن الحديث ، وضبطتها بالسكون من غريب ابن قتيبة والفائق ، ومما بين يدي من كتب اللغة .

والتَّجَلْبُبُ : الاشْتِمالُ بالجِلبابِ ، وهو الثَّوبُ ، والإزارُ الذي يُتَّشَحُ به .

والسَّكينةُ : فَعِيلةٌ مِن السُّكُونِ والثَّباتِ ، فاستعارَ لَها التَّجَلْبُبَ ، لتكونَ شاملةً لهم .

والنَّواجِذُ : أقْصَى الأضراسِ . والعَضُّ بها عَضٌّ بجميعِ الفمِ ، وإنما يفعله الحَنِقُ ، المُهْتَمُّ بالأمر (١) .

ونبا السَّيفُ عن الضَّرِيبةِ : إذا لم يَقْطَعْها .

واللُّؤَمُ : جَمْعُ لَأْمَةٍ ، علي غيرِ قياسٍ ؛ كأنَّها جَمْعُ لُؤْمَةٍ ، بالضَّمِّ ، نحو غُرْفَةٍ وغُرَفٍ . واللَّأْمَةُ : ما يَلْبَسُه المُحارِبُ مِن دِرْعٍ ، ويَحمِلُه مِن سِلاحٍ .

والجُنَنُ : جَمْعُ جُنَّةٍ ، وهي ما يَقِي لابِسَها الأَذَي ، ويريد بها ها هُنا التُّرْسَ ، ويجوز أن يريدَ بها الدِّرْعَ .

المعني : أَكْمِلُوا سِلاحَكُم ودُرُوعَكُم ، وخَفِّفُوها ؛ لئلاَّ يُثْقِلَكُم حَمْلُها .

والإقْلاقُ : الحركةُ ، أي حَرِّكُوا سُيُوفَكُم في غُمْدِها ؛ لئلاَّ يتعسَّرَ عليكم سَلُّها عندَ الحاجةِ إليها .

والسَّلَّةُ : فَعْلَةٌ مِن السَّلِّ .

---

(١) يقول ابن أبي الحديد : « ويقال : إن العاضَّ علي نواجذه ينبو السيف عن هامته نبوًا مّا ، وهذا مما يساعد التعليلُ الطبيعيُّ عليه ، وذلك أنه إذا عضَّ علي نواجذه تصلبت الأعصاب والعضلات المتصلة بدماغه ، وزال عنها الاسترخاء ، فكانت علي مقاومة السيف أقدرَ ، وكان تأثير السيف فيها أقلَّ » .

واللَّحْظُ الشَّزْرُ : النَّظَرُ بمُؤْخِرِ العَيْنِ ، وهو نَظَرُ المُبْغِضِ الغَضْبان ، وذلك أَهْيَبُ عندَ العَدُوِّ .

ويُرْوَي : « الْحَظُوا الخَزْرَ » ، وهو مِن الخَزَرِ : ضِيقِ العينِ ، وصِغَرِها ، ورجُلٌ أخْزَرُ : بَيِّنُ الخَزَرِ ، وقيل : هو النَّظَرُ بمُؤْخِرِ العَيْنِ .

والنَّبْرُ : الخَلْسُ . أي اخْتَلِسُوا الطَّعْنَ ، يقال : طَعْنٌ نَبْرٌ ، وضَرْبٌ هَبْرٌ ، وهم كثيراً ما يَصِفُون الطَّعْنَ المُخْتَلَسَ ، ويَعُدُّونه مِن حِذْقِ الطاعِنِ .

ويُرْوَي : « اطْعَنُوا (١) اليَسْرَ ، واطْعُنُوا الشَّزْرَ » فاليَسْرُ : ما كان منه حِذاءَ وَجْهِك ، والشَّزْرُ : ما كان عن يمينِك وشِمالِك .

قال القُتَيبيُّ : والنَّبْرُ أشْبَهُ عندي بما أُريدَ في الحديث .

ورأيت في كتاب الزمخشريّ : « والثَّبْرُ ، بالثاءِ والباءِ : الخَلْسُ » هكذا مضبوطاً بالكلام ، وأظنُّه (٢) وَهْماً في الضَّبْطِ والتفسيرِ مَعاً ؛ فإنَّ الثَّبْرَ بالثاءِ والباءِ : الحَبْسُ والمَنْعُ ، لا الخَلْسُ ، واللهُ أعلمُ .

والمُنافَحَةُ : المُضارَبَةُ ، وهي مُفاعَلَةٌ من النَّفْحِ ، وهو الرَّمْحُ ، يقال : نَفَحه بالسَّيف : إذا تَناوَلَهُ به مِن بعيدٍ .

---

(١) ضبطت العين ، في الأصل ، هنا بالفتح ، وفي الفعل التالي بالضم ، وكلا الضبطين صحيح ؛ فإن الفعل من باب منع ونصر ، كما في القاموس .

(٢) الذي في الفائق المطبوع : « والنبر ، بالباء والتاء» . الأول بنقطة واحدة من أسفل ، والثاني بنقطتين من فوق ويريد الزمخشرى أن الحرف الأول نون ، والثانى يروى بالباء والتاء .

والظُّبَي : جَمْعُ ظُبَةٍ ، وهي طَرَفُ السَّيفِ ، وحَدُّه .

وقوله : « صِلُوا السُّيُوفَ بالخُطَي » أي إذا قَصُرَتْ عن الضَّرِيبَةِ ، تَقَدَّمُوا حتَّي تَلْحَقُوها ، ومنه قولُ قيسِ بن الخَطِيم [١] :

إذا قَصُرَتْ أسيافُنا كان وَصْلُها خُطانا إلي أعدائِنا فَنُضارِبِ [٢]

وقوله : « والرِّماحَ بالنَّبْلِ » أي إذا قَصُرَت الرِّماحُ عن الطَّعينِ ؛ لبُعْدِه فارْمُوهم بالنَّبْلِ ، وهي السِّهامُ .

والمِشْيَةُ السُّجُحُ ، بضم السِّينِ والجيم : السَّهْلَةُ ، وخَدٌّ أَسْجَحُ : أي سَهْلٌ .

ويروي : « مِشْيَةً سَجْحاء » وهي تأنيثُ الأَسْجَح .

وقوله : « بعَيْنِ اللهِ » أي بمَرْأًى منه ، ومَنْظَرٍ ، فهو يراكم ، ويُشاهِد جِهادَكم .

---

(١) ديوانه ص ٤١ ، وتخريجه فيه ص ٥٠ ، ٢٠٣ ، ويزاد عليه المقتضب ٢/٥٧ ، وغريب الحديث لابن قتيبة ٢/١٢٨ وشرح نهج البلاغة ٥/١٧٠ ، والبيت من قصيدة قيس الشهيرة التي مطلعها :

أتعرف رسماً كالطِّرادِ المذاهب لعَمْرَةَ وحشاً غير موقف راكبِ

هذا وقد نسب المصنف – في آخر كتابه المنال – هذا البيت الشاهد إلي عمران بن حطان . وقد أورده الدكتور إحسان عباس ، مع بيت آخر ، وبقافية مضمومة لعمران بن حطان ، في شعر الخوارج ص ٢٦

وفي نسبة البيت خلاف ، استوفاه بحثا البغدادي في الخزانة ٣/١٦٤ ، وانظر تخريج محقق ديوان قيس .

(٢) بكسر الباء ، لأن الفعل معطوف علي موضع جزاء الشرط ، ومعلوم أن « إذا » الظرفية هذه تقتضي جوابا ، كما يقتضيه حرف الشرط ، وقد جزموا بها في الشعر ، واستشهدوا له ببيت قيس هذا . انظر أمالي ابن الشجري ١/٣٣٢ ، ٣٣٣

وقوله : « مع ابنِ عمٍّ رسولِ اللهِ » تحريضٌ وتثبيتٌ لهم علي الحرب ؛ لأنهم إذا عَلِمُوا أنهم يُقاتِلُون مع ابنِ عمٍّ رسولِ اللهِ ، كانوا علي الحَقِّ ، فَجَدُّوا في القتالِ .

والكَرُّ : الرُّجوعُ إلي القتالِ ، مرَّةً بعدَ أخري .

والفَرُّ : الفِرارُ .

والعارُ : العَيْبُ ، والذَّمُّ .

وقولُه : « طِيبُوا عن أنْفُسِكم نَفْساً » أي ارْضَوْا بفِعْلِها ، واسْتَطِيبوا صَنِيعَها في الجهادِ .

و « نَفْساً » منصوبٌ علي التَّمييز .

والرِّواقُ : سَقْفٌ في مُقَدَّمِ البيتِ المَضْرُوبِ .

والمُطَنَّبُ : المَشْدُودُ بالأَطْنابِ ، وهو منصوبٌ علي الإغْراءِ بعَلَيْكُم ، أي اقْصِدُوه وخُذُوه .

والثَّبَجُ : الوَسَطُ .

والرُّكُودُ : الثَّباتُ ، والاستِقْرارُ .

ويُرْوَي : « كامِنٌ » مِن الكُمُونِ : الاختِفاء .

والكِسْرُ ، بالكَسْرِ : جانِبُ البيتِ .

والنَّافِجُ ، بالجيم : كالنَّافِخِ ، بالخاء ، وقد انْتَفَجَ جَنْباهُ : أي عَظُمَا ، واتَّسَعَا .

والحِضْنانِ : الجَنْبانِ .

وافتراشُ الذِّراعينِ : بَسْطُ الساعِدَيْن علي الأرضِ ، كما يَفْعَلُه الكَلْبُ ، وهو المَنْهِيُّ عنه في سُجُودِ الصَّلاةِ .

وقوله : « قد قَدَّم للوَثْبَةِ يَداً » أي إن أصابَ فُرْصَةً وَثَبَ لِينالَها .

والنُّكُوصُ : الرُّجُوعُ إلي خَلْفٍ . أي : وإن رأي الأَمْرَ علي مَن هو معه ، نَكَصَ راجِعاً ، وتَرَكَهُ .

والصَّمْدُ : الثُّبوتُ ، والانْتِظارُ .

و « صَمْداً صَمْداً » منصوبٌ علي المصدَر ، وتَكْرارُه للتأكيدِ .

والانْجِلاءُ : الانكِشافُ .

وعَمُودُ الحَقِّ : ما يَقُومُ عليه ، تَشْبِيهاً بعَمُودِ البَيْت ، أو بعَمُودِ الصُّبْحِ ، وهو ضَوْءُه ، يقال : سَطَعَ عَمُودُ الصُّبْحِ : إذا ظَهَرَ ، وانكَشَفَ ، وهو أَشْبَهُ بالمعني .

والأَعْلَوْنَ : الغالِبُون ، وقد تقدَّم بيانُه .

وقوله : « ولن يَتِرَكُمْ أعمالَكُم » [١] أي لن يَنْتَقِصَكم فيها ، يقال : وَتَرَهُ حَقَّه يَتِرُه : إذا نَقَصَهُ .

---

(١) هذا من قوله تعالي : ﴿ والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴾ . الآية ٣٥ من سورة محمد عليه الصلاة والسلام .

حديثٌ آخَرُ
له ، يذمُّ فيه أصحابَه

كم أُدارِيكُمْ كما تُدارَي البِكارُ العَمِدَةُ ، والثِّيابُ المُتَداعِيَةُ ، كُلَّما حِيصَتْ مِن جانِبٍ ، تَهَتَّكَتْ مِن آخَرَ .

أوَ كُلَّما أظَلَّ عليكم مَنْسِرٌ مِن مَناسِرِ أهلِ الشَّامِ ، أغْلَقَ كلُّ رجُلٍ منكم بابَه ، وانْجَحَرَ انْجِحارَ الضَّبَّةِ في جُحْرِها ، والضَّبُعِ في وِجارِها .

الذَّلِيلُ ، واللهِ ، مَن نَصَرْتُمُوه ، ومَن رَمَي بِكُم ، فقد رَمَي بأَفْوَقَ ناصِلٍ .

إنكم لكثيرٌ في الباحاتِ ، قليلٌ تَحْتَ الرَّاياتِ ، وإنِّي لَعالِمٌ بما يُصْلِحكم ، ويُقيمُ أوَدَكُم ، ولكنِّي واللهِ لا أَرَي إصلاحَكم بإفساد نَفْسِي .

أضْرَعَ اللهُ خُدُودَكم ، وأَتْعَسَ جُدُودَكم .

إنَّما أنتم كالمرأةِ الحامِلِ ، حَمَلَتْ فلمَّا أَتمَّتْ أَمْلَصَتْ ، وماتَ قَيِّمُها ، وطالَ تأيُّمُها ، وورِثَها أبْعَدُها (١) .

شرحه

المُداراةُ : مُلايَنَةُ الناسِ ، واحتمالُهم ، وحُسْنُ صُحْبَتِهم .

والبِكارُ ، بالكسر : جَمْعُ بَكْرٍ ، وهو الفَتِيُّ مِن الإبِلِ .

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٠٢/٦ - ١٠٤

والعَمِدَةُ : جَمْعُ عَمِيدٍ ، وهو الذي كَسَرَهُ ثِقَلُ حِمْلِه ، يُقال : عَمَدَهُ المرضُ ، فهو عَمِيدٌ ، ومَعْمُودٌ .

وقال الجوهريُّ : « يقال : عَمِدَ البعيرُ : إذا انْفَضَخَ داخِلَ سنامه ، أي انْشَدَخَ [١] مِن الرُّكُوب ، وظاهِرُه صحيحٌ ، فهو عَمِدٌ » ، وهذا أشْبَهُ .

والثَّوبُ المُتَداعِي : الخَلَقُ ، ومنه قولهم : تَداعَي البِناءُ : إذا تَهَدَّمُ ، كأنَّ بعضَه دَعا بَعْضاً إلي السُّقُوطِ والتَّمزيق ، فأجابَ .

وحاصَ الثَّوبَ يَحِيصُه حَيْصاً : إذا خاطَهُ .

والهَتْكُ : الخَرْقُ والشَّقُّ . أي هي لإِخْلاقِها وتَمزُّقِها ، كلَّما خِيطَتْ مِن جانبٍ ، تخرَّقَتْ مِن جانبٍ آخَرَ .

والإِظْلالُ [٢] : الإِشْرافُ علي الشيء ، كأنَّه أَلْقَي عليه ظِلَّه .

والمَنْسِرُ : القِطْعَةُ من الجيشِ ، وقد تقدَّمَ بيانُه في حديثٍ قَبْلَهُ .

والانْجِحارُ : الدخولُ في الجُحْرِ ، وهو الثَّقْبُ .

والضَّبَّةُ : تأنيثُ الضَّبِّ ، وهو الحيوانُ المعروفُ ، قال [٣] :

---

(١) قوله : « أي انشدخ » هو من كلام ابن الأثير ، أتي به تفسيرا لكلمة « انفضخ » ، وليس في الصحاح .

(٢) رواية ابن أبي الحديد : « أطل » بالطاء المهملة . وقال في الشرح : « وأطل عليكم : أي أشرف ، وروي : « أظلَّ » بالظاء المعجمة ، والمعني واحد » .

(٣) هو عمرو بن أحمر الباهلي ، والشعر في ديوانه ص ٦٧ ، وصدر البيت :

لا تفزع الأرنب أهوالها

وتخريجه في الديوان ص ٢٠٠ ، ويزاد عليه : شرح المفضليات لابن الأنباري =

ولا تَرَي الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ

يقال : أحْجَرْتُه : إذا ألجأتَه إلي أن دخل جُحْرَه ، فانْجَحَر ، وهذه المُطاوَعَةُ بالنُّون في الفعل الرُّباعيّ قليلةٌ ، وهي في الثُّلاثيّ غالبةٌ .

ووِجارُ الضَّبُعِ : بيتُها ، وتُكْسَرُ الواوُ ، وتُفْتَحُ .

والأَفْوَقُ : السَّهْمُ المُنْكَسِرُ الفُوقِ ، وهو مَوْضِعُ الوَتَرِ من السَّهْمِ ، وفُقْتُ السَّهْمَ ، فانْفاقَ : أي كسرتُ فُوقَه ، فانْكَسَر .

والنَّاصِلُ : الذي لا نَصْلَ فيه ، يقال : نَصَلَ السَّهْمُ ، فهو ناصِلٌ : إذا خَرَج منه النَّصْلُ ، ومن أمثالِهم : « رجع فُلانٌ بأفْوَق ناصِلٍ » [(١)] أي بسَهْمٍ مُنْكَسِرٍ ، لا نَصْلَ فيه ، وذلك إذا رجَعَ بحَظٍّ ناقصٍ ، غيرِ تامٍّ .

والمراد بقولِه هذا : أنَّ مَن انْتَصَر بكم ، فقد انْتَصَر بعاجِزٍ قاصِرٍ ؛ لأنَّ مَن رَمَي بسَهْمٍ لا فُوقَ له ، ولا نَصْلَ ، لم يَبْلُغْ غَرَضاً .

= ص ٥٩ ، والخصائص ١٦٥/٣ ، ٣٢١ وأمالي ابن الشجري ١٩٢/١ ، وشرح الحماسة للتبريزي ١١٥/١ ، ٢٣٥ ، ١٥٨/٢ ، ٩٠/٣ ، ١٣٣/٤ ، والكشاف ٤٧٠/١ ، في تفسير قوله تعالي : ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ من الآية ١٥١ من سورة آل عمران .

والشاعر هنا يصف مفازة ، ولم يرد أن بها أرانب لا يفزعها أهوالها ، ولا ضبابا غير منجحرة ، ولكنه نفي أن يكون بها حيوان . قاله ابن الشجري ، وانظر شبيها لهذا فيما سبق من تعليق لي علي قول هند ابن أبي هالة في وصف مجلس رسول الله ﷺ : « لا تنثي فلتاته » .

(١) يروي : « رميته بأفوق ناصل » ، ويروي أيضا : « نجا منه بأفوق ناصل » . انظر جمهرة الأمثال ٤٧٩/١ ، ٣١٣/٢

والباحاتُ : جمع باحةٍ ، وهي العَرْصَةُ ، والأرضُ التي لا عِمارةَ فيها ، يجتمعُ النَّاسُ بها .

والرَّاياتُ : جمعُ رايةٍ .

يريد : إنّكم كثيرون عندَ اللَّهْوِ ، واللَّعِب ، والتَّحدُّثِ ، قليلون عندَ الحربِ ، والقِتال ، وإفرادُ « كثيرٍ وقليلٍ » على تقدير : إنكم عددٌ كثيرٌ ، وعددٌ قليلٌ (١) .

---

(١) هنا موضع كلام نفيس ، كنت قرأته ، للعلامة الجليل الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، ولا أحب أن أخلي تعليقاتي منه ، قال الشيخ حفظه الله :

« فائدة : يجوز في (قليل) و (كثير) جمعهما جمعَ مذكر سالما ، كما يجوز فيهما إفرادُهما مع وقوعهما خبراً عن مجموع ، أو الإخبار عنهما بجمع .

هذه الفائدة لم يذكرها كتاب من كتب النحو ، وإنما وقفت عليها في الأمالي الشجرية لابن الشجري ، ثم رجعت إلى القرآن الكريم ، فوجدت أن (قليل) جاءت مفردة ومجموعة في القرآن ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون ﴾ – الأنفال ٢٦ – ﴿ إن هؤلاء لشرذمة قليلون ﴾ – الشعراء ٥٤

أما (كثير) فقد لزمت الإفراد في القرآن ﴿ فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ الحديد ١٦

ووجدت (كثير) أيضا لزمت الإفراد فيما وقفت عليه من شعر العرب ، قال يزيد ابن الطثرية :

فديتكِ أعدائي كثيرٌ وشُقَّتِي بعيدٌ وأشياعي لديكِ قليلُ

وقال قيس بن ذريح :

ولكن سألقي الله والنفسُ لم تَبُحْ بسرِّكِ والمستخبرون كثير

[انتهى كلام الشيخ ، وذكره في مقالة له بعنوان النحويين التجديد والتقليد – مجلة كلية اللغة العربية بالرياض – العدد السادس ١٣٩٦ – ١٩٧٦ م] .

قلت : والذي أشار إليه موجود في أمالي ابن الشجري ٢٥/٢ ، في المجلس الثامن والأربعين .

=

والأَوَدُ : العَوَجُ (١) ، والمَيْلُ .

والإضراعُ : الإذْلالُ ، يقال : ضَرَعَ إليه ، بالفتح والكسر ، يَضْرَعُ : إذا خَضَعَ وذَلَّ ، وأضْرَعَه غيرُه .

وخَصَّ الإذْلالَ بالخُدُودِ ؛ لأنَّها مِن أشْرَفِ ما في الوُجُوه ، ويُريد بالإذْلالِ أنفُسَهم كُلَّها .

والإتْعاسُ : الإعْثارُ ، وقد تَعِسَ هو ، وأتْعَسَه غيرُه .

والجُدُودُ : جَمْعُ جَدٍّ ، وهو الحَظُّ ، والبَخْتُ .

وأتَمَّت المرأةُ الحامِلُ ، فهي مُتِمٌّ : إذا تَمَّتْ أيّامُ حَمْلِها ، يقال : تَمَّ الشيءُ ، وأَتَمَّه غيرُه ، وتَمَّمه .

= فقد تحدث ابن الشجري في هذا المجلس عن وضع المفرد موضع الجمع ، وساق له شواهد كثيرة من القرآن الكريم ، والشعر ، ومن تلك الأمثلة ، قال : « وكإيقاع (كثير) في موضع (كثيرين) ، و (قليل) في موضع (قليلين) فكثير في قوله تعالي : ﴿ رجالا كثيرا ونساء ﴾ – مفتتح سورة النساء – وقليل في قوله : ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ سبأ ١٣ – ، فالشكور اسم جنس صيغ علي مثال فعول للمبالغة ، كالعفو والغفور ، فالمعني : وقليلون من عبادي الشاكرون .

وقد استعمل ابن الشجري هذا الجمع أيضا ، في المجلس الرابع والسبعين من الأمالي ٣١٣/٢ ، فقال في شرح بيت المتنبي :

وما الخيل إلاَّ كالصديق قليلةٌ وإن كثُرتْ في عين من لا يُجرِّبُ

قال : « والأصدقاء كذلك كثير عددهم ، إلا أنهم عند التحصيل والتحقيق قليلون ... وكذلك من لم يجرب الأصدقاء ويختبرهم عند شدته يراهم كثيرين » .

(١) هكذا ضبطت العين١، في الأصل ، بالفتح . قال المصنف في النهاية ٣١٥/٣ : « هو بفتح العين مختص بكل شيء مرئي كالأجسام ، وبالكسر فيما ليس بمرئي ، كالرأي والقول ، وقيل : الكسر يقال فيهما معا ، والأول أكثر » وقد نبهت عليه من قبل .

والإِمْلاصُ : إِلْقاءُ المرأةِ الحاملِ جَنِينَها ، قَبْلَ وقْتِ الوِلادةِ ، وكلُّ ما زَلِقَ مِن اليدِ ، فقد مَلِصَ [١] ، وأَمْلَصْتُه أنا .

وقَيِّمُ المرأةِ : بَعْلُها ، والقائمُ بأمرِها مِن الرجالِ ، وأصلُه : قَيْوِمٌ ؛ لأَنَّه مِن قام بالشيءِ يقومُ به ، فقُلبت الواوُ ياءً ، وأُدْغِمتْ في الياءِ قبلَها .

وتَأَيَّمت المرأةُ : إذا خَلَتْ من الأَزْواجِ ، وامرأةٌ أَيِّمٌ ، بِكْراً كانت ، أو ثَيِّباً ، وطُولُ تأَيُّمِها : هو أن تمكُثَ زَماناً لا تَتزَوَّجُ .

وقوله : « ووَرِثَها أبْعَدُها » يُريدُ به مَن ليس بِزَوْجٍ ، ولا وَلَدٍ ؛ لتعَذُّرِ الولَدِ مع التَّأيِّمِ .

كلامُ عليّ بن أبي طالبٍ ، كرَّم اللهُ وجهَه ، الكثيرُ الغَريبِ ، كثيرٌ ، وقد أورَدْنا منه هذه الأَطْرافَ اليسيرةَ ، مُناسَبَةً لما أوْدَعْناه في هذا الكتابِ من الاختصارِ ، ومَن أرادَ الوقوفَ علي كلامِه ، فلْيَطْلُبْه مِن مَظانِّه .

---

(١) بكسر اللام ، وهو من باب فرح ، كما في القاموس .

حديث
عبد الرحمن بن عوف الزُّهْرِيِّ
رضي الله عنه

قال في كلامِه لأصحابه ، يومَ الشُّورَي : يا هؤلاءِ ؛ إنَّ عندي رأياً ، وإنَّ لكم نَظَراً ، إنَّ حابِياً خيرٌ مِن زاهِق ، وإنَّ جُرْعَةَ شَرُوبٍ أنْفَعُ مِن عَذْبٍ مُوبٍ ، وإنَّ الحِيلةَ بالمَنْطِقِ أبْلَغُ مِن السُّيُوبِ في الكَلِمِ ، فلا تُطِيعُوا الأعداءَ ، وإن قَرُبُوا ، ولا تَفُلُّوا المُدَي بالاختِلافِ بَيْنَكم ، ولا تُغْمِدُوا السُّيُوفَ عن أعدائِكم ، فتُوتِرُوا ثأرَكم ، وتُولِتُوا أعمالَكُم .

ويُرْوَي : ولا تُوَبِّرُوا آثارَكُم ، فتُولِتُوا دِينَكُم .

لِكُلِّ أجَلٍ كتابٌ ، ولكُلِّ بيتٍ إمامٌ ، بأمرِهِ يَقُومُون ، وبنَهْيِه يَرِعُونَ .

قَلِّدُوا أمرَكُم رَحْبَ الذِّراعِ فيما نَزل ، مأمُونَ الغَيْبِ علي ما اسْتَكَنَّ ، يُقْتَرَعُ منكم ، وكُلُّكُم مُنْتَهيً ، ويُرْتَضَي منكم ، وكُلُّكُم رِضيً .

* * *

أخرجه ابنُ قُتَيْبَةَ (١) ، والزمخشريُّ (٢) ، وهو مِن حديثِ عطاءِ ابن أبي رَباحٍ ، عن ابن عبَّاسٍ .

---

(١) غريب الحديث ٢/١٧٥ – ١٧٨

(٢) الفائق ١/٢٥٥ ، ٢٥٦ ، والحديث أيضا في تاريخ الطبري ٤/٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وأخرج الأزهري جزءا منه بإسناده ، في التهذيب ١٥/٢٦٤

شرحه

الزُّهْرِيّ : منسوبٌ إلي زُهْرَةَ بن كِلاب بن مُرَّةَ بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالِبٍ .

والشُّوَري : المُشاوَرَةُ في الأمرِ ، وأَخْذُ الرَّأيِ ، يقال : شاورتُه في الأمر ، واستشرْتُه : إذا استَعْلَمْتَ رأيَه ، واستَوْضَحْتَ منه وَجْهَ الصَّوابِ ، والمَشْوَرَةُ والمَشُورَةُ ، بضم الشِّين ، علي الصِّحّةِ والإعلالِ ، سواءٌ .

والمُرادُ بأصحابِ الشُّوَري الجماعةُ الذين جَعل عمرُ بن الخَطَّاب ، الخِلافةَ مَحْصُورةً فيهم بعدَه ، وهم عليٌّ ، وعثمان ، وطَلْحةُ ، والزُّبَيْرُ ، وسَعْدٌ ، وعبد الرحمن .

وقوله : « إنَّ عندي رَأْياً ، وإنّ لكم نَظَراً » أي أذكُر لكم ما عندي في أمرِ الخِلافةِ ، واقْتَضاه رأيي ، فاعرِضُوه علي أنفُسِكم ، وانظُروا فيه ، فإن استَصْوبْتُموه فافْعَلُوه .

والحابِي : السَّهْمُ الذي يَسْبَحُ علي وَجْهِ الأرضِ ، عندَ مُفارَقَتِه القَوْسَ ، ويُصيبُ الهَدَفَ ، وأصلُه مِن حَبَا الصَّبِيُّ حَبْواً ، فهو حابٍ : إذا زحَفَ علي استِه .

والزَّاهِقُ : السَّهْمُ الذي يُجاوِزُ الهَدَفَ ، ولا يُصِيبُه ، مِن زَهَق الفَرَسُ : إذا تَقَدَّم أمامَ الخَيْلِ .

ضَرَبَهُما مَثَلاً لِوالِيَيْنِ ، أحدُهما ينالُ الحَقَّ ، أو بَعْضَه ، وهو ضَعِيفٌ ، والآخَرُ يَجُوزُ الحَقَّ ، ويَبْعُدُ عنه ، وهو قَوِيٌّ ، فالحابِي : الضَّعيفُ ، والزَّاهِقُ : القَوِيُّ .

والجُرْعَةُ ، بالضَّمِّ : ما يُجْرَعُ مِن الشَّرابِ ، والماءِ ، يَسِيراً ، وبالفتح : المَرَّةُ منه .

والشَّرُوبُ ، بالفتح : الماءُ المِلْحُ ، الذي لا يَشْرَبُه الناسُ إلاَّ عندَ الضَّرورةِ .

والعَذْبُ : السَّائغُ ، الطَّيِّبُ الطَّعْمِ .

والمُوبِي : الذي يُوقِعُ شارِبَه في الوباءِ ، وهو المرضُ .

والحرفُ مهموزٌ ، فتَرَكَ هَمْزَه ؛ ليُقابِلَ الحرفَ الذي قَبْلَه ، وهو شَرُوبٌ .

وشَرُوبٌ : صِفَةٌ لموصوفٍ محذوفٍ ، تقديره : جُرْعَةُ ماءٍ شَرُوبٍ .

وهذا أيضاً مَثَلٌ ضَرَبه لرجُلَيْن ، أحدُهما أدْوَنُ وأنْفَعُ ، والآخَرُ أضَرُّ وأرْفَعُ .

والسُّيُوبُ : مصدرُ سابَ في الكَلامِ : إذا خاضَ فيه بهَذَرٍ وإكْثارٍ .

وقال القُتَيبيُّ : السُّيُوبُ : ما سُيِّبَ وخُلِّيَ ، فسابَ ، أي ذَهَب .

والحِيلَةُ بالمَنْطِقِ : يُرِيدُ بها التَّلطُّفَ في الكلامِ ، والتَّقليلَ منه ، وأنَّه أبْلَغُ مِن الإكثار ، وهَذَرِ القولِ .

والكَلِمُ : جِنْسٌ للكلمةِ ، يَقعُ عليها ، وعلي ما فوقَها .

والمُدَي : جَمْعُ مُدْيةٍ ، وهي السِّكِّينُ .

والفَلُّ : كَسْرُ الحَدِّ ، وتَثْليمُه ، يُقال : فَلَلْتُ السيفَ فَلاًّ ، وسَيْفٌ مَفْلُولٌ ، وأَفَلُّ .

يريدُ : لا تَثْلِمُوا حَدَّكُم ، وشَوْكَتَكم ، باختلافِ أقوالِكم وأهوائِكُم ، فاستعار لَهُ المُدَي ، مَثَلاً .

وقوله : « فتُوتِرُوا ثَأْرَكُم » هو مِن وَتَرْتُ الرجُلَ : إذا أصبْتَه بوِتْرٍ ، وهو الدَّمُ والجِنايةُ ، وأوتَرْتُه : أوجَدْتُه ذلك .

والثَّأْرُ ها هنا : العَدُوُّ ؛ لأنه مَوضِعُ الثَّأرِ ، وهو طَلَبُ الدَّمِ ، يقال : ثَأَرْتُ القتيلَ ، وثَأَرْتُ به ، وأخذتُ بثَأرِهِ ، كلُّه مهموزٌ ، أي قتلتُ قاتلَه .

المعني : لا تُغْمِدُوا سُيُوفَكم عن أعدائكم ، فتُوجِدُوهم الوِتْرَ في أنفُسِكم .

وقال الأزهريُّ : هو مِن الوِتْرِ : طَلَبِ الثَّأرِ .

المعني : يَبْقَي الوِتْرُ والحِقْدُ في قلوبكم .

فأمَّا قولُه في الروايةِ الأخري : « ولا تُوَبِّرُوا [١] آثارَكم » فهو مِن التَّوبيرِ : التَّعْفيةِ ومَحْوِ الأَثَرِ ، مِن تَوْبيرِ الأَرْنَبِ ، وهَو مَشْيُها علي وَبَرِ قوائمها ؛ لئلاّ يُقْتَصَّ أثَرُها [٢] .

والآثارُ في هذه الروايةِ : جَمْعُ أَثَرٍ ، بخلاف الأُولَي .

وقولُه : « وتُولِتُوا أعمالَكم » أي تَنْقُصُوها ، يُقال : أَلَتَهُ يَلِتُه ، وآلَتَهُ يُولِتُه ، بمعنيً .

قال القُتَيْبيُّ : ولم أسمع بهذه اللُّغة - يعني تُولِتُوا - إلاّ في هذا الحديث ، وهي لغةٌ معروفة [٣] .

---

(١) هذه رواية الرياشي ، وقد صوبها الأزهري . راجع الموضع السابق من التهذيب .

(٢) انظر الحيوان ٥/٢٧٨ ، ٤٤٧ ، ٦/٤٣

(٣) عبارة ابن قتيبة : « والحرف في الحديث : تؤلتوا ، كأنه من أوْلَتَ يُولِتُ ، أو آلت يُؤْلت ، إن كان مهموزا ، ولم أسمع بهذه اللغة إلا في هذا الحديث » .

يريدُ أنَّهم كانت لهم مع رسولِ الله ﷺ ، أعمالٌ في الجِهاد ، وغيرِه من الأعمالِ ، فإذا تركوها ، واختلَفُوا فيها ، نَقَصُوها .

وقوله : « لكلِّ أجَلٍ كتابٌ » أي لكلِّ حَدٍّ وأَمَدٍ ، مُنْتَهيً وآخِرٌ ، فاستعار لَهُ الكتابَ ؛ لأنه قد كُتِبَ وقتُه ، وعُيِّنَ .

وقوله : « وبنَهْيِه يَرِعُونَ » أي يكُفُّون ، يقال : وَرِعْتُه أرِعُه وَرَعاً ورِعَةً ، وهو أحدُ ما جاء مكسورَ العينِ في الماضي والمُسْتقَبل ، يقال : وَرِعَ يَرِعُ ، كوَثِقَ يَثِقُ : إذا كفَفْتَه فانْكَفَّ ، ومنه الوَرَعُ في الدِّين ، وهو الكَفُّ عن الحرامِ والمكروهِ ، وأكثرِ الحلالِ .

ورُحْبُ [١] الذِّراعِ : كنايةٌ عن سَعَةِ الصَّدْرِ عندَ الشَّدائِدِ ، ونُزُولِ المَهامِّ ، فيقوم بأمورِ الإمارةِ ، حِفْظاً وحِمايةً ، وعَطاءً يَبْسُطُ به يدَه ، وتَتَّسعُ له نَفْسُه .

ومأمونُ الغَيْبِ علي ما استْكَنَّ : أي هو أمينٌ ، ثِقَةٌ علي ما استَتَر من أمورِكم ، فلا يَخُونكم ، ولا يَبْغِي لكم الغوائِلَ .

والاقْتِراعُ : افتِعالٌ مِن القُرْعةِ . يُريدُ به : يُخْتارُ منكم ، يقال : فُلانٌ قَرِيعُ قومِه : أي المختارُ منهم للرِّياسةِ والتَّقدُّمِ ، واقترعتُ من الإبِلِ فَحْلاً : أي اخترتُه .

والمُنْتَهي : الغايةُ ، أي كُلُّكُم مختارٌ .

---

(١) ضبطت الراء في الأصل بالضم ، وهو صحيح ، لأنه هنا مصدر ، وسبقت في متن الحديث بالفتح ، لأنه هناك اسم . راجع القاموس .

حديث
العَبَّاس بن عبد المطَّلب
رضي الله عنه

خرج عمرُ بن الخَطّاب ، يَسْتَسْقِي للناسِ ، فأخذ العَبَّاسَ إليه ، فقال : اللهُمَّ إنّا نَتقرَّبُ إليك بعَمِّ نبيِّك ، وقَفِيَّةِ آبائِه ، وكُبْرِ رجالِه ، فإنَّك تقول – وقولُك الحَقُّ : ﴿ وَأَمَّا الجِدارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً ﴾ (١) فحفِظْتهما لصَلاحِ أبيهما ، فاحفَظِ اللهُمَّ نَبِيَّك في عَمِّه ، فقد دَلَوْنا به إليك ، مُسْتَشْفِعين ومُسْتَغْفِرين .

ثم أقبلَ علي الناسِ ، فقال : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً . وَيُمدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً ﴾ (٢) .

قال (٣) : ورأيتُ العَبَّاسَ ، وقد طالَ عُمَرَ ، وعيناه تَنْضَحانِ ، وسَبائِبُه تَجُولُ علي صَدْرِهِ ، وهو يقول : اللهُمَّ أنت الرَّاعي ، فلا تُهْمِلِ الضالَّةَ ، ولا تَدَعِ الكَسيرَ بدارِ مَضيعَةٍ ، فقد ضَرَعَ الصَّغيرُ ، ورَقَّ الكبيرُ ، وارتَفَعتِ الشَّكْوَيَ ، وأنت تَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَي .

اللهُمَّ فأَغِثْهُمْ بغِياثِك ، مِن قبل أن يَقْنَطُوا فيَهْلِكُوا ، فإنه لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِك إلاَّ القومُ الكافِرُون (٤) .

---

(١) سورة الكهف ٨٢

(٢) سورة نوح ١٠ – ١٢

(٣) أي الراوي ، كما صرح الزمخشري ، وفي رواية ابن أبي الحديد : أنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) انظر الآية ٨٧ من سورة يوسف .

فَنَشأَتْ طُرَيْرَةٌ مِن سَحابٍ ، فقال الناسُ : تَرَوْنَ ! ثمّ تَلاءَمَتْ واسْتَتَمَّتْ ، ومَشَتْ فيها رِيحٌ ، ثمَّ هَدَّتْ ، ودَرَّتْ ، فواللهِ ما بَرِحُوا حتي اعْتَلَقُوا الحِذاءَ ، وقَلَّصُوا المآزِرَ ، وطَفِق الناسُ بالعَبَّاس ، يَمْسَحُون أركانَه ، ويقولُون له : هَنِيئاً لكَ ساقِيَ الحَرَمْين .

* * *

أخرجه ابنُ قُتَيْبة (١) ، والزمخشريُّ (٢) ، وأشار إليه الخَطَّابيُّ (٣) .

شرحه

الاستِسْقاءُ : طَلَبُ السُّقْيا مِن اللهِ تعالي ، عندَ احْتباسِ الغَيْث والجَدْبِ .

والتقرُّبُ : تَفَعُّلٌ مِن القُرْب ، ويريدُ به قُرْبَ الطاعةِ والعِبادة ، لاقُرْبَ المكانِ . أي نَتوسَّلُ إليك بعَمِّ نبيِّك .

وقَفِيَّةُ آبائِه : تِلْوُهُم وتابِعُهم ، يقال : هذا قَفِيُّ الأَشْياخ ، وقَفيَّتهُم : إذا كان الخَلَفَ منهم ، من قولِك : قَفَوْتُ أثَرَه : إذا تَبِعْتَه . قاله القُتَيبيُّ .

---

(١) غريب الحديث ١٨٢/٢ – ١٨٤

(٢) الفائق ٢١٥/٣ – ٢١٨ ، والحديث أيضا في العقد الفريد ٦٤/٤ ، وشرح نهج البلاغة ٢٧٤/٧ ، ٢٧٥ ، وطبقات الشافعية الكبري ٣٢٩/٢ ، ٣٣٠ ، وأخرج البخاري جزءا يسيراً منه ، عن أنس ، في (باب الاستسقاء) ٣٤/٢ ، وأيضا البيهقي في السنن الكبري (باب الاستسقاء بمن ترجي بركة دعائه . من كتاب صلاة الاستسقاء) ٣٥٢/٣

(٣) غريب الحديث ٢٤٢/٢ .

قال الخَطّابيّ : أمَّا قَفِيَّةُ آبائِهِ ، وأنَّه تِلْوُهُم ، وتابِعُهم ، والخَلَفُ مِنْهمُ ، فمِن المُستْقيمِ المُطَّرِدِ في اللُّغَة ، إلاّ أنَّه من البَعيدِ المُمْتَنِع أن يكون عُمرُ جَعلَ العباسَ تابعَ آبائِه ، أوراَه خَلفاً منهم في طَرِيقِ دِينٍ أو دُنْيا ، وإنَّما يَحْسُنُ أن يَتأوَّلَ المتأوِّلُ الكلامَ علي معانيه اللائقةِ به ، المُنْقادةِ إليه ، دُونَ الوُجُوهِ الآبِيَةِ عليه ، النَّافِرةِ عنه ، ومعني القَفِيَّةِ : المُخْتارُ ، قال أبو زيد : يقال : اقْتفَيْتُ الشيءَ : بمعني اخترتُه ، والاسمُ : القِفْوَةُ ، كالصِّفْوةِ (١) مِن اصْطَفَي .

يريد أنه المختارُ مِن آبائِهِ ، ومنه القَفِيُّ ، وهو ما يُؤْثِرُ به الرجلُ ضَيْفَه ، مِن طعامٍ .

وقد يَحْتَمِلُ أن يكونَ أراد أنَّه تابِعُهم والمُقْتَفِي لأَثَرِهم في الاستسقاء ؛ فإنّ عبدَ المُطَّلب كان استَسْقَي لأهلِ مكة ، حينَ أَقْحطُوا ، فسقاهُم اللهُ تعالي ، وقد تقدَّم ذِكرُه في حديث رُقَيْقة .

وقوله : « كُبْرُ رِجالِه » الكُبْرُ ، بالضّمِّ : أَقْعَدُ القَوْمِ في النَّسَبِ ، وأعلاهُم ، وهو أن يُنْسَبَ إلي جَدِّه الأكبرِ ، بأقلِّهم آباءً ، وكان ذلك للعَبَّاسِ ، فإنَّه أقْرَبُ بني عَمِّه إلي عبد مَنافٍ ، بينَهما أبَوانِ ، هما عبد المُطَّلِب ، وهاشِم ، ولم يكن يومئذٍ في بني عبد مناف ، أقْرَبُ إليه منه .

فأمَّا الكِبْرُ ، بالكسر : فمُعْظَمُ الشيءِ (٢) ، ومنه قوله تعالي : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّي كِبْرَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٣) ، ويُروَي فيه الضَّمُّ أيضاً .

---

(١) الصفوة ، بكسر الصاد ، وحكي فيها التثليث . راجع المصباح .

(٢) ولا يخفي أنه بالكسر أيضا : التكبر . انظر إصلاح المنطق ص ٣٣

(٣) سورة النور ١١

وقوله : « دَلَوْنَابه إليك » أي تَوسَّلْنا ، واسْتَشْفَعْنا ، وهو مِن الدَّلْوِ ؛ لأنَّ بها [١] يُسْتَقَي الماءُ ، ويُوصَلُ إليه ، فكأنه قال : جَعَلْناه الوَسِيلَةَ إلي ما عندَكَ . قاله القُتَيبيُّ [٢] .

وقال الخَطّابيُّ : هذا مُحَرَّفٌ عن وَجْهِه ، موضوعٌ في غيرِ مَوْضِعِهِ ، إنما يُقال : أدْلَيْتُ ، بالألف ، بمعني مَتَتْتُ[٣]، وتَوسَّلْتُ ، يقال : فُلانٌ يُدْلِي بحُجَّةٍ ، ويُدْلِي بقَرابةٍ ، تَمثيلاً له بمَنْ يُرْسِلُ الدَّلْوَ ، يَسْتَقِي ماءً ، يقال : أَدْلَي الرجلُ دَلْوَه : إذا ألقاها في البِئرِ ، ودَلاهَا يَدْلُوها : إذا نَزَعَها .

ومعني « دَلَوْنابه » في قول عُمرَ : أقْبَلْنا به ، وسِرْنا ، قال الفَرَّاءُ : الدَّلْوُ : السَّيْرُ الرُّوَيْدُ ، وأنشَدَ :

لا تَعْجَلا بالسَّيْرِ وادْلُوَاها [٣]

وقال غيرُه : الدَّلْوُ : السَّوْقُ الرَّفِيقُ ، وكِلاهما واحِدٌ .

---

(١) في غريب ابن قتيبة : « به » . وما في المنال مثله في الفائق . والدلو مما يؤنث ويذكر ، لكن التأنيث أكثر . قاله في المصباح .

(٢) عبارة ابن قتيبة : « فكأنه قال : قد جعلناه الدلو إلي ما عندك من الرحمة والغيث » .

(٣) هكذا فى الأصل بعدم إدغام ، وهو عند الخطابي « مَتَتُّ » .

(٤) في الأصل :

لا تعجلوا بالسير وادْلُو بها

وهو خطأ . أثبت صوابه من مقاييس اللغة ٢/٢٩٣ ، والجمهرة ٣/١٦٤ ، والأساس واللسان (دلا) ، وأمالي ابن الشجري ٢/٣٥ ، وغريب الخطابى ، الموضع المذكور في صدر الحديث . ويقع اختلاف في بعض ألفاظ هذا البيت .

وقوله : « وقد طال عُمَرَ » أي كان أطْوَلَ منه ، يقال : طاوَلَني فطُلْتُه : أي غلَبْتُه في الطُّولِ ، وكان العبَّاسُ طويلاً مِن الرِّجال ، رُوِي أن عليَّ بن عبد الله بن العبَّاس طافَ بالبيت ، وقد فَرعَ النَّاسَ ، كأنَّه راكِبٌ وهم مُشاةٌ ، وثَمَّ عَجُوزٌ قديمةٌ ، فقالت : مَن هذا الذي فَرَعَ الناسَ ؟ فأُعْلِمَتْ ، فقالت : لا إله إلاَّ الله ! إنَّ الناسَ لَيَرْذُلُون ، عَهْدِي بالعَبَّاسِ ، يَطُوفُ بهذا البيت ، كأنه فُسْطاطٌ أبْيَضُ .

ورُوِي أنَّ عليًّا هذا كان إلي مَنْكِبِ أبيه عبدِ الله ، وعبدُ الله إلي مَنْكِبِ أبيهِ العَبَّاسِ ، والعَبَّاسُ إلي مَنْكِبِ أبيه عبدِ المُطَّلِبِ .

وعيناه تَنْضَحان : أي تَبْكِيان ، من النَّضْح : رَشِّ الماءِ علي الشيء .

والسَّبائِبُ : جَمْعُ سَبِيبةٍ ، وهي خُصَلُ الشَّعَرِ ، المُنْسَدِلَةُ علي الكَتِفَيْن ، والسَّبِيبُ : شَعَرُ النَّاصِيَةِ ، الطويلُ المائلُ .

يريدُ أن ذَوائبَه كانت تَجُولُ علي صَدْرِهِ .

والضَّالَّةُ : الضَّائعةُ ، وإهْمالُها : اطِّراحُها ، وتَرْكُ طَلَبِها .

والكَسيرُ : المكْسُورُ ، فَعِيلٌ بمعني مَفْعولٍ .

والمَضِيعَةُ : مَفْعِلَةٌ ، من الضَّياعِ : الهَوانِ ، والاطِّراحِ ، والأَصلُ فيها : مَضْيِعَةٌ ، بسُكون الضَّادِ ، وكسر الياءِ ، فنُقِلَت الكسرةُ إلي الضَّادِ ، وسَكَنت الياءُ ، فصارَتْ بوَزْنْ مَعِيشَةٍ ، والتَّقديرُ فيهما سَواءٌ .

وضَرَبَ هذا الكلامَ مَثَلاً ؛ فإنَّ الرَّاعِيَ الحَسَنَ الرِّعْيَةِ ، إذا

ضَلَّتْ له ضالَّةٌ مِن سَرْحِه ، طَلَبها ، وإذا أصابَها كَسْرٌ ، لم يَدَعْها ضائعةً ، يُسْلِمُها إلي السَّبع ، ولكنَّه يَرْفُقُ [١] به حتَّي يَصْلُح .

وضَرِعَ ، بالكسر والفتح ، يَضْرَعُ ضَراعَةً : إذا خَضَعَ ، وذَلَّ .

ورَقَّ الكبيرُ : أي ضَعُفَ ، وهانَ .

وارْتِفاعُ الشَّكْوَي : ظُهورُها ، ورَفْعُها إلي اللهِ تعالي .

وقوله : « وأنت تَعلَمُ السِّرَّ وأَخْفَي » السِّرُّ : ما أسْرَرْتَه إلي غيرِك ، وأخْفَي منه : ما أخطَرْتَه ببالِك .

وقيل : السِّرُّ : ما حَدَّثْتَ به نَفْسَك ، والأَخْفَي : ما تُريدُ أن تُحَدِّثَها به .

والإغاثَةُ : النُّصرَةُ ، والإعانَةُ ، والغِياثُ : الاسْمُ ، كالإعطاء ، والعَطاء .

والقُنُوطُ : أشَدُّ اليأسِ ، وفيه لُغتان : قَنَطَ يَقْنِطُ ، وقَنِطَ يَقْنَطُ [٢] .

ورَوْحُ اللهِ : رَحْمتُه .

والنَّشْؤُ : الابتداءُ ، والظُّهورُ .

والطُّرَّةُ : القِطْعَةُ مِن السَّحاب ، تَبْدُو مُسْتَطيلةً ، تشبيهاً بطُرَّةِ الثَّوبِ ، والطُّرَيْرَةُ : تصغيرُها .

---

(١) هكذا في الأصل ، وفي غريب ابن قتيبة : « يرفق بها حتي تصلح » . وفي الفائق : « وإذا أصاب بعضه كسر لم يسلمه للسبع ، ولكنه يرفق به حتي يصلح » .

(٢) وفيه لغة ثالثة : فتح النون في الماضي ، مع ضمها في المضارع . راجع إصلاح المنطق ص ٢١٣ . والفعل من باب ضرب ، وتعب ، وقعد . انظر الصحاح والمصباح .

والتَّلاؤُمُ : الاجتِماعُ ، والانْضِمامُ .

والاسْتِتْمامُ : استِفْعالٌ مِن التَّمامِ : الكَمالِ .

وقوله : « هَدَّتْ » أي رَعَدَتْ ، من الهَدَّةِ ، وهو صوتُ ما يَقَعُ من السَّماءِ .

ورُوِي : « هَدَأتْ » بالهَمْز ، من الهَدْأةِ ، وهي صَوتُ الحُبْلَي ، تشبيهاً للرَّعْدِ بصَرْخَتِها .

ودَرَّتْ : أي أمْطَرَتْ .

والحِذاءُ : النَّعْلُ . يريدُ أنَّهم أخَذُوا نِعالَهم في أيديهم ، ومَشَوْا حُفاةً في الوَحْلِ الحاصِلِ من الغَيْثِ ، الذي سَقَاهُم اللهُ تعالي ، وكذلك قَلَّصُوا أُزُرَهم ، أي رَفَعُوها ؛ لئلاَّ ينالَها الطِّينُ ، يقال : قَلَصَتِ الدِّرْعُ ، وتَقَلَّصَتْ ، وقلَّصْتُها : إذا ضَمَمْتَها وجَمَعْتَها ، وأكثَرُ ما يكونُ إلي فوقَ .

وطَفِقَ : بمعني جَعَلَ ، وأخَذَ .

وأركانُ الرجُلِ : أعْطافُه وجَوانِبُه ، تشبيهاً بأركانِ البيت .

وقوله : « هَنيئاً لك ساقِيَ الحَرَمَيْن » يريدُ حَرَمَ المدينةِ ، بهذه السُّقْيا ، وحَرَم مكَّة ؛ لأنه ساقِي الحَجِيج ، وهو صاحبُ السِّقايةِ بها .

حديثٌ آخَرُ
للعبَّاس رضي اللهُ عنه

قال خُرَيْمُ بن أَوْس بن حارِثةَ : هاجرتُ إلي رسولِ اللهِ ﷺ ، فقدمتُ عليه مُنْصَرَفَه مِن تَبُوكَ ، فسمعتُ العبَّاس يقول : يا رسولَ اللهِ ، إنّي أريدُ أن أمتدِحَك ، فقال له رسولُ الله : قُلْ ، لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ ، فقال :

مِن قَبْلِها طِبْتَ في الظِّلالِ وفي … مُسْتَوْدَعٍ حيث يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم هَبَطْتَ البلادَ لا بَشَرٌ … أنت ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وقَدْ … أَلْجَمَ نَسْراً وأهلَه الغَرَقُ
تُنْقَلُ مِن صالِبٍ إلي رَحِمٍ … إذا مَضَى عالَمٌ بَدَا طَبَقُ
حتَّي احْتَوَي بَيْتُكَ المُهَيْمنُ مِنْ … خِنْدِفَ عَلْياءَ تَحْتَها النُّطُقُ
وأنت لمَّا وُلِدَتْ أشْرَقَتِ الْـ … أرضُ وضاءتْ بنُورِك الأُفُقُ
فنحنُ في ذلكَ الضِّياءِ وفي النُّـ … ـورِ وسُبْلِ الرَّشادِ نَخترقُ

قال خُرَيْمٌ : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ ، يقول : هذه الحِيرَةُ البَيْضاءُ قد رُفِعَتْ لي ، وهذه الشَّيْماءُ بنتُ بُقَيْلَةَ الأَزْديَّة ، علي بَغْلَةٍ شَهْباءَ ، مُعْتَجِرَةً بِخمارٍ أسودَ .

فقلت : يا رسولَ اللهِ ، فإن نحن دخَلْنا الحِيرةَ ، ووجدتُها علي هذه الصِّفَة ، فهي لي ؟ قال : هي لك ، وذكر باقي الحديث ، وفيه طُولٌ ، تركناه لخُلُوِّه مِن الغريب .

* * *

أخرجه القُتيبيُّ [١] ، والزمخشريُّ [٢] ، إلي آخِرِ الشِّعر ، وهو حديثٌ حَسَنٌ ، غريبٌ . أخرجه الطَّبَرانيُّ ، وغيُره من الأئمَّةِ ، بتمامِه .

شرحه

خُرَيْمٌ : تصغيرُ ترخيمٍ لأَخْرَمَ ، لأنّ أصلَ ترخيمِه أُخَيْرِم ، فحذَفَ الهمزةَ ، ورخَّم الباقي ، كقولِك في تصغير أَحْمَد : أُحَيْمِدُ ، وحُمَيْد ، والأَخْرَمُ : المَثْقُوبُ الأُذن ، والمَقْطُوعُ وَتَرَةِ الأنفِ .

وأَوْسٌ : من أسماءِ الذِّئبِ .

---

(١) غريب الحديث ١/٣٥٩ – ٣٦٥

(٢) الفائق ٣/١٢٣ ، ١٢٤ ، والحديث في مجمع الزوائد ٨/٢١٧ ، ٢١٨ والشفا بتعريف حقوق المصطفي ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، والوفا لابن الجوزي ١/٣٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٤/٥١ ، والخصائص الكبري للسيوطي ١/٩٧ ، وتأويل مختلف الحديث ص ٨٨ ، ٨٩ ، وأمالي الزجاجي ص ٦٥ ، وأمالي ابن الشجري ٢/٣٣٧ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، وشروح سقط الزند ص ٣٥٣ ، والاستيعاب ص ٤٤٧ ، وأسد الغابة ٢/١٢٩ (ترجمة خريم بن أوس) . واشتقاق أسماء الله ٢٣١ ، وعارضة الأحوذى ١٣/٩٦ .

والقصيدة في الحماسة البصرية ١/٦١٠ ، منسوبة خطأً إلي خريم بن أوس ، وخريم هو راوي القصيدة ، لا قائلها ، وقد نبه علي هذا محقق الحماسة .

وقد ذكر السيوطي البيتين الأول والثاني من القصيدة منسوبين لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، في أثناء حديث ، في مناقب النبي ﷺ ، ذكر السيوطي أنه موضوع ، وضعه بعض القصاص ، ثم قال السيوطي : « والأبيات للعباس بلا خلاف » . اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/٢٦٤ ، ٢٦٥ وليس صحيحا ما ذكره بعضهم ، من أن السيوطي حكم علي حديث العباس هذا بالوضع ، فكلام السيوطي في اللآلي إنما يتجه إلي حديث آخر غير هذا الذي يرويه خريم بن أوس .

وقوله : « لا يَفْضُضِ اللهُ فاك » أي لا يَكْسِرِ ثَغْرَك ، ولا يُسْقِط أسنانَك ، والفَمُ : يُقامُ مَقامَ الأسنانِ ، يقال : سَقَطَ فَمُ فُلانٍ ، فلم تَبْقَ له حاكَّةٌ (١) .

وفَضَّ الشيءَ يَفُضُّه : إذا فَرَّقه ، وكسَرَه ، ومنه قولُهم : فضَضْتُ الكتابَ : إذا فَتَحْتَه .

وقوله : « طِبْتَ في الظِّلالِ » يريدُ ظِلالَ الجَنَّة ، تحتَ أشجارِها ، حينَ كان في صُلْبِ آدَمَ عليه السَّلامُ ، لمّا كان في الجَنَّة .

والمُسْتَوْدَعُ : المكانُ الذي جُعِل فيه آدَمُ وحَوَّاءُ من الجَنَّة ، واستُودِعاه .

وقيل : أراد بالمُسْتَوْدَعِ الرَّحِمَ ، ومنه قوله تعالي : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ (٢) ، فالمُسْتَقَرُّ : الصُّلْبُ ، والمُسْتَوْدَعُ : الرَّحِمُ ، وقيل بالعكس .

وقال القُتَيبيُّ : الظِّلال : جَمْعُ ظِلٍّ ، وليس يُرادُ به ظِلَّ الشَّجَرِ والبُنْيانِ ، إنَّما يكون ذلك حيث تَطْلُعُ الشَّمسُ ، والجَنَّةُ كُلُّها ظِلٌّ ، لا شَمْسَ فيها ، وهو مِثْلُ قولك : أنا في ظِلِّك ، أي في ذَراكَ وناحِيتك .

والخَصْفُ : أن تَضُمَّ الشيءَ إلى الشَّيء ، وتُلْصِقَه به ، وتَشُكَّه معه ، يقال : خَصَفْتُ نَعْلِي : إذا خَرَزْتَها ، ويريدُ به قوله تعالي : ﴿ وَطَفِقَا

---

(١) الحاكّة : « السنّ » قال في اللسان : لأنها تحكُّ صاحبتها ، أو تحكّ ما تأكله .

(٢) سورة الأنعام ٩٨

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ ﴾ (١) أي يَضُمَّانِ بَعْضَها إلي بعضٍ ؛ ليَسْتَتِرا بِه ، لمَّا سُلِبَا كِسْوَتَهُما ، وبَدَتْ لهما عَوْراتُهما .

والهُبُوطُ : النُّزُولُ مِن عُلْوٍ ، يريدُ به هُبُوطَ آدَمَ إلي الأرضِ ، هَبَط معه ؛ لأنه كان في صُلْبِه ، وهو إذْ ذاك لا بَشَرٌ ولا لَحْمٌ ، وهي المُضْغَةُ ، ولا عَلَقٌ ، وهو الدَّمُ .

يريدُ أنه كان نُطْفَةً ، لم يَنْتقلْ في هذه المَراتِبِ ، التي يَنْتَقِل فيها الجَنِينُ ، ألا تراهُ يقولُ : « بل نُطْفَةٌ تركبُ السَّفِينَ » يريد رُكوبَ نُوحٍ عليه السلامُ ، السَّفينةَ ، عندَ الطُّوفانِ ، وهو في صُلْبِه .

والسَّفِينُ : جَمْعُ سَفِينةٍ ، والسَّفِينةُ : فَعِيلةٌ بمعني فاعلة .

ونَسْرٌ : أحدُ الأصنامِ التي كانت لقومِ نُوحٍ .

وإلجامُ الغَرَقِ : كنايةٌ عن وُصولِ الماءِ إلي أفواهِهم ، التي هي مَوْضِعُ اللِّجامِ .

والصَّالِبُ : الصُّلْبُ ، وهو الظَّهْرُ ، قال القُتَيبيُّ : ولم أسمع (٢) بهذه اللُّغةِ إلاَّ في هذا الحديث .

والطَّبَقُ : القَرْنُ مِن النَّاسِ ؛ لأنَّهم يُطْبِقُون الأرضَ ، ثم يَنْقَرِضُون ، ويأتي للأرضِ طَبَقٌ آخَرُ (٣) .

أي إذا مَضَي قَرْنٌ بَدَا قَرْنٌ بعدَه .

---

(١) سورة الأعراف ٢٢

(٢) عبارة ابن قتيبة في الغريب : « ولم أسمعه » . وقال المصنف في النهاية ٤٥/٣ : « وهو قليل الاستعمال » .

(٣) قال الزمخشري في الأساس : « ومضي طبقٌ بعد طَبَقٍ : عالَمٌ مِن الناس بعد عالَم » . ثم أنشد بيت العباس .

والعالَمُ : قيل : هو كلُّ موجودٍ سِوَي اللهِ تعالي ، وقيل : هم كلُّ ذِي رُوحٍ ، وقيل : هم الإنْسُ والجِنُّ ، والمرادُ به ها هُنا الإنْسُ خاصَّةً ؛ لأنّ الذّكْرَ لهم .

وأراد ببَيْتِه شَرَفَه ، ونَسَبَه .

والمُهَيْمِنُ : صِفَتُه ، وهو الشَّاهِدُ . أي حتَّي احْتَوَي شرفُك الشاهِدُ علي فَضْلِك ، أَفْضَلَ مَكانٍ ، وأرْفَعَه من نَسَبِ خِنْدِفَ .

وقيل : معناه : حتَّي احتَوْيتَ أنتَ يا مُهَيْمنُ ، فصَرَفَ صِفَتَه إلي بيته ونَسَبِه ؛ لأنَّ شَرَفَه له .

وقيل : المُهَيْمنُ : المُؤْتَمِنُ ، وقيل : الرَّقِيبُ ، وقيل : أصلُه مُؤَيْمِنُ ، فأُبْدِلَت الواوُ من الهمزة .

ويُرْوَي : « حتَّي احْتَوي بَيْتَك » بالنَّصْب ، وأراد بالمُهَيْمن : اللهَ تعالي .

والعَلْياءُ : تأنيثُ الأَعْلَي ، ويريدُ بِها الشَّرَفَ .

وخِنْدِفُ : لَقَبُ امرأةِ إِلْياس بن مُضَر ، وهو مِن أجدادِ النبيِّ عليه السَّلامُ ، واسمُها لَيْلَي [1] ، من الخَنْدَفَةِ ، وهي مِشْيَةٌ كالهَرْوَلَةِ .

والنُّطُقُ : جَمْعُ نِطاقٍ ، وهو في الأَصلِ ما تَشُدُّ به المرأة وَسَطَها ، فوق الثِّيابِ ، وأرادَ بها ارتفاعَ نَسَبِه وشَرَفِه ، مِن النُّطُقِ ،

---

(١) اسمها : ليلي بنت حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . وهي أم مدركة . راجع الاشتقاق لابن دريد ص ٤٢ ، وطبقات الشافعية الكبري ١٠/٢٨١

وهي أعْراضٌ ونَواحٍ من جِبالٍ ، بَعْضُها فوقَ بَعْضٍ ، وضَرَبه لذلك مَثَلاً ، كأنَّه في أعْلَي الجبل ، وقَوْمَه تَحْتَه ، بمَنْزِلةِ أعراضِ الجِبالِ ونَواحِيها .

وأشْرَقت الأرضُ : إذا أضاءتْ ، وأنارَتْ .

وقوله : « ضاءتْ بنورِكَ الأُفُقُ » ، هو لغةٌ في أضاءتْ ، قال :

قَرِّبْ قَلُوصَيْكَ فقد ضاءَ القَمَرْ (١)

والأُفُقُ : واحِدُ الآفاقِ ، وهي أطرافُ السَّماءِ ، ونَواحِيها التي مع الأرض ، وأنَّث الأُفُقَ ، ذَهاباً إلي النَّاحيةِ ، أو جَمعَ أُفْقاً علي أُفُقٍ كما جُمِعَ فُلْكٌ علي فُلُكٍ .

والسُّبْلُ : الطُّرُق ، جَمْعُ سَبِيلٍ ، واخْتِراقُها : السَّيرُ فيها ، وهو افتِعالٌ من الخَرْقِ .

والحِيرَةُ : بَلَدٌ قَديمٌ ، قريبٌ مِن الكوفة ، وهو الآن خَرابٌ ، وكانت مَنازِلَ النُّعمانِ بن المُنْذِر ، ملك العَرَب ، وإنَّما وصَفَها بالبَيْضاءِ ؛ لأنَّ الغالِبَ علي ألوانِ أهْلِها البَياضُ ، وقيل : لأنّ غالِبَ أموالِهم كانت الفِضَّة .

والاعْتِجارُ : لَفُّ الثَّوبِ ، أو العِمامةِ علي الرَّأسِ ، من غيرِ أن يُتْرَكَ تحتَ الذَّقَنِ منه شيءٌ .

والشَّيْماءُ : تأنيثُ الأَشْيَم ، وهو الرجلُ الذي به شامةٌ ، والأَشْيَمُ أيضاً : الأسودُ .

---

(١) لم أجده في غير الفائق .

وهي أختُ عبدِ المسيح بن بُقَيْلَةَ الغَسَّاني ، المذكورِ في حديث سَطِيح ، وقد تَقدَّم .

وهذا الإخبارُ عن الحِيرَة والشَّيْماءِ ، مِن مُعْجزات النبيّ ﷺ ؛ لأنَّه أخْبَرَ بذلك قبلَ وُقُوعِه ؛ فإنَّهم لمَّا فَتَحوا الحِيرَةَ في خِلافةِ الصِّدِّيق ، مع خالد بن الوَليد ، وغَنِمُوا أهْلَها ، رأي خُرَيْم بن أَوْسٍ الشَّيماءَ بنت بُقَيْلَة ، كما وصَفَها له النبيُّ عليه السَّلامُ ، فطَلَبها مِن خالدٍ ، وأثْبَت عندَه قولَ رسولِ اللهِ له : « هي لك » فأعطاه إيّاها ، فباعَها من أخيها عبدِ المسيح .

حديث
مُعاذ بن جَبَلٍ رضي الله عنه

قال في كلامٍ له : مَن استَخْمَرَ أقواماً ، أوَّلُهم أَحْرارٌ ، وجِيرانٌ مُستَضْعَفُون ، فإنَّ له ما قَصَرَ في بيته ، حتّي دخَلَ الإسلامُ ، وما كان مُهْمَلاً ، يُعْطِي الخَراجَ ؛ فإنه عَتِيقٌ ، وإنَّ كُلَّ نَشْرِ أرضٍ يُسْلِمُ عليها صاحِبُها ، فإنه يُخْرِجُ عنها ما أعْطَي نَشْرُها ، رُبْعَ المَسْقَوِيِّ وعُشْرَ المَظْمَئِيّ ، ومَن كانت له أرضٌ جادِسَةٌ ، قد عُرِفَتْ له في الجاهليَّة ، حتي أَسْلَمَ ، فهي لِرَبِّها .

* * *

أخرجه أبو عُبيد [1] ، والزَّمَخْشَرِيُّ [2] ، وهو مِن حديثِ مَعْمَرٍ ، عن ابن طاوُس ، عن أبيه ، قال : وَجْدنا ذلك في كتاب مُعاذٍ .

شرحه

مُعاذٌ : مُفْعَلٌ مِن أعاذَه يُعِيذُه إعاذَةً ، فهو مُعاذٌ : إذا حَماه ، ونصره ، ومَنَع مِنه ، يقال : عُذْتُ به ، واستَعذْتُ : أي التَجأْتُ ، وأعَذْتُ به غيري ، والمُفْعَلُ منه ، يَقَعُ علي المفعولِ ، والزَّمانِ ، والمكان ، والمَصْدَر .

---

(١) غريب الحديث ٤/١٣٩ ، ١٤٠

(٢) الفائق ١/٣٩٧ ، ٣٩٨

والمَعاذُ ، بالفتح : مَفْعَلٌ مِن عاذَهُ .

واسْتَخْمَرَ : أي اسْتَعْبَدَ ، وتَمَلَّك ، بلُغَةِ اليمنِ ، يقول الرجلُ للرجُلِ : أَخْمِرْني كذا : أي أَعْطِنيه ، ومَلِّكْنِيه .

والأحرارُ : الذين لم يَقَعْ عليهم رِقٌّ ، واحِدُهم : حُرٌّ ، ويريد بأوَّلِهم : أصْلَهم وآباءَهم الأُوَل .

والجِيرانُ : جَمْعُ جارٍ ، وهم الذين نَزَلُوا عندَ الإنسانِ ، قريباً منه ، أو اسْتَجارُوا به ، واحْتَمَوْا .

يعني إذا اسْتَعْبَد الرجلُ في الجاهلّية ، وتَمَلَّك قَوْماً ، لم يَجْرِ عليهم ، وعلي آبائهم رِقٌّ ، وقوماً جاوَرُوه ، أو اسْتَجارُوا به ، فاستَضْعَفهم واسْترقَّهم ، فإنَّ له مَن قَصَرَهُ في بيته ، أي احْتَبَسه ، واحْتازَه منهم ، وتَملَّكه ، والقَصْرُ : الحَبْسُ ، والمَنْعُ .

وقوله : « حتَّي دخل الإسلامُ » أي تملَّكه ، واستَمَّرت يدُه عليه ، إلي أن جاء الإسلامُ ، فهو عبدٌ له ، رقيقٌ ، ومَن لم يُحْتَبَس ، وكان مُهْمَلاً ، قد ضَرَبَ عليه ضَرِيبةً ، يُؤَدِّيها إليه ، وهي المرادُ بقوله : « يُعْطِي الخَرَاجَ » فإنه يكون عَتِيقاً ، أي حُرًّا ، لا يتمَلَّكه .

والنَّشْرُ ، بسُكونِ الشِّين : ما خَرَج مِن نَباتِ الأرضِ .

و « ما » في « أعطي » مصدرّيةٌ مقدَّرٌ معها الزَّمانُ ، أي وقْتَ إعطاءِ نَشْرِها ، وهو إدْراكُه .

ورُبْعُ المَسْقَوِيّ : مفعول « يُخرِج » المعني : أنَّ كلَّ مَن أَسْلَمَ ، وفي يده أرضٌ هي له ، فإنه يُخْرِجُ عن نَباتِها الذي يَطْلُع فيها رُبْعَ ما يَسْقِيه بالسَّيْح ونَحْوِه ، وهو المَسْقَوِيُّ ، وعُشْرَ ما يَشْرَبُ مِن

ماءِ السَّماء ، وهو المَظْمَئِيُّ ، وهما مَنْسُوبان إلي المَسْقَي ، والمَظْمأ (١) ، مَصْدَرَيْ سَقَي وظَمِيءَ .

هكذا شَرَحه الزمخشريُّ ، مَهْمُوزاً ، وأخرجه الجوهريُّ في المُعتَلِّ ، قال : « المَظْمِيُّ مِن الزَّرْع : ما تَسْقِيه السَّماءُ » بغير هَمْزٍ .

والأرضُ الجادِسَةُ : التي لم تُزْرَعْ قَطُّ ، وجَمْعُها : جَوادِسُ ، ورَبُّها : صاحِبُها ومالِكُها الذي هي في يدِه .

هكذا جاء في هذا الحديث : « رُبْعَ المَسْقَوِيّ » ، والمعروفُ في الواجب علي ما يُسْقَي بالسَّيْحِ : العُشْرُ ، لا الرُّبُع ، ولكن هكذا جاء في هذا الحديث ، قال أبو عبيد : « أُراه يعني رُبْعَ العُشْرِ » ، وفيه نَظَرٌ ، واللهُ أعلَمُ .

---

(١) في الأصل : « والمظمي » بغير همز . وأثبته بالهمز من النهاية ١٦٢/٣ ، والفائق ، وهو مقتضي النقل منه .

حديث
عبد الله بن الزُّبير رضي الله عنه

نازَعَ عبدُ الله بن الزُّبير ، مروانَ بن الحكَم ، عندَ معاويةَ بن أبي سُفْيان ، فرأَي ضَلْعَ معاويةَ مع مروانَ ، فقال له : أَطِعِ اللهَ نُطِعْك ، فإنَّه لا طاعةَ لك علينا إلاَّ في حَقِّ اللهِ تعالي ، ولا تُطْرِقْ إطْراقَ الأُفْعُوانِ في أُصولِ السَّخْبَرِ ، إنَّا لا نَدَعُ مَرْوانَ يَرْمِي جَماهيرَ قُرَيْشٍ بمَشاقِصِه ، ويَضْرِبُ صَفاتَها بمِعْوَلِه ، ولولا مَكانُك لكان أَخَفَّ علي رِقابِنا مِن فَراشَةٍ ، وأَقَلَّ في أنفُسِنا مِن خَشاشَةٍ . وآيْمُ اللهِ ، لئن مَلَكَ أَعِنَّةَ خَيْلٍ تَنْقادُ له ، ليركبَنَّ منك طَبَقاً تخافُه .

فقال معاوية : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، ما أراكُم مُنْتَهِين حتَّي يَبْعثَ اللهُ عَليكُم من لا تَعْطِفُه قَرابةٌ ، ولا يذْكُرُ رَحِماً ، يَسُومُكم خَسْفاً ، ويُورِدُكم تَلَفاً .

فقال ابن الزُّبَير : إذَنْ واللهِ نُطْلِقَ [١] عِقالَ الحرب ، بكَتائبَ تَمُورُ كرِجْلِ الجَرادِ ، حافَتَيْها الأَسَلُ ، لها دَوِيٌّ كدَوِيِّ الرِّيح ، تَتْبَعُ غِطْرِيفاً مِن قُرَيْشٍ ، لم تكن أُمُّه براعِيةِ ثَلَّةٍ .

فقال معاويةُ : أنا ابنُ هِنْدٍ ، أطْلَقْتُ عِقالَ الحربِ ، فأكلتُ

---

(١) ضبطت القاف في الأصل بالضم ، وسيأتي في الشرح أن الفعل منصوب لوقوعه في جواب « إذن » .

ذِرْوَةَ السَّنامِ ، وشَرِبْتُ عُنْفُوانَ المَكْرَع ، إذ ليس للآكِلِ [٢] إلاّ الفِلْذَةُ ، وللشارِبِ ، إلا الرَّنْقُ والطَّرْقُ .

* * *

أخرجه القُتَيْبيُّ [١] ، والزمخشريُّ [٢] .

شرحه

الزُّبَير : تصغير زَبْرٍ ، بالفتح ، والكسر ، وهو القويُّ الشَّدِيدُ .

والمُنازَعَةُ : المُخاصَمَةُ .

ومَرْوانُ : فَعْلانُ مِن المَرْوِ ، وهي الحِجارَةُ ، البِيضُ ، البَرَّاقَةُ ، واحِدَتُها مَرْوَةٌ .

والضَّلْعُ : المَيْلُ ، أي رآه يَمِيلُ إلي جانبِهِ ، ويُعِينُه عليه .

والإطْراقُ : السُّكُونُ ، وإدامَةُ النَّظَرِ إلي الأرضِ ، مع إرخاءِ العَيْنِ ، وأَطْرَقَ : إذا سكتَ فلم يتكلَّم .

والأُفْعُوانُ : ذَكَرُ الأفاعِي .

والسَّخْبَرُ : شَجَرٌ ، واحدتُه سَخْبَرَةٌ ، قيل : إنَّ الحَيَّاتِ تألَفُه ، وتسْكُنُ في أُصُولِه .

---

(٢) في شرح نهج البلاغة : « للآكل بعدي » .

(١) فرق ابن قتيبة هذا الحديث في موضعين من غريب الحديث ٤٠٨/٢ ، ٤٤١

(٢) وأيضا صنع الزمخشري صنيع ابن قتيبة . الفائق ٢٣٤/١ ، ٣٤٦/٢ ، والحديث في شرح نهج البلاغة ١٤٠/٢٠

شَبَّهه في تحامُلِه عليه مع مَرْوانَ ؛ بالأُفْعُوانِ المُطْرِق ، لأنه يُطرِقُ عندَ نَفْثِ السَّمِّ ، قال تَأبَّطَ شرًّا :

مُطْرِقٌ يَرْشَحُ سَمًّا كما أَطْرَقَ أفْعَي يَنْفِثُ السَّمَّ صِلُّ(١)

والجَماهِيرُ : جَمْع جُمْهُورٍ ، بالضم ، وهم مُعْظَمُ النَّاسِ ، وجماعَتُهم ، وجَمْهَرْتُ الشيءَ : إذا جَمَعْتَه ، والجُمْهُورُ : الرَّمْلَةُ المُجْتَمِعةُ ، المُشْرِفةُ علي ما حَوْلَها .

والمَشَاقِصُ : السِّهامُ ، واحِدُها مِشْقَصٌ ، بكسر الميم ، والمِشْقَصُ أيضاً : نَصْلٌ مِن نِصالِ السِّهام ، طويلٌ عَرِيضٌ ، وقيل : هو الطَّوِيلُ ، غيرُ العريضِ ، فإن كان عَرِيضاً فهو مِعْبَلَةٌ (٢) .

والصَّفاةُ : الحَجَرُ الأَمْلَسُ ، وجَمْعُها صَفاً .

والمِعْوَلُ ، بكسر الميم : الفأسُ ، وما يُهْدَمُ به البِناءُ .

والفَراشَةُ : واحِدَةُ الفَراشِ ، وهو الطَّيْرُ الذي يَرْمِي نَفْسَه في اللَّهَبِ ، ويُضْرَبُ به المَثَلُ في الخِفَّةِ والطَّيشِ .

والخَشاشَةُ : واحِدَةُ الخَشاشِ ، وهي الهَوامُّ .

والطَّبَقُ : جمع طَبَقةٍ ، وهي المَنْزِلَةُ فوقَ المَنْزِلَةِ ، ومنه قولُه تعالي : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾ (٣) أي حالاً بَعْدَ حالٍ .

وقال القُتَيبيُّ : الطَّبَقُ : فَقارُ الظَّهْرِ .

---

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ص ٨٢٩ ، والعقد الفريد ٢٩٨/٣ ، وغير ذلك كثير .

(٢) بكسر الميم ، بوزن مكنسة .

(٣) سورة الانشقاق ١٩

والمعني : لَئِنْ مَلَك رِجالاً يَتْبَعُونه ، ويَمْتَثِلُون أمْرَه ، ليَرْكَبَنَّ منك أحوالاً ومَنازِلَ في العَداوةِ ، مَخُوفَةً ، فجَعَل مِلْكَ أَعِنَّةَ الخيلِ ، كنايةً عن مِلْكِ قُلُوبِ فُرْسانِه ؛ لأنَّ الفارِسَ إنمَّا يملِكُ التَّصرُّف في فَرَسِه بعِنانِه .

والعَطْفُ : الرَّحمةُ ، والشَّفَقةُ .

والرَّحِمُ : كِنايةٌ عن القَرابةِ ، لاجتماعِهم في الوِلادة .

وقوله : « يَسُومُكُم خَسْفاً » أي يُلْزِمُكم ذُلاًّ ، وهَواناً ، يُقال : سامَهُ يَسُومُه سَوْماً : إذا كلَّفَه شيئاً ، وألْزَمه إيَّاه ، وأصْلُه مِن سام ناقتَه : إذا أكْرَهَها علي الشُّرْبِ ، وداوَمَ عليه ، لتَشْرَبَ .

والخَسْفُ : الذُّلُّ ، والهَوانُ ، وأصْلُه حَبْسُ الدابَّةِ علي غيرِ عَلَفٍ .

والتَّلَفُ : الهَلاكُ .

و « نُطْلِقَ » منصوبٌ بإذَنْ ، لكونِها مُبْتَدأةً ، وكونِ الفِعْلِ مُستَقْبلاً ، غيرَ حاضرٍ [١] .

والعِقالُ : الحُبَيْلُ الذي تُشَدُّ به يَدُ البعيرِ ؛ لئلاّ يَهْرُبَ ، فاستعاره للحَرْبِ .

---

(١) هذا كلام الزمخشري في الفائق ٢٣٥/١ ، ومعلوم أن من شروط النصب بإذن – فوق ما ذكر – ألا يفصل بينها وبين الفعل بفاصل ، إلا أن يكون قسما ، كما هنا ، وكما في قوله :

إذن والله نرميَهم بحرب تشيب الطفل من قبل المشيب

راجع شرح التصريح علي التوضيح ٢٣٥/٢ ، وشرح الأشموني علي الألفية ٢٨٩/٣

والكتائِبُ : جَمْعُ كتيبةٍ ، وهي الجَيْشُ .

والمَوْرُ : الاضْطِرابُ ، والحركَةُ ، ذَهاباً ومَجِيئاً .

ورِجْلُ الجَرادِ ، بكسرِ الراء : القِطْعةُ منه ، التي قَوِيَ بعضُها ببعض .

و « حافَتَيْها » منصوبٌ علي الظَّرْف .

والأَسَلُ : الرِّماحُ ، واحِدَتُها أَسَلَةٌ .

أي كَتائبَ في جانِبَيْها الرِّماحُ .

والدَّوِيُّ : الصَّوتُ ليس بالعالي ، كصَوْتِ النَّحْلِ والرِّيحِ .

والغِطْرِيفُ : السَّيِّدُ .

والثُّلَّةُ : القِطْعَةُ الكبيرةُ مِن الضَّأن ، ولا تكون من المَعَز ، إلا أن تكونَ في جُمْلَةِ الضَّأن ، فيَنْسَحِبَ عليها الاسمُ .

يريد : لم تكن أُمُّهُ أَمَةً ؛ لأَنَّ الحَرائرَ ، كانوا يَصُونُونَهُنّ عن الرَّعْيِ ، وكان عندَهم عاراً .

وقولُ مُعاويةَ : « أنا ابنُ هِنْدٍ » نَفَي عن نَفْسِهِ أن يكون ابنَ أَمَةٍ ؛ لأَنَّها مِن حَرائرِ قُرَيْشٍ ، وإنَّ ابنَ الزُّبير يَعْرِفُها .

وذِرْوَةُ السَّنامِ : أعلاه .

والعُنْفُوانُ : أوَّلُ الشيءِ ، ووَزْنُه : فُعْلُوانٌ ، من اعْتَنَفَ الشيءَ : إذا ابْتَدأه .

والمَكْرَعُ : المَوْرِدُ الذي يُشْرَبُ منه ، وحقيقتُه مَوْضِعُ الكَرْعِ ، وهو أن يُشرَبَ الماءُ بالفَمِ ، بغيرِ يدٍ ، ولا إناءٍ ، ولا يكونُ غالباً إلاَّ مِن ماءٍ كثيرٍ .

والفِلْذَةُ : القِطْعَةُ من الكَبِد .

والرَّنْقُ بالسُّكون : الماءُ الكَدِرُ ، وبالتَّحريك : مصدرُ رَنِقَ الماءُ يَرْنَقُ ، فهو رَنِقٌ ، وأرنَقْتُه أنا : أي كدَّرتُه .

والطَّرْقُ : الماءُ الذي طَرَقَتْه الدَّوابُّ ، أي خاضَتْه ، وبالَتْ فيه ، فتغيَّر ، واصْفَرَّ ، تسميةً بالمصدرِ ، يقال : طَرَقت الإبلُ الماءَ طَرْقاً ، وهو مَطْرُوقٌ .

ضَرب معاويةُ ذلك ، مَثَلاً لِعزِّه وشَرَفِه ، وشِدَّةِ بأسِه ، وأنه نال أشْرَفَ المراتبِ ، وأعلاها ، ومَلَك صافِيَها ، ولتَخَلُّفِ غيرِه ، وقُصُورِه عنه ، وهو رَدٌّ لقولِ ابن الزُّبَير .

يُريد : إنَّ الذي أوعَدْتَ به أن تَفْعَلَه ، قد سَبَقْتُك إليه ، وفعلتُه ، وبلَغْتُ الغَرَض منه .

حديثٌ آخَرُ
لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه

أَنَّه خَطَب في اليومِ الذي قُتِلَ فيه ، فحَمِد اللهَ ، وأثْنَي عليه ، ثم قال : أيُّها النَّاسُ إنَّ الموتَ قد تَغَشَّاكم سَحابُه ، وأحْدَق بكم رَبابُه ، واخْلَوْلَقَ بعدَ تَفَرُّقٍ ، وارْجحَنَّ بعد تَبَسُّقٍ ، وهو مُنْصاحٌ عليكم بِوابِلِ البَلايا ، تَتْبَعُها المَنايا ، فاجْعَلُوا السُّيوفَ للمَنايا فُرَضاً ، ورَهيشَ الثَّري غَرَضاً ، واستَعِينُوا علي ذلك بالصَّبْرِ ، فإنَّه لن تُدْرَكَ مَكْرُمَةٌ مُونِقَةٌ ، ولا فَضِيلَةٌ سابِقَةٌ ، إلاّ بالصَّبْر .

* * *

أخرجه الخَطَّابيُّ(١)، والزمخشريُّ (٢) ، وهو مِن حديث هِشام بن عُرْوة بن الزُّبَير ، عن أبيه .

شَرْحه

السَّحابُ : الغَيْمُ ، واحدتُه سَحابةٌ ، ويُجْمَع علي سُحُبٍ ، وسَحائبَ ، ويُذكَّرُ السَّحابُ ، ويؤنَّثُ ، علي اللَّفظِ والمعنَي ، كقوله تعالي في التذكير : ﴿ والسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ﴾ (٣) وكقوله في التأنيث : ﴿ ويُنْشِيءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ (٤) .

---

(١) غريب الحديث ٥٦٦/٢ .

(٢) الفائق ٣١/٢ ، ٣٢

(٣) سورة البقرة ١٦٤

(٤) سورة الرعد ١٢ ، ووجه التأنيث هنا ذكره الزمخشري ، قال : « السحاب : اسم للجنس ، والواحدة سحابة ، والثقال : جمع ثقيلة ؛ لأنك تقول : سحابة ثقيلة ، وسحاب ثقال ، كما تقول : امرأة كريمة ونساء كرام . الكشاف ٣٥٣/٢

والرَّبابُ من السَّحاب : ما تَدانَي منه ، فرُئِيَ كالمُتعلِّق به ، واحدتُه رَبابَةٌ .

وقال الجوهريُّ : هو سَحَابٌ أبْيَضُ ، وقد يكون أسْوَدَ [١] .

والإربابُ : الدُّنُوُّ مِن الشَّيء ، وأربَّتِ السَّحابةُ : إذا دامَتْ .

والإحْداقُ : الإحاطَةُ بالشيء مِن جَوانِبِه ، فاستعار للموتِ التَّغشِّيَ ، والإحداقَ ، مُضافَيْن إلي السَّحابِ والرَّباب ؛ لأنه يأتي الخَلْقَ مِن فَوْقِهم ، وعند جَوانِبِهم ، وهو مأخوذٌ مِن قوله تعالي : ﴿ وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [٢] .

واخْلَوْلَقَ : أي اجْتَمَع ، وتَهيَّأ للمطر ، يقال : فُلانٌ خَلِيقٌ لكذا ، وبكذا : أي جَدِيرٌ به ، وقد خَلُقَ لذلك ، بالضَّمِّ ، خَلاقَةً ، كأنَّه مِمَّن يُقَدَّرُ فيه ذلك ، وتُرَي فيه مَخايِلُه .

قال الجوهريُّ : « اخْلَولَقَ السَّحابُ : أي اسْتَوَي ، وصارَ [٣] خَلِيقاً للمطر » وهو افْعَوْعَلَ منه .

وخَلاقَةُ المَطَر في السَّحاب : علامَتُه .

وارْجَحَنَّ : ثَقُلَ حتَّي مالَ لِثقَلِه ، وهو مِن الرُّجْحانِ ، مُلْحَقٌ باقْشَعَرَّ ، بزيادة النُّونَيْن ، قاله الزمخشريُّ ، وأورده الجوهريُّ في حرفِ النُّون ، علي أنَّها أصليَّة .

---

(١) عبارة الجوهري في الصحاح : « الرباب ، بالفتح : سحاب أبيض ، ويقال : إنه السحاب الذي تراه كأنه دون السحاب ، قد يكون أبيض ، وقد يكون أسود » .

(٢) سورة إبراهيم ١٧

(٣) عبارة الجوهري في الصحاح : « ويقال : صار خليقا للمطر » .

والتَّبَسُّق : تَفَعُّلٌ مِن بَسَقَ ، فهو باسِقٌ : إذا ارْتَفَع وطالَ ، ومنه قولُه تعالي : ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ﴾ [١] .

أي ثَقُلَ السَّحَابُ ، بعدَ عُلُوِّه .

وانْصَاحَ : مُطاوِعُ صاحَهُ يَصُوحُه : إذا شَقَّه .

يعني أنه مُنْفَتِقٌ عليكم بوابِلٍ ، قال عَبِيدُ بن الأَبْرَص ، في صِفة السَّحاب :

فَسَحَّ أعلاه ثم ارْتَجَّ أسْفَلُهُ   وضاقَ ذَرْعاًبَحْملِ الماءِمُنْصاحِ[٢]

هكذا شرحه الزمخشريُّ ، وقال : ذكره الهرويُّ ، في الضَّادِ والخاء المعجمتين ، وهو تصحيفٌ مُنْكَرٌ [٣] .

قلت : الذي ذكره الهرويُّ ، هو أنَّه قال [٤] : « يقال : انْضاخَ الماءُ ، وانْضَخَّ : إذا انْصَبَّ ، ومثله في التقدير : انْقاضَ الحائطُ ، وانْقَضَّ : إذا سَقَطَ » ، وكذلك ذكره الخَطّابيُّ ، ولم أجدْ انْضاخَ في شيءٍ من كُتُب الُّلغة ، إلاّ أنَّ الأزهريَّ قال في مُضاعَفِ الخاءِ ، من التَّهذيب : الضَّخُّ مثلُ النَّضح [٥] ، وقد ضَخَّه ضَخًّا : إذا نَضَحه

---

(١) الآية العاشرة من سورة ق .

(٢) ديوان عبيد ص ٣٥ ، وينسب أيضا إلي أوس بن حجر ، ديوانه ص ١٦ ، وجاء في المنال : « فانصاح » ، وأثبت ما في الديوانين ، والفائق .

(٣) الذي في الفائق المطبوع ، بعد إنشاد البيت : « ومنضاخ ، بالضاد والخاء المعجمتين تصحيف منكر » ولم يزد الزمخشري علي هذا ، كما أنه لم يذكر الهروي .

(٤) ورواه : « منضاخ » لم وذكره في ترجمة (ضوخ) من الغريبين .

(٥) الذي في التهذيب ٦/٥٥١ « النضخ » بالخاء المعجمة ، وهو مثل النضح ، بالحاء المهملة ، إلا أنه بالمعجمة أبلغ . قاله في المصباح .

بالماء ، وحَكَى عن اللَّيث أنَّ المِضَخَّةَ قَصَبةٌ في جَوْفِها حَشَفَةٌ يُرْمَي بها الماءُ مِن الفَم .

فإن صَحَّت روايةُ حديث ابنِ الزُّبير ، بالضادِ والخاءِ المعجمتين ، فيكون ما شرحه الهرويُّ ، والخَطَّابيُّ ، صَحِيحاً في القياسِ ، واللهُ أعلمُ .

والوابِلُ : المطرُ الشَّديدُ .

والبَلايا : جَمْع بَلِيَّةٍ ، وهي الشَّدائدُ ، والمصائبُ النَّازِلةُ بالنَّاسِ ، التي يُبْتَلُون بِها ، فاستعار لها وابلَ المطرِ ، دليلاً علي كثرتِها .

والمَنايا : جَمْع مَنِيَّةٍ ، وهي الموتُ .

والفُرَضُ : جَمْعُ فُرْضَةٍ ، وهي طريقٌ يُنْحَدَرُ منه إلي نَهْرٍ ، أو وادٍ ، وهي كالمَشْرَعةِ .

يقول : صِلُوا إلي مَنايَاكم بالسُّيوفِ ، واجْعَلُوها طُرُقاً إليها ، يُحَرِّضُهم علي القَتْلِ والشَّهادة .

والرَّهِيشُ : المُنْثالُ مِن التُّراب ، من الارْتِهاشِ ، وهو الاضطرابُ .

والثَّرَي في الأصل : التُّرابُ النَّدِيُّ ، ثم أُطْلِقَ علي كلِّ تُرابٍ .

وأراد برَهِيشِ الثَّرَي ، القَبْرَ .

والغَرَضُ : المَقْصِدُ الباعثُ علي الفِعْلِ .

أي اجْعَلُوا غايتكم ، ومَرْقِي هِمَّتِكم ، الموتَ الذي تَصِيُرون به إلي القَبْرِ .

وقيل : أرادَ لُزومَ الأرضِ ، والمُقاتَلَةَ على الأَرْجُل ؛ لئلاّ يُحَدِّثُوا أنفُسَهم بالفِرار ، وكذلك يَفْعلُ الشُّجاعُ إذا اضْطُرَّ ، نَزَل عن دابَّتِه ، واستَقْتَلَ لعَدُوِّه ، وكان ذلك عادةً معروفةً ، لشُجْعانِهم وأَبْطالِهم [١] .

---

(١) بحاشية الأصل : « بلغت القراءة على مصنفه والحمد لله » .

حديث
عمرو بن العاص السَّهْمِيّ

أنه دخل عليه معاويةُ ، وهو عاتِبٌ ، فقال : إنَّ العَصُوبَ يَرْفُقُ بها حالِبُها ، فَتَحْلُبُ العُلْبَةَ ، فقال : أجَلْ ، ورُبَّما زَبَنَتْهُ فدَقَّتْ فاهُ ، وكفَأَتْ إناءَه ، أما واللهِ ، لقد تلافَيْتُ أمْرَكَ ، وهو أشَدُّ انْفِضاجاً مِن حُقِّ الكَهدَلِ ، فما زِلْتُ أرُمُّه بِوَذائِله ، وأصِلُه بِوَصائلِه ، حتَّي تركتُه علي مِثْلِ فَلْكَةِ المُدِرِّ .

وفى روايةٍ : أتيتُك مِن العِراقِ ، وإنَّ أمْرَك كَحُقِّ الكَهْوَلِ ، أو كالجُعْدُبَةِ ، أو كالكُعْدُبَةِ ، أو كالحَجاةِ ، في الضَّعْفِ ، فما زِلْتُ أُسْدِي وأُلْحِمُ ، حتَّي صارَ أمرُكَ كفَلْكَةِ الدَّرَّارَة ، وكالطِّرافِ المُمَدَّدِ

★ ★ ★

أخرجه الزمخشريُّ تامًّا (١) ، وأخرج القُتَيْبيُّ (٢) الرِّوايةَ الأولي ، وأخرج الخَطَّابيُّ (٣) بَعْضَها ، وأسْقَطَ طَرَفًا من أوَّلِهِ .

شرحه

الأصلُ في العاصِ : العاصِي ، وهو اسم فاعِلٍ من العِصْيان (٤) ،

---

(١) الفائق ٢/٤٤٠ ، ٤٤١

(٢) غريب الحديث ٢/٣٧٦ — ٣٧٨

(٣) غريب الحديث ٢/٤٩٠ .

(٤) نقل الحافظ ابن حجر ، في ترجمة العاصي بن وائل السهمي ، والد عمرو ، رضي الله عنه ، من تبصير المنتبه ص ٨٨٩ ، قال : « قال النحاس : سمعت الأخفش =

فحُذِفَت الياءُ لكثرةِ الاستعمال ، حتي صار الفَرْعُ أكثرَ استعمالاً مِن الأصلِ .

والسَّهْمِيُّ : منسوبٌ إلي سَهْمِ بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ابن لُؤَيّ بن غالِب .

والعَصُوبُ : النَّاقةُ التي لا تَدُرُّ عندَ الحَلَب ، حتي يُعْصَبَ فَخِذاها ، أي يُشَدَّان ، والعَصْبُ : الشَّدُّ ، ومنه عِصابةُ الرَّأسِ .

والعُلْبَةُ : إناءٌ كبيرٌ ، يُحْلَبُ فيه ، وأكثر ما يكونُ من الخَشَب .

والزَّبْنُ : الدَّفْعُ ، أي تَدْفَعُ حالِبَها برِجْلِها .

فتَدُقُّ فاه : أي تَكْسِرُه .

وتَكْفَأُ إناءَه : أي تَقْلِبُه ، وتُبَدِّدُ ما فيه ، يقال : كَفَأْتُ الإناءَ : إذا كَبَبْتَه وقَلَبْتَه ، فهو مَكْفُوءٌ ، وأكْفأتُه ، لُغةٌ فيه .

= يقول : سمعت المبرد يقول : هو العاصي بالياء ، لا يجوز حذفها ، وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة ، يعني أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها ، والمبرد لم يخالف النحويين في هذا ، وإنما زعم أنه سمي العاصي ؛ لأنه اعتصي بالسيف ، أي أقام السيف مقام العصا ، وليس هو من العصيان . كذا حكاه الآمدي عنه .

قلت [أي ابن حجر] : وهذا إن مشي في العاصي بن وائل ، لكن لا يطرد ؛ لأن النبي ﷺ غيّر اسم العاص بن الأسود ، والد عبد الله ، فسماه مطيعا ، فهذا يدل علي أنه من العصيان ، وقال جماعة : لم يسلم من عصاة قريش غيره ، فهذا يدل لذلك أيضا » .

وانظر النهاية ٣/٢٥١

والتَّلافِي : التَّدارُكُ ، يقال : تَلافَيْتُ أمرَكَ : إذا أصلحتَه بعدَ فَسادِه ، وقد بَقيتْ منه بقيَّةٌ .

والانْفِضاجُ : الاستِرْخاءُ ، يقال : انْفَضجَ بَطْنُه : إذا استَرْخي ، وانْفَضَجت القَرْحةُ : إذا انْفَرجتْ .

والكَهْدَلُ ، والكَهْوَلُ ، بوزن الأحمر : العَنْكَبُوت .

وحُقُّها : بَيْتُها ، وقيل : الكَهْدَلُ : العَجُوزُ ، وحُقُّها : ثَدْيُها .

وقيل : هو ضَرْبٌ مِن الكَمْأة ، وحُقُّه : بَيْضَتُه .

قال القُتَيبيُّ : أمَّا حُقُّ الكَهْدَلِ ، فلم أسمع فيه شيئاً مِمَّن يُوثَقُ بعِلْمِه ، وبلغني أنه بيتُ العَنْكَبُوت ، ويقال : إنَّه ثَدْيُ العَجُوز .

وقال الخَطَّابيُّ : قال أبو عمر - يعني الزاهِدَ - الكَهْدَلُ تصحيفٌ ، وإنما هو الكَهْوَلُ ، رواه ثَعْلَبٌ ، عن الشَّيْبانيّ (١) .

قلت : والذي جاء في كتاب الأزهريّ (٢) ، والهَرَوِيّ ، مَضْبوطاً : « حُقُّ الكَهُولِ » ، بفتح الكافِ ، وضَمّ الهاء .

وبِبَيْتِ العنكَبُوتِ يُضْرَبُ المَثَلُ في الوَهْنِ والضَّعْفِ (٣) ، قال اللهُ تعالي : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ (٤) .

---

(١) الشيباني هنا : يراد به عمرو بن أبي عمرو ، ويستحيل أن يراد به « أبو عمرو » وهو إسحاق بن مرار ، إذ كان هذا قد توفي سنة (٢٠٦) ، وثعلب ولد سنة (٢٠٠) وقد سمع أبو العباس ثعلب من عمرو كتبَ أبيه ، وبخاصة كتاب النوادر . راجع إنباه الرواة ٣٦٠/٢ ، ومعجم الأدباء ١١٩/٥ ، وكذلك جاء في غريب الخطابي ٤٩٠/٢ ، ولم يكن طبع وقت كتابة هذه الحاشية .

(٢) تهذيب اللغة ٢١/٦

(٣) راجع ثمار القلوب ص ٤٣٢

(٤) سورة العنكبوت ٤١

والوَذائِلُ : سَبائكُ الفِضَّةِ ، واحِدتُها : وَذِيلَةٌ .

والوَصائِلُ : ثِيابٌ حُمْرٌ ، مُخَطَّطةٌ ، يَمانِيَةٌ [١] ، واحِدَتُها : وَصِيلَةٌ .

والرَّمُّ : الإصْلاحُ ، وجَمْعُ المُتفَرِّقِ ، يقال : رَمَّه يَرُمُّه رَمًّا .

يريدُ أنّه زَيَّنَه ، وحَسَّنه ، كما تُزَيَّنُ المرأةُ بالوَذائِلِ والوصَائِلِ .

وقيل : أراد بالوَذائِلِ جَمْعَ وَذِيلَةٍ ، وهي المِرْآةُ ، بلُغَةِ هُذَيْلٍ [٢] ، وبالوَصائِلِ : جَمْعَ وَصِيلَةٍ ، وهي الصِّلَةُ ، والعَطِيَّةُ ، أو ما يُوصَلُ به الشَّيءُ ، فيكونُ قد مَثَّلَ آراءَه التي كان يُشيرُ بها علي معاوية ، بالمَرايَا التي يَرَي فيها وُجُوهَ صَلاحِ أمرِهِ ، واستقامةِ مُلْكِه ، وأنه ما زال يلُمُّ شَعَثَه ، ويَجْمعُ مُتفَرِّقَهُ ، بالآراءِ الصائبةِ ، والتَّدابيرِ

---

(١) كذا في الأصل بتخفيف الياء ، وهو الأشهر ، ويجوز التثقيل . قال في المصباح ، بعد أن تحدث عن اليمن : « والنسبة إليه يمني ، علي القياس ، ويمانٍ ، بالألف ، علي غير قياس ، وعلي هذا ففي الياء مذهبان ، أحدهما – وهو الأشهر – تخفيفها ، واقتصر عليه كثيرون ، وبعضهم ينكر التثقيل ، ووجهه أن الألف دخلت قبل الياء لتكون عوضا عن التثقيل ، فلا يثقل ؛ لئلا يجمع بين العوض والمعوَّض عنه ، والثاني : التثقيل ؛ لأن الألف زيدت بعد النسبة ، فيبقي التثقيل الدالّ علي النسبة ، تنبيها علي جواز حذفها » .

(٢) وردت « الوذيلة » في شعر أبي كبير الهذلي ، قال :

وبياضُ وجهٍ لم تَحُلْ أسرارُه مثلُ الوَذيلة أو كشَنْفِ الأنْضَرِ

لكن جاء في شرح أشعار الهذليين ص ١٠٨٢ ، أن الوذيلة سبيكة الفضة ، وليست المرآة ، كما ذكر المصنف أن هذا معناها في لغة هذيل .

وقد أنشد الزمخشري بيت أبي كبير هذا ، في الفائق ، شاهدا علي أن الوذيلة هي المرآة ، لكنه جمع بين المعنيين في الأساس (وذل) ، فقال : « وهي المرآة ، أو القطعة من الفضة » . ثم أنشد بيت أبي كبير .

السَّدِيدَةِ ، التي يُحْفَظُ المُلْكُ بِمِثْلها ، ويَصِلُه بما يَجِبُ أن يُوصَلَ به ، من المَعَاوِنِ والمُظاهَراتِ [١] ، التي لا غِنَي به عنها .

والمُدِرُّ : الغَزَّالُ ، والدَّرَّارَةُ : المِغْزَلُ ، وأدَرَّ مِغْزَلَه ، يُدِرُّه : إذا أدارَهُ بشِدَّةِ الفَتْلِ .

ضَرَبَ فَلْكَةَ الغَزَّالِ مَثَلاً لاسْتِحكامِ أمْرِهِ ، بَعْدَ استِرْخائِه ؛ لأنَّ الغَزَّالَ لا يَزالُ يُحكِمُ فَلْكَةَ مِغْزَله ، ويُثْبِتُها ؛ لأنَّها إذا قَلِقَتْ ، لم تَدُرِ الدَّرَّارَةُ ، وثَباتُها أن تَنْتَهيَ إلي مُسْتَغْلَظِ المِغْزَلِ .

وقال القُتَيبيُّ : المُدِرُّ : الجارِيةُ إذا فَلَّكَ ثَدْياها ، ودَرَّ فيهما الماءُ ، والحامِلُ إذا دَرَّ لَبَنُها : مُدِرٌّ ، أيضاً .

وفَلْكَةُ الثَّدْيِ : حَلَمتُه .

يقول : كان أمرُكَ ساقِطاً ، مُسْتَرْخِياً ، فأقَمْتُه حتَّي صار كأنَّه حَلَمةٌ في ثَدْيٍ قد أَدَرَّ .

واختار الأزهريُّ [٢] القولَ الأوّلَ ، وقال : هو أشْبَهُ بمعني الحديث ، مِمَّا ذهب إليه ابنُ قُتيبة ؛ لأنّ الفَلْكَةَ ، إذا انْتهتْ إلي مُسْتَغْلَظِ المِغْزَل ، ثَبتتْ ثَباتاً لا يُزَعْزِعُه شيءٌ ، إلاّ أنَّ مَن فَسَّر حُقَّ الكَهُولِ ، بثَدْيِ العَجُوزِ ، كان ما ذكره القُتَيْبيُّ ، أشْبَهَ به .

---

(١) في الفائق : « والموازرات » . وهذا الكلام كله مسلوخ منه .

(٢) تهذيب اللغة ٦٢/١٤ ، ولم يذكر الأزهري في هذا الموضع من التهذيب ، تفسير ابن قتيبة ، لكنه اكتفي بقوله : « وذكر القتيبي هذا الحديث فأخطأ في لفظه ومعناه » ولم يزد علي ذلك شيئا مما حكاه عنه المصنف .

والجُعْدُبَةُ ، والكُعْدُبَةُ : هما بيتُ العَنْكَبُوت .

والحَجَاةُ ، بوَزْنِ القَطاةِ : نُفَّاخَةُ الماءِ ، التي تَعْلُوه مِن وَقْعِ المَطَرِ ، وجَمْعُها : حَجيً .

وقيل : إنَّ الجُعْدُبَةَ ، والكُعْدُبَةَ : النُّفَّاخَةُ ، أيضاً .

والطِّرافُ : بَيْتٌ مِن أَدَمٍ .

والمُمَدَّدُ : المُطَنَّبُ .

حديثٌ آخَرُ
لعمرو بن العاص

ذكَرَ عُمَرَ بنَ الخطّاب ، فقال : إنَّ ابنَ حَنْتَمَةَ بَعَجَتْ له الدُّنْيا مِعاهَا ، وألْقَتْ إليه بأفلاذِ كَبِدِها ، ونَقَتْ له مُخَّتَها ، وأطْعَمته شَحْمتَها ، وأمْطَرَتْ له جَوْداً ، سالَ منه شِعابُها ، ودَفَقَتْ في مَحافِلِها ، فَمَصَّ منها مَصًّا ، وقَمَصَ منها قَمْصاً ، وجانَبَ غَمْرَتَها ، ومَشَي ضَحْضاحَها ، وما ابْتَلَّتْ قَدَماهُ ، ألَا كذلك أيُّها النَّاسُ ؟ قالوا : نَعَمْ ، رَحِمه اللهُ .

* * *

أخرجه القُتَيْبِيُّ (١) ، من حديث حَكِيم بن هِشام ، بإسناده عن عمرٍو ، وأخرجه الزمخشريُّ (٢) مِثْلَه .

شرحه

ابن حَنْتَمة : هو عمر بن الخطَّاب ، وحَنْتَمَةُ : أُمُّه ، وهي بنتُ هاشِم بن المُغِيرة المَخْزومِيّ ، مُسَمَّاةً بالحَنْتَمةِ ، وهي الجَرَّةُ المَدْهُونةُ مِن الخَزَفِ ، وأكثرُ ما تُطْلَقُ علي الخُضْرِ منها ، وجَمْعُها حَنْتَمٌ ، وحَناتِمُ ، ويُقال للسَّحائبِ السُّودِ : حَناتِمُ ؛ لأنَّ السَّوادَ عِنْدَهم خُضْرَةٌ .

والبَعْجُ : الشَّقُّ ، وقد بَعَجَ بَطْنَه يَبْعَجُها (٣) .

---

(١) غريب الحديث ٢/٣٧٠

(٢) الفائق ١/٣٢٥ ، ٣٢٦

(٣) الفعل من باب منع ، علي ما في القاموس .

والمِعَي [١] ، بالكسر والقَصْر : واحدُ الأمعاءِ ، وهي المصارِينُ .

والمعنى : أنَّ الدُّنيا أظهَرتْ له ، وكشَفَتْ عمَّا كان فيها مَخْبُوءاً مِن غيره .

والأفْلاذُ : جَمْعُ فِلْذٍ ، وهو القِطْعةُ مِن الكَبِد .

والإلْقاءُ : الإعطاءُ ، والرَّمْيُ ، يقال : ألقيْتُ إليه كذا ، وبكذا ، ومنه قولُه تعالي : ﴿ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَي التَّهْلُكَةِ ﴾ [٢] وقولُه : ﴿ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [٣] .

وكَنَي بأفْلاذِ الكَبِد عن كُنُوزِ الدُّنْيا ، وأموالِها ، وهم كثيراً ما يَكْنُون عن المالِ بالكَبِد ، ومنه تأويلُ عابرِ الرُّؤيا ، في الكَبِد ، أنَّها مالٌ مَدْفُونٌ . وأراد به ما فَتَح اللهُ علي المسلمين ، في خِلافتِه ، مِن الأمصارِ ، وأفاء عليهم من الأموالِ .

والمُخَّةُ : أخَصُّ من المُخِّ ، وهو الذي يكونُ في داخِلِ العَظْمِ ، ورُبَّما سَمَّوا الدِّماغَ مُخًّا ، وخالِصُ كلِّ شيءٍ : مُخُّه .

---

(١) رسم في الأصل : « المعا » ، بالألف ، وحق كتابته بالياء ، كما في المنقوص والممدود للفراء ص ٣٣ ، والمقصور والممدود لابن ولاد ص ١٠٥ ، والفائق ٣٧٤/٣

(٢) سورة البقرة ١٩٥

(٣) سورة الانشقاق ٤ ، وجاء في الأصل هكذا : « ألقت » بإسقاط الواو قبل الفعل ، وهو وجه جائز في الاستشهاد ، حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوهما ، في أول الاستشهاد ، ذكر ذلك شيخي عبد السلام هارون في حواشي الحيوان ٥٧/٤ ، ومجالس ثعلب ٥٥٥/٢ ، وحكي عن المحدث الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر ، رحمه الله ، أن الإمام الشافعي رضوان الله عليه – ولغته حجة – جري علي هذا النحو في ثلاثة مواضع من « الرسالة » ، وانظرها ص ٢٣١ ، ٣٦١ (مرتين) . وكتاب سيبويه ٨٣/٢ .

ونَقَيْتُ العَظْمَ ، وانْتَقَيْتُه : إذا استَخْرَجْتَ نِقْيَه ، وهو مُخُّه ، والنِّقْيُ أيضاً : شَحْمُ العَيْنِ .

والشَّحْمَةُ : أَخَصُّ مِن الشَّحْمِ ، كالتَّمْرةِ ، مِن التَّمْرِ . وأرادَ به السَّمينَ ، فكَنَي به عن خالِصِها وجَيِّدِها .

والجَوْدُ ، بفتح الجيم : المَطَرُ الواسِعُ ، الغَزيرُ ، وقد جادَ السَّحابُ الأرضَ ، يَجُودُها جَوْداً .

والشِّعابُ : الأَوْدِيَةُ ، جَمْع شِعْبٍ ، بالكسر .

ولم يُلْحِق « سالَ » التَّاءَ ؛ للفَصْلِ بينَه وبينَ « الشِّعاب » ؛ بلَفْظَةِ « منه » ، علي أنَّ جَمْعَ التكسير ، يستوي في فِعلِه دخولُ التاءِ ، وخُروجُها ، تقول : قام الرِّجالُ ، وقامت الرجالُ ، وقال النِّساءُ ، وقالت النِّساءُ .

والمَحافِلُ : جَمْع مَحْفِلٍ ، وهي المواضعُ التي يَحْتَفِلُ فيها الماءُ : أي يَجْتَمعُ ، ويَكْثُرُ ، وبه سُمِّيَ مَحْفِلُ النَّاسِ ، وهو مُجْتَمَعُهم .

وقوله : « فَمَصَّ منها مَصًّا » أي نالَ منها اليسيرَ ، علي كثرةِ ما أُعْطِيَ منها ، كما يَمَصُّ شاربُ الماءِ .

والقَمْصُ : النُّفُورُ ، والإعراضُ ، وقد قَمَصَتِ الدابَّةُ قَمْصاً وقِماصاً : إذا نَفَرتْ .

وجانَبَ غَمْرَتَها : أي تَرَكَ كَثْرَتَها جانِباً ، ولم يُقْبِلْ علَيْها .

والضَّحْضاحُ : مارَقَّ مِن الماءِ ، علي وَجْهِ الأرضِ .

ونَصَب « ضَحْضاحَها » على تأوُّلِ « مَشَى » بِسَلَكَ ، وخاضَ ، ونحوِهما ، ممَّا يتعدَّى بنَفْسِه ، أو علَى حَذْفِ الجارِّ ، وإيصالِ الفِعْل (١) .

وقوله : « وما ابْتلَّتْ قَدَماهُ » أي لم يتَعلَّقْ منها بشيء .

(١) هذا من كلام الزمخشرى ، في الفائق .

حديث
معاوية بن أبي سفيان الأمويّ

خَطَب معاويةُ الناسَ ، فقال : لو أنّ أبا سُفيانَ ولَدَ الناسَ كلَّهم ، كانوا أكْياساً .

فوثَبَ إليه صَعْصَعَةُ بنُ صُوحانَ ، فقال : قد ولَدَ الناسَ كُلَّهم مَن هو خيرٌ من أبي سُفيانَ ؛ آدَمُ عليه السَّلامُ ، فمنهم الأحْمَقُ ، والكَيِّسُ .

فقال معاويةُ : عبادَ اللهِ ، اتَّخِذُوا اللهَ وَليًّا ، وخُلَفاءَه جُنَّةً ، تَحْترِزُوا بِها .

فقال له صَعْصَعَةُ : كَيْفَ وكَيْفَ ، وقد عُطِّلَتِ السُّنَّةُ ، وأُخْفِرَت الذِّمَّةُ ، فصارَتْ عَشْواءَ مُطْلَخِمَّةً ، في دَهْياءَ مُدْلَهِمَّةٍ ، قد استوعَبَتْها الأحداثُ ، وتمكَّنَتْ منها الأَنْكاثُ .

فقال له معاويةُ : واللهِ يا صَعْصَعَةُ ، لَأَنْ تُقْعِيَ علي ظَلْعِك ، خيرٌ لك مِمَّن استبْرأ رأيَكَ ، وأبْدَي ضَعْفَك - يُعَرِّضُ بالحَسَنِ بن عليٍّ - ولقد هَمَمْتُ أن أبعثَ إليه .

فقال له صَعْصَعَةُ : إنِّي واللهِ وجَدْتُهم أكْرَمَكم جُدُوداً ، وأحْياكُم خُدُوداً ، وأوْفاكُم عُهُوداً ، ولو بَعثْتَ إليه ، لوجَدْتَه في الرَّأيِ أرِيباً ، وفي الأمرِ صَلِيباً ، وفي الكرَمِ نَجِيباً ، يَلْذَعُك بحَرارةِ لسانِه ، ويَقْرَعُك بما لا تستطيعُ إنكارَه .

فقال له معاويةُ : واللهِ لَأُجَفِّيَنَّكَ عن الوِساد ، ولَأُشَرِّدَنَّ بك في البِلاد .

فقال : واللهِ إنَّ في الأرضِ لَسَعَةً ، وإنَّ في فِراقِك لَدَعَةً .

قال معاويةُ : واللهِ لَأَحْبِسَنَّ عَطاءَك .

قال : إن كان ذلك بيدِك فافْعَلْ ، إنَّ العَطاءَ وفضائلَ النَّعماءِ ، في مَلَكُوتِ مَن لا تَنْفَدُ خزائنُه ، ولا تَبيدُ عَطاياه ، ولا يَحيفُ في قَضِيَّتِه .

فقال له معاويةُ : لقد استَقْتَلْتَ .

قال : مَهْلاً ، لم أَقُلْ جَهْلاً ، ولم أستَحِلَّ قَتْلاً ، ولا تُقْتَلُ النَّفْسُ التي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بالحَقِّ ، ومَن قُتِلَ مَظْلُوماً ، كان اللهُ لقاتِلِه مُقيماً ، يُرْهِقُه أَليماً ، ويُجرِّعُه حَميماً ، ويُصْلِيه جَحيماً .

فقال معاويةُ لعمرو بن العاص : اكْفِناهُ .

فقال له عمرو : وما تَجُهُّمُك لسُلْطانِك ؟

فقال له : وَيْلِي عليكَ يا مُؤْوِي مُطَرَّدِي أهلِ الفَسادِ ، ومُعادِيَ أهلِ الرَّشادِ . فسكَتَ عنه عمرٌو .

★ ★ ★

هذا الحديثُ [1] رواه مُجالِدٌ ، عن الشَّعْبِيّ .

---

(١) صدر هذا الحديث في العقد الفريد ٣٦٦/٣ ، ولباب الآداب ص ٣٥٠ ، وتجد ترجمة صعصعة بن صوحان في الاستيعاب ص ٧١٧ ، وأسد الغابة ٢١/٣ ، والاشتقاق ص ٣٢٩ ، ورغبة الآمل ١٩٥/٤ ، ١٣٨/٧

قال ابن عبد البر : « كان مسلما على عهد رسول الله ﷺ ، لم يلقه ولم يره ، صغر عن ذلك ، وكان سيدا من سادات قومه عبد القيس ، وكان فصيحا خطيبا ، عاقلا ، لسنا ، ديّنا ، فاضلا بليغا ، يعد في أصحاب علي ، رضي الله عنه » .

وقد أورد المسعودي كثيراً من مواقفه وكلامه . انظر مروج الذهب ٤٦/٣ — ٥٦

شرحه

معاويةُ : اسمٌ قديمٌ ، تُكْثِرُ العربُ التَّسميةَ به ، في الجاهليَّةِ والإسلام ، وهو مُفاعَلَةٌ مِن عَوَي الكَلْبُ والذِّئبُ ، يَعْوِي عُواءً : إذا صاحَ [١] ، وعاوَت الكَلْبةُ الكِلابَ ، فهي مُعاوِيةٌ : إذا صايَحَتْها .

وليس تَسْميتُهم بهذا الاسمِ ، علي قُبْحِه ، بأقْبَحَ وأكْثَرَ ، مِن تسميتهم بكَلْبٍ وكُلَيْبٍ ، وذِئبٍ وذُؤَيْبٍ .

والأُمَوِيُّ : منسوبٌ إلي أُمَيَّةَ بن عبدِ شَمْسٍ بن عبدِ مَنافٍ .

وأُمَيَّةُ في الأصل : تصغيرُ أَمَةٍ ، وهي ضِدُّ الحُرَّةِ .

وفي النَّسَبِ إليها ثلاثَةُ أوْجُهٍ ، أكثَرُها : أُمَوِيٌّ ، بضمِّ الهمزة ، والثاني : بفَتْحِها ، مع قَلْبِ الياءِ فيهما واواً ؛ استِثْقالاً لاجتِماع اليآت . والثالث : أُمَيِّيٌّ ، تَجْمَعُ بين أربع ياآتٍ ، علي الأصل ، من غير قَلْبٍ .

والأَكْياسُ : العُقَلاءُ ، واحِدُهم : كَيِّسٌ ، من الكَيْسِ : العَقْلِ ، يقال : كاسَ يَكيسُ كَيْساً .

والأَحْمَقُ : ضِدُّه ، وقد حَمُقَ الرجلُ حُمْقاً وحَماقةً .

والوَلِيُّ : المَوْلَي ، والنَّاصِرُ .

والجُنَّةُ : الوِقَايةُ ، وما يُسْتَتَرُ به ، ممّا يَدْفَعُ الأَذَي ، وبه سُمِّيَ التُّرْسُ : جُنَّةً .

---

(١) وقيل : هو من قولهم : تعاوي القوم : إذا تداعوا إلي حرب وغيرها . راجع الاشتقاق ص ٧٥ ، وكله يرجع إلي أصل واحد ، هو الصياح .

وتَعْطيلُ السُّنَّةِ : تَرْكُ العَمَلِ بها .

والذِّمَّةُ : العَهْدُ ، والأَمانُ .

وإخْفارُها : نَقْضُها ، وإبطالُها .

وقوله : « كيفَ وكيفَ » كرَّرَها رَدًّا إلي الجُنَّةِ ، والاحْترازِ مَعاً ، أي كيف نَتَّخذُهم جُنَّةً ، وإن اتَّخذْناها فكيف نَحْترِزُ بها ، مع تَعْطيلِ السُّنَّةِ ، وإخْفارِ الذِّمَّةِ .

والعَشْواءُ : الأمرُ المُلْتَبِسُ ، الذي لا يُهْتَدَي فيه ، يقال : رَكِبَ فُلانٌ العَشْواءَ : إذا خَبَطَ أمرَه ، علي غير بَصيرةٍ ، ولا تبيانٍ ، وأصلُه مِن العَشْوَةِ ، بالفتحِ ، والضَّمِّ ، والكَسْرِ ، وهي ظُلْمَةُ ما بينَ أوَّلِ اللَّيل ، إلي رُبْعِه ، واقْتصَر الجوهريُّ فيها علي الفَتْح .

أو هو مِن العَشا ، مَقْصُوراً ، وهو ألاَّ يُبْصِرَ الإنسانُ في اللَّيلِ ، والرجلُ أعْشَي ، والمرأةُ عَشْواءُ ، فاستُعير لِمَنْ يَركَبُ أمراً يَجْهلُه ، ولا يعرِفُ وَجْهَه .

والمُطْلَخِمَّةُ : السَّوْداءُ المُظْلِمةُ ، يقال : اطْلَخَمَّ الليلُ ، واطْرَخَمَّ .

والدَّهْياءُ : تأكيدٌ للدَّاهِية ، يقال : دَهَتْه داهِيةٌ دَهْياءُ ، ودَهْواءُ ، والدَّهْيُ ، بسُكون الهاءِ : النُّكْرُ ، وجَوْدَةُ الرَّأيِ .

والمُدْلَهِمَّةُ : المُظْلِمةُ ، وقد ادْلَهَمَّت اللَّيلةُ : إذا اشتَدَّ ظَلامُها

والاسْتِيعابُ : أخْذُ الشيءِ ، واستِئْصالُه جَميعِه .

والأَحْداثُ : الأُمورُ التي لم تَجْرِ بِها سُنَّةٌ ، كالبِدَعِ ، واحِدُها : حَدَثٌ ، وهو الأمرُ الحادِثُ ، المُنْكَرُ .

والأَنْكاثُ : جَمْعُ النَّكْثِ ، وهو نَقْضُ العَهْدِ ، والاسمُ منه : النِّكْثُ ، بالكَسْرِ .

والإِقْعاءُ في القُعُودِ : أن يُلْصِقَ الرجُلُ أَلْيَتَيْه [١] بالأرضِ ، ويَنْصِبَ ساقَيْه ، ويَضَعَ يدَيْه علي الأرضِ ، كما يُقْعِي الكَلْبُ .

والظَّلْعُ ، بالظَّاءِ ، وسُكُونِ اللامِ : الضَّعْفُ ، وأَصْلُه العَرَجُ ، يُقال : ظَلَعَ البَعيرُ ، يَظْلَعُ ظَلْعاً : أي غَمَزَ في مِشْيَتِه ، فهو ظالِعٌ .

والاستِبْراءُ : استِفْعالٌ مِن التَّبَرِّيء مِن الشيءِ ، تقولُ : بَرِئْتُ مِن الشيء بَراءةً : أي خَلَصْتُ منه ، واسْتَبْرأْتُ ما عندَك : أي استَوضَحْتُه ، واستَعْلمتُه ، ومنه استِبْراءُ الجاريةِ : أي كشْفُ حالِها ، وتَبْيينُ بَراءةِ رَحِمِها من الحَمْلِ .

والجُدُودُ : جَمْعُ جَدٍّ ، وهو الحَظُّ ، والبَخْتُ .

وخَصَّ الخُدُودَ بالحَياءِ ؛ لأَنَّ الحَياءَ مِن لَوازِمِ الوَجْهِ ، وفيه يَظْهَرُ .

وقوله : « إنِّي وجَدْتُهم » ، وقَبْلَه ذِكْرُ الحسنِ بن عليٍّ ، وَحْدَه : يريدُ أهلَه وعَشيرتَه بني هاشِمٍ .

وقوله : « أكرَمَكم » يريد بني هاشِمٍ ، وبني عبدِ شَمْسٍ ، الذين يَجْمعُهم أبوهم عبد مَنافٍ .

والأَرِيبُ : العاقِلُ ، وأَصْلُه من الإِرْبِ ، وهو الدَّهاءُ ، وقد أَرِبَ ، فهو أَرِيبٌ .

---

(١) بفتح الألف ، وكسرها خطأ ، نص عليه ابن السكيت في إصلاح المنطق ص ١٦٣ ، وذكره أيضا ابن قتيبة ، في أدب الكاتب ص ٤١٣

والصَّلِيبُ : القويُّ الشَّديدُ ، وقد صَلُبَ صَلابةً .

والنَّجِيبُ : النَّفِيسُ ، الجَيِّدُ في جِنْسِهِ ، وقد نَجُبَ نَجابةً .

واللَّذْعُ : إحْراقُ النَّارِ ، فاستعاره لحَرارةِ القَوْلِ ، ورُبَّ قولٍ كان أَلَمُه أشَدَّ مِن لَذْعِ النَّارِ .

والتَّقْرِيعُ : التَّعنِيفُ ، والتَّوبيخُ .

والوِسادُ : جمع وِسادَةٍ ، وهي المِخَدَّةُ ، وقد يُطْلَقُ علي الفِراش .

وجَفا عن الشيء : إذا ارْتَفَع عنه ، وأَجْفَيْتُه أنا ، وجَفَّيْتُه ، بالتَّشديد للتَّكثير .

يُرِيدُ : لأَفْعَلَنَّ بِك ما يَمْنَعُك مِن النَّوم علي الوِسادِ ، وشَدَّدها لِيُطابِقَ : أُشَرِّدَنَّ .

والتَّشْرِيدُ : الطَّرْدُ ، والتَّفْرِيقُ ، والتَّبْدِيدُ ، والشَّرِيدُ : الطَّرِيدُ ، يُقال : شَرَّدْتُه ، وشَرَّدْتُ به ، ومنه قولُه تعالي : ﴿ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ﴾ (١) ، إلاّ أنّ الباءَ في الآية للتَّعْدِيةِ ، وهي بمعني الآلة ، وهي في هذا الحديثِ زائدةٌ ، للتَّعديةِ وَحْدَها .

والدَّعَةُ : السُّكُونُ ، والطُّمأْنينة ، وخَفْضُ العَيْشِ ، والهاءُ عِوَض من الواوِ المحذوفةِ ، وقد وَدُعَ دَعَةً ، فهو وَدِيعٌ .

والعَطاءُ : يريدُ به ما كان يَخُصُّه مِن القَرارِ في بيتِ المالِ .

---

(١) سورة الأنفال ٥٧

والمَلَكُوتُ : فَعَلُوتٌ مِن المُلْكِ ، كالجَبَرُوتِ ، من الجَبْرِ ، والرَّهَبُوتِ ، من الرَّهْبةِ .

وباد الشيءُ يَبِيدُ : إذا هَلَكَ ، وانْقَرَضَ .

والحَيْفُ : الجَوْرُ .

ومَهْلاً ، ساكنةَ الهاءِ : بمعني تأنَّ ، وارْفُقْ ، وبالتَّحريك : بمعني التَّقدُّمِ . والإرْهاقُ : التَّغْشِيةُ ، والتَّغْطِيةُ ، وأصلُ الإرْهاقِ : الإعجالُ ، وأن تحملَ الإنسانَ علي ما لا يُطِيقُه .

والأَلِيمُ : المؤلمُ ، المُوجِعُ ، كالسَّمِيع ، بمعني المُسْمِع [1] . يريدُ عذاباً أليماً .

والحَمِيمُ : الماءُ الحارُّ .

والجَحِيمُ : مُعْظَمُ النَّارِ ، وكلُّ نارٍ عَظِيمةٍ في مَهْواةٍ ، فهي جَحِيمٌ ، وقد غَلَب في الإسلام علي اسمِ نارِ الآخرةِ .

والإصْلاءُ : الإلقاءُ في النَّارِ ، للإحْراقِ ، يقال : صَلَيْتُه ناراً : إذا أدخلْتَه فيها ، فجعلْتَه يَصْلاها ، وأصْلَيْتُه ، وصَلَّيْتُه : إذا أَلقَيْتَه فيها ليحترِقَ .

---

(١) شاهده عندهم قول عمرو بن معد يكرب :

أمن ريحانة الداعي السميع   يؤرقني وأصحابي هجوع

أي الداعي المسمع .

وهو من قصيدته الشهيرة التي يقول فيها :

إذا لم تستطع شيئا فدعه   وجاوزه إلي ما تستطيع

ديوانه ص ١٣٦ ، وانظر أمالي ابن الشجري ١/٦٤ ، ٢/١٦

والتَّجَهُّمُ : الغِلْظَةُ في القَوْل ، والكُلُوحُ في الوَجْه ، يقال : جَهَمْتُ الرجُلَ ، وتَجهَّمْتُه : إذا كَلَّحْتَ في وَجْهِه ، وعَبَّسْتَ ، ولَقِيتَه بما يَكْرَه .

والمُؤْوِي : مِن آويتُ فُلاناً : إذا ضَمَمْتَه إليك .

والمُطَرَّدُ : المَطْرُودُ ، وشُدِّدَ للمُبالَغَةِ ، كأنَّ الطَّرْدَ تكرَّر عليه .

والرَّشادُ : ضِدُّ الغَيِّ ، يقال : رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْدًا ، ورَشِدَ يَرْشَدُ رَشَدًا [١] ، والاسم : الرَّشادُ .

---

(١) هذا الفعل من باب نصر ، وفرح ، كما في القاموس ، وقال المرتضي الزبيدي عن الأول إنه الأشهر والأفصح . راجع تاج العروس ٩٥/٨ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٨١٥ ، وراجع الكتاب لسيبويه ٣٤/٤ ، ثم انظر قصة طريفة حول هذا الفعل ، في ترجمة الحافظ المزي ، من طبقات الشافعية الكبري ٩/١٠

حديثٌ آخَرُ
لمعاوية بن أبي سفيان

أنه قَدِمَ مكَّةَ ، فذكر ابنَه يزيدَ ، وعَقْلَهُ وسَخاءَه ، وفَضْلَه .

فقال عبدُ الله بنُ الزُّبَير : أما إنَّك قد تركْتَ مَن هو خيرٌ منه .

فقال معاوية : كأنَّك أردتَ نفسَك يا أبا بكر ؟

قال : وإن أرَدْتُها فَمَهْ ؟

قال معاويةُ : إنَّ بيتَه بمكَّةَ فوقَ بيتِك .

قال ابن الزُّبير : إنَّ اللهَ اختارَ أبي ، واختار الناسُ أباه ، فاللهُ الفاصِلُ بيني وبينَه .

قال معاويةُ : هَيْهاتَ ! مَنَّتْكَ نَفْسُك ما ليس لك ، وتَطاوَلْتَ إلى ما لا تنالُه ، إنَّ اللهَ تعالى قد اختار عَمِّي لِدينِه ، واختار الناسُ أبي لِدُنْياهم ، فدَعا عَمِّي أباكَ ، فأجابَه ، ودَعا أبي عَمَّك ، فاتَّبَعَه ، فأين تَجِدُك إلاَّ معي ؟

قال ابنُ الزُّبَير : ذلك لو كنتَ مِن هاشِمٍ .

قال معاوية : دَعْ هاشِماً ؛ فإنَّها تَفْخَرُ عليَّ بأنْفُسِها ، وأفْخَرُ عليك بها ، وأنا أحَبُّ إليها منكَ ، وهي أحبُّ إليَّ مِنْكَ .

قال ابنُ الزُّبَير : إنَّ اللهَ تعالى رَفَع بالإسلام بَيْتاً ، وخَفَضَ به بَيْتاً ، فكان بَيْتي ممَّا رَفَع اللهُ بالإسلامِ ، وبَيْتُك ممَّا خَفَضَ .

قال معاويةُ : أجَلْ ، وبيتُ حاطِبِ بن أبي بَلْتَعَةَ ، ممَّا رَفَعه اللهُ بالإسلام .

* * *

أخرجه القُتَيبيُّ [١] ، وإنَّما ذكرناه مع قِلَّةِ غَريبِهِ ، لإشكالِ معناه .

شرحه

قوله : « وإن أَرَدْتُها فَمَهْ ؟ » أي فما الذي يكون ؟ فلمَّا حذَفَ الألفَ ، أدخَلَ الهاءَ ، للوَقْف ، عِوَضاً عنها ، كما يُقال : فِيمَهْ ، وعَمَّهْ ، ولِمَهْ ؟

وأرادَ ببَيْته بمكةَ : شَرَفَ نَسَبِه في قُرَيْشٍ ؛ لأنَّ يزيدَ من بَنِي عبدِ مَنافِ بنِ قُصَيٍّ بنِ كلابٍ ، وابنُ الزُّبَير من بني أسَدِ بن عبد العُزَّي بنِ قُصَيٍّ بنِ كلابٍ ، وعبدُ مَنافٍ في قُرَيْشٍ أشْرَفُ مِن عبدِ العُزَّي ، في الجاهليّةِ والإسلام .

وقولُ ابن الزُّبير : « إنَّ اللهَ اختارَ أبي » أي هداه للإسلام ، وجَعَله مِن العَشَرةِ السَّابقين الأوَّلِين ، من المهاجِرين ، المَقْطُوعِ لهم بالجنَّة ، وأنه حَوارِيُّ النبيِّ ﷺ ، وأحَدُ السِّتَّةِ ، أصحابِ الشُّورَي .

وقوله : « واختار النَّاسُ أباه » أي إنَّ النَّاسَ اخْتارُوا معاويةَ ، فَوَلَّوْه ، ففَضَّلُ الزُّبَيْرِ علَي معاويةَ ، بأنَّه خِيرَةُ اللهِ تعالَي ، وأنَّ معاويةَ خِيرَةُ النَّاسِ ، فلذلك قال : « فاللهُ الفاصِلُ بيني وبينَه » .

وهَيْهاتَ : كلمةُ تَبْعِيدٍ ، وتاؤُها مفتوحةٌ ، وناسٌ يكسِرُونها ، وقد تُبْدَلُ الهاءُ الأُولي هَمْزَةً ، فيُقال : أيْهاتَ ، والوَقْفُ علي المكسورةِ بالهاءِ ، وعلي المفتوحةِ بالتّاءِ والهاءِ .

---

(١) غريب الحديث ٢/٤٢٠ – ٤٢٤ ، وانظر البيان والتبيين ٤/٩١ .

ومَنَّتْك نَفْسُك : أي حَمَلتْك علي الأمانيِّ ، يُقال : تَمنَّيْتُ الشيءَ ، ومَنَّيْتُ غَيْري .

والتَّطاوُل : التَّعرُّضُ للشيءِ ، والامتِدادُ إليه ، وهو تَفاعُلٌ مِن الطُّولِ ، كأنه كان يَقْصرُ عنه ، فتَطاوَلَ لِينالَه ، ويُدْرِكَه .

وقولُ مُعاويةَ : « إنَّ اللهَ اختار عَمِّي » فإنَّه يريدُ هاشِمَ بن عبد مَنافٍ ، الذي هو جَدُّ النبيِّ عليه السلام ، وأخو عبدِ شَمْس بن عبد مَنافٍ ، الذي هو جَدُّ معاويةَ ، فهاشِمٌ عَمُّه ، واختِيارُ اللهِ تعالَي هاشِماً لِدينهِ : هو أن جَعَلَ النُّبُّوَةَ في وَلَدِه .

وقولُه : « واختارَ الناسُ أبي لِدُنْياهم » يريدُ أنَّ الخِلافةَ صارَتْ لبَني أُمَيَّةَ ، وأُمَيَّةُ جَدُّه . كذا قال ابنُ قُتَيْبَةَ .

والأَشْبَهُ أن يكونَ أراد بَعمِّه النبيَّ عليه السَّلامُ ؛ لأنَّه في النَّسَبِ إلي عبدِ مَنافٍ ، في دَرَجةِ أبي سُفْيان ، فهو بمنزلةِ عَمِّه ، وهو الذي اختارَه اللهُ لِدينِه حقيقةً ، ويكونُ أرادَ بأبيه أبا سُفيان ، لأنَّ أهلَ مكَّةَ اختارُوه لِقتالِ النبيِّ عليه السَّلامُ ، وقدَّمُوه عليهم يومَ أُحُدٍ ، والأَحزابِ ، وغيرِهما .

وقوله : « فدَعا عَمِّي أباكَ فأجابَه » يريدُ أنَّ هاشِماً الذي هو عَمُّ معاويةَ دَعا عبدَ العُزَّي ، الذي هو أبو عبدِ الله ، فأجابه ، وذلك [١]

---

(١) هكذا بياض بالأصل . ويلاحظ أن الكلام في غريب ابن قتيبة – والنقل منه – قد انتهي عند كلمة : « فأجابه » .

وقوله : « ودَعَا أبي عَمَّك فاتَّبَعه » يريدُ بأبيه : عبدَ مَنافٍ ، الذي هو جَدُّ النبيِّ ، وجَدُّه ، ويريدُ بعَمِّ عبدِ الله : عبدَ الدارِ بن قُصَيٍّ ، وهو أخو عبدِ العُزَّي بن قُصَيٍّ ، الذي هو أبو عبدِ الله ، كذا فسَّره ابنُ قُتَيبة .

والأشْبَه أن يكون أرادَ بقولِه : « فدَعا عَمِّي أباك فأجابه » أنَّ النبيِّ عليه السَّلامُ ، دَعا الزُّبَيرَ إلي الإسلام ، فأجابَه ، وقد بيَّنّا وَجْهَ عُمُومة النبيِّ لمعاويةَ ، ويكون أرادَ بقوله : « ودَعا أبي عَمَّكَ فأجابَه » أنَّ أبا سُفيانَ دَعا عَمَّ عبدِ الله ، مِن بني أَسَدٍ ، إلي حَرْبِ النبيِّ عليه السَّلامُ ، فاتَّبعَه .

وقولُه : « فأين تَجِدُك إلاَّ مَعِي ؟ » أي فأينَ تَرَي نَفْسَك إلاَّ تَبَعاً لِي ، تارةً أبوكَ مع عَمِّي ، وتارةً عَمُّك مع أبي .

و « وجَدْتُ » ها هُنا : بمعني عَلِمْتُ ، و « رأيتُ » : مِن رُؤْية القَلْبِ ، ولهذا عَدَّاها إلي ضميرِ المُخاطَب ، تقديره : أين تَجِدُ نَفْسَك ، ولا يُستعمل ذلك إلاَّ مع هذه الأفعالِ خاصَّةً ، لا يُقال : ضَرَبْتُني ، ولا تَضْرِبُك ، وإنما يُقال : ضربتُ نَفْسِي ، وتَضرِبُ نَفْسَك ، ويُقال : وجَدْتُني ، وتَجِدُك ، وظَنَنتُني ، وتَظُنُّك .

وقولُه : « إنَّ هاشِماً تَفْخَرُ عليَّ بأنْفُسِها » لأنَّ النُّبوَّةَ فيها ، وكان هاشِمٌ أشرفَ من عبدِ شَمْسٍ ، ومعاويةُ يَفْخَرُ علي ابنِ الزُّبَير بهاشِمٍ ؛ لأنَّه عَمُّه ، وهو أقْرَبُ إليه ، منه إلي ابن الزُّبَير ، ولذلك جَعَل نَفْسَه أحبَّ إلي هاشِمٍ منه ، وجَعَلها أحبَّ إليه مِن ابنِ الزُّبَير .

وقول معاويةَ : « وبيتُ حاطِبِ بن أبي بَلْتَعةَ ، مِمَّا رَفَعه اللهُ »

يعني أنَّه لم يكن مِن قُرَيْشٍ ، إنَّما كان مِن وَلَدِ لَخْمِ بن عَدِيٍّ ، وقيل : مِن مَذْحِجٍ ، وكان حَلِيفاً لبني أَسَدِ بن عبدِ العُزَّي ، وقيل : مُكاتَباً لهم ، فأَسْلَمَ قديماً ، وشَهِدَ بَدْراً ، والخَنْدَق ، وما بَعْدَها مِن المشاهِد .

يريدُ أنَّ حاطِباً مع كونِه حَلِيفاً ، أو مُكاتَباً ، قدْ ساواكَ في رَفْعِ الإِسلام له ، فلَسْتَ مُنْفَرِداً بهذه الفَضِيلة ، التي افتَخَرْتَ بِها .

حديث
المُغِيرة بن شُعبة الثَّقَفِيّ

قال : أحْصَنْتُ ثمانين امرأةً ، فأنا أعْلَمُكُم بالنِّساء ، فوجدْتُ صاحبَ المرأةِ الواحدةِ ، امرأةً ، إن زارتْ زارَ ، وإن حاضَتْ حاضَ ، وإن اعْتلَّتْ اعْتَلَّ ، فلا يَقْتَصِرَنَّ أحدُكم علي المرأةِ الواحدةِ ، إذا طالَتْ صُحْبَتُها معه ، كان مَثَلُها ومَثَلُه ، مِثْلَ أبي جَفْنَةَ وامرأتِه أمِّ عَقَّارٍ ، فإنَّه ناقَرَها [١] يوماً ، فقال وهو مُغاضِبٌ لها : إذا كُنتَ ناكِحاً فإيَّاكَ وكلَّ مُجفِرَةٍ مُبْخِرَةٍ ، مُنْتَفِخَةِ الوَرِيد ، كَلامُها وَعِيدٌ ، وبَصَرُها حَدِيدٌ ، سَفْعاءُ ، فَوْهاءُ ، مَلِيلَةُ الإرْغاءِ ، بَلِيلَةُ الإرْعادِ ، دائمةُ الدُّعاءِ ، فَقْماءُ ، سَلْفَعٌ ، لا تَرْوَي ولا تَشْبَع ، دائمةُ القُطُوبِ ، عارِيةُ الظُّنْبُوبِ ، طَوِيلةُ العُرْقُوبِ ، حَدِيدةُ الرُّكْبَةِ ، سَرِيعةُ الوَثْبَةِ ، شَرُّها يَفِيضُ ، وخَيرُها يَغِيضُ ، لا ذاتُ رَحِمٍ قريبةٌ ، ولا غَرِيبةٌ نَجِيبةٌ ، إمساكُها مُصيبةٌ ، وطَلاقُها حَرِيبةٌ ، فُضُلٌ ضَباثٌ ، كأنَّها [٢] بَغاثٌ ، حَمْلُها رِبابٌ ، وشَرُّها ذُبابٌ ، واغِرةُ الضَّميرِ ، عاليةُ الهَرِير ، شَثْنَةُ الكَفِّ ، غَلِيظَةُ الخُفِّ ، لا تَعْذِرُ مِن عِلَّةٍ ، ولا تَأْوِي مِن قِلَّةٍ ، تأكُلُ لَمًّا ، وتُوسِعُ ذَمًّا ، تُؤْذِي الأَخْيار ، وتُفْشِي الأَسْرار ، وهي مِن أَهْلِ النَّار .

فأجابَتْه فقالت : بئس لَعَمْرُ [٣] اللهِ زَوْجُ المرأةِ المُسْلِمةِ ،

---

(١) هكذا في الأصل : « ناقرها » بالقاف ، وسيأتي الكلام عليه في الشرح ، وجاء في الفائق : « نافرها » بالفاء . ولم يتعرض لها الزمخشري .

(٢) هكذا ضبطت الباء في الأصل ، بالفتح ، وهي مثلثة .

(٣) في الأصل : « لعمرو » بالواو ، وهو خطأ .

خُصَمَةٌ ، حُطَمةٌ ، أحْمَرُ المَأْكَمَةِ ، مَحْزُونُ الهَزَمَةِ ، أو اللِّهْزِمَةِ ، له جِلْدَةُ عَنْزٍ هَرِمَةٍ ، وسُرَّةٌ مُتَقَدِّمةٌ ، وشَعْرَةٌ صَهْباءُ ، وأُذُنٌ هَدْباءُ ، ورَقَبةٌ هَلْباءُ ، لَئيمُ الأخلاقِ ، ظاهِرُ النِّفاقِ ، صاحبُ حِقْدٍ ، وهَمٍّ ، وحُزْنٍ ، عِشْرَتُه غَبْنٌ ، زَعِيمُ الأنفاسِ ، سَقِيمُ النِّفاسِ ، رَهِينُ الكاسِ ، بعيدٌ مِن كلِّ خيرٍ في الناسِ ، يسأُل الناسَ إلْحافاً ، ويُنْفِقُه إسْرافاً ، وَجْهُه عَبُوسٌ ، وخَيرُه مَحْبوسٌ ، وشَرُّه يَنُوسُ ، وهو أشْأَمُ مِن البَسُوسِ .

* * *

أخرجه الخَطَّابيُّ (١) ، والزمخشريُّ (٢) ، وهو مِن حديث منصور بن أبي الأسود ، عن لَيْثِ بن أبي سُلَيْمٍ .

شرحه

المُغِيرةُ : اسمُ فاعِلٍ ، مِن أغارَ علي العَدُوِّ ، يُغِيرُ إغارةً ، فهو مُغِيرٌ ، والهاءُ فيه للمبالَغة ، دخلَتْه عندَ التَّسميةِ به .

والثَّقَفِيُّ : منسوبٌ إلي ثَقِيفٍ ، واسمُه عمرُو بن مُنَبِّه بن بَكْر ابن هَوازِن ، من قَيْسِ عَيْلانَ ، وقيلَ : اسمُه قَسِيٌّ ، وقيل : بل قَسِيٌّ وثَقِيفٌ : لَقَبانِ له .

والإِحْصانُ : التَّزَوُّجُ ، يقال : أحْصَنَ الرجلُ ، فهو مُحْصَنٌ ،

---

(١) غريب الحديث ٢/٥٤٥.

(٢) الفائق ٢/١٣٣ – ١٣٥ ، وبعض هذا الحديث في محاضرات الأدباء ٢/١١٦

بالفتح : إذا تزوَّجَ ، وهو أحدُ ما جاء علي أفْعَلَ فهو مُفْعَلٌ ، كأسْهَبَ فهو مُسْهَبٌ (١) .

وأرادَ بالزِّيارةِ ، والحَيْضِ ، والعِلَّةِ : السَّبَبَ الحادِثَ ، وأنه متي وُجِد منها أحدُ هذه الأشياء ، صارَ بِلا زَوْجةٍ ، حيث ليس له إلاَّ امرأةٌ واحدةٌ ، فكأنَّها إذا زارتْ أهلَها ، أو حاضَتْ ، أو مَرِضَتْ ، انْعَدَم حَظُّه مِنها .

وأبو جَفْنةَ ، وأمُّ عَقَّارٍ : هُما (٢)

والمُناقَرَةُ ، بالقاف : المُخاصَمَةُ ، وقد ناقَرَهُ نِقاراً ، ومُناقَرَةً ، وكأنَّه مِن نِقار الدُّيُوك ، وهو ضِرابُها بمَناقِيرِها .

والمُنافَرَةُ ، بالفاء : المُحاكَمَةُ ، والمُخايَرَةُ ، يُقال : نافَرَه ، فنَفَرَهُ : أي غالَبَهُ فغَلَبه .

والمُجْفِرَةُ : المُتَغَيِّرةُ رِيحِ الجَسَدِ ، والرجُلُ : مُجْفِرٌ ، والفعل منه أَجْفَرَ .

والمُبْخِرَةُ : المُتَغَيِّرةُ رِيحِ الفَمِ ، من البَخَرِ .

والوَرِيدُ : عِرْقٌ في العُنُقِ ، وهما وَرِيدان عن جَنْبَيْه ، يَنْتَفِخان عندَ الغَضَبِ ، يَصِفُها بفَرْطِ غَضَبِها ، وسُوءِ خُلُقِها ، وكَثْرةِ ضَجَرِها .

---

(١) راجع النهاية ١/٣٩٧ ، ٤/٢٦٠

(٢) هكذا بياض الأصل . ولم أعرفهما .

والسَّفْعاءُ : التي اسْوَدَّ خَدُّها وجِلْدُها ، لِكبَرِها ، أو لسُوءِ حالِها ، والسُّفْعةُ : سَوادٌ ليس بالشَّدِيد .

والوعيدُ : الوَعْدُ بالشَّرِّ ، كالتَّهديد ، ولا يُستَعْمَلُ الوعيدُ إلاَّ في الشَّرِّ ، كالإِيعاد .

والحَدِيدُ : الحادُّ ، الذي يَنْظُر إلي الشيء بتَحْديقٍ ، وهو والوعيدُ مِن آثار الغَضَب ، وصِفاتِ الغَضْبان .

والفَوهاءُ : الواسِعَةُ الفَمِ والأَشْداقِ ، والرَّجلُ : أفْوَهُ .

والمَلِيلَةُ : المَمْلُولَةُ ، فَعِيلَةٌ بمعني مَفْعُولَةٍ .

والإِرْغاءُ : مِن الرُّغاءِ : صَوْتِ الإِبلِ ، يُقال : رَغا البَعِيرُ ، وأرْغَيْتُه إرْغاءً . شَبَّه صَوْتَها به ، في ارْتفاعِه .

يُرِيدُ أنَّها تُكْثِرُ القولَ ، وتَرْفَعُ الصَّوْتَ ، حتي تُمِلَّ السَّامِعِينَ .

وقيل : هو مِن إرْغاءِ الَّلبنِ ، وهو ما يَعْلُوه مِن الرُّغْوة (١) .

يريدُ ما يَعْلُو شِدْقَيْها مِن الزَّبَدِ والبُزاقِ ، عندَ كَثْرةِ الكَلامِ .

والبَلِيلَةُ : مِن بَلَلِ اللِّسانِ والرِّيقِ ، يقال : فُلانٌ بَلِيلُ الرِّيق بذكر فُلانٍ : إذا كان لا يَزالُ يَجْرِي لسانُه بذِكْرِه ، كما يُقال : هو رَطْبُ اللِّسانِ بذِكْرِه .

والإِرْعادُ : التَّهْديدُ ، والوعيدُ ، يقال : أَرْعَدَ الرجلُ ، وأبْرَقَ : إذا أوْعَدَ ، وتَهَدَّدَ ، قال :

---

(١) الراء مثلثة .

أَرْعِدْ وأَبْرِقْ يا يَزِيدُ فما وَعِيدُكَ لي بِضائرْ [١]

وقوله : « دائمةُ الدُّعاءِ » أي مُتَّصلةُ الدُّعاءِ عليه ، أو النِّداءِ والصِّياح .

والفَقْماءُ : المائلةُ الفَقْمِ ، بالفتح ، والضَّمّ ، وهو الحَنَكُ ، والرجلُ : أفْقَمُ .

والسَّلْفَعُ : الوَقِحَةُ ، يقال : امرأةٌ سَلْفَعٌ ، بغير هاءٍ ، وهو أكْثَرُ استِعمالاً مِن سَلْفَعَةٍ ، وأكثَرُ ما يُوصَفُ به المُؤَنَّثُ .

والقُطُوب : العُبُوسُ ، وقد قَطَبَ ، وقَطَّبَ ، فهو قَطُوبٌ .

والظُّنْبُوب : عَظْمُ السَّاقِ ، وعُرْيُه : كِنايةٌ عن هُزالِه مِن اللَّحْم ، فهو عُرْيانٌ منه .

والعُرْقُوبُ : العَصَبُ الغَلِيظُ ، الذي فيما بينَ أسْفَلِ السَّاق والعَقِب ، وطُولُه دَلِيلٌ علي الضَّعْفِ ، وكذلك حِدَّةُ الرُّكْبَةِ دَليلٌ علي قِلَّةِ اللَّحمِ فَوْقَها .

وشَرُّها يَفيضُ : أي يَكْثُرُ ، كما يَفيضُ الماءُ ، ويَجْرِي إذا امتلأ الإنَاءُ .

وخيرُها يَغِيضُ : أي يَقِلُّ ويَذْهَبُ ، مِن غاضَ الماءُ : إذا نَقَصَ ، ونَضَبَ وغارَ ، قال :

---

(١) البيت للكميت . وهو في أدب الكاتب ص ٤٠٠ ، والاشتقاق ص ٤٤٧ ، والخصائص ٢٩٣/٣ ، ومجالس العلماء ص ١٤١ ، واللسان (رعد – برق) وغير ذلك كثير .

لَقَدْ رابَنِي أنَّ الكِرامَ رأيتُهم   يَغيضُون غَيْضاً واللِّئامُ تَفِيضُ

وقوله : « لا ذاتُ رَحِمٍ قَرِيبة » أي ليستْ مِن أقارِبه وأنْسابِه الأَدْنَيْنَ ، ولا غَرِيبةٌ نَجِيبةٌ ؛ لأنَّهم يَزْعُمون أنَّ أولادَ الغَرائبِ أنْجَبُ مِن أولادِ القَرائبِ .

والحَرِيَبةُ : مِن الحَرْبِ ، كالشَّتيمةِ من الشَّتْمِ .

يريدُ : أنَّ له مِنها أولاداً ، فإن طَلَّقَها حَرِبُوا ، وفُجِعُوا بِها ، ويجوز أن يكونَ مِن قَولِهم : حُرِبَ الرجلُ ما لَه : إذا سُلِبَه ، فهو محروبٌ ، وحَرِيبٌ .

يريدُ : أنَّه إن طَلَّقها سلَبتْه مالَه ، في أخْذِ صَداقِها ، وإمْساكُها ، والصَّبْرُ علي مُقاساتِها مُصِيبةٌ .

والفُضُلُ ، بضَمَّتين : هي المُخْتالَةُ ، التي تُفْضِلُ مِن ذَيْلِها ، إذا مَشَتْ تَجُرُّه علي الأرضِ .

والفُضُلُ أيْضاً : المرأةُ التي تَخْلَعُ ثِيابَ زِينَتِها ، وتَلْبَسُ ثِيابَ مِهْنَتِها ، يقال : تَفضَّلت المرأةُ : إذا لَبِسَتْ ثوبَ الخِدْمةِ .

والضَّباثُ : فَعالٌ مِن الضَّبْثِ ، وهو القَبْضُ باليدِ علي الشيء .

أرادَ أنَّها تَشْبَثُ به [1] ، وتَتعلَّق ، للخُصُومة .

ويُروي : « مِئْناثٌ » وهي التي يكثُرُ منها وِلادةُ الإناثِ .

والبَغاثُ : صِغارُ الطَّيْر ، واحِدَتُها : بَغاثَةٌ .

---

(١) هكذا ضبط بالتخفيف ، في الأصل ، وهو بكسر الباء في الماضي ، وفتحها في المضارع ، والمصدر « شبثا » بالتحريك ، كما ضبط في اللسان .

ويُروَي : « كأنَّها نِقابٌ » ، قال الخَطَّابي : ولا وَجْهَ له ، ها هُنا ، وقد سمعت كلمةً تُقال : « فَرْخانِ في نِقابٍ » [١] أي في بَطْنٍ واحدٍ . فكأنَّه علي هذا يَعيبُها بكَثْرةِ الوِلادَةِ .

والرِّبابُ : هو مِن قولهم : الشَّاةُ في رِبابِها ، وهو ما بينَ أن تَضَعَ حَمْلَها ، إلي عِشرين يوماً ، أو شَهْرين .

يريد : أنَّها تَحْمِلُ بعدَ الوَضْعِ ، بمُدَّةٍ يَسيرةٍ ، مِن نِفاسِها ، وهو مَذْمُومٌ ، وإنَّما يُحْمَدُ أن تَحْمِلَ بعدَ أن تُتِمَّ رَضاعَ وَلِدِها .

والذُّبابُ : الشُّؤْمُ ، والشَّرُّ الدَّائمُ .

والواغِرَةُ : مِن الوَغَرِ ، وهو الحِقْدُ ، والغِلُّ ، يُقال : وَغِرَ صَدْرُه عليَّ يَوْغَرُ وَغَراً ، فهو واغِرٌ ، والاسمُ : الوَغْرُ ، بالتَّسْكِين .

والهَرِيرُ : الصِّياحُ ، والجَلَبَةُ ، تَشْبيهاً بهَرِيرِ الكَلْبِ ، إذا كَشَرَ عن أَنْيابِه ، وصاحَ .

وشَثْنَةُ الكَفِّ : خَشِنَتُه ، وغَلِيظَتُه ، وهو عَيْبٌ في النِّساء ، مَدْحٌ في الرِّجال ، وأرادَ بالخُفِّ : القَدَمَ ؛ لأنَّه لِباسُها ، وكِبَرُها عَيْبٌ في النِّساء .

وقولُه : « لا تَعْذِرُ مِن عِلَّةٍ » أي لا تَقْبَلُ له عُذْراً ، في قِلَّةِ نَفقةٍ ، أو قَضاءِ وَطَرٍ ، لسَبَبٍ عارِضٍ .

---

(١) يضرب مثلا في الشيئين يشتبهان ، والنقاب : اللون . قال الأصمعي : سمي نقاب المرأة ؛ لأنه يستتر لونها فيه . جمهرة الأمثال ١٠٣/٢ ، ٣٦٥

ولا تَأْوِي مِن قِلَّةٍ : أي لا تَرْحَمُه ، وتَرِقُّ له عندَ الفَقْرِ ، وقِلَّةِ مالِه .

وتأكُلُ لَمًّا : أي أكلاً كثيراً ، مُجْتَمِعاً .

و « ذَمًّا » منصوبٌ علي التَّمييز ، أي تُكثِرُ له مِن الذَّمِّ .

ويجوز أن يكونَ مصدراً ، في موضع الحالِ .

والخُصَمَةُ ، بوزنِ الهُمَزَةِ : الكثيرةُ الخُصُومةِ .

والحُطَمَةُ : الكَثِيرةُ الحَطْمِ ، وهو الكَسْرُ ، وأراد به الكثيرةَ الأكلِ .

وهذا البناءُ إذا جاء في صِفة المُذَكَّر ، كانت الهاءُ فيه للمُبالَغَة .

والمَأْكَمَةُ [1] : لَحْمَةٌ بينَ العَجُزِ والمَتْنِ ، وهما مَأْكَمَتانِ .

وإنَّما عَنَتْ بها ما دُونَهما ، مِن سُفْلَتِه ، فكَنَتْ عنه بالمأْكَمَةِ .

وحُمْرَةُ ذلك المَوْضِعِ كانوا يَسُبُّون به [2] ، ومنه قولُهم : يا ابنَ حَمْراءِ العِجانِ .

وقيل : أرادتْ حُمْرَةَ جميعِ البَدَنِ ، وهي لا تُوجَدُ غالِباً في الصُّرَحاءِ مِن العَرَبِ ، وإنما تَغْلِبُ علي مَن ليس بعَرِيقٍ فيهم .

والمَحْزُونُ الهَزَمَةِ : الخَشِنُ أعالي الصَّدرِ ، مِن الحَزْنِ ، وهو ضِدُّ السَّهْلِ من الأرضِ .

---

(١) بفتح الكاف وكسرها . راجع خلق الإنسان ، لثابت ص ٣٠٢

(٢) هكذا ضبط في الأصل ، مبنيا للمعلوم .

والهَزَمَةُ ، بالتحريك : الوَهْدَةُ التي بينَ أعْلاَ الصَّدْرِ ، وأسْفَلِ العُنُقِ .

تريدُ : أنَّه خَشِنُ الصَّدْرِ ، ثَقِيلُه . أو أرادَتْ خُشُونَةَ مَلْمَسِ بَدَنِه كُلِّه ، من الهَزْمِ ، وهو غَمْزُ الشَّيءِ باليَدِ .

واللِّهْزِمَةُ ، بالكسر : واحدةُ الَّلهازِمِ ، وهي لَحماتُ الفَكَّيْنِ .

تُرِيدُ : أنَّ لَهازِمَه تَدَلَّتْ من الحُزْنِ ، والكَآبةِ .

والهَرِمَةُ : الكَبِيرَةُ المُسِنَّةُ ، يَتَساقَطُ شَعَرُها ، ويَخْشُنُ جِلْدُها .

وسُرَّةٌ مُتَقدِّمةٌ : أي ناتِئةٌ عاليةٌ .

والصُّهْبَةُ في الشَّعَرِ : لَوْنٌ بينَ الأحمرِ ، والأصْفَرِ ، والأبْيَضِ ، ويَغْلِبُ علي الأشْقَرِ الأنْمَشِ [١] ، وهو مِن أقْبَحِ ألوانِ الشَّعَرِ .

والأُذُنُ الهَدْباءُ : الرِّخْوَةُ المُتَدَلِّيَةُ ، ومنه قولُهم : شَجَرةٌ هَدْباءُ : إذا كانت مُتدلِّيَةَ الأغْصانِ ، وهُدْبُ الثَّوْبِ : طَرَفُه .

والرَّقَبَةُ الهَلْباءُ : التي قد غَمَّها الشَّعَرُ ، مِن الهُلْبِ : وهو ما غَلُظَ من الشَّعَرِ ، كأذْنابِ الخَيْلِ ، ونَحْوِها .

وظاهِرُ النِّفاقِ : تَرِيدُ أنَّه لكثرةِ نِفاقِه ، واستعمالِه معها ، يَظْهَرُ ولا يَخْفَي ؛ لأنَّ مِن شأنِ النِّفاقِ أن يكونَ مَسْتُوراً مُخْفِيً .

---

(١) النمش ، بفتح النون والميم : نقط بيض وسود ، أو بُقَعٌ تقع في الجلد ، تخالف لونه . القاموس .

والغَبْنُ ، بالتَّسْكِين : في البَيْع ، وبالتَّحريك : في الرَّأيِ ، يُقال : غَبَنْتُه [١] في البَيْعِ غَبْناً : أي خدعْتُه ، وبَخَسْتُه ، وغُبِنَ رأْيَه ، بالكسر ، غَبَناً : أي نُقِصَه .

وقولُها : « زعيمُ الأنفاسِ » أي هو مُوكَّلٌ بالأنفاسِ ، يُصَعِّدُها ؛ لغَلَبةِ الحَسَدِ ، والكآبةِ عليه . أو أرادتْ أنفاسَ الناسِ ، ومَن يَصْحَبُه منهم ، فهو يَعُدُّ عليهم أنفاسَهم .

والزَّعِيمُ : الكَفِيلُ ، والضَّمِينُ .

والنِّفاسُ : المُنافَسَةُ في الشيء ، وهي المُغالَبَةُ ، يُقال : نافَسَه نِفاساً ، ومُنافسَةً .

تُريدُ : أنَّه قد أسْقَمتْه ، وأمرضَتْه مُنافَسةُ الناسِ ، وحَسَدُه لهم ، وهو مِن إضافةِ المفعولِ إلي المصدرِ .

ورَهِينُ الكأسِ : هو الذي يُلازِمُ شُرْبَ الخَمْرِ ، ولا يُفارِقُ الكأسَ ، فهو رَهِينٌ ، أي مَرْهُونٌ في الاهتمامِ بشُرْبِها .

ولا يُقال للقَدَحِ : كأسٌ ، حتَّي يكونَ فيه شَرابٌ ، ولهذا أُطْلِقَت الكأسُ علي الخمرِ نَفْسِها .

والإلْحافُ : الإلْحاحُ ، وتَكْرارُ السُّؤالِ .

والإسْرافُ : مُجاوَزَةُ الحَدِّ ، في الإنفاقِ ، وغيرِه ، وترْكُ الاقتِصاد .

---

(١) الفعل في البيع والشراء : من باب ضرب ، وفي الرأي : من باب تعب ، كما في المصباح ، وانظر إصلاح المنطق ص ٥٤ ، ٩٧

والنَّوْسُ : الحَرَكَةُ ، والاضطِرابُ : أي لا يَفْتُرُ شَرُّه ، ولا يَهْدَأُ ، فهو أبداً مُتحرِّكٌ .

والبَسُوسُ : النَّاقةُ التي ضُرِبَ بها المَثَلُ ، في الشُّؤْمِ ، وهي التي يُقالُ لها : حربُ البَسُوسِ ، وكانت بينَ بَكْرٍ وتَغْلِبَ .

وقيل : إنَّ البَسُوسَ : اسمُ صاحبةِ النَّاقةِ ، التي قَتلَها كُلَيْبٌ ، فهاجَتْ بسَببِها الحربُ ، وقد تقدَّم ذِكْرُها ، في حديث الصِّدِّيق ، مع النَّسَّابةِ .

والشُّؤْمُ ، مَهمْوزٌ : نَقِيضُ اليُمْنِ ، وقد تُحذَفُ هَمْزتُه ، فتصيرُ واواً ساكنةً ، ورجلٌ مَشْؤومٌ ، ومَشُومٌ ، وهو أشْأَمُ مِن كذا ، وأَيْشَمُ ، علي القَلْبِ ، واللهُ أعْلَمُ .

حديث
الأعشى الحِرْمازِيّ

خَرَج في رجَبٍ (١) ، يَمِيرُ أهلَه مِن هَجَرٍ ، فهَرَبَت امرأتُه بعدَه ، ناشِزَةً عليه ، فعاذَتْ برجُلٍ منهم ، يُقال له : مُطَرِّفُ بن بُهْصُلٍ ، فجَعَلَها خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فلمَّا قَدِم لم يَجِدْها في بيتِه ، وأُخْبِرَ خَبَرَها ، فطَلَبها منه ، فلم يَدْفَعْها إليه ، وكان (٢) مُطَرِّفٌ أعَزَّ منه ، فخرج حتَّى أتي النبيَّ ﷺ ، فَعاذَ به ، وأنشأ يقول :

يا سَيِّدَ النَّاسِ ودَيَّانَ العَرَبْ
إلَيْكَ أشْكُو ذِرْبَةً مِن الذِّرَبْ
كالذِّئْبةِ الغَبْساءِ في ظِلِّ السَّرَبْ
خَرجْتُ أَبْغِيها الطَّعامَ في رَجَبْ
فَخلَفَتْنِي بِنِــزاعٍ وحَــرَبْ
أخْلَفتِ الوَعْدَ ولَطَّتْ بالذَّنَبْ
وقَذَفَتْني بَيْنَ عِيصٍ مُؤْتَشِبْ
وهُنَّ شَرُّ [غالِبٍ لمَنْ غَلَبْ(٣)

---

(١) قال الفيومي في المصباح : « رجب من الشهور منصرف » .

(٢) في الأصل : « وكانت » .

(٣) هذا البيت وحده نسبه الجاحظ ، إلي الثلب اليماني . راجع البيان والتبيين ٢٠٤/٣

ولم أجد في الأسماء : « الثلب » بالثاء المثلثة ، كما جاء في البيان ، لكني وجدت « التلب » بالتاء الفوقية المفتوحة وكسر اللام بعدها باء موحدة خفيفة ، وقيل : ثقيلة . انظر تبصير المنتبه ص ٢٠٢ ، والإصابة ٣٦٦/١

فجعل رسولُ اللهِ ﷺ ، يَتمثَّلُها ، ويقولُ :

وهُنَّ شَرُّ غالِبٍ لِمَنْ غَلَبْ

يُكرِّر ذلك عليه ، وكتب إلي مُطرِّف : انْظُر امرأةَ هذا مُعاذَةَ ، فادْفَعْها إليه] (١) .

شرحه

الأَعْشَي : الذي يُبْصِرُ بالنَّهار ، ولا يُبْصِرُ باللَّيل ، مِن العَشَا ، مَقْصُوراً ، وهو ضَعْفُ البَصَرِ ، واسمُه عبد الله بن الأَعْوَر (٢) .

---

(١) ما بين الحاصرتين كتب في ورقة صغيرة ملحقة ، تسمي في اصطلاح النُّسَّاخ : « طيارة » ، ولم تظهر هذه الورقة في التصوير ، وقد استكملت بقية الحديث من الفائق ٤٤٩/١

والحديث في مسند أحمد ٢٠١/٢ ، ٢٠٢ (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص) ، ومجمع الزوائد (باب النشوز . من كتاب النكاح) ٣٣٠/٤ - ٣٣٢ ، و (باب جواز الشعر والاستماع له . من كتاب الأدب) ١٢٧/٨ ، ١٢٨ ، والاستيعاب ص ١٤٣ ، وأسد الغابة ١٢٢/١ ، والإصابة ٣٥/٤ ، ٢٣٦/٦ ، ٢٣٧ (ترجمة عبد الله بن الأعور ، ونضلة بن طريف) ، والمكاثرة عند المذاكرة ص ٢٤ ، ٢٥ ، والمؤتلف والمختلف ص ١٣ ، ١٤ وتهذيب اللغة ٤١٤/٧ ، ٢٩٧/١٣ ، ٤٢٥/١٤ ، واللسان (ذرب - لطط - خلف) والأبيات في ديوان الأعشين ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، بآخر الصبح المنير في شعر أبي بصير . وانظر فهرس **الأرجاز في النهاية ، والتنبيه والإيضاح ٧٥/١ .**

(٢) اختلف في اسم الأعشي هذا ونسبه ، بما تراه في الموضع الأول المذكور ، من الإصابة ، وقال الآمدي في الموضع الذي ذكرته من المؤتلف :

« وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابي هذه الأبيات ، وذكر أنها للأعور بن قُراد بن سفيان ابن غضبان بن نُكرة بن الحرملة ، وهو أبو شيبان الحرمازي ، أعشي بن حرماز ، وكان مخضرما ، أدرك الجاهلية والإسلام ... فهذا أعشي بني الحرماز ، فأما أصحاب الحديث فيقولون : أعشي بني مازن ، والثبت أعشي بني الحرماز ، فأما بنو مازن فليس فيهم أعشي » .

والجِرْمازِيّ ، بكسر الحاءِ ، وبالرَّاء قبلَ الزَّاي : منسوبٌ إلي جِرْماز بن الحارِث بن عمرو بن تَمِيم ، وهم حَيٌّ مِن تَمِيمٍ .

ومارَ الرجلُ أهلَه ، يَمِيرُهم : إذا جَلَبَ لهم المِيرَةَ ، وهي الطَّعامُ .

وهَجَرٌ : اسمُ مَدِينةٍ بالبَحْرَيْن ، وهو مذكَّرٌ مَصْروفٌ .

والنُّشُوزُ : الخِلافُ ، والنِّزاعُ ، يقال : نَشَزَتِ المرأةُ علي زَوْجِها ، فهي ناشِزٌ ، وناشِزَةٌ : إذا عَصَتْ عليه ، وشاقَقَتْه ، ونَشَزَ عليها زَوْجُها ، وأصلُه : كَراهَةُ كلٍّ واحدٍ منهما صاحبَه .

وعاذَتْ به : أي التجأتْ إليه ، واحْتَمَتْ به .

والبُهْصُل ، بضم الباءِ [1] والصاد : الجَسِيمُ الغَلِيظُ .

وقوله : « فجَعَلَها خَلْفَ ظَهْرِهِ » أي جَعَلَها مع أهلِه ، الذين هم وراءَه .

والإنْشاءُ : الابْتِداءُ ، أي أخَذَ في الإنْشادِ ، وقولِ الشِّعْرِ .

والدَّيَّانُ : فَعَّالٌ ، مِن دانَ النَّاسَ ، أي قَهَرَهُم علي الطاعةِ ، يُقال : دِنْتُهمُ فَدانُوا : أي قَهرتُهم فأَطاعُوا .

والذِّرْبَةُ : فِعْلَةٌ ، مَنْقُولةٌ مِن فَعِلَةٍ ، كمَعِدَةٍ ، ومِعْدَةٍ ، وكَلِمةٍ ، وكِلْمَةٍ ، يقال : ذَرِبَ الرجلُ ذَرَباً ، وذَرابَةً : إذا صارَ حادَّ اللِّسانِ ، فهو ذَرِبٌ ، والمرأةُ : ذَرِبَةٌ .

---

(١) في الأصل : « الهاء » ، خطأ . و « بهصل » ضبط في الاشتقاق ص ٥٥٧ ، بفتح الباء ، والصاد ، ضبط قلم . وجعله ابن دريد من قولهم : تبهصل الرجل من ثيابه : إذا ألقاها . وجاء الضبط في القاموس موافقا لما عندنا ، قال : « كعصفر » ثم قال : « ويفتح » .

وصَفَها بالسَّلاطَةِ ، والقِحَةِ (١) .

وقِيلَ : ذَرَبُ اللِّسانِ : سُرْعَتُه ، وفَسادُ مَنْطِقِه ، مِن ذَرِبَت المَعِدَةُ : إذا فَسَدتْ ، فلم يَثْبُتْ فيها الطَّعامُ .

والذِّرَبُ : جَمْعُ ذِرْبَةٍ ، مثل كِسْرَةٍ ، وكِسَرٍ .

والغَبْساءُ : مِن الغُبْسةِ ، وهي في الألوانِ : الغُبْرةُ إلي السَّوادِ ، وهي مِن أوصافِ الذِّئْبِ ، يُقال : ذِئْبٌ أغْبَسُ ، وذِئْبَةٌ غَبْساءُ .

والسَّرَبُ : بَيْتٌ مَحْفُورٌ في الأرضِ ، يقال : دَخَل الوَحْشُ في سَرْبِه : إذا دَخَل جُحْرَه .

وبُغاءُ الشَّيْءِ ، بالضَّمِّ : طَلَبُه ، يُقال : بَغَيْتُ الشيءَ أبْغِيه ، بُغاءً ، وابْغِني كذا ، بهمزةِ الوَصْلِ : أي اطْلُبْ لي ، وأَبْغِني ، بهمزة القَطْعِ : أي أعِنِّي علي الطَّلَبِ ، وجَعلُوا البُغاءَ علي زِنَةِ الأَدْواءِ ، كالعُطاسِ، والسُّعالِ ، تَشْبيهاً لشُغْلِ قَلْبِ الطالِبِ بالداءِ ، وجَعلُوا بِغاءَ المرأةِ ، أي زِناها بالكسر ، علي زِنَةِ العُيُوب ، كالحِرانِ ، والشِّرادِ ؛ لأنه عَيْبٌ .

وقوله : « فَخَلَفَتْني » أي بَقِيَتْ بَعْدِي ، يقال : خَلَفْتُ الرجُلَ ، بالتخفيف : إذا مَضَي ، وبَقِيتَ بعدَه ، وخلَّفْتُه ، بالتَّشديد : إذا تَقدَّمْتَه ، وتركْتَه بعدَك ، فمن الأوَّلِ قولُه تعالي : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ ﴾ (٢) ومِن الثاني قولُه تعالي : ﴿ وَعَلَي الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ (٣) .

---

(١) ضبط في الأصل بفتح القاف ، وهو بالفتح والكسر معا ، كما في القاموس ، واقتصر صاحب المصباح علي الكسر .

(٢) سورة الأعراف ١٦٩

(٣) سورة التوبة ١١٨

والنِّزاعُ : الخُصُومَةُ .

والحَرَبُ ، بالتَّحرِيك : الغَضَبُ ، يُقال : حَرِبَ يَحْرَبُ حَرَباً ، وحَرَّبَه غيرُه .

يريدُ نُشُوزَها عليه ، بعد رَحِيلِه ، وعِياذَها بمُطَرِّفٍ .

ولورُوِيَ : « فَخلَّفَتْنِي » بالتَّشدِيد ، كان المعني : تركَتْنِي خَلْفَها بنِزاعٍ إليها ، وشِدَّةِ حالٍ مِن فِراقِها ونُشُوزِها ، كأنَّه يَدْعُو بَعْدَها بالوَيْلِ والحَرَبِ ، وهو سَلْبُ المالِ ، وأخْذُه .

ولَطَّت النَّاقةُ بذَنَبِها : إذا ألْزَقَتْه بفَرْجِها ، تَفْعَلُ ذلك إذا أبَتْ علَي الفَحْلِ ، فكَنَي بذلك عن نُشُوزِها عليه .

وقِيل : أراد لمَّا أقامتْ علَي أمرِها معه ، ولَزِمَتْ إخْلافَها ، وقَعَدتْ عنه ، كانت كالضَّارِبِ بذَنَبِه ، المُقْعِي علي استِه ، لا يَبْرَحُ .

وقِيل : أرادَ تَوارِيَها ، واختِفاءَها عنه ، كما تُخْفِي النَّاقةُ فَرْجَها بذَنَبِها .

والقَذْفُ : الرَّمْيُ ، والإلقاءُ .

والعِيصُ : الشَّجَرُ الكثيرُ ، المُلْتَفُّ .

والمُؤْتَشِبُ : المُلْتَفُّ ، المُلْتَبِسُ .

ضَرَبه مَثَلاً لالْتِباسِ أمرِه عليه .

وهُنَّ شَرُّ غالِبٍ : يعني النِّساءَ اللَّاتي امرأتُه مِنْهُنَّ .

واللامُ في قولِه : « لِمَنْ غَلَبَ » مُتعلِّقةٌ بشَرٍّ ، كقولِك : أنت شَرٌّ لِهذا مِنْك لِذاك .

وأرادَ : لِمَنْ غَلَبه ، فحذَفَ الضَّميرَ ، الراجعَ مِن الصِّلَة إلي الموصُولِ .

وإنمَّا قال : « وهُنَّ شَرُّ غالِبِ » وهُنَّ جماعةُ نِساءٍ ؛ لأنَّه أرادَ أن يُبالغَ ، فقَصد إلي شيءٍ مِن صِفةِ ذلك الشيء ، أنَّه شَرُّ غالِبٍ لِمَنْ غَلَبَه ، ثم جَعَلهُنَّ ذلك الشيءَ ، فأخْبَرَ به عنهُنَّ ، كما يُقال : زيدٌ نَخْلَةٌ ، إذا بُولِغَ في صِفَتِه بالطُّولِ .

والتَّمَثُّل بالشِّعْر : التَّلفُّظُ به ، يُقال : تَمثَّله ، وتَمثَّلَ به .

وقوله : انظُرِ امرأتَه : أي اطْلُبْها ، يُقال : انْظُرِ الثَّوبَ أين هو ، وانْظُرْ لي فُلاناً ، وأصلُه مِن وُقُوعِ النَّظَرِ عليه ؛ لأنَّ مُنْتَهي الطَّلَبِ الوِجْدانُ ، وهو مُقارِنٌ لرُؤْيةِ المَطْلُوبِ .

أحاديث
الصحابيّات . رضي الله عنهنّ

حديث
فاطمة الزهراء . رضي الله عنها

قالت زينبُ بنت عليّ بن أبي طالب : لمّا بلغ فاطمةَ إجماعُ أبي بكرٍ علَي منعها حقَّها من فَدَك ، لاثَتْ خِمارَها ، وأقبلت في لُمَةٍ مِن حَفَدتِها ونساءِ قومِها ، تطأُ ذُيُولَها ، لا تَخْرِمُ مِشْيَةَ رسولِ الله ﷺ ، حتي دخلتْ علي أبي بكرٍ ، وهو في حَشْدٍ من المهاجرين والأنصار ، فلُطَّتْ [1] دونَها مُلاءةٌ ، ثم أنَّتْ أنَّةً أجْهشَ لها القومُ بالبكاء والنَّحيب ، ثم أمْهلتْ ، حتي إذا هدأتْ فَوْرتُهم ، وسكنت رَوعتُهم ، افتتحت الكلامَ بالحمد للهِ ، والثَّناءِ عليه ، والصلاةِ علي رسولِه ، في كلامٍ طويلٍ من الثَّناءِ والتَّمجيد .

ثم قالت : أنا فاطمةُ ، وأبي محمدٌ ، أقولُها عَوْداً علي بَدْءٍ ، ما أقولُ إذْ أقولُ سَرَفاً ولا شَطَطاً . ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [2] وإن تَعْزُوه تَجِدُوه أبي دون نِسائكم [3] ، وأخا ابنِ عَمِّي

---

(١) بحاشية الأصل : « فنِيطَتْ » ، وستأتي هذه الرواية في الشرح .

(٢) سورة التوبة ١٢٨

(٣) بحاشية الأصل : « آبائكم » .

دون رِجالكم ، ولنِعم المَعْزِيُّ إليه صلّي اللّه عليه . فبلَّغَ النِّذارةَ ، صادِعاً بالرِّسالة ، ناكِباً عن سَنَنِ المشركين ، ضارباً لأثْباجِهم ، آخِذًا بأكْظامِهم ، داعياً إلي سبيل ربِّه بالحكمة والموعظةِ الحَسنة ، يفُضُّ الهامَ ، ويَجُذُّ الأصنامَ ، حتي انهزمَ الجمعُ ، وولَّوا الدُّبر ، وحتي تفَرَّي الليلُ عن صُبْحِه ، وأسْفَر الحقُّ عن مَحْضِه ، ونَطَق زعيمُ الدِّين ، وخرِسَتْ شَقاشِقُ الشّياطين ، وفُهْتُم بكلمة الإخلاص ، وكنتم علي شَفا حُفْرةٍ من النارِ ، مَذْقَةَ الشَّارب ، ونُهْزَةَ الطامع ، وقَبْسَةَ العَجْلان ، ومَوْطِيءَ الأقدام .

تَشْربُون الطَّرْقَ [١] ، وتَقْتاتُون القَدَّ ، أذِلَّةً خاشِعين ، يَتخطَّفكم الناسُ مِن حولِكم ، فأنقذكم اللّهُ بنبيّه صلّي الله عليه ، بعدَ اللَّتيَّا والَّتِي ، وبَعْدَ ما مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجال ، وذُؤْبانِ العرب ، ومَرَدةِ أهلِ الكِتاب .

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [٢] أو نَجم قَرْنٌ للضَّلالة ، أو فغَرَتْ فاغرةٌ للمشركين ، قذف أخاه عليًّا في لَهَواتِها [٣] ، فلا ينكفيءُ حتي يطأَ صِماخَها بأَخْمَصِه ، ويُخْمِدَ لَهَبَها بَحدِّه ، مَكْظُوظاً [٤] في طاعةِ الله وطاعةِ رسولِه ، مُشَمِّراً ،

---

(١) بحاشية الأصل : « الرَّنْق » . وستأتي في الشرح .

(٢) سورة المائدة ٦٤ ، وبحاشية الأصل : « حَشُّوا » رواية في « أوقدوا » ، وستأتي في الشرح .

(٣) بحاشية الأصل : « هُوَّاتها » . وستأتي في الشرح .

(٤) بحاشية الأصل : « مكدودا في ذات الله » . وستأتي في الشرح أيضا .

ناصِحاً ، مُجِدًّا ، كادِحاً ، وأنتم في بُلَهْنِيَةٍ وادِعُون ، وفي رَفاهيةٍ فَكِهُون ، تأكُلون العَفْوَ ، وتشرَبُون الصَّفْوَ ، تَتَوكَّفُون الأخبارَ ، وتَنْكِصُون عندَ النِّزال .

فلمّا اختار اللهُ لنبيِّه دارَ أنبيائه ، ومَحلَّ أصْفيائِه ، ظَهَرتْ حَسيكَةُ النِّفاق ، وانْسَمَلَ (١) جِلْبابُ الدِّين ، وأَخْلَق عَهْدُه ، وانْتقَضَ عَقْدُه ، ونَطَق كاظِمٌ ، ونَبَغ خامِلٌ ، وهَدَر فَنِيقُ الباطِل ؛ يَخْطِرُ في عَرصَاتِكم ، وأَطْلَعَ الشَّيْطانُ رأسَه مِن مَغْرِزِه ، صارِخاً بكم ، فألفاكم لدعوتِه مُصيخِين (٢) ، وللغِرَّةِ مُلاحِظِين ، واستَنْهَضكُم فوَجَدَكم خِفافاً ، وأحْمَشَكُم فألْفاكم غِضابا ، فَخَطَمْتُمْ (٣) غيرَ إبلكم ، وأورَدْتُموها غيرَ شِرْبِكم . بِداراً زعمْتُم خوفَ الفِتنة . ﴿ أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٤) .

هذا ، والعَهْدُ قريبٌ ، والكَلْمُ رَحِيبٌ ، والجُرْحُ لَمَّا يَنْدمِلْ ، والرَّسولُ لَمَّا يُقْبَرْ .

هَيْهاتَ منكم ، وأينَ بِكم ، وأنَّي تُؤْفَكُون ؟ وكتابُ اللهِ بينَ أَظْهُرِكم ، زواجِرُه قاهِرةٌ ، وأوامِرُه لائحةٌ ، وأدِلَّتُه واضِحةٌ ، وأعلامُه بَيِّنةٌ ، أرَغْبَةً - وَيْحكُم - عنه ؟ ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدلاً ﴾ (٥) .

---

(١) بحاشية الأصل : « وأسمل » .

(٢) بحاشية الأصل : « مستجيبين » .

(٣) بحاشية الأصل : « فوسمتم » .

(٤) سورة التوبة ٤٩

(٥) سورة الكهف ٥٠

ثمّ لم تَرِيثُوا بعدَ اجتهادٍ ، إلاَّ رَيْثَما سَكَنَتْ نَفرَتُها ، وأسْلَسَ قِيادُها .

تُسِرُّون حَسْوًا في ارْتِغاءٍ ، ونحن نَصْبرُ منكم على مِثْلِ وَخْزِ [١] المُدَي ، وأنتم الآن تزعُمون أنْ لا إرْثَ لَنا ، ولاحَظَّ . ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [٢] .

وَيْهاً [٣] مَعْشَرَ المُسْلِمة ، أَأُبْتَزُّ إرْثِيَهْ ؟ أَفي كِتابِ [٤] اللهِ أن تَرِثَ أباكَ ولا أرِثَ أبِيَهْ ؟ لقد جئتَ شيئا فَرِيًّا [٥] .

جُرْأَةً مِنكم على قطيعةِ الرَّحِم ، ونَكْثِ العَهْدِ ، فعَلَى عَمْدٍ ما تركتم كتابَ اللهِ بينَ أظْهُرِكم ونَبذْتُموه .

فدُونَكَها مَرْحُولَةً مَزْمُومةً [٦] ، تكون معك في قَبْرِك ، وتَلْقاكَ يومَ حَشْرِك ، فنِعْم الحَكَمُ اللهُ ، ونِعم الزَّعِيمُ محمدٌ ، والمَوْعِدُ القيامةُ ، وعند الساعةِ ما يَخْسَرُ المُبْطِلُون ، و ﴿ لِكُلِّ نَبأٍ مُسْتَقَرٌّ وسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [٧] .

---

(١) بحاشية الأصل : « حز » .

(٢) سورة المائدة ٥٠ و (تبغون) كما جاء في الأصل ، بالتاء الفوقية ، وهي قراءة ابن عامر . راجع الكشف عن وجوه القراءات ١/٤١١

(٣) بحاشية الأصل : « إيها » .

(٤) بحاشية الأصل : « حكم » .

(٥) انظر الآية ٢٧ من سورة مريم .

(٦) بحاشية الأصل : « مخطومة » .

(٧) سورة الأنعام ٦٧

ثم عدلَتْ إلي مجلس الأنصار ، فقالت : يا مَعْشَرَ الفِئَةِ (١) ، وأعْضادَ المِلَّة ، وحَضَنَةَ الإسلامِ ، ما هذه الغَمِيزَةُ في حَقِّي ، والسِّنَةُ عن ظُلامَتِي ؟ أما قال رسولُ اللهِ ﷺ : « المرءُ يُحْفَظُ في وَلَدِه » ؟ لَسَرْعانَ ما أَحْدَثْتُم ! وعَجْلانَ ذا إهالةً !

أتقولون : مات محمدٌ ؟ لَعَمْرِي ، خَطْبٌ جليلٌ ، اسْتَوْسَعَ وَهْيُه ، واسْتَنْهَرَ فَتْقُه ، وفُقِدَ راتِقُه ، وأظْلَمت الأرضُ لغَيْبته ، واكْتَأَبَتْ خِيرَةُ اللهِ لمُصيبته ، وخشَعَت الجِبالُ ، وأكْدَت الآمالُ ، وأُضِيعَ الحَرِيمُ ، وأُذِيلَت الحُرْمَةُ ، فتلك نازِلةٌ عَلَنَ بها كِتابُ اللهِ في أَفْنِيتكم ، مُمْساكُم ومُصْبَحَكُم ، هِتافاً هِتافاً . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَي أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَي عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢) .

إيهاً بني قَيْلَةَ ! أأُهْتَضَمُ تُراثَ أبي وأنتم بمَرْأًي منِّي ومَسْمَع ؟ تشمَلُكم الدَّعوةُ ، ويَنالُكم الخَبَرُ ، وفيكم العَدَدُ والعُدَّةُ ، ولكم الدارُ ، وعندكمُ الجُنَنُ ، وأنتم نُخْبَةُ اللهِ التي انْتَخَب لدينهِ ، وأنصارُ رسُولِه ، وخِيرَتُه التي انْتَجَب لنا أهلَ البيت ، فنابَذْتُم فِينا صَمِيمَ العَرَب ، وناهَضْتُم الأُمَمَ ، وكافَحْتُم البُهمَ ، لا نَبْرَحُ ولا تَبْرَحُون ، ونأْمُرُكم فتَأْتَمِرُون ، حتي دارَتْ لكم بِنا رَحَي الإسلام ، ودَرَّ حَلَبُ

---

(١) بحاشية الأصل : « التقيَّة » . وعلي هذه الرواية اقتصر المصنف في الشرح . و « الفئة » الفرقة والجماعة من الناس ، في الأصل . وهو من فأيت رأسه وفأوته : إذا شققته . النهاية ٣/٤٠٦

(٢) سورة آل عمران ١٤٤

الأَيَّام ، وخَضعَتْ نَخْوةُ الشِّرْك ، وباخَتْ نِيرانُ الحَرْبِ ، وهَدَأَتْ رَوْعَةُ الهَرْجِ ، واستَوْسَقَ نِظامُ الدِّين .

فأنَّي جُرْتُم بعدَ البَيان ، ونَكَصتُم بعدَ الإقْدام ، عن قَومٍ نَكَثُوا أيمانَهم ، ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

ألاَ قد أرَي – واللهِ – أنْ قد أخْلَدتُم إلي الخَفض ، ورَكَنْتُم (٢) إلي الدَّعَةِ ، وعُجْتُم عن الدِّين ، ومَجَجْتُم الذي عَرفْتُم ، ولَفظْتُم (٣) الذي سُوِّغْتُم ، فـ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٤) .

ألا وقد قُلْتُ الذي قلتُ ؛ علي معرفةٍ بالخِذْلَة التي خامَرَتْكم ، ولكنَّها فَيْضَةُ النَّفسِ ، ومُنْيةُ الغَيْظِ ، ونَفْثَةُ الصَّدْرِ ، ومَعْذِرةُ الحُجَّة ، فدُونَكم فاحْتَقِبُوها مُدْبِرةَ الظَّهْرِ ، مَهِيضَةَ العَظْمِ ، خَوْراءَ القَناةِ ، ناقِبَةَ الخُفِّ ، باقيةَ العارِ ، موصولةً بشَنارِ الأَبَد ، متَّصلةً بنارِ اللهِ ، فبعَيْنِ اللهِ ما تَفْعلُون ، واعْمَلُوا إنا عامِلون ، وانْتَظِرُوا إنَّا مُنْتَظِرُون ، وأنا ابْنةُ نَذيرٍ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شَديد ، ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنْظِرُونِ ﴾ (٥) ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة التوبة ١٣

(٢) بحاشية الأصل : « وخُلِيْتم بالدعة » .

(٣) بحاشية الأصل : « ودسعتم » .

(٤) سورة إبراهيم ٨ .

(٥) سورة هود ٥٥

(٦) آخر سورة الشعراء .

ثم انْكَفأتْ إلي قَبْرِ أبيها ﷺ ، متمثلةً بقول صفيَّة بنت عبد المطلب ، وقيل : أُمامَةُ :

قد كان بَعْدَكَ أنباءٌ وهَنْبَثَةٌ لو كُنتَ شاهِدَها لم تكثُرِ الخُطَبُ

إنَّا فَقدْناكَ فَقْدَ الأرضِ وابِلَها وغابَ مذغِبْتَ عنّا الوَحْيُ والكُتُبُ(١)

تَهَضَّمَتْنا رجالٌ واستُخِفَّ بِنا إذْ بِنْتَ عنَّا فنحن اليومَ نُغْتَصَبُ

أبْدَتْ رِجالٌ لَنا فَحْويَ صُدُورِهمُ لمَّا فُقِدْتَ وحالَتْ دُونَك الكُتُبُ

قال : فما رأينا يوماً أكثَرَ باكِياً وباكيةً من ذلك اليوم .

★ ★ ★

هذا الحديث أكثرُ ما يُرْوَي من طريقِ أهل البيت ، وإن كان قد رُوِيَ من طُرُقٍ أُخري ، أطولَ من هذا وأكثر .

وأهلُ الحديثِ يقولُون : إنه موضوعٌ علي فاطمة .

وقال ابن قُتيبة : قد كنتُ كتبتُه وأنا أري أنَّ له أصلاً ، وسألتُ عنه رجالَ الحديث ، فقال لي بعضُ نَقَلَةِ الأخبارِ : أنا أَسَنُّ مِن هذا الحديث ، وأعرِفُ مَن عَمِله (٢) .

---

(١) بحاشية الأصل : واختلّ قومُك لمَّا غِبْتَ وانقلبوا
وانظر هذا الشعر في مصادر تخريج الحديث .

(٢) غريب الحديث ٥٩٠/١ ، ولم يذكر ابن قتيبة من هذا الحديث إلاّ صدره ، ثم قال ما حكاه عنه ابن الأثير .

والحديث بتمامه ذكره ابن أبي الحديد ، في موضعين من شرح نهج البلاغة ، ٢١١/١٦ - ٢١٣ ، ٢٤٩ - ٢٥١ ، وانظر منه أيضا ٤٣/٦ ، وانظر الفائق ٣٣١/٣ ، ١١٦/٤ ، وبلاغات النساء ص ١٦ =

قلت : هذا الحديثُ وإن كان موضُوعاً كما ذكروا ، فهو مِن أفْصَحِ الكلامِ وأحْسَنِه مأْخذاً ، واحتجاجاً ، ولعلَّ واضِعَه لا يَنْقُصُ درجةً عن الحَجَّاج بن يوسف الثَّقفيِّ ، وكُتبُ غريبِ الحديثِ مشحونةٌ بشرحِ كلامِه وخُطبِه [1] ، فلا بأسَ أن يُجْرَي هذا الحديثُ مجراها ، في شرح غَريبه ومَعانيه ، ولعلَّ أكثرَ ما يُرْوَي من أحاديث الغريبِ الطِّوال جاريةٌ هذا المجري ، في التصنُّع [2] . والله أعلم .

شرحه

الزَّهراءُ : تأنيثُ الأَزْهر ، وهو النَّيِّرُ المُشْرِقُ من الألوان ، وأراد به إشراقَ نُورِ إيمانِها ، وإضاءتَه علي إيمان غيرِها .

وفَدَكُ : اسمُ قَريةٍ من قُري خَيْبَرَ ، كانت هي وغيرُها مِن قُراها خاصَّةً لرسولِ الله ﷺ ، ووقعتْ في سَهْمه من خَيْبر ، فلذلك طلبَتْ فاطمةُ سَهْمَها مِن ميراثِها .

ولاثَت المرأةُ خِمارَها : إذا لَوَتْه علي وَجْهِها ورأسِها ، ولاثَ الرجلُ عمامتَه : إذا أدارَها علي رأسِه .

= وانظر حديث فدك في صحيح البخاري (باب قول النبي ﷺ : « لا نورث ما تركنا صدقة » . من كتاب الفرائض) ٨/١٨٥ – ١٨٧ ، وصحيح مسلم (باب حكم الفيء . من كتاب الجهاد والسير) ص ١٣٧٨ – ١٣٨٣ ، وفتوح البلدان ص ٣٣ – ٣٨ ، وأيضا شرح نهج البلاغة ٦/٤٦

(١) يقول الزجاج عن الحجاج : وإنما احتججنا بكلامه ؛ لأنه كان بقية الفصاحة . تفسير أسماء الله الحسنى ص ٣٦ .

(٢) انظر ما أورده المرتضي من دفع تهمة التصنع هذه ، في شرح نهج البلاغة ١٦/٢٥٢ .

واللُّمَةُ ، بضمّ اللام وتخفيف الميم : الجماعةُ من النِّساء ، ما بين الثلاثة إلي العَشرَة . قيل : أصلُها فُعْلَةٌ ، من المُلاءمة ، وهي الموافقةُ والاجتماع .

قال الجوهريُّ : الهاء عِوَضٌ من الهمزة الذاهِبة من وسَطِها .

والحَفَدَةُ : الأَتْباعُ والخوَلُ ، جَمْع حافِدٍ وحافِدةٍ ، سُمُّوا به مِن الحَفْدِ : الإسراعِ في الخِدمة والعَملِ . يُقال : حَفَدْتُ وأحفَدْتُ .

ووَطْءُ الذَّيل في المشي : من آثارِ الحياءِ والخَفَر ، وكان ذلك من عادةِ نساء العرب .

وقولُها : « لا تَخْرِمُ مِشْيَةَ رسولِ الله » أي لا تَتْرُك ولا تُخالِف ، وكانت مِشْيتُها تُشْبه مِشْيَته .

والحَشْدُ ، بسكون الشِّين : الجَمْع ، واحتشَدَ القومُ : إذا تَجمَّعُوا .

ولُطَّتْ : أي مُدَّتْ وسُتِرتْ ، يقال : لَطَّ الحقَّ بالباطِل : إذا سَتَره به .

ويُروي : « نِيطَتْ » أي عُلِّقتْ ، يقال : ناطَ به كذا يَنُوطُه نَوْطاً : إذا عَلَّقه .

والمُلاءَةُ : الإزارُ .

والأنينُ : صوتُ المتوجِّع الشَّاكي .

وأجْهَشَ بالبكاء : إذا تهيَّأ له ، يقال : جَهشْتُ ، وأجْهَشْتُ ، وأصلُه أن يفزعَ الإنسانُ ، ويلجأَ إلي غيرِه ، وهو مع ذلك يريد البكاء ، كما يفزَعُ الصبيُّ إلي أُمِّه من شيءٍ يخافه .

والنَّحِيبُ : الصوتُ في البكاء .

وفَوْرَةُ الشيء : أوَّلُه ، وحِدَّتُه ، ومنه فَوَرانُ القِدْرِ ، وغَلَيانُها .

والرَّوعَةُ : المَرَّةُ من الرَّوعِ : الفَزَع .

وقولُها : « عَوْداً علي بَدْءٍ » أي مرَّةً بعدَ مرَّةٍ ، وآخِراً بعدَ أوَّل .

والسَّرَفُ : ضِدُّ القَصْدِ ، والسَّرَفُ : الإغفالُ والخطأُ .

والشَّطَطُ : البُعْدُ عن الحَقِّ ، والجَوْرُ ، والظُّلْم .

والعَنَتُ : الإثْمُ ، والوقوعُ في أمرٍ شاقٍّ ، وقد عَنِتَ هو ، وأعْنَتَه غيرُه .

وعَزَوْتُ الشيءَ أعْزِيه ، وأعْزُوه ، فهو مَعْزِيٌّ ومَعْزُوٌّ : إذا أسْنَدْتَه إلي غيرك . أي إن نَسبتُم رسولَ الله ﷺ إلي أحدٍ من النِّساء والرِّجال ، فأنا وعليٌّ ابن عمّي أقربُ إليه من نِسائكم ورِجالكم .

والنِّذارةُ : الإنذارُ ، يقال : أنْذَر يُنْذِرُ إنذاراً ، ونِذارةً : إذا أعْلَمَ بالأمر . والإنذارُ أيضاً : التَّخويفُ .

والصَّدْعُ في الأصل : الشَّقُّ . وصادِعاً بالرسالة : أي مُبَلِّغاً لَها ، علي أكْملِ وَجْه ، وأتمِّ قَضيَّة ، ومنه قوله تعالي : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [1] .

والنَّاكِبُ : العادِلُ عن الشيءِ .

والسَّنَنُ : الطريقُ الواضحُ .

---

(١) سورة الحجر ٩٤

والأَثْباجُ : جَمْع ثَبَجٍ ، وهو الوسَطُ ، وما بينَ الكتفَيْن مِن الظَّهْر .

والأَكْظامُ : جمع كَظَمٍ ، بالتَّحريك ، وهو مَخْرجُ النَّفسِ مِن الحلْق .

والفَضُّ : الكَسْرُ ، والفَتْحُ .

والهامُ : الرُّؤوسُ ، جمع هامةٍ .

والجَذُّ : القَطْعُ والاستئصالُ ، والكَسْرُ .

والجَمْعُ : الجَيْشُ .

وتَوْلِيةُ الدُّبُرِ : الانهِزامُ .

وتَفرِّي اللَّيلِ عن صُبْحِه : أي انكشَفَ ، وانْشَقَّ ، يقال : فَرَيْتُ الشيءَ : إذا شَقَقْتَه للإصلاحِ ، وأفْرَيْتُه : إذا شقَقْتَه للإفْسادِ (١) .

والمَحْضُ : الخالِصُ .

والإسْفارُ : الإضاءةُ ، والظُّهُور ، ومنه إسْفارُ الصُّبْح .

وزَعيمُ القوم : رئيسُهم ، ومُقَدَّمُهم .

وشقاشِقُ الشَّياطين : ما يتكلَّمون به ، وأصلُه مِن الشِّقْشِقَةِ التي يُخْرِجُها الجَمَلُ مِن جَوْفِه ، وهي جِلْدةٌ حمراءُ يَنْفُخُ فيها ، وتَظْهَرُ مِن شِدْقِه ، فشبَّه بها الكلامَ ؛ لخُروجِه مِن الفَم .

وفاهَ بالقولِ يَفُوه به ، وتَفوَّه : إذا تكلَّم ، وهي مبنيَّةٌ من لفظِ الفَمِ (٢) .

---

(١) راجع إصلاح المنطق ص ٢٤٤ .

(٢) معروف أن « الفم » أصله « فَوَه » بفتحتين ، ولهذا يجمع على أفواه ، مثل سبب وأسباب ، ويثني على لفظ الواحد ، فيقال : فمان ، وهو من غريب الألفاظ التي لم يطابق مفردها جمعها . قاله في المصباح .

وكلمةُ الإخلاص : شهادةُ أن لا إلهَ إلاّ اللهُ .

وشَفَا كلِّ شيءٍ : حَرْفُه ، وجانِبُه .

والمَذْقَةُ : الشَّرْبَةُ اليَسيرةُ ، مِن اللَّبن المَمْذُوق ، وهو المَخْلوطُ بالماءِ .

والنُّهْزَةُ : الفُرْصَةُ ، وأَخْذُ الشيءِ مُبادَرَةً ، وأَصلُ النَّهْز : الدَّفْعُ .

والقَبْسَةُ : المَرَّةُ من اقتباس النارِ ، وبالضّمِّ : الاسمُ ، وهي الشُّعْلَةُ .

أي إنكم كنتم علي حَرْفٍ من الهلاكِ ، المُوقِع في النار ، وكنتم مُهْمَلين ، بمنزلة ما يأخذُه ذائقُ الَّلبنِ ليختبرَه ، وكنتم فُرْصةً للطامِع فيكم ، وبمنزلة اقتباسِ المستعجِلِ لأخْذِ الشُّعْلة من النار .

والطَّرْقُ : الماءُ الكَدِرُ الذي خاضَتْه الإبلُ ، وبالَتْ فيه ، وبَعَرَتْ .

ويُروَي : « الرَّنْقُ » ، وهو الماءُ الكَدِرُ ، والرَّنَقُ ، بالتحريك : المَصْدرُ ، وقد رَنِقَ الماءُ يَرْنَقُ .

والاقْتِياتُ : أَكْلُ القُوت .

والقَدُّ بالفتح : الجِلْدُ غيرُ المَدْبُوغ ، كانوا يأكلونه في الجَدْبِ والمجاعة .

وقيل : هو جِلْدُ السَّخْلةِ والماعِزةِ .

والقِدُّ ، بالكسر : سَيْرٌ يُقْطَعُ من جِلْدٍ غيرِ مَدْبُوغ .

والخُشُوعُ : الذُّلُّ ، والخُضُوعُ .

والتَّخطُّفُ : الاستِلابُ ، وأخْذُ الشيءِ بسُرْعة ، وقد خَطِفَ الشيءَ يَخْطَفُه ، وخَطَفَه يَخْطِفُه [١] .

والإنْقاذُ : الإنْجاءُ ، والتَّخْليصُ .

وبعدَ اللَّتَيَّا والَّتي [٢] : أي بعدَ الشَّدائِدِ ، والأُمورِ العظيمة ، وهي كلمةٌ تُقالُ في الأمرِ الصَّعْب المُسْتَبْعَد .

واللَّتَيَّا : تصغير الَّتِي ، ولم يستعملوا معها الصِّلَةَ والعائدَ ؛ ليُوهِمُوا أن الأمرَ بلَغَ مِن الشِّدَّةِ ما تَقْصُرُ العِبارةُ عن وَصْفِه .

وتقديُره : بعدَ الَّتي مِن شِدَّتِها كَيْتَ وكَيْتَ .

ومُنِيَ الرجلُ بكذا : أي بُلِيَ به . يُقال : مَنَوْتُه ومَنَيْتُه : إذا ابْتلَيْتَه ، وكأنَّه من المَنَا : القَدَرِ ، قال :

---

(١) الفعل من باب تعب ، وفي لغة من باب ضرب . ذكره في المصباح .

(٢) يأتي هذا في رجز للعجاج . انظره في ديوانه ص ٢٧٤ ، والكتاب ٣٤٧/٢ ، ٤٨٨/٣ ، والمقتضب ٢٨٩/٢ ، وأمالي ابن الشجري ٢٤/١

و « اللتيا » تأتي في بعض ما رأيت من الكتب ، بضم اللام ، وهو خطأ ، نبه عليه الحريري في درة الغواص ، قال : « ويقولون : « بعد اللتيا والتي » فيضمون اللام الثانية من « اللتيا » ، وهو لحن فاحش ، وغلط شائن ؛ إذ الصواب فيها : « اللَّتيا » بفتح اللام ؛ لأن العرب خصت الذي والتي عند تصغيرهما ، وتصغير أسماء الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها ، وبأن زادت ألفا في آخرها ، عِوضا عن ضم أولها ، فقالوا في تصغير الذي والتي : اللَّذيّا واللتيَّا ، وفي تصغير ذاك وذلك : ذيَّاك وذيّالك » درة الغواص ص ١٢

* حتّي تُلاقِيَ ما يَمْني لك الماني * (١)

أي ما يُقدِّر لك المُقَدِّر (٢) .

والبُهَمُ : جَمْعُ بُهْمةٍ ، بالضمّ ، وهي مُشْكِلاتُ الأمورِ ، فاستعارَتْها لشِدادِ الرِّجالِ .

وإن كانت الهاءُ ساكنةً ، فهي جمعُ بَهِيمٍ ، وهو الذي لا يُخالِطُ لونَه لونٌ سِواه .

والذُّؤْبانُ : جَمْعُ ذِئْبٍ (٣) . وتُريدُ به لُصُوصَ العَرب ، وأشرارَهم .

---

(١) صدره :

لا تأمننّ وإن أمسيتَ في حَرَمٍ

وبعده ، ويرتبط به :

فالخير والشر مقرونان في قرن ... بكل ذلك يأتيك الجديدان

وقد اختلف في نسبتهما ، فهما لسويد بن عامر المصطلقي ، في أسد الغابة ١٦٧/٥ ، والإصابة ٩٤/٦ ، في ترجمة (مسلم بن الحارث الخزاعي) . مع اختلاف في الرواية .

وينسبان أيضا لأبي قلابة الهذلي ، ضمن قصيدة تراها في شرح أشعار الهذليين ص ٧١٠ - ٧١٣ ، وتخريجها في ص ١٤٥٧

والبيتان من غير نسبة في الفائق ٣٩٠/٣ ، والنهاية ٣٦٨/٤

والبيت الأول من غير نسبة في معجم مقاييس اللغة ٢٧٦/٥ ، والثاني من غير نسبة أيضا في جمهرة الأمثال ٥٤٣/١

(٢) في الأصل : « القادر » . وصححته من النهاية ، والمقاييس .

(٣) في الأصل : « ذيب » بالياء ، وهو يهمز ولا يهمز .

والمَرَدَةُ : جمع ماردٍ ، وهو الشَّيطانُ الدَّاهِي مِن الإنسِ والجِنِّ .

وأهلُ الكتابِ : اليهودُ والنَّصاري .

وحَشَّ النارَ يَحُشُّها : إذا أوْقَدَها .

ونَجَمَ القَرْنُ ، والنَّبْتُ : إذا طَلَعا .

فاستعارَتْ طُلُوعَ القَرْنِ لمن يَخْرُجُ من الناسِ ، يبتغي الفِتنةَ والشَّرَّ ؛ ولذلك جعلَتْه للضَّلالة .

وفَغَر فاهُ يَفْغَرُه : إذا فَتَحه ، وفَغَرتِ السِّنُّ : إذا طَلَعتْ ، كأنه يَنْفَطِرُ ، ويَنْفتحُ للنَّبات . فاستعارتْه لظُهورِ أهلِ الشِّرك .

والقَذْفُ : الرَّمْيُ ، والإلقاءُ بقُوَّة .

واللَّهَوَاتُ : جَمْع لَهاةٍ ، وهي سَقْفُ أقصَي الفَمِ ، فاستعارَتْها لغايةِ الحَرْبِ ، وشِدَّتِها .

ويُرْوَي : « في هُوَّاتِها » ، جَمْع هُوَّةٍ ، وهي الوَهْدَةُ ، والحُفْرةُ ، فاستعارتْها للوَرْطة التي لا مَخْلَصَ مِنْها .

والانكفاءُ : الرُّجوعُ .

والصِّماخُ : الأُذُنُ ، وقيل : ثَقْبُها ، فكَنَتْ به عن الرأس ؛ لأنّه منه .

والأَخْمَصُ : المُتقعّر مِن أسْفَلِ القَدَمِ .

تُريدُ : كُلَّما ظَهَر صاحبُ ضَلالةٍ ، أو طَلَعَ للمشركينَ طالِعٌ ، أَلْقَي عليًّا في نُحُورِهِم ، وورَطاتِهم ، فلا يرجعُ حتَّي يطأَ رُؤوسَهم بقَدَمِه ، ويُطفيءَ نِيرانَ حَرْبِهم بسَيْفه .

والمَكْظُوظ : المُهْتَمُّ . وأصْلُ الكَظِّ : الامتِلاءُ ، والكَرْبُ ، والثِّقْل [١] .

ويُروَي : « مَكْدُوداً » ، وهو المُتْعَبُ ، وقد كَدَّه يَكُدُّه كَدًّا .

وقولُها : « في ذاتِ اللهِ » أي في جَنْبِ نُصْرةِ دِينِه ، والوُقُوفِ عند حُكْمِه .

وقد اختلَفَ أهلُ العربيّة في إطلاقِ لَفْظةِ « الذَّاتِ » علي اللهِ تعالي ، فمَنَع منه أكثَرُهم ؛ لأنَّ التاءَ فيها للتأنيث ، وقد وردَتْ في غير موضعٍ من الحديثِ الصَّحيح ، وذلك دليلُ جَوازِها ، ولا تكونُ التاءُ فيها للتأنيث ؛ فقولهُم : « في ذاتِ اللهِ » أي في اللهِ ، كما يُقالُ : ذاتُ زَيْدٍ ، أي نَفْسُه ، وعينُه ، ومنه شعرُ خُبَيْبٍ الأنصاريّ :

وذلك في ذاتِ الإله وإن يَشأْ   يُبارِكْ علي أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ [٢]

والمُجِدُّ : ضِدُّ الهازِل ، يُقال : جَدَّ في الأمرِ ، وأجَدَّ ، بمعنيً .

والكَدْحُ : الاجتِهادُ في السَّعْي والعَمَلِ .

والبُلَهْنِيَةُ : الرَّاحةُ ، وسَعَةُ العَيْشِ .

---

(١) هكذا ضبطت القاف في الأصل بالسكون ، وهو جائز للتخفيف ، والأصل الفتح ، وقيده صاحب المصباح بوزن عنب ، وكذلك هو في القاموس .

(٢) البيت في صحيح البخاري (باب هل يستأسر الرجل . من كتاب فضل الجهاد والسير) ٨٣/٤ ، و (باب حدثني عبد الله بن محمد الجعفي ، من فضل من شهد بدرا ، من كتاب المغازي) ١٠٢/٥ ، و (باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان . من كتاب المغازي) ١٣٣/٥

وانظر قصيدة خبيب – رضي الله عنه – كاملة في السيرة النبوية ١٨٥/٣

والوادِعُ : السَّاكِنُ ، والدَّعَةُ منه ، والهاءُ فيها عِوَضٌ من الواوِ المحذوفة .

والرَّفاهِيَةُ : التَّنعُّمُ ، وطِيبُ العَيْشِ ، وأصلُه الخِصْبُ .

والفَكِهُ : الطَّيِّبُ النَّفْسِ ، والفَكِهُ أيضاً : الأَشِرُ البَطِرُ ، والفاكِهين [١] : النَّاعِمين .

والعَفْوُ : السَّهْلُ الهَنِيءُ .

والتَّوَكُّفُ : استِعلامُ الأخبارِ ، وتوقُّعُها [٢] .

والنُّكُوصُ : الرُّجُوعُ إلي وراء .

والنِّزالُ : القِتالُ .

ودارُ الأنبياءِ : الدارُ الآخِرة ؛ خُصُّوا بِها لرَغْبتهم في الذَّهاب إليها ؛ ولأنَّهم أحَقُّ بِها .

والحَسيكةُ : العَداوةُ ، والحِقْدُ ، يقال : هو حَسِكُ الصَّدْرِ ، وحَسِيكُه .

والجِلْبابُ : الإزارُ .

وأسْمَلَ الثَّوْبُ ، وسَمَل ، وانْسَمَلَ : إذا أَخْلَقَ ، وبَلِيَ .

وإخْلاقُ العَهْدِ : كِنايةٌ عن ضَعْفِه ، وإهمالِ العملِ به .

---

(١) هكذا في الأصل : « الفاكهين » بالنصب ، وبالألف بعد الفاء ، والذي سبق في متن الحديث : « فكهون » ، بالرفع ، وحذف الألف . ولا كلام في حذف الألف ؛ فإن الفكه والفاكه سواء ، ولكن الكلام في النصب هنا ، والرفع هناك ، والمعروف أن المفسِّر يوافق المفسَّر ، إعرابا ، وأيضا فإن الأصل في الشرح الرفع .

(٢) مأخوذ من وكف المطر : إذا وقع . النهاية ٥/٢٢١

والكاظِمُ : المُمْسِكُ عن الكلامِ علي غَيْظ .

ونَبَغَ الشيءُ : إذا طَلَع وظَهَر .

والخامِلُ : الوَضيعُ ، الذي لا يكاد يُعْرَفُ .

والفَنِيقُ : الفَحْلُ مِن الإبل .

والهَديرُ : تَرْديدُ صَوْتِه في حَنْجرتِه .

وخَطَر يَخْطِرُ : إذا تَبَخْتَر في مَشْيِه ، مُعْجَباً بنفسِه .

والعَرَصاتُ : جمع عَرْصَةٍ ، وهي الفُسْحَةُ مِن الدارِ ، لابِناءَ فيها

ومَغْرِزُ الرَّأسِ : مُنْتَهي العُنُقِ مِن أعلاه ، كأنَّ رأسَه كان مُنْخَفِضاً فأَطْلَعَه .

والصُّراخُ : الصوّتُ العالي .

والإصاخَةُ : الاستماعُ .

والغِرَّةُ : الغَفْلةُ .

والمُلاحظَةُ : النَّظرُ بلِحَاظِ العَين ، وهي مُؤْخِرُها ، ولا تكون المُلاحَظَةُ إلاَّ مع تَرَقُّبٍ وتَوقُّعٍ .

وأَحْمَشكُم ، بالشين المعجمة : أي أغْضَبَكم ، يقال : أحْمَشْتُ الرجلَ ، وحَمَّشْتُه ، إحْماشاً ، وتحميشاً .

والخَطْمُ : تَرْكُ الخِطامِ ، وهو كالمِقْوَدِ في رأسِ البعير .

ويروي : « فوَسَمْتُم غيرَ إبِلِكم » مِن الوَسْمِ : الكَيِّ ، أي أخذتم غير حَقِّكم ؛ لأن الإنسانَ إنما يَخْطِمُ ، أو يَسِمُ مِن الإبِلِ ما هو مِلْكُه ، ولذلك قالت : « وأورَدْتُموها غيرَ شِرْبِكم » أي جمعتم بينَ اغتصابِها وسَقْيِها غيرَ مائِكم .

والكَلْمُ : الجُرْحُ .

والرَّحِيبُ : الواسِعُ .

وانْدِمالُ الجُرْحِ : بُرْؤُه وصَلاحُه .

وقولُها : « والرَّسولُ لَمَّا يُقْبَرْ » تقريبٌ لزَمنِ وفاتِه .

و « لَمَّا » حرف جَزْمٍ ، مثل « لم » ؛ إلاَّ أنّ « لم » جوابُ « فَعَلَ » و « لَمَّا » جواب « قد فَعَلَ » فزادُوا « ما » بإزاء « قَدْ » ، فتضمَّنت بذلك معنى التَّوقُّعِ والانتظار .

والبِدارُ : السُّرْعةُ ، والعَجَلَةُ . تُريد أنَّهم إنَّما عَقدُوا البَيْعةَ لأبي بكرٍ ، خوفاً مِن الفِتْنة ، واختلافِ المسلمين في طلب الخِلافة .

وتُؤْفكُون : بمعنى تُصْرَفُون ، ويُذْهَبُ بكم .

والزَّواجِرُ : النَّواهِي .

ووَيْحٌ : كلمةُ رحمةٍ ، تُقَدَّمُ على الخِطاب ، يُقال : وَيْحٌ له ، ووَيْحاً له ، ووَيْحَهُ .

وبِئْسَ : كلمةُ مُبالَغةٍ في الذَّمِّ ، نَقِيضُ « نِعْمَ » .

و « بَدَلاً » منصوبٌ على التمييز .

والرَّيْثُ : الإبْطاءُ ، يقال : راثَ الأمرُ ، يَرِيثُ ، وتُضافُ إليها « ما » ليصحَّ وُقوعُ الفِعلِ بعدَها [1] .

---

(١) هذا كلام المصنف هنا ، لكنه أجاز في النهاية أن تستعمل بغير « ما » ، قال : « وقد يستعمل بغير ما ولا أن ، كقوله :

لا يُصْعِبُ الأمرَ إلا ريث يركبه

وهي لغة فاشية في الحجاز ، يقولون : يريد يفعل ، أي أن يفعل ، وما أكثر ما رأيتها واردة في كلام الشافعي رحمة الله عليه » . النهاية ٢/٢٨٧ ، وانظر صدق كلام ابن الأثير ، في الرسالة للإمام الشافعي ، صفحات ٤٩ ، ٢٦٥ ، ٥٨٢

والمعني : لم تَلْبَثُوا إلاَّ بقَدْرِ ما سَكَنَتْ نَفْرَةُ الحالِ الحاضِرةِ .

وأسْلَسَ قِيادُها : أي سَهُلَ أمرُها ، وهانَ صَعْبُها .

وقولُها : « تُسِرُّونَ حَسْواً في ارْتِغاءٍ » ، هذا مَثَلٌ قديمٌ [(١)] ، ومعناه : تُظْهِرون خِلافَ ما تُضْمِرُون .

والارْتِغاءُ : شُرْبُ رُغْوَةِ [(٢)] اللَّبنِ .

وأصلُه الرجلُ يُؤْتَي باللَّبنِ ، فيُظْهِرُ أنه يُرِيدُ الرُّغْوَةَ خاصَّةً ، لا يُريدُ غيرَها ، فيشرَبُها ، وهو مع ذلك يَحْسُو مِن اللَّبن سِرًّا .

والوَخْزُ : النَّخْسُ .

والحَزُّ : قَطْعُ الشيءِ من غير أن يَبِينَ .

والمُدَي : جَمْع مُدْيةٍ ، وهي السِّكِّينُ .

والابْتغاءُ : الطَّلَبُ .

ووَيْهاً : كلمةٌ يقولُها المُغْرِي بالشيءِ ، والمُنْكِرُ له ، علي القومِ المُخاطَبِين .

وإيهاً : كلمةُ تحريضٍ ، وحَثٍّ ، واستِزادة .

والمُسْلِمةُ ، والمُهاجِرةُ : تُرِيدُ بهما الأُمَّةَ المسلمةَ ، والطائفةَ المهاجرةَ .

---

(١) الأمثال لأبي عبيد ص ٦٥ ، ومجمع الأمثال ٢/٤١٧ (باب الياء) ، ولفظ المثل فيه : « يُسِرّ حَسْوًا في ارتغاء » .

(٢) الراء مثلثة .

والابتزازُ : السَّلْبُ ، والأَخْذُ ، يقال : بَزَّه ثوبَه ، وابتَزَّه .

والهاء في « إرْثِيَهْ » و « أَبِيَهْ » هاءُ السَّكْتِ والوقفِ ، كقولِه تعالي : ﴿ مَا أَغْنَي عَنِّي مَالِيَهْ ﴾ (١) .

والأمرُ الفَرِيُّ : العظيمُ .

والجُرْأَةُ : الإقدام علي الأمرِ .

وقَطْعُ الرَّحِمِ : ضِدُّ وَصْلِها ، وهو عُقُوقُ الأهلِ والأقارِبِ ، وتَرْكُ بِرِّهِم ، والإحسانِ إليهم .

ونَكْثُ العَهْدِ : نَقْضُه .

والعَمْدُ : القَصْدُ ، وهو ضِدُّ الخطأ .

والنَّبذُ : الرَّمْيُ ، والإلْقاءُ .

والهاءُ في « فدُونَكَها » راجعةٌ إلي الحالةِ ، والقَضِيَّةِ الموجودةِ .

والمَرْحُولَةُ المَخْطُومةُ : النَّاقةُ التي شُدَّ عليها رَحْلُها ، وعُمِلَ في رأسِها خِطامُها ، فهي مُعَدَّةٌ للرُّكُوب ، والقَوَدِ .

والمَزْمُومةُ : التي جُعِلَ في رأسِها زِمامُها .

والزَّعيمُ ، ها هنا : الكَفِيلُ ، الضَّامِنُ .

وقولُها للأنصارِ : « يا مَعْشَرَ التَّقِيَّة » (٢) أي يا أهلَ التَّقْوَي ، أو الاتِّقاء ، الذين يُدْفَعُ الجَوْرُ بِكم .

---

(١) سورة الحاقة ٢٨

(٢) الذي سبق في نَصّ الخطبة : « الفئة » ، وقد علقت عليه هناك .

وأَعْضادُ المِلَّةِ : أنصارُها ، وحُماتُها .

وحَضَنَةُ الإسلامِ : حافِظُوه ، ورابُّوه ، جَمْعُ حاضِنٍ ، وهو كافِلُ الطِّفْلِ ، كأَنَّهم جَعلُوا الإسلامَ في حِضْنِهم .

والغَمِيزَةُ : العَيْبُ ، والتُّهْمةُ ، مِن الغَمْزِ : العَيبِ ، يقال : ليس في فُلانٍ غَمِيزةٌ ، ومَغْمَزٌ ، أي مَطْعَنٌ ، ومَعابٌ .

والسِّنَةُ : أَوَّلُ النَّومِ ، وهي مِن الوَسَنِ ، والهاءُ عِوَضٌ من الواو . أي ما هذا النَّومُ ، والإِغْضاءُ عن كَشْفِ ظُلامَتِي ؟

والسَّرْعانُ : بمعني سَرُعَ ، يقال : سَرْعانَ ذا خُرُوجاً ، بالفتح ، والضَّمِّ ، والكَسْرِ .

قال الجوهريُّ : نُقِلتْ فَتْحةُ العَيْنِ إلي النُّون ؛ لأنه معدولٌ مِن سَرُعَ ، فبُنِيَ عليه . ولَسَرْعانَ ما صَنَعْتَ كذا : أي ما أَسْرَعَ ! ويقال : سَرْعَ ما صَنَعْتَ كذا ، أراد : سَرُعَ ، فخَفَّف [1] ، وقد رُوِيَ كذلك .

والمعني : ما أَسْرَعَ مُخالَفَتَكم ما كان عليه رسولُ الله ﷺ!

وقولُها: « عَجْلانَ ذا إهالَةٍ»[2] عَجْلان : مِن عَجِل ، كسَرْعان : مِن سَرُعَ

---

(١) المراد بالتخفيف هنا التسكين ، وهو يقال في مقابلة التثقيل ، الذي يراد به تحريك الحرف بأحد الحركات الثلاث ، وقد نبهت عليه من قبل . انظر ما سبق في تعليقاتي علي حديث استسقاء النبي ﷺ .

(٢) في مجمع الأمثال ٣٣٦/١ : « سرعان ذا إهالة » . وقال الميداني : « وأصل المثل أن رجلا كانت له نعجة عجفاء ، وكان رغامها يسيل من منخريها لهزالها ، فقيل له : ما هذا الذي يسيل ؟ فقال : ودكها ، فقال السائل : سرعان ذا إهالةً ، نصب « إهالة » علي الحال ، و « ذا » : إشارة إلي الرغام ، أي سرع هذا الرغام حال كونه إهالة ، ويجوز أن يحمل علي التمييز ، علي تقدير نقل الفعل ، مثل قولهم : تصبب زيد عرقا » . وانظر جمهرة الأمثال ٥١٩/١

والإهالَةُ : الدُّهْنُ ، والوَدَكُ الجامِدُ [١]

والخَطْبُ : الشَّأْنُ ، والحالُ .

والوَهْيُ : الخَرْقُ ، وقد وَهَي الشَّيْءُ يَهِي : إذا هَلَكَ ، أو كادَ .

واسْتَنْهَر فَتْقُه : أي اتَّسَعَ ، فصارَ كالنَّهْرِ ، مَجْرَي الماءِ .

والرَّاتِقُ : السَّادُّ ، ضِدُّ الفاتِقِ .

واكْتأَبَتْ : أي صارَتْ كئيبةً حَزِينةً ، يُقال : كَئِبَ ، واكْتأَبَ .

والإكْداءُ : الخَيْبَةُ ، وأصلُه مِن حافِرِ البِئرِ ، يَنْتِهي إلي كُدْيةٍ مِن الأرضِ ، وهي القِطْعةُ الصُّلْبةُ ، فلا يُمْكِنُه الحَفْرُ ، فيتركه ، يقال : أكْدَي الحافِرُ : إذا بَلَغَ الكُدْيَةَ .

والحَرِيمُ : الأهلُ ، والنِّساءُ .

والإذالَةُ : الإهانةُ ، والإذلالُ .

وقولُها : « عَلَنَ بها كِتابُ اللهِ » هكذا رُوِيَ ، فإن صَحَّ فهو مِن عَلَنَ [٢] الأمْرُ ، يَعْلُنُ عُلُوناً : إذا ظَهَر ، وعَلِنَ يَعْلَنُ عَلَناً ، وأعلَنْتهُ أنا : إذا أظهرتُه .

والهِتافُ ، بالكسر : الصِّياحُ ، وتكرارُه للتأكيد .

---

(١) هنا بياض بالأصل ، مقدار ثلاث كلمات . والودك : الدسم .

(٢) هذا من باب قعد ، والذي بعده من باب تعب ، علي ما في المصباح .

ومُمْساكُم ومُصْبَحُكم : مصدرٌ ، أي ترَوْنَه عندَ المساءِ والصَّباح .

وبنو قَيْلَةَ : هم الأنصارُ ، وقَيلَةُ : أُمُّهمُ الأُولي ، وهي قَيْلَةُ بنت كاهِل .

والهَضْمُ : الوَضْعُ ، والاطِّراحُ . تُريدُ به مَنْعَها مِن حَقِّها .

والجُنَنُ : جَمْعُ جُنَّةٍ ، وهو ما يُدْفَعُ به الأذي .

ونُخْبةُ الشيءِ : خالِصُه .

وخِيرتُه : ما اخْتِيرَ (١) منه .

والانْتِجابُ ، بالجيم : الخِيارُ ، وأخْذُ النَّجِيب مِن الشيء .

والمُنابَذَةُ : المُقاتَلَةُ ، والمُخاصَمَةُ .

وصَمِيمُ العَربِ : أصْلُهم ، وخالِصُهم .

والمُناهَضَةُ : مُفاعلةٌ من النُّهوض في الأمر ، والقيامِ به .

والمُكافَحةُ : المُقاتلَةُ ، والمُدافَعَةُ .

والبُهَمُ : الجَماعَةُ ، وقد تقدَّم (٢) .

ودَوَرانُ رَحا الإسلام : كنايةٌ عن انتظامِ أمرهم ، واستِمرارِهِ .

ودُرُورُ حَلَبِ الأيامِ : كنايةٌ عن اتِّساعِ الرِّزق ، والخيرِ .

والنَّخْوَةُ : الحَمِيَّةُ ، والكِبْرُ .

وباخَت النَّارُ : إذا فَترتْ وسكَنَ لَهَبُها .

---

(١) ضبطت التاء في الأصل بالضم ، وكأنه يريد الإشمام .

(٢) في هذا الحديث نفسه .

والهَرْجُ : الاختِلافُ ، والقَتْلُ .

واسْتَوْسَقَ الأمرُ : إذا تَمَّ ، وكَمُلَ .

والنِّظامُ : العِقْدُ .

والجَوْرُ : الظُّلْمُ .

وإن كان بالحاء المهملَة : فهو مِن الضَّلال عن الطَّريق ، والحيرةِ فيه .

وأَخْلَدَ إلي الأمرِ : إذا مالَ إليه ، وألقي نَفْسَه نَحْوَه .

وخُلِبْتُم بالدَّعَةِ : أي خُدِعْتُم بالسُّكونِ والراحةِ .

والعَوْجُ : العَطْفُ ، يقال : عُجْتُ البعيرَ ، أَعُوجُه عَوْجاً ، ثم استعُير للرُّجُوع . يقال : فلانٌ ما يَعُوجُ عن كذا ، أي ما يَرْجِعُ عنه .

والمَجُّ : إلقاءُ ما في الفَمِ ، أو الجَوْفِ .

ويُرْوَي : « جَمْجَمْتُم » ، وهو تَرْكُ الإفصاحِ بالقولِ .

واللَّفظُ : الرَّمْيُ ، يقال : لَفظْتُ الشيءَ ، أَلْفِظُه : إذا رَمَيْتَه .

وسُوِّغْتُم : أي جُعِلَ لكم سائغاً ، هَنِيءَ البَلْعِ .

ويُرْوَي : « دَسَعْتُم » ، أي دفَعْتُم ، يقال : دَسَعَهُ دَسْعاً ، إذا دَفَعه .

والخِذْلَةُ : الحالةُ مِن الخِذْلان .

والمُخامَرَةُ : المُخالَطَةُ .

والفَيْضُ : الامتِلاءُ ، والجَرْيُ (١) .

---

(١) فى المصباح : فاض كل سائل : جرى .

والمُنْيَةُ : فُعْلَةٌ من التَّمنِّي .

والنَّفْثَةُ : المَرَّةُ مِن النَّفْثِ ، وهو أقلُّ البَصْقِ .

والمَعْذِرَةُ : مَفْعِلةٌ مِن الاعتذارِ .

تريدُ : إنما قلتُ هذا القولَ ؛ لأنَّ نَفْسي امتلأتْ ففاضَتْ ، وغَلَبنِي الغَيظُ ، فأعطيتُه مُناه ، وامتلأَ صَدْرِي فبصَقْتُ ، وأظْهَرْتُ الحُجَّةَ ؛ ليقومَ عُذْرِي فيما قلتُ .

والاحْتِقابُ : الادِّخارُ ، والاقْتِناءُ ، يُقال : حَقَبَ الشيءَ ، واحْتَقَبه .

والضميرُ راجعٌ إلي الحالِة ، كالضَّمير المتقدِّم .

والمُدْبِرَةُ الظَّهرِ : النَّاقةُ التي دَبِرَ [١] ظَهرُها ، وانْعَقَر .

والمَهِيضُ : المكْسُورُ ، المُهانُ .

والخَوراءُ : اللَّيِّنَةُ الضَّعيفةُ ، من الخَوَرِ : الضَّعفِ .

والقَناةُ : استعارةٌ لصُلْبِها ، أو قَوائمِها .

والنَّاقِبةُ الخُفِّ : هي التي حَفِيَ خُفُّها ، نَقِبَتْ فهي ناقِبةٌ ، وأنْقَبَ الرجلُ ، وأدْبَرَ : إذا حَفِيَ خُفُّ بعيرِه ، وانْعَقر ظَهْرُه .

والعارُ ، والشَّنارُ بمعنيً .

والنَّذيرُ : المُنْذِرُ ، فَعيلٌ بمعني مُفْعِلٍ .

والكَيْدُ : المَكْرُ .

والإنْظارُ : التأخيرُ .

---

(١) الدبر ، بالتحريك : الجرح الذى يكون فى ظهر البعير .

والهَنْبَثَةُ : الأمْرُ العظيمُ ، المختلفُ ، وجَمْعُها : هَنابِثُ .

ويُرْوَي : « هَيْنَمَةٌ » . وهي الكلامُ الذي لا يُفْهَمُ لخفائِه ، كالدَّنْدَنةِ ، والياءُ زائدةٌ .

والوابِلُ : المَطَرُ الغزيرُ .

والتَّهَضُّمُ : الإذْلالُ ، والانْتِقاصُ .

وفَحْوَي الكلامِ : مفهومُه ، دُونَ صَرِيحه .

حديثٌ آخَرُ
لفاطمة رضي الله عنها

رُوِي أنَّها مَرِضَتْ قَبْلَ وفاتِها ، فدخلَ إليها نِساءُ المهاجرين والأنصار ، يَعُدْنَها ، فقُلْنَ لها : كيف أصبحتِ من عِلَّتِك يا ابنةَ رسولِ الله ؟

فقالت : أصبحْتُ ، واللهِ ، عائفةً لِدنياكُنَّ ، قاليةً لرِجالِكُنّ ، لَفَظْتُهم بَعْدَ أن عَجَمْتُهم ، وشَنِئتُهم بعد أن سَبَرْتُهم ، فقُبْحاً لفُلُولِ الحَدِّ ، وخَطَلِ الرَّأي ، وخَوَرِ القَناةِ ، ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [1] .

لقد قَلَّدهُم رِبْقَتَها ، وشُنَّتْ عليهم غارَتُها ، فجَدْعاً ، وعَقْراً ، وبُعْداً للقومِ الظَّالمين .

وَيْحَهُم أنَّى زَحْزَحُوها عن رَواسِي الرِّسالةِ ، وقَواعِدِ النُّبوَّة ، ومَهْبِطِ الرُّوح الأمينِ !

ما الذي نَقَمُوا من أبي حَسَنٍ ؟ نَقَمُوا ، واللهِ ، شِدَّةَ وَطْأَتِه ، ونَكالَ وَقْعَتِه ، ونَكيرَ سَيْفِهِ ، وتَنَمُّرَه في ذاتِ اللهِ .

وَآيْمُ اللهِ ، لو تكافَأُوا علي زِمامٍ ، نَبَذه إليه رسولُ اللهِ ﷺ ، لَسارَ بِهم سَيْراً سُجُحاً ، لا يَكْلِمُ خِشاشَه ، ولا يَتَعْتَعُ راكبُه ، ولأَوْرَدَهُم مَنْهَلاً نَميراً فَضْفاضاً ، تَطْفَحُ ضَفَّتاه ، ولأَصْدَرهُم بِطاناً

---

(١) سورة المائدة ٨٠ .

قد تحرَّبهم [١] الرِّيُّ ، غيرَ مُتَحلٍّ منه بطائلٍ ، ولفُتِحَتْ عليهم بركاتٌ من السَّماءِ والأرض .

ألا هَلُمَّ فاعْجَبْ ، وما عِشْتَ أراكَ الدهرُ عَجَباً !

فَرغْماً لِمَعاطِسِ قومٍ يَحْسَبُون أنهم يُحْسِنون صُنْعاً .

ولَعَمْرُ اللهِ ، لقد لَقِحَتْ ، فنَظِرَةً رَيْثَما تُنْتَجُ ، ثم احْتَلِبُوا طِلاعَ القَعْبِ ؛ دماً عَبِيطاً ، وذُعافاً مُمْقِراً ، فهنالك يَخْسَرُ المُبْطِلون ، ويَعْرِفُ التَّالُون غِبَّ ما أسَّسَ الأَوَّلُون .

فَطِيبُوا عن أنفُسِكم نَفساً ، وطامِنُوا للفِتْنة جَأْشاً ، وأبْشِرُوا بسَيفٍ صارِمٍ ، وهَرْجٍ شامِلٍ ، يَدَعُ فَيْئَكُم زَهِيداً ، وجَمْعَكم حَصِيدا .

فيا حَسْرَةً عليكم ، وأنَّي بكم ، وقد عَمِيَتْ عليكم ؟ ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوها وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [٢] .

★ ★ ★

هذا طَرَفٌ مِن حديثٍ أطْوَلَ منه ، يُرْوَي من طريق أهل البَيْت [٣] ، وحُكْمُه حُكْمُ الحديثِ الذي قَبلَه ، في الرَّدِّ والقَبُول ، فإنَّ لَفْظَهما ومعناهما مُغْترفان مِن بَحْرٍ واحِد . والله أعلم .

---

(١) هكذا رسم الكلمة في الأصل ، ولم ينقط منها شيء ، وقد رسم فوقها الناسخ رأس ص صغيرة ، علامة التوقف ، ولم يعرض لها المصنف في الشرح ، وقد جاء في شرح نهج البلاغة : « وقد تحير بهم الرأي » . وليس بمقنع .

(٢) سورة هود ٢٨

(٣) انظره في شرح نهج البلاغة ٢٣٣/١٦ ، ٢٣٤ ، وبلاغات النساء ص ٢٣

شرحه

العائف : الكارِهُ للشيء ، وقد عِفْتُ الشيءَ ، أعافُه .

والقالي : المُبْغِضُ ، والهاجِرُ ، وقد قَلَي الشيءَ ، يَقْلِيه قِلاً .

واللَّفْظُ : الرَّمْيُ ، والإلقاءُ .

والعَجْمُ : الاختِبارُ ، وأصلُه العَضُّ ، يقال : عَجَمْتُ العُودَ : إذا عَضضْتَه بأسنانِك ؛ لتختبرَ قُوَّتَه مِن ضَعْفِه .

وشَنِئتُهم : إذا أبْغَضْتَهم ، يقال : شَنِئْتُه ، أشْنَؤُه ، شَنْآناً ، وشَنَآناً .

وسَبَرْتُ الشيءَ : إذا اخْتبرْتَه ، وتحقَّقْتَ أمرَه .

وفُلُولُ الحَدِّ : جَمْعُ فَلٍّ ، وهو تَثَلُّمُه ، وكَلالُه .

وخَطَلُ الرَّأيِ : فَسادُه ، واضْطِرابُه ، وأصلُه في الكلام ، يقال : خَطِلَ في كلامِه ، بالكسر ، خَطَلاً ، وأخْطَلَ : إذا أفْحَشَ .

وخَوَرُ القَناةِ : ضَعْفُها .

والرِّبقَةُ في الأصل : عُرْوةٌ في حَبْلٍ ، تُجْعَلُ في يدِ الجَدْيِ ، أو رقَبتِه ؛ لئلاَّ يَفِرَّ ، ثم استُعيرتْ للعَهْدِ ، والمِيثاق .

وشَنُّ الغارةِ : تَفْريقُها من جميع النواحي .

والجَدْعُ : القَطْعُ ، وإذا أُطْلِق كان بقَطْعِ الأنف أخصَّ .

والعَقْرُ : الجَرْحُ .

والبُعْدُ : الهَلاكُ .

وهذه كلُّها منصوباتٌ بأفعالٍ مُضْمَرةٍ ، تقديره [١] : أصَبْتَ جَدْعاً ، ولَقِيتَ عَقْراً ، وبُعْداً .

والزَّحْزَحةُ : التَّنْحيةُ ، والإبْعادُ ، يقال : زَحْزَحْتُه فتَزَحْزَحَ .

والرَّواسِي : الجِبالُ ، من الرُّسُوِّ : الثَّبات .

والمَهْبِطُ : مَوضِعُ الهُبُوطِ : النُّزولِ .

والرُّوحُ الأمينُ : جِبْريلُ ؛ لأنه صاحبُ الوَحْي ، فهو أمينٌ عليه

ونَقِمْتُ الشيءَ ، أنْقَمُه : إذا كرهتَه ، وأنكرتَه ، يقال : نَقِمَ [٢] ، ونَقَمَ . والنَّكالُ : العِقابُ .

والنَّكيرُ : الإنكارُ ، ومنه قوله تعالي : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [٣] .

ويجوز أن يكونَ بمعني الشَّديد الصَّعْبِ ؛ مِن نَكُرَ الأمرُ : إذا صَعُبَ ، واشْتَدَّ .

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعل الأوفق : « تقديرها » .

(٢) هذا الفعل من باب ضرب ، وتعب ، علي ما في المصباح . وقد قدم الناسخ : الذي من باب تعب ، كما تري – والنسخة مقروءة علي المؤلف ، كما علمت – وهو في القرآن الكريم من باب ضرب . راجع الآيات ٧٤ ، من سورة التوبة و ٨ ، من سورة البروج ، و ١٢٦ من سورة الأعراف ، و ٥٩ من سورة المائدة . ومرة أخري ، بل مرات لا تنقضي : دعاء بالمغفرة والرضوان للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، صاحب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

(٣) سورة الحج ٤٤ ، وغير ذلك من الكتاب العزيز . انظر المعجم المفهرس ص ٧١٨

والتَّنَمُّرُ : الغَضَبُ ، والشِّدَّةُ ، وهو بِناءٌ مِن لَفْظِ النَّمِرِ ، في التَّشبُّهِ بأخلاقِه .

وذاتُ اللهِ : تقدم بيانُه قبلَ هذا (١) .

والتَّكافُؤُ : التَّساوِي .

والسَّيْرُ السُّجُحُ (٢) : اللِّينُ السَّهْلُ .

والكَلْمُ : الجَرْحُ .

والخِشاشُ : عُوَيْدٌ يُجْعَلُ في أَنْفِ البعيرِ ، ويُشَدُّ به الزِّمامُ .

والتَّعْتُعُ : الاضطرابُ ، والتَّرَدُّدُ في القولِ والفِعلِ .

والمَنْهَلُ النَّمِيرُ : المَوْرِدُ النَّاجعُ ، عَذْباً كان أو غيرَ عَذْب . قاله الجوهريُّ .

والفَضْفاضُ : الواسِعُ .

وطَفَحَ الإناءُ : إذا امتلأَ ، وفاضَ .

وضَفَّتا الوادِي والنَّهْرِ : جانِباه ، وقد تُكْسَرُ الضادُ .

والبِطانُ : المُمْتلؤُو البُطُونِ ، واحدُهم بَطِينٌ .

وقولُها : « غيرَ مُتَحَلٍّ منه بطائِلٍ » أي غيرَ آخِذٍ لنفسِه منه حَظاً كبيراً ، وإنه قانعٌ منه باليَسير .

والرَّغْمُ : الذُّلُّ ، والهَوانُ ، من الرَّغامِ : التُّرابِ .

---

(١) في الحديث السابق .

(٢) سبق هذا في أحاديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

والمَعاطِسُ : الأُنوفُ ، وهو كنايةٌ عن الذاتِ كلِّها .

ولَعَمْرُ اللهِ : من ألفاظِ القَسَم ، وقد تقدَّم بيانُها مبسُوطاً [١] .

ولَقِحَت النَّاقةُ : إذا حَمَلَتْ ، فهي لاقِحٌ .

والنَّظِرَةُ : الانتِظارُ ، والتَّأخيرُ .

ورَيْثَما : أي بَقدْرِ ما ، وقد تقدَّم [٢] .

ونُتِجَت النَّاقةُ ، تُنْتَجُ نِتاجاً ، على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه : إذا ولَدَتْ ، ونَتَجها أهلُها نَتْجاً ، فهي مَنْتُوجةٌ .

والقَعْبُ : الإناءُ الذي يُحْلَبُ فيه ، ولا يكون إلاَّ مِن خَشَبٍ .

وطِلاعُه : مِلْؤُه .

والدَّمُ العَبِيطُ : الطَّرِيُّ .

والذُّعافُ : السَّمُّ ، وموتٌ ذُعافٌ : سريعٌ ، يُعَجِّلُ القَتْلَ ؛ كشاربِ السَّمِّ .

والمَقِرُ : المُرُّ ، وقد مَقِرَ مَقَراً [٣] ، وأمْقَرَ : إذا صارَ مُرًّا .

وهُنالك : بمعنى ثَمَّ .

والتَّالُون : جَمْعُ تالٍ ، وهو الذي يجيء بعدَ الماضِي .

وغِبُّ الشيءِ : عاقِبتُه .

---

(١) في حديث لقيط بن عامر .

(٢) في الحديث السابق .

(٣) من باب تعب ، على ما في المصباح .

والجَأْشُ ، بالهمز : النَّفْسُ . أي سَكِّنُوا أنفُسَكم ، ووَطِّنوها على احْتمالِ الفِتْنة ، والقَتْلِ .

والهَرْجُ : الاختِلاف والقَتْلُ .

والفَيْءُ : ما يحصُل للمسلمين من أموالِ الكُفَّار ، عن غيرِ قتالٍ ، ولا غارةٍ .

والزَّهيدُ : القَليلُ .

والحَصيدُ : المَحْصُودُ ، فكَنَتْ به عن الاستئصالِ ، والتَّفريق .

أحاديث
عائشة أم المؤمنين
رضى الله عنها

حديث
أمّ زَرْع

قالت عائشةُ : اجتمعتْ إحدى عَشْرَةَ امرأةً ، فتعاهَدْنَ ، وتعاقَدْنَ أن لا يكْتُمْنَ مِن أخبارِ أزواجِهنَّ شيئاً :

فقالت الأُولى : زَوْجى لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ ، على رأسِ جَبلٍ وَعْرٍ ، لا سَهْلٍ فيُرْتَقَى ، ولا سَمينٌ فيُنْتَقَلَ (١) .

وقالت الثانية : زوجى لا أَبُثُّ خَبَره ، إنّى أخاف أن لا أذَرَه ، إن أذكُرْه أذكُرْ عُجَرَه وبُجَرَه .

وقالت الثالثة : زوجى العَشَنَّقُ ، إن أنْطِقْ أُطَلَّقْ ، وإن أسكُتْ أُعَلَّقْ .

وقالت الرابعة : زوجى كلَيْل تِهامة ، لا حَرٌّ ، ولا قَرٌّ ، ولا مخافَةَ ، ولا سآمة .

وقالت الخامسة : زوجى إن دَخَلَ فَهِدَ ، وإن خَرَجَ أسِدَ ، ولا يَسأَلُ عمَّا عَهِدَ .

---

(١) يروي : « فينتقي » ، وهو أولي لرعاية السجع ، وسيشير إليه المصنف في الشرح .

وقالت السادسةُ : زوجى إن أكَلَ لَفَّ ، وإن شَرِبَ اشْتَفَّ ، ولا يُولِجُ الكَفَّ ؛ لِيَعْلَمَ البَثَّ .

وقالت السابعةُ : زوجى عَياياءُ طَباقاءُ ، كُلُّ داءٍ له داءٌ ، شَجَّكِ ، أو فَلَّكِ ، أو جَمَع كُلاًّ لكِ .

وقالت الثامنةُ : زوجى ؛ المَسُّ مَسُّ أَرْنَب ، والرِّيحُ رِيحُ زَرْنَب .

وقالت التاسعةُ : زوجى رفيعُ العِماد ، طَويلُ النِّجاد ، عظيمُ الرَّماد ، قريبُ البيتِ من النَّاد .

وقالت العاشرةُ : زوجى مالِكٌ ، وما مالِك ! مالِكٌ خيرٌ مِن ذلك ، له إبِلٌ قليلاتُ المَسارِح ، كثيراتُ المَبارِك ، إذا سَمِعْن صوتَ المِزْهَر ، أيْقَنَّ أنَّهنَّ هَوالِك .

وقالت الحادِيةَ عَشَرَ [١] : زوجى أبو زَرْعٍ ، وما أبو زَرْعٍ ! أَناسَ مِن حُلِيٍّ أُذُنَيَّ ، ومَلأَ مِن شَحْمٍ عَضُدَىَّ ، وبَجَّحَنِى ، فبَجِحَتْ إلَيَّ نَفسِى ؛ وجَدَنى فى أهْلِ غُنَيْمةٍ بِشِقٍّ ، فجَعَلِنى فى أهلِ صَهِيلٍ وأَطِيطٍ ، ودايِس ومُنَقٍّ ، فعنده أقولُ فلا أُقَبَّحُ ، وأرقُدُ فأتَصبَّحُ ، وأشربُ فأَتقمَّحُ .

أمُّ أبى زَرْع ، وما أمُّ أبى زَرْعٍ ! عُكُومُها رَداحٌ ، وبَيْتُها فَساحٌ .

ابنُ أبي زَرْع ، وماابنُ أبى زَرْعٍ ! مَضْجَعُه كمَسَلِّ شَطْبَةٍ ، وتُشْبِعه ذِراعُ الجَفْرة .

---

(١) هكذا في الأصل : « عشر » بدون تاء التأنيث ، وسيتحدث عنه المصنف . في شرحه .

بِنتُ أبي زَرْع ، وما بِنتُ أبي زَرْع ! طَوْعُ أبِيها ، وطَوْعُ أُمِّها ، ومِلْءُ كِسائِها ، وغَيْظُ جارتِها .

جاريةُ أبي زَرْع ، وما جاريةُ أبي زَرْع ! لا تَبُثُّ حديثَنا تَبْثِيثا ، ولا تَنْقُل مِيرَتَنا تَنْقِيثا ، ولا تملأُ بيتَنا تَعْشِيشا .

خرج أبو زَرْعٍ ، والأَوطابُ تُمْخَضُ ، فلقِيَ امرأةً معها ولَدانِ لَها ، كالفَهْدَيْن ، يَلْعبان مِن تحتِ خَصرْها برُمَّانَتيْن ، فطَلَّقني ونَكَحها ، فنكَحْتُ بعدَه رجلاً سَرِيًّا ، رَكِب شَرِيًّا ، وأخَذَ [1] خَطِّيًّا ، وأراحَ عليَّ نَعَماً ثَرِيًّا ، وقال : كُلِي أمَّ زَرْعٍ ، ومِيرِي أهلَك ، فلو جمعتُ كلَّ شيءٍ أعطانِيه ، ما بلَغَ أصغَرَ آنيةِ أبي زَرْعٍ .

قالت عائشةُ : قال لي رسولُ اللهِ ﷺ : كنتُ لكِ كأبي زَرْع لأم زَرْعٍ .

* * *

هذا حديثٌ صحيحٌ ، متَّفَقٌ عليه ، أخرجه البخاريُّ ، ومسلمٌ ، في صحيحيهما ، عن عائشةَ ، أنَّها حدَّثتْ به النبيَّ عليه السَّلامُ .

وهو مرويٌّ من طُرُقٍ كثيرةٍ كذلك .

ورواه جماعةٌ ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ عليه السَّلامُ ، أنه حدَّثها به . وكذلك رواه أبو عبيدٍ مرفُوعاً .

---

(١) بهامش الأصل ، من نسخة : « واعتقل » . وستأتي في الشرح .

وهو مرويٌّ من طُرُقٍ عِدَّة ، والصَّحيحُ الأوَّلُ (١) .

فمن جُملة طُرُقِه ، أنها قالت : دخلَ عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ ، وعندي بعضُ نِسائه ، فقال : يا عائشةُ ، أنا لَكِ كأبي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ .

قلت : يا رسولَ الله ، وما حديثُ أبي زَرْعٍ لأمِّ زَرْعٍ (٢) ؟

---

(١) صحيح البخاري (باب حسن المعاشرة مع الأهل . من كتاب النكاح) ٣٤/٧ ، وصحيح مسلم ، بشرح النووي ٢١٢/١٥ - ٢٢٢ ، وغريب الحديث ، لأبي عبيد ٢٨٦/٢ - ٣٠٩ ، والفائق ٤٨/٣ - ٥٤ ، ومجمع الزوائد (باب عشرة النساء من كتاب النكاح) ٣١٧/٤ - ٣٢٠ ، و (باب في حديث أم زرع - في فضائل عائشة ، رضي الله عنها ، من كتاب المناقب) ٢٤٠/٩ ، وشرح ملاَّ علي القاري علي الشمائل للترمذي - المسمي جمع الوسائل في شرح الشمائل (باب ما جاء في كلام رسول الله ﷺ ، في السمر) ٥٩/٢ - ٧٣ ، والموفقيات للزبير بن بكار ص ٤٦٢ ، وأورد ابن قتيبة جزءا منه ، في عيون الأخبار ٦/٤ ، ولم يذكره في غريب الحديث ، لكنه أفرده بتأليف ، كما ذكر الحافظ ابن حجر ، في الفتح ٢٥٤/٩ - ٢٧٨ ، وقد أشار ابن حجر إلي من شرح هذا الحديث من المحدثين واللغويين ، وكذلك صنع السيوطي ، في المزهر ٥٣٢/٢ - ٥٣٦ ، وانظر حلية الأولياء ٣٥٦/٨ (ترجمة بشر بن الحارث الحافي) ، وتاريخ بغداد ٢٤٦/٨ (ترجمة حاتم بن الليث) ، وبلاغات النساء ص ٧٩ ، وأمثال الحديث للرامهرمزي ٢٠٣ - ٢٢٦ .

وممن أفرد هذا الحديث بالشرح ، وتكلم علي طرقه كلاما جيدا : القاضي عياض بن موسي اليحصبي ، وقد أثني عليه الحافظ ابن حجر - في الموضع السابق من الفتح - قال : « وهو أجمعها وأوسعها ، وأخذ منه غالب الشراح بعده » . وقد طبع هذا الشرح ، في الرباط ، بالمغرب الأقصي ، باسم : بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد . وعوَّل عليه النووي في شرحه علي مسلم ، كما هو شأنه في غير هذا الحديث .

(٢) قال أبو الحسن الدارقطني - فيما حكي عنه القاضي عياض : « الصحيح عن عائشة أنها هي حدثت النبي ﷺ ، بقصة النسوة ، فقال لها حينئذ : كنت لك كأبي زرع لأم زرع » . =

فقال : إن قريةً من قُري اليَمنِ كان بها بَطْنٌ مِن بُطُونِ أهلِ اليمن ، وكان منهم إحدي عَشْرَةَ امرأةً ، وأنّهنَّ خَرجْن إلي مَجْلسٍ مِن مَجالِسهنَّ ، فقال بعضُهنَّ لبعضٍ : تعالَيْنَ ، فلْنذْكُرْ بُعُولَتَنا بما فيهم ، ولا نَكْذِب ، فتبايَعْنَ علي ذلك . ثم قَصَّ الحديثَ ، بتقديمٍ وتأخيرٍ ، في ترتيبهنَّ ، وتغييرِ بعضِ ألفاظِهنَّ ، وذكرهُنَّ بأسمائهنَّ ، وزاد في آخرها : إلاَّ أنَّ أبا زَرْعٍ طَلَّقَ ، وأنا لا أُطَلِّقُ .

وفي أُخري : كنتُ لكِ كأبي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ ، في الأُلْفَة والرِّفاء ، لا في الفُرْقَةِ والخِلاء .

شرحه

المُعاهَدَةُ ، والمُعاقَدةُ : التَّحالُفُ علي أمرٍ يَقَعُ الاتِّفاقُ عليه ، كأنَّ الأمرَ قد عَقَدُوه فيما بينَهم ؛ لئلاَّ يَنْحلَّ .

والغَثُّ : المَهْزُولُ ، وأغَثَّ اللَّحْمُ : إذا هُزِلَ .

ويُرْوَي : « لَحْمُ جَمَلٍ قَحْرٍ » وهو الهَرِمُ الضَّعيفُ .

والوَعْرُ : ضِدُّ السَّهْلِ ، وهو الذي لا يُوصَلُ إليه إلاَّ بِمشَقَّةٍ وعَناءٍ .

= وقال القاضي عياض : « ولا خلاف في رفع قوله ، في هذا الحديث : « كنت لك كأبي زرع لأم زرع » ، وإنما الخلاف في بقيته ، وقد قال أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي الحافظ : المرفوع من هذا الحديث إلي النبي ﷺ قوله لعائشة : « كنت لك كأبي زرع لأم زرع » وما عداه فمن كلام عائشة رضي الله عنها ، حدثت به هي النبي ﷺ ، بيَّن ذلك عيسي بن يونس ، في روايته ، وأبو أويس ، وأبو معاوية الضرير » .

وفي روايةٍ : « علي رأسِ قُورٍ [١] وَعْثٍ » . والقُورُ : العالِي من الرَّمْلِ ، كالجَبَل ، وقال الجوهريُّ : القُورُ : جَمْعُ قارةٍ ، وهي الأَكَمَةُ [٢] .

والوَعْثُ : الذي لا تثبُتُ فيه القَدَمُ .

وقولُها : « لا سَهْلٍ فيُرْتَقَي » صِفةٌ للجَبل [٣] ، أي ليس بسَهْلٍ ، فيُمكنَ الصُّعودُ إليه .

ولا سَمينٌ فيُنْتَقَل : صفةٌ لِلَّحم ، أي ليس مِمَّا يُرْغَبُ فيه ، فيُنْقَلَ إلي المنازِلِ ، لضعفِه .

والانْتِقالُ : من التَّناقُل ، كالانقِسامِ ؛ من التَّقاسُم .

---

(١) في بغية الرائد ص ٤٥ : « قوز » بالزاي . وقد ذكره المصنف مرتين ؛ بالراء والزاي . انظر النهاية ٤/١٢٠ ، ١٢١ ، والمعني في الروايتين متقارب .

(٢) عبارة الجوهري في الصحاح : « والقارة : الأكمة ، وجمعها قارٌ وقُورٌ » .

(٣) وعلي هذا تكون لام « سهل » مجرورة ، والجر هنا علي وجهين : علي النعت للجبل ، وترك إعمال « لا » ، وتقديرها ملغاة زائدة في اللفظ ، لا في المعني ، كقولهم : سرت بلا زاد ، وعجبت من لا شيء ، ومنه قوله تعالي : ﴿ وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ – سورة الواقعة ٣٢ ، ٣٣

والوجه الثاني : أن تقدر « لا » بمعني « غير » فيكون « سهل » مخفوضا بالإضافة إليها .

هذا كلام القاضي عياض ، في البغية ، وقد أجاز أيضا في « سهل » الرفع والنصب ، فالرفع علي أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أي : لا هو سهل ، أو يكون مبتدأ والخبر محذوف ، وتقديره : لا سهل في هذا . وذكر وجها ثالثا أن تكون « لا » نافية للجنس ، و « سهل » منصوب غير منون ، اسمها .

ويُروَي : « فيُنْتَقَي » ، وهو أحسَنُ في التَّجانُس ، والانْتِقاءُ : استِخْراجُ النِّقْي ، وهو مُخُّ العَظْمِ ، وكثرَةُ المُخِّ مِن آثارِ السِّمَن .

وصفَتْه بقِلَّة الخَير ، وبُعْدِه ، مع القِلَّةِ ، كأنّه علي جَبلٍ صَعْبِ المُرْتقَي ، وشَبَّهتْه باللَّحْمِ الغَثِّ الهَزِيلِ ، الذي خَلَتْ عِظامُه من المُخِّ ، أو بزُهْدِ الناسِ فيه ، فلا يَتَناقلُونه إلي بُيوتِهم .

وقال الخَطَّابي[1]: وصَفتْه بسُوءِ الخُلُق ، والذَّهابِ بنَفْسِه ؛ تِيهاً وكِبْراً ، تريد أنَّه مع قِلَّةِ خيرِه ، يتكبَّرُ علي العَشيرةِ ، ويَنْأَي بجانبِه ، فيَجْمعُ إلي مَنْعِ الرِّفْدِ ، الأذي وسُوءَ الخُلُق ، وليس عندَه نَفْعٌ ، يُحْتملُ معه سوءُ عِشْرتِه .

وفي روايةٍ : « ولا لَبِدٍ فيُتَوقَّل » اللَّبِدُ : الذي تَسْتَمْسِكُ عليه الأرجلُ ؛ لتلبُّدِه .

والتَّوقُّلُ : الإسراعُ في المَشْي ، والصُّعودُ .

والبَثُّ : إذاعةُ السرِّ ، وإفْشاؤُه ، وقد بَثَّ الحديثَ ، يَبُثُّه بَثًّا .

وأذَرُه : أتْرُكُه ، ولا يُستعْمَلُ منه فعلٌ ماضٍ ، ولا مَصدَرٌ ، فلا يُقال : وذَرَ وذْراً ، استِغْناءً عنه بتَرَك .

والعُجَرُ ، والبُجَرُ ، كنايةٌ عن أُمورِه كلِّها ، بادِيها ، وخافِيها ، وخيرِها وشَرِّها ، وقيل : أسرارُه ، وقيل : عُيوبُه .

والعُجَرُ في الأصل : جَمْع عُجْرةٍ ، وهي نُفْخةٌ في الظَّهْر ، فإذا كانت في السُّرَّة فهي بُجْرةٌ ، وجَمْعُها : بُجَرٌ .

وقيل : العُجَرُ : العُروقُ الناتئةُ ، المتعقِّدةُ في الظَّهر ، وهي في البَطْن : البُجَرُ .

---

(١) لم يذكر هذا فى غريب الحديث ، وإنما ذكره فى أعلام الحديث ١٩٨٨ .

تريد : زوجي لا أخوضُ في ذِكره ؛ لأني إن خُضتُ فيه خِفتُ أن أفضَحَه ، وأُذيعَ مَثالِبه وعُيوبَه ، أو أسرارَه .

والعَشنَّقُ : الطويلُ ، وقيل : السَّيِّءُ الخُلُقِ .

وأُعَلَّقُ : أي يتركني مُعلَّقةً ، فلا أنا أيِّمٌ ، ولا ذاتُ بَعْلٍ .

فإن أرادت الطُّولَ ؛ فلأنه في الغالب دليلُ السَّفَهِ ، وما ذكرتْ عنه مِن تطليقها إذا نَطَقتْ ، وتَعْليقِها إذا سكتَتْ ، بيانٌ له ؛ لأنه فِعْلُ السُّفهاء ، ومن لا تَماسُكَ عندَه .

وإن أرادت به سُوءَ الخُلق ، فهذا الفِعل من آثارِ الخُلُق المتناهي في السُّوءِ .

وفي لام التعريف التي في « العَشَنَّق » إشعارٌ بأنه هو مع كونِه عَشَنَّقاً ، معروفٌ بذلك .

وقال بعضُهم : إنّ العَشَنَّق : القصيرُ [١] . ومعناه أنَّ له منظراً بلا مَخْبرٍ [٢] .

وفي رواية : « وإن أسكُتْ أعَلَّقْ ، على حَدِّ سِنانٍ مُذَلَّق » أي مُحَدَّدٍ ، من الذَّلاقةِ : الحِدَّة .

---

(١) جاء في البغية : « وحكي ابن الأنباري عنه ، أنه الطويل الجريء والقصير ، قال أبو بكر : فكأنه جعله من الأضداد ، والمشهور أنه الطويل » .

قال القاضي عياض ، تعليقا على هذا : الذي قرأناه في حديث ابن أبي أويس : الصقر ، كما ذكرناه ، ولم يذكر – فيما رأيت – أحد من أهل اللغة ، العشنق ، في القصار ، ولعله تصحيف من أبي بكر . والله أعلم » .

قلت : ولم أجده في كتاب الأضداد المطبوع ، لابن الأنباري .

(٢) هذا المعنى متصل بتفسير العشنق بالطويل .

تريد : كأنّي معه علي حَدِّ سِنانٍ .

وليلُ تِهامةَ : طَلْقٌ طَيِّبٌ ، يُضْرِبُ به المَثَلُ في الطِّيبِ واللَّذَّة ، فشَبَّهتْه به ، في خُلُوِّه من الأَذَي والمكروهِ .

والسَّآمةُ : الضَّجَرُ ، والمَلَلُ . تعني أنه ليس فيه شَرٌّ يُخافُ ، ولا خُلُقٌ يُوجِبُ أن تَمَلَّ صُحْبتَه . وتُريد أن الأمورَ الجميلةَ فيه كاملةٌ ، كلَيْلِ تِهامةَ .

وفي رواية : « ولا مَخافةَ ولا وَخامةَ » وهي الثِّقَلُ ، ومَنْزِلٌ وَخِمٌ ووَخيمٌ ، أي وَبِيءٌ فاسِدُ الهواءِ والتُّرْبةِ .

وفي روايةٍ أُخْري : الليلُ ليلُ تِهامةَ ، والغَيثُ غَيْثُ غمامة ، ولا يُخافُ خَلْفَه ولا أمامَه » .

فالغَمامُ : السَّحابُ المُتراكِبُ ، الهاطِلُ . وإنَّ أهلَ تِهامةَ وساكِنيها لا يَخافون مَن خَلْفَهم ، ولا أَمامَهم ؛ لِعِزِّهم ، وامتناعِ بلدِهم بالجبالِ .

وقولُها : « إن أكلَ لَفَّ » أي قَمَشَ ، وخَلَط أصنافَ الطعامِ ، بعضَها ببَعْضٍ ، يقال : لَفَّ الكَتيبةَ بالأُخري : إذا خَلَط بينَها .

واللَّفيفُ مِن الناسِ : الأخلاطُ المجتمعةُ .

والاشتِفافُ : افتِعالٌ مِن شُرب الشُّفافَة [1] ، وهي البقيّةُ اليسيرةُ في أسفلِ الإناء ، يُقال : شَفَّ الماءَ ، واشْتَفَّه .

---

(١) انظرَ درة الغواص ص ٥ .

تريد أنه يأكلُ أكلاً كثيراً قبيحاً ، ويشربُ الماءَ ، ولا يُبقي منه شيئاً .

والبَثُّ : أشَدُّ الحُزْنِ ، والمَرضُ الشَّديدُ .

وقولُها : « لا يُولجُ الكَفَّ » ذمَّتْهُ بقِلَّة الشَّفقِة عليها ، وأنّه إذا رآها عَليلةً لم يُدخِلْ يدَه في ثوبِها ؛ ليَجُسَّها ، متعَرِّفاً لِما بها ، كعادةِ الناسِ الأباعِدِ ، فَضْلاً عن الأزواج .

وقيل : أرادتْ أنَّه إذا كان بها عَيْبٌ أو داءٌ ، لم يُدْخِلْ يدَه في ثوبِها ، ليمَسَّ ذلك الموضِع ؛ لعِلْمِه أنَّ ذلك يُؤْذِيها .

فأبو عُبيدٍ ، وابنُ الأنباريّ يذهبان إلي أنّ الأوَّلَ من قولِها ذَمٌّ ، والثاني مَدْحٌ .

وابنُ قُتيبة ، والخَطَّابيُّ يذهبان إلي أنهما معاً ذَمٌّ .

وقد عَدَّها عُرْوةُ [١] في روايته ، في جُملة الذَّامَّات ؛ لمَّا كان الذَّمُّ في قولِها أغلبَ من المدح ، وأسْبَقَ إليه .

وفي روايةٍ : « إن أكَلَ رَفَّ ، وإن رَقَد الْتَفَّ » . فالرَّفُّ بالراء : بمعني اللَّفِّ .

والالتِفافُ : تريدُ أنه ينامُ مُنْفرداً عنها ، مُلْتفاً في ثوبِه .

وقولها : « إن دَخَل فَهِدَ » أي صار كالفَهْد .

و « أَسِدَ » أي صار كالأسَدِ .

---

(١) عروة بن الزبير ، وانظر روايته هذه فى البغية ص ٨٤

تعني أنه ينام ، ويَغْفُلُ عن مَعايِبِ البيت ، ولا يتيقَّظُ لها ؛ لأنّ الفَهْدَ يُوصَفُ بكثرة النَّومِ ، وإذا خرج من عِندها ، فهو كالأسدِ في شجاعته وجُرأتِه .

ولا يَسْأَلُ عمَّا كان يعرفه في البيت ؛ لحِلْمِه وإغضائه ، فهي تصفه بالتَّجاوُز والشَّجاعة ، والكَرم .

وفي رواية : « ولا يَرْفَعُ اليومَ لِغَدٍ » ؛ لثقته بكرم اللهِ تعالي ، وعطائِه ، فلا يَدَّخِرُ شيئاً .

وفي بعض الروايات : « إن دخَلَ أَسِد ، وإن خَرج فَهِد ، ولا يُسْأَلُ [1] عمَّا عَهِد » ، بعكس الأولي في اللفظ والمعني ، وأنه مع ذلك لا يُكَلَّمُ لسُوءِ خُلُقِه .

والعَياياءُ : فَعالاءُ ، مِن العِيِّ ، وهو من الناسِ والإبِلِ : الذي عَيِيَ عن الضِّراب ، وعَجَزَ .

ويُرْوَي بالغين المعجمة [2] ، وهو مِن الغَيايةِ : الظُّلْمةِ . تريدُ به العاجزَ الذي لا يَهْتَدِي لأمرٍ ، كأنه أبداً في ظُلْمة ، لا يُبْصِر مَسْلَكاً ، ولا وَجْهاً يَتَّجِهُ له .

---

(١) بالبناء للمجهول .

(٢) أنكر أبو عبيد هذه الرواية ، قال : « فأما غياياء – بالغين معجمة – فلا أعرفها ، وليست بشيء » غريب الحديث ٢/٢٩٤

وقال الزمخشري : « وما أدري ما الغياياء (بالغين) إلاّ أن يجعل من الغياية ، وغايينا عليه بالسيوف : أي أظللناه ، وهو العاجز الذي لا يهتدي لأمر ، كأنه في غياية أبدا ، وفي ظلمة لا يبصر مسلكا ينفذ فيه ، ولا وجها يتجه له » . الفائق ٣/٥١

والطَّباقاءُ : المُفْحَمُ الذي انْطَبَق عليه الكلامُ ، وانْغَلَق ، فهي تَصِفه بعَجْزِ الطَّرَفين ، وقُصورِه في النِّكاحِ والكَلام .

وقيل : الطَّباقاءُ : الذي انْطبَقتْ عليه الأمورُ ، فلا يَهْتدي إليها .

وقولُها : « كلُّ داءٍ له داءٌ » يَحْتَمِلُ أن يكون « له داءٌ » خبراً لكُلٍّ ، أي أنَّ كلَّ داءٍ يُعْرَفُ في الناسِ ، فهو فيه مجموعٌ .

ويَحْتمِلُ أن يكون « له » صفةً لِداءِ الأوَّل ، و « داءٌ » الثاني وحدَه خَبراً لكُلٍّ . أي كلُّ داءٍ فيه ، بليغٌ مُتَناهٍ في الأَدْواء ، كما تقول : إنَّ زيداً رجلٌ ، وإنَّ هذا الفَرَسَ فَرَسٌ ، أي مُتَناهٍ في الإنْسِيَّةِ والخَيْلِيَّة .

والفَلُّ : الكَسْرُ .

والشَّجُّ : فَتْحُ الرأسِ .

أرادت أنه ضَرُوبٌ لها ، وكلَّما ضَرَبها كسَر عَظْماً مِن عِظامِها ، أو فَتَح رأسَها ، أو جَمَع لها بينَ الشَّجِّ والكَسْرِ معاً .

ويجوز أن يُريد [١] بالفَلِّ : الطَّرْدَ والإبْعادَ .

والزَّرْنَبُ : نباتٌ طَيِّبُ الرِّيح ، وقيل : هو الزَّعْفرانُ ، وقيل : نوعٌ مِن أنواعِ الطِّيب ، ويقال فيه : ذَرْنَبٌ ، بالذال المعجمة .

---

(١) هكذا في الأصل ، بالياء ، على التذكير ، ووجهه أن يكون مقصودا به الراوي . وجاء في الفائق : « تريد » بالتاء الفوقية ، صرفه إلى المرأة الواصفة زوجها .

أرادتْ أنه طيِّبُ الرِّيح ، طيِّبُ العِرْضِ والنَّفْسِ ، لَيِّنُ المَلْمَسِ ، سَهْلٌ ، كالأَرْنب ؛ في لِينِ وَبَرِها . أو أرادتْ طِيبَ ريحِ جسدِه ، وَلِينَ بَشَرتِه .

وفي رواية : « أغْلِبُه والنَّاسَ يَغْلِبُ » تصفه بأنه يَغْلِبُ الناسَ بشجاعته ، وهي مع ذلك تغْلِبُه ؛ لحُسْنِ خُلُقِه ومُعاشرتِه .

وارتِفاعُ العِمادِ : كنايةٌ عن علوِّ البيتِ والحَسَب ، كما كَنَتْ عن طُولِ قامتِه بطُولِ النِّجاد ، وعن إكثارِه القِرَي ، وإطعامِ الأضيافِ ، بكثرةِ الرَّمادِ ، وهذا نوعٌ من أنواعِ البلاغة يُسَمَّي الإرْداف ، والتَّعليقَ ؛ لأنَّ مَن عَلا بيتُه ارتَفَع عِمادُه ، ومَن طالتْ قامتُه طالَ نِجادُه ، ومَن كثُرَ قِراهُ عَظُمَ رَمادُه ؛ لِعظَمِ نارِه .

ويَحْتَمل أن يُريد (١) أنَّ نارَه لا تُطْفأُ ليلاً ؛ ليهتديَ بها الطُّرَّاقُ ، والضِّيفانُ ، فيكثُرَ غِشْيانُهم إيَّاه .

والنَّادِي : مُجْتمعُ الناسِ في أفْناءِ البُيوت ، والنَّادِي أيضاً : الناسُ المُجْتمِعون .

وتقريبُ البيتِ مِن النادِي ، ليعَلمُوا بمكانِه فيَقْصِدُونه ، ولا يكونُ بعيداً ، فلا يُعْرف .

وزاد في رواية : « ولا يَشْبَعُ ليلةَ يُضافُ ، ولا يَنامُ ليلةَ يَخافُ » ، أي أنه يُؤثِر الضِّيفانَ بالطَّعام ، ويتأهَّبُ ويستعِدُّ للعَدْوِ عندَ الخَوْف ، تصفُه بالكَرَم ، والهِمَّةِ ، والشَّجاعة .

---

(١) يقال فيه ما قيل في سابقه .

ويُضافُ : أي يُنْزَلُ [١] به ، مِن ضِفْتُ الرجلَ : إذا صِرْتَ له ضَيْفاً .

والأحسَنُ في « يُخاف » أن يكونَ لِما لم يُسَمَّ فاعِلُه ؛ ليكونَ مدحاً ، أي أنه لا يَنامُ إذا وقَع في الحَيِّ خوفٌ ، ولا يُجعلُ الفِعْلُ له ، فيُنْسَبَ الخوفُ إليه ، والخائفُ من شأنه أن لا يَنامَ ، فلا يكون مدحاً .

وقولها : « زَوجِي مالِكٌ ، وما مالِكٌ ! » تعجُّبٌ منه ، ومن كثرةِ مَناقِبه ، وأنه مع حُسْنِ ما أصِفُه به ، وأُثْني عليه ، هو خيرٌ مِن ذلك .

والقَلِيلاتُ المَسارِح : التي لا تَبْعُد عن بيتِه إلاَّ قليلاً .

والكَثِيراتُ المَبارِك : كنايةٌ عن كثرتِها ؛ لأنَّها إذا كثُرتْ مَبارِكُها ، كثُرتْ هي ، وقِلَّةُ مَسْرَحِها : إمَّا لقُرْبِ مَرْعاها ، وكَثْرةِ نَباتِه وخِصْبِه ، وإمّا لحاجتِه إلي نَحْرِها للطُّرَّاق ، فلا تكونُ بعيدةً .

وقيل : معناه أنَّها في نَفْسِها كثيرةٌ عندَ البُرُوك في مُراحِها ، فإذا سَرَحتْ كانت قليلةً ؛ لكثرةِ ما نُحِر منها .

والمِزْهَر ، بكسر الميم : العُودُ مِن آلةِ الغِناء ، وقيل : هو الذي يَزْهَرُ النارَ : أي يُوقِدُها ، يُقال : زَهَر النارَ ، وأزْهَرَها .

---

(١) وفيه وجه آخر ، أن يكون هو نفسه الضيف الذي ينزل علي غيره ، قال القاضي عياض : « وصفته بكرم النفس وشبعها ، ونزاهتها وإيثارها ، وقلة همه بالأكل وشرهه له ، وأنه إذا أضيف واحتفل في إكرامه ، وأكثر من إطعامه ، لم يكن همه شبع بطنه ، واكتفي بأيسره » . ثم ذكر الوجه الآخر الذى اقتصر عليه المصنف . البغية ص ١٠٠

وصفَتْه بالكَرمِ ، وأنَّ إبِلَه في أكثرِ الأحوالِ بارِكةْ بفِنائه ، مُعَدَّةٌ لِلْقِرَي ، نَحْراً وحَلْباً ، وأنها قد اعتادَتْ بالنَّحْرِ والسَّقْيِ ، وأَلِفَتْ صوتَ العُودِ والغِناءِ ، أو صَوتَ مُوقِدِ نارِهِ ، ومُناداتَه بالطَّارِقين ، فإذا سمعتْ ذلك أيْقنَتْ أنَّها تُنْحَر فتهْلِك .

زاد في رواية : « وهو أمامَ القومِ في المَهالِك » أي يتقدَّمُهم في الحربِ ؛ لشجاعتِه وجُرْأته .

والحاديةَ عشَرَ : هكذا جاء في الرِّواية ، والذي نَصَّ عليه سيبويه ، أن يُقال : الحاديةَ عَشَرَةَ ، جمعاً بين تَاءَيِ التأنيث ، وهو علي خِلافِ القِياس ، وقال السِّيرافيُّ : « ولا أعلمُ خِلافاً في جَواز : حاديةَ عشَرَ » يعني بحذف التاء من الثاني ، وهو القِياس [1] .

والنَّوْسُ : تحريكُ الشيءِ المُتدلِّي ، وقد أناسَهُ يُنِيسُه نَوْساً .

تُرِيدُ أنه حرَّكَ أُذُنَيَّ ، ممَّا حلاَّهُما به ، من أنواعِ الشُّنُوف ، والقِرَطَة ، فهما يتحرَّكان بحركتِها .

والحُلِيُّ ، بالضّم والتشديد : جَمْعُ حَلْيٍ ، بالفتح والتَّخفيف .

وامتلاءُ العَضُدَيْن بالشَّحْم ، دليلٌ علي سِمَنِ الجِسم جميعِه .

---

(١) قال القاضي عياض : « قوله : قالت الحادية عشرة » علي صحيح الرواية في هذا الحديث ، ومعروفها ، هو المشهور الجاري علي منهاج كلام العرب ، بإثبات العلامتين في « الحادية » ، وفي « عشرة » ولك إسكان شين عشرة وكسرها ، علي اللغتين .... ووقع لبعض شيوخنا في رواية هذا الحديث : « قالت الحادي عشرة » ، ولبعضهم : « الحادية عشر » ، وهذا كله خطأ ، لا مخرج له إلاَّ علي بعد وتكلف وجه » . البغية ص ١١٧ ، ١١٨

تريدُ أنَّه سَمَّنها بإحسانِه ، وتعهُّدِه .

والتَّبجِيحُ : التَّفْرِيحُ ، يقال : بَجِحَ بالشيء ، وبَجَحَ به : إذا فَرِح به ، وسُرَّ . وشَدَّد « بَجَّحَنِي » ليُعَدِّيَه إلي المفعول ، أي فَرَّحنِي ، وعَظَّمَنِي .

فبَجِحَتْ إليَّ نَفْسِي : أي عَظُمَتْ ، وشَرُفَتْ .

ويُروَي : « فبَجِحْتُ » أي فرِحتُ ، وعظُمْتُ عندَ نفسي .

والشِّقُ : يُروَي بكسر الشِّين ، وفتْحِها ، فالكسر – وهو الذي يرويه المحدِّثون – هو من المَشَقَّة ، يقال : هم بشِقٍّ مِن العَيْشِ : إذا كانوا في جَهْدٍ وبَلاءٍ ، ومنه قوله تعالي : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إلي بَلَدٍ لَمْ تكُونُوا بَالِغِيهِ إلاَّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴾ [(١)] أي بعَناءٍ وتَعَب ، وأصلُه مِن شِقِّ الشيء ، وهو نِصفُه ، أي كأنَّه قد ذهب نِصْفُ أنْفُسِكم حتي بلغْتُموه

وأمَّا الفتْحُ : فهو مِن الشَّقِّ : الفَصلِ في الشيء ، والخَرْقِ .

أرادتْ أنَّهم في موضعٍ حَرِجٍ ضَيِّق ، كالشَّقِّ في الجَبلِ .

وقال أبو عُبيد : الصَّواب بالفتح ، وهو اسمُ موضعٍ بعينه [(٢)] ، واختاره مَن بعدَه من أربابِ الغَريب .

---

(١) سورة النحل ٧

(٢) هو واد بخيبر ، كما ذكر البكري ، في معجم ما استعجم ص ٥٢٢ ، ٨٠٥ ، وأنبه هنا إلي شيئين : الأول أن المصنف قد تصرف في عبارة أبي عبيد بعض التصرف ، وانظر غريب الحديث ٢/٣٠١ ، والثاني أن البكري قد قيد « الشق » بكسر أوله ، وتشديد ثانيه . وقد نقل القاضي عياض عن أبي عبيد التقييد بالفتح ، ولم ينص عليه أبو عبيد ، كما رأيت في كتابه المطبوع ، بل إن مصححه قد ضبطه بالكسر . راجع البغية ص ١٢١ ، ١٢٢ .

والصَّهِيلُ : صوتُ الخَيلِ .

والأَطِيطُ : صوتُ الإبلِ .

والدَّايِسُ : من دِياسِ الطَّعام ، ودَقِّه في البَيْدَرِ .

والمُنَقُّ ، يُرْوَي بكسر النُّونِ (١) وفَتْحِها ، فالكسرُ : مِن النَّقِيقِ : الصَّوْتِ ، يقال : نَقَّ الطَّيْرُ ، والدَّجاجَةُ ، نَقًّا ، ونَقِيقاً ، فهي ناقَّةٌ ، وأنَقَّها غيرُها : إذا حَملَها علي النَّقِيق ، بالطَّرْدِ أو الضَّرب ، ونحو ذلك .

فأرادت بالمُنِقِّ : الذي يطرُدُها عن الحَبِّ ، عندَ الدِّياس ، فجعلَتْه مُنِقًّا ، أي صاحبَ ذِي نَقِيقٍ .

وقيل : أرادتْ به أصواتَ المَواشِي والأنعامِ ، فاستعارَتْ لها النَّقِيقَ .

قال أبو عُبيدٍ : هكذا يرويه أصحابُ الحديث ، بالكسرِ ، ولا أعرِفُ المُنَقَّ . وأما الفَتْح : فهو مِن تَنْقية الطَّعامِ ، وتَنْظِيفهِ (٢) .

وفي روايةٍ : « فجعلَني في أهلِ جامِلٍ وصاهِلٍ » ، أي في أهلِ جِمالٍ وخَيلٍ .

تريد أنَّه لم يأنَفْ مِنِّي ، ولم يرغَبْ عن فَقْرِ قومِي ، فتَزوَّجني ، ونقلَني إلي قومِه ، وهم أهلُ هذه الأشياءِ المذكورة . تصفه بالمُروءة ، وكثرةِ المالِ .

---

(١) في الأصل : « الميم » ، وهو خطأ صريح .

(٢) وهنا أيضا تصرف المصنف في عبارة أبي عبيد ، وإن كان الفحوي واحدا . راجع غريب الحديث ٢/٣٠٣

وقولُها : « لا أُقَبَّحُ » أي لا يُقال (١) لي : قَبَّحك اللهُ ، ولا يُردُّ عليَّ قَوْلي ، ولكن يَقْبلُه لمَيْلِه إليَّ ، وكَرامتي عليه . يُقال : قبَّحْتُ فُلاناً : إذا قلتَ له : قَبَحَك اللهُ ، مِن القَبْحِ ، وهو الإبْعادُ ، وليس مِن القُبْحِ : ضِدِّ الحُسْنِ .

والتَّقَمُّحُ : تَفَعُّلٌ مِن قَمَحَ البعيرُ قُمُوحاً : إذا رَفَع رأسَه ، ولم يشرَبْ ؛ لِرِيِّه واكتفائِه .

أرادتْ أنَّها تَرْوَي عِندَه ، وتترُكُ باقيَ الشَّراب ، استغناءً عنه .

ويروَي : « أتقنَّحُ » بالنُّون ، قال أبو عبيدٍ : ولا أعرِفُ له معنيً .

وقال غيرُه : التَّقَنُّح : الشُّرْبُ بعدَ الرِّيِّ ، يقال : تَقَنَّحتُ مِن الشَّراب ، تَقنُّحاً ، وقَنَحْتُ قَنْحاً .

والتَّصبُّحُ : نَومُ الصُّبْحةِ ، وهو نومُ الغَداةِ ، وإنَّما يفعلُه مَن يكونُ له مَن يَكْفِيه ، ويقومُ بمَهامٍّ بيتِه ، مِن الخَدَم .

تصفُ نفسَها بأنَّها مُخَدَّمةٌ ، مَكْفِيَّةٌ ، لا تَنْتبه مِن نَوْمِها حتي تَسْتَكْفِي .

وفي رواية : « وآكُلُ فأتَمنَّحُ » أي أُطْعِمُ غيري ، مِن المِنْحةِ : العَطِيَّة .

والعُكُومُ : جَمْع عِكْمٍ ، بالكسر ، وهو العِدْلُ إذا كان فيه مَتاعٌ ، وقيل : هو إناءٌ ، تجعلُ فيه المرأةُ ذَخِيرَتَها .

---

(١) هكذا في الأصل ، والفائق ٣/٥٢ ، والأولي : « يقول » .

والرَّدَاحُ : العَظِيمةُ ، الثَّقيلةُ ، الضَّخْمةُ ، ويكون صفة للمذكَر والمؤنَّث ، يُقال : رجلٌ رَداحٌ ، وامرأةٌ رَدَاحٌ ، وجَفْنةٌ رَدَاحٌ .

ولمّا كان جمعُ ما لا يَعْقِلُ في حُكمِ المؤنَّث ، أوْقَعَها صفةً لها ، كقولِه تعالي : ﴿ لَقَدْ رَأَي مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَي ﴾ [١] ، والقِياسُ : الكُبَرُ .

ولو جاءت الرِّوايةُ . بفتح عين « العَكُومِ » علي أنَّها الجَفْنةُ التي لا تَزُولُ عن مكانِها ؛ إمَّا لِعِظَمِها ، أو التي كَثُر طَعامُها ، فتَراكَم ، أو التي تَتعاقَبُ فيها الأطعمةُ ، لَكان الرَّداحُ صِفةً ظاهرةً لَها .

والفُساحُ ، بالضَّمِّ ، والفَسِيحُ : الواسِعُ ، المُنْبَسِطُ ، كطَوِيلٍ ، وطُوالٍ ، وكَبيرٍ ، وكُبارٍ .

ويُروي : « فَيَّاحٌ » أي واسِعٌ ، وقد فاحَ يَفِيحُ : إذا اتَّسَع ، وفَعَّالٌ من أبنية المُبالَغة .

والمَضْجَعُ : مَوضعُ الاضطجاع ، وهو النَّومُ .

والمَسَلُّ : مَوضِعُ المَسْلُول ، يُقال : سَلَلْتُ السَّيفَ مِن الغِمْد ، والقَضِيبَ مِن القِشْر .

والشَّطْبَةُ : السَّعَفَةُ ، وقيل : السَّيْفُ .

تَصِفُه بالدِّقَّة ، والنَّحافة ، وأنَّه ضامِرُ البَطْنِ ، مُهَفْهَفُ القَدِّ ، وأنَّ مَوضِعَ نومِه دَقيقُ العَرْضِ ، كمَوضِعِ السَّعْفَةِ ، أو السَّيف .

---

(١) سورة النجم ١٨

وفي روايةٍ بإسقاطِ « مَضْجَعِه » ، ويكون المَسَلُّ مصدراً ، بمعني السَّلِّ ، أُقيم مُقامَ المَسْلُولِ ، أي كمَسْلُولِ شَطْبَةٍ .

والجَفْرُ ، والجَفْرَةُ ، مِن المَعَزِ : ما بَلَغَ أربعةَ أشْهُرٍ ، وأخذَ في الرَّعْيِ ، ويُطْلَقُ علي الناسِ ، فيُقال : غُلامٌ جَفْرٌ .

وصفَتْه بقِلَّةِ الأكْلِ ، حيث يُشْبِعُه ذِراعُ العَناقِ .

وفي رواية : « وتُرْوِيه فِيقَةُ اليَعْرَةِ ، ويَمِيسُ في حَلَقِ النَّثْرة » ، والفِيقَةُ : ما يَجتمعُ في الضَّرْعِ ، مِن اللَّبَن ، بين الحَلْبَتيْن .

والفُواقُ : قَدْرُ ما بينَهما مِن الراحةِ .

والياء في « الفِيقَة » واوٌ ، فانقلبَتْ ؛ للكسرة قَبْلَها ، والجَمْع : فِيقٌ .

ويَمِيسُ : يتَبَخْتَرُ في مَشْيه ، ويَتَثَنَّي .

والنَّثْرةُ : الدِّرْعُ اللَّطيفةُ .

تصِفُه بقِلَّة الطُّعْمِ ، والشُّرْبِ ، وبالضُّمُور ، وهو مستحبٌّ في الرِّجال . ويُروَي ، في صِفَةِ بنت أبي زَرْعٍ : « وَفِيُّ الإِلِّ ، كريمُ الخِلِّ ، بَرُودُ الظِّلِّ » . والإِلُّ : العَهْدُ ، والمِيثاقُ ، أي هي وافيةٌ بعَهْدِها ، جُعِل الفِعْلُ للعَهْدِ ، وهو لَها في المعني .

والبَرُودُ : المُبالِغُ في البَرْدِ ، وبَرْدُ الظِّلِّ : مَثَلٌ لِطِيبِ العِشْرةِ ، فإنَّ الظِّلَّ البارِدَ لا أذي فيه لمَن يَسْتَظِلُّ به .

والخِلُّ : الصَّديقُ ، والخُلَّةُ : الصَّداقَةُ ، يُقال : هو خَلِيلٌ بيِّنُ الخُلَّةِ ، وأرادتْ بكَرَمِ الخِلِّ أنَّها لا تُصادِقُ مَن فيه رِيبةٌ .

وإنّما جاء « وفيٌّ ، وكريمٌ ، وبَرُودٌ » في وصف المؤنَّثِ [١] ؛ لأنّ فَعُولاً يشترك فيه المؤنَّثُ والمذكَّرُ ، يقال : رجلٌ صَبُورٌ ، وامرأةٌ صَبُورٌ ، وأمَّا فَعِيلٌ ، فعلي تأويل البنت بإنسانٍ ، أو شَخْصٍ ، تقديره : إنْسانٌ وَفِيٌّ ، وشخصٌ كريمٌ ، أو أن يُشَبَّه فَعِيلٌ الذي بمعني فاعِلٍ ، بالذي هو بمعني مَفْعُولٍ ، كما شُبِّه ذلك بهذا ، فقيل : أَسِيرٌ وأُسَراءُ ، وفَصِيلٌ وفِصالٌ ، فجُمِع أسيرٌ وفَصِيلٌ ، جَمْعَ كَرِيمٍ .

علي أنه قد جاء فَعِيلٌ في صفة المؤنَّث كثيراً ، فقالوا : كفٌّ خَضِيبٌ ، وعينٌ كَحِيلٌ ، أي ذاتُ خِضابٍ ، وكُحْلٍ .

والطَّوعُ : الانقِيادُ ، والمُتابَعةُ .

ومِلْءُ كِسائها : صِفَةٌ بالسِّمَن .

وغَيْظُ جارتِها : لِما تَرَي مِن حُسْنِها وسِمَنِها .

والجارةُ : تَقعُ علي الضَّرَّةِ ، والمجاوِرَةِ في المكان .

وفي رواية : « وصِفْرُ رِدائها ، ومِلْءُ إزارِها ، وعُبْرُ جارتِها » ، والصِّفْرُ : الخالِي ، تَصِفُها بدِقَّةِ خَصْرِها ؛ لأن الرِّداءَ يَقعُ عليه ، ويَنتهِي إليه ، وبكثرةِ لَحْمِ الرِّدْفِ ، والأسافِلِ ؛ لأنّ الإزار يقع عليه .

والعُبْرُ : له تأويلان ، أحدُهما : أن ضَرَّتَها تَرَي مِن جَمالِها ما يُعْبِرُ عينَها ، أي يُبْكِيها ؛ مِن العَبْرة ، وهي الدَّمْعُ .

والآخَرُ : أنَّها تَري مِن عِفَّتِها ما تَعْتَبِرُ به ، وتَتَّعِظ ، ويكونُ لها عِبْرةً .

---

(١) هذا التأويل كله من كلام الزمخشري في الفائق ٣/٥٣ ، لكنه اشترط ألا يكون ورود هذه الأوصاف من تحريف الرواة والنقل .

وفي رواية : « وعَقْرُ جارَتِها » مِن العَقْرِ : الجَرْحِ .

والنَّثُّ ، والبَثُّ : أخَوانِ في إظهارِ الشيء ، وإشاعَتِه ، يُقال : نَثَّ الحديثَ يَنُثُّه ، وبَثَّه يَبُثُّه ، نَثًّا وبَثًّا . والتَّنْثيثُ ، والتَّبْثيثُ : مصدران لِنَثَّث وبَثَّثَ ، وإنَّما جاءا هنا علي نَثّ وبَثّ ؛ لأنّ الفِعلَ لمّا كان مُتَناوِلاً علي الإبْهام ، كلَّ جِنْسٍ من أجناسِه ، جاز أن يُوقَعَ التَّفعيلُ الدالُّ علي التكرير ، والتكثير ، مَصْدراً لِفَعَلَ ، كقوله تعالي : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْه تَبْتيلاً ﴾ (١) ومصدر تَبَتَّلَ : تَبَتُّلٌ ، لا تَبْتِيلٌ ، وكقوله تعالي : ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً ﴾ (٢) ومصدر أنْبَتَ : إنْباتٌ ، لا نَباتٌ . والتَّبتِيلُ ، والنَّباتُ : مصدر بَتَّلَ ، ونَبَتَ .

والإِغْثاثُ ، والتَّغْثيثُ : إفْسادُ الطَّعام .

والنَّقْثُ ، والنَّقْلُ بمعنيً ، يُقال : نَقَث الشيءَ يَنْقُثُه ، كنَقَله يَنْقُلُه .

نَفَتْ عنها إذاعةَ السِّرِّ ، والسَّرِقةَ ، والخِيانةَ .

والتَّعْشيشُ : مِن عَشَّشَ الطائرُ : إذا عَمِل لهِ عُشًّا . أي لا تَخْبَأُ فيه خَبِيئةً ، فشبَّهت المَخابِيءَ بأَعشاشِ الطَّير ، أو أرادتْ أنها لا تَتْرُكُ البيتَ وَسِخاً ، مُزَبَّلاً ، بل تَكْنُسُه (٣) ، وتُنَظِّفُه .

---

(١) سورة المزمل ٨

(٢) سورة آل عمران ٣٧ ، ومثله أيضا في الكتاب العزيز : ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا ﴾ سورة نوح ١٧

(٣) هذا الفعل من باب قتل ، كما قيده في المصباح .

ويروي بالغين المعجمة ، مِن الغِشّ : الدَّغَلِ ، والمَكْرِ ، وأصلُه مِن الغَشَشِ ، وهو المَشْرَبُ الكَدِر .

وفي رواية : « ولا تَنْجُثُ عن أخبارنا تَنْجِيثاً » مِن النَّجْثِ : البَحْثِ ، والاستخْراج ، والإذاعة .

وحُكم هذه المصادر ، حُكمُ مصدر التَّبْثيث ، في الحَمْل علي غيرِ أفعالِها .

وفي رواية : « ضَيْفُ أبي زَرْع ، وما ضَيفُ أبي زَرْع ! في شِبَعٍ ورِيٍّ ورَتْع » . الرَّتْعُ : التَّنَعُّم ، وأصلُه مِن الرَّعْي في الخِصْب .

وفي أخري : « طُهاةُ أبي زَرْع ، وما طُهاةُ أبي زَرْع ! لا تَفْتُرُ ولا تَعَدَّي ، تَقْدَحُ قِدْراً ، وتَنْصِبُ أُخْرَي ، فتُلْحِقُ الآخِرةَ الأُولَي » .

الطُّهاةُ : الطَّبَّاخُون ، جَمْعُ طاهٍ ، أي لا تَفْتُرُ عن الطَّبْخ ، ولا تَتعدَّاه ، ولا تَنْصرِفُ عن اتِّخاذِ ذلك للضِّيفانِ .

والقَدْحُ : الغَرْفُ ، والمِقْدَحةُ : المِغْرَفة .

وفي رواية : « مالُ أبي زَرْعٍ ، وما مالُ أبي زَرْع ! علي الجُمَمِ مَحْبوسٌ ، وعلي العُفاة مَعْكُوسٌ » .

الجُمَم : جَمْع جُمَّةٍ ، وهم القومُ الذين يَسْألُون في الدِّية .

والعُفاةُ : جَمْع العافِي ، وهو الطالِبُ ، والسائلُ .

والمَعْكُوسُ : المَعْطُوف ، تعني أنّ ما لَه مَوْقُوفٌ ، ومَرْدُودٌ ، ومَبْذُولٌ في الصِّلات والعَطايا .

والأَوْطابُ : جَمْعُ وَطْبٍ ، وهو زِقُّ اللَّبن .

والمَخْضُ : تَحريْكُ الَّلبن ؛ لإخْراجِ الزُّبْدِ منه .

وتَشْبيهُ الوَلَديْن بالفَهْد : في الحِدَّة ، والخِفَّةِ ، والنَّجابة .

وقولُها : « يلعبان مِن تحت خَصرْها برُمَّانَتَيْن » ، وصَفتْها بعِظَم العَجُز ، وأنّها إذا استلْقَتْ علي ظَهْرِها ، بَقِي بينَه وبينَ الأرضِ فُرْجةٌ وخَلَلٌ ، يَجوُزُ فيه الرُّمَّانُ ؛ لنُتُوِّ عَجُزِها ، وأنَّ كلَّ واحِدٍ من وَلَديْها يَرْمِي إلي أخيه رُمَّانةً ، فهما يَلْعَبان بالرُّمَّانتَيْن ، مِن جانِبَيْها .

والسَّرِيُّ : النَّفِيسُ ، الشَّرِيفُ من كلِّ شيء .

والفَرسُ الشَّرِيُّ : الذي يَلِجُّ في عَدْوِه ، ويَتَمادَي ، وقيل : هو الفائقُ ، الجيِّدُ في نوعِه .

ويُرْوَي : « رَكِبَ أَعْوجِيًّا » ، وهو فرسٌ منسوبٌ إلي أعْوَجَ ، وهو فحلٌ كريمٌ مِن الخَيْل .

والنَّعَمُ : المَواشِي ، وأكثرُ ما يُطْلَقُ علي الإبِل ، ولفظُه مذكَّرٌ ، ولذلك قالت : « نَعماً ثَرِيًّا » أي كثيراً ، وهو فَعِيلٌ مِن الثَّروةِ : الكَثْرة .

والخَطِّيُّ : الرُّمْحُ ، منسوبٌ إلي الخَطِّ ، وهو ساحِلُ بحرِ عُمانَ ، وبه تُثَقَّفُ الرِّماحُ .

واعْتِقالُ الرُّمْحِ : هو أن يضَعَه الراكبُ تحت فَخِذِه ، ويَجُرَّه علي الأرضِ وراءَه .

زادَ في رواية : « فاستَبْدَلْتُ بعدَه ، وكلُّ بَدَلٍ أعْوَرُ » .

هذا مَثَلٌ سائرٌ للعَرب ، أي لا يكونُ مِثْلَ الأوّل ، بل يكونُ بالإضافة إليه كالأعْوَر ، عندَ ذي العَينَيْن [١] .

وقولُها : « مِيري أهلَكِ » أي خُذِي الطَّعامَ [٢] ، واذْهَبي به إليهم .

وفي رواية : « فأراحَ عليَّ مِن كلِّ سائمةٍ زَوْجَين ، ومن كلِّ آبِدةٍ اثْنتَيْن » .

فالسَّائمةُ : ما يَرْعَى من المَواشِي .

والزَّوْجانِ : الذَّكَرُ والأُنْثَي ، أو الصِّنْفانِ مِن جِنْسٍ واحِد .

والآبِدَةُ ، بالمَدِّ : المُتوحِّشةُ من ضُرُوبِ الوَحْشِ ، وجَمْعُها : الأَوابِدُ .

ويُرْوَي : « من كلِّ رائحةٍ زَوْجَين » . وهي ما يَرُوحُ من المَواشِي إلي الرَّعْي .

---

(١) قال القاضي عياض : « وقولها : أعور ، أي معيب رديء ، وليس من عور العين . حكي ثعلب : الأعور : الرديء ، قال : والعرب تقول للرديء من كل شيء : أعور ، وللأنثي : عوراء ، ومنه قالوا : كلمة عوراء ، أي قبيحة ، قال الشاعر :

إذا قيلت العوراء أغضي كأنه ذليل بلا ذُلٍّ ولو شاء لانتصر

وقال الكميت :

وَلا استعذب العوراء يوماً فقالها »

بغية الرائد ص ١٥٩ ، وانظر اللسان (عور) .

(٢) من الميرة ، بكسر الميم ، وهي الطعام .

وفي أُخري : « مِن كُلِّ ذابِحةٍ زَوْجَين » أي أعطاني من كلّ ما يجُوزُ ذَبْحُه ، مِن المواشي ، فاعلةٌ بمعني مفعولة .

والرِّفاءُ : الاتِّفاقُ ، والاجتماعُ .

والخِلاءُ ، بالكسر ، والمَدِّ : المُفارَقَة ، ومنه قولُهم في كِنايات الطَّلاق : أنتِ خَلِيَّةٌ .

حديثٌ آخرُ
لعائشة رضي الله عنها

بلَغها أنَّ ناساً يتناولُون مِن أبيها ، فأرسلتْ إلي أَزْفَلَةٍ منهم ، فلمَّا حضَرُوا ، سدَلَتْ أستارَها ، ثم دَنَتْ ، فحَمِدتِ اللهَ تعالي ، وصَلَّتْ علي نبيّه ﷺ ، وعَذلَتْ ، وقرَّعَتْ .

ثم قالت : أبي وما أَبِيَهْ ؟ أبي واللهِ ، لا تَعْطُوه الأيدِي ، ذاك طَوْدٌ مُنِيفٌ ، وظِلٌّ مَدِيدٌ ، نَجَح إذْ أَكْدَيْتُم ، وسَبَق إذْ وَنَيْتُم ، سَبْق الجَوادِ إذا اسْتَولَي علي الأَمَدِ .

فتي قُرَيْشٍ ناشِئاً ، وكَهْفُها كَهْلاً ، يَفُكُّ عانِيَها ، ويَرِيشُ مُمْلِقَها ، ويَرْأَبُ شَعْبَها ، حتي حَلِيَتْه قُلُوبُها ، ثم اسْتَشْرَي في دِينه ، فما بَرِحَتْ شَكِيمَتُه في ذاتِ اللهِ تعالي ، حتي اتَّخَذ بفِنائه مَسْجِداً ، يُحْيي فيه ما أمات المُبْطِلُون .

وكان وَقِيذَ الجَوانِحِ ، غَزِيرَ الدَّمْعة ، شَجِيَّ النَّشِيجِ ، فانْصَفَقتْ إليه نِسْوانُ مكةَ ، ووِلْدانُها ، يَسْخَرُون منه ، ويستهزئون ، و ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِيءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١) .

وأَكْبرَتْ ذلك رجالاتُ قُرَيْشٍ ، فحَنَتْ له قِسِيَّها ، وفوَّقَتْ له سِهامَها ، وامْتَثلُوه غَرَضاً ، فما فَلُّوا له صَفاةً ، ولا قَصَفُوا له قَناةً ، ومَرَّ علي سِيسائِه ، حتي ضَرَب الحَقُّ بجِرانِه ، وأَلْقي بَرْكَه ، ورَسَتْ أوتادُه ، ودخلَ الناسُ فيه أفواجاً ، ومِن كلِّ فِرْقةٍ أَرْسالاً وأَشْتاتاً .

---

(١) سورة البقرة ١٥

فلمّا قَبَض اللهُ تعالي نبيَّه ، ﷺ ، ضَرَب الشَّيطانُ رَوْقَه ، ومَدَّ طُنُبَه ، ونَصَب حَبائلَه ، وأجْلَبَ بَخْيلِه ورَجْلِه ، وظَنَّتْ رِجالٌ أنْ قد أَكْثَبَتْ نُهَزُها ، وتَحقَّقتْ أطماعُها ، ولاتَ حِينَ الذي يَرْجُون ، وأنَّي والصِّدِّيقُ بَيْنَ أظْهُرِهم ؟

فقامَ حاسِراً ، مُشَمِّراً ، قد جَمَع حاشِيَتَيْه ، وضَمَّ قُطْرَيْه ، فرَدَّ نَشْرَ الإسلامِ علي غَرِّه ، وأَقام أَوَدَه بثِقافِه ، فابْذَعَرَّ النِّفاقُ بوَطْأتِه ، وانْتاشَ الدِّينَ بنَعْشِه ، حتّي أَراحَ الحَقَّ علي أهْلِه ، وقَرَّر الرُّؤوسَ علي كَواهِلِها ، وحَقَنَ الدِّماءَ في أُهُبِها .

ثم أَتَتْه مَنِيَّتُه ، فسَدَّ ثُلْمتَه بنَظِيرِه في المَعْدَلَة ، وشَقيقِه في المَرْحَمة ، ذاك ابنُ الخَطَّاب . للهِ أُمٌّ حَفَلَتْ له ، ودَرَّتْ عليه ، لَقد أوْحَدَتْ به ، فَفَنَخَ الكَفَرةَ ، ودَيَّخَها ، وشَرَّدَ الشِّرْكَ ؛ شَذَرَ مَذَرَ ، وبَعَجَ الأرضَ ، وبَخَعَها ، فقاءتْ أُكْلَها ، ولَفَظَتْ خَبيئَها ، تَرْأَمُه ويَأْباها ، وتُريدُه ويَصْدِفُ عنها ، ثم وَزَّع فيها فَيْئَها ، ثم تركَها كما صَحِبها .

فأَرُوني ماذا تَرْتَؤُون ، وأيَّ يَوْمَيْ أبي تَنْقِمُون ؟ أيومَ إقامَتِه إذْ عَدَل فِيكم ، أم يومَ ظَعْنِه ، فقد نَظَر لكم ؟

أقولُ قولي هذا ، وأستَغْفِرُ اللهَ لي ولكم .

* * *

أخرجه القُتَيبيُّ (١) ، عن محمد بن عبد العزيز ، بإسنادِه ، وهذا أَتَمّ ، وهو مِن حديث هِشام بن عُرْوة بنِ الزُّبير .

---

(١) غريب الحديث ٢/٤٧٤ – ٤٨٤

وأخرجه الزمخشريُّ (٢) ، نحوَه .

شرحه

التَّناوُل ، في الأصل : الأَخْذُ ، ثم استُعير للوَقيعةِ في الناس ، كأنّه أخْذُ أعْراضِهم ، وإِصابتُهم ، يُقال : نالَ مِن فُلانٍ ، وتَناولَه : إذا ذَمَّه .

والأَزْفلَةُ : الجماعةُ مِن الناس ، ولا تَخُصُّ عَدداً بعَيْنِه ، يقال : جاءوا أَزْفَلَةً ، وبأَزْفَلِتِهم ، والهمزةُ زائدة .

والسَّدْلُ : الإِرْخاءُ .

والأَسْتارُ : السُّتُورُ ، وهما جَمْعُ سِتْرٍ ، أي جَعَلتْها فيما بينَهم وبينَها ، لئلاَّ يَرَوْها .

والتَّقْريعُ : اللَّومُ ، والتَّعنيفُ .

والهاءُ في « أَبِيَهْ » للسَّكْت .

وما أَبِيَهْ : استفهامُ إنْكارٍ وإكْبار .

---

(٢) الفائق ١١٣/٢ – ١١٦ ، وانظر أيضا : جمهرة نسب قريش . الخبر ١٢٩٣ (مخطوطة أستاذنا الجليل محمود محمد شاكر) ، ومجمع الزوائد (باب ما جاء في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، من كتاب المناقب) ٤٩/٩ ، وبلاغات النساء ص ٣ ، والعقد الفريد ٢٦٢/٤ ، ٢٦٣ ، ونهاية الأرب ٢٣٠/٧ – ٢٣٣ ، وصبح الأعشي ٢٤٧/١ ، ٢٤٨

هذا وقد شرح أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري هذه الخطبة ، ونشر هذا الشرح بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، عام ١٩٦٢ ، بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد السابع والثلاثون) ثم نشره مستقلا ببيروت عام ١٤٠٠ – ١٩٨٠ م .

والعَطْوُ : الأَخْذُ ، يقال : عَطا الشيءَ يَعْطُوه : إذا أخذَه ، وتَناوَلَه ، أي لا تَبلُغُه الأيدي ، ولا تَصِلُ إليه ؛ لارتفاعِه وعِزِّه .

والطَّودُ : الجبلُ الشَّاهِقُ .

والمُنِيفُ : المُشْرِفُ ، العالي ، يقال : أنافَ على كذا : إذا أشْرَفَ عليه .

والمَدِيدُ : المَمْدودُ . تريد أنّ شَرَفَه سابغٌ ، لا تُزيلُه الأقوالُ ، كما تُزيلُ الشَّمسُ الظِّلَّ .

والنُّجْحُ ، والنَّجاحُ : الظَّفَرُ بالحاجةِ ، يقال : نَجحتْ حاجَتُه ، وأنْجَحَها اللهُ ، ونَجَح الرجلُ ، وأنْجَح : إذا أدْرَكَ طَلِبَتَه .

والإِكْداءُ : الخَيْبَةُ ، وأصلُه بُلوغُ حافِرِ البِئرِ إلي الكُدْية ، وهي صَخْرَةٌ تَظْهرُ في أسْفَلِها ، تُعْجِزُ حافِرَها ، فيَدَعُ الحَفْرَ ، فلا يَظْفَرُ بالماء ، فضُرِبَ مَثَلاً لكلِّ مَن طلَبَ شيئاً فلم يَنَلْه .

ووَنَيْتُم : أي قَصَّرتُم ، وفتَرْتُم ، يُقال : وَنَي يَني وَنْياً ، ووَنيَ يَوْنَي وُنِيًّا ، والاسمُ : الوَنَي ، مَقْصورٌ .

والأَمَدُ : الغايةُ .

والجَوادُ : الفَرسُ النَّفِيسُ ، السَّرِيعُ .

والنَّاشِيءُ : المُبْتدِيءُ ، في أوّل شَبابِه .

والكَهْفُ : المَلْجأُ ، تشبيهاً بكَهْفِ الجَبَل .

أي لمّا كان شابًّا ، كان فتي قُريشٍ ، تريدُ : سَخِيَّها ، وكريمَها ، يقال : هو فتيً بيِّنُ الفُتُوَّةِ ، وأنه صارَ كهْفَ قريشٍ ، لمَّا اكْتهلَ ، وبلَغَ السِّنَّ .

والعانِي : الأَسيرُ ، وأصلُ التَّعْنِيةِ : طُولُ الحَبْسِ .

وفَكُّهُ : افْتِداؤُه ، وإطْلاقُه ، وأصلُه مِن فَكِّ القَيْد ، وهو فَتْحُه وكَسْرُه .

والمُمْلِقُ : الفَقِيرُ ، سُمِّيَ به ؛ لتجرُّدِه مِن المال ، وهو مِن المَلَقَةِ : الصَّخْرةِ المَلْساء ؛ أو لِمَلَقِه لأهلِ اليَسارِ والجِدَة ، وقد أَمْلَقَ الرجلُ ، فهو مُمْلِقٌ .

والرَّيْشُ : التَّعَهُّدُ ، يُقال : راشَهُ يَرِيشُه ، وأصلُه مِن الرِّيشِ ؛ كأنَّ الفقيرَ المُعْدِمَ لا نُهُوضَ به ، كالطَّيرِ المَقْصُوصِ الجَناحِ ، أو المَنْتُوفِ الرِّيشِ ، أو تَشْبيهٌ بريشِ السَّهْمِ ، فإنه إذا لم يكن له رِيشٌ لم يُبْعِدِ المَرْمَي ، فاستُعير الرِّيشُ للمالِ واللِّباسِ .

والرَّأْبُ : الإصْلاحُ ، والشَّدُّ ، يقال : رأَبه يَرْأَبُه رَأْباً .

والشَّعْبُ ، بفتح الشِّين : الصَّدْعُ ، والشَّقُّ . أي يَجْمَع ما تَفَرَّقَ منها واخْتلَف .

وحَلِيَ الشيءُ بعَيْني وقلبْي يَحْلاَ حَلاوَةً : إذا أَعْجَبكَ واستَحْسَنْتَه ، وحَلاَ في فَمِي ، يَحْلُو ، وقد جاء أيضاً في العَيْن [1] كذا .

واسْتَشْرَي : أي لَجَّ ، وتَمادَي ، يقال : شَرِيَ البَرْقُ ، واسْتَشْرَي : إذا تَتابَعَ لمَعانُه ، واسْتَشْرَي الفَرَسُ : إذا جَدَّ في سَيرِه وعَدْوِه ، بلا فُتُورٍ .

---

(١) يريد ما سبق من قوله : « وحلي الشيء بعيني » . أي أنه يقال فيه : حلا يحلو .

وما بَرِحَ : بمعني ما زالَ ، ولا فارَقَ ، يُقال : بَرِحَ مكانَه : إذا زالَ عنه ، وليست من أخوات « كان » الناقصة ؛ لأن تلك تَحْتاجُ إلي خَبَرٍ .

والشَّكِيمةُ في الأصل : الحَديدةُ المُعْتَرِضَةُ في اللِّجام ، تَمنَعُ الفَرسَ من الجِماح ، فشُبِّه بها أَنَفَةُ الرجُلِ ، وتَصلُّبُه في الأُمور ، يقال : فُلانٌ شَدِيدُ الشَّكيمة : إذا كان عزيزَ النَّفْسِ أَنِفاً ؛ لأنه إذا اشتدَّتْ تلك الحَدِيدة ، كانت عن الجِماحِ أَمْنَعَ .

والوَقِيذُ : العَلِيلُ الشَّديدُ العِلَّةِ ، فَعِيلٌ بمعني مَفْعُولٍ ، يقال : وَقَذَهُ وَقْذاً : إذا ضَرَبَه ، حتي أَشْرَفَ علي الموتِ ، وشاةٌ مَوْقُوذَةٌ : قُتِلتْ بالخَشَبِ .

والجَوانِحُ : الضُّلُوعُ القِصارُ ، التي تَلِي الفُؤادَ ، واحِدتُها جانِحةٌ .

تُريد أنَّه عَليلُ القَلْبِ ، مَحْزُونُه ، قد وَقَذَهُ خوفُ اللهِ تعالي ، فكَنَتْ عن القَلْبِ بالجَوانِحِ ؛ لأنه يلِيها .

والنَّشِيجُ : صوتٌ معه تَوجُّعٌ ، وقيل : هو أن يَغَصَّ بالبُكاءِ ، فيُرَدِّدُه في صدره ، ولا يُخْرِجُه .

والشَّجا : ما نَشِبَ في الحَلْقِ ؛ مِن غُصَّةِ هَمٍّ .

والشَّجْوُ : الحُزْنُ ، والهَمُّ ، يُقال : شَجاه يَشْجُوه شَجْواً : إذا أَحْزَنَه ، وأشجاه يُشْجِيه إشْجاءً : إذا أَغَصَّه ، وتَقُولُ منهما : شَجِيَ بالكسر ، يَشْجَي شَجاً ، فهو شَجٍ ، أي حَزِينٌ ، مُغْتَصٌّ .

وانْصَفَقَ : مُطاوِعُ صَفَقَه ، إذا ضَرَبَه ، وصَرَفَه .

تريد : صَرَفَهم إليه صارِفُ التَّلَهِّي والسُّخْرية ، فسارَعُوا نَحْوَه .

ويُرْوَي : « فأصْفَقَتْ له » مِن أصْفَقَ القومُ علي كذا : إذا اجتمعوا عليه ، مأخوذٌ مِن صَفْقَةِ البَيْعِ ؛ كأنهم تَبايَعُوا علي ذلك ، ومَضَوْا إليه بأجْمَعهم .

والطُّغيانُ : مُجاوَزَةُ الحَدِّ في الضَّلال .

والعَمَهُ في القَلْبِ : كالعَمَا في العَيْن .

والإكْبارُ : الإعْظامُ .

والرِّجالاتُ : جَمْع رِجالٍ ، ورِجالٌ : جَمْع رَجُلٍ ، كجَمَلٍ ، وجِمالٍ ، وجِمالاتٍ .

وحَنا القَوْسَ يَحْنِيها : إذا عَطَفَها ، والحَنِيَّةُ : القَوْسُ .

تُريد : وَتَّرُوها لِرَمْيه .

وفَوَّقْتُ السِّهامَ : إذا جعلتَ لها أفْواقاً ، وتريدُ بها جَعْلَها في الأَوْتارِ ، عندَ الرَّمْي .

والغَرَضُ : الهَدَفُ .

وامْتِثالُه : نَصْبُه ، واتِّخاذُه مَرْمِيً ، مأخُوذاً من الماثِل ، وهو المُنْتَصِبُ ، يُقال : مَثَلَ يَمْثُلُ مُثُولاً : إذا انْتَصَبَ .

والقَصْفُ : الكَسْرُ .

ويُرْوي : « قَصَمُوا » وهو بمعناه .

والصَّفاةُ : الصَّخْرةُ .

والفَلُّ : الكَسْرُ ، والثَّلْمُ ، وكلُّ هذا استعارةٌ لشِدَّتِه في الدِّين ، وقُوَّتِه .

والسِّيساءُ : مُنْتَظَمُ فَقارِ الظَّهْرِ ، وهو فِعْلاءُ ، مُلْحَقٌ بسِرْداحٍ .

وتُريدُ به دَوامَه علي حالتِه وطرِيقته في ذلك .

والضَّرْبُ بالجِران : كِنايةٌ عن الثَّباتِ والإقامة ، والجِران : أصْلُ العُنُق .

والبَرْكُ : الصَّدْرُ ، مُستعارٌ من بُرُوكِ البَعِير ؛ فإنه يَضْرِب بصدرِهِ الأرضَ ، ويَمُدُّ عُنُقَه عليها .

ورَسَتْ أوْتادُه : إذا ثَبَتَتْ .

والأفْواجُ : جَمْع فَوْجٍ ، وهم الجَماعةُ مِن الناسِ .

وكذلك الأرْسالُ ، واحِدُهم : رَسَلٌ ، يقال : جاء الناسُ أرْسالاً ، أي جماعاتٍ مُتفَرِّقةً ، يَتْبَعُ بعضُهم بَعْضاً .

والأشْتاتُ : جَمْعُ شَتٍّ ، وهم المُتَفَرِّقُون .

تُريد : أنَّهم دَخلُوا في الدِّين ، جماعاتٍ ومُتَتابِعين ، وآحاداً مُتَفَرِّقين .

والرَّوْقُ ، بالفتح : الرِّواقُ ، وهو ما بين يدَي البيت ، وقيل : رِواقُ البَيْت : سَماوَتُه ، وهي الشُّقَّةُ التي دُونَ الشُّقَّةِ العُلْيا .

والحَبائلُ : أشْراكُ الصَّائدِ ، جَمْعُ حِبالَةٍ ، بالكسر .

وأجْلَبَ : من الجَلَبةِ ، وهي الضَّجَّةُ ، والصَّيْحةُ ، والحَثُّ .

والرَّجْلُ : الرَّجَّالَةُ ، واحدهم : راجِلٌ .

والخَيلُ ، ها هنا : كِنايةٌ عن الفُرْسان .

أرادتْ : أنَّ الشَّيطانَ بعدَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ ، أقامَ بينَهم ، يَسْتَغْوِيهم ، ويَنْصِبُ لهم المَصايدَ ، ويجمعُ عليهم الفارِسَ والراجِلَ ، في مُحارَبتهم .

والنُّهَزُ : الفُرَصُ ، واحِدُتها نُهْزَةٌ .

وأُكْثَبَتْ : أي قَرُبَتْ ، والكَثَبُ : القُرْبُ .

وقولها : « ولاتَ حِينَ الذي يَرْجُون » أي ليس هذا وقْتَ حُصُولِ أمَلِهم ، وما كانوا يَتَوقَّعُونه مِن كَيْدِ الدِّينِ ، ونَقْضِه .

وأنَّي : بمعني كَيْفَ ، ومِن أَيْنَ ؟

والحاسِرُ : الذي لا دِرْعَ عليه .

والمُشَمِّرُ : الذي رَفَع إزارَه ، واسْتَعَدَّ للأمر ، وهما مِن صِفاتِ المُهْتَمِّ المتيقِّظ .

والحاشِيةُ ، والقُطْرُ : الجانِبُ . وأرادت بتثنيتهما إحاطةَ الجَوانِب ، وجَمْعُ الحَواشِي ، وضَمُّ الأقطارِ : كِنايةٌ عن التَّحزُّمِ والتَّأَهُّب ، لتَلافِي الأمرِ واستِدْراكِه .

وغَرُّ الثَّوْبِ : طَيُّه ، وقد غَرَّ الثَّوْبَ ، يَغُرُّه غَرًّا : إذا طَواه ؛ مِن غُرُورِ الجِلْدِ ، وهي مَكاسِرُه ، ومَطاوِيه .

تُرِيدُ : أنه رَدَّ ما انْتَشَرَ مِن الإسلام ، إلي حالِه التي كانت في حَياةِ رسولِ الله .

والأَوَدُ : العَوَجُ [١] .

والثِّقافُ : الإصْلاحُ ، مِن تَثْقيف الرِّماحِ ، وهو تَقْويمُها ، فاستعارتْه لِما اعْوَجَّ مِن أمرِ الدِّين .

وابْذَعَرَّ النِّفاقُ : تفرَّق بشِدَّةِ وَطْئِه عليه .

والانْتِياشُ : الاستِنْقاذُ ، وهو افْتعالٌ مِن النَّوْشِ : الأَخْذِ ، والانتزاعِ ، وقد ناشَه يَنُوشُه نَوْشاً .

والنَّعْشُ : الرَّفْعُ ، والإقامةُ من المَصْرعِ ، يُقال : نَعَشَكَ اللهُ مِن هذه النَّكْبة : أي أنقذكَ منها ، وخَلَّصَك ، ولا يُقال : أنْعَشَه .

والإراحةُ : مِن أراحَ الرَّاعي الإبلَ علي أهلها ، إذا ردَّها إليهم .

والكَواهِلُ : جَمْع كاهِلٍ ، وهو ما بينَ الكَتِفَيْن من الظَّهْر .

تُريدُ : أقَرَّ الرُّءوسَ في مَغارِزِها ، بعد أن كانت مُشْرِفةً علي الذَّهاب ، بوُقوعِ الاختِلاف .

والأُهُبُ ، بضمَّتين وفتحتَيْن : جَمْع إهابٍ ، وهو الجِلْدُ .

تريدُ : أنَّه جَمَع الدِّماءَ في أجسادِها ، ومَنَع مِن إراقَتِها .

والمَنِيَّةُ : الموتُ .

---

(١) هكذا ضبطت العين ، في الأصل ، بالفتح ، قال في النهاية ٣١٥/٣ : « هو بفتح العين : مختص بكل شيء مرئيّ ، كالأجسام ، وبالكسر : فيما ليس بمرئي ، كالرأي والقول ، وقيل : الكسر يقال فيهما معا ، والأول أكثر » .

وحكي الفيومي ، في المصباح ، عن أبي زيد : « كل ما رأيته بعينك فهو مفتوح ، وما لم تره فهو مكسور » .

والمَعْدَلَةُ ، بفتح الميم والدال : العَدْلُ . قاله أبو عُبيد . يُقال : هم أهلُ مَعْدَلَةٍ ، أي أهلُ عَدْلٍ ، كما يُقال : مَخْلَقَةٌ ، ومَجْدَرةٌ .

وقال الجوهريُّ : « يقال : بَسَطَ الوالِي عَدْلَه ، ومَعْدِلَته ، ومَعْدَلَتَه » ، فسوَّي بينَ الكسرِ والفتح .

ثم قال : « وفُلانٌ مِن أهلِ المَعْدَلَةِ ، أي مِن أهلِ العَدْلِ » .

فأما المَرْحَمة من الرحمةِ ، فبالفتح لا غير .

والنَّظِيرُ : المِثْلُ .

والشَّقِيقُ : القَسِيمُ ، والعَدِيلُ ، كأنَّهما قد شُقَّا مِن شيءٍ واحدٍ .

والهاء في « ثُلْمَته » راجعةٌ إلي الدِّين ، ويجوز أن ترجعَ إلي أبِي بكرٍ ؛ لأنه كان سِداداً للدِّين ، فكأنه بمَوْتِه ثَلَم الدِّينَ ، فأُضيفت الثُّلْمةُ إليه .

وحَفَلتْ له : أي جَمعت اللَّبنَ في ثَدْيها ، فهي حافِلٌ .

ودَرَّتْ عليه : أي كَثُر لَبنُها .

والدَّرُّ : اللَّبَنُ أيضا .

وقولُها : « للهِ » من ألفاظِ التَّعجُّب ، والتَّعظيمِ لَلمْكنيِّ عنه ، أي هي خالصةٌ لله ، مُخْتَصَّةٌ به .

وأوْحَدَتْ : جاءتْ به واحِداً فَرْداً ، بِلا نَظير ، يقال : أوْحَدَه اللهُ ، أي جَعَله مُنْقطِعَ المِثْل .

وفَنَخَ الكَفَرةَ : أي أذَلَّها ، وقَهرها .

ودَيَّخَها : لغةٌ في دَوَّخَها ، وهو بمعناه .

وشَرَّدَ الشِّرْكَ : أي طَرَدَه ، وشَتَّته في البِلاد .

وشَذَرَ مَذَرَ : أي متفرِّقاً ، وهما اسمان ، جُعِلا اسماً واحِداً ، وبُنِيا علي الفتح ، وتُكْسَر الشينُ والميمُ ، ويُفْتحان .

وبَعَج الأرضَ : إذا شَقَّها .

وبَخَعها : إذا حَرَثها للزِّراعة ، وأصْلُ البَخْعِ : الاستِقْصاءُ ، والمُبالَغةُ في الذَّبْح .

والأُكْلُ ، بالضمِّ : المأكُولُ .

والقَيءُ ، مهموزٌ : إخراجُ ما في البَطْن من المأكُول .

تُريد : أنه عَمَر البِلادَ ، وأكْثَر الحَرْثَ والزِّراعةَ ، فأكلت الأرضُ البَذْرَ ، وشَرِبت ماءَ المطر ، فقاءتْ أُكْلَها ، حين أنْبَتَتْ .

واللَّفْظُ : الرَّمْيُ ، والإلْقاءُ ، وقد لَفَظْتُ الشيءَ ألفِظُه .

والخَبِيءُ : المَخْبوءُ ، فَعِيلٌ بمعني مَفْعولٍ . أي ألْقتْ ما كان قد خُبِيءَ فيها ، من النَّبات .

ويجوز أن تُريدَ بالبَعْجِ والبَخْعِ ، الجِهادَ ، وبَثَّ الغُزاةِ في أقطارِ الأرضِ ، وبقَيءِ الأُكْلِ ، ولَفْظِ الخَبِيءِ ، ما فَتحَ اللهُ علي المُسْلِمين ، مِن البلادِ ، والغَنائم .

وتَرْأَمُه : تَعْطِفُ عليه ، كما تَرْأَمُ الأمُّ ولَدَها ، والنَّاقةُ حُوارَها ، فتَشَمُّهُ وتَترَشَّفُه .

ويَصْدِفُ عنها : أي يُعْرِض عنها ، ويَدَعُها .

والتَّوزيعُ : التَّفريقُ .

والفَيْءُ : ما يَحْصُلُ للمُسْلِمين ، من أموالِ الكُفَّار ، بغير قِتال ؛ كالجِزْية والخَراجِ ، وهي مِن فاءَ يَفِيءُ : إذا رَجَع .

والارْتآءُ : افتِعالٌ مِن الرَّأيِ والتَّفكُّرُ .

ونَقِمَ يَنْقَمُ ، ونَقَم يَنْقِمُ [١] : إذا غَضِب .

تُريدُ : أيَّ الشَّيْئين تُنْكرون علي أبي ؟ يومَ حياتِه ؛ إذْ قام فيكم بالواجب ، أم يومَ موتِه ؛ إذ وَلَّي أمْرَكم أعدلَ الناسِ ، وأقْوَمَهُم به ؟

والظَّعْنُ ، بالسُّكُون والتَّحريك : السَّيرُ ، يُقال : ظَعَن يَظْعَنُ [٢] ، وأظْعَنَه غيرُه ، فكَنَتْ به عن موتِ أبيها ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر ماسبق فى الحديث الثانى من أحاديث فاطمة الزهراء ، ص ٥٣١ .

(٢) ضبطت عين المضارع ، في الأصل ، بالضم ، والصواب الفتح ، والفعل من باب منع ، كما في المصباح والقاموس .

حديث آخر
لعائشة رضي الله عنها

خطبت بالبَصْرة ، بعد مَقْتلِ عثمانَ ، فقالت : إنَّ لي حُرْمةَ الأُمومة ، وحَقَّ الصُّحْبة ، لا يَتَّهمنُي منكم إلاَّ مَن عَصَي ربَّه .

قُبِض رسولُ اللهِ ﷺ ، بينَ سَحْري ونَحْرِي ، وحاقِنَتي وذاقِنَتي ، وأنا إحدي نِسائه في الجَنَّة ، وله حَصَّنني رَبِّي مِن كلِّ بُضْعٍ ، وبِي مُيِّزَ مُؤْمِنُكم مِن مُنافِقكم ، وفِيَّ رُخِّص لكم في صَعِيد الأَقْواء .

وأبِي ثانيَ اثنَيْن ، ورابعُ أربعةٍ مِن المسلمين ، وأوّلُ مَن سُمِّيَ صِدِّيقاً ، قُبِض رسولُ الله ، وهو عنه راضٍ ، قد طَوَّقَه وَهْفَ الأمانةِ ، واضطرب حَبْلُ الدِّين ، فأخذ بطَرَفَيْه ، ورَبَّق لكم أثناءَه ، ووَقَذَ النِّفاقَ ، وغاضَ نَبْغَ [1] الرِّدَّةِ ، وأطْفأَ ما حَشَّتْ يَهُودُ ، وأنتم يومئذٍ جُحْظُ الأبصارِ ، تنتظرون الدَّعوةَ ، وتَستمعُون الصَّيحةَ ، فرأَب الثَّأْي ، وأوْذَمَ السِّقاءَ ، وامْتاحَ مِن المَهْواةِ ، واجْتَهَر دُفُنَ الرَّواء ، حتَّي قَبَضه اللهُ تعالي إليه ، واطِئاً علي هامِ النِّفاق ، مُذْكِياً لحَرْب المُشْرِكين ، يَقْظانَ اللَّيلِ في نُصْرةِ الإسلام ، صَفُوحاً عن الجاهِلين ، بعيدَ ما بينَ اللاَّبَتَيْن ، عُرَكَةً للأَذاةِ بجَنْبِه ، خَشاشَ المَرْآةِ والمَخْبَرة .

وإني أَقْبَلْتُ أطْلُبُ بدمِ الإمام ، المَرْكُوبةِ منه الفِقَرُ الأَرْبَعُ ، فمن ردَّنا عنه بحَقٍّ قبِلْناه ، ومن رَدَّنا عنه بباطِلٍ قاتَلْناه ، فرُبَّما ظَهَر الظالِمُ علي المظلُوم ، والعاقِبةُ للمُتَّقين .

---

(١) بالغين المعجمة ، وسيأتى فى الشرح .

فأُخْبِرِ الأحنفُ بنُ قَيس بما قالَتْ ، فأنشأ أبياتاً منها .

فلو كانت الأكنانُ دُونَكِ لم يَجِدْ عليكِ مقالاً ذو أذاةٍ يَقُولُها
وقَفْتِ بِمُسْتَنِّ السُّيُولِ وقَلَّ مَنْ تَثَوَّي بِها إلاَّ عَلاهُ بَلِيلُها
مَخَضْتِ سِقاءَيْ غَدْرَةٍ ومَلاَمةٍ وكِلْتاهُما كادَتْ تَغُولُكِ غُولُها

فلما بلغَتْها مقالتُه قالت : لقد استَفْرغَ حِلْمَ الأحنفِ هجاؤُه إيَّايَ ، أَلِيَ كان يَسْتجمُّ مَثابةَ سَفَهِه ؟ إلي اللهِ أشكو عُقُوقَ أبنائي ، ثم أنشأت تقول :

بُنَيِّ[1] اتَّعِظْ إن المَواعِظَ سَهْلةٌ ويُوشِكُ أن تَكْتانَ[2] وَعْراً سَبيلُها
ولا تَنْسَيَنْ في اللهِ حقَّ أُمُومتِي فإنَّك أَوْلَي النَّاسِ أن[3] لا تَقُولُها
ولا تَنْطِقَنْ في أُمَّةٍ لِيَ بالخَنَا حَنِيفيَّةٍ قد كان بَعْلِي رَسُولُها

★ ★ ★

أخرجه الزمخشريُّ ، بطُولِه [4] ، ما عَدَا البيتَ الأخيرَ . وأخرجه

---

(١) هكذا في الأصل ، بكسر الياء ، وهو صحيح .

(٢) في الأصل : « تحتار » بنقط التاء الفوقية بعد الحاء فقط ، وفي الموضع الآتي من الفائق : « تختار » . ولم يظهر لي وجهه ، علي هذه الصورة ، فأثبت ما في النهاية ٢/٨٥ ، مادة (خنن) ، والغريبين (مخطوط) ، وجاء في شرحه : « قوله : « تكتان » تأوي في الكِنّ ، وهو البيت » ثم أقحمت في الأصل حاشية ، هذا نصها : « تكتان : ليس من الكنّ ، لأن تكتان تفتعل من الكون ، مثل تكتال : تفتعل من الكيل ، وتفتعل من الكِنّ : تكتَنّ ، وليس للكِنّ في هذا البيت مدخل » .

(٣) « أن » هنا مخففة من الثقيلة ، ولذلك رفع الفعل بعدها ، وسيأتي في الشرح .

(٤) الفائق ٢/١٦١ – ١٦٥ ، والبيت الذي أشار إليه المصنف ثابت في بعض نسخ الفائق

القُتيبيُّ [١] مُفَرَّقاً ، وقال : يرويه زكريا بن يحيي الكُوفِيّ ، بإسناده عن حُمَيد بن مُنْهِبٍ .

شرحه

الأُمُومةُ : مصدرٌ من لفظِ الأُمِّ ، كالعُمُومةِ ، من العَمِّ ، يُقال : أُمٌّ بَيِّنةُ الأُمُومةِ ، وعَمٌّ بيِّنُ العُمُومةِ .

وتُريدُ بالصُّحْبة صُحْبتَها لرسولِ الله ﷺ .

والسَّحْرُ : الرِّئَةُ ، والمرادُ بها الموضعُ المحاذِي مِن جَسدِها لِرئتِها .

والنَّحْرُ : الحَلْقُ ؛ لأنه موضعُ النَّحْرِ .

ورُوِي : « شَجْرِي » بالشين المعجمة ، وهو الذَّقَنُ ، حيث اشْتَجر طَرَفا اللَّحْيَيْن من أسْفَل ، أي اجْتمعا وتَداخَلا .

وقيل : الشَّجْرُ : التَّشْبِيك .

تُريدُ : أنَّها ضَمَّتْه بيدَيْها إلي نَحْرِها ، مُشَبِّكَةً بينَ أصابعِها .

والاشْتِجارُ : الاختِلاطُ ، والتَّضامُّ .

والحاقِنَةُ : النُّقْرَةُ التي بينَ التَّرْقُوَتَيْن .

والذَّاقِنةُ : طَرَفُ الحُلْقوم .

---

(١) غريب الحديث ٢/٤٥٥ – ٤٦٨ ، وانظر أيضا : العقد الفريد ٤/١٢٨ – ١٣٠ ، ٢٦١ ، وجمهرة نسب قريش . الخبر ١٢٩٤ (مخطوطة أستاذنا الجليل محمود محمد شاكر) ، وبلاغات النساء ص ٧ ، والأوائل ١/٢٠٩ .

هذا وقد أخرج أبو عبيد ، من هذا الحديث ، قول عائشة رضي الله عنها : « توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري ، وحاقنتي وذاقنتي » . غريب الحديث ٤/٣٢١

تُريدُ : أنّه قُبِضَ وهي لازِمَتُه (١) ، وضامَّتُه إلي هذه المَواضِعِ مِن جَسدِها .

وقولُها : « وله حَصَّنَني رَبِّي مِن كُلِّ بُضْعٍ » أي مَنَعني مِن نِكاحِ كلِّ أحدٍ ؛ لأنه كان تزوَّجها بِكْراً ، دُونَ سائرِ نِسائِه .

والبُضْعُ ها هنا : النِّكاحُ .

والتَّحْصِينُ : العِفَّةُ والتَّنْزِيه .

والصَّعِيدُ : التُّرابُ .

والأَقْواءُ : فيه وَجْهان ؛ إمّا أنّه اسمُ عَلَمٍ للمكان ، أو هو جَمْع قِيٍّ ، بوزن عِيٍّ ، وهو القَواءُ : المكانُ القَفْرُ .

وقال القُتَيبيُّ : هو جَمْع قَواءٍ .

تُرِيدُ : أنَّها كانت سَببَ الرُّخْصةِ في التَّيَمُّم ، لمَّا ضاعَ عِقْدُها ، وهم في السَّفَر .

وقولُها : « وبِي مُيِّزَ مُؤمِنُكم مِن مُنافِقِكم » إشارةٌ إلي حديث الإفْك ، فتُريدُ بالمؤمن مَن سَلِمَ في أمرِها ، ولم يَتَّهِمْها ، وبالمُنافِق مَن اتَّهمها ، وخاضَ في حديث الإفك ، وكان الذي تولَّي كِبْرَه منهم عبد الله بن أُبَيٍّ ، رأسَ المنافِقين .

وقولها : « وأبِي ثانِيَ اثنيْن » تريدُ مُصاحبتَه رسولَ الله ﷺ ، في الغارِ ، عند الهِجرة ، كما قال الله تعالي : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ (٢) .

---

(١) الذي في الفائق – والنقل منه – : « ملازمته » .

(٢) سورة التوبة ٤٠

وقولها : « رابعُ أربعةٍ » تُريدُ رسولَ اللهِ ، وعَلِيًّا ، وزيدَ بن حارِثة ، وأباها .

ومعني « ثانيَ اثنَيْنِ » و « رابعُ أربعةٍ » واحدٌ من اثنين ، وواحدٌ من أربعة .

ووَهْفُ الأمانةِ : القِيامُ بها ، مِن الواهِفِ ، وهو قَيِّمُ البِيعةِ ، وأصلُه مِن الوَهْفِ : الدُّنُوِّ ، يُقال : خُذْ ما وَهَفَ لك ، أي دَنا ، وأمكَنَ ، وذلك لأنَّ القيِّمَ بالشيء دانٍ منه أبداً ، لازِمٌ له .

ويجوز أن يكونَ مِن وَهَفَ النَّبْتُ : إذا أوْرَقَ واهتزَّ ؛ لأنه حينئذٍ يظهَرُ صلاحُه ، فشُبِّه به ما يظهَرُ من صلاحِ الشيء بقَيِّمِه ، والمُعتَنِي بشأنِه .

وأرادت بالأمانةِ : الصلاةَ ، واستِخْلافَه فيها أيَّامَ مرضِه .

وقد رُوِي : « وطَوَّقَه وَهْفَ الإمامة » تَعْني إمامةَ الصَّلاةِ ، أي جَعلَها في عُنُقِه ، كالطَّوقِ ، وقلَّدَه إياها .

ويجوز أن يكون مِن الطَّوْقِ : الحِمْلِ ، والثِّقْل .

وحَبْلُ الدِّينِ : كِنايةٌ عن عَهدِه وعَقْدِه .

واضْطِرابُه : تغيُّر حالِه ، واختِلافُه .

وأثْناءُ الحَبْلِ : أوْساطُه ، وما انْثَني منه ، وانْعَطَف ، واحده : ثِنْيٌ ، بالكسر .

ورَبَّقَ : أي جَعَل له رِبْقاً ، وهي عُرًي تُشَدُّ في الحَبْلِ ، وتُتْرَكُ في رَقَبة الجَدْيِ ، أو رِجْلِه ، لتمنَعَه مِن السَّرْحِ ، فاستعارَتْه

للدِّين ، وهو ما يشُدُّ المسلمُ به نَفْسَه ، من عُرَي الإسلام في أحكامِه وحُدُودِه ، أي جَعل أوساطَ الحَبْلِ عُرًي ، شَدَّ بِها أعناقكُم ، وجَمعكم بها علي أمرٍ من الطاعة ، لا تستطيعون الخروجَ منه .

ووقَذَ النِّفاقَ : أي أوْهَنَه ، وأضْعَفَه ، وأدناه من الهَلاك .

وغاضَ نَبْغَ الرِّدَّةِ : أي أعْدمَ ما ظَهَر مِنها ، وارْتَفع ، وقد غِضْتُ الشيءَ أَغِيضُه : إذا نَقَصْتَه وأذْهَبْتَه ، وغاضَ هو ، يتعدَّي ولا يتعدَّي ، ومنه غاضَ الماءُ : إذا غارَ .

ونَبَغَ الشيءُ : إذا ظَهَر وعلا .

والرِّدَّةُ : الرُّجوعُ عن الإسلام .

والحَشُّ : الإيقادُ ، وحَشَشْتُ النارَ ، أحُشُّها . أي أطْفَأَ ما أوقدتْه اليهودُ مِن نِيران الفِتْنة .

ويَهُودُ : يُقال بالألف واللام ، وبغير ألِفٍ ولامٍ ، ولذلك لم يصرفْه ؛ لأنه كالقَبيلة ، واجتماعِ التَّعريفِ والتأنيثِ فيها .

والجُحْظُ ، بسُكون الحاءِ : جَمْع الأَجْحَظ ، كأحْمَرَ وحُمْرٍ ، وبفَتْحها ، مُشَدَّدةً : جَمْع جاحِظٍ ، وهو النَّاتِيءُ الحَدَقَةِ ، العَظِيمُ المُقْلَةِ ، المُنْزَعِجُها .

وقال القُتَيبيُّ : تُريد [١] : وأنتم شاخِصُو الأبصارِ ، تَترقَّبُون أن يَنْعقَ ناعِقٌ أو يدعُوَ إلي وَهْنِ الإسلامِ داعٍ ، والعينُ تَجْحَظُ عندَ التَّرقُّب ، وإنكارِ الشيءِ ، فجعلت تلك المُشارَفَةَ والتَّرقُّبَ ، انتِظاراً منهم .

---

(١) في الأصل : « يريد » ، بالياء التحتية ، ولم يذكر القتيبي هذا الفعل .

وفي روايةٍ : « تنتظرون العَدْوَةَ » من الاعتِداء .

والرَّأْبُ : الإصلاحُ .

والثَّأْي : الفَسادُ ، وأصلُه في الخَرْزِ : أن يَغْلُظَ الإشْفَي [١] ، ويَدِقَّ السَّيْرُ ، فيَسيلَ الماءُ منه .

وقيل : هو أن تلتقيَ خُرْزَتانِ منه ، فتَصيرا واحدةً ، وقد ثَئِيَ الخَرْزُ ثَأْي ، وأَثْآه الخارِزُ إثْآءً .

والسِّقاءُ : ظَرْفُ الماءِ ، المُتَّخَذُ مِن الجِلْد .

وأَوْذَمَه : إذا جَعَلَ له أَوْذاماً ، أو شَدَّه بِها . والأَوْذام : جَمْع وَذَمٍ ، بالتَّحريك ، وهو كلُّ سَيْرٍ قَدَدْتَه طُولاً ، وأوذَمْتُ الدَّلْوَ : إذا شَدَدْتَ فيها الوَذَمَ ، بينَ آذانِها والعَراقِي .

ويُروي : « وأَوْذَمَ العَطِلَةَ » ، وهي الدَّلْوُ المُعَطَّلةُ ، أي جَعَلَ لها أَوْذاماً ؛ ليُنْتَفَعَ بها . يقال : عَطِلَتْ تَعْطَلُ عَطَلاً ، فهي عَطِلَةٌ ، إذا تُرِكتْ حِيناً ، لا يُسْتَقَي بها .

وقيل : العَطِلَةُ : الناقةُ الحَسَنةُ . أي شَدَّ النَّاقةَ ، وهيَّأها للاستِقاء ، والمرادُ بهذين الوَصْفَين ، تسويةُ الأمرِ وإصلاحُه ؛ ليحصُلَ الانتفاعُ به ، ويستمرَّ .

وامْتاحَ مِن المَهْواة : أي استَقَي مِن البِئر . المايِحُ [٢] ، بالياء المعجمة مِن تحت : الذي يملأُ الدَّلْوَ مِن أسْفَلِ البئر .

---

(١) هو المثقب الذي يخرز به .

(٢) هكذا فى الأصل بدون واو .

والماتِحُ ، بالتاء المعجمة من فوق : الذي يستقي الماءَ من رأسِ البئر ، يُقال : ماحَ يَمِيحُ ، فهو مايِحٌ ، ومَتَح يَمْتَح ، فهو ماتِحٌ ، وامْتاحَ يَمْتاح ، فهو مُمْتاحٌ ، إذا أخذ الدَّلْوَ من رأسِ البِئر ، وهو افْتَعل مِن ماحَ ، فكأنَّ المايحَ يملأُ الدَّلْوَ ، فيأخُذُها المُمْتاحُ ، وكلُّ آخِذٍ مُمْتاحٌ .

والمَهْواةُ : البِئرُ ، وهي مَفْعَلةٌ مِن الهُوِيِّ : النُّزولِ إلي أسفل ، وهي مُطْلَقةٌ علي ما بينَ أسفلِ البئرِ وأعلاها .

والاجْتِهارُ : الكَنْسُ ، والكَسْحُ ، يقال : جَهْرتُ البِئرَ ، إذا كانت مُنْدَفِنةَ الماءِ ، فأخرجتَ ما فيها ، من التُّرابِ والطِّين .

والدُّفُنُ : جَمعُ دَفِينٍ ، بمعني مَدْفُونٍ ، كنَذيرٍ ونُذُرٍ ، وقيل : هو واحِدٌ ، يقال : رَكِيَّةٌ دُفُنٌ ، ورَكايا دِفانٌ ، أي انْدَفَنَ ماؤُها ، وطُمَّتْ

والرَّواءُ ، بالفتح والمَدّ : الماءُ الكثيرُ ، الَّذي للوارِدةِ فيه رِيٌّ ، يُقال : ماءٌ رَواءٌ ، ومِياهٌ رَواءٌ ، فإن كسرتَ الراءَ ، قصَرْتَ ، فقلتَ : رِوًي ، وهذا مَثَلٌ ضَرَبْتَه لإحكامِه الأمرَ بعدَ انتِشارِه ، فشبَّهتَه برجُلٍ أتي علَي أبْآرٍ [١] قد انْدَفَن ماؤُها ، وعُطِّلَتْ ، وهلكتْ دَلْوُها وسانِيتُها ، فنزَحها ونَظَّفَها ، حتي نَبعَ الماءُ ، ثمّ رَمَّ دَلْوَها ، وشَدَّ سُيُورَها ، وهَيَّأَ ناقةً مِن خِيار الإبِل ، ثم استَقَي منها وسَقَي .

---

(١) هكذا جاء في الأصل ، بسكون الباء ، ومدّ الألف بعدها . قال صاحب المصباح ، في البئر : « وله جمعان ، للقلة : أبآر ، ساكن الباء ، علي أفعال ، ومن العرب من يقلب الهمزة التي هي عين الكلمة ، ويقدمها علي الباء ، ويقول : آأبار ، فتجتمع همزتان ، فتقلب الثانية ألفا . والثاني : أبؤر ... » .

والوَطْءُ علي هامِ النِّفاق : كِنايةٌ عن إهانتِه وإذْلالِه ، لأنَّ الوَطْءَ بالأقدامِ علي الرؤوس ، إذْلالٌ وإهْلاكٌ لجميعِه .

والمُذْكِي : المُلْهِبُ والمُوقِدُ ، وقد أذْكَي النارَ : إذا أضْرَمَها .

أرادَتْ : أنه أوْقَدَ نارَ الحربِ مع المُشْرِكين ، وأهلِ الرِّدَّة ، وأهلِ الكِتاب ، بعدَ رسولِ الله ﷺ .

واليَقْظانُ : ضِدُّ النَّائمِ . أرادت أنه لم يَزل مُجِدًّا ، ساهِرًا لَيْلَه ، في نُصْرةِ الإسلامِ .

وإضافةُ اليَقْظان إلي الَّليل ، مَجازٌ ، كقولِه تعالي : ﴿ بَلْ مَكْرُ الَّليلِ والنَّهارِ ﴾ [1] أي المَكْرُ فيهما .

والصَّفُوحُ : فَعُولٌ مِن الصَّفْحِ : العَفْوِ عن الذُّنُوبِ والجَهْل .

وأصْلُ الصَّفْحِ : الإعراضُ ، كأنَّك تُوَلِّيه صَفْحةَ وَجْهِك ، وعُنُقِك .

واللاَّبَتان : تثنيةُ اللابة ، وهي الحَرَّةُ ، والحَرَّةُ : الأرضُ ذاتُ الحِجارةِ السُّودِ ، وأرادت حَرَّتَي المدينة ، التي هما عن جانِبَيْها ، وعَنَتْ ببُعْدِ ما بينَهما التَّمثيلَ لوُسْعِ صَدْرِه ، وفُسْحِ عَطَنِه ، فاستعارتْ له اللاَّبتَيْن .

والعُرَكَةُ ، بوَزْنِ الهُمَزَةِ : المُحْتمِلُ للشيءِ ، لكثرةِ تَعوُّدِه به ، وإدمانِه عليه ، يقال : فُلانٌ يَعْرُكُ الأَذَي بجَنْبِه ، أي يَحْتمِلُه ، قال الشاعر :

---

(١) سورة سبأ ٣٣ ، وهذا مما يسمونه التوسع ، أو الاتساع ، راجع أمالى ابن الشجرى ١/٣٧ ، ٣١

إذا أنت لم تَعْرُكْ بجَنْبِك بعضَ ما ... يَرِيبُ مِن الأَدْنَي رَماكَ الأَباعِدُ[١]

والأَذاةُ : أَخَصُّ مِن الأَذَي .

والخَشاشُ ، بالفتحِ والكسرِ : الماضِي ، الخَفيفُ في الأُمور .

والمَرْآةُ ، بوزْن المَسْعاةِ : المَنْظَرُ ، وما يُرَي مِن ظاهرِ الإِنسان ، وهي مَفْعَلَةٌ من الرُّؤية .

والمَخْبَرةُ : ما يَظْهرُ مِن باطنِ الإِنسان عند الاختبار ، وهي مَفْعلةٌ منه .

تَعني أنَّ مَخايلَ الخِفَّةِ والمَضاءِ ، بادِيةٌ عليه عندَ النَّظَرِ إليه ، وهو في الحقيقة ، وعندَ الخِبْرةِ كذلك .

والمَرْكُوبةُ منه : أي التي رُكِبَتْ بسَبَبِه ، ويجوز جَرُّها ، ورَفْعُها ؛ فالجَرُّ لأنَّها جَرَتْ صِفةً لما قَبْلَها ، وهو قولُها : « بدَمِ الإمامِ » وهي للفُقَرِ ، والرَّفعُ علي الاستئنافْ ، كقوله تعالي : ﴿ أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ [٢] .

---

(١) البيت من غير نسبة في الفائق ، والأساس ، ومعجم مقاييس اللغة ٢٦٨/١ وذكره ابن فارس ، في ترجمة (بعد) .

وجاء في اللسان (عرك) : « وفي الأخبار أن ابن عباس قال للحطيئة : هلاّ عركت بجنبك ما كان من الزبرقان ؟ قال : إذا أنت ... » البيت .

وواضح أن هذا من إنشاد الحطيئة ، لا من شعره ، فإني لم أجده في ديوانه المطبوع .

(٢) سورة النساء ٧٥ ، وقد أهمل ضبط ميم (الظالم) في الأصل ، وقد ضبطتها بالكسر ، كما هو حقُّ القراءة ، وأنبّه هنا إلي أن تجويز المصنف هنا الرفع علي الاستئناف ، إنما هو تجويز لغة ونحو ، لا قراءة ، فإن القراءة سنة متبعة ، وأساس القبول فيها التواتر ، ولم أجد فيما بين يديّ من كتب القراءات السبعية والعشرية والشاذّة ، من قرأ بالرفع . =

والفُقَرُ : جَمْعُ فُقْرَةٍ ، بالضَّمِّ ، وهي الأمرُ العَظيم ، وقيل : هي بالكَسْر ، وهي خَرَزاتُ الظَّهْرِ .

ضربَتْ ذلك مَثَلاً لِما ارْتَكبُوا في قَتْل عُثمانَ ، من النِّكايات ، بهَتْكِ الحُرَمِ الأربع ، وهي حُرْمةُ الصُّحبةِ والصِّهْر ، وحُرْمةُ البَلَدِ ، وحُرْمةُ اليومِ والشَّهْرِ ، وحُرْمةُ الخِلافةِ ، وكان قتْلُه في ذي الحِجَّة ، قيل : إنَّه قُتِل في يومِ الأضْحَي .

والأكْنانُ : جَمْع كِنٍّ ، وهو الموضِعُ السَّاتِرُ ، الذي يُسْكَنُ فيه ، أرادَ به قُعُودَها في بيتها بالمدينة .

والبَلِيلُ : البَلَلُ ، والنَّداوَةُ .

ومُسْتَنُّ السُّيُولِ : مَجْراها .

والتَّثَوِّي : الإقامةُ بالمكان ، واتِّخاذُه مَثْوىً .

واسْتَجمَّ البِئرَ : تركَها أيَّاماً ، لا يَسْتَقِي منها ، حتي يجتمعَ ماؤُها ، كأنَّه طلَبَ جُمُومَها .

والمَثابَةُ : المَوضِعُ الذي يَثُوبُ منه الماءُ ، أي يَرْجعُ .

أرادت أنه كان يَحْلُم عن الناسِ ، ولا يَتَسافَهُ عليهم ، فكأنَّما كان يَجْمعُ سَفَهَه ، ويدَّخِرُه من أجْلِي .

والوَعْرُ : المَكانُ الغَلِيظُ ، الصَّعْبُ المَسْلَكِ .

= و « الظالم » مجرور بالكسرة ، لأنه نعت للقرية ، وهو ما يسمونه بالنعت السببي ، أو غير الحقيقي ، قال مكي بن أبي طالب : « وإنما جاز ذلك ، والظالم ليس للقرية ؛ من أجل العائد عليها من نعتها » مشكل إعراب القرآن ١/١٩٧

والسَّبِيلُ : الطَّرِيقُ . تُرِيدُ به خُطَّةً صَعْبةً ، بعد أن كانت سَهْلةً .

و « أَنْ » في « أن لا يقولُها » المخَفَّفةُ مِن الثَّقيلة ، تقديرُه : أنّه لا يقولُها ؛ لأنَّ القافيةَ مرفوعةٌ .

والحَنِيفيَّة : المِلَّةُ المائلةُ عن المِلَلِ كُلِّها ، ومنه قوله عليه السّلامُ : « بُعِثْتُ بالحَنِيفيَّة السَّهْلَةِ » والحَنِيفُ عندَ العَرب : مَن كان علَي دِينِ ابراهيم عليه السَّلامُ .

حديث
أمّ سلَمة
أمّ المؤمنين رضي الله عنها

لمّا أرادتْ عائشةُ ، الخُروجَ إلي البَصرة ، أتَتْها أمُّ سَلَمةَ ، فقالت لها : إنَّك سُدَّةٌ بينَ رسولِ الله ﷺ ، وأُمَّتِه ، وحِجابُك مَضْروبٌ علي حُرْمتِه ، قد جَمَع القرآنُ ذَيْلَكِ ، فلا تَنْدَحِيه ، وسَكِّني (١) عُقَيْراكِ ، فلا تُصْحِرِيها .

اللهُ مِن وَراءِ هذه الأُمَّة ، لو أراد رسولُ الله ، أن يَعْهَدَ إليكِ ، عَهِدَ .

عُلْتِ ، عُلْتِ ، بل قد نَهاكِ رسولُ اللهِ ﷺ ، عن الفُرْطَةِ في البِلاد .

إنَّ عَمُودَ الإسلامِ لا يُثابُ بالنِّساء إن مالَ ، ولا يُرْأَبُ بهِنَّ إن صُدِعَ .

حُمادَياتُ النِّساءِ غَضُّ الأَطْرافِ ، وخَفَرُ الأَعْرَاضِ ، وقِصَرُ الوِهَازَةِ .

---

(١) هكذا في الأصل ، هنا ، وفي الشرح ، والذي في مراجع التخريج الآتية : « وسكَّن » ، علي أن يضمر الفاعل عائدا إلي « القرآن » . وجاء في النهاية : « سكن الله عقيراك فلا تصحريها » ، قال : « أي أسكنك بيتك وسترك فيه ، فلا تبرزيه » ثم حكي شرح الزمخشري ، وفيه : « سكني نفسك » النهاية ٢٧٤/٣ ، هذا وقد رأيت ابن فارس يرويه : « سكني » كرواية المصنف ، وحكاه عن ابن قتيبة انظر المقاييس ٩٥/٤ .

ما كنتِ قائلةً لو أنّ رسولَ الله عارَضَكِ (١) ببَعْضِ الفَلَواتِ ، ناصَّةً قَلُوصاً ، مِن مَنْهَلٍ إلي آخَرَ ؟

إنَّ بعَيْنِ اللهِ مَهْواكِ ، وعلي رَسُولِه تَرِدِينَ ، قد وَجَّهْتِ سِدافَتَه ، وتركْتِ عُهَيْدَاهُ ، لو سِرْتُ مَسيرَكِ هذا ، ثم قيل لي : ادخُلِي الفِرْدَوْسَ ، لاستَحْييتُ أن أَلْقي محمَّداً ﷺ ، هاتِكَةً حِجاباً ، قد ضَرَبه عليَّ .

اجْعَلِي حِصْنَكِ بَيْتَكِ ، ووِقاعَةَ السِّتْرِ قَبْرَكِ ، حتي تَلْقَيْه وأنت علي تِلْكِ (٢) أطْوَعَ ما تكُونِينَ للهِ ، ما لَزِمْتِه ، وأَنْصَرَ ما تكُونِين للدِّينِ ، ما جَلَسْتِ عنه .

لو ذكَّرْتُكِ قولاً تَعْرِفينه ، نَهَشْتِه نَهْشَ الرَّقْشاءِ المُطْرِقِ .

فقالت عائشةُ : ما أَقْبَلَني لِوَعْظِكِ ، وليس الأمْرُ كما تَظُنِّين ، ولَنِعْم المَسيرُ مَسِيرٌ ، فَزِعَتْ فيه إليَّ فِئتانِ مُتناجِزتان ، أو مُتناحِرتانِ .

إن أَقْعُدْ ، ففي غيرِ حَرَجٍ ، وإن أَخْرُجْ ، فإلي مالا بُدَّ من الازْدِيادِ منه .

* * *

أخرجه القُتَيبيُّ (٣) ، وهو حديثٌ مُتداوَلٌ بينَ نَقَلَةِ الحديثِ ، وأخرجه الزمخشريُّ (٤) ، وغيرُهُ .

---

(١) بحاشية الأصل : « اعترضك » .

(٢) بحاشية الأصل : « ذلك » .

(٣) غريب الحديث ٤٨٦/٢ – ٤٩٤ ، وعنه ابن أبي الحديد ، في شرح نهج البلاغة ٢٢٠/٦ – ٢٢٤

(٤) الفائق ١٦٨/٢ – ١٧١ ، وانظر بلاغات النساء ص ١٠

شرحه

أمّ سَلَمة : زوج النبيّ ﷺ ، اسمها هِندُ بنت أبي أُمَيَّةَ سُهَيل ابن المغيرة المخزوميّ ، وسَلَمةُ بنتها من أبي سلمةَ ، قبلَ النبيِّ عليه السَّلام .

والسُّدَّةُ : الباب ، أرادت : إنك من رسولِ الله ، بمنزلة باب الدارِ مِن أهلها ، فمتي أصبْتِ (١) ذلك البابَ بشيء ، أو نال منكِ نائلٌ ، فقد دُخِلَ علي حَرِيم رسولِ الله ، ونِيلَ منه ، فلا تُعَرِّضي أهلَ الإسلامِ بخُروجِك ، لِهَتْكِ حُرْمَةِ رسولِ الله ، وتَرْكِ ما يجبُ عليهم ؛ من تَوْقِيرِه واحْترامِه ، وهذا نحوُ قولِ النُّعمان بن مُقَرِّنٍ للمسلمين ، يومَ نَهاوَنْدَ : ألاَ وإنكم بابٌ بين المسلمين والمشرِكين ، إن كُسِر ذلك البابُ ، دُخِل عليهم منه .

ونَدَحَ الشيءَ : إذا فَتَحه ، ووسَّعَه ، ومنه قولهم : أنا في مَنْدُوحةٍ من كذا ، أي فُسْحةٍ منه ، وسَعَةٍ .

ويُروَي : « فلا تَبْدَحِيه » بالباء ، من البَداحِ ، وهو المتَّسِعُ من الأرضِ .

وتُريد بجمع القُرآنِ ذيلَها ، قولَ اللهِ تعالي : ﴿ وقِرْنَ في بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَي ﴾ (٢) .

---

(١) عند ابن قتيبة : « أصيب » .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ ، والقاف من (قرن) ضبطت في الأصل ، بالكسر ، وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي . وهو بالكسر : من الوقار =

والعُقَيْرَي : تصغير عَقْرَي ، بوزن سَكْرَي ، مِن عَقِرَ الرجُلُ : إذا بَقِيَ مكانَه ، لا يَتقدَّمُ ولاَ يتأخَّر ، فَزَعاً ، أو أَسَفاً ، أو خَجَلاً ، وأصلُه مِن عَقَرْتُ به : إذا أطَلْتَ حَبْسَه ، كأَنَّك عَقَرْتَ راحِلتَه ، فَبقِيَ لا يَقْدِرُ علي الذَّهاب .

وقال القُتَيبيُّ : « هو مِن عُقْرِ الدارِ ، وهو أصلُها ، فكأَنَّ « عُقَيْرِيَ » اسمٌ مبنيٌّ مِن ذلك علي التصغير » [١] . وأرادت بالعُقَيْرَي نَفْسَها ، أي سَكِّني نَفْسَك ، التي مِن حَقِّها أن تَلْزَمَ مكانَها ، ولا تُفارِقَ بَيْتَها .

والإِصْحارُ : الخُرُوجُ إلي الصَّحراءِ ، يقال : أَصْحَرَ الرجلُ يُصْحِرُ ، وأصْحَرَ به غيرُه ، كما يُقال : أَنْجَدَ ، وأَسْهَلَ ، وأَحْزَنَ ، إذا أَتي نَجْداً ، والسَّهْلَ ، والحَزْنَ ، وقد جاء ها هنا « تُصْحِرِيها » مُعَدَّي إلي المَفْعُولِ ، علي حَذْفِ الجارِّ ، وإيصالِ الفِعْلِ ، أو لعله مِن الأفعالِ القاصِرةِ والمُتَعدِّية .

= فيكون محذوف الفاء ، وقريقر ، مثل وعد يعد ، وورن يزن ، وجائز أن يكون من القرار ، وهو السكون ، يقال : قرّ في المكان يقِر ، بكسر القاف في المضارع ، وهي اللغة المشهورة المستعملة الفاشية ، فيكون الأصل في (وقرن) : واقررن ، فتحذف الراء الأولي استثقالا للتضعيف ، بعد أن تلقي حركتها علي القاف فتنكسِر القاف ، فيستغني بحركتها عن ألف الوصل .

ومن فتح القاف في (وقرن) جعله من القرار أيضا ، ولكن المضارع عنده مفتوح العين .

انظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٢٢ ، والكشف ٢/١٩٧ ، ١٩٨

(١) هنا انتهى كلام ابن قتيبة ، وما بعده من كلام الزمخشرى . وقد زاد ابن قتيبة : « ولم أسمع بعقيرى إلا فى هذا الحديث ».

وقولُها : « أن يَعْهَدَ إليكِ » تريدُ الوصيَّةَ علي الأُمَّة ، والوِلايَةَ عليهم ، والدُّخولَ في أمرِهم .

وعُلْتِ عُلْتِ : يروي بالضمّ والكسر ؛ فالضَّمّ مِن العَوْلِ : المَيْلِ ، ومنه قولُه تعالي : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَي أَن لّا تَعُولُوا ﴾ [1] .

أي مِلْتِ ، وجُرْتِ عن الصَّوابِ والحقِّ ، بخروجِك .

والكَسْرُ مِن عالَ في البِلاد ، يَعِيلُ : إذا ذَهَب .

ويجوز أن يكونَ « فُعِلْتِ » [2] مِن عالَه يَعُولُه [إذا غلبه] [3] ، ومنه قولهم : عِيلَ صَبْرُه ، أي غُلِبْتِ علَي رأيك ، وما هو أَوْلَي بكِ .

والفُرطَةُ ، والفُرُوطَةُ : التَّقدُّم ، يقال للمُسافِر [4] : هو ذُو فُرْطَةٍ ، وفُرُوطَةٍ في البِلاد ، أي سَبْقٍ وتَقدُّم .

وقال القُتَيْبيُّ : الفَرْطَةُ ، الفَعْلَةُ الواحدة ، والفُرْطَةُ : اسمٌ للخُروجِ والتَّقدُّم ، يُقال : في فُلانٍ [5] فَرْطَةٌ ، وفُرْطَةٌ ، أي تَقدُّمٌ ، وسَبْقٌ .

---

(١) سورة النساء ٣

(٢) قوله : « فعلت » ، هو تمثيل بالوزن ، وافقت ألفاظه ألفاظ الفعل المشروح ، وهو بهذا الوزن مبنى للمفعول ، وفيه ما فى أمثاله من اللغات الثلاث : كسر أوله ، وضمه ، والإشمام . راجع الفائق .

(٣) تكملة من النهاية ٣٢٢/٣ ، والفائق ، والنقل منه ، وإن لم يصرح المصنف .

(٤) فى الفائق : « للمسفار » .

(٥) الذى عند ابن قتيبة : « يقال : فى فلان فرطة [بضم الفاء] وفروطية ، أى تقدم وسبق » .

والإثابَةُ : التَّقْويمُ ، والتَّسْويةُ ، يُقال : أَثابَ العُودَ ، إذا قَوَّمه وسَوَّاه ، وهو منقولٌ مِن ثابَ ، إذا رَجَع ، لأنّ الإثابةَ رَدٌّ للمائلِ إلي الاستِقامةِ والاعتدالِ .

والرَّأْبُ : الإصلاحُ ، والجَمْعُ ، والشَّدُّ .

والصَّدْعُ : الشَّقُّ من غيرِ إبانة .

قال القُتَيبيُّ : « هكذا رُوِيَ لِي : « إنْ صَدَعَ » فإن كان هكذا محفوظاً ؛ فإنه يُقال : صَدَعْتُ الزُّجاجةَ ، فصَدَعَتْ ، كما يُقال : جَبَرْتُ العَظْمَ ، فَجَبَر [1] ، وإلاَّ فإنّه : لا يُرْأَبُ بِهِنَّ [2] إن صُدِعَ ، أو انْصَدَع » .

وكلامُها هذا من أحسن الاستعارات ؛ جعلتْ للإسلام عَمُوداً ، يقوم عليه ، كما يَقُومُ البيتُ علي عَمُودِه ، وأنه متي تَضَعْضَعَ واخْتَلَّ ، فلا صُنْعَ للنِّساءِ في إصلاحِه ، وحِفْظِه ، وإنّما يُحْفَظُ ، ويُصْلَحُ بالرجال .

والحُمادَيَاتُ : جمع صِحّةٍ للحُمادَي ، وهي في الأصل : فُعالَي ، من الحَمْدِ ، ثم اتُّسِعَ فيها ، فقِيل : حُماداك أن تَفْعَلَ كذا ، أي غايةُ أمرِك ، ومُنْتَهَي جُهْدِك ، الذي تُحْمَدُ عليه ، كما يُقال : قُصاراكَ أن تَفعلَ كذا .

---

(١) يستشهد له بشاهد سيار ، فى كتب العربية ، وذلك قول العجاج :

قد جبر الدينَ الإلهُ فجَبَرْ

راجع أدب الكاتب ص ٤٨١ (بابَ فعل الشيءُ ، وفعل الشيء غيره) ، وإصلاح المنطق ص ٢٢٨

(٢) فى الأصل : « به » ، وهو خطأ ، صوابه من ابن قتيبة ، وهو فى نص الحديث .

وغَضُّ الأطرافِ : هكذا أورده القُتَيبيُّ ، وفَسَّرَ الأطرافَ ، بجَمْع طَرْفِ العَيْنِ ، وهو لَحْظُها .

قال الزمخشريُّ : يَدْفَعُ ذلك أمران ، أحدُهما : أنَّ الأَطْرافَ في جَمْع طَرْفِ العَيْن ، لم يَرِدْ به سَماعٌ ، بل رَدَّه الخليلُ ، وقال : إن الطَّرْفَ لا يُثَنَّي ولا يُجْمَعُ ؛ لأنه مصدر طَرَفَ يَطْرِفُ ، إذا حَرَّك جُفُونَه في النَّظَر .

والثاني : أنه غيرُ مُطابِقٍ لخَفَرِ الأَعْراض .

قال : ولا أكادُ أشُكُّ أنه تصحيفٌ ، والصَّوابُ : « غَضُّ الإطْراق » ، أي يَغْضُضْنَ مِن أبْصارِهِنّ ، مُطْرِقاتٍ ، رامِياتٍ بأبصارِهنّ إلي الأرض .

وغَضُّ البَصَرِ : كَسْرُه ، وإخفاؤه ، وألَّا يَنْظُرَ إلي الشيء مُحَدِّقاً .

والخَفَرُ : السِّتْرُ ، والحَياءُ .

والإعْراضُ : يُرْوَي بكسر الهمزة ، وفَتْحِها ، فالكسر : مصدر أعْرَضَ عن الشيء ، يُعْرِضُ ، إذا أعطاه جَنْبَه ، وتركَه ، لا يُريده كراهيةً ، تُريدُ الإعراضَ عن كلِّ ما يُكره لهنّ أن يَنْظُرْن إليه .

وإضافةُ الخَفَرِ إلي الإعْراض ، يُرادُ به الحياءُ الذي يُسْتَعْمَل لأجلِ الإعراض ، وهو مطابقٌ لما قاله الزمخشريُّ .

وأمّا الأَعْراضُ ، بالفتح ، فهو جَمْعُ عِرْضِ الإنسانِ ، وهو نَفْسُه ، أو حَسَبُه ، أو جِسْمُه .

أي أنهنّ للخَفَرِ يَتَستَّرْن . والفتح يُطابِقُ تفسيرَ القُتَيبيّ .

ولو قيل : إن الأَطْرافَ جَمْعُ طَرَفٍ ، بالتحريك ، وهي الأعضاء ، كاليدَيْن ، والرِّجْلَيْن ، واللِّسان ، وغَضُّها : كِنايةٌ عن كَفِّها ؛ لَكان أَوْجَهَ مِن الأوّلِ والثاني ، ويكون جَمْعاً بينَ نَزاهةِ الظاهرِ والباطِنِ .

والوَهازَةُ : الخَطْوُ ، يقال : مَشَى يَتوَهَّزُ ، إذا وَطِيءَ وَطْأً ثقيلاً .

وقيل : الوِهازَةُ : مِشْيَةُ الخَفِرات ، والأَوْهَزُ : الرجلُ الحَسَنُ المِشْيِةِ .

وقِصَرُ الخُطَا : مِن تَوابع الحَياء .

والفَلَواتُ : جمع فَلاةٍ ، وهي الصَّحراءُ .

والنَّصُّ : ضَرْبٌ مِن سَيْرِ الإبِلِ ، سريعٌ ، ونَصَّ النَّاقةَ : إذا رَفَعها في السَّيْر .

والقَلُوصُ : النَّاقةُ الفَتِيَّةُ .

والمَنْهَلُ : المَوْرِدُ ، والمَشْرَبُ .

والمَهْوَي : المَذْهَبُ ، أو الذَّهابُ نَفْسُه ، مِن هَوَي يَهْوِي ، إذا هَبَط ، تُريدُ : إنَّ اللهَ ناظِرٌ إليكِ في مسيركِ هذا ، تَبْعثُها في ذلك علي التَّرْكِ ، والقُعُودِ في البيت .

والسِّدافَةُ : السِّتارةُ .

ويُروَي : « سِجافَتَه » ، وهي بمعناها ، يقال : أسْدَفَ الَّليلُ : إذا سَتَر بظُلْمتِه ، والسُّدْفَةُ : الظُّلْمةُ .

والسِّجْفُ : السِّتْرُ ، بالفتح [١] والكسر ، وأسْجَفْتُ السِّتْرَ : إذا أرسلْتَه ، وأسْجَفَ اللَّيلُ : مِثلُ أسْدَفَ .

وقولُها : « وَجَّهْتِ سِدافتَه » أي هَتكْتِها ، وأخَذْتِ وَجْهَها ، كقولك : قَذَّيْتُ العينَ : إذا أخذتَ ما فيها مِن القَذَي .

وقيل : توجِيهُها : تغييرُها ، وأن يُجعلَ لها وَجْهٌ غيرُ الوجْهِ الأوّل .

وقيل : معناه : أخذْتِ وَجْهاً هَتكْتِ سِتْرَكِ فيه .

وقيل : معناه : أَزَلْتِ حِجابَه من المكان الذي أُمِرْتِ أن تَلْزَمِيه ، وجَعلْتِه أمامَك ، والوَجْهُ : مُسْتَقْبَلُ كلِّ شيء .

والعُهَّيْدَي ، بتشديد الهاء : من العَهْد ، كالجُهَّيْدَي ، من الجَهْدِ ، والعُجَّيْلَي ، مِن العَجلَة ، يقال : لَأبلُغَنَّ جُهَّيْدايَ في هذا الأمر ، وهو يَمْشِي العُجَّيْلَي .

والفِردَوْس : أعلا الجَنَّة ، وقيل : إن اللَّفظةَ غيرَ عربيّة .

ووِقاعَةُ السِّتْرِ ، بالكسر : مَوْقِعُه علي الأرض ، إذا أرسلْتَه ، ويُروَي بالفتح ، وهي ساحةُ السِّتْرِ ، ومَوْضِعُه .

تُريد : الْزَمِي الحِجابَ ، حتي تَموتي وتُدْفَني مَوْضِعَ وُقوعِه ، ولا تَتعدِّيه .

والهاء في « لَزِمْتِه » للسِّتْر ، أي أطْوَعُ ما تكوُنِين لله ، إذا لَزِمْتِ سِتْرك .

---

(١) يعني بفتح سين « السجف » .

والهاء في « جلَسْتِ عنه » للنَّصْر ، أو الدِّين ، وتقديرُ الكلام : أطْوَعُ أوقاتِ كَوْنِك لله ، وأنْصَرُها للدِّين ، وقْتُ لُزُومِك لسِتْرِك ، وجلوسِك عن نَصْرِ الدِّين ، فحَذَف الأوقاتِ المضافةَ إلي المصدر ، وهذا كقولهم : « أخْطَبُ ما يكونُ الأميرُ قائماً » (١) أي أخْطَبُ أوقاتِ كَوْنِه وقْتُ قيامِه ، أو أخْطَبُ أوقاتِه إذا كان قائماً .

والرَّقْشاءُ : الأفْعَي ، من الرُّقْشةِ ، وهي لَوْنٌ فيه نُقَطٌ تُخالِفُ لونَها .

ونَهْشُها : لَسْعُها ، وأصْلُ النَّهْشِ : أخْذُ اللَّحمِ بجميع الأضْراسِ

والمُطْرِقُ : السَّاكِنُ ، النّاظِرُ بعَيْنِه إلي الأرضِ ، وإنَّما ذكَّرَه ؛ لأنَّ الأفْعَي والحَيَّةَ يَقعانِ علي الذّكَر والأُنثي منهما .

---

(١) انظر أمالي ابن الشجري ١/٣٦ ، ٦٩ ، ٣٠٠

أحاديث التابعين

حديث
صَعْصَعَة بن صُوحان العَبْدِيّ

دَخل علَي معاوية بن أبي سُفيان ، فلم يُسَلِّمْ عليه بالخِلافة ، فقال له : مِمَّن أنتَ ؟

قال : مِن نِزارٍ .

قال : وما نِزارٌ ؟

قال : كان إذا غزا احْتَوَش ، وإذا انْصرَف انْكَمَش ، وإذا لَقِيَ افْتَرَش .

قال : فمِن أيِّ ولَدِه أنتَ ؟

قال : مِن رَبيعة .

قال : وما رَبيعةُ ؟

قال : كان يَغْزُو بالخَيل ، ويُغير باللَّيْل ، ويَجُودُ بالنَّيْل .

قال : فمِن أيِّ ولَدِه أنت ؟

قال : مِن أسَدٍ .

قال : وما أسَدٌ ؟

قال : كان إذا طَلَبَ أفْضَي ، وإذا أدْرَكَ أرْضَي ، وإذا آبَ أنْضَي .

قال : فمِن أيِّ ولَدِه أنتَ ؟

قال : مِن دُعْمِيٍّ .

قال : وما دُعْمِيٌّ ؟

قال : كان يُطِيلُ النِّجاد ، ويُعِدُّ الجِياد ، ويُجيدُ الجِلاد .

قال : فمِن أيِّ ولَدِه أنت ؟

قال : مِن أفْصَي .

قال : وما أفْصَي ؟

قال : كان يَنْزِلُ الغارات ، ويُحْسِن الغارات ، ويَحْمِي الجارات .

قال : فمِن أيِّ ولِدِه أنت ؟

قال : من عبد القَيْس .

قال : وما عبدُ القَيْس ؟

قال : أبطالٌ ذادَةٌ ، جَحاجِحَةٌ سادَةٌ ، صَنادِيدُ قادةٌ .

قال : فمِن أيِّ ولَدِه أنت ؟

قال : مِن أفْصَي .

قال : وما أفْصَي ؟

قال : كان يُباشِرُ القِتال ، ويُعانِقُ الأبْطال ، ويُبذِّر الأموال .

قال : فمِن أيِّ ولِدِه أنت ؟

قال : مِن عمرٍو .

قال : وما عمرٌو ؟

قال : كانوا يَسْتَعمِلُون السَّيف ، ويُكرمون الضَّيف ، في الشِّتاء والصَّيف .

قال : فمِن أيِّ ولدِه أنت ؟

قال : مِن عِجْلٍ .

قال : وما عِجْلٌ ؟

قال : لُيوثٌ ضَراغِمَةٌ ، قُرُومٌ قَشاعِمَةٌ ، مُلُوكٌ قَماقِمَةٌ .

قال : فمِن أيِّ ولَدِه أنت ؟

قال : مِن كَعْب .

قال : وما كَعْبٌ ؟

قال : كان يُنْشِيءُ الحُروب ، ويكْشِفُ الكُرُوب .

قال : فمِن أيِّ ولده أنت ؟

قال : مِن مالِك .

قال : وما مالِكٌ ؟

قال : الهُمامُ الهُمامُ ، والقَمْقامُ القَمْقامُ .

قال : يا ابنَ صُوحانَ ، ما تركتَ لهذا الحيِّ مِن قُريشٍ شيئاً !

قال : بَلَي ، تركتُ لهم الوبَرَ والمَدَر ، والأَبْيضَ والأَصْفَر ، والصَّفا والمَشْعَر ، والقُبَّةَ والمَنْحَر ، والسَّرِيرَ والمِنْبَر ، والمُلْكَ إلي المَحْشَر ، ومِن الآنَ إلي المَنْشَر .

قال : أما واللهِ يا ابنَ صُوحانَ ، إن كنتُ لَأُبْغِضُ أن أراكَ خَطِيبا .

قال : وأنا واللهِ ، إن كنتُ لَأُبْغِضُ أن أراكَ أميراً .

* * *

هذا حديثٌ مشهورٌ ، معروفٌ في كُتب العُلماء ، وهو مِن رِواية أبي سِنانٍ الشَّيبانيِّ ، عن عطاء بن أبي رَباحٍ المكّيّ .

شرحه

صَعْصَعَةُ (١) : هو ابنُ صُوحانَ بن حُجْر ، مِن بني أَفْصَي بن عبد القيس ، ثم من بني أَسَد بن رَبيعة بن نِزارٍ .

والتَّصَعْصُعُ : التَّزَعْزُعُ ، والتَّفَرُّق ، يقال : صَعْصَعْتُه صَعْصَعَةً ، فتَصَعْصَعَ ، مِثل زَعْزَعْتُه ، فَتزَعْزَعَ ، وفَرَّقْتُه فتَفرَّقَ .

وصُوحانُ بالضَّمِّ : مِن الصُّوحِ ، وهو وَجْهُ الجَبَلِ القائم ، الذي تَراه كأنّه حائطٌ .

والعَبْدِيُّ : منسوبٌ إلي عبد القَيْس ، علي القِياس المُطَّرِدِ ، في أمثالِه ، وقد يُنْسَبُ إليه : عَبْقَسِيٌّ ، علي غيرِ قياسٍ ، كعَبْشَمِيٍّ ، في النَّسَب إلي عبدِ شَمْسٍ .

والاحْتِواشُ : مِن احْتَوَشَ القَومُ الصَّيدَ : إذا أَنْفرَه بعضُهم علي بَعْضٍ ، وقد جاءت الواوُ فيه ظاهرةً ، علي الأَصْل ، كما ظَهرتْ في اجْتَوَرُوا ، والكثيرُ المُسْتَعْمَل الإعلالُ ، نحو اسْتاقَ ، واشْتاقَ ، واعْتاقَ ، يقال : حُشْتُ الصَّيدَ ، أَحُوشُه ، وأَحَشْتُه ، وأَحْوَشْتُه : إذا جِئتَه مِن جَوانِبِه ، لِتَرُدَّه إلي الحِبالة .

---

(١) سبق التعريف به فى حديث معاوية رضى الله عنه . وحديثه هذا ، باختلاف فى الرواية ، ذكره المسعودى ، فى مروج الذهب ٤٨/٣ ، ٤٩

يُريد : أنه كان إذا غز أحاط بالأَقْران مِن جَوانِبهم ، واسْتَولَي عليهم .

والانكِماشُ : الإسراعُ ، ورجُلٌ كَمْشٌ ، وكَمِيشٌ : سريعٌ ماضٍ ، وقد كَمُشَ ، بالضَّمِّ ، كَماشَةً .

وقولُه : « وإذا لَقِىَ افْتَرَشَ » الافْتِراشُ : الانْبِساطُ ، وافْتَرَشَ لسانَه : إذا تكلَّمَ كيف شاء ، وافْتَرَشَ ذِراعَيْه : إذا بَسَطهما ، فإن كان يريدُ لقاءَ الأَقرانِ : فهو يَلْقاهم بنَفْسٍ مُنْبَسِطةٍ للحَرْب ، ويدٍ مَبْسُوطةٍ للطَّعْنِ والضَّرْب ، وإن كان يريدُ لقاءَ الإخوانِ والضِّيفان ، فهو يَلْقاهم بوَجْهٍ طَلِيقٍ ، ولِسانٍ ذَلِيقٍ .

ويجوز أن يكون « افْتَرسَ » بالسِّين المهملة ، أى يقتلُ أقرانَه عندَ اللِّقاء .

وقد سأله معاويةُ فى جميع أسئلتِه بما ، فقال : وما فُلانٌ ؟ وما فُلانٌ ؟ و « ما » إنّما يُسأَلُ بها عمَّا لا يَعْقِل ، وعن صِفةِ من يَعْقِلُ ، ولهذا أجابه صَعْصَعةُ بصِفاتِ آبائِه .

وقوله : « يَجودُ بالنَّيِلِ » أى يُكثِر العطاءَ . هكذا جاء « النَّيْلُ » بالياء ، والمعروفُ فى العطاء : النَّوْلُ ، بالواو ، يُقال : نُلْتُ له بالعَطِيَّةِ ، أَنُولُ نَوْلاً ، والاسمُ : النَّوالُ ، فأمَّا النَّيْلُ فهو مِن قولهم : نالَ خَيراً ، يَنالُه نَيْلاً ، إذا أصابَه .

وأَفْضَى إلى الشيء : إذا وصَلَ إليه ، وأَفْضَى بيدِه إلى الأرض : إذا مَسَّها ، وأصْلُه من الفَضاء : السَّاحَةُ ، وما اتَّسَع من الأَرض .

وقولُه : « وإذا أدْرَكَ أرْضَى » أى إذا وصَلَ إلى طَلِبَتِه أرْضَى ، فيجوز أن يُرِيدَ : أرْضَى نَفْسَه ، بِبُلوغِ غَرضِه ، واسْتيلائه عليه ، ويجوز أن يُرِيدَ : إذا قدَرَ عَفَّ عن أخذ شيءٍ من الغَنِيمة ، أو أرْضَى الناسَ بالعطاء ، أو عَفا عمَّن اسْتولَى عليه .

وآبَ : إذا رجَعَ .

وأنْضَى : أى هَزَل ، وأتْعَبَ الخيلَ والإبلَ ، يُقال : أنْضَى فُلانٌ بعيرَه ، يُنْضِيه إنْضاءً ، والنِّضْوُ ، بالكسر : البعيرُ المَهْزُول .

والنِّجادُ : حَمائلُ السَّيِف ، وطُولُه دليلٌ على طُولِ القامةِ .

والجِيادُ : الخَيْلُ النَّفِيسةُ ، السَّرِيعةُ ، واحِدُها : جَوادٌ ، وإعدادُها : ادِّخارُها للحَرْبِ والغارةِ .

والجِلادُ : الضِّرابُ ، يقال : جالَدْتُه جِلاداً ، ومُجالَدةً ، وأصْلُه مِن الجَلَدِ والجَلادَةِ ، وهى القُوَّةُ والصَّلابَةُ .

ودُعْمِىٌّ ، بضمِّ الدالِ ، وتشديد الياءِ ، من الدَّعْمِ : القُوَّةِ والسِّمَنِ .

وأفْصَى ، بالفاء والصادِ المهملَة ، مِن أفْصا المَطَرُ : أى أقْلَعَ ، وتَفَصَّيْتُ من الدُّيُون : إذا تَخلَّصْتَ منها .

وقوله : « يَنْزِلُ الغارات » يُرِيدُ الجِبال ؛ لأنَّ الغاراتِ جَمْعُ غارٍ ، وهو الكَهْفُ فى الجَبَل .

ويجوز أن يكون أرادَ به الجُيوشَ ، جَمْعُ الغارِ ، وهو الجيشُ ، ويكون مِن الجُموع الشّاذَّة ، كالسُّرادِقات ، والحَمّامات [1] .

---

(١) معروف أن المذكر غير العاقل قد يجمع بالألف والتاء ، كما مثل . فقول المصنف : « من الجموع الشاذة » فيه نظر .

أو يكون قد أَلْحقَ الغارَ ، تاءَ التَّأنيث ، كما أَلْحقَها فى المَغارة ، بمعنى الغارِ ، وجَمَعها جَمْعَ التَّأنيث ، فقال : غاراتٌ ، كما يُقال : مَغاراتٌ .

وقوله : « ويُحْسِنُ الغارات » جَمْعُ غارةٍ ، وهى الاسْمُ من الإغارةِ على العَدُوِّ .

والأَبْطالُ : جَمعُ بَطَلٍ ، وهو الشُّجاعُ .

والذَّادَةُ : جَمْعُ ذائِدٍ ، وهو الحامِى الدَّافِعُ ، وقد ذادَ ، يَذُودُ ذَوْداً ، وذِيادًا .

والجَحاجِحَةُ : جَمْعُ جَحْجاحٍ ، وهو السَّيِّدُ الكريمُ ، والتَّاءُ فيه ، وفى أشْباهِه لتأكيدِ الجَمْعِ .

والصَّنادِيدُ : جَمْعُ صِنْدِيدٍ ، وهو العَظِيمُ ، الغالِبُ ، الشَّديدُ .

والقادةُ : جَمْعُ قائدٍ ، وهو المقدَّمُ الرَّئيسُ ، الذى يَقودُ الجُيوش .

وتَبْذيرُ الأَموالِ : تَفْريقُها ، وإعطاؤها إسرافاً ، بغير حِساب .

واللُّيوثُ : جَمْعُ لَيْثٍ ، وهو الأَسَدُ .

والضَّراغِمَةُ : جَمْعُ ضِرْغامٍ ، وهو مِن صِفات الأَسدِ ، الضارِى ، القوىّ ، المِقْدام .

والقُرُومُ : جَمْع القَرْمِ ، وهو السَّيِّدُ ، المُقَدَّمُ فى الرَّأى .

والقَشاعِمَةُ : جَمْع قَشْعَمٍ ، وهو المُسِنُّ مِن الرِّجال ، والنُّسُورِ ، يُريد : أَنَّهم ذَوُو أَسْنانٍ ، قد حَنَّكتْهم التَّجارِبُ .

والقَماقِمَةُ : جَمْعُ قَمْقامٍ ، وهو السَّيِّدُ .

وإنْشاءُ الحُرُوبِ : ابْتداؤها ، يُقال : أنْشأ يَفْعلُ كذا ، أى ابتدأ ، وأصْلُ الإنشاءِ : الخَلْقُ .

والهُمامُ : المَلِكُ العَظِيمُ الهِمَّة ، وتكرارُه للتأكيد ، وكذلك القَمْقامُ .

وقوله : « تركتُ لهم الوبَرَ والمَدَر » يُريد أهلَ الوَبَرِ والمَدَر ؛ لأنَّه إذا مَلَك الوَبَر والمَدَر ، فقد ملَك أهلَهما .

والوَبَر : يُريدُ به سُكَّان البُيُوت ، المُتَّخَذةِ من أوبارِ الإبِل .

والمَدَرُ : يُريدُ به المُدُنَ والقُرى ، والمَدَرُ : الطِّينُ المُسْتَحْجِرُ قليلاً . ويُريدُ بالأبيض والأصفَر ، الفِضَّةَ والذَّهَب .

والصَّفا : مَوضِعُ السَّعْيِ بمكة .

والمَشْعَرُ : المَوضِعُ المعروفُ بمُزْدَلِفَةَ ، يعنى أنَّ الحَجَّ وأموره يَخْتصُّ بقُرَيْشٍ ، وأنَّ الناسَ ينتابُونَهم من أقْصَى الأرضِ وأَدْناها .

والصَّفَا فى الأصل : جَمْعُ صَفاةٍ ، وهى الحَجَرُ الأَمْلَسُ .

والمَشْعَرُ : مَفعَلٌ من الشِّعار ، وهو العَلامةُ والأَثَرُ ، والشَّعائر : المَعالِمُ ، وبه سُمِّىَ المَشْعَرُ الحَرامُ ، لأنَّه مَعْلَمٌ للعِبادة ، والمَوْضِع .

وأمَّا القُبَّةُ : فإنهم كانوا يَضرِبُون قُبَّةً مُتَّخَذةً من جُلودٍ ، أو غيرِها ، ثم يَجْمعُون إليها ما يُجهِّزُون به الجَيْشَ ، ثم يُوَلُّون أمرَها واحِدًا مِن مُقَدَّميهم ، وكانت القُبَّةُ ، والأَعِنَّةُ ، وهى أعِنَّةُ الخيلِ ، آخِراً إلى خالدِ بن الوليد .

والمَنْحَرُ : مَوْضِعُ نَحْرِ الهَدْىِ ، والضَّحايا ، بمِنًى .

ويُرِيدُ بالسَّرِير مَجْلِسَ المُلْك ، وبالمِنْبَر مَجْلِسَ الخِطابة .

والمَحْشَرُ : مَفْعَلٌ مِن الحَشْرِ ، وهو الجَمْعُ ، يعني يومَ القيامة ، فإذا فَتَحْتَ الشّينَ فهو المَصْدرُ ، فأمّا المَوْضِعُ فهو بالكسر ، قال الجوهريُّ : « المَحْشِرُ ، بكسر الشِّين : مَوْضِعُ الحَشْرِ » .

والمَنْشَرُ : موضِعُ النُّشُورِ ، وهو قِيامُ المَوْتَي مِن قُبورِهم ، يُقال : نَشَرَ المَيِّتُ ، يَنْشُرُ نُشُوراً ، أي عاشَ بعدَ الموتِ ، وأنْشَرَ اللّهُ المَيِّتَ : أي أحْياه ، يُريدُ أنّ الخِلافةَ والمُلْكَ باقٍ [1] في قُرَيْشٍ ، إلي أن تقومَ الساعةُ .

---

(١) هكذا في الأصل ، وهو متجه ، وإن كان الأولي : باقيان .

حديث
الأحنف بن قيسٍ السَّعْدِيّ التَّميميّ

قَدِم علَي عمرَ بن الخطّاب ، في وفدِ أهلِ البصرة ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ إخوانَنا من أهلِ الكُوفةِ ، نَزَلُوا في مِثْل حُولاءِ الناقةِ ؛ مِن ثِمارٍ مُتهدِّلةٍ ، وأنهارٍ مُتفَجِّرة .

وفي روايةٍ : إنّ أهلَ هذه الأمصارِ ، نَزلُوا في مِثلِ حَدَقةِ البَعيرِ ، من العُيونِ العِذابِ ، تأتيهم فواكِهُهم لم تُخْضَدْ ، وإنَّا نَزلْنا سَبَخَةً نَشَّاشَةً ، طَرَفٌ لها بالفَلاةِ ، وطَرَفٌ لها بالبَحْرِ الأُجاجِ ، يأتِينا ما يأتِينا ، في مثلِ مَرِيءِ النَّعامةِ ، فإن لم تَرْفعْ خَسِيسَتَنا ، بعطاءٍ تُفَضِّلُنا به علي سائرِ الأَمصارِ ، نَهْلِكْ . فحبَسَه عنده سَنَةً ، وقال : خَشِيتُ أن تكونَ مُفَوَّهاً ، ليس لك جُولٌ .

* * *

أخرج ابن قُتيبةَ [١] الطَّرَفَ الأوَّلَ والآخِرَ ، وأخرج أبو عبيدٍ [٢] باقِيَه .

---

(١) غريب الحديث ٥٣٢/٢ – ٥٣٤

(٢) غريب الحديث ٣٧٩/٤ – ٣٨٢ ، وقد سكت المصنف عن الزمخشري ، وهو قد أخرجه تاما في الفائق ٢٦٧/١ ، ٢٦٨

شرحه

الأحنف : هو ابن قيس بن معاوية ، من بني سعد بن زيد مناة ابن تميم .

والأحنف : اسمُه ، وقيل : لَقَبُه ، لأنه كان في رِجْلَيه حَنَفٌ ، وهو أن تَمِيلَ قدمُه إلي جانبِ قدمه الأُخري .

وقيل : اسمُه صَخْرٌ ، وقيل : الضَّحَّاك .

وحُوَلاءُ الناقِة ، بضمّ الحاءِ وفتحِ الواوِ ، والمَدِّ : جِلْدةٌ رقِيقةٌ ، تَخْرُج مع ولَدِ النَّاقةِ ، كأنَّها مِرْآةٌ مَمْلُوءةٌ ماءً أصْفَرَ ، وفيها خُطوطٌ حُمْرٌ ، وخُضْرٌ ، وتُسَمَّي السُّخْدَ ، بالسِّين المُهْمَلة ، والخاء المُعجَمة ، شَبَّه بها بِلادَهم ، في خِصْبِها ، وكَثْرةِ مائِها .

قال الأصمعيُّ : تقول العربُ ، إذا وصَفَتِ الأرضَ وخِصْبَها : تركتُ أرضَ بني فُلانٍ ، في مِثْلِ حُوَلاءِ النَّاقةِ ، قال الكُمَيت [1] :

وكالحُوَلاءِ مَراعِي المُسِيمِ عِندَكَ والرَّيَّةُ المَنْهَلُ

الرَّيَّةُ : العَيْنُ الغَزِيرةُ الماءِ . يريد : مَنْهَلُك رِيٌّ ، وعَطاؤُك غَضٌّ ، طَرِيٌّ .

وكذلك شبَّهها في الرِّواية الأخري ، بعَيْن البَعيرِ ؛ لأنَّ الحَدَقةَ تُوصَفُ بكثْرةِ الماءِ .

وقيل : أراد أنَّ خِصْبَها كثيرٌ ، دائمٌ ، لا يَنْقطِعُ .

---

(١) شعره ٣٩/٢ ، عن الفائق فقط ، وهو عند ابن قتيبة أيضا .

وشَبَّهها بحَدَقةِ البعيرِ ؛ لأنّه يُقال : إنَّ المُخَّ ليس يَبْقَي في شيءٍ من البَدَنِ ، بقاءَه في العَيْن .

والمُتَهدِّلَةُ : المُسْتَرْخِيةُ ، المُنْعَطِفةُ في الأغصان .

والأنهارُ المُتفَجِّرةُ : الفائضةُ ، الجاريةُ ، يقال : فَجَرْتُ الماءَ ، أفْجُرُه ، فانْفَجَر ، وفَجَّرْتُه فتَفَجَّر .

وخَضْدُ الشَّيءِ : ثَنْيُه ، وعَطْفُه ، يُقال للعُود ، إذا تَثَنَّي ، وهو رَطْبٌ من غير أن يَنْكسِرَ : قد انْخَضَدَ ، وقد خَضَدْتُه أنا .

قال أبو عُبيدٍ : « هكذا سمعتُها في الحديث : « تُخْضَدُ » ، ويُرْوَي : « تَخَضَّدُ » [١] ، وهي عندي أجودُ » ، يُريدُ : تَتخَضَّدُ هي بأنْفُسِها ، والمعنَي أنَّ فواكِهَهُم قريبةٌ منهم ، تأتيهم غَضَّةً طَرِيَّةً ، لم تَتغَيَّر .

والسَّبَخَةُ : الأرضُ التي لا تَصْلُحُ لكُلِّ نَباتٍ ؛ لما يَعْلُوها مِن المُلُوحَة ، وهي تُلائمُ النَّخيلَ كثيراً .

والنَّشَّاشَةُ : مِن النَّشِيشِ : الغَلَيان ، يريدُ ما يَظْهَر من ماءِ السِّباخ ، فَينِشُّ فيها ، حتّي يَعُودَ مِلْحاً .

والفَلاةُ : البَرِّيَّةُ الواسِعةُ .

والأُجاجُ : الماءُ المِلْحُ ، المُرُّ ، وقد أَجَّ الماءُ ، يؤُجُّ أُجُوجاً ، وكذا هي البَصْرةُ ، أرْضُها سِباخٌ ، وهي بينَ البَرِّ والبَحْر .

---

(١) هكذا ضبط في الأصل ، بتشديد الضاد ، وفسّره علي التشديد ، كما تري ، ولم يأت الفعل مشددا ، عند أبي عبيد ، وكذلك في النهاية ٣٩/٢ : « تَخْضَد » .

ومَرِيءُ النَّعامةِ : مَجْرَي طَعامِها وشَرَابِها ، وليس بالحُلْقُوم ، هو غيرُه ، وهو أدَقُّ منه ، وأضْيَقُ ، وخاصَّةً مَرِيءُ [١] النَّعامةِ ، فإنّه ضَيِّقٌ ، بالنِّسْبَةِ إلي خِلْقَتِها .

يُرِيدُ به قِلَّةَ أقواتِهم ، وأنّه لا يأتيهم منها إلاَّ القليلُ ، علي نحو ما يَدْخُلُ في مَرِيءِ النَّعامة .

وأراد بخَسِيستهم ضِيقَ حالِهم وضَعْفَهم ، وأصلُ الخَسِيسة : الحالةُ التي يكون عليها الخَسِيسُ ، وهو الدَّنيءُ ، يقال : رفَعْتُ من خَسيستِه : إذا فعلتَ به فِعْلاً ، تكون فيه رِفْعتُه ، فاستعارها لضِيق المَعاش .

والأمصارُ : المُدُنُ ، واحِدُها مِصرٌ .

والمُفَوَّه : البَلِيغُ ، المِنْطِيقُ ، مِن الفَوَهِ ، وهو سَعَةُ الفَمِ .

والجُولُ ، بالضَّمِّ : العَقْلُ والتَّماسُكُ .

---

(١) هكذا ضبطت الهمزة ، في الأصل ، بالرفع ، والأولي أن تكون منصوبة ، بفعل مقدر من لفظ « خاصة » .

حديث
عبد الملك بن عُمَير الفَرَسيّ

قال : تَفاخَر سَبْعةُ نَفَرٍ ، مُضَرِيٌّ ؛ وأزْدِيٌّ ، ومَدَنيٌّ ، وشامِيٌّ ، وهَجَرِيٌّ ، وبَكْريٌّ ، وطائفيٌّ .

فقال المُضَرِيُّ : هاتُوا كجَزُورٍ سَنِمَةٍ ، في غَداةٍ شَبِمَةٍ ، في قُدُورٍ رَذِمَةٍ ، أو هَزِمَةٍ ، بِمَواسٍ خَذِمَةٍ ، مَعْبُوطَةٍ نَفْسُها ، غيرِ ضَمِنَةٍ

وقال الأَزْدِيُّ : واللهِ لَقُرْصٌ بُرِّيٌّ ، بأَبْطَحَ قُرِّيٍّ ، بلَبَنٍ قُشْرِيٍّ ، أو عُشْرِيٍّ ، بسَمْنٍ وعَسَلٍ ، أطْيَبُ من هذا .

وقال المَدَنيُّ : واللهِ لَفُطْسٌ خُنْسٌ ، بزُبْدٍ جَمْسٍ ، يَغيبُ فيها الضِّرْسُ ، أطْيبُ مِن هذا .

وقال الشاميُّ : واللهِ لَخُبْزَةٌ أَنْبخانِيَّةٌ ، بخَلٍّ وزَيْتٍ ، يُنالُ أدناها ، فيَضْرِطُ أَقْصاها ، يُتَخَطَّي إليها تَخَطِّيَ بَناتِ المَخاضِ ، مِن الحَرْفِ ، أطْيَبُ من هذا .

وقال الهَجَرِيُّ : واللهِ لَتَعْضُوضٌ كأخفافِ الرِّباع ، أطْيَبُ من هذا .

وقال البكْرِيُّ : واللهِ لَقارِصٌ قُمارِصٌ ، يَقْطرُ منه البَوْلُ ، قَطْرَةً قَطْرَةً ، أطْيبُ مِن هذا .

وقال الطائفيُّ : واللهِ لَعِنَبٌ قَطِيفٌ ، بوادِي ثَقِيفٍ ، أصابَه الخَرِيفُ ، أطْيَبُ مِن هذا .

★ ★ ★

أخرجه الخَطّابيّ [١] ، والزمخشريّ [٢] ، وهو مِن حديث أبي عَوانة ، عن عبد الملكِ بن عُمَيرٍ .

شرحه

عبد الملك بن عُمَير : مِن ولَدِ مُرَّةَ بن أُدَد ، تابعيٌّ ، كُوفِيٌّ .

والفَرَسِيُّ ، بالفاء والسِّين : مَنْسُوبٌ إلى فَرَسٍ سابقٍ ، كان له ، عُرِفَ به ، ومن لا يَدْرِي يقول : القُرَشِيّ [٣] ، وليس كذلك ، ويُقال له : القِبْطِيّ ؛ لأنَّ فَرَسه هذا كان يُعْرَف بالقِبْطيّ ، فنُسِب إليه .

والمُضَرِيُّ : منسوبٌ إلى مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدْنان ، وهو مَعْدُولٌ عن ماضِرٍ ، وهو اللَّبَنُ الحامِضُ [٤] ، الذي يَحْذِي اللِّسانَ .

---

(١) غريب الحديث ١٦١/٣ .

(٢) الفائق ٢٠٤/٢ ، ٢٠٥ ، وبعض هذا الحديث في البيان والتبيين ٢٨٦/١ ، ٢٩٩

(٣) حكى ابن حجر النسبتين : « القرشي » بالقاف والشين المعجمة ، و « الفرسي » بالفاء والسين المهملة ، ونقل عن ابن الأثير تخطئته لمن قال غير الفرسي ، ثم قال : « والصواب أنه يجوز في نسبته الأمران » تهذيب التهذيب ٤١٣/٦ ، وانظر أيضا تبصير المنتبه ص ١١٥٨ ، ١١٦٥

هذا ، ولم يعين ابن حجر « ابن الأثير » الذي نقل عنه التخطئة ، وأنا أرجح أن المراد به « مجد الدين » صاحبنا ، فإن عز الدين لم يحك غير « الفرسي » بالفاء والسين ، ولم يشر إلى « القرشي » ألْبتة ، وذلك فيما رأيته ، في حرف الفاء من كتابه اللباب في تهذيب الأنساب ، وكذلك فيما ذكره في الكامل (وفيات سنة ١٣٦) حين ذكر عبد الملك بن عمير .

(٤) ويقال له : المضير ، أيضا ، وسميت مضر بذلك ؛ لشدتها . الاشتقاق ص ٣٠ ، والمصباح . ويقال : حذا الشراب اللسان : قرصه .

والجَزُورُ : يقع علي الذَّكَر والأنثي ، من الإبل ، إلاّ أنَّ اللَّفظةَ مؤنَّثة ، يُقال : هذه الجَزُورُ ، وإن أردْتَ ذكراً ، والجَمْعُ : جُزُرٌ ، وجَزائِرُ ، والأصلُ فيها الناقةُ السَّمِينةُ ، التي تَصلُح للجَزْرِ ، وهو النَّحْرُ ، لتُؤكَلَ ، ثم اتُّسع فيها ، فأُطْلِقتْ علي كلِّ بَعير .

والسَّنِمَةُ : العَظِيمةُ السَّنامِ ، وسَنامُ كلِّ شيءٍ : أعلاه .

والشَّبِمَةُ : البارِدَةُ ، وماءٌ شَبِمٌ : أي بارِدٌ .

والرَّذِمَةُ : المُمْتلئة ، التي تَسِيلُ ، يقال : رَذِمَتِ [١] القِدْرُ ، تَرْذَم رَذَماً .

قال الخطَّابيُّ : وقال لي أبو عُمر - يعني الزَّاهِدَ - : إنّما هي قُدُورٌ هَزِمَةٌ ، مِن هَزِيمِ القِدْرِ ، وهو صوتُ غَلَيانِها .

قال : وليس الرَّذْمُ مِن صِفة القِدْرِ ، وإنَّما يُقال : جِفانٌ رَذِمَةٌ .

والمَواسِي : جَمْعُ المُوسَي ، وهي آلةُ الذَّبْح .

والخَذِمَةُ : القاطِعةُ ، يقال : خَذمْتُ اللَّحْمَ ، أخْذِمُه خَذْماً .

والمَعْبُوطَةُ : المَنْحورةُ وهي فَتِيَّةٌ ، مِن غيرِ عِلَّةٍ بها ، وقد عَبَطَها ، واعْتَبَطها ، فهي مَعْبُوطَةٌ ، ومات الإنسانُ عَبْطَةً : إذا مات شابًّا ، من غيرِ مَرَضٍ ، ولا عِلَّةٍ ، قال أُمَّيةُ بن أبي الصَّلْت [٢] :

من لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَماً   لِلموتِ كأسٌ والمرْءُ ذائقُها

---

(١) الفعل من باب فرح ، علي ما في القاموس .

(٢) ديوانه ص ٢٤١

والضَّمِنَةُ : المريضَةُ ، الزَّمِنَةُ ، وقد ضَمِنَ يَضْمَنُ ضَمانَةَ ، أي أنَّ هذه الجَزُورَ لم تُنْحَرْ لمَرضٍ نَزَل بها ، إنَّما نُحِرتْ للأَكْلِ ، وهم يَذُمُّون علي أكْلِ لُحُومِ ذَواتِ الأَدْواء ، ويقولون : بَنُو فُلان يأكُلُون العَوارِضَ ، وهي التي قد عَرَضَ لها آفَةٌ ، من مَرَضٍ ، أو كَسْرٍ ، فنُحِرَتْ .

والأَزْدِيُّ : مَنْسُوبٌ إلي الأَزْدِ ، واسمُه أُدَد [1] بن الغَوْثِ ، من بَنِي زيدِ بن كَهْلانَ بن سَبَأ .

والقُرْصُ : الرَّغِيفُ ، والقُرْصَةُ أَخصُّ منه .

والبُرِّيُّ : مَنْسُوبٌ إلي البُرِّ : الحِنْطَةِ .

والأَبْطَحُ : المَوْضِعُ المُتَّسِعُ من الأرض ، ومُؤَنَّثُه البَطْحاءُ .

والقُرِّيُّ : مَنْسُوبٌ إلي القُرِّ : البَرْدِ ، سُئِلَ عنه شَمِرٌ [2] ، فقال : لا أعرِفُه ، إلاَّ أن يكونَ مِن القُرِّ .

والقُشْرِيُّ ، بالضَّمِّ والكَسْر ، فالضَّمُّ : مَنْسوبٌ إلي القُشْرةِ ، وهي المَطْرَةُ التي تَقْشِرُ الحَصَي عن وَجْهِ الأرضِ .

يريدُ لَبَناً أدَرَّه المَرْعَي ، الذي يُنْبتُه هذا المَطَرُ .

والكَسْرُ : يريدُ به اللَّبَنَ الذي تَعْلُوه قِشْرَةٌ مِن الرُّغْوة [3] ، التي تكونُ علي رأسِه .

---

(١) في الأصل : « درا بن الغوث » . وصححته من جمهرة ابن حزم ص ٣٣٠

(٢) ضبط في الأصل بكسر الشين وسكون الميم ، وضبطته بفتح وكسر ، بوزن كتف ، من القاموس والتاج ، وانظر الاشتقاق ص ٢٩٧

(٣) الراء مثلثة .

والعُشَرِيُّ : مَنْسُوبٌ إلي العُشَرِ ، وهو شَجَرٌ معروفٌ . يريدُ لَبَنَ إبلٍ ، تَرْعَي العُشَر ، أو هو مَنْسوبٌ إلي العُشَراء [(١)] ، مِن النُّوق .

والمَدَنيُّ : منسوبٌ إلي مدينة الرسول ﷺ ، بحذف الياءِ والهاءِ ، حَمْلاً علي نظائرِه ، كرَبَعِيٍّ ، في رَبيعةَ ، وحَنَفِيٍّ ، في حَنِيفةَ .

والفُطْسُ : جَمْعُ أفْطَسَ ، وهو في الأصل : انْفِراشُ الأنْفِ ، وانْخِفاضُ قَصَبتِه .

والخُنْسُ : جَمْعُ أخْنَسَ ، وهو في الأصل : انْقِباضُ قَصَبةِ الأَنْفِ ، وعِرَضُ الأَرْنَبَةِ ، والمُرادُ بهما تَمْرُ المَدِينة ؛ لأَنَّها صِغارُ الحَبِّ ، لاطِئةُ الأقماعِ .

والجَمْسُ ، بالفتح : الجامِدُ ، يُقال : جَمَسَ الماءُ ، والسَّمْنُ ، جَمْساً ، إذا جَمَدَ ، وإن ضُمَّت الجيمُ : فهو جَمْعُ جُمْسَةٍ ، وهي البُسْرةُ التي أرْطَبَتْ كلُّها ، وهي صُلْبَةٌ لم تَنْهَضِم بَعْدُ ، ويكون قد جَعلَها مِن صِفَة التَّمْر ، وفصَلَ بينَهما بالزُّبْد .

وقوله : « يَغِيبُ فيها الضِّرْسُ » يريدُ غِلَظَها ، وسُمْكَها .

والشَّأْمِيُّ ، بهمزةٍ ساكنة : منسوبٌ إلي الشَّام ، وكثيرٌ مِن الناس يقولُ : شآمِيٌّ ، بالمدّ ، وتشديد الياء ، وليس بالعالي ، والقياسُ أن يُقال مع المدِّ : شَآمٍ ، كيمانٍ ، في يَمَنيٍّ .

والأَنْبَخانِيَّةُ : اللَّيِّنةُ ، الهَشَّةُ ، يُقال : نَبَخَ العَجِينُ ، يَنْبُخُ ،[(٢)] إذا اخْتَمَر ، وقيل : حَمُضَ ، وعَجِينٌ أَنْبَخانٌ ، والهمزةُ فيه زائدة .

---

(١) وهي التي أتي على حملها عشرة أشهر .

(٢) الباء مضمومة في اللسان ، ومكسورة في القاموس ، كل ذلك بضبط القلم ، والمصدر : نبوخ .

وقولُه : « يُنالُ أدْناها فَيَضْرِطُ أَقْصاها » يريدُ إذا عَضَّ جانِباً منها ، صَرَّ الجانبُ الآخَرُ ، لاخْتِمارِها وقُوَّتِها .

وبَناتُ المَخاضِ : النُّوقُ اللاَّتِي أُمَّهاتُهنّ حَوامِلُ ، وهُنَّ في السَّنَةِ الثانية .

وقوله : « مِن الحَرْف »[1]

والهَجَرِيُّ : منسوبٌ إلي هَجَرَ ، وهي مدينةٌ بالبَحْرَيْن ، قال الجوهريُّ : « اسمُه مذكَّرٌ ، مَصْروفٌ » ، وعند المدينةِ قريةٌ يُقال لها : هَجَرُ ، وإليها تُنْسَبُ القِلالُ الهَجَرِّيَة .

والتَّعْضُوضُ ، بفتح التاءِ : ضَرْبٌ من التَّمْرِ ، أَسْوَدُ ، شَديدُ الحَلاوَةِ ، ومَعْدِنُه هَجَرُ ، والتَّاءُ فيه زائدة .

والرِّباعُ : الفُصَلانُ ، واحِدُها : رُبَعٌ ، شَبَّهه لِكِبَرِه بأَخْفافِها .

والبَكْرِيُّ : منسوبٌ إلي بكرِ بن وائل ، بَطْنٌ من ربيعة .

والقارِصُ : الَّلبَنُ الذي يَقْرِصُ الَّلسانَ ، بحُموضَتِهِ .

والقُمارِصُ : أشَدُّ حُمُوضَةً منه ؛ لزِيادة المِيم .

وقيل : القُمارِصُ : إتْباعٌ للقارِص .

يريدُ أن بَوْلَ شارِبِه يَقْطُرُ منه ؛ لِشدَّةِ حُمُوضتهِ .

والطائفيُّ : منسوبٌ إلي الطائف ، البلدُ المعروفُ بالحجاز .

---

(١) بياض بالأصل ، مقدار خمس كلمات ، وجاء في متن الحديث ، في الفائق : « الجرف » بالجيم ، ولم يعرض له الزمخشري ، في الشرح .

والقَطِيفُ : المَقْطُوفُ مِن العِنَب ، عندَ اجْتِنائِه ، فَعِيلٌ بمعني مَفْعُول . والقِطْفُ ، بالكسر : العُنْقُود .

وكلٌّ واحدٍ من هؤلاءِ السَّبعة ، وَصَفَ ما هو الغالِبُ علي مأكُولِه ، وما هو في بلَدِه ، وعِنْدَه . واللهُ أعلم .

حديثٌ آخَرُ
لعبد الملك بن عُمَيْر

قال : دَخَلُوا على أبي العُرْيانِ ، يَعُودُونه ، فقالوا : كيف تجِدُك ؟ قال : أجِدُني ابْيضَّ مني ما كنتُ أحبُّ أن يَسْوَدَّ ، واسْوَدَّ منِّي ما كنتُ أُحِبُّ أن يَبْيضَّ ، ولانَ منِّي ما كنت أحبُّ أن يشتدَّ ، واشتدَّ منّي ما كنت أحبّ أن يلينَ .

أَلاَ أُخَبِّرُكُم بآياتِ الكِبَرْ
تَقارُبُ الخَطْوِ وسوءٌ في البَصَرْ
وقِلَّةُ الطُّعْمِ إذا الزَّادُ حَضَرْ
وقِلَّةُ النَّومِ إذا الليلُ اعْتَكَرْ
وكَثْرَةُ النِّسْيانِ فيما يُدَّكَرْ
وتَرْكُكَ الحَسْناءَ في قُبْلِ الطُّهُرْ
والنَّاسُ يَبْلَوْنَ كما تَبْلَي الشَّجَرْ

ألا أُخْبِرُكم بجَيِّدِ العِنَب ، هو ما رَوِيَ عَمُودُه ، واخْضَرَّ عُودُه ، وتَفرَّقَ عُنْقُودُه .

ألا أُخبِرُكم بجيِّد الرُّطَب ، هو ما كثُر لِحاؤُه ، ورَقَّ سِحاؤُه ، وصَغُرَ نَواه .

* * *

أخرجه الخَطَّابيّ [١] ، وهو من حديث سفيان بن عُيَيْنة ، عن عبدالملك [٢] .

شرحه

أبو العُرْيان : هو [الهيثم بن الأسود بن قَيْس بن معاوية بن سفيان النَّخَعِيّ] [٣] وعِيادةُ المريضِ : زِيارتُه لتعرُّفِ حالِه .

وقوله : « كيف تَجِدُك ؟ » أي كيف تَري نَفْسَك في مرضِك ، وهو مِن وجَدْتُ بمعني علمتُ ، ورأيتُ ، وكذلك قوله : « أجِدُنِي » ؛ ولذلك عدَّاه إلي ضمير المتكلِّم ، وقد تقدَّم مبسوطاً ، في حديث معاوية مع ابنِ الزُّبير .

وأراد ببَياضٍ ما يحبُّ سوادَه ، شَعَرَ رأسِه ، ولِحْيتِه ، وأراد بسَوادِ ما كان يحبُّ بياضَه ، جِلْدَه ، وبَشَرَتَه .

وأراد بلِينِ ما كان يُحبُّ شِدَّتَه ، لَحْمَه ، وعُضْوَه ، وأراد بشدّة ما كان يُحبُّ لِينَه ، أعْصابَه ، ومَفاصِلَ أعضائِه ، التي بها الحركةُ والحِسُّ .

وقوله : « ألا أُخَبِّرْكُم » سكَّنَ الراءَ لضَرُورةِ الشِّعر ، وذلك جائزٌ مُسْتعمَلٌ ، يُسَكِّنُ المتحرِّك ، ويُحَرِّكُ السَّاكِنُ ؛ لإقامةِ الوَزْنِ .

---

(١) غريب الحديث ٥٢٥/٢ .

(٢) الحديث في البيان والتبيين ٣٩٩/١ ، ٦٩/٢ ، الاستيعاب ص ١٧١٣ ، ١٧١٤ ، والإصابة ٣٠٤/٦ (ترجمة الهيثم بن الأسود) ، واللسان (عكر) . وانظر شرح الحماسة ٩٤٢ ، وشرح المقامات ٣٩٥/٢ ، ٣٩٦ .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، واستكملته من الاستيعاب والإصابة .

والآياتُ : جَمْعُ آيةٍ ، وهي العَلامةُ .

وسُوءُ البَصَرِ : ضَعْفُه .

والطُّعْمُ ، بالضمِّ : المَطْعُوم ، يُريد قِلَّةَ ما يأكُلُ .

واعْتكَرَ الليلُ : اخْتَلَط ظَلامُه .

والادِّكارُ ، بالدال المهملة : افتعالٌ مِن الذُّكْرِ ، أصْلُه : اذْتِكارٌ ، ثم اذْدِكارٌ ، ثم ادِّكارٌ .

والطُّهُرُ : مُثَقَّلٌ [1] مِن الطُّهْرِ ، ضِدُّ الحيضِ .

وقُبْلُه : أَوَّلُه .

وعَمُودُ الشَّجَرةِ : ساقُها ، وإذا رَوِيَ رَوِيَتْ أغْصانُها ، وثَمرتُها . وتَفَرُّق العُنْقُودِ ، أسْرَعُ لنُضْجِه ، وحلاوتِه ، بدُخولِ الشَّمسِ فيه .

ولِحاءُ الرُّطَبِ : قِشْرُه ، ومتي كَثُر كان أحْفَظَ لِلُبِّه .

وسِحاؤه : الزِّرُّ الذي علي رأسِه ، تشبيهاً بسِحاءِ الكتابِ ، وهو خَتْمُه ، ورِقَّتُه دليلٌ علي نُضْجِه وبُلُوغِه .

---

(١) المراد بالتثقيل هنا ضم الهاء ، ويقال في مقابلة التخفيف الذي هو تسكين الهاء . وانظر ما سبق في حديث استسقاء النبي ﷺ .

حديث
عمرو بن مسعود

أنه دخَل علَي معاوية بن أبي سفيان ، وقد أسَنَّ ، وطال عُمرُه ، فقال له معاوية : كيف أنت ، وكيف حالُك ؟

فقال : ما تَسأَلُ يا أميرَ المؤمنين ، عمَّن ذَبَلَتْ بَشَرَتُه ، وقُطِعَتْ ثَمرتُه ، وكثُر منه ما يُحبُّ أن يَقِلَّ ، وصَعُبَ منه ما يُحبُّ أن يَذِلَّ ، وسُحِلَتْ مَرِيرَتُه بالنَّقْضِ ، وأَجِمَ النِّساءَ ، وكُنَّ الشِّفاء ، وقلَّ انْحِياشُه ، وكثُر ارتِعاشُه ، فنَوْمُه سُباتٌ ، وليلُه هُباتٌ ، وسَمْعُه خُفاتٌ ، وفَهْمُه تاراتٌ .

* * *

أخرجه الخَطَّابيُّ [١] ، والزمخشريُّ [٢] ، وهو من حديث هشام بن محمد ، عن أبيه .

شرحه

أسَنَّ الرجلُ ، فهو مُسِنٌ : إذا كَبِرَ ، وطَعَن في السِّنِّ .

وقد ذَبَل البَقْلُ ، يَذْبُلُ ، وذَبُل ، بالضمّ ، ذُبُولاً : إذا خَضَع ، وقلَّتْ رُطوبُته ، فاستعاره للبَشَرةِ ، وهي ظاهِرُ جِلْدِ الإنسانِ ، وما يُباشِرُه البَصَرُ منه ، أي قَلَّ ماؤها ، وذهَبتْ نَضارتُها وطَراوتُها .

---

(١) غريب الحديث ٢/٥٢٢ .

(٢) الفائق ١/١٧٤ ، ١٧٥ ، وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى هذه القصة ، في ترجمة عمرو بن مسعود ، من الإصابة ٥/١٧

قال الخَطّابيّ : وفي ذُبُولِ البَشَرةِ وَجْهٌ آخَرُ ، وهو أن يكونَ كنايةً عن الفَرْج ، يريد أنّه ضَعُفَ واسترْخَي ، مأخُوذٌ من تفسير قولِه تعالي : ﴿ وَمَا كُنْتُم تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ ﴾ (١) قيل : أراد بالجُلودِ ، الفُرُوجَ ، في أحد التأويلَيْن .

وقوله : « قُطِعَتْ ثَمَرتُه » أي قُطِعَ نَسْلُه ، شَبَّهه بثَمرةِ الشَّجرة ، فالولدُ من الأبِ كالثَّمرةِ من الشَّجرة ، ومنه قِيل لوَلَدِ الولدِ : ثَمرةُ الثَّمرةِ ، وهذا يَشْهَدُ لتأويل البَشَرة بالفَرْجِ .

ويجوز أن يُكْنَي بالثَّمرة عن الفَرْج أيضاً ؛ لانقطاعِ قُدْرتِه علَي الملاُمَسةِ ، أو انقِطاعِ شَهْوتِه .

وأجِمَ النِّساءَ : أي كَرِههنّ ، يقال : أَجِمْتُ الطَّعامَ ، بالكسر (٢) ، فأنا آجِمٌ : إذا كرِهْتَه ؛ من المُداومةِ عليه .

وأراد بما يُحِبُّ أن يَقِلَّ ؛ آفاتِ الكِبَر ، كالسَّهْوِ والغَلَط ، والضَّعْف ، والبَوْلِ ، وما أشْبَهها مِن العِلَل .

وأراد بما يُحبُّ أن يذِلَّ ؛ ما يَعْرِضُ للمَشايخ ؛ من يُبْسِ المَفاصِلِ ، والأعضاء ، التي بها يكونُ مُطاوعةُ القَبْضِ ، والبَسْطِ .

والذِّلُ ، بالكسر : اللِّينُ ، وهو ضِدُّ الصُّعُوبةِ ، فأما الذُّلُ ، بالضمّ ، فهو ضِدُّ العِزّ ، يُقال ، من الأوّل : ذَلُولٌ بيِّنُ الذِّلِ ، ومنه المَثَلُ : « الذِّلُّ أَبْقَي للأهلِ والمالِ » أي اللِّينُ والرِّفْقُ .

---

(١) سورة فصلت ٢٢

(٢) هكذا قيّده بكسر الجيم ، وهو في اللسان بالكسر والفتح .

ومن الثاني : ذَلِيلٌ بيِّنُ الذُّلِّ ، والذِّلَّةِ .

والمَرِيرةُ ، والمَرِيرُ : الحَبْلُ المَفْتولُ علي طاقَيْنِ فَصاعِدًا .

والسَّحْلُ : أن يُفْتَلَ الحَبْلُ طاقةً واحِدةً ، وحَبْلٌ سَحِيلٌ : أي رِخْوٌ ، وهذا تمثيلٌ لضَعْفِه ، واستِرخاءِ قُوَّتِه .

والنَّقْضُ : حَلُّ فَتْلِ الحَبْلِ .

والانْحِياشُ : النُّفُورُ من الشيءِ فَزَعاً ، ولم يُرِدْ أنه لا يَفْزَعُ فيَنْحاش ؛ لأنّ الشيخَ موصوفٌ بالفَزَعِ والخَشْية ، ولكن أراد أنه إذا فَزِعَ لم يَقْدِرْ علي النِّفارِ والفِرار .

وقال الخَطّابيُّ : قَلَّ انْحِياشُه : أي حَرَكتُه ، وتصرُّفُه في الأمور . والاشتقاقُ يَشْهدُ للتَّأويلِ الأوَّل .

والارْتِعاشُ : افتِعالٌ مِن الرَّعْشة ، وهي الحركةُ الضَّروريّة ، من غير اختيارٍ .

والسُّباتُ : النَّومُ ، وهو في الأصل : الرَّاحة . قال الخَطّابيُّ : يريدُ بالسُّباتِ نومَ المريضِ ، والشَّيخ المُسِنّ ، وهي الغَشْيةُ الخفيفةُ ، يقال : سُبِتَ الرجلُ ، فهو مَسْبُوتٌ ، ويُقال : إنّه مأخُوذٌ مِن السَّبْتِ ، وهو القَطْعُ ؛ لأنه سريعُ الانقطاعِ ، والسَّبْتُ أيضاً : السَّيرُ السَّريعُ .

وقال الزمخشريُّ : « السُّباتُ : النَّومُ الثَّقيلُ ، ومنه قيل للميِّت : مَسْبُوتٌ ، والأصل فيه انقِطاعُ الحركةِ » .

والقول الأوَّلُ أشْبَهُ ؛ لأنَّ نومَ الشَّيخِ والمريضِ ، قليلٌ خفيفٌ .

والهُباتُ : الضَّعفُ ، والاستِرخاءُ ، من قولِهم : بفُلانٍ هَبْتةٌ ، أي ضعفٌ ، وهَبَته المرضُ : إذا أضْعَفَه . يريدُ أنَّ نَوْمَه باللَّيلِ بقَدْرِ أن تستَرْخِيَ أعضاؤه ، من غيرِ أن يستغرقَ نوماً .

قال الخَطّابيُّ : ولو قيلَ : « ولَيْلُه هَبَّاتٌ » مِن هَبَّ النائمُ : إذا انْتَبه ، كان جيّداً ، إلا أنّ الرِّوايةَ مُتَّبَعةٌ .

والخُفاتُ : ضَعْفُ الاستماعِ ، من خُفُوتِ الصَّوتِ ، وهو ضَعْفُه ، وإنما أخْرَجَه علي فُعالٍ ، بالضمّ ؛ لأنّه من أسماءِ الأَدْواءِ ، كالزُّكام .

والتَّاراتُ : المَرَّاتُ ، جَمْعُ تارةٍ ، أي يُكَرَّرُ عليه الحديثُ مرَّاتٍ ، حتَّي يَفْهَمَه ، أو أنَّ فَهْمَه قاصِرٌ ، فتارةً يَفْهَم ما يُقال له ، وتارةً لا يَفْهَمُ ، وذلك من آفاتِ الكِبرَ .

حديث
الحجَّاج بن يوسف الثَّقفيّ

دخَل عليه سَيابَةُ بن عاصِمٍ السُّلَمِيُّ ، فقال : من أيِّ البُلْدانِ أنت ؟

قال : مِن حَوْرانَ .

قال : هل كان وراءَكَ مِن غَيْثٍ ؟

قال : نَعَمْ ، أَصلحَ اللهُ الأميرَ .

قال : انْعَتْ لنا كيف كان المطرُ ، وتَبْشيرُه .

قال : أصابَتْنِي سَحابةٌ بحَوْرانَ ، فوقَع قَطْرٌ كِبارٌ ، وقَطْرٌ صِغارٌ ، فكان الصِّغارُ لُحْمةً للكِبار ، ووَقَع سَبِطاً مُتدارِكاً ، وهو السَّحُّ الذي سمعتَ به ، فَوادٍ سائلٌ ، ووادٍ نادِحٌ ، وأَرضٌ مُقْبِلةٌ ، وأرضٌ مُدْبِرةٌ .

وأصابتني سَحابةٌ بالقَرْيَتيْن ، فلبَّدتِ الدِّماثَ ، وأسالتِ العَزازَ ، ودَحَضَت التِّلاعَ ، ومَلأَت الحُفَرَ ، وصَدَعَتْ عن الكَمْأَة أماكِنَها .

وجِئتُك في مِثْلِ وِجارِ الضَّبُع .

وفي روايةٍ : وجئتُك في ماءٍ يَجُرُّ الضَّبُعَ ، ويَسْتخرِجُها مِن وِجارِها ، فقاءتِ الأرضُ بعدَ الرِّيِّ ، وامتلأت الإخاذُ ، وأُفْعِمَت الأوْدِيةُ .

ثم دخَل عليه رجلٌ ، من أهل اليمامة ، فقال : هل كان وراءَك من غَيْثٍ ؟

قال : نعم ، كانت سماءٌ ، ولم أرَها ، وسمعتُ الرُّوَّادَ تدعو إلي رِيادَتِها ، فسمعتُ قائلاً يقول : أُظْعِنُكم إلي مَحَلَّةٍ ، تَطْفَأُ فيها النِّيرانُ ، وتَشَكَّي فيها النِّساءُ ، وتَنافَسُ فيها المِعْزَي .

فلم يَفْهم الحَجَّاجُ ما قال ، فاعْتَلَّ عليه بأهل الشَّام ، فقال له : ويْحَكَ ! إنَّما تُحدِّثُ أهلَ الشَّام ، فأَفْهِمْهم .

فقال : أما طَفْءُ النِّيرانِ ؛ فإنَّه أخْصَبَ الناسُ ، فكثُر الزُّبْدُ ، والسَّمْنُ ، واللَّبَنُ ، فلم يُحْتَجْ إلي نارٍ ، يُخْتَبَزُ بها .

وأمَّا تَشَكِّي النِّساءِ ؛ فإنّ المرأةَ تُربِّقُ بَهْمَها ، وتَمْخَضُ لَبنَها ، فتَبِيتُ ولَها أَنِينٌ .

وأمّا تَنافُسُ المِعْزَي ؛ فإنَّها تَرَي مِن وَرَقِ الشَّجَر ، وزَهَرِ النَّبات ، ما يُشْبِعُ بُطُونَها ، ولا تَشْبَعُ عُيونُها ، فتَبِيتُ ولهَا كِظَّةٌ مِن الشِّبَع ، وتَشْتَرُّ فتَنْزِلُ الدِّرَّة .

ثم دَخلَ رجلٌ من بني أسَدٍ ، فقال : هل كان وراءَكَ من غَيْثٍ ؟

قال : اغبرَّ البِلادُ ، وأُكِل ما أشْرَفَ مِن الجَنْبَةِ ، واسْتَيْقَنَّا أنّه عامُ سَنَةٍ .

قال : بِئسَ المُخْبِرُ أنت .

ثم دخل رجلٌ من المَوالِي ، من أشَدِّ النَّاسِ في ذلك الزَّمان ، فقال له : هل كان وراءَكَ مِن غَيْثٍ ؟

قال : نَعمْ ، أصلَحَ اللهُ الأميرَ ، غير أنّي لا أُحْسِنُ أن أقُولَ ، كما قال هؤلاء ، إلاَّ أنِّي أصابتْني سَحابةٌ ، فلم أزَلْ في ماءٍ وطِينٍ ، حتي دخلتُ علي الأمير .

فضَحِك الحجَّاجُ ، ثم قال : واللهِ لئن كنتَ مِن أقْصَرِهم خُطْبَةً في المطر ؛ إنَّك لَمِن أطْولِهم خُطْوةً بالسَّيف .

★ ★ ★

أخرجه الزمخشريُّ (١)، وأخرجه الخطّابيُّ(٢)، بتقديمٍ وتأخير ، وهو مِن حديثِ عبَّاد بن موسي ، عن الشَّعبيّ .

شرحه

سَيابَةُ (٣) : مُسَمَّي بالسَّيابة ، وهي البَلَحَةُ ، وجَمْعُها : سَيابٌ ، والبَلَحَةُ : من ثَمَرِ النَّخْل ، أوَّلُها طَلْعٌ ، ثم خَلالٌ ، ثم بَلَحٌ ، ثم بُسْرٌ ، ثمّ رُطَبٌ ، ثم تَمْرٌ .

والسُّلَمِيُّ : منسوبٌ إلي سُلَيْم بن مَنْصُور ، من قَيْسِ عَيْلانَ .

وحَوْرانُ : رُسْتاقٌ مِن رَساتِيقِ دِمَشْق .

و « مِنْ » في « مِنْ غَيْث » تُفِيد التَّقْليلَ .

---

(١) الفائق ١/١١١ – ١١٤ ، وهو أيضا في العقد الفريد ٥/٣٣ ، ٣٤

(٢) غريب الحديث ٣/١٧٥ .

(٣) هكذا ضبط في الأصل ، بفتح السين ، ضبط قلم ، وكذلك في القاموس ، لكن الحافظ ابن حجر قيده بالكسر ، انظر الإصابة ٣/١٥٥

والتَّبْشِيرُ : واحِدُ التَّباشِير ، وهي أوائلُ الأمورِ ، ومَبادِيها ، وما يَتقدَّمُها من أماراتِها ، ومنه تَباشِيرُ الصُّبْحِ ، وهو في الأصلِ مَصْدَرُ بَشَّرَ ؛ لأنّ طُلُوعَ فاتحةِ الشيءِ كالبِشارةِ به ، ومِثلُه التَّعْشِيبُ ، والتَّنْبيتُ ، وأكثرُ ما يُتكلَّمُ به مجموعاً ، وقلَّما يجيءُ مُفرَداً .

وقولُه : « لُحْمةٌ للكِبار » أراد أنَّ القَطْرَ قد انْتَسجَ بعضُه في بَعْضٍ ، لِتتابُعِه وازْدِحامِه ، فشَبَّه الكِبارَ بسَدَي الثَّوبِ ، والصِّغارَ بلُحْمَتِه .

والسَّبِطُ : المُمْتدُّ ، المُنْبَسِط ، وقد سَبِطَ ، وسَبُطَ ، فهو سَبْطٌ ، وسَبِطٌ .

ورواه الخَطّابيُّ : « بَسِيطاً » من الانْبِساطِ ، والشُّمُولِ .

والمُتَدارِك : المُتَتابِعُ ، كأنَّ بَعْضَه أدْرَك بَعْضاً .

والسَّحُّ : شِدَّةُ انْصِبابِ المَطَرِ .

والنَّادِحُ : مِن نَدَحَهُ يَنْدَحُه ، إذا وسَّعَه ، ومنه المَنْدُوحَةُ ، وهي مصدرٌ مِن نَدَح ، كالمَصْدُوقةِ ، والمَكْذُوبةِ ، ووادٍ نادِحٌ ، من باب العِيشةِ الرَّاضِية ، والماءِ الدافِق (١) .

والدِّماثُ : السُّهُولُ ، جَمْعُ مكانٍ دَمْثٍ ، أو أَرضٍ دَمِثَة .

والتَّلْبِيدُ : الدَّكُّ ، والتَّوطِئةُ ، يريدُ أنَّ المطرَ قد دَكَّ تُرابَها ، فتعقَّدتْ .

---

(١) بتأويل : عيشة مرضية ، وماء مدفوق .

والعَزازُ ، بزايَيْنِ : ما صَلُبَ مِن الأرضِ ، واشْتدَّ .

والتِّلاعُ : ما غَلُظَ ، وارْتَفَع من الأرض ، واحِدتُها : تَلْعَةٌ .

والدَّحْضُ : الزَّلَقُ ، أي أنها صارتْ زَلَقاً ، لا تَسْتَمْسِكُ عليها الأرجُلُ ، يقال : دحَضَتْ رِجْلُه دَحْضًا ، إذا زَلِقَتْ ، ودحَضَتْ حُجَّتُه : بَطَلَتْ ، وأدْحَضْتُها أنا .

هكذا جاءت الرّوايةُ : « دحَضَتِ التِّلاعَ » ودحَضَتْ : فِعلٌ قاصِرٌ ، فيحتاجُ أن تكونَ التِّلاعُ مرفوعةً ؛ لأنها فاعلُ الدَّحْضِ ، أو تكونُ « أدْحَضَتْ » [1] فقد سقطت الهمزةُ في النَّقْلِ ، أو تكون الحاءُ مُشدَّدةً ، فعَدَّت الفِعْلَ ، أي صَيَّرت هذه المَطْرةُ التِّلاعَ مَزالِقَ .

والحُفَرُ : جَمْعُ حُفْرةٍ .

والصَّدْعُ : الشَّقُّ .

ووِجارُ الضَّبُعِ : جُحْرُها الذي تأوِي إليه ، وليس له ها هُنا معنيً ، قال الخَطّابيّ : إنّما هو في مِثْل جارِّ الضَّبُعِ ، ومعناه أنَّ الماءَ كثُرَ حتَّي دخل بيتَ الضَّبُعِ ، وملأَه حتي أخْرَجها ، فكأنّه جَرَّها منه ، ويشهَدُ له الرِّوايةُ الثانيةُ .

وقَيْءُ الأرضِ بَعْدَ رِيِّها : كِنايةٌ عن تَفجُّرِ العُيونِ ، وسَيْحِها علي وجه الأرضِ ، لكثرة ما حصَلَ في خَزائِنها مِن الماء .

---

(١) هكذا ، ولعله : « فسقطت » بحذف « قد » . ويلاحظ أن الرواية في الفائق بتشديد الحاء .

والإخاذُ : مَصانِعُ الماءِ ، واحِدتُها : إخاذَةٌ ، وجَمْعُ الإخاذِ : أُخُذٌ .

والإفْعامُ : المَلْوُّ ، يُقالُ : أفعمتُ الإناءَ ، إذا ملأتَه .

وقوله : « كانت سماءٌ ولم أرَها » يريدُ بالسَّماءِ المَطَرَ .

والرُّوَّادُ : جَمْع رائِدٍ ، وهو الذي يتقدَّمُ القومَ ؛ ليكشفَ لهم حالَ الماءِ والمَرْعَي ، وقد رادَ يَرُودُ ، رَوْداً ورِيادةً ، فهو رائدٌ ، وأُخْرِجَت الرِّيادَةُ علي زِنَةِ القِصارةِ ، والخِياطةِ ؛ لأنَّها صِناعةٌ .

والإظْعانُ : الإرحالُ ، وأظْعنْتُه : إذا حملْتَه علي الظَّعْنِ ، وهو الرَّحيلُ ، والمَسِيرُ .

والمَحَلَّةُ : المَنْزِلَةُ التي يَحُلُّ النّاسُ بها .

وطَفِئَت النارُ ، تَطْفَأُ طَفْأً : إذا خَمَدتْ ، وأطْفأتُها أنا .

والأصلُ في تَشكَّي النِّساءُ : تَتَشكَّي ، فحذَفَ تاءَ المضارَعة ، تخفيفاً ، وقِيل فيه وجهٌ آخَر ، وهو اتِّخاذُهُنَّ شِكاءً لِلَّبَن ، جَمْع شَكْوةٍ ، وهي القِرْبَةُ الصَّغيرةُ ، يقال : شَكَّي الرَّاعي ، وتشَكَّي ، قال الشاعر :

وحتَّي رأيتَ العنْزَ تَشْرَي وشكَّتِ الأَيَامِيَ وأضْحَي الرِّئْمُ بالدَّوِّ طاوِيا [1]

---

(١) البيت من غير نسبة ، في الفائق ، واللسان (شكا) .

وقوله : « تشري » أي تمضي وتجد في سيرها ، والرِّيمُ : الخالص من الظباء ، وقيل : هو ولد الظبي . والدو : الفلاة الواسعة .

قال في اللسان – الموضع المذكور : العنز تشري للخصب سِمناً ونشاطا ، وقوله « أضحي الرئم طاويا » أي طوي عنقه من الشبع ، فربض . وقوله : « شكت الأيامي » أي كثر الرسل حتي صارت الأيم يفضل لها لبن تحقنه في شكوتها » .

والتَّرْبِيقُ : شَدُّ البَهْمِ ، وهي سَخْلُ الغَنَمِ في الأَرْباقِ ، وهي عُرًي تُشَدُّ في حَبْلٍ ، وتُتْرَكُ في أعناقِها .

يريد أنَّ النِّساءَ يَتْعَبْنَ بكَثْرةِ العَملِ ، فيَبِتْنَ ولهنَّ أَنينٌ مِن التَّعب .

والكِظَّةُ : الامتلاءُ المُفْرِطُ ، من الطَّعامِ أو الشَّراب ، واكتَظَّ الوادِي : إذا اغْتَصَّ بالماءِ .

وتَشْتَرّ : لغة في تَجْتَرّ ، لتَقارُب الجيمِ والشِّين ، وهو أن تُخْرِجَ الماشيةُ مِن جَوْفِها ، شيئاً مِن عَلَفِها إلي فيها ، فتمضُغَه ، ثم تَبْتلِعَه .

والدِّرَّةُ : اللَّبَنُ .

واغْبَرَّ البِلادُ : أي أجْدَبتْ ، وحذَفَ التاءَ ؛ لأنَّ جَمْعَ التكسير يُذَكَّرُ فعلُه ، ويؤنَّثُ ، يقال : قام النِّساءُ ، وقامت النِّساءُ .

والجَنْبةُ ، بسُكون النون : عامَّةُ الشَّجَرِ ، والنَّباتِ الذي يُورِقُ في الصَّيف ، من غيرِ مَطَرٍ ، ولا سَقْيٍ ، وقيل : هو ما فوقَ البَقْلِ ، ودُونَ الشَّجَر .

والسَّنَةُ : الجَدْبُ ، وعامُ سنةٍ : أي عامُ جَدْبٍ .

والمَوالِي : من ليس بعربيِّ الأَصلِ ، وقد جَرَي عليه ، أو علي آبائِه الرِّقُّ .

والخُطْوَةُ ، بالضَّمّ والفتح : ما بينَ قَدَمي الماشي ، وقيل ، بالفتح : المَرَّةُ ، وبالضَّمِّ : الاسمُ .

وأرادَ بطُولِها التقدُّمَ إلي الأَقْران ، قال ابنُ حِطَّان (١) :

إذا قَصُرتْ أسيافُنا كان وَصْلُها   خُطانا إلي أعدائنا فنُضارِبِ

تمَّ كتاب منال الطالب في شرح طوال الغرائب . وذلك في سنة ست وستمائة .

كتبه محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ، ولَدُ أخي المصنف . حامداً لله تعالي علي نِعَمه ، ومصلياً علي رسوله ، مسلّما ، والحمدُ لله رب العالمين .

---

(١) هكذا ينسب المصنف – رحمه الله – البيت إلي ابن حطان ، وقد نسبه فيما سبق من أحاديث علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – إلي قيس بن الخطيم . وتكلمت عليه هناك .

وهذا آخر ما يسره الله من التعليق علي كتاب « منال الطالب في شرح طوال الغرائب » للعلامة مجد الدين بن الأثير . وكان ذلك في الليلة التي يسفر صباحها عن يوم الخميس ، السادس والعشرين من شهر ربيع الأنور ، عام اثنين وأربعمائة بعد الألف ، من هجرة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلي الله عليه وعلي آله وصحبه وسلم . وذلك بمكة المكرمة .

والحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة

وكتب

أبو أروي

محمود محمد الطناحي

فهرس الفهارس



١ - فهرس الموضوعات

صفحة

أحاديث التابعين

٢ – فهرس الآيات القرآنيَّة

سورة الأنعام

لكلّ نبأ مستقر وسوف تعلمون	٦٧	٥٠٤
أولئك الذين أُبْسِلوا بما كسبوا	٧٠	٤١١
فمستقر ومستودع	٩٨	٤٤٢
ولا تزر وازرة وزر أخرى	١٦٤	٢٤٢

سورة الأعراف

وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة	٢٢	٤٤٣
أو لتعودُنّ فى مِلَّتنا	٨٨	٣٠
ويذرك وإلاهتك	١٢٧	١٤٨
فخلف مِن بعدهم خلف ورثوا الكتاب	١٦٩	٤٩٨

سورة الأنفال

فشرِّدْ بهم من خلفهم	٥٧	٤٧٦

سورة التوبة

أتخشونهم فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين	١٣	٥٠٦
ثانى اثنين إذ هما فى الغار	٤٠	٥٧٧
ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين	٤٩	٥٠٣
وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا	١١٨	٤٩٨
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم	١٢٨	٥٠١

سورة يونس

ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون	٦٢	٢٦٢

سورة الكهف

سورة مريم

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة النور

سورة الشعراء

سورة العنكبوت

سورة نوح

سورة المزمل

سورة المرسلات

سورة النازعات

سورة الانشقاق

سورة العصر

٣ – فهرس الأحاديث النبويّة

٤ – فهرس الأمثال والأقوال المأثورة والتعبيرات النحويّة

٥ - فهرس الأشعار والأرجاز

(حرف الهمزة)

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
أضاءَها	الطويل	قيس بن الخطيم	٤١٢
وماءُ	الطويل	———	٣٣٣

(حرف الباء)

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
العربْ	الرجز (ثمانية أبيات)	الأعشى الحرمازى	٤٩٥
غلبْ	الرجز	الأعشى الحرمازى ، أو الثلب اليمانى	٤٩٥
عبابُها	الطويل	دختنوس بنت لقيط	٣٨
الخطبُ	البسيط (أربعة أبيات)	صفية بنت عبد المطلب	٥٠٧
الثعلبُ	الكامل	ساعدة بن جؤيَّة الهذلى	١٩٠
وطيّبِ	الطويل	خالد بن نضلة	٦١
فنضاربِ	الطويل	قيس بن الخطيم أو عمران بن حطان	٤١٩، ٦٣٠
ربابِهِ	الرجز	———	١٣
سحابِهِ	الرجز	———	١٣
بِها	المتقارب	الأعشى	٢٤١

(حرف الحاء)

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
منصاحِ	البسيط	عَبِيد بن الأبرص	٤٥٨

(حرف الدال)

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
وبرَدْ	الرجز	———	٤١

(حرف الضاد)

(حرف العين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الياء)

٦ – فهرس الموادّ اللغوية

(حرف الهمزة)

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

---

(١) بيّض له المصنّف ، ولم يشرحه .

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

(حرف الذال)

(حرف الراء)

(حرف الزاى)

(حرف السين)

(١) أوردت هذا على ظاهر اللفظ ، كما شرحه المصنف ، وانظر أصله فى مادَّتَىْ : (سنه) و (سنو) .

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(١) هكذا أورده المؤلف فى مادة (شفن) من النهاية ٢/٤٨٨ ، ثم قال : « ويجوز أن يكون « شفان » فعلان ، من شفّ : إذا نقص » .

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف الظاء)

(حرف العين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

---

(١) انظر الآية ٣٨ من سورة الرعد .

(حرف اللام)

(حرف النون)

(حرف الواو)

---

(١) وانظر : تحف .

(حرف الياء)

٧ - فهرس الأدوات وحروف المعانى

٨ - فهرس مسائل العربيّة
ويشمل مسائلَ النحو والصرف والعروض واللغة والبلاغة

(حرف الألف)

---

(١) وانظر أيضا : تعاقُب .

---

(١) وانظر أيضا : إسناد الفعل لغير فاعله .

(حرف التاء)

---

(١) وانظر الإبْدال .

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الراء)

(حرف الزاى)

(حرف الضاد)

(حرف العين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(١) يعبّر عنها المصنف أحيانا بقوله : لغة لم تسمع إلاّ فى الحديث ، وانظر ما سبق فى حرف الجيم : « جمع تكسير لم يسمع إلاّ فى الحديث » .

(حرف النون)

(حرف الواو)

مسائل من الفقه

---

(١) وهى مسألة « كثير وقليل » ، وانظر ما سبق فى حرف الجيم : الجمع .

مسائل متفرِّقات

٩ - فهرس الكتب

١٠ - فهرس الأعلام والقبائل والأُمَم والفِرَق والطَّوائف

(حرف الألف)

(١) وانظر : ذو .

(٢) فى اسمه خلاف كثير . انظره فى قسم الكُنَى ، من الإصابة ٧/٩١

(حرف الباء)

(حرف التاء)

---

(١) فى اسمه خلاف . انظره فى باب الكُنى من الإصابة ١٦٥/٧

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

(حرف الذال)

(حرف الراء)

(حرف الزاى)

---

(١) واسمه : منبّه .

(حرف السِّين)

---

(١) اختلف فى اسمه ، فقيل : عبد الله ، وقيل : إسماعيل . انظر سير أعلام النبلاء ٢٨٧/٤

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف العين)

---

(١) واسمه : الحارث .

---

(١) عُرف بكنيته ، وقد اختلف فى اسمه اختلافاً كبيرا . وقيل : كان لا يُسأل عن اسمه ؛ لجلالته ومهابته .

(٢) أى عامَّة الناس . وفهرسة مثل هذا مفيد فى الدَّرْس اللغوى ، لا محالة ، وقد وجَّهنى إلى ذلك ما كنت رأيته قديما فى فهارس الاشتقاق ، لشيخى الجليل الأستاذ عبد السلام هارون ، حفظه الله . وانظر ذلك فى الاشتقاق ص ٦٥٦

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

---

(١) واسمه : مالك .

(حرف الميم)

---

(١) راجع الاشتقاق ص ١٤٧
(٢) هكذا بالرفع ، وتكلّم عليه المصنف .

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الواو)

(حرف الياء)

١١ – فهرس الأماكن والبلدان والمياه والجِبال

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الواو)

(حرف الياء)

١٢ - فهرس الأيام والغزوات الحروب

١٣ - فهرس المراجع

- الإبدال والمعاقبة والنظائر . للزجاجي . تحقيق عز الدين التنوخي - دمشق ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .
- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر . للدُّمياطى . مطبعة عبد الحميد حنفى . القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- أحكام القرآن . لابن العربى . تحقيق على محمد البجاوى . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
- أخبار أبى القاسم الزجاجى . تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك . دار الرشيد بغداد ١٩٨٠م
- الأخبار الموفقيات = الموفقيات .
- اختيار الممتع . للنهشلى . تحقيق الدكتور محمود شاكر القطان . دار المعارف بمصر ١٩٨٣م
- أدب الكاتب . لابن قتيبة . ليدن ١٩٠٠ م .
- الأدب المفرد . للبخارى . نشر قصىّ محب الدين الخطيب . السلفية بالقاهرة ١٣٧٩ هـ .
- الأزمنة والأمكنة . للمرزوقى . حيدر آباد . الهند ١٣٣٢ هـ
- أساس البلاغة . للزمخشرى . دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤١ هـ .
- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب . لابن عبد البر . تحقيق على محمد البجاوى . دار نهضة مصر . القاهرة ١٩٦٠ م .
- أسد الغابة فى معرفة الصحابة . لعز الدين بن الأثير . تحقيق الدكتور محمد البنا والدكتور محمد عاشور . دار الشعب بالقاهرة ١٣٩٣ هـ .
- أسماء جبال تهامة وسكانها . لعرّام بن الأصبغ السلمى . تحقيق عبد السلام هارون . (نوادر المخطوطات) . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .
- الاشتقاق . لابن دريد . تحقيق عبد السلام هارون . الخانجى بالقاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨م .
- اشتقاق أسماء الله . للزجاجى . تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م

- الإصابة فى تمييز الصحابة . لابن حجر العسقلانى . السعادة بالقاهرة ١٣٢٣ هـ .
- إصلاح المنطق . لابن السكّيت . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م .
- الأضداد لأبى بكر بن الأنبارى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الكويت ١٩٦٠ م .
- الأضداد . لأبى الطيب اللغوى . تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م .
- إعجاز القرآن . للباقلانى . تحقيق السيد أحمد صقر . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م .
- الأعلام . للزركلى . القاهرة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
- أعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى . للخطابى . تحقيق الدكتور محمد بن سعد آل سعود . جامعة أم القرى . مكة المكرمة ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م
- الأغانى . لأبى الفرج الأصبهانى . دار الكتب المصرية ، والهيئة العامة للكتاب بالقاهرة ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م ، وما بعدها .
- الاكتفا فى مغازى المصطفى والثلاثة الخلفا . للكلاعى . تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد . الخانجى بالقاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .
- الإكمال . لابن ماكولا . تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى . حيدر آباد الهند ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .
- الألفاظ الفارسية المعربة . لأدّى شير . المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٠٨ م .
- الأم . للإمام الشافعى . دار الشعب بالقاهرة ١٩٦٨ م ، مصورة عن طبعة بولاق بالقاهرة .
- أمالى الزجاجى . تحقيق عبد السلام هارون . المؤسسة العربية الحديثة . القاهرة ١٣٨٢ هـ .
- أمالى ابن الشجرى . حيدر آباد . الهند ١٣٤٩ هـ .
- أمال المرتضى ، المسمّاة غرر الفوائد ودرر القلائد . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
- الأمثال . لأبى عبيد القاسم بن سلام . تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش . مركز البحث العلمى بكلية الشريعة . مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- أمثال الحديث . للرامهرمزى . تحقيق الدكتور عبد العلى عبد الحميد الأعظمى . الدار السلفية . الهند ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣ م
- الأموال . لأبى عبيد القاسم بن سلام . تصحيح محمد خليل الهّراس . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

- إنباه الرواة على أنباه النحاة . للقفطى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٦٩ هـ.
- أنساب الأشراف . للبلاذرى . الجزء الأول . تحقيق الدكتور محمد حميد الله . دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م .
- إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون . ويعرف بالسيرة الحلبية . لنور الدين الحلبى . مصر ١٢٩٢ هـ .
- الإنصاف فى التنبيه على الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم . لابن السِّيد البطليوسى . تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية . دار الفكر . دمشق ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م
- الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين . لأبى البركات الأنبارى . تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- الأوائل . لأبى هلال العسكرى . تحقيق وليد قصاب ، ومحمد المصرى . دمشق . وزارة الثقافة ١٩٧٥ م .
- إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون . لإسماعيل باشا البغدادى . استانبول ١٣٦٤ هـ- ١٩٤٥ .
- البحر المحيط . لأبى حيان النحوى . القاهرة ١٣٢٨ هـ .
- البداية والنهاية . لابن كثير . القاهرة ١٣٤٨ هـ .
- بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد . للقاضى عياض . تحقيق صلاح الدين بن أحمد الإدلبى ، ومحمد الحسن أجانف ، ومحمد عبد السلام الشرقاوى . الرباط - المغرب الأقصى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة . للسيوطى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- بلاغات النساء . لابن طيفور . مصر ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .
- البيان فى غريب إعراب القرآن . لأبى البركات الأنبارى . تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه . دار الكتاب العربى بالقاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- البيان والتبيين . للجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . الخانجى بالقاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- تاج العروس ، شرح القاموس . للمرتضى الزبيدى . طبعة القاهرة ١٣٠٦ هـ ، والكويت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

- تاريخ الأدب العربى . لبروكلمان . الطبعة الألمانية .
- تاريخ بغداد . للخطيب البغدادى . القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس . للديار بكرى . المطبعة الوهبية . مصر ١٢٨٣ هـ .
- تاريخ الطبرى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠هـ .
- تأويل مختلف الحديث . لابن قتيبة . صححه محمد زهرى النجار . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- تأويل مشكل القرآن . لابن قتيبة . تحقيق السيد أحمد صقر . دار التراث بالقاهرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م .
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه . لابن حجر العسقلانى . تحقيق على محمد البجاوى . الدار المصرية للتأليف . القاهرة ١٣٨٣ هـ.
- التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ، المسمَّى خطأً : إملاء ما من به الرحمن . تحقيق على محمد البجاوى . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان . لابن مكى الصقلى . تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- تجريد أسماء الصحابة . للذهبى . حيدر آباد . الهند ١٣١٥ هـ .
- تذكرة الحفاظ . للذهبى . تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى . حيدر آباد . الهند ١٣٧٥ هـ .
- تصحيح الفصيح . لابن درستويه . تحقيق الدكتور عبد الله الجبورى . بغداد ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- التصريح بمضمون التوضيح . للشيخ خالد الأزهرى . عيسى الحلبى . القاهرة بدون تاريخ.
- تعليق من أمالى ابن دريد . تحقيق الدكتور السيد السنوسى . المجلس الوطنى للثقافة . الكويت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م
- تفسير أسماء الله . للزجاج . تحقيق أحمد يوسف الدقاق . دمشق ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م
- تفسير الطبرى . تحقيق محمود محمد شاكر . دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ .
- تفسير القرطبى . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .
- تفسير ابن كثير تحقيق الدكاترة محمد البنا ومحمد عاشور وعبد العزيز غنيم . دار الشعب بالقاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

- التكملة للصاغانى . الجزء الرابع . تحقيق عبد العليم الطحاوى . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٧٤ م .
- التنبيه والإيضاح . وهو حواشى ابن بَرِّى على الصحاح . الجزء الأول . تحقيق مصطفى حجازى . مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٠ م .
- تهذيب الأسماء واللغات . للنووى . المطبعة المنيرية بالقاهرة . بدون تاريخ .
- تهذيب التهذيب . لابن حجر العسقلانى . حيدر آباد . الهند ١٣٢٥ هـ .
- تهذيب اللغة . للأزهرى . تحقيق جماعة من العلماء . المؤسسة المصرية العامة بالقاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب . للثعالبى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار نهضة مصر ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .
- جامع الأصول فى أحاديث الرسول . لمجد الدين بن الأثير . تحقيق عبد القادر الأرناؤوط . دمشق ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- جمع الوسائل فى شرح الشمائل - للترمذى - تأليف ملا على القارى . المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧ هـ .
- جمهرة الأمثال . لأبى هلال العسكرى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، والدكتور عبد المجيد قطامش . القاهرة ١٩٦٤ م .
- جمهرة أنساب العرب . لابن حزم . تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف بمصر ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .
- جمهرة نسب قريش . للزبير بن بكار . مخطوطة شيخى الجليل محمود محمد شاكر .
- الجمهرة فى اللغة . لابن دريد . تحقيق كرنكو . حيدر آباد . الهند ١٣٥١ هـ .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . لأبى نعيم الأصبهانى . مصر ١٣٥١ هـ .
- الحماسة البصرية . لصدر الدين البصرى . تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال . الجزء الأول . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٩٧٨ م .
- الحيوان . للجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . مصطفى الحلبى . القاهرة١٣٨٥ - ١٩٦٥ م .
- خزانة الأدب . للبغدادى . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ، وطبعة بولاق . القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- الخصائص . لابن جنى . تحقيق الشيخ محمد على النجار . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

- الخصائص الكبرى . للسيوطى . تحقيق الدكتور محمد خليل الهراس . دار الكتب الحديثة . القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- خلق الإنسان . لثابت بن أبي ثابت . تحقيق عبد الستار فراج . الكويت ١٩٦٥ م .
- الداعى إلى الإسلام فى أصول علم الكلام . لأبى البركات الأنبارى . تحقيق الدكتور سيد حسين باغجوان . دار البشائر الإسلامية . بيروت . ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨ م
- درّة الغَوّاص فى أوهام الخواصّ . للحريرى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار نهضة مصر ١٩٧٥ م .
- الدرّة الفاخرة فى الأمثال السائرة . لحمزة الأصبهانى . تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش . دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م .
- دلائل النبوة . للبيهقى . الجزء الأول تحقيق السيد أحمد صقر . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .
- دلائل النبوة . لأبى نعيم الأصبهانى . تحقيق عبد البرّ عباس ، ومحمد رواس قلعه جى . حلب ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م ، وطبعة حيدر آباد . الهند ١٣٢٠ هـ .
- ديوان الأخطل . تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة . حلب ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ديوان الأعشى الكبير . شرح الدكتور محمد حسين . مكتبة الآداب . القاهرة ١٩٥٠ م .
- ديوان الأعْشَيْنْ ، بآخر الصبح المنير فى شعر أبى بصير . تحقيق جاير . فينا ١٩٢٧ م .
- ديوان امرئ القيس . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م .
- ديوان أمية بن أبى الصلت . تحقيق بهجة عبد الغفور الحديثى . بغداد ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .
- ديوان أوس بن حجر . تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم . بيروت ١٣٨٠ - ١٩٦٠م .
- ديوان جرير . تحقيق الدكتور نعمان طه . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م .
- ديوان جميل . تحقيق الدكتور حسين نصار . مكتبة مصر ١٩٦٧ م .
- ديوان حاتم الطائى . تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال . مطبعة المدنى . القاهرة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ديوان حسان بن ثابت . تحقيق الدكتور وليد عرفات . سلسلة جب التذكارية . بيروت ١٩٧١ م .
- ديوان ذى الرمة . تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح . مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

- ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس . تحقيق عبد العزيز الميمنى . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .
- ديوان أبى طالب ، المسمَّى غاية المطالب فى شرح ديوان أبى طالب . شرح الشيخ محمد الخطيب طنطا . من بلاد مصر ١٣٧١ هـ - ١٩٥٠ م .
- ديوان طرفة بن العبد . تحقيق درية الخطيب ، ولطفى الصقال . مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ديوان عَبِيد بن الأبرص . تحقيق الدكتور حسين نصار . مصطفى الحلبى . القاهرة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧ م .
- ديوان العجاج . تحقيق الدكتور عزة حسن - بيروت ١٩٧١ م .
- ديوان عمرو بن أحمر = شعر عمرو بن أحمر .
- ديوان عمرو بن معدى كرب . صنعة هاشم الطعان . بغداد . وزارة الثقافة والإعلام ، وطبعة دمشق . تحقيق مناع الطرابيشى .
- ديوان الفرزدق . شرح عبد الله الصاوى . القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م .
- ديوان قيس بن الخطيم . تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد . دار العروبة . القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .
- ديوان الكميت = شعر الكميت .
- ديوان لبيد . تحقيق الدكتور إحسان عباس . الكويت ١٩٦٢ م .
- ديوان المتنبى ، بالشرح المنسوب خطأً إلى العكبرى . ضبط وتصحيح مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى . مصطفى الحلبى بالقاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦م .
- ذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث . للشيخ عبد الغنى النابلسى . طبعة طهران - ناصر خسرو ، مصورة عن طبعة مصر التى أخرجتها جمعية النشر والتأليف الأزهرية .
- ذيل الروضتين . لأبى شامة المقدسى . مصر ١٣٦٦ هـ .
- الرسالة . للإمام الشافعى . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر . مصطفى الحلبى . القاهرة ١٩٤٠ م .
- الرصف لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من الفعل والوصف . للعاقولى . دمشق ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- رغبة الآمل من كتاب الكامل . للشيخ سيد بن على المرصفى . القاهرة ١٣٤٦ هـ .
- الروض الأنف . للسهَيلى . الجمالية بمصر ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .

- روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات . للخوانسارى . حيدر آباد . الهند ١٩٢٥م .
- الرياض النضرة فى مناقب العشرة . للمحب الطبرى .
- زاد المسير فى علم التفسير . لابن الجوزى . المكتب الإسلامى بدمشق ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- زاد المعاد فى هدى خير العباد . لابن قيم الجوزية . مصطفى الحلبى . القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- الزاهر فى معانى كلمات الناس . لأبى بكر بن الأنبارى . تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن . دار الرشيد للنشر . بغداد ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- الزُّهَرَة . لابن داود الأصبهانى . النصف الثانى . تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى ، والدكتور نورى القيسى . وزارة الإعلام . بغداد ١٩٧٥ م
- السبعة فى القراءات . لابن مجاهد . تحقيق الدكتور شوقى ضيف . دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م .
- سنن أبى داود . تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد . السعادة بالقاهرة ١٣٦٩هـ .
- سنن ابن ماجة . تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباق . عيسى الحلبى بالقاهرة ١٣٧٣ هـ .
- سنن النسائى . مصطفى الحلبى . القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- سير أعلام النبلاء . للذهبى . الجزء الرابع . تحقيق مأمون الصاغرجي . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- السيرة الحلبية = إنسان العيون .
- السيرة النبوية . لابن إسحاق . رواية وتهذيب ابن هشام . تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى . مصطفى الحلبى . القاهرة ١٣٧٥ هـ .
- السيرة النبوية . لابن كثير . تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . لابن العماد الحنبلى . نشر الشيخ حسام الدين القدسى . القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- شرح أبيات مغنى اللبيب . للبغدادى . تحقيق عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف الدقاق . دمشق ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- شرح أدب الكاتب . للجواليقى . نشر الشيخ حسام الدين القدسى . القاهرة ١٣٥٠ هـ .

- شرح أشعار الهذليين . صنعة السكرى . تحقيق عبد الستار فراج . مراجعة محمود محمد شاكر . دار العروبة . القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٠ م .
- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك . عيسى الحلبى . القاهرة . بدون تاريخ .
- شرح التسهيل لابن مالك . تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد ، والدكتور محمد بدوى المختون . دار هجر . القاهرة ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م
- شرح التصريح على التوضيح = التصريح بمضمون الوضيح .
- شرح الحماسة . للتبريزى . تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة حجازى . القاهرة ١٣٥٨ هـ .
- شرح الحماسة . للمرزوقى . تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف . القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م .
- شرح خطبة عائشة أم المؤمنين فى أبيها . لأبى بكر بن الأنبارى . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ونشره أوّلَ مرة بالمجلد السابع والثلاثين بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق .
- شرح الزرقانى على المواهب اللدنية للقسطلانى . مصورة . بيروت ١٣٩٣ هـ عن الطبعة المصرية التى صدرت عن المطبعة الأزهرية ١٣٢٩ هـ .
- شرح شافية ابن الحاجب . للرضى الاستراباذى . تحقيق المشايخ محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة حجازى . القاهرة ١٣٥٦هـ .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد . الطبعة الخامسة عشرة . القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- شرح القصائد السبع . لأبى بكر بن الأنبارى . تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف بمصر ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- شرح المفصل . لابن يعيش . المطبعة المنيرية بمصر ١٩٢٨ م .
- شرح المفضليات . لأبى محمد [1] القاسم بن محمد الأنبارى . تحقيق لايل . بيروت ١٩٢٠ م .

---

(١) ينسب هذا الشرح ، خطأ ، إلى ابنه أبى بكر بن الأنبارى ، وهذا إنما قرأه على أبيه ، ونقّحه ، ليس غير .

- شرح مقامات الحريرى . للشريشى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . المؤسسة العربية الحديثة . القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- شرح نهج البلاغة . لابن أبى الحديد . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . عيسى الحلبى بالقاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .
- شروح سقط الزند . لأبى العلاء المعرى . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥م .
- شعر الخوارج . للدكتور إحسان عباس . بيروت ١٩٦٣ م .
- شعر عبد الله بن الزبعرى . تحقيق الدكتور يحيى الجبورى . مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة . المجلد الرابع والعشرون .
- شعر عمرو بن أحمر . تحقيق الدكتور حسين عطوان . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . بدون تاريخ .
- شعر الكميت . تحقيق الدكتور داود السلوم . بغداد . مكتبة الأندلس ١٩٦٩ م
- الشعر والشعراء . لابن قتيبة . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر ١٩٦٦م .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى . للقاضى عياض . تحقيق على محمد البجاوى . عيسى الحلبى . القاهرة . ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٧ م .
- شفاء السّقام فى زيارة خير الأنام . لتقى الدين السبكى . حيدر آباد . الهند ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م
- شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم . لابن كثير . تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .
- الشمائل للترمذى ، بشرح ملاّ على القارى = جمع الوسائل .
- صبح الأعشى . للقلقشندى . المطبعة الأميرية بمصر ١٣٣١ هـ .
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهرى . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . القاهرة ١٩٥٦ م .
- صحيح البخارى . دار الشعب بمصر ١٣٧٨ هـ - مصورة عن الطبعة الأميرية ببولاق .
- صحيح مسلم . تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباق . عيسى الحلبى . القاهرة١٣٧٤ هـ
- صحيح مسلم . بشرح النووى . المطبعة المصرية . القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- طبقات الشافعية . للإسنوى . تحقيق الدكتور عبد الله الجبورى . بغداد ١٣٩٠ هـ .

- طبقات الشافعية الكبرى . لابن السبكى . تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، والدكتور محمود محمد الطناحي . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- طبقات فحول الشعراء . لابن سلاّم . تحقيق محمود محمد شاكر . مطبعة المدنى . القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- طبقات القراء - ويسمَّى غاية النهاية - لابن الجزرى . نشره برجستراسر . السعادة بمصر ١٣٥٢ هـ .
- الطبقات الكبير . لابن سعد . دار صادر - بيروت - بدون تاريخ .
- طبقات المفسرين . للداوودى . تحقيق الدكتور على عمر . مكتبة وهبة . القاهرة ١٣٩٢هـ .
- عارضة الأحوذى ، بشرح صحيح الترمذى . لابن العربى . طبعة مصورة بمكتبة المعارف - بيروت عن الطبعة المصرية التى أشرف عليها عبد الله الصاوى .
- العبر فى خبر من عَبَر . للذهبى . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، وفؤاد سيد . الكويت ١٩٦٠ م .
- العصا . لأسامة بن منقذ . تحقيق عبد السلام هارون (نوادر المخطوطات) لجنة التأليف . القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .
- العقد الفريد . لابن عبد ربه . تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، إبراهيم الأبيارى . لجنة التأليف . القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ .
- عقود الجمان فى شعراء هذا الزمان . لابن الشعّار الموصلى . مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، برقم (٣٣٩) تاريخ ، عن مخطوطة مكتبة أسعد افندى باستانبول .
- عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير . لابن سيد الناس اليعمرى . نشر الشيخ حسام الدين القدسى . القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- عيون الأخبار . لابن قتيبة . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٤٣ هـ .
- غاية النهاية = طبقات القراء . لابن الجزرى .
- غرر الفوائد ودرر القلائد = أمالى المرتضى .
- غريب الحديث . للخطابى .تحقيق عبد الكريم العزباوى . خرَّج أحاديثه عبد القيوم عبد رب النبى . مركز البحث العلمى . جامعة أم القرى . مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م
- غريب الحديث . لأبى عبيد القاسم بن سلام . تصحيح محمد عظيم الدين . حيدر آباد . الهند ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

- غريب الحديث . لابن قتيبة . تحقيق الدكتور عبد الله الجبورى . بغداد ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- الغريبين - غريبى القرآن والحديث - للهروى . الجزء الأول تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م . ورجعت إلى مخطوطته المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، برقم (٥٥) لغة تيمور .
- الفائق فى غريب الحديث . للزمخشرى . تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم . عيسى الحلبي . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٧١ م .
- الفاخر فى الأمثال . للمفضل بن سلمة . تحقيق عبد العليم الطحاوى . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى . لابن حجر العسقلانى . رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه الشيخ محمد فؤاد عبد الباق ، وصححه وأخرجه محب الدين الخطيب . المكتبة السلفية القاهرة ١٣٧٩ هـ .
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث . لشمس الدين السخاوى - دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م
- فتوح البلدان . للبلاذرى . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد . النهضة المصرية بالقاهرة ، ١٩٥٧ م .
- فهارس تهذيب اللغة للأزهرى . صنعة عبد السلام هارون . الخانجى بالقاهرة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م . .
- الفهرست . لابن النديم . ليبزج ١٨٧١ م .
- فهرسة ما رواه عن شيوخه أبو بكر بن خير الأشبيلى . بيروت ١٩٦٣ م .
- القاموس المحيط . للفيروزابادى . القاهرة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م .
- القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع . لشمس الدين السخاوى . دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م
- الكامل - فى الأدب - للمبرد . عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، والسيد شحاته . نهضة مصر بالقاهرة ١٩٥٦ م .
- الكامل - فى التاريخ - لعز الدين بن الأثير . بيروت ١٩٦٥ م .
- الكتاب . لسيبويه . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .
- الكشاف . للزمخشرى . رجعت إلى طبعات مختلفة منه . وقد حرصت عند الرجوع إليه على ذكر رقم الآية والسورة ، لتسهل المراجعة على من يريدها .

- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون . للحاج خليفة . استانبول ١٩٤١ م .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع . لمكى بن أبى طالب . تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان . دمشق ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- الكشكول . لبهاء الدين العاملى . تحقيق الشيخ طاهر أحمد الزاوى . عيسى الحلبى القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال . للمتقى الهندى . مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م .
- اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة . للسيوطى . طبعة المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة . بدون تاريخ .
- لباب الآداب . لأسامة بن منقذ . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر . الرحمانية بمصر ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م .
- اللباب فى تهذيب الأنساب . لعز الدين بن الأثير . نشر الشيخ حسام الدين القدسى . القاهرة ١٣٥٧ هـ .
- لسان العرب . لابن منظور . بولاق بمصر ١٣٠٠ هـ .
- المؤتلف والمختلف . للآمدى . تحقيق عبد الستار فراج . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر . لضياء الدين بن الأثير . تحقيق الدكتورأحمد الحوفى ، والدكتور بدوى طبانه . نهضة مصر ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى . تحقيق الدكتور فؤاد سزجين . الخانجى . القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .
- مجالس ثعلب . تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية .
- مجالس العلماء . للزجاجى . تحقيق عبد السلام هارون . الكويت ١٩٦٢ م .
- مجلة العرب . إصدار الشيخ حمد الجاسر . الجزء السادس ، من السنة الخامسة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .
- مجلة كلية اللغة العربية ، بالرياض . العدد السادس ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- مجمع الأمثال . للميدانى . تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد . السعادة بمصر ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . لنور الدين الهيثمى . الطبعة الثانية ، مصورة - دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ١٩٦٧ ، عن الطبعة المصرية التى نشرها الشيخ حسام الدين القدسى .

- محاضرات الأدباء . للراغب الأصبهانى . جمعية المعارف بمصر ١٢٨٧ هـ .
- المحبر . لابن حبيب . حيدر آباد . الهند ١٩٦١ م .
- المحتسب فى تبيين وجوه شواذّ القراءات . لابن جنى . تحقيق عبد الحليم النجار ، وعلى النجدى ناصف ، وعبد الفتاح شلبى . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٨٦ هـ .
- المختصر فى أخبار البشر . لأبى الفدا . مصر ١٣٢٥ هـ .
- مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه . نشر برجستراسر . الرحمانية بمصر ١٩٣٤ م .
- المخصص . لابن سيده . تحقيق محمد محمود التركزى الشنقيطى ، ومعاونة عبد الغنى محمود . بولاق بمصر ١٣٢١ هـ .
- مرآة الجنان . لليافعى . حيدر آباد . الهند ١٣٣٨ هـ .
- مروج الذهب . للمسعودى . تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد . القاهرة .
- المزهر . للسيوطى . تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٦١ هـ .
- المستدرك . للحاكم النيسابورى . مكتبة النصر الحديثة بالرياض ، مصورة عن طبعة الهند .
- المستقصى فى أمثال العرب . للزمخشرى . حيدر آباد . الهند ١٩٦٢ م .
- مسند أحمد بن حنبل . القاهرة ١٣١٣ هـ .
- المشتبه . للذهبى . تحقيق على محمد البجاوى . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .
- مشكل إعراب القرآن . لمكّى بن أبى طالب . تحقيق ياسين محمد السواس ، دمشق ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ، وطبعة بغداد ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥ م . تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن .
- المصباح المنير . للفيومى . تصحيح الشيخ حمزة فتح الله . الطبعة الثالثة . المطبعة الأميرية بمصر ١٩١٢ م .
- المعارف . لابن قتيبة . تحقيق الدكتور ثروت عكاشة . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
- معانى القرآن . للفراء . تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، والشيخ محمد على النجار ، والدكتور عبد الفتاح شلبى . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥ ، ١٩٧٢ م .
- معجم الأدباء لياقوت الحموى . دار المأمون . القاهرة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .
- معجم البلدان . لياقوت الحموى . الخانجى بالقاهرة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م .
- المعجم العربى . للدكتور حسين نصار . دار الكتاب العربى . القاهرة ١٩٥٦ م

- معجم ما استعجم . للبكرى . تحقيق مصطفى السقا . لجنة التأليف . القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
- معجم المؤلفين . لعمر رضا كحالة . دمشق ١٩٥٧ م .
- معجم المطبوعات العربية والمعربة . تأليف يوسف إليان سركيس . مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . تأليف الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٦٤ هـ .
- معجم مقاييس اللغة = مقاييس اللغة .
- المعرب للجواليقى . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٦٤ هـ - والطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- معرفة علوم الحديث . للحاكم النيسابورى . تصحيح الدكتور السيد معظم حسين . المكتب التجارى - بيروت بدون تاريخ [(١)] الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .
- المعمرين . لأبى حاتم . تحقيق عبد المنعم عامر . عيسى الحلبي . القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- مغازى الواقدى . تحقيق مارسدن جونز . دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م (مطبوعات جامعة أكسفورد) .
- مغنى اللبيب . لابن هشام . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة بدون تاريخ . وطبعة دار الفكر - بيروت ١٩٦٤ م بتحقيق الدكتور مازن المبارك ، ومحمد على حمد الله .
- مفتاح السعادة . لطاش كبرى زاده . تحقيق كامل بكرى . والدكتور عبد الوهاب أبو النور . دار الكتب الحديثة . القاهرة ١٩٦٨ م .
- مقاييس اللغة . لابن فارس . تحقيق عبد السلام هارون . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٦٦ هـ - والطبعة الثالثة - الخانجى . القاهرة ١٤٠٢ هـ .
- المقتضب . للمبرد . تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٨٥ هـ .
- المقصور والممدود . لابن ولاد . تصحيح محمد بدر الدين النعسانى . السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .

---

(١) كتب المصحح مقدمته سنة ١٩٣٥ م .

- المكاثرة عند المذاكرة . لجعفر بن محمد الطيالسي . تحقيق محمد بن تاويت الطنجي . أنقرة ١٩٥٦ م .
- المنازل والديار . لأسامة بن منقذ . تحقيق مصطفى حجازى . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٨٧ هـ .
- المنتظم . لابن الجوزى . حيدر آباد . الهند ١٣٥٧ هـ .
- المنقوص والممدود . للفراء . تحقيق عبد العزيز الميمنى . دار المعارف بمصر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- موسوعة فقه إبراهيم النخعى . للدكتور محمد رواس قلعه جى . مركز البحث العلمى - كلية الشريعة بمكة المكرمة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- الموطأ . للإمام مالك . تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباق . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٧٠هـ .
- الموفقيات . للزبير بن بكار . تحقيق دكتور سامى مكى العانى - مطبعة العانى . بغداد ١٩٧٢ م .
- ميزان الاعتدال . للذهبى . تحقيق على محمد البجاوى . عيسى الحلبى . القاهرة ١٩٦٣م .
- النبات . للأصمعى . تحقيق الدكتور عبد الله الغنيم . مطبعة المدنى . القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . لابن تغرى بردى . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٣٢ م .
- النحو بين التجديد والتقليد . للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة . مقالة بمجلة كلية اللغة العربية . الرياض ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- النشر فى القراءات العشر . لابن الجزرى . تصحيح الشيخ محمد على الضباع . المكتبة التجارية بمصر . بدون تاريخ .
- نضرة الإغريض فى نصرة القريض . للمظفر بن الفضل العلوى . تحقيق الدكتورة نهى عارف الحسنى . دمشق ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- نقائض جرير والفرزدق . لأبى عبيدة معمر بن المثنى . تحقيق بيفان . ليدن ١٩٠٥ م .
- نهاية الأرب . للنويرى . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٣٥م .
- النهاية فى غريب الحديث والأثر . لمجد الدين بن الأثير . تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحى . عيسى الحلبى . القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

- النوادر . لأبى زيد الأنصارى . د ار الكتاب العربى . بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- هدية العارفين . لإسماعيل باشا البغدادى . استانبول ١٩٥١ م .
- هواتف الجِنّان . للخرائطى . تحقيق إبراهيم صالح . ضمن (نوادر الرسائل) . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م .
- الوفا بأحوال المصطفى . لابن الجوزى . تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد . دار الكتب الحديثة . القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- وفيات الأعيان . لابن خلكان . تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار صادر بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م .
- وقعة صفين . لنصر بن مزاحم . تحقيق عبد السلام هارون . مؤسسة المطبوعات الحديثة والخانجى . القاهرة . الطبعة الثانية .

* * *